

تاريخ ابن خلدون

المسمّى

ديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والبربر

ومن عاصرهم من ذوي الشأن الأكبر

تاريخ ابن خلدون

المسمّى

بكتاب العبر، وديوان المبتدأ والخبر، في أيام العرب والعجم والبربر
ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر

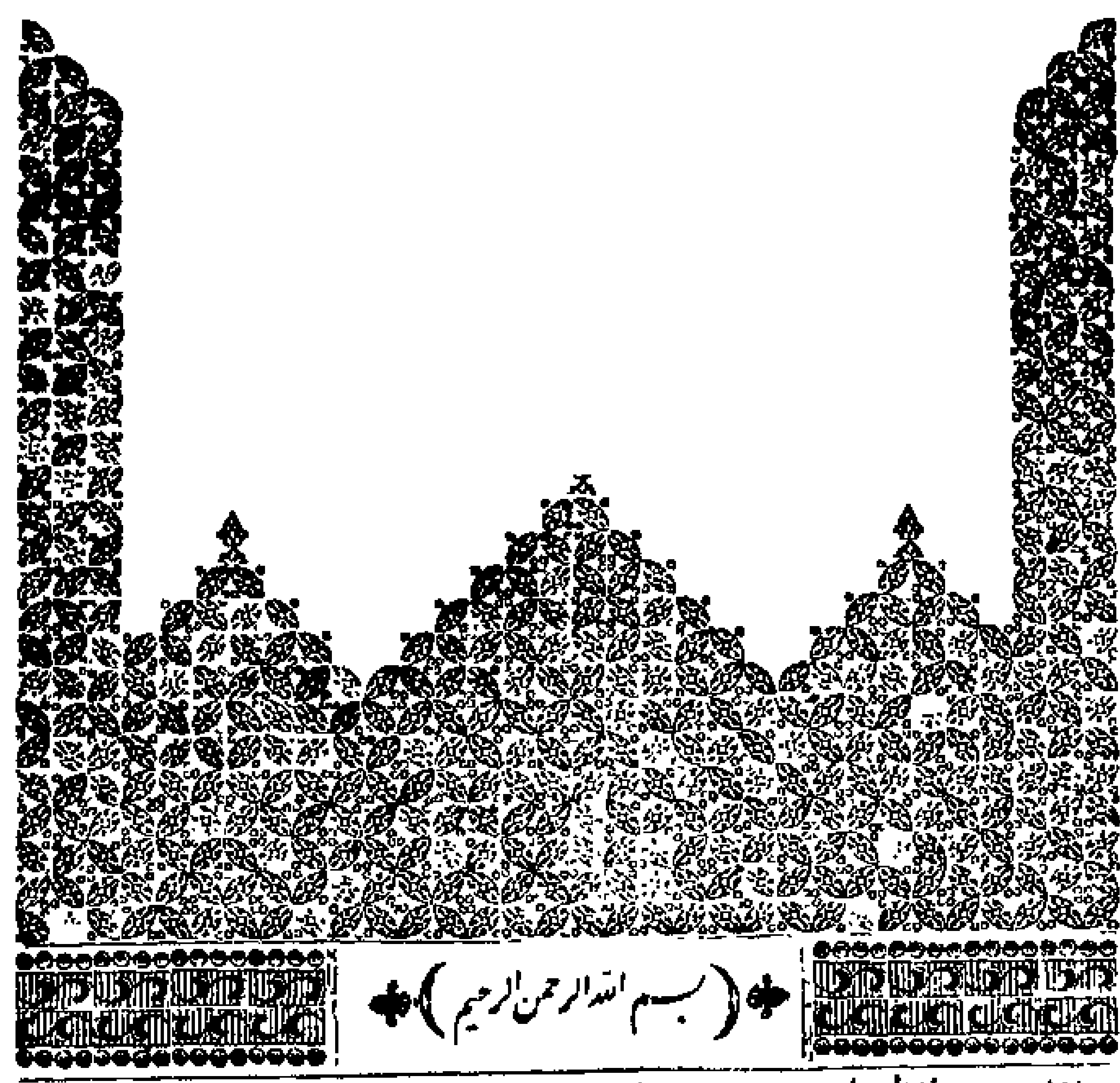
لوحيد عصره العلامة عبد الرحمن بن محمد بن خلدون الحضرمي المغربي
المتوفى سنة ٨٠٨ هجرية

الجزء الخامس

مؤسسة جمال للطباعة والنشر

وطى المصيطبة - شارع حبيب ابي شهلا - بناية المكن

بيروت - لبنان



الخبر عن دولة السلجوقية من الترك المستولين على ممالك الاسلام ودولهم بالمشرق كلها الى حدود مصر مستبدين على الخليفة ببغداد من خلافة القائم الى هذا الزمان وما كان لهم من الملك والسلطان في أقطار العالم وكيف فعلوا بالعلماء وحجروهم وما تفرع عن دولتهم من الدول

قد تقدم لنا ذكر أنساب الامم والكلام في أنساب الترك وأنهم من ولد كومر بن يافث أحد السبعة المذكورين من بني يافث في التوراة وهم ماواق وماذاى وماغوغ وقطوبال وماشخ وطيراش وعدّ ابن اسحق منهم ستة ولم يذكر ماذاى وفي التوراة أيضا انّ ولد كومر ثلاثة توغرما واشكان وربعات ووقع في الاسرائيليات أنّ الافرنج من ربعات والصقالبة من اشكان والخزر من توغرما والصحيح عند نسابة الاسرائيليين انّ الخزر هم التركمان وشعوب الترك كلهم من ولد كومر ولم يذكر من أيّ ولده الثلاثة والظاهر أنهم من توغرما وزعم بعض النسابة أنهم من طيراش بن يافث ونسبهم ابن سعيد الى ترك بن عامور بن سويل والظاهر أنه غلط وأنّ عامور تصحيف كامر

واماسو بل فلم يذكر احد انه من بنى يافث وقد مر ذكر ذلك كله (والترك اجناس) كثيرة وشعوب فمنهم الروس والاعلان ويقال ابلان والخفشاخ وهم القفجق والهياطلة والخلج والغز الذين منهم السلجوقية والخطا وكانوا بأرض طمعاج وعلث والقوروتركس واذكس والططر ويقال الطغرغرو انكر وهم مجاورون للروم واعلم ان هؤلاء الترك أعظم أمم العالم وليس فى أجناس البشر أكثر منهم ومن العرب فى جنوب المعمور وهؤلاء فى شماله قد ملكوا عامة الاقاليم الثلاثة من الخامس والسادس والسابع فى نصف طوله مما يلى المشرق فأول مواطنهم من المشرق على البحر بلاد الصين ومافوقها جنوبا الى الهند وما تحتها شمالا الى سد يأجوج ومأجوج وقد قيل انهم من شعوب الترك وآخر مواطنهم من جهة الغرب بلاد الصقالبة المجاورين للافرنج مما يلى رومة الى خليج القسطنطينية وأول مواطنهم من جهة الجنوب بلاد القور المجاورة للنهر ثم خراسان واذربيجان وخليج القسطنطينية وآخرها من الشمال بلاد مرغانة والشاش وماوراءها من البلاد الشمالية المجهولة لبعدها ومابين هذه الحدود من بلاد غزنة ونهر جيحون ومايحفافيه من البلاد وخوارزم ومفاوز الصين وبلاد القفجق والروس حفافى خليج القسطنطينية من جهة الشمال الغربى قد اعمر لهذه البسائط منهم أمم لا يحصيهم الا خالقهم رحالة متنقلون فيها مستضعين مساقط الغيث فى نواحيه يسكنون الخيام المتخذة من اللبود لشدة البرد فى بلادهم فقروا علها * ومر بديار بكر وخرج اليه صاحبها نصر بن مروان وحمل مائة الف دينار لنفقته فلما سمع أنه قبضها من الرعايا ردها عليه ثم مر بناهرو وأمنها واطاف على السور وجعل يمسحه بيده ويمرّ بها على خدوده تبركا بثغر المسلمين ثم مر بالرها وحاصرها فامتنعت عليه ثم سار الى حلب فبعث اليه صاحبها محمود يعول القائد الذى عنده يخبر بطاعته وخطبته ويستعفيه من الخروج اليه متكرا منه الاذى ويجى على خير العمل فقال لابد من خروجه واشتد الحصار فخرج محمود ليلا مع أمه بنت وثاب النميرى متطارحا على السلطان فأكرم مقدمها وخلع عليه واعاده الى بلده

* (غزاة السلطان ألب ارسلان الى خلاط واسر ملك الروم) *

كان ملك الروم بالقسطنطينية لهذا العهد اسمه ارمانوس وكان كثيرا ما يخيف ثغور المسلمين وتوجه فى سنة ثنتين وستين فى عساكر كثيرة الى الشأم ونزل على مدينة منبج واستباحها وجمع له محمود بن صالح بن مرداس الكلابى وابن حسان الطائى قومهما ومن اليهم من العرب فهزمهم الروم ثم رجع ارمانوس الى القسطنطينية واحتشد الروم والفرنج والروس والكرخ ومن يليهم من العرب والطوائف وخرج الى بلاد كردمن

أعمال خلاط وكان السلطان ألبارسلان بمدينة خوف من اذربيجان منقلباً من حلب فبعث بأهله وأثقاله الى همدان مع وزيره نظام الملك وسار هو فى خمسة عشر ألف مقاتل وتوجه نحوهم متهيأ ولقيت مقدمته الروس فهزموهم وجاؤا بملكهم أسيرا الى السلطان فجدعه وبعث اسلابهم الى نظام الملك ثم توجه الى سمرقند ففارقها التكين وأرسل فى الصلح ويعتذر عن توحش فصالحه ملك شاه وأقطع بلخ وطخارستان لاخيه شهاب الدين مكين الى خراسان ثم الى الرى

(فتنة قاروت بك صاحب كرمان ومقتله)

كان بكرمان قاروت بك اخو السلطان البارسلان أميرا عليها فلما بلغه وفاة أخيه سار الى الرى لطلب الملك فسبقه اليها السلطان ملك شاه ونظام الملك ومعهما مسلم بن قريش ومنصور بن دبيس وأمراء الاكراد والتقوا على نهرمان فانهزم قاروت بك وجىء به الى أمام سعد الدولة كوهراس فقتله خنقا وأمر كرمان بسير بنيه وبعث اليهم بالخلع وأقطع العرب والاكراد مجازاة لما ابلوا فى الحرب وقد كان السلطان البارسلان شافعا فيه على الخليفة فقيهم خبر وفاة البارسلان فى طريقهم فتروا الى ملك شاه وسبق اليه مسلم بطاعته واما بهاء الدولة منصور بن دبيس فان أباه أرسله بالمال الى ملك شاه فلقيه سائر العرب فشهدها معه ثم توفى اياز أخو السلطان ملك شاه ببلخ سنة خمس وستين فكفلها ابنه ملك شاه الى سنة سبع وستين وتوفى القائم منتصف شعبان منها لخمس وأربعين سنة من خلافته ولم يكن له يومئذ ولد وانما كان له حافد وهو المقتدى عبد الله ابن محمد وكان أبوه محمد بن القائم ولى عهده وكان يلقب ذخيرة الدين ويكنى ابا العباس وتوفى سنة   وعهد القائم لحافده فلما توفى اجتمع اهل الدولة وحضر مؤيد الملك بن نظام الملك والوزير فخر الدولة بن جهير وابنه عميد الدولة والشيخ ابو اسحق الشيرازى ونقيب النقباء طراد وقاضى القضاة الدامغانى فبايعوه بالخلافة لعهد جده اليه بذلك وأقر فخر الدولة بن جهير على الوزارة وبعث ابنه عميد الدولة الى السلطان ملك شاه لاخذ بيعته والله الموفق للصواب

استيلاء السلجوقية على دمشق وحصارهم مصر ثم استيلاء تتش ابن السلطان ألبارسلان على دمشق

قد تقدم لنا ملك انسز الرملة وبيت المقدس وحصاره دمشق سنة احدى وستين ثم عاد عنها وجعل يتعاهد نواحيها بالعيث والافساد كل سنة ثم سار اليها فى رمضان سنة سبع وستين وحاصرها ثم عاد عنها وهرب منها أميرها من قبل المستنصر العلوى صاحب

مصر المعلى بن حيدرة لانه كثر عسفه بالجند والرعية وظلمه فثار واية فهرب الى بانياس

ثم الى صور ثم الى مصر فحبس ومات بها محبوسا واجتمعت المصامدة بدمشق وولى عليهم

انتصار بن يحيى المصمودى ويلقب نصير الدولة وغلت الاقوات عندهم واضطربوا فعاد

اليها انسز فى شعبان سنة ثمان وستين فاستأمنوا اليه وعوض انتصارا منها بقلعة بانياس

ومدينة يافا من الساحل ودخلها فى ذى القعدة وخطب بها للمقتدى ومنع من النداء

بحى على خير العمل وتغلب على كثير من مدن الشأم ثم سار سنة تسع وستين الى

مصر وحاصرها وضيق عليها واستنجد المستنصر بالبوادى من نواحيها فوعدوه بالنصر

وخرج بدر الجمالى فى العساكر التى كانت بالقاهرة وجاء أهل البلاد لميعادهم فانهزم

انسز وعساكره ونجا الى بيت المقدس فوجدهم قد   بمخلفه

فتحصنوا منه بالمعاقل فافتتحها عليهم عنوة واستباحها حتى قتلهم فى المسجد وقد تقدم

ضبط هذا الاسم وأنه عند أهل الشأم انسيس والصحيح انسز وهو اسم تركى ثم ان

السلطان ملك شاه اقطع اخاه تتش بن ألبارسلان بلاد الشأم وما يفتحه من تلك النواحى

سنة سبعين وأربعمائة فقصد حلب أولا وحاصرها ومعه جموع من التركمان وكان بدر

الجمالى المستولى على مصر قد بعث العساكر لحصار دمشق وبها انسز فبعث الى تتش

وهو على حلب يستنجده فسار اليه وأخرت عساكر مصر عنه منهزمين ولما وصل الى

دمشق قعد انسز على لقائه وانتظر قدومه فلقيه عند السور وعاتبه على ذلك فتساهل

فى العذر فقتله لوقته وملك البلد واستولى على الشأم أجمع كما يأتى وكان يلقب تاج

الدولة ثم سار فى سنة ثنتين وسبعين الى حلب فحاصرها أياما وأفرج عنها وملك مراغة

والبيرة وعاد الى دمشق وخالفه مسلم بن قريش الى حلب فملكها كما تقدم فى أخباره

وضمنها للسلطان ملك شاه فولاه اياها وسار مسلم بن قريش فحاصرها آخر سنة أربع

وسبعين ثم أفرج عنها فخرج تتش وقصد طرسوس من الساحل فافتتحها ورجع ثم

حاصرها مسلم ثانية سنة تسع وسبعين وبلغه أن تاج الدولة تتش سار الى بلاد الروم غازيا

فخالفه الى دمشق وحاصرها معه العرب والاكراد وبعث اليه العلوى صاحب مصر

بعدما بالمدد وبلغ الخبر الى تتش فكر راجعا وسبقه الى دمشق فحاصرها أياما ثم خرج

اليه تتش فى جموعه فهزمه واضطرب أمره ووصله الخبر بانتقاض أهل حران فرحل

من مرج الصفر راجعا الى بلاده ثم سار أمير الجيوش من مصر فى العساكر الى

دمشق سنة ثمان وسبعين وحاصرها فامتنعت عليه ورجع فلحقوا بأخيه تكش فى

فقوى به وأظهر العصيان واستولى على مرو الروذ ومرو

الشاهجان وغيرهما وسار الى نيسابور طامعا فى ملك خراسان وبلغ الخبر الى السلطان

ـــقه الى نيسابور فرجع تتش وتحصن بترمذ وحاصره السلطان حتى سأل الصلح وأطلق من كان فى أسره من عسكر السلطان ونزل عن ترمذ وخرج اليه فأكرمه ثم عاود العصيان سنة سبع وسبعين وملك مرو الروذ ووصل قريبا من سرخس وحاصر قلعة هنالك لمسعود ابن الامير فاخر وتحيل أبو الفتوح الطوسى صاحب نظام وهو بنيسابور على ملطفة وضعوها على شبه خط نظام الملك يخاطب فيها صاحب القلعة بأنه واصل فى ركاب السلطان ملك شاه وأنه مصالح للقلعة وتعرض حاملها لاهل المعسكر حتى أخذوا كأبد بعد الضرب والعرض على القتل وحدثهم بمثل ما فى الصحيفة وان السلطان وعساكره فى الرى فأجفلوا لوقتهم الى قلعة ربح وخرج أهل الحصن فأخذوا ما فى العسكر وجاء السلطان بعد ثلاثة أشهر فحاصره فى قلعته حتى افتتحها وحده ودفعه الى ابنه أحمد فتسلمه وحبسه تقربا من عينه معه

(سفارة الشيخ أبى اسحق الشيرازى عن الخليفة)

كان الخليفة المقتدى وكان عميد العراق أبو الفتح بن أبى الليث يسىء معاملة الخليفة فبعث المقتدى الشيخ أبا اسحق الشيرازى الى السلطان ملك شاه ووزيره نظام الملك باصفهان شاكيا من العميد فسار الشيخ لذلك ومعه الامام أبو بكر الشاشى وغيره من الاعيان ورأى الناس عجبا فى البلاد التى يمر بها من اقبال الخلق عليه وازدحامهم على محفته يتمسحون بها ويلثمون أذيالها وينثرون موجودهم عليها من الدراهم والدنانير لاهلها والمصنوعات لاهل الصنائع والبضائع للتجار والشيخ فى ذلك يبكى ويتعجب ولما حضر عند السلطان أظهر الحرمة وأجابه الى جميع ما طلبه ورفعت يد العميد عن كل ما يتعلق بالخليفة وحضر الشيخ مجلس نظام الملك فجرت بينه وبين امام الحرمين مناظرة خبرها معروف

(اتصال بنى جهير بالسلطان ملك شاه ومسير فخر الدولة لفتح ديار بكر)

كان فخر الدولة أبو نصر بن جهير وزير المقتدى قد عزل سنة احدى وسبعين على يد نظام الملك ولحق به ابنه عميد الدولة واسترضاه فرضى نظام الملك وشفع الى الخليفة فأعاد عميد الدولة دون أبيه كما تقدم فى أخبار الخلفاء ثم أرسل المقتدى سنة أربع وسبعين فخر الدولة الى ملك شاه يخطب لها ابنته فسار الى اصبهان وعقد له نكاحها على خمسين ألف دينار معجلة وعاد الى بغداد ثم عزل المقتدى ابنه عميد الدولة عن الوزارة سنة ست وسبعين وكانوا قد علقوا بخطة من نظام الملك فبعث عن نفسه وعن ملك شاه يطلب حضور بنى جهير عندهم فساروا بأهليهم فعظمت حظوظهم عند السلطان وعقد لفخر الدولة

على ديار بكر وبعث معه العساكر لفتحها من بني مروان وأذن له في اتخاذ الآلة وان يخطب لنفسه ويكتب اسمه على السكة فسار في العساكر السلطانية

(استيلاء ابن جهير على الموصل)

ولما سار فخر الدولة ابن جهير لفتح ديار بكر استنجد ابن مروان مسلم بن قريش وشرط له أمرا وتحالفا على ذلك واجتمعا لحرب ابن جهير وبعث السلطان الامير ارتق بن أكسك في العساكر مددا لابن جهير فجنح ابن جهير الى الصلح وبادر ارتق الى القتال فهزم العرب والاكراد وغنم معسكرهم ونجا مسلم بن قريش الى آمد وأحاطت به العساكر فلما اشتد مخنقه راسل الامير ارتق في الخروج على مال بذله له فقبله وكانت له حراسة الطريق فخرج الى الرقة وسار ابن جهير الى ميافارقين وفارقه منصور بن مزيد وابنه صدقة فعادا منها الى خلاط ولما بلغ السلطان انحصار مسلم في آمد بعث عميد الدولة في جيش كثيف الى الموصل ومعه آقسنقر قسيم الدولة الذى أقطعه بعد ذلك حلب وساروا الى الموصل فلقيهم أرتق ورجع معهم ولما نزلوا على الموصل بعث عميد الدولة الى أهلها بالترغيب والترهيب فأذعنوا واستولى عليها وجاء السلطان في عساكره الى بلاد مسلم بن قريش وقد خلص من الحصار وهو مقيم قبالة الرحبة فبعث اليه مؤيد الكتاب ولاطف السلطان واسترضاه ووفد اليه بالقوارح ورده السلطان الى اعماله وعاد لحرب أخيه تتش الذى ذكرناه آنفا

فتح سليمان بن قطلمش انطاكية والخبر عن مقتله ومقتل مسلم ابن قريش واستيلاء تتش على حلب

كان سليمان بن قطلمش بن اسرائيل بن سلجوق قد ملك قونية واقصرا وأعمالها من بلاد الروم الى الشأم وكانت انطاكية بيد الروم من سنة ثمان وخمسين وثلثمائة وكان ملكها لعهده الفردروس فأساء السيرة الى جنده ورعاياه وتنكر لابنه وحبسه فداخل الشحنة في تمكين سليمان من البلد فاستدعوه سنة سبع وسبعين فركب اليها البحر وخرج الى البر في أقرب السواحل اليها في ثلثمائة ألف فارس ورجل كثير وسار في جبال وأوعار فلما انتهى الى السور وأمكنه الشحنة من تسنم السور دخل البلد وقاتل أهلها فهزمهم وقتل كثيرا منهم ثم عفا عنهم وملك القلعة وغنم من أموالهم ما لا يحصى وأحسن الى أهلها وأمرهم بعمارة ما خرب وأرسل الى السلطان ملك شاه بالفتح ثم بعث اليه مسلم بن قريش يطلب منه ما كان يحمل اليه الفردروس ملك انطاكية من المال ويخوفه معصية السلطان فأجابه بتقرير الطاعة للسلطان

وبان الجزية لا يعطيها مسلم فسار مسلم ونهب نواحي انطاكية فنهب سليمان نواحي حلب ثم جمع سليمان العرب والتركمان وسار لنواحي انطاكية ومعه جماعة التركمان وجمع سليمان كذلك والتقيا آخر صفر سنة ثمان وسبعين وانحاز جق الى سليمان فانهزمت العرب وقتل مسلم وسار سليمان بن قطلمش الى حلب وحاصرها فامتنعت عليه وارسل اليه ابن الحتيتي العباسي كبير حلب بالاموال وطالبه أن يمهل حتى يكاتب السلطان ملك شاه ودس الى تاج الدولة تتش صاحب دمشق يستدعيه لملكها فجاء لذلك ومعه ارسوس اكسك وكان خائفا على نفسه من السلطان ملك شاه لفعلته في امر فاستجار بتتش وأقطعه المورس وسار معه لهذه الحرب وبادر سليمان بن قطلمش الى اعتراضهم زهم على تعبية وابلى أرتق في هذه الحروب وانهزم سليمان وطعن نفسه بخنجر فمات وغنم تتش معسكره وبعث الى ابن الحتيتي العباسي فيما استدعاه اليه فاستمهله الى مشورة السلطان ملك شاه واغلظ في القول فغضب تتش وداخله بعض اهل البلد فتسوّرها وملكها واستجار ابن الحتيتي بالامير ارتق فأجاره وسمع له

(استيلاء ابن جهير على ديار بكر)

ثم بعث ابن جهير سنة ثمان وسبعين ابنه زعيم الرؤساء ابا القاسم الى حصار آمد ومعه جناح الدولة اسلار فحاصرها واقتلع شجرها وضيق عليها حتى جهدهم الجوع وغدر بعض العامة في ناحية من سورها ونادى بشعار السلطان واجتمع اليه العامة لما كانوا يلقون من عسف العمال النصارى فبادر زعيم الرؤساء الى البلد وملكها وذلك في المحرم وكان ابو نصر الدولة محاصر ميافارقين ووصل اليه سعد الدولة كوهراس شحنة بغداد بعدد العساكر فاشتد الحصار وسقطت من السور ثلمة في سادس جمادى فنادوا بشعار السلطان ومنعوا ابن جهير من البلد واستولى على أموال بني مروان وبعثها مع ابنه زعيم الرؤساء الى السلطان فسار مع كوهراس الى بغداد ثم فارقه الى السلطان باصبهان ولما انقضى أمر ميافارقين بعث فخر الدولة جيشا الى جزيرة ابن عمر فحاصرها وقام بعض أهلها بدعوة السلطان وفتحوا ما يليهم بابا قريبا دخل منه العسكر فملكوا البلد وانقرضت دولة بني مروان من ديار بكر والبقاء لله ثم أخذ السلطان ديار بكر من فخر الدولة بن جهير وسار الى الموصل فأقام بها الى أن توفي سنة ثلاث وثمانين

(استيلاء السلطان ملك شاه على حلب وولاية اقسنقر عليها)

لما ملك تاج الدولة تتش مدينة حلب وكان بها سالم بن مالك بن مرن ابن عم مسلم بن قريش وامتنع بالقلعة وحاصره تتش سبعة عشر يوما حتى وصل الخبر بتقدم أخيه

السلطان ملك شاه وقد كان ابن الحثيثي كتب اليه يستدعيه لما خاف من تتش فسار من اصبهان منتصف تسع وسبعين وفي مقدمته برسق وبدران وغيرهما من الامراء ومرّ بالموصل في رجب ثم سار الى هراة وبها ابن الشاطي فملكها وأقطعها لمحمد بن شرف الدولة مسلم بن قريش وأقطعه معها مدينة الرحبة وأعمالها حران وسروج والرقة وما يجاورها وزوجه أخته زليخا خاتون ثم سار الى الرها وافتتحها من الروم وكانوا اشتروها من ابن عطية كما مرّ وسار الى قلعة جعفر فملكها وقتل من كان بها من بني قشير وكان صاحبها جعفر أعمى وكان يخيف السابلة هو وولده فأزال ضررهم ثم ملك منبج وعبر الفرات الى حلب فأجفل تتش عن المدينة ودخل ومعه الامير ارتق ورجع الى دمشق فلما وصل السلطان الى حلب ملكها ثم الى القلعة فملكها من سالم بن ملك على أن يعوضه قلعة جعفر فلم تزل بيد عقبه الى أن ملكها منهم نور الدين الشهيد ثم بعث اليه نصر بن علي بن منقذ الكناني بالطاعة فأقره على شيزر وتسلم منه اللاذقية وكفرطاب وفامية ورجع ثم رجع السلطان بعد أن ولى على حلب قسيم الدولة اقسنقر ورغب اليه أهل حلب أن يعفيهم من ابن الحثيثي فأخرجه عنهم الى ديار بكر وتوفي بها ثم رجع السلطان الى بغداد فدخلها في ذي الحجة من سنته ونزل بدار المملكة وأهدى الخليفة هدايا كثيرة واجتمع بالخليفة ليلا ثم دخل اليه في مجلسه نهارا وأفيضت عليه الخلع وسلم أمراء السلجوقية على الخليفة ونظام الملك قائم يقربهم واحدا واحدا ويعرف بهم ثم صرح المقتدي للسلطان ملك شاه بالتفويض وأوصاه بالعدل فقبل يده ووضعها على عينه وخلع الخليفة على نظام الملك وجاء الى مدرسته التي فيها الحديث وأملى

(خبر الزفاف)

قد قدمنا أن السلطان ملك شاه زوج ابنته من الخليفة المقتدي سنة أربع وسبعين بخطبة الوزير ابن جهير فلما كانت سنة ثمانين في محرم نقل جهازها للزفاف الى دار الخلافة على مائة وثلاثين جملا مجللة بالديباج الرومي أكثرها ذهب وفضة ومعه ثلاث عماريات ومعها أربع وسبعون بغلا مجللة بأنواع الديباج الملكي وقلائدها الذهب وعلى ستة منها اثنا عشر صندوقا من فضة مملوأة بالحلي والجواهر ومهد عظيم من ذهب وسار بين يدي الجهاز سعد الدولة كوهراس والامير ارتق وغيرهما من الامراء والناس ينثرون عليهم الدنانير والثياب وبعث الخليفة وزيره أبا شجاع الى زوجة السلطان تركان خاتون ومعه خادمه ظفر بمحفة لم ير مثلها ومعهم ثلثمائة من الشمع الموكب ومثلها مشاعل وأوقدت الشموع في دكاكين الحريم الخلافي وقال الوزير لخاتون سيدنا أمير المؤمنين يقول ان الله يأمركم أن تؤدوا الامانات الى أهلها وقد أذن في نقل

الوديعة الى داره فقالت سمعا وطاعة ومشى بين يديها أعيان الدولة مع كل واحد شمع والمشاعل يحملها الفرسان ثم جاءت المأمون من بعدهم في محفة مجللة عليها من الذهب والجواهر مالا يحد ويحيط بالمحفة مائتا جارية من الاتراك على مراكب رائعة وأولم الخليفة وليمة لم يسمع بمثلها ثم أطلع للناس من الغد سماط مائدة عليها أربعون ألفا من السكر وخلع على أعيان العسكر وعلى جميع الحواشي

(استيلاء السلطان ملكشاه على ماوراء النهر)

كان صاحب سمرقند لهذا العهد من الخانية أحمد خان بن خضر خان أخي شمس الملك الذي كان أميرا عليها وعمته خاتون زوجة ملكشاه وكان ردىء السيرة فبعثوا الى السلطان يسألونه الرجوع الى ابائته وجاء بذلك مفتي سمرقند أبو طاهر الشافعي قدم حاجا وأسر ذلك الى السلطان فسار من اصبهان سنة ثنتين وثمانين ومعه رسول الروم بالخراج المقدر عليهم فاستحبه وأحضره للفتح ولما انتهى الى خراسان جمع العساكر وعبر النهر بجيوش لاتحصى وأخذ مافي طريقه من البلاد ثم انتهى الى بخارى فملكها وماجاورها ثم سار الى سمرقند فحاصرها وأخذ بمحبتها ثم رماها بالمجانيق وثلم سورها ودخل من الثلمة وملك البلد واختفى أحمد خان ثم جيء به أسيرا فأطلقه وبعث به الى اصبهان وولى على سمرقند أبا طاهر عميد خوارزم وسار الى كاشغر فبلغ الى نوروكن وبعث الى كاشغر بالخطبة وضرب السكة فأطاع وحضر عند السلطان فأكرمه وخلع عليه وأعاده الى بلده ورجع السلطان الى خراسان وكان بسمرقند عساكر يعرفون بالحكلية فأرادوا الوثوب بالعميد نائب السلطان فلاطفهم ولحق ببلده خوارزم

(عصيان سمرقند وفتحها ثانيا)* كان مقدم الحكلية بسمرقند اسمه عين الدولة وخاف السلطان لهذه الحادثة فكاتب يعقوب تكين أخا ملك كاشغر وكانت مملكته تعرف باتباشي فاستحضره وملكه ثم شكر له يعقوب وحمل أعداءه من الرعية على طلب الثأر منه وقتله بفتاوى الفقهاء واستبد بسمرقند وسار السلطان ملكشاه اليها سنة ثنتين وثمانين فلما انتهى الى بخارى هرب يعقوب الى فرغانة ولحق بولايته وجاء بعسكره مستأمنين الى السلطان فلقوه بالطواويس من قرى بخارى ووصل السلطان الى سمرقند وولى عليها الامير انز وأرسل العساكر في طلب يعقوب وأرسل الى ملك كاشغر بالجد في طلبه وشغب على يعقوب عساكره ونهبوا خزائنه ودخل على أخيه كاشغر مستجيرا به وبعث السلطان في طلبه منه فتردد بين المخافة والانفة ثم غلب عليه الخوف فقبض على أخيه يعقوب وبعثه مع ابنه وأصحابه الى السلطان وأمرهم أن يسملوه في طريقه فان قنع السلطان بذلك والا أسلموه اليه فلما قربوا على السلطان وعزموا على سمله

بلغهم الخبر بأن طغرل بن ينال أسرى من غانين فرسخا بعسكر لا تحصى فكبس ملك كاشغر وأسره فأطلقوا يعقوب ثم خشي السلطان شأن طغرل بن ينال وكثرة عساكره فرجع على البلدودس تاج الملك في استصلاح يعقوب فشفع له ورده الى كاشغر ورد الطغرل ورجع هو الى خراسان ثم قدم الى بغداد سنة أربع وثمانين العزمة الثانية ووجد عليه أخوه تاج الدولة تتش صاحب الشأم وقسيم الدولة اقسنقر صاحب حلب وبوران صاحب الرها وعمال الاطراف وأقام صنيع الميلاد ببغداد وأنفق عالم يعهد مثله وأمر وزيره نظام الملك وأمراءه ببناء الدور ببغداد لنزلهم ورجع الى اصبهان

(استيلاء تتش على حمص وغيرها من سواحل الشأم)

لما قدم السلطان سنة أربع وثمانين وفد عليه أمراء الشأم كما قدمنا فلما انصرفوا من عنده أمر أخاه تاج الدولة تتش أن يذهب دولة العلويين من ساحل الشأم ويفتح بلادهم وأمر اقسنقر وبوران أن يسير الانجاده فلما رجعوا الى دمشق سار الى حمص وبها صاحبها ابن ملاعب وقد عظم ضرره وضرر ولده على الناس فحاصرها وملكها ثم سار الى قلعة عرقة فملكها عنوة ثم الى قلعة أماسية فما تأمن اليه خادم كان بها فأرسل الى أمراء تتش في اصلاح حاله فسدوا عليه المذاهب فأرسل الى وزير اقسنقر يسعى له عند صاحبه وعمل له على ثلاثين ألف دينار ومثلها عروضا فجنح الى مصالحته واختلف مع تتش على ذلك وأغلظ كل منهما لصاحبه في القول فرحل اقسنقر مغاضبا واضطر الباقون الى الرحيل وانتقض أمرهم

(ملك اليمن)

كان فيمن حضر عند السلطان ببغداد كما قدمناه عثمان جق أمير التركمان صاحب قرميسين وغيرها فأمره السلطان أن يسير في جموع التركمان للحجاز واليمن فيظهر أمرهم هنالك وفوض الى سعد الدولة كوهراسين شحنة بغداد فولى عليهم أميرا اسمه ترشك وسار الى الحجاز فاستولى عليه وأساء السيرة فيه حتى جاء أمير الحجاز محمد بن هاشم مستغيثا منهم ثم ساروا سنة خمس وثمانين الى اليمن وعاثوا في نواحيه وملكوا عدن وأساؤا السيرة في أهلها وأهلك وابرشك سابع دخولها وأعاده أصحابه الى بغداد فدفنوه بها

(مقتل الوزير نظام الملك)

ثم ارتحل السلطان ملك شاه الى بغداد سنة خمس وثمانين فانتهى الى اصبهان في رمضان وخرج نظام الملك من بيته بعد الافطار عائدا الى خيمته فاعترضه بعض الباطنية

في صورة متظلم فلما استدناه لسماع شكواه طعنه بخنجر فأشواه وعثر الباطني في أطناب
الخيام ودخل نظام الملك الخيمة فمات لثلاثين سنة من وزارته واهتاج عسكره فركب
اليه السلطان وسكن الناس ويقال ان السلطان ملكشاه وضع الباطني على قتله لما وقع
منه ومن بنيه من الدالة والتحكم في الدولة وقد كان السلطان دس على ابنه جمال الدين
من قتله سنة خمس وسبعين كان بعض حواشي السلطان سعى به فسطا به جمال الدين
وقتله فأحقد السلطان بذلك وأخذ عميد خراسان فقتله خنقا فدس لخادم من خدم
جمال الدين بذلك وأنهم اذا تولوا قتله بأنفسهم كان أحفظ لنعمتهم فسقاه الخادم سما
ومات وجاء السلطان الى نظام الملك وأعزاه به وما زال بطانة السلطان يغضون منه
ويحاولون السعاية فيه الى أن ولي حافده عثمان بن جمال الملك على مرو وبعث
السلطان اليها كردن من أكابر المماليك والامراء شحنة ووقعت بينه وبين عثمان
منازعة في بعض الايام فأهانه وحبسه ثم أطلقه وجاء الى السلطان شاكيا فاستشاط غضبا
وبعث فخر الملك البارسلان الى نظام الملك وأغراه به وما زال يقول ان كنت تابعا فقف
عند حدك وان كنت شريكي في سلطاني فافعل ما بدا لك وقرر عليه فعل حافده وسائر
بنيه في ولايتهم وأرسل معه نكبرذ من خواصه ثقة على ما يؤديه من القول ويجيبه
الآخر فانبسط لسان نظام الملك بعدد الوسائل منه والمدافعة عن السلطان وجمع
الكلمة وفتح الامصار في كلام طويل حملته عليه الدالة وقال في آخره ان شاء فله مؤيد
مروآتي ومتى أطبقت هذه زالت تلك فليأخذ حذره ثم زاد في انبساطه وقال قولوا عني
ما أردتم فان توبيخكم تأتي عضدي ومضى نكبرذ فصدق السلطان الخبر وجاء
الآخرون وحاولوا الكتمان فلم يسعهم لما وشى نكبرذ بجلية القول فصدقوه كما صدقه
ومات نظام الملك بعدها بقليل ومات السلطان بعده بنحو شهر وكان أصل نظام الملك من
طوس من أبناء الدهاقين اسمه أبو علي الحسن بن علي بن اسحق ذهبت نعمة آبائه وماتوا
فنشأ يتيما ثم تعلم وحذق في العلوم والصنائع وعلق بالخدم السلطانية في بلاد خراسان
وغزنة وبلخ ثم لازم خدمة أبي علي بن شاذان وزير البارسلان ومات ابن شاذان فأوصى
به السلطان البارسلان وعرفه كفايته فاستخدمه فقام بالامور أحسن قيام فاستوزره
ثم هلك السلطان البارسلان وهو في وزارته ثم استوزره ملكشاه بعد أبيه وكان عالما
جوادا صفوحا مكرما للعلماء وأهل الدين ملازما لهم في مجالسه شيد المدارس وأجرى
فيها الجرايات الكثيرة وكان على الحديث وكان ملازما للصلوات محافظا على أوقاتها
وأسقط في أيامه كثيرا من المكوس والضرائب وأزال لعن الاشعرية من المنابر بعد
أن فعله الكندري من قبله وحمل عليه السلطان طغرلبك وأجراهم مجرى الرافضة

وفارق امام الحرمين وأبو القاسم القشيرى البلاد من أجل ذلك فلما ولى البارسلان حمله نظام الملك على ازالة ذلك ورجع العلماء الى أوطانهم ومناقبه كثيرة وحسبك من عكوف العلماء على مجلسه وتدوينهم الدواوين باسمه فعل ذلك امام الحرمين وأشباهه وأما مدارسه فقد بنى النظامية ببغداد وناهيك بها ورتب الشيخ أبا اسحق الشيرازى للتدريس بها وتوفى سنة ست وسبعين فرتب ابنه مؤيد الملك مكانه أبا سعيد المتولى فلم يرضه نظام الملك وولى فيها الامام أبا نصر الصباغ صاحب الشامل ومات أبو نصر فى شعبان من تلك السنة فولى أبو سعيد من سنة ثمان وسبعين ومات فدرس بعده الشريف العلوى أبو القاسم الدبوسى وتوفى سنة ثنتين وثمانين وولى تدريسه بعدها أبو عبد الله الطبرى والقاضى عبد الوهاب الشيرازى بالنوبة يوما يوم ثم ولى تدريسها الامام أبو حامد الغزالى سنة أربع وثمانين واتصل حكمها على ذلك وفى أيامه عكف الناس على العلم واعتنوا به لما كان من حسن أثره فى ذلك والله أعلم

(وفاة السلطان ملك شاه وولاية ابنه محمود)

ثم لما سار السلطان بعد مقتل نظام الملك الى بغداد ودخلها آخر رمضان وكان معه فى الدولة أبو الفضل الهروستانى وزير زوجته الخاتون الجلالية من الملوك الخانية فيما وراء النهر وكان من أشد الناس سعاية فى نظام الملك وعزم السلطان أن يستوزره لاول دخوله بغداد فعاقت المنية عن ذلك وطرقه المرض ثالث الفطر وهلك منتصف شوال سنة خمس وثمانين وكانت زوجته تركان خاتون الجلالية عنده فى بغداد وابنها محمود غائبا فى اصبهان فكتمت موته وسارت بشلوه الى اصبهان وتاج الملك فى خدمتها وقدمت بين يديها قوام الدين كربوقا الذى ولى الموصل من بعد وأرسلته بخاتم السلطان الى مستحفظ القلعة فملكها وجاءت على اثره وقد أفاضت الاموال فى الامراء والعساكر ودعتهم الى بيعة ولدها محمود وهو ابن أربع سنين فاجابوا الى ذلك وبايعوه وارسلت الى المقتدر فى الخطبة له فأجابها على أن يكون الامير أنز قائما بتدبير الملك ومجد الملك مشيرا وله النظر فى الاعمال والجباية فنكرت ذلك أمه خاتون وكان السفير أبا حامد الغزالى فقال لها ان الشرع لا يجيز ولاية ابنك فقبلت الشرط وخطب له آخر شوال سنة خمس وثلاثين وأرسلت تركان خاتون الى اصبهان فى القبض على بركيارق فحبس باصبهان وكان السلطان ملك شاه من أعظم ملوك السلجوقية ملك من الصين الى الشأم ومن أقصى الشأم الى اليمن وحمل اليه ملوك الروم الجزية ومناقبه عظيمة مشهورة

(منازعة بركيارق لاخيه محمود وانتظام سلطانه)

كان بركيارق أكبر أولاد السلطان ملكشاه وكانت أمه زبيدة بنت ياقوتي بن داود وياقوتي عم ملكشاه ولما توفي بركيارق وخافت عليه أمه زبيدة دست لمماليك نظام الملك فتعصبوا له وكانت خاتون غائبة ببغداد مع ابنها محمود لعقد سلطانه فوثب المماليك النظامية على سلاح لنظام الملك باصبهان وأخرجوا بركيارق من محبسه وخطبوا له وبلغ الخبر الى خاتون فسارت من بغداد وطلب العسكر تاج الملك في عطائهم فهرب الى قلعة برجين لينزل منها الاموال وامتنع فيها ونهب العسكر خزائنه وساروا الى اصبهان وقد سار بركيارق والنظامية الى الرى فأطاعه أرغش النظامى في عساكره وفتحوا قلعة طغرل عنوة وبعثت خاتون العساكر لقتال بركيارق فنزع اليه سبكرد وكمشتكين الجاندار وغيرهما من أمراء عساكره ولقيهم بركيارق فهزمهم وسار في اثرهم الى أصفهان فحاصرهم بها وكان عز الملك بن نظام الملك باصبهان وكان واليا على خوارزم فحضر عند السلطان قبل مقتل أبيه وبقى هنالك بعد وفاة السلطان فخرج الى بركيارق ومعه جماعة من اخوانه فاستوزره بركيارق وفوض اليه الامور كما كان أبوه

(مقتل تاج الملك) وهو أبو الغنائم المرزبان بن خسرو وفيروز كان وزيرا لخاتون وابنها ولما هرب الى قلعة برجين خوفا من العسكر كما قدمنا وملكت خاتون اصبهان عاد اليها واعتذر بأن صاحب القلعة حبسه فقبلت عذره وبعثته مع العساكر لقتال بركيارق فلما انهزموا حمل أسيرا عنده وكان يعرف كفاءته فأراد أن يستوزره وكان النظامية ينافرونه ويتهمونه بقتل نظام الملك وبذل فيهم أموالا فلم يغنه ووثبوا به فقتلوه في المحرم سنة ست وثمانين وكان كثير الفضائل جم المناقب وانما غطى على محاسنه ممالأته على قتل نظام الملك وهو الذى بنى تربة الشيخ أبى اسحق الشيرازى والمدرسة بازائها ورتب بها أبا بكر الشاشى مدرسا

(مهلك محمود) ثم هلك السلطان محمود وهو عاشر باصبهان لسنة من ولايته واستقل بركيارق بالملك

(منازعة تتش بن ألب ارسلان وأخباره الى حين انهزامه)

كان تاج الدولة تتش أخو السلطان ملكشاه صاحب الشأم وسار الى لقاء أخيه ملكشاه ببغداد قبيل موته فلقيه خبر موته بهيت فاستولى عليها وعاد الى دمشق فجمع العساكر وبذل الاموال وأخذ في طلب الملك فبدأ بحلب ورأى صاحبها قسيم الدولة اقسنقر اختلاف ولد ملكشاه وصغرهم فأطاع تاج الدولة تتش وتبعه في طاعته وبعث الى باغى سيار صاحب انطاكية والى حران صاحب الرها وحران يشير عليهما بمثل ذلك فأجابا وخطبوا لتاج الدولة تتش في بلادهم وساروا معه الى الرحبة فملكها ثم الى نصيبين

فملكها واستباحها وسلموا لمحمد بن شرف الدولة مسلم بن قريش وساروا الى الموصل وقدم عليه الكافى بن فخر الدولة بن جهير من جزيرة ابن عمر فاستوزره وكانت الموصل قد ملكها على بن شرف الدولة مسلم بن قريش وأمه صفية عمة ملك شاه وأطلقت تركمان خاتون عمه ابراهيم فجاء وملك الموصل من يده كما تقدم فى أخبار بنى المقلد فبعث اليه تتش فى الخطبة وأن يمهد له الطريق الى بغداد فامتنع وزحف لحربه فانهزم العرب وسيق ابراهيم أسيرا الى تتش فى جماعة من أمراء العرب فقتلوا صبرا ونهبت أموالهم واستولى تتش على الموصل وغيرها واستناب عليها على بن مسلم وهو ابن صفية عمة أبيه وبعث الى بغداد فى الخطبة ووافقه كوهراس الشحنة وحور الجواب بانتظار الرسل من العسكر فسار تتش الى ديار بكر فملكها ثم سار الى اذربيجان وزحف بركيارق يعتذر من سعيه مع تتش فعزله بركيارق بسعاية كمشتكين الجاندار وبقسيم الدولة وأقام موضعه شحنة ببغداد الامير مكردو وأعطاه أقطاعه وسار الى بغداد ثم رده من دقوقا الكلام بلغه عنه وقتله وولى على شحنة بغداد فتكين حب

(مقتل اسمعيل بن ياقوتى)

كان اسمعيل بن ياقوتى بن داود بن عم ملك شاه وخال بركيارق أميرا على أذربيجان فبعثت تركمان خاتون اليه فأطمعته فى الملك وأنها تتزوج به فجمع جموعا من التركمان وغيرهم وسار لحرب بركيارق فلقيه عند كرخ ونزع عنه مكرد الى بركيارق فانهزم اسمعيل الى اصبهان فخطبت له خاتون وضربت اسمه على الدنانير بعد ابنها محمود وأرادت العقد معه فمنعها الامير أنر مدبر الدولة وصاحب العسكر وخوفهم وفارقهم ثم أرسل أخته زبيدة أم بركيارق فأصلحت حاله مع ابنها وقدم عليه فأكرمه واجتمع به رجال الدولة كمشتكين الجاندار واقسنقر وبوران وكشفوا سره فى طلب الملك ثم قتلوه وأعلموا بركيارق أنه أهدر دمه

(مهلك توران شاه بن قاروت بك) كان توران شاه بن قاروت بك صاحب فارس وأرسلت خاتون الجلالية الامير أنر لفتح فارس سنة سبع وثمانين فهزمه أولا ثم أساء السيرة مع الجند فلحقوا بتوران شاه وزحف الى أنر فهزمه واسترد البلد من يده وأصاب توران شاه فى المعركة بسهم هلك منه بعد شهرين

(وفاة المقتدى وخلافة المستظهر وخطبته لبركيارق) ثم توفى المقتدى منتصف محرم سنة سبع وثمانين وكان بركيارق قد قدم بغداد بعد هزيمة عمه تتش فخطب له وحملت اليه الخلع فلبسها وعرض التقليد على المقتدى فيه وتوفى فجأة وبويع لابنه المستظهر بالخلافة فأرسل الخلع والتقليد الى بركيارق وأخذت عليه البيعة

(استيلاء تتش على البلاد بعد مقتل أقسنقر ثم هزيمة بركيارق)

لما عاد تتش منهزما من أذربيجان جمع العساكر واحتشد الامم وسار من دمشق الى حلب سنة سبع وثمانين واجتمع قسيم الدولة أقسنقر وبوران وجاءكربوقا مددا من عند بركيارق وساروا الحرب تتش ولقوه على ستة فراسخ من حلب فهزمهم وأخذ أقسنقر أسيرا فقتله ولحق كربوقا وبوران بحلب واتبعهما تتش فحاصرهما وملك حلب وأخذهم أسيرين وبعث الى   والرها في الطاعة فامتنعوا فبعث اليهم برأس بوران وملك البلدين وبعث بكربوقا الى حمص فحبسه بها وسار الى الجزيرة فملكها ثم الى ديار بكر وخلاط فملكها ثم الى أذربيجان ثم سار الى همدان ووجد بها فخر الدولة ابن نظام الملك جاء من خراسان الى بركيارق فلقيه الامير قماج من عسكر محمود باصبهان فنهب ماله ونجا الى همذان فصادف بها تتش فأراد قتله وشفع فيه باغي سيار وأشار بوزارته لميل الناس الى بيته واستوزره وكان بركيارق قد سار الى قسيس فخالفه تتش الى أذربيجان وهمذان فسار بركيارق من نصيبين وعبر دجلة من فوق الموصل الى اربل فلما تقارب العسكران أشرف الامير يعقوب بن أتق من عسكر تتش فكبس بركيارق وهزمه ونهب سواده ولم يبق معه الا برسد وكمشتكين الجاندار والبارق من أكابر الامراء فلجؤا الى أصبهان وكانت خاتون أم محمود قد ماتت فمنعه محمود وأصحابه من الدخول ثم خرج اليه محمود وأدخله الى اصبهان واحتاطوا عليه وأرادوا أن يسملوه فمرض محمود فأبقوه

(مقتل تتش واستقلال بركيارق بالسلطان)

ثم مات محمود منسلخ شوال سنة سبع وثمانين واستولى بركيارق على اصبهان وجاء مؤيد الملك بن نظام الملك فاستوزره عوض أخيه عز الملك وكان قد توفي بنصيبين وكاتب مؤيد الملك الامراء واستمالهم فرجعوا الى بركيارق وكشف جمعه وبعث تاج الملك تتش بعد هزيمة بركيارق يوسف بن انق التركماني شحنة الى بغداد في جمع من التركمان فمنع من دخول بغداد وزحف اليه صدقة بن مزيد صاحب الحلة فقاتله في يعقوب وانهزم صدقة الى الحلة ودخل يوسف بن انق بغداد وأقام بها وكان تتش لما هزم بركيارق سار الى همذان وقد تحصن بها بعض الامراء فاستأمن اليه واستولى على همذان وسار في نواحي اصبهان والى مرو وراسل الامراء باصبهان يستميلهم فأجابوه بالمقاربة والوعد وبركيارق مريض فلما أفاق من مرضه خرج الى جرباذقان واجتمع اليه من

العسكر ثلاثون ألفا ولقيه تتش فهزمه بركيارق وقتله بعض أصحاب اقسنقر شا رصاحبه وكان فخر الملك بن نظام الملك أسيرا عنده فانطلق عند هزيمته واستقامت أمور بركيارق وبلغ الخبر الى يوسف .

(استيلاء كربوقا على الموصل)

قد كنا قدمنا أن تاج الدولة تتش أسر قوام الدولة أبا سعيد كربوقا وحبسه بعد ما قتل اقسنقر بوران فأقام محبوسا بحلب الى أن قتل تتش واستولى رضوان ابنه على حلب فأمره السلطان بركيارق باطلاقه لانه كان من جهة الاميرانز فأطلقه رضوان وأطلق أخاه التوسطاش فاجتمعت عليهما العساكر وكان بالموصل على بن شرف الدولة مسلم منذ ولاه عليها تتش بعد وقعة المضيع وكان بنصيبين أخوه محمد بن مسلم ومعه مروان ابن وهب وأبو الهيجاء الكردي وهو يريد الزحف الى الموصل فكاتب كربوقا واستدعاه للنصرة ولقيه على مرحلتين من نصيبين فقبض عليه كربوقا وسار الى نصيبين وحاصرها أربعين يوما وملكها ثم سار الى الموصل فامتنعت عليه فتحول عنها الى وقتل بها محمد بن شرف الدولة تغريقا وعاد الى حصار الموصل ونزل منها على فرسخ واستنجد على بن مسلم بالامير حكرس صاحب جزيرة ابن عمر فجاء لانجاده واعترضه التوسطاش فهزمه ثم سار الى طاعة كربوقا وأعانه على حصار الموصل ولما اشتد بصاحبه على بن مسلم الحصار بعد تسعة أشهر هرب عنها ولحق بصدقة بن مزيد ودخل كربوقا الى الموصل وعاث التوسطاش فى أهل البلد ومصادرتهم واستطال على كربوقا فأمر بقتله ثالثة دخوله سنة تسع وثمانين وسار كربوقا الى الرحبة فملكها وعاد فأحسن السيرة فى أهل الموصل ورضوا عنه واستقامت اموره

(استيلاء أرسلان أرغون أخى السلطان ملك شاه على خراسان ومقتله)

كان ارسلان أرغون مقيما عند أخيه السلطان ملك شاه ببغداد فلما مات وبويع ابنه محمود سار الى خراسان فى سبعة من مواليه واجتمعت عليه جماعة وقصد نيسابور فامتنعت عليه فعاد الى مرو وكان بها شحنة الامير قودرين من موالى السلطان ملك شاه وكان أحد الساعين فى قتل نظام الملك فمال الى طاعة أرغون وملكه البلد وسار الى بلخ وكان بها فخر الدين بن نظام الملك ففر عنها ووصل الى همدان ووزر لتاج الدولة تتش كما مر وملك ارسلان أرغون بلخ وترمذ ونيسابور وسائر خراسان وأرسل الى السلطان بركيارق ووزيره مؤيد الملك فى تقريره خراسان عليه بالضمان كما كانت لجده داود ماعونيسابور فاعرض عنه بركيارق لاشتغاله بأخيه محمود وعمه تتش ثم عزل بركيارق

مؤيد الملك عن الوزارة بأخيه فخر الملك واستولى فخر الملك البارسلان على الامور فقطع ارسلان مراسلة بركيارق فبعث حينئذ عمه بورسوس فى العساكر لقتاله فانهزم ارسلان الى بلخ وأقام بورسوس بهراة وسار ارسلان الى مرو وفتحها عنوة وخربها واستباحها وسار اليه بورسوس من هراة سنة ثمان وثمانين وكان معه مسعود بن تاخر الذى كان أبوه مقدم عساكر داود ومعه ملك شاه من أعاظم الامراء فبعث اليه ارسلان واستماله فمال اليه ووثب لمسعود بن تاخر وابنه فقتلهما فى خيمته فضعف أمر بورسوس وانفض الناس عنه وجىء به أسيرا الى أخيه ارسلان أرغون فحبسه بترمذ ثم قتله فى محبسه بعد سنة وقتل أكابر خراسان وخرب أسوارها مثل سودان ومرو والشاهجان وقلعة سرخس ونهاوند ونيسابور وصادر وزيره عماد الملك بن نظام الملك على ثلثمائة ألف دينار ثم قتله واستبد بخراسان وكان مرهف الحد كثير العقوبة لمواليه وأنكر على بعضهم يوما بعض فعلاته وهو فى خلوة وضربه فطعنه الغلام بخنجر معه فقتله وذلك فى المحرم من سنة تسعين

(ولاية سنجر على خراسان)

ولما قتل ارسلان أرغون ملك أصحابه من بعده صبيا صغيرا من ولده وكان السلطان بركيارق قد جهز العساكر لخراسان للقتال ومعه الاتابك قماج ووزيره على بن الحسن الطغرائى وانتهى اليه مقتل ارسلان بالدامغان فأقاموا حتى لحقهم السلطان بركيارق وساروا الى نيسابور فملكها فى جمادى سنة تسعين وأربعمائة وملك سائر خراسان وسار الى بلخ وكان أصحاب ارسلان قد هربوا بابنه الذى نصبوه للملك الى جبل طخارستان وبعثوا يستأمنون له ولهم فأمنهم السلطان وجاؤا بالصبى فى آلاف من العساكر فأكرمه السلطان وأقطعه ما كان لابيه أيام ملك شاه وانفض عنه العسكر الذين كانوا معه وافترقوا على أمراء السلطان وأفردوه فضمته أم السلطان اليها وأقامت من يتولى رتبته وسار السلطان الى ترمذ فملكها وخطب له بسمرقند ودانت له البلاد وأقام على بلخ سبعة أشهر ثم رجع وترك أخاه سنجر نائبا بخراسان

(ظهور المخالفين بخراسان)

لما كان السلطان بخراسان خالف عليه محمود بن سليمان من قرابته ويعرف بأمير أميران وسار الى بلخ واستمد صاحب غزنة من بنى سبكتكين فأمده بالعساكر والفيول على أن يخطب له فيما يفتحه من خراسان فقويت شوكته فسار اليه الملك سنجر وكبسه فانهزم وجىء به أسيرا فسمله ولما انصرف السلطان عن خراسان سار نائب خوارزم

واسمها أكنجي في أتباعه وسبق الى مرو فتشاغل بلذاته وكان بها الامير تودرد فتشاغل عن السلطان واعتذر بالمرض فداخل بارقطاش من الامراء في قتل أكنجي صاحب خوارزم فكبسه في طائفة من أصحابه وقتلوه وساروا الى خوارزم فلكوها مظهرين ان السلطان ولاهما عليها وبلغ الخبر الى السلطان وكان قد بلغه في طريقه خروج الامير انز بفارس عن طاعته فمضى الى العراق وأعاد داود الحبشي بن التونطاق في العساكر لقتالهما فسار الى العراق من هراة وأقام في انتظار العسكر فعاجلاه فهرب أمامهما وهرب جيحون وتقدم بارقطاش قبل تودن وقاتله فهزمه داود وأسره وبلغ الخبر الى تودن فثار به عسكره ونهبوا أثقاله ولحق بسنجار فقبض عليه صاحبها ثم أطلقه فلحق بالملك سنجر ببلخ فقتله سنجر وأفرغ هو طاعته في نظمه وجمع العساكر على طاعته ثم مات قريبا وبقي بارقطاش أسيرا عند داود الى أن قتل

(بداية دولة بني خوارزم شاه)

كان أنوشتكين مملوكا لبعض أمراء السلجوقية واشتراه من بعض أهل غرشستان فدعى أبا شتكين غرشه ونشأ على حال مرضية وكان مقدما وولد له ابنه محمد فأحسن تأديبه وتقدم هو بنفسه ولما سار الامير داود الحبشي الى خراسان كما ذكرناه سار محمد في جملته فلما مهد خراسان وأزال الخوارج نظر فيمن يوليه خوارزم وكان نائبها أكنجي قد قتله كما مر فوقع اختياره على محمد بن أبي شتكين فولاه ولقبه خوارزم شاه فحسنت سيرته وارتفع محله وأقره السلطان سنجر وزاده عناية بقدر كفايته واضطلاعه وغاب في بعض الايام عن خوارزم فقصدها بعض ملوك الاتراك وكان طغرلتكين محمد الذي كان أبوه أكنجي نائبا بخوارزم وبادر محمد بن أبي شتكين الى خوارزم بعد أن استمد السلطان سنجر وسار بالعساكر مدداله وتقدم محمد بن أبي شتكين فتأخر الاتراك الى منقشلاغ ورحل طغرلتكين الى جرجان وازداد محمد بذلك عناية عند سنجر ولما توفي ولي ابنه بعده أقسز وأحسن السيرة وكان قد قاد الجيوش أيام أبيه وباشر الحروب فملك مدينة منقشلاغ ولما توفي اختصه السلطان سنجر وكان يصاحبه في أسفاره وحروبه واتصل الملك في بني محمد بن أبي شتكين خوارزم وكانت لهم الدولة وتمت دولة بني ملك شاه وعليها كان ظهور الططر بعد المائة السادسة ومنهم أخذوا الملك كما يأتي في أخبارهم

(استيلاء الافرنج على انطاكية وغيرها من سواحل الشأم)

كان الافرنج قد ظهر أمرهم في هذه السنين وتغلبوا على صقلية واعتزموا على قصد الشأم وملك بيت المقدس وأرادوا المسير اليها في البر فراسلوا ملك الروم بالقسطنطينية

أن يسهل لهم الطريق الى الشام فأجابهم على أن يعطوه انطاكية فعبروا خليج القسطنطينية سنة تسعين وأربعمائة وسار ارسلان بن سليمان بن قطلمش صاحب مرقيه وبلاد الروم لمدافعتهم فهزموه ثم مروا ببلاد ابن لبون الارمني ووصلوا الى انطاكية فحاصروها تسعة أشهر وصاحبها يومئذ باغى سيان فأحسن الدفاع عنها ثم نبذوا البلد بداخله بعض الحامية أصعدهم السور بعد أن رغبوه بالاموال والاقطاع وجاؤا الى السور فدلهم على بعض المخادع ودخلوا منه وفتحوا البوق فخرج باغى سيان هاربا حتى اذا كان على أربعة فراسخ راجع نفسه وندم فسقط مغشيا عليه ومر به أرمنى فحمل رأسه الى انطاكية وذلك سنة احدى وتسعين وأربعمائة واجتمعت عساكر المسلمين وزحفوا الى انطاكية من كل ناحية ليرتجعوها من الافرنج وجاء قوام الدين كربوقا الى الشام واجتمعت عليه العساكر بمرج دابق فكان معه دقاق بن تتش وطغرلتكين أتابك وجناح الدولة صاحب حمص وارسلان تاش صاحب سنجار وسقمان بن أرتق وغيرهم وساروا الى انطاكية فنازلوها واستوحش الامراء من كربوقا وأنفوا من ترفعه عليهم وضاق الحصار بالافرنج لعدم الاقوات لان المسلمين عاجلوهم عن الاستعداد فاستأمنوا كربوقا فمنعهم الامان وكان معهم من الملوك بردويل وصنجيل وكندفرى والقمط صاحب الرها وبيمند صاحب انطاكية وهو مقدم العساكر فخرجوا مستأمنين وضربوا مصاف وتخاذل الناس لما كان فى قلوبهم من الاضغان لكربوقا فتمت الهزيمة عليهم وآخر من انهزم سقمان بن أرتق واستشهد منهم العرب وغنم العدو سوادهم بما فيه وساروا الى معرة النعمان فملكوها وأفحشوا فى استباحتها ثم ساروا الى عرقة فحاصروها أربعة أشهر وامتنعت عليهم وصالحهم ابن منقذ على بلده شيزار وحاصروا حمص فصالحهم صاحبها جناح الدولة ثم ساروا الى عكا فامتنعت عليهم وكان هذا بداية الافرنج بسواحل الشام ويقال ان   من خلفاء العبيد بن نصر لما خشوا من السلجوقية عند استيلائهم على الشام الى غزة وزحف الاقسيس من أمرائهم الى مصر وحاصرها فراسلوا الى الافرنج واستدعوهم لملك الشام ليشغلوهم عن أنفسهم ويحولوا بينهم وبين مصر والله سبحانه وتعالى أعلم

(انتقاض الاميرانز وقتله)

لما سار السلطان بركيارق الى خراسان ولى على بلاد فارس الاميرانز وكانت قد تغلبت الشوانكار واستظهروا بايران شاه بن قاروت بك صاحب كرمان فلما سار اليهم انز قاتلوه فهزموه ورجع الى اصبهان فاستأذن السلطان فأمره بالمقام هنالك وولاه امارة العراق وكانت العساكر فى جواره بطاعته وجاء مؤيد الملك بن نظام الملك من بغداد على

الحلة فأغراه بالخلاف وخوفه غائلة بركيارق وأشار عليه بمكاتبة محمد بن ملك شاه وهو في كنفه وشاع عنه ذلك فازداد خوفه وجمع العساكر وسار من اصبهان الى الري وباهر السلطان بالخلاف وطلب منه أن يسلم اليه فخر الملك البارسلان وبينما هو في ذلك اذ هجم عليه ثلاثة نفر من الاتراك المولدين بخوارزم من جنده فطعنوه فقتلوه واهتاج عسكره فنهبوا خزائنه وحمل شلوه الى اصبهان فدفن بها وأشهر خبر قتله الى السلطان في أحواز الري وهو سائر لقتاله فسر بذلك هو وفخر الملك البارسلان وذلك في سنة ثنتين وتسعين وكان محمود المذاهب كبير المناقب ولما قتل هرب اصبهبذ صبار الى دمشق فأقام بها مدة ثم قدم على السلطان محمد سنة احدى وخمسمائة فأكرمه وأقطعه رحبة مالك بن طوق

(استيلاء الافرنج على بيت المقدس)

كان بيت المقدس لتاج الدولة تتش وأقطعه الامير سقمان بن أرتق التركماني وكان تتش ملكه من يد العلويين أهل مصر فلما وهن الاتراك بواقعة انطاكية طمع المصريون في ارتجاعه وسار صاحب دولتهم الافضل بن بدر الجمالي وحاصر الامير سقمان وأخاه ايلغازي وابن أخيهما ياقوتي وابن عمهما سونج ونصب المجانيق فثلموا سوره ثم ملكوه بالامان لاربعين يوما من حصاره في شعبان سنة تسع وثمانين وأحسن الافضل الى سقمان وايلغازي ومن معهما وأطلقهم فأقام سقمان ببلد الرها وسار ايلغازي الى العراق وولى الافضل على بيت المقدس افتخار الدولة من أمرائهم ورجع الى مصر فلما رجع الافرنج من عكا جاؤا الى بيت المقدس فحاصروه أربعين يوما واقتحموه من جهة الشمال آخر شعبان من سنة ثنتين وتسعين وعاثوا في أهله واعتصم فلهم بمحراب داود عليه السلام ثلاثا حتى استأمنوا وخرجوا ليلا الى عسقلان وقتل بالمسجد سبعون ألفا أو يزيدون من المجاورين فيهم العلماء والزهاد والعباد وأخذوا نيفا وأربعين قنديلا من الفضة زنة كل واحد ثلاثة آلاف وستمائة درهم ومائة وخمسين قنديلا من الصغار وتنورا من الفضة زنته أربعون رطلا بالشامي وغير ذلك مما لا يحصى ووصل الصريخ الى بغداد مستغيثين فأمر المقتدي أن يسير الى السلطان بركيارق أبو محمد الدامغاني وأبو بكر الشاشي وأبو القاسم الزنجاني وأبو الوفاء بن عقيل وأبو سعد الحلواني وأبو الحسين بن السماك فساروا الى بركيارق يستصرخونه للمسلمين فانتهوا الى حلوان وبلغهم مقتل مجد الملك البارسلان وفتنة بركيارق مع أخيه محمد فرجعوا وتمكن الافرنج من البلاد ونحن عازمون على افراد أخبارهم بالشأم وما كان لهم فيه من الدولة على حكم أخبار الدول في كتابنا

(ظهور السلطان محمد بن ملكشاه والخطبة له ببغداد وحروبه مع أخيه بركيارق)

كان محمد وسنجر شقيقين وكان بركيارق استعمل سنجر على خراسان ثم لحق به محمد باصبهان وهو يحاصرها سنة ثمان وثمانين فأقطعه كنجة وأعمالها وأنزل معه الامير قطلغ تكين أتابك وكانت كنجة من أعمال اران وكانت لقطون فانتزعها ملكشاه وأقطعه استراباذ وولى على اران سرهنا ساوتكين الخادم ثم ضمن قطون بلاده وأعيد اليها فلما قوى رجع الى العصيان فسرح اليه ملكشاه الامير بوزان فغلبه على البلاد وأسره ومات ببغداد سنة أربع وثمانين وأقطع ملكشاه بلاد اران لاصحاب باغى سيان صاحب انطاكية ولما مات باغى سيان رجع ابنه الى ولاية أبيه ثم أقطع السلطان بركيارق كنجة وأعمالها لمحمد كما قلناه سنة ست وثمانين ولما اشتد واستفحل قتل اتابك قطلغ تكين واستولى على بلاد اران كلها ولحق مؤيد الملك عبد الله بن نظام الملك بعد مقتل صاحبه انز فاستخلصه وقربه وأشار عليه مؤيد الملك فطلب الامر لنفسه فخطب له بأعماله واستوزر مؤيد الملك وقارن ذلك مقتل مجد الملك الباسلانى المتغلب فى دولة بركيارق فاستوحش أصحابه لذلك ونزعوا الى محمد وساروا جميعا وكان بركيارق قد سبقهم اليها واجتمع اليه الامير ينال بن أبى شكين الحامى من أكابر الامراء وعز الملك بن نظام الملك ولما بلغه مسير أخيه محمد اليه رجع الى اصبهان فمنعوه من الدخول فسار الى خوزستان وملك محمد الرى فى ذى القعدة سنة ثنتين وتسعين ووجد بها زبيدة أم بركيارق قد تخلفت عن ابنها فحبسها مؤيد الملك وصادرها ثم قتلها خنقا بعد ان تنصح له أصحابه فى شأنها فلم يقبل وكان سعد الدولة كوهراس شحنة بغداد قد استوحش من بركيارق فاتفق هو وكربوقا صاحب الموصل وجكرمس صاحب جزيرة ابن عمر وسرخاب بن بدر صاحب كنكور وساروا الى السلطان محمد بقم فخلع عليهم ورد كوهراس الى بغداد فى شأن الخطبة فخطب له بالخليفة ولقبه غياث الدين والدنيا وسار كربوقا وجكرمس مع السلطان محمد الى اصبهان والله سبحانه وتعالى أعلم

(مقتل الباسلانى)

كان أبو الفضل سعد الباسلانى ويلقب مجد الملك متحكما عند السلطان بركيارق ومتمكنا فى دولته ولما فشا القتل فى أمرائه من الباطنية استوحشوا ونسبوا ذلك للباسلانى وكان من أعظم من قتل منهم الامير برسق فاتهم ابنه زنكى وأقبوري الباسلانى فى قتله ونزعوا عن بركيارق الى السلطان محمد فاجتمع الامراء ومقدمهم أمير اخور كمابك وطغايرك بن الروز وبعثوا الى بنى برسق يستدعونهم للطلب بثار أبيهم فجاؤا

واجتمعوا قريبا من همدان ووافقهم العسكر جميعا على ذلك وبعثوا الى بركيارق يطلبون الباسلاني فامتنع وأشار عليه الباسلاني باجابتهم لئلا يفعلوا ذلك بغير رأى السلطان فيكون وهنا على الدولة فاستحلفهم السلطان فدفعه اليهم فقتله الغلمان قبل أن يتصل بهم وسكنت الفتنة وحمل رأسه الى مؤيد الملك واستوحش الامراء لذلك من بركيارق وأشاروا عليه بالعود الى الري ويكفونه قتال أخيه محمد فعاد متشاغلا ونهم واسرادقه وساروا الى أخيه محمد ولحق بركيارق باصبهان ثم لحق رستاق كما تقدم

(اعادة الخطبة ببغداد لبركيارق)

ولما سار بركيارق الى خوزستان ومعه ينال بن أبي شكين الحسامى مع عسكره سار من هنالك الى واسط ولقيه صدقة بن مزيد صاحب الحلة ثم سار الى بغداد وكان سعد الدولة كوهراس الشحنة على طاعة محمد فخرج عن بغداد ومعه أبو الغازى بن ارتق وغيره وخطب لبركيارق ببغداد منتصف صفر سنة ثلاث وتسعين بعدان فارقها كوهراس وأصحابه وبعثوا الى السلطان محمد ومؤيد الملك يستحثونهما فأرسلا اليهم كربوقا صاحب الموصل وجكرمس صاحب جزيرة ابن عمر يستكثرون بهم فى المدافعة وطلب جكرمس من كوهراس المسير لبلده خشية عليها فأذن له ثم يئس كوهراس وأصحابه من محمد فبعثوا الى بركيارق بطاعتهم فخرج اليهم واسترضاهم ورجع الى بغداد وقبض على عميد الدولة بن جهير وزير الخليفة وطالبه بما أخذ هو وأبوه من الموصل وديار بكر أيام ولايتهم عليها فصادرهم على مائة وستين ألف دينار واستوزر الاغر أبا المحاسن عبد الجليل بن على بن محمد الرهستاني وخلع الخليفة على بركيارق

(المصاف الاول بين بركيارق ومحمد ومقتل كوهراس وهزيمة بركيارق والخطبة لمحمد)

ثم سار بركيارق من بغداد لحرب أخيه محمد ومر بشهرزور فاجتمع اليه عسكر كثير من التركمان وكاتب رئيس همدان يستحثه فركب وسار للقاء أخيه على فراسخ من همدان فى أول رجب من سنة ثلاث وتسعين وفى ميمنته كوهراس وعز الدولة بن صدقة بن مزيد وسرحاب بن بدر وفى ميسرته كربوقا وفى ميمنته محمد بن اضر وابنه اياز وفى ميسرته مؤيد الملك والنظامية ومعه فى القلب أمير سرخو شحنة اصبهان فحمل كوهراس من الميمنة على مؤيد الملك والنظامية فهزمهم وانتهى الى خيامهم فنهبها وحملت ميمنة محمد على ميسرة بركيارق فانهزموا وحمل محمد على بركيارق فهزمه ووقف محمد مكانه وعاد كوهراس من طلب المنهزمين فكابه فرسه فقتل وجى بالاغر أبى المحاسن يوسف وزير بركيارق أسيرا فأكرمه مؤيد الملك ونصب له خيمة وبعثه الى بغداد فى الخطبة لمحمد

فخطب له منتصف رجب من السنة وكانت أولية سعد الدولة كوهراس انه كان خادما للملك ابى كاليجار بن بويه وجعله فى خدمة ابنه أبى نصر ولما حبسه طغرلبك مضى معه الى قلعة طغرل فلما مات انتقل الى خدمة السلطان البارسلان وترقى عنده وأقطعه واسط وجعله شحنة بغداد وحضر يوم قتله ووقاه بنفسه ثم أرسله ملكشاه الى بغداد فى حلمة وجاءه الخلع والتقليد وحصل له من نفوذ الامر واتباع الناس مالم يحصل لغيره الى أن قتل فى هذه المعركة وولى شحنة بغداد بعده ايلغازى بن ارتق

مسير بركيارق الى خراسان وانهزامه من أخيه سنجر ومقتل الامير داود حبشى أمير خراسان

لما انهزم بركيارق من أخيه محمد خاض فى النيل الى الرى واجتمع له جموع من شيعته فسار الى خراسان وانتهى الى اسفراين وكتب الامير داود حبشى الى التونطاق يستدعيه من الدامغان وكان أميرا على معظم خراسان وعلى طبرستان وجرجان فأشار عليه بالمقام بنيسابور فقصدها وقبض على عميدها أبى محمد وأبى القاسم بن امام الحرمين ومات أبو القاسم فى محبسه مسموما ثم زحف سنجر الى الامير داود فبعث الى بركيارق يستدعيه لنصرته فسار اليه والتقى الفريقان بنواحى بوشنج وفى ميمنة سنجر الامير برغش وفى ميسرته الامير كوكر ومعه فى القلب الامير رستم فحمل بركيارق على رستم فقتله وانتقض الناس على سنجر وكاد ينهزم وأخذ بركيارق أم سنجر أسيرة وشغل أصحاب بركيارق بالنهب فحمل عليهم برغش وكوكر فانهزموا واستمرت الهزيمة على بركيارق وهرب الامير داود حبشى به الى برغش أسيرا فقتله وسار بركيارق الى جرجان ثم الى الدامغان ودخل البرية ثم استدعاه أهل اصبهان وجاءه جماعة من الامراء منهم جاولى سقاو وسبقه محمد الى اصبهان فعدل عنها الى عسكر مكرم

المصاف الثانى بين بركيارق ومحمد وهزيمة محمد وقتل وزيره مؤيد الملك والخطبة لبركيارق

لما انهزم بركيارق أمام سنجر سنة ثلاث وتسعين وسار الى اصبهان فوجد أخاه محمدا قد سبقه اليها فعدل عنها الى خوزستان ونزل الى عسكر مكرم وقدم عليه هنالك الاميران زنكى والبكى ابنا برسق سنة أربع وتسعين وساروا معه الى همدان وهرب اليه الامير أبرز فى خمسة آلاف من عسكر محمد لان صاحب امير اضر مات فى تلك الايام وظنوا أن مؤيد الملك دس عليه وزيره فسمه وكان ابرز فى جملة أمير اضر فقتل الوزير المتهم ولحق بركيارق ثم وصل اليه سرخاب بن كيخسرو صاحب آباه فاجتمع له نحو من خمسين ألف فارس ولقيه محمد فى خمسة عشر ألفا واستأمن أكثرهم الى بركيارق يوم المصاف أول

جمادى الآخرة سنة أربع وتسعين واستولت الهزيمة على محمد وجيء بمؤيد الملك أسيرا فوبخه ثم قتله بيده لأنه كان سيئ السيرة مع الأمراء كثير الحيل في تدبير الملك ثم بعث الأعز أبو المحاسن وزير بركيارق أبا ابراهيم الاستراباذي لاستقصاء أموال مؤيد الملك وذخائره ببغداد فحمل منها ما لا يسعه الوصف يقال انه وجد في ذخائره ببلاد العجم قطعة بلخش زنتها أربعون مثقالا واستوزر محمد بعده خطيب الملك أبا منصور محمد بن الحسين ثم سار السلطان بركيارق الى الري ووفد عليه هنالك كربوقا صاحب الموصل ودبيس ابن صدقة وأبوه يومئذ صاحب الحلة وسار السلطان قافلا الى جرجان وبعث الى أخيه سنجر يستمده فبعث اليه ما أقامه ثم طلبه في المدد فسار اليه سنجر من خراسان ثم سارا جميعا الى الدامغان فخرباها وسارا الى الري واجتمعت عليه النظامية وغيرهم فكثرت جموعهم وكان بركيارق بعد الظفر قد فرق عساكره لضيق الميرة ورجع دبيس بن صدقة الى أبيه وخرج باذربيجان داود بن اسمعيل بن ياقوتي فبعث لقتاله قوام الدولة كربوقا في عشرة آلاف واستأذنه اياز في المسير الى ولايته بهمدان ويعود بعد الفطر فبقي في قلة من العساكر فلما بلغه قرب أخيه محمد وسنجر اضطرب حاله وسار الى همدان ليجتمع مع اياز فبلغه انه قد راسل أخاه محمدا وأطاعه فعاد الى خوزستان ولما انتهى الى تستر استدعى ابن برسق وكان من جملة اياز لم يحضر وتأخر فأمنه فسار نحو العراق فلما بلغ حلوان لحق به اياز وكان راسل محمدا فلم يقبله وبعث عساكره الى همدان فلحق بهمدان اياز وأخذ محمد مخلف اياز بهمدان وكانت كثيرا من كل صنف وصودر أصحابه ور
بهمدان بمائة ألف دينار وسار بركيارق واياز الى بغداد فدخلها
منتصف ذي القعدة من سنة أربع وتسعين وطلب من الخليفة المال للنفقة فبعث اليه بعد المراجعة بخمسين ألف دينار وعاث أصحاب بركيارق في أموال الناس وضجروا منه ووفد عليه أبو محمد عبد الله بن منصور المعروف بابن الصليحة قاضي جبلة من سواحل الشأم منهزما من الافرنج بأموال جليلة المقدار فأخذها بركيارق منه وقد تقدم خبر ابن الصليحة في دولة العباسيين ثم بعث وزير بركيارق الأعز بالمحاسن الى صدقة بن مزيد صاحب الحلة في ألف ألف دينار يزعم أنها تخلفت عنده من ضمان البلاد وتهدده عليها فخرج عن طاعة بركيارق وخطب لمحمد أخيه وبعث اليه بركيارق في الحضور والتجاوز عن ذلك وضمن له اياز جميع مطالبه فأبى الا ان يدفع الوزير واستمر على عصيانه وطرد عامل بركيارق عن الكوفة واستضافها اليه

* (مسير بركيارق عن بغداد ودخول محمد وسنجر اليها) *

ولما استولى السلطان محمد وأخوه سنجر على همدان سار في اتباع بركيارق الى حلوان

فتقدم عليه هنالك ابو الغازى ابن ارتق فى عساكره وخدمه وكثرة جموعه فسار الى بغداد وبركيارق عليل بها فاضطرب أصحابه وعبروا به الى الجانب الغربى ووصل محمد الى بغداد آخر سنة أربع وتسعين وتراءى الجمعان بشاطئ دجلة وجرت بينهم المراماة والنشاب وكان عسكر محمد ينادون عسكر بركيارق يا باطنية ثم سار بركيارق الى واسط ونهب عسكره جميع ما مروا عليه ودخل محمد الى دار المملكة ببغداد وجاءه توقيع المستظهر بالاستبشار بقدومه وخطب له ونزل الملك سنجر بدار كوهرائين ووفد على السلطان محمد ببغداد صدقة صاحب الحلة فى محرم سنة خمس وتسعين

(مقتل بركيارق الباطنية)

كان هؤلاء الباطنية قد ظهروا بالعراق وفارس وخراسان وهم القرامطة والدعوة بعينها دعوتهم الا أنهم سموا فى هذه الاجيال بالباطنية والاسماعيلية والملاحدة والفداوية وكل اسم منها باعتبار فالباطنية لانهم يبطنون دعوتهم والاسماعيلية لانتسابدعوتهم فى أصلها لاسمعيل الامام بن جعفر الصادق والملاحدة لان بدعتهم كلها الحاد والفداوية لانهم يفادون أنفسهم بالمال على قتل من يسلطون والقرامطة نسبة الى قرمط منشئ دعوتهم وكان أصلهم من البحرين فى المائة الثالثة ومابعدها ثم نشأ هؤلاء بالمشرق أيام ملك شاه فأول ما ظهروا باصبهان واشتد فى حصار بركيارق وأخيه محمود وأمه خاتون فيها ثم ثارت عامة اصبهان بهم باشارة القضاة وأهل الفتيا فقتلوهم فى كل جهة وحرقوهم بالنار ثم انتشروا واستولوا على القلاع ببلاد العجم كما تقدم فى أخبارهم ثم أخذ بمذهبهم تيران شاه بن تدران شاه بن قاروت بك صاحب كرمان حمله عليه كاتب من أهل خورستان يسمى أبا زرعة وكان بكرمان فقيه من الحنفية يسمى أحمد بن الحسين البلخى مطاع فى الناس فخشى من نكيره فقتله فهرب عنه صاحب جيشه وكان شحنة البلد ولحق بالسلطان محمد ومؤيد الملك باصبهان وثار الجند بعده بتيران شاه الى مدينة كرمان فمنعه أهلها ونهبوه فقصد قلعة سهدم واستجار بصاحبها محمد بهستون وبعث أرسلان شاه عساكر لحصارها فطرده بهستون وبعث مقدم العساكر فى طلبه فجىء به أسيرا وبأبى زرعة الكاتب معه فقتلهما أرسلان شاه واستولى على بلاد كرمان وكان بركيارق كثيرا ما يسلطهم على من يريد قتله من الامراء مثل انز شحنة اصبهان وأرغش وغيرهم فامنوا جانبه وانتشروا فى عسكره واغروا الناس ببدعتهم وتجاوزوا الى التهديد عليها حتى خافهم اعيان العسكر وصار بركيارق يصرفهم على أعدائه والناس يتهمونه بالميل اليهم فاجتمع أهل الدولة وعذلوا بركيارق فى ذلك فقبل نصيحتهم وأمر بقتل الباطنية حيث كانوا فقتلوا وشردوا كل مشرد

وبعث الى بغداد بقتل ابى ابراهيم الاسترابادى الذى بعثه ابو الاغر لاستقصاء امور ل
مؤيد الملك وكان يتهم بمذهبهم فقتل وقتل بالعسكر الامير محمد بن ولد علاء الدين بن
كاكويه وهو صاحب مدينة تيرد وكان يتهم بمذهبهم وسعى بالكيا الهراسى مدرس
النظامية انه باطنى فأمر السلطان محمد بالقبض عليه حتى شهد المستظهر ببراءته
وعلو درجته فى العلم فاطلقه وحسمت علة الباطنية بين الجمهور وبقى امرهم فى القلاع
التى ملكوها الى ان انقرضوا كما تقدم فى اخبارهم مستوفى
(المصاف الثالث بين بركيارق ومحمد والصلح بينهما) ولما رحل بركيارق عن بغداد
الى واسط ودخل اليها السلطان محمد اقام بها الى منتصف المحرم من سنة خمس وتسعين
ثم رحل الى همدان وصحبه السلطان سنجر لقصد خراسان موضع امارته وجاءت
الاخبار الى المستظهر باعتزام بركيارق على المسير الى بغداد ونقل له عنه قبائح من أقواله
وأفعاله فاستدعى السلطان محمدا من همدان وقال أنا أسير معك لقتاله فقال محمد
أنا أكفيكه يا أمير المؤمنين ورجع ورتب ببغداد أبا المعالى شحنة وكان بركيارق لما سار
من بغداد الى واسط هرب أهلها منه الى الزبيدية ونزل هو بواسط عليلا فلما أفاق أراد
العبور الى الجانب الشرقى فلم يجد سفنا ولا نواتية وجاءه القاضى أبو على الفارسى الى
العسكر واجتمع بالامير اياز والوزير فاستعطفهما لاهل واسط وطلب اقامة الشحنة
بينهم فبعثاه وطلبا من القاضى من يعبر فأحضر لهم رجالا عبروا بهم فلما صاروا فى الجانب
الشرقى نهب العسكر البلد فجاء القاضى واستعطفهم فمنعوا النهب واستأمن اليهم
عسكر واسط فأمنوهم وسار بركيارق الى بلاد بنى برسق فى الاهواز وساروا معه ثم بلغه
مسير أخيه محمد عن بغداد فسار فى اتباعه على نهاوند الى أن أدركه وتصافوا ولم يقتتلوا
لشدة البرد ثم عاودوا فى اليوم الثانى كذلك وكان الرجل يخرج لقريبه من الصف
الآخر فيتصافحان ويتساءلان ويفترقان ثم جاء الامير بكراج وعبر من عسكر محمد الى
الامير اياز والوزير الاغر فاجتمعوا وعقدوا الصلح بين الفريقين على ان السلطان بركيارق
والملك محمد ويضرب له ثلاث نوب ويكون له من البلاد حرة وأعمالها وأذربيجان وديار
بكر والجزيرة والموصل ويمده بركيارق بالعساكر على من يمتنع عليه منها وتحالفا على
ذلك وافترقا وكان العقد فى ربيع الاول سنة خمس وتسعين وسار بركيارق الى ساوة ومحمد
الى استراباذ وكل أمير على أقطاعه والله سبحانه وتعالى أعلم

(انتقاض الصلح والمصاف الرابع بين السلطانين وحصار محمد باصبهان)

لما انصرف السلطان محمد الى استراباذ وكان اتهم الامراء الذين سعوا فى الصلح بالخديعة
فسار الى قزوين ودس الى رئيسها لان يصنع صنيعا ويدعوه اليه مع الامراء ففعل وجاء

السلطان الى الدعوة وقد تقدم الى أصحابه بحمل السلاح ومعه يشمك وافتكين من أمرائه فقبض عليهما وقتل يشمك وسمل افتكين وورد عليه الامير ينال بن أنشتكين الحسامي نازعا عن أخيه بركيارق

ولما التقى الفريقان حمل سرخاب بن كيخسرو الديلمي صاحب ساوة على ينال الحسامي فهزمه واتبعه عامة العسكر واستولت الهزيمة على عسكر محمد ومضى بعضهم الى طبرستان وبعضهم الى قزوين وذلك في جمادى من سنة خمس وتسعين لاربعة أشهر من المصاف قبله ولحق محمد في الفل باصبهان ومعه ينال الحسامي واصبهان في حكمه فحصنها وسد ما ثلم من سورها وأعمق الخندق وفرق الامراء في الاسوار وعلى الابواب ونصب المجانيق وجاء بركيارق في خمسة عشر ألف مقاتل فأقام يحاصر البلد حتى اشتد الحصار وعدمت الاقوات واستقرض محمد المال للجند من أعيان البلد مرة بعد أخرى فلما جهده الحصار خرج من البلد ومعه الامير ينال وترك باقي الامراء وبعث بركيارق الامير اياز في عسكر لطلبه فلم يدركه وقيل بل أدركه وذكره العهد فرجع عنه بعد ان أخذ رايته وجتره وثلاثة أحمال من المال ولما خرج محمد عن اصبهان طمع المفسدون والسوادية في نهبها فاجتمع منهم ما يزيد على مائة ألف وزحفوا بالسلالم والدبابات وطموا الخندق وصعدوا في السلالم باشارة أهل البلد وجدوا في دفاعهم وعادوا خائبين ورحل بركيارق آخر ذي القعدة من سنة خمس وتسعين واستخلف على البلد القديم الذي يقال له شهرستان مرشد الهراس في ألف فارس مع ابنه ملكشاه وسار الى همذان وفي هذا الحصار قتل وزير بركيارق الاعز أبو المحاسن عبد الجليل الدهستاني عرض له يوما بعض الباطنية عندما ركب من خيمته لباب السلطان طعنه طعنات وتركه بآخر رمق وقتل غلام من غلمان بعض المكوس للوزير ثار فيه بمولاه وكان كريما واسع الصدر وولي الوزارة على حين فساد القوانين فيه للجباية فكان يضطر لاخذ أموال الناس بالاضافة فنفرت الصفوة منه ولما مات استوزر بركيارق بعده الخطير أبا منصور الذي كان وزيرا لمحمد وقد وكله في الحصار ببعض الابواب فبعث اليه محمد ينال بن أبي شكين يطالبه بالاموال لاقامة العسكر فخرج من الباب ليلا ولحق ببلده وامتنع بقلعتها فأرسل السلطان بركيارق اليها عسكرا وحاصروها حتى استأمن وجاء عند قتل وزيره الاعز فاستوزره بركيارق مكانه والله تعالى أعلم بغيبه

(مسير صاحب البصرة الى واسط)

كان صاحب البصرة لهذا العهد اسمعيل بن ارسلان حين كان السلطان ملكشاه نحيه بالري وولاه عليها عندما اضطرب أهلها وعجز الولاة عنهم فحسنت كفايته وأثخن فيهم

وأصلح أمورها ثم عزل عنها وأقطع السلطان بركيارق البصرة للامير قماج وكان ممن لا يفارقه فاختار اسمعيل لولاية البصرة ثم نزع قماج عن بركيارق وانتقل الى خراسان فحدثت اسمعيل نفسه بالاستبداد بالبصرة وانتقض وزحف اليه مهذب الدولة بن أبي الخير من البطيحة ومعقل بن صدقة بن منصور بن الحسين الاسدي من الجزيرة في العساكر والسفن فقاتلوه في مطاري وقتل معقل بسهم أصابه فعاد ابن أبي الخير الى البطيحة فأخذ اسمعيل السفن وذلك سنة احدى وتسعين وأسرهما واستفحل أمره بالبصرة وبنى قلعة بالابلة وقلعة بالشاطئ قبالة مطاري وأسقط كثيرا من المكوس واتسعت امارته لشغل السلاطين بالفتنة وملك المسار وأضافها الى ما بيده ولما كان سنة خمس وتسعين طمع في واسط وداخل بعض أهلها وركب اليها السفن الى نعماجار وخيم عليها بالجانب الشرقي أياما ودافعوه فارتحل راجعا حتى ظن خلاء البلد من الحامية فدس اليها من يضرم النار بها ليرجعوا فرجع عنهم فلما دخل أصحابه البلد قتل أهل البلد فيهم وعاد الى البصرة منهزما فوجد الامير أباسعيد محمد بن نصر بن محمود صاحب الاعمال لعمان وجنابا وشيراز وجزيرة بني نفيس محاصرا للبصرة وكان أبو سعيد قد استبد بهذه الاعمال منذ سنين وطمع اسمعيل في الاستيلاء على أعماله وبعث اليها السفن في البحر فرجعوا خائبين فبعث أبو سعيد خمسين من سفنه في البحر فظفروا بأصحاب اسمعيل مغهم الى الصلح ولم يقع منه وفاء به فسار أبو سعيد بنفسه في مائة سفينة وأرسى بفوهة نهر الابلة ووافق دخول اسمعيل من واسط فتزاحفوا برا وبحرا فلما رأى اسمعيل عجزه عن المقاومة كتب الى ديوان الخلافة بضمان البلد ثم تصالحا وقعت بينهما المهاداة وأقام اسمعيل مستبدا بالبصرة الى أن ملكها من يده صدقة بن مزيد في المائة الخامسة كما مر في أخباره وهلك برامهرمز

وفاة كربوقا صاحب الموصل واستيلاء جكرمش عليها واستيلاء سقمان بن ارتق على حصن كيفا

كان السلطان بركيارق أرسل كربوقا الى اذربيجان لقتال مودود بن اسمعيل بن ياقوتي الخارج بها سنة أربع وتسعين فاستولى على أكثر اذربيجان من يده ثم توفي في منتصف ذي القعدة سنة خمس وتسعين وكان معه أصبهبذ صباوة بن خمارتكين وسنقرجه من بعده وأوصى الترك بطاعته فسار سنقرجه الى الموصل واستولى عليها وكان أهل الموصل لما بلغهم وفاة كربوقا استدعوا موسى التركماني من موضع نيابته عن كربوقا بحصن كيفا للولاية عليهم فبادر اليهم وخرج سنقرجه للقائه فظن انه جاء اليه وجرت بينهما محاورات وردّ سنقرجه الامر الى السلطان فآل الامر بينهما الى المطاعنة

وكان مع موسى منصور بن مروان بقية أمراء ديار بكر وضرب سنقرجه فأبان رأسه وملك موسى البلد ثم زحف جكرمس صاحب جزيرة ابن عمر الى نصيبين فملكها وخالفه موسى الى الجزيرة فبادر اليه جكرمس وهزمه واتبعه الى الموصل فحاصره بها فبعث موسى الى سقمان بن ارتق بديار بكر يستنجده على أن يعطيه حصن كيفا فسار سقمان اليه وأفرج عنه جكرمس وخرج موسى للقاء سقمان فقتله مواليه ورجع سقمان الى كيفا وجاء جكرمس الى الموصل فحاصرها وملكها صلحا واستلم قتلة موسى ثم استولى بعد ذلك على الخابور وأطاعه العرب والاكراد وأما سقمان بن ارتق فسار بعد مقتل موسى الى حصن كيفا واستزيده قال ابن الاثير وصاحبها الآن فى سنة خمس وعشرين وستمائة محمود بن محمد بن القراء ارسلان بن داود بن سقمان بن ارتق والله تعالى أعلم *(أخبار ينال بالعراق)* كان ينال بن أبى شتكين الحسامى مع السلطان محمد باصبهان لما حاصرها بركيارق بعد المصاف الرابع سنة خمس وتسعين فلما خرج محمد من الحصار الى ومعه ينال استأذنه فى قصد الرى ليقيم بها دعوته وسار هو وأخوه على وعسف بأهل الرى وصادرهم وبعث السلطان بركيارق الامير برسق بن برسق فى ربيع من سنة ست وتسعين فقاتله وهزمه واستولى برسق على الرى وأعاده على ولاية بقزوين وسلك ينال على الجبال وهلك كثير من أصحابه وخلص الى بغداد فأكرمه المستظهر وأظهر طاعة السلطان محمد وتحالف هو وأبو الغازى وسقمان بن ارتق على مناصحة السلطان محمد وساروا الى صدقة بن مزيد بالحلة فاستحلفوه على ذلك ثم ان ينال بن أبى شتكين عسف بأهل بغداد وتسلط عليهم وصادر العمال فاجتمع الناس الى أبى الغازى بن ارتق وكان ينال صهره على أخته التى كانت زوجا لتتش وطلبوا منه أن يشفع لهم عنده وبعث المستظهر اليه قاضى القضاة أبا الحسن الدامغانى بالنهى عما يرتكبه فأجاب وحلف ثم نكث فأرسل المستظهر الى صدقة بن مزيد يستدعيه فوصل فى شوال من السنة واتفق مع ينال على الرحيل من بغداد ورجع الى حلته وترك ولده دبيسا يزعج ينال للخروج فسار ينال الى وعاث فى السابلة وأقطع القرى لاصحابه وبعث الى صدقة فأرسل اليه العساكر وخرج فيها أبو الغازى بن ارتق وأصحاب المستظهر فسار ينال الى اذربيجان ورجعوا عنه

(ولاية كمشتكين النصيرى شحنة بغداد وفتنته مع أبى الغازى وحربه)

كان أبو الغازى بن ارتق شحنة بغداد ولاه عليها السلطان محمد عند مقتل كوهراس ولما ظهر الآن بركيارق على محمد وحاصره باصبهان ونزل بركيارق همدان وأرسل الى بغداد كمشتكين النصيرى فى ربيع سنة ست وتسعين وسمع ابو الغازى بمقدمه فاستدعى

أخاه سقمان بن ارتق من حصن كيفا يستنجده وسار الى صدقة بن مزيد فخالفه على النصرة والمدافعة ورجع الى بغداد ووصل اليه أخوه سقمان بعد أن نهب في طريقه ووصل كمشتكين الى قرقيسيا ولقيه شيعة بركيارق وخرج ابو الغازي وسقمان عن بغداد ونهب قرى دجيل واتبعهما العساكر ثم رفعت عنهما وأرسل كمشتكين الى صدقة صاحب الحلة فامتنع من طاعة بركيارق وسار من الحلة الى صرصر وقطع خطبة بركيارق وعبر بغداد واقتصر على الدعاء للخليفة وبعث صدقة الى أبى الغازى وسقمان يعرفهما بوصوله وهما بالحربى وجاء الى دجيل ونهب القرى واشتد فسادهم وأضر ذلك بحال بغداد فى غلاء الاسعار وجاء أبو الغازى وسقمان ومعهما دبيس بن صدقة فخيموا بالرملة وقاتلهم العامة فتفتكوا فيهم وبعث المستظهر قاضى القضاة أبا الحسن الدامغانى وتاج الرؤساء بن الرحلات الى صدقة بن مزيد بمراجعة الطاعة فشرط خروج كمشتكين عن بغداد فأخرجه المستظهر الى النهروان وعاد صدقة الى الحلة وأعيدت خطبة السلطان محمد ببغداد ثم سار كمشتكين النصيرى الى واسط وخطب فيها لبركيارق ونهب عسكره سوادها فسار صدقة وأبو الغازى اليه وأخرجاه من واسط وتحصن بدجلة فقصده صدقة فانفض عنه أصحابه ورجع الى صدقة بالامان فأكرمه وعاد الى بركيارق وأعيدت خطبة السلطان محمد بواسط وبعده لصدقة وأبى الغازى وولى كل واحد فيها ولده وعاد أبو الغازى الى بغداد وعاد صدقة الى الحلة وبعث ابنه منصورا مع أبى الغازى يطلب الرضا من المستظهر لانه كان سخطه من أجل هذه الحادثة

(المصاف الخامس بين بركيارق ومحمد)

كان السلطان محمد لما سار عن كنجة وبلاد اران استخلف بها الامير غرغلى وأقام بها فى طائفة من عسكره مقيما خطبة السلطان محمد فى جميع أعماله الى زنجان من آخر اذربيجان فلما انحصر محمد باصبهان سار غرغلى لانجاده ومعه منصور بن نظام الملك ومحمد بن أخيه مؤيد الملك فانتهوا الى الرى وملكوها آخر خمس وتسعين ولقوا السلطان محمدا بهمدان عندما خرج من أصبهان ومعه ينال بن أبى شتكين وأخوه على وأقاموا معه بهمدان ثم جاء الخبر بمسير بركيارق اليهم فتوجه السلطان محمد قاصدا شروان وانتهى الى اذربيجان فبعث اليه مودود بن اسمعيل بن ياقوتى الذى كان بركيارق قتل أباه اسمعيل وكانت أخت مودود هذا تحت محمد وكان له طائفة من أعمال اذربيجان فاستدعى محمدا للظاهرة على بركيارق فسار اليه وانتهى الى سقمان وتوفى مودود فى ربيع سنة ست وتسعين واجتمع عساكره على السلطان محمد وفيهم سقمان القطبى ومحمد بن باغى

بركيارق وقاتلهم على خراسان وسار ايازمن عسكر بركيارق وجاء من خلف السلطان محمد فانهزم محمد وأصحابه ولحق بارقيش من أعمال خلاط ولقيه الامير على صاحب ارزن الروم فمضى الى اصبهان وصاحبها منوجهر أخو فظون الروادى ثم سار الى هرمز وأما محمد بن مؤيد الملك بن نظام الملك فنجا من الوقعة الى ديار بكر ثم الى جزيرة ابن عمر ثم الى بغداد وكان أيام أبيه مقيما ببغداد في جوار المدرسة النظامية فشكى الى أبيه وخاطب كوهراس بالقبض عليه فاستجار بدار الخلافة ولحق سنة ثنتين وتسعين بمجد الملك البارسلانى وأبوه بكنجة عند السلطان محمد فلما خطب السلطان محمد لنفسه واستوزر أباه مؤيد الملك لحق محمد هذا بأبيه ثم قتل أبوه وبقى في جملة السلطان محمد

(استيلاء ملك بن بهرام على مدينة غانة)

كان ملك بن بهرام بن ارتق بن أخى ابى الغازى بن ارتق مالكا مدينة سروج فملكها الفرنج من يده فسار عنها الى غانة وغلب عليها بنى العيش بن عيسى بن خلاط كانت لهم فقصدوا صدقة بن مزيد مستنجدين به فأنجدهم وجاء معهم فرحل ملك بن بهرام والتركمان عنها ودخلها بنو العيش وأخذ صدقة رهائنهم وعاد الى الحلة فرجع ملك اليها في ألفى رجل من التركمان وحاربها قليلا ثم عبر المخاضة وملكها واستباح أهلها ومضى الى هيت ورجع عنها

(الصلح بين السلطانين بركيارق ومحمد) ثم استقر الامر آخرا بالسلطان بركيارق في الرى وكان له الجبال وطبرستان وخورستان وفارس وديار بكر والجزيرة والحرمين ولمحمد اذربيجان وبلاد اران وارمينية واصبهان والعراق جميعا غير تكريت والبطائح بعضها وبعضها والبصرة لهما جميعا وخراسان لسنجر من جرجان الى ماوراء النهر يخطب فيها لاخيه محمد وله من بعده والعساكر كلهم يتحكمون عليهم بسبب الفتنة بينهما وقد تطاول الفساد وعم الضرر واختلفت قواعد الملك فأرسل بركيارق الى أخيه محمد في الصلح مع فقيهين من أماثل الناس ورغباه في ذلك وأعادهما رسلا آخرين وتقرر الامر بينهما أن يستقر محمد على ما بيده سلطانا ولا يعارضه بركيارق في الطول ولا يذكر اسمه في أعمال محمد وأن المكاتبة تكون بين الوزيرين والعساكر بالخيار في خدمة من شاؤا منهما ويكون للسلطان محمد من النهر المعروف باسترد الى باب الابواب وديار بكر والجزيرة والموصل والشأم والعراق بلاد صدقة بن مزيد وبقية الممالك الاسلامية لبركيارق وتحالفا على ذلك وانتظم الامر وأرسل السلطان محمد الى أصحابه باصبهان بالخروج عنها لاخيه بركيارق واستدعاهم اليه فأبوا وجنحوا الى خدمة بركيارق وساروا اليه بحريم السلطان محمد الذى كانوا معهم فأكرمهم بركيارق وداهم

الى صاحبهم وحضر أبو الغازى بالديوان ببغداد وسار المستظهر فى الخطبة لبركيارق فخطب له سنة سبع وتسعين وكذلك بواسط وكان أبو الغازى قبل ذلك فى طاعة محمد فأرسل صدقة الى المستظهر يعذله فى شأنه ويخبره بالمسير لاخراجه من بغداد ثم سار صدقة ونزل عند الفجاج وخرج أبو الغازى الى عقربا وبعث لصدقة بأنه انما عدل عن طاعة محمد للصلح الواقع بينه وبين أخيه وأنهما تراضيا على أن بغداد لبركيارق وانا شحنة بها واقطاعى حلوان فلا يمكننى التحول عن طاعة بركيارق فقبل منه ورجع الى الحلة وبعث المستظهر فى ذى القعدة سنة سبع وتسعين بالخلع للسلطان بركيارق والامير اياز والوزير الخطير واستحلفهم جميعا وعاد الى بغداد والله سبحانه ولى التوفيق

(حرب سقمان وجكرمس الافرنج)

قد تقدم لنا استيلاء الافرنج على معظم بلاد الشأم وشغل الناس عنهم بالفتنة وكانت حران لقراجا من مماليك ملك شاه وكان غشوما فخرج منها لبعض مذاهبه وولى عليها الاصبهانى من أصحابه فعصى فيها وطرد أصحاب قراجا منها ماعدا غلاما تركيا اسمه جاولى جعله مقدم العسكر وأنس به فقرره وتركه وملك حران وسار الافرنج اليها وحاصروها وكان بين جكرمس صاحب جزيرة ابن عمر وسقمان صاحب كيفا حروب وسقمان يطالبه بقتل ابن أخيه فاتحدا بالنصر المسلمين واجتمعا على الخابور وتحالفا وسار سقمان فى سبعة آلاف من التركمان وجكرمس فى ثلاثة آلاف من الترك والعرب والاكراد والتقوا بالافرنج على نهر بلخ فاستطرد لهم المسلمون نحو فرسخين ثم كروا عليهم فغنموا فيهم وقتلوا سوادهم وأخذ القمص بردويل صاحب الرها أسره تركمانى من أصحاب سقمان فى نهر بلخ وكان سمند صاحب انطاكية من الافرنج وشكرى صاحب الساحل منهم قد كمنا وراء الجبل ليأتيا المسلمين من ورائهم عند المعركة فلما عاينوا الهزيمة كمنوا بقية يومهم ثم هربوا فاتبعهم المسلمون واستلحموهم وأسروا منهم كثيرا وفلت سمند وشكرى بدماء أنفسهم ولما حصل الظفر للمسلمين عصى أصحاب جكرمس باختصاص سقمان بالقمص وحملوه على أخذه لنفسه فأخذه جكرمس من خيام سقمان وشق ذلك عليه وأراد أصحابه   فأبى حذرا من افتراق المسلمين ورحل وفتح فى طريقه عدة حصون وسار جكرمس الى حران ففتحها ثم سار الى الرها فحاصرها خمس عشرة ليلة وعاد الى الموصل وفادى القمص بخمسة وثلاثين ألف دينار ومائة وستين أسيرا من المسلمين.

(وفاة بركيارق وولاية ابنه ملك شاه) ثم توفى السلطان بركيارق بن ملك شاه بنبردجرد فى أوائل ربيع الآخر سنة ثمان وتسعين لاثنتى عشرة سنة ونصف من ملكه جاء اليها

عليلا من اصبهان واشتد مرضه بنزدجرد فولى عهده لابنه ملك شاه وعمره نحو من خمس
سنين وخلع عليه وجعل الامير اياز كافله وأوصى أهل الدولة بالطاعة والمساعدة
وبعثهم الى بغداد فأدركهم خبر وفاته بالطريق ورجع اياز حتى دفنه باصبهان وجمع
السرادقات والخيام والجتر والشمسة لابنه ملك شاه وكان بركيارق قد لقى فى ملكه من
الرخاء والشدة والسلم مالم يلقه أحد فلما استقر واستقامت سعادته
أدركته المنية ولما توفى خطب لابنه ملك شاه ببغداد وكان أبو الغازى قد سار
من بغداد اليه وهو باصبهان يستحثه الى بغداد وجاء معه فلما مات سار مع ابنه ملك شاه
والامير اياز الى بغداد وركب الوزير أبو القاسم على بن جهير فلقيهم به
مالى وحضر أبو الغازى والامير طغايرك بالديوان وطلبا الخطبة لملك شاه فخطب له
ولقب بألقاب جده ملك شاه

(حصار السلطان محمد الموصل)

لما انعقد الصلح بين بركيارق ومحمد واختص كل منهما باعماله وكانت اذربيجان
فى قسمة محمد رجع محمد الى أذربيجان ولحق به سعد الملك أبو المحاسن الذى كان نائبا
باصبهان بعد أن أبلى فى المدافعة عنها ثم سلمها بعد الصلح الى نواب بركيارق
واستوزره فأقام محمد الى صفر من سنة ثمان وتسعين ثم سار يريد الموصل على طريق
مراغة ورحل وبلغ الخبر الى جكرمس فاستعد للحصار وأدخل أهل الضاحية الى
البلد وحاصره محمد ثم بعث له يذكره ما استقر عليه بينه وبين أخيه وأن الموصل
والجزيرة له وعرض عليه خط بركيارق بذلك وبايمانه عليه ووعده أن يقرها فى عمالته فقال
له جكرمس ان السلطان كتب الى بعد الصلح بخلاف ذلك فاشتد فى حصاره واشتد أهل
البلد فى المدافعة ونفس الله عنهم برخص الاسعار وكان عسكر جكرمس مجتمعين
قريبا من الموصل وكانوا يغيرون على أطراف العسكر ويمنعون عنهم الميرة ثم وصل
الخبر عاشر جمادى الاولى بوفاة السلطان بركيارق فاستشار جكرمس أهل البلد فردوا
النظر اليه واستشار الجند فأشاروا بطاعة السلطان محمد فأرسل اليه بذلك واستدعى
وزيره سعد الملك فدخل عليه وأشار عليه بلقاء السلطان فخرج اليه على كره من أهل
البلد فتلقاه السلطان بالكرامة وأعاده سريعا الى البلد ليطمئن الناس

(استيلاء السلطان محمد على بغداد وخلع ملك شاه بن أخيه ومقتل اياز)

قد كنا قدمنا صلح بركيارق وأخيه محمد من أنه يستقل بركيارق بالسلطنة وينفرد محمد
بالاعمال التى ذكرنا وموت بركيارق اثر ذلك وتقديم ابنه ملك شاه ببغداد فوصل الخبر

بذلك الى محمد وهو يحاصر الموصل فأطاعه جكرمش وسار محمد الى بغداد ومعه جكرمش وسقمان القطبي مولى قطب الدولة اسمعيل بن ياقوتى بن داود وياقوتى عم ملك شاه ومحمد وغيرهما من الامراء وجمع صدقة صاحب الحلة العساكر وبعث ابنه بدران ودبيسا الى محمد يستحثانه وجاء السلطان محمد الى بغداد فاعتزم الامير اياز أتابك ملك شاه على دفاعه وخيم خارج بغداد وأشار عليه بذلك أصحابه وخالفهم وزيره أبو المحاسن الضبعي وأبلغ في النصيحة له بطاعة السلطان فأقام متردداً ونزل محمد بالجانب الغربي وخطب له هنالك منفرداً ولهما معاً في بعض الجوامع واقتصر على سلطان العالم في بعضها ورجع اياز الى استحلاف الامراء ثانياً فوقف بعضهم وقال لا فائدة في اعادة اليمين وارتاب اياز عندها وبعث وزيره الضبعي أبا المحاسن لعقد الصلح مع السلطان واستحلافه فقرأ على وزيره سعد الملك أبي المحاسن سعد بن محمد فدخل معه الى السلطان وأجابه الى ما طلب وجاء معه من الغد قاضي القضاة والمفتيان واستحلفاه لاياز وللامراء فحلف الا أن ينال الحسامي و وقال أما ملك شاه فهو ابني وأنا أبوه وجاء اياز من الغد وقارن وصول صدقة بن مزيد فأنزلهما واحتفى بهما وذلك آخر جمادى الاولى من سنة ثمان وتسعين ثم احتفل اياز بعدها في عمل صنيع للسلطان في بيته وهي دار كوهراس وأهدى اليه تحفاً من جملتها حبل البلخش الذي أخذه من تركة نظام الملك بن مؤيد الملك واتفق ان اياز تقدم لمواليه بلبس السلاح ليعرضهم على السلطان وكان عندهم مصفعان فألبسوه درعاً تحت ثيابه وتناولوه بالنخس فهرب عنهم ودخل في حاشية السلطان مذعوراً فلمسوه فاذا الدرع تحت ثيابه فارتابوا ونهض السلطان الى داره ثم دعا الامراء بعد ذلك بأيام فاستشارهم في بعث بعضهم الى ديار بكر ان ارسلان بن سليمان بن قطلمش قصدها فاتفقوا على الاشارة بمسير اياز وطلب هو أن يكون معه صدقة بن مزيد فأسعفه السلطان بذلك واستدعاهما لانفاذ ذلك وقد أرصد في بعض المخادع بطريقهم جماعة لقتل اياز فلما مر بهم تعاورته سيوفهم وقطع رأسه وهرب صدقة وأغمي على الوزير وهرب عسكر اياز فنهبوا داره وأرسل السلطان من دفعهم عنها وسار السلطان من بغداد الى اصبهان وهذا اياز من موالي السلطان ملك شاه ثم سار في جملة ملك آخر فساء وأما الضبعي وزير اياز فاختفى أشهراً ثم حمل الى الوزير سعد الملك في رمضان فلما وصل كان ذلك سبب رياسته بهمدان

* (استيلاء سقمان بن ارتق على ماردين وموته) *

كان هذا الحصن في ديار بكر أقطعه السلطان بركيارق لمغن كان عنده وكان حواليها خلق كثير من الاكراد يغيرون عليها ويخيفون سابلتها واتفق ان كربوقا خرج من

الموصل لحصار آمد وكانت لبعض التركمان فاستنجد بسقمان فسار لانجاده ولقيه كربوقا
ومعه زنكى بن اقسنقر وأصحابه وأبلوا ذلك اليوم بلاءشديدا فانهزم وأسر ابن أخيه
ياقوتى بن ارتق فحبسه بقلعة ماردين عند المغنى فبقى مدة محبوسا وكثر خروج الاكراد
بنواحى ماردين فبعث ياقوتى الى المغنى يسأله أن يطلقه ويقيم عنده بالربض لدفاع
الاكراد ففعل وصار يغير عليهم فى سائر النواحى الى خلاط وصار بعض أجناد القلعة
يخرجون للاغارة فلا يمنعهم ثم حدثته نفسه بالتوثب على القلعة فقبض عليهم بعض
الايام بعد مرجعهم من الاغارة ودنا من القلعة وعرضهم للقتل ان لم يفتحها أهلوهم
ففتحوها وملكها وجمع الجموع وسار الى نصيبين والى جزيرة ابن عمر وهى لجكرمس فكبسه
جكرمس وأصحابه وأصابه فى الحرب سهم فقتله وبكاه جكرمس وكانت تحت ياقوتى بنت
عمه سقمان فمضت الى أبيها وجمعت التركمان وجاء   بهم الى نصيبين لطلب الثار
فبعث اليه جكرمس ما أرضاه من المال فى ديته فرجع وأقام بماردين بعد ياقوتى أخوه
على طاعة جكرمس وخرج منها لبعض المذاهب وكتب نائبه بها الى عمه سقمان بأنه
تملك ماردين على جكرمس فبادر اليها سقمان واستولى عليها وعوض عنها ابن أخيه جبل
جور وأقامت ماردين فى حكمه مع حصن كيفا واستضاف اليها نصيبين ثم بعث اليها
فخر الملك بن عمار صاحب طرابلس يستنجده على الافرنج وكان استبد بها على الخلفاء
العبيديين أهل مصر وثار به الافرنج عندما ملكوا سواحل الشام فبعث بالصريخ الى
سقمان بن ارتق سنة ثمان وتسعين فأجابه وبينما هو يتجهز للمسير وافاه كتاب طغتكين
صاحب دمشق المستبد بها من موالى بنى تتش يستدعيه لحضور وفاته خوفا على
دمشق من الفرنج فأسرع السير معتزما على قصد طرابلس وبعدها دمشق فانتهى الى
القريتين وندم طغتكين على استدعائه وجعل يدبر الرأى مع أصحابه فى صرفه ومات هو
بالقريتين فكفاهم الله تعالى أمره وقد كان أصحابه عندما أيقن بالموت أشاروا عليه
بالعود الى كيفا فامتنع وقال هذا جهاد وان مت كان لى ثواب شهيد

(خروج منكبرس على السلطان محمد ونكبته)

كان منكبرس بن بورس بن الب ارسلان مقيما باصبهان وانقطعت عنه المواد من
السلطان فخرج الى نهاوند ودعا لنفسه وكاتب الامراء بنى برسق بخورستان يدعوهم الى
طاعته وكان أخوهم زنكين عند السلطان محمد فقبض عليه وكاتب اخوته فى التدبير
على منكبرس فأرسلوا اليه بالطاعة حتى جاءهم فقبضوا عليه بخورستان وبعثوا به الى
اصبهان فاعتقل مع ابن عمه تتش وأطلق زنكين بن برسق وأعيد الى مرتبته وكانت
اقطاع بنى برسق الاسير وسابور وخورستان وغيرها ما بين الاهواز وهمذان فعوضهم
عنها بالدينور وأخرجهم من تلك الناحية والله تعالى أعلم

* (مقتل فخر الملك بن نظام الملك) * قد ذكرنا قبل ان فخر الملك بن نظام الملك كان وزيرا لتتش ثم حبسه ولما هزمه بركيارق وجده في محبسه اطلقه وكان أخوه مؤيد الملك وزير له فمال اليه فخر الدولة بسعاية مجد الملك البارسلاني واستوزره سنة ثمان وثمانين ثم فارق وزارته ولحق بسنجر بن ملك شاه بخراسان فاستوزره لما كان في آخر المائة الخامسة جاء باطني يتظلم الى باب داره فأدخله يسمع شكواه فطعنه بخنجر فقتله وأمر السلطان سنجر بضربه فأقر على جماعة من الناس وقتل

* (ولاية جاولي سكاور على الموصل وموت جكرمس) *

كان جاولي سكاور قد استولى على ما بين خورستان وفارس فعمر قلاعها وحصنها وأساء السيرة في أهلها فلما استقل السلطان محمد بالملك خافه جاولي وأرسل السلطان اليه الامير مودود بن أنوتكين فتحصن منه جاولي وحاصره مودود ثمانية أشهر ودس جاولي الى السلطان بطلب غيره فأرسل اليه خاتمه مع أمير آخر فسار اليه باصبهان وجهزه في العساكر لجهاد الافرنج بالشأم واسترجاع البلاد منهم وكان جكرمس صاحب الموصل قد قطع الحمل فأقطع السلطان الموصل وديار بكر والجزيرة لجاولي فسار الى الموصل وحمل طريقه على بغداد على البوازيج فاستباحها أياما ثم سار الى اربل وكان صاحبها أبو الهيجاء بن برشك الكردي الهرباني الى جكرمس يستحثه فسار في عسكر الموصل والتقوا قريبا من اربل فانهزم أصحاب جكرمس وكان يحمل في المحفة فقاتل عنده غلمانه وأحمد بن قاروت بك فخرج وانهزم الى الموصل

ومات وجيء بجكرمس بنفسه ووصل من الغد الى الموصل فولوا ازنكين بن جكرمس وأقام بالجزيرة وقام بأمره غرغلي مولى أبيه وفرق الاموال والخيول وكتب الى قليج ارسلان صاحب بلاد الروم مستنجدا وكان قد شيد الموصل وبنى أسوارها وحصنها بالخندق وبينما هو كذلك سار اليه قليج ارسلان من بلاد الروم باستدعاء غرغلي كما تقدم وانتهى الى نصيبين فرحل جاولي عن الموصل ثم جاء البرسقي شحنة بغداد ونزل عن الموصل وخاطبهم فلم يجيبوه فرجع من يومه وسار قليج ارسلان من نصيبين الى الموصل وتأخر عنها جاولي الى سنجار واجتمع ابن الغازي بن ارتق وجماعة من عسكر جكرمس وجاء جريح رضوان بن تتش من الشأم على الافرنج فسار الى الرحبة وبعث أهل الموصل وعسكر جكرمس الى قليج ارسلان بنصيبين واستحلفوه فحلف وجاء الى الموصل فملكها في منتصف ختام المائة الخامسة وخلع على ابن جكرمس وخطب لنفسه بعد الخليفة وقطع خطبة السلطان محمد ... الى العسكر وأخذ القلعة من غرغلي مولى جكرمس وأقر القاضي أبا محمد عبد الله بن القاسم الشهرزوري على القضاء وجعل

الرياسة لابى البركات محمد بن محمد بن خميس وكان فى جملة فلهم ارسلان ابراهيم بن ينال التركمانى صاحب آمد ومحمد بن جوا صاحب خرتبرت كان ابراهيم ابن ينال ولاه تتش على آمد فبقيت بيده وكان ابن جوا ملك خرتبرت من يد القلادروس ترجمان الروم كانت له الرها وانطاكية فملك سليمان قطلمش انطاكية وبقيت له الرها وخرتبرت وأسلم القلادروس على القيام بأعماله فملك محمد بن جوا خرتبرت وأسلم القلادروس فلما ولى فخر الدولة بن جهير ديار بكر ضعف القلادروس عن الرها على يد ملكشاه وأمره عليها ولما سار جاولى الى الرحبة فاصدا صريخ رضوان بن تتش نزل عليها آخر رمضان من السنة وحاصرها وبها محمد بن السباق من بنى شيبان ولاه عليها دقاق فاستبد بها وخطب لقليج ارسلان فحاصره جاولى وكتب الى رضوان يستدعيه ويعده بالمسير معه لدفاع فجاء رضوان وحاصر معه الرحبة ثم دس الى جاولى جماعة من حامية الاسوار فوثبوا بها وأدخلوا وملك البلد وأبقى على محمد الشيبانى وسار معه ثم ان قليج ارسلان لما فرغ من أمر الموصل ولى عليها ابنه ملكشاه فى عسكر ومعه أمير يدبره وسار الى قتال جاولى ورجع عنه ابراهيم بن ينال الى بلده آمد من الخابور فبعث الى بلده فى الحشد فعاجله جاولى بالحرب والتقوا فى آخر ذى القعدة من السنة وانهزم أصحاب قليج ارسلان على دفاعه وأعاد الخطبة للسلطان واستصفى أصحاب جكرمس ثم سار الى الجزيرة وبها حبيش بن جكرمس ومعه غزغلى من موالى أبيه فحاصره مدة ثم صالحه على ستة آلاف دينار ورجع الى الموصل وأرسل ملكشاه من قليج ارسلان الى السلطان محمد والله سبحانه وتعالى أعلم

(مقتل صدقة بن مزيد)

ولما استوحش صدقة بن مزيد صاحب الحلة من السلطان محمد سار اليه السلطان وملك أعماله ولقيه صدقة فهزمه السلطان وقتل فى المعركة كما ذكرنا ذلك فى أخبار صدقة فى دولة ملوك الحلة والله سبحانه وتعالى أعلم

(قدوم ابن عمار صاحب طرابلس على السلطان محمد) كان فخر الدولة أبو على بن عمار صاحب طرابلس استبد بها على العبيديين فلما ملك الافرنج سواحل الشأم رددوا عليها الحصار فضاقت أحوالها فلما انتظم الامر للسلطان محمد واستقام ملكه قصده فخر الملك بن عمار صريخا للمسلمين بعد أن استخلف على طرابلس ابن عمه ذا المناقب وفرق فى الجند عطاءهم لستة أشهر ورتب الحامكية فى مقاعدهم للقتال وسار الى دمشق فلقيه طغتكين أتابك وخيم بظاهرها أياما ورحل الى بغداد فأركب السلطان الامراء لتلقيه ولم يدخر عنه برا ولا كرامة وكذلك الخليفة وأتحف السلطان بهدايا وذخائر

نفيسة وطلب النجدة وضمن النفقة على العسكر فوعده بالنصر وأقام ثم لقي الامير
حسين بن أتابك طغتكين ليسير بالعساكر الى الموصل مع الامير مودود لقتال صدقة
جاولي ثم يسير حسين معه الى الشأم ثم رحل السلطان عن بغداد سنة احدى وخمسمائة
لقتال صدقة واستدعى ابن عمار وهو بالنهروان فودعه وسار معه الامير حسين الى
دمشق وكان ابن عمار لما سار عن طرابلس استخلف عليها ابن عمه ذا المناقب فانتقض
واجتمع مع أهل طرابلس على اعادة الدولة العلوية وبعثوا الى الافضل بن أمير الجيوش
المستبد على الدولة بمصر بطاعتهم ويسألون الميرة فبعث اليهم شرف الدولة بن أبي الطيب
واليا ومعه الزاد من الاقوات والسلاح فدخل البلد وقبض على أهل ابن عمار وأصحابه
واستصفى ذخائرهم وحمل الجميع الى مصر في البحر

(استيلاء مودود بن أبي شتكين على الموصل من يد جاولي)

قد تقدم لنا استيلاء جاولي على الموصل من يد قليج بن ارسلان وابن جكرمش وهلاكهما
على يده واستفحل ملكه بالموصل وجعل السلطان محمد بن البية ولاية ما يفتحه من البلاد له
فقطع الحمل عن السلطان واستنفره لحرب صدقة فلم ينفر معه وداخل صدقة بأنه معه
فلما فرغ السلطان من أمر صدقة بعث مودود بن أبي شتكين في العساكر وولاه
الموصل وبعث معه الامراء ابن برسق وسقمان القطبي واقسنقر البرسقي ونصر بن
مهلهل بن أبي الشوك الكردي وأبو الهيجاء صاحب أربل مددا فوصلوا الموصل
وخيموا عليها فوجدوا جاولي قد استعد للحصار وحبس الاعيان وخرج عن البلد وترك
بها زوجته هي وابنة برسق في ألف وخمسمائة مقاتل فأحسن في مصادرة الناس واشتد
عليهم الحصار فلما كان المحرم سنة ثنتين خرج بعض الحامية من فرجة من السور
وأدخلوا منها مودود والعساكر وأقامت زوجة جاولي بالقلعة ثمانية أيام ثم استأمنت
وخرجت الى أخيها يوسف بن برسق بأموالها واستولى مودود على الموصل وأعمالها
وأما جاولي فلما سار عن الموصل حمل معه القمص الذي كان أسره بنعمان وأخذه منه
جكرمش وسار به الى نصيبين وسأل من صاحبها ابو الغازي بن ارتق المظاهرة على
السلطان فلم يجبه الى ذلك ورحل عن نصيبين الى ماردين بعد ان ترك ابنه مقيما مع
الحامية فتبعه جاولي ودخل عليه وحده بالقلعة متطارحا عليه فأجابه وسار معه الى
نصيبين ثم الى سنجار وحاصراها فامتنعت عليهما ثم هرب ابو الغازي ليلا الى نصيبين
وتركه فسار جاولي الى الرحبة وأطلق القمص بردويل لخمس سنين من الصرة على مال
قرره عليه وأسرى من المسلمين يطلقهم وعلى النصرة مهما طلبه وأرسله الى سالم بن مالك
بقلعة جعفر حتى جاء ابن خالته جوسكر صاحب تل باشر من زعماء الفرنج وكان أسر

مع القمص فافتدى بعشرين ألف دينار وأقام جوسكر رهينة وسار القمص الى
انطاكية ثم أطلق جاولي جوسكر وأخذ رهنا عنه صهره وصهر القمص وبعثه في اتمام
ما ضمن ولما وصل الى انطاكية أعطاه شكري صاحبها ثلاثين ألف دينار وخيلا وسلاحا
وغير ذلك وكانت الرها وسروج بيد القمص ولما أسر ملك جكرمش الرها من أصحابه
طلبها منه الآن فلم يجبه فخرج القمص مغاضبا له ولحق بتل باشر وقدم عليه جوسكر
عندما أطلقه جاولي ثم سار اليهما شكري ليحاربهما قبل اجتماع أمرهما فحاصرهما أياما
ورجع القمص وجوسكر على حصون شكري صاحب انطاكية واستمد أبو سيل الارمني
صاحب رعبان وكيسوم والقلاع شمالي حلب فأنجدهم بألف فارس وسار اليهم شكري
وحضر البترك وشهد جماعة من القسيسين والبطارقة أن أسمند خال شكري قال له عند
ما ركب البحر الى بلاده أعد الرها الى القمص اذا خلص من الاسر فحكم البترك
باعادتها فأعادها تاسع صفر من السنة وعبر القمص الفرات ليرفع الى جاولي المال
والاسرى كما شرط له وكان جاولي لما أطلق القمص سار الى الرحبة ولقيه أبو النجم بدران
وأبو كامل منصور وكانا مقيمين بعد قتل أبيهما عند سالم بن مالك فاستنجداه ووعداه
أن يسير معهما الى الحلة واتفقوا على تقديم ابي الغازي تكين ثم قدم عليهم اصبهبذ صباوو
وقد أقطعه السلطان الرحبة فأشار على جاولي بقصد الشام لخلوها عن العساكر والتجنب
عن العراق وطريق السلطان فقبل اشارته وأحصر على الرحبة ثم وفد عليه صريخ سالم
ابن مالك صاحب جعفر يستغيث به من بني نمير وكان جيوش البصري قد نزل على بن سالم
بالرقة وملكها وسار اليه رضوان من حلب فصالحه بنو نمير بالمال ورجع عليهم فاستنجد
سالم الآن جاولي فجاء وحاصر بني نمير بالرقة سبعين يوما فأعطوه مالا وخيلا ورحل عنهم
واعتذر لسالم ثم وصل جاولي الى الامير حسين بن أتابك قطلغ تكين كان أبوه أتابك
السلطان محمد بكنجة فقتله وتقدم ولده هذا عند السلطان وبعثه مع ابن عمار ليصلح أمر
جاولي وتسير العساكر كلها الى الجهاد مع ابن عمار فأجاب جاولي لذلك وقال لحسين سر الى
الموصل ورحل العساكر عنها وأنا أعطيك ولدي رهينة وتكون الجباية لوال من قبل
السلطان فجاء حسين الى العساكر قبل أن يفتحوها فكلهم أجاب الا الامير مودود
فانه امتنع من الرحيل الا باذن من السلطان وأقام محاصرا لها حتى افتتحها وعاد ابن
قطلغ الى السلطان فأحسن الاعتذار عن جاولي وسار جاولي الى بالس فملكها من
أصحاب رضوان بن تتش وقتل جماعة من أهلها فيهم القاضي محمد بن عبد العزيز بن
الياس وكان فقيها صالحا ثم سار رضوان بن دقاق لحرب جاولي واستمد شكري صاحب
انطاكية فأمده بنفسه وبعث جاولي الى القمص بالرها يستمده وترك له مال المفاداة فجاء

اليه بنفسه ولحقه بمنبج وجاء الخبر الى جاولى باستيلاء مودود وعساكر السلطان على
الموصل وعلى خزائنه فاضطرب أمره وانفض عنه كثير من أصحابه منهم زنكى بن
اقسنقر وبكتاش وبقى معه اصبهبذ صباوو وبدروان بن صدقة وابن جكرمس وانضم
اليه كثير من المتطوعة ونزل تل ناشر وأتى عسكر رضوان وسكرى وكادا يهزمهم
لولا أن أصحابه ساروا عنه وسار فى اتباعهم فأبوا عليه فمضى منهزما وقصد اصبهبذ الشأم
وبدروان بن صدقة قلعة جعفر وابن جكرمس جزيرة ابن عمر وقتل من المسلمين خلق
ونهب صاحب انطاكية سوادهم وهرب القمص وجوسكر الى تل ناشر وكان المنهزمون
من المسلمين يمرون بهم فيكرمونهم ويجيزونهم الى بلادهم ولحق جاولى بالرحبة فلقى بها
سرايا مودود وصاحب الموصل وتخفى عنهم فارتاب فى أمره ولم ير الخير له من قصد
السلطان محمد ثقة بما ألقى اليه حسين بن قطلغ تكين فى شأنه فأوغر فى السير ولحق
بالسلطان قريبا من اصبهان ونزل حسين بن قطلغ فدخل به الى السلطان فأكرمه
وطلب منه بكتاش بن عمه تتش واعتقله باصبهان

(مقتل مودود بن توتكين صاحب الموصل فى حرب الافرنج وولاية البرسقى مكانه)

كان السلطان محمد قد أمر مودودا صاحب الموصل سنة خمس وخمسمائة بالمسير لقتال
الافرنج وأمده بسقمان القطبى صاحب ديار بكر وأرمينية وايا كى وزنكى ابنى برسق
أمراء همدان وما جاورها والامير أحمديك أمير مراغة وأبو الهيجاء صاحب اربل
والامير أبو الغازى صاحب ماردين وبعث اليه اياز مكانه فسار الى سنجار وفتحوا
حصونا للافرنج وحاصروا مدينة الرها فامتنعت عليهم وأقام الافرنج على الفرات بعد
أن طرقوا أعمال حلب فعاثوا فيها ثم حاصر العساكر الاسلامية قلعة تل ناشر فامتنعت
ودخلوا الى حلب فامتنع رضوان من لقائهم فعادوا ومات سقمان القطبى فى دلاس
فحمله أصحابه فى تابوت الى بلاده واعترضهم أبو الغازى بن ارتق ليأخذهم فهزموه ثم
افترقت العساكر بمرض ابن برسق ومسير أحمد بن صاحب مراغة الى السلطان لطلب
بلاد سقمان القطبى واجتمع قطلغتكين صاحب دمشق بمودود ونزل معه على نهر
القاضى وسمع الافرنج بافتراق العساكر فساروا الى ماميا وجاء السلطان ابن منقذ
صاحب شيراز الى مودود وقطلغتكين وحرضهما على الجهاد ونزلوا جميعا على شيراز
ونزل الفرنج قبالتهم ثم رأوا قوة المسلمين فعادوا الى فامية ثم سار مودود سنة ست الى
الرها وسروج فعاث فى نواحيها فكبسه جوسكر صاحب تل ناشر فى الافرنج ونال منه
ثم اجتمع المسلمون سنة سبع للجهاد باستنجاد قطلغتكين صاحب دمشق لمودود فاجتمع
معه بنزل صاحب سنجار واياز بن أبى الغازى وعبروا الفرات الى قطلغتكين وقصدوا

القدس فسار اليهم صاحبها بقزوين ومعه جوبكر ومعه تل ناشر على جيشه ونزلوا
الاردن واقتتلوا قريبا من طبرية فانهزم الافرنج وقتل كثير منهم وغرق كثير في
بحيرة طبرية ونهر الاردن وغنم المسلمون سوادهم ثم لقيهم عسكر طرابلس وانطاكية
من الفرنج فاستعانوا بهم وعاودوا الحرب ونزلوا في جبل طبرية فحاصرهم فيه المسلمون
ثم ساروا فعاثوا في بلاد الافرنج ما بين عكا الى القدس ثم نزلوا دمشق وفرق مودود
عساكره ووعدهم العود من قابل للجهاد ودخل دمشق ليستريح عند قطلغتكين
فصلى الجمعة في الجامع فطعنه باطني فأثواه وهلك لآخر يومه واتهم قطلغتكين به
وقتل الباطني من يومه ولما بلغ الخبر السلطان بقتل مودود ولى على الموصل وأعمالها
اقسنقر البرسقي سنة ثمان وخمسمائة وبعث معه ابنه الملك مسعود في جيش كثيف
وأمره بجهاد الافرنج وكتب الى الامراء بطاعته فوصل الى الموصل واجتمعت
اليه عساكر النواحي فيهم عماد الدين زنكي بن اقسنقر وغيره صاحب سنجار وسار
البرسقي الى جزيرة ابن عمر فأطاعه نائب مودود بها ثم سار الى ماردين فأطاعه
أبو الغازي صاحبها وبعث معه ابنه اياز فسار الى الرها فحاصرها شهرين ثم ضاقت
الميرة على عسكره ثم رحل الى شميشاط بعد ان خرب نواحي الرها وسروج وشميشاط
وكانت مرعش للافرنج هي وكسوم ورعبان وكان صاحبها كراسل واتفقت وفاته
وملكت زوجته بعده فراسلت البرسقي بالطاعة وبعث اليها رسوله فأكرمته ورجعته
الى البرسقي بالهدايا والطاعة وفرعنها كثير من الافرنج الى انطاكية ثم قبض البرسقي
على اياز بن أبي الغازي لاتهامه اياه في الطاعة فسار اليه أبو الغازي في العساكر وهزمه
واستنقذ ابنه ايازمن أسره كما ترى في أخبار دولة أبي الغازي وبنيه وبعث السلطان
يهدده فوصل يده بقطلغتكين صاحب دمشق والفرنج وتحالفوا على التظاهر ورجع أبو
الغازي الى ديار بكر فسار اليه قرجان بن مراجا صاحب حمص وقد تفرق عنه أصحابه
فظفر به وأسره وجاء قطلغتكين في عساكره وبعث الى قرجان في اطلاقه فامتنع وهم
بقتله فعاد عنه قطلغتكين الى دمشق وكان قرجان قد بعث الى السلطان بخبره وانتظر
من يصل في قتله فأبطأ عليه فأطلق أبا الغازي بعد ان توثق منه بالحلف وأعطاه ابنه
ايازرهينة ولما خرج سار الى حلب وجمع التركمان وحاصر قرجان في طلب ابنه الى أن
جاءت عساكر السلطان

(مسير العساكر لقتال أبي الغازي وقطلغتكين والجهاد بعدهما)

ولما كان ماذكرناه من عصيان أبي الغازي وقطلغتكين على السلطان محمد وقوة الفرنج
على المسلمين جهز السلطان جيشا كثيرا مقدمهم الامير برسق صاحب همدان ومعه

الامير حيوس بك والامير كشغرة وعساكر الموصل والجزيرة رأسهم بقتال أبي الغازي وقطلغتكين فاذا فرغوا منهما ساروا الى الفرنج فارتجعوا البلاد من أيديهم فساروا لذلك في رمضان من سنة ثمان وعبروا الفرات عند الرقة وجاؤا الى حلب وطلبوا من صاحبها لؤلؤ الخادم ومن مقدم العسكر المعروف بشمس الخواص تسليم حلب بكتاب السلطان في ذلك فتعلل عليهم وبعث الى أبي الغازي وقطلغتكين بالخبر واستنجدهما فسارا اليه في ألفين وامتنعت حلب على عساكر السلطان فسار برسق بالعساكر الى حماة وهي لقطلغتكين فملكها عنوة وسلمها الى قرجان صاحب حمص بعهد السلطان له بذلك في كل ما يفتحونه من البلاد فثقل ذلك على الامراء وتخاذلوا وتسلم قرجان حماة من برسق وأعطاه ابن أبي الغازي ابنه رهينة عنده ثم سار أبو الغازي وقطلغتكين وشمس الخواص الى انطاكية مستنجدين بصاحبها ردويل وجاءهم بعد ذلك بغدوين صاحب القدس وصاحب طرابلس وغيرهما من الافرنج واتفقوا على تأخير الحرب الى انصرام الشتاء واجتمعوا بقلعة أفامية وأقاموا شهرين وانصرم الشتاء والمسلمون مقيمون فوهنت عزائم الافرنج وعادوا الى بلادهم وعاد أبو الغازي الى ماردين وقطلغتكين الى دمشق وسار المسلمون الى كفرطاب من بلاد الافرنج فحاصروه وملكوه عنوة وأسروا صاحبه واستلموا من فيه ثم ساروا الى قلعة افامية فامتنعت عليهم فعادوا الى المعرة وفارقهم حيوس بك الى مراغة فملكها وسارت العساكر من المعرة الى حلب وقدموا أثقالهم وخيامهم فصادفهم بردويل صاحب انطاكية في خمسمائة فارس وألفي راجل صريخا لاهل كفرطاب وصادف مخيم العسكر فقتلهم وفعل الافاعيل وهم متلاحقون وجاء الامير برسق وعاين مصارعهم وأشار عليه اخوته بالنجاء بنفسه فنجا بنفسه واتبعهم الافرنج ورجعوا عنهم على فرسخ وعاثوا في المسلمين في كل ناحية وقتل اياز بن أبي الغازي قتله الموكلون به وجاء أهل حلب وغيرها من بلاد المسلمين ما لم يحتسبوه ويئسوا من النصرة ورجعت العساكر منهزمة الى بلادها وتوفي برسق زنكي سنة عشر بعدها

(ولاية حيوس بك ومسعود بن السلطان محمد على الموصل)

ثم أقطع السلطان الموصل وما كان بيد اقسنقر البرسقي للامير حيوس بك وبعث معه ابنه مسعودا وأقام البرسقي بالرحبة وهي اقطاعه الى أن توفي السلطان محمد

(ولاية جاولي سكاو على فارس وأخباره فيها ووفاته)

كان جاولي سكاو لما رجع الى السلطان محمد ورضي عنه ولاه فارس وأعمالها وبعث معه ابنه جغري بك طفلا كما فصل من الرضاع وعهد اليه باصلاحها فسار اليها ومر

بالامير بلداجي في بلاده كيل وسرماة وقلعة اصطخر وكان من مماليك السلطان
ملك شاه فاستدعاه للقاء جعفري بك وتقدم اليه بأن يأمر بالقبض عليه فقبض
عليه ونهبت أمواله وكان أهله وذخائره في قلعة اصطخر وقد استناب فيها وزيره الجهمي
ولم يمكنه الامن بعض أهله فلما وصل جاولي الى فارس ملكها منه وجعل فيها ذخائره
ثم أرسل الى خسرو وهو الحسين بن مبارز صاحب نسا وأمير الشوانكارة من
الاكراد فاستدعاه للقاء جعفري بك من السلطان خشية مما وقع لبلداجي
فأعرض عنه وأظهر الرجوع الى السلطان ومضى رسول خبره فبشره بانصرافه عن
فارس فما أدى اليه الخبر الا وجاولي قد خالطهم رجع من طريقه وأوغل في السير
اليهم ثم هرب خسرو الى عمه الجد وقتل جاولي في أصحابه وماله ثم سار جاولي الى مدينة نسا
فملكها ونهب جهرم وغيرها وسار الى خسرو فامتنع عليه بحصنه فرجع الى شيراز وأقام
بها ثم سار الى كازرون فملكها وحاصر أبا سعد بن محمد في قلعته مدة عامين
وراسله في الصلح فقتل الرسل مرتين ثم اشتد عليه الحصار واستأمن فأمنه وملك الحصن
ثم استوحش من جاولي فهرب وقبض على ولده وجيء به أسيرا فقتل ثم سار جاولي
الى دارابكرد فهرب صاحبها ابراهيم الى كرمان وصاحبها ارسلان شاه بن كرمان شاه
ابن ارسلان بك بن قاروت بك فسار جاولي الى حصار درابكرد فامتنعت عليه فخرج
الى البرية ثم جاءهم من طريق كرمان كأنه مدد لهم من صاحب كرمان فأدخلوه فملك
البلد واستلحم أهله ثم سار الى كرمان وبعث الى خسرو مقدم الشوذ كان يستدعيه
للمسير معه فلم يجد بدا من موافقته وجاء وصاحبه الى كرمان وبعث الى ملك كرمان
باعادة الشواذ كان الذين عنده فبعث بالشفاعة فيهم فاستخلص السلطان الرسول
بالاحسان وحثه على صاحبه ووعده بأن يرد العساكر عن وجهه ويخذلهم عنه
ما استطاع وانقلب عنه الى صاحبها في عساكر كرمان مع وزيره بالسيرجان فتراءى لهم
أن جاولي عازم على مواصلتهم وانه مستوحش من اجتماع العساكر بالسيرجان وأشار
عليه بالرجوع فرجعوا وسار جاولي في أثر الرسول وحاصر حصنا بطرف كرمان فارتاب
ملك كرمان بخبر الرسول ثم اطلع عليه من غير جامعة فقتله ونهب أمواله وبعث
العساكر لقتاله واجتمع معهم صاحب الحصن المحاصر وسلك بهم غير الجادة وسمع جاولي
بخبرهم فأرسل بعض الامراء ليأتيه بالخبر فلم يجد بالجادة أحدا فرجع وأخبره أن عسكر
كرمان قد رجع فاطمأن ولم يكن الا قليل حتى بيته عساكر كرمان في شوال سنة ثمان
وخمسمائة فانهزم وفتكوا فيه قتلا وأسرا وأدركه خسرو بن أبي سعد الذي كان قتل أباه
فلما رآهما خاف منهما فآنساه وأبلغاه الى مأمنه بمدينة نسا ولحقته عساكره وأطلق

ملك كرمان الاسرى وجهزهم اليه وبينما هو يجهز العساكر لكرمان لاخذ ثاره توفى جعفرى بك ابن السلطان فى ذى الحجة من سنة تسع لخمس سنين من عمره فقطعه ذلك عن معاداة كرمان ثم بعث ملك كرمان الى السلطان ببغداد فى منع جاولى عنه فقال له لا بد أن تسلم الحصن الى حاصره جاولى فى حد كرمان وانهزم عليه وهو حصن فرج ثم توفى جاولى فى ربيع سنة عشر فامنوا اعادته والله سبحانه وتعالى أعلم

(وفاة السلطان محمد وملك ابنه محمود)

ثم توفى السلطان محمد بن ملك شاه آخر ذى الحجة سنة اثنتى عشرة من ملكه بعد ان أجلس ولده محمودا على الكرسى قبل وفاته بعشر ليال وفوض اليه أمور الملك فلما توفى نفذت وصيته لابنه محمود فأمره فيها بالعدل والاحسان وخطب له ببغداد وكان مناهز الحلم وكان السلطان محمد شجاعا عادلا حسن السيرة وله آثار جميلة فى قتال الباطنية قد مرّ ذكرها فى أخبارهم ولما ولى قام بتدبير دولته الوزير أبو منصور وأرسل الى المستظهر فى طلب الخطبة ببغداد له فى منتصف المحرم من سنة ثنتى عشرة وأقر طهرون شحنة على بغداد وقد كان السلطان محمد ولاه عليها سنة ثنتين وخمسمائة ثم عاد البرسقى وقاتله وانهزم الى عسكر السلطان محمود على الحلة دبيس بن صدقة وقد كان عند السلطان محمد منذ قتل أبوه صدقة وأحسن اليه وأقطعه وولى على الحلة سعيد ابن حميد العمرى صاحب جيش صدقة فلما توفى رغب من ابنه السلطان محمود العود الى الحلة فأعاده واجتمع عليه العرب والاكراد

(وفاة المستظهر وخلافة ابنه المسترشد)

ثم توفى المستظهر بن المقتدى سنة ثنتى عشرة وخمسمائة منتصف ربيع الآخر ونصب للخلافة ابنه المسترشد واسمه الفضل وقد تقدم ذلك فى أخبار الخلفاء

(خروج مسعود بن السلطان محمد على أخيه محمود)

تقدم لنا أن السلطان ولى على الموصل ابنه مسعودا ومعه حيوس بك وان السلطان محمودا ودبيس بن صدقة سارا الى الحلة فلما توفى السلطان محمد وولى ابنه محمود سار مسعود من الموصل مع اتابك حيوس بك ووزيره فخر الملك على بن عمار وقسيم الدولة وزنكى بن اقسنقر صاحب سنجار وأبى الهيجاء صاحب اربل وكرباوى بن خراسان صاحب البوازيج وقصدوا الحلة فدافعهم دبيس فرجعوا الى بغداد وسار البرسقى الى قتالهم فبعث اليه حيوس بك بأنهم انما جاؤا الطلب الصريخ على دبيس صاحب

الحلة فاتفقوا وتعاهدوا ونزل مسعود بدار الملك ببغداد وجاء الخبر بوصول عماد الدين منكبرس الشحنة وقد كان البرسقي هزم ابنه حسينا كما مر فسار بالعساكر الى البرسقي فلما علم بدخول مسعود الى بغداد عبر دجلة من النعمانية الى دبيس بن صدقة فاستنجده وخرج مسعود وجيوش بك والبرسقي ومن معهم للقائهم وانتهوا الى المدائن فأتتهم الاخبار بكثرة جموع منكبرس ودبيس فرجعوا وأجازوا نهر صرصر ونهبوا السواد من كل ناحية وبعث المسترشد الى مسعود والبرسقي والحث على الموادعة والصلح وجاءهم الخبر بأن منكبرس ودبيس بعثا مع منصور أخي دبيس وحسين بن ارز وبني منكبرس عسكرا الحاية بغداد فرجع البرسقي الى بغداد دليلا ومعه زنكي بن أقسنقر وترك ابنه عز الدين مسعودا على العسكر بصرصر فالتقى ومنع عسكر منكبرس من العبور وأقام يومين ثم وافاه كتاب ابنه بأن الصلح تم بين الفريقين بعده ففشل وعبر الى الجانب الغربي ومنصور وحسين في أثره ونزلا عند جامس السلطان وخيم البرسقي عند القنطرة القبلية وخيم مسعود وجيوس بك عند المارستان ودبيس ومنكبرس تحت الرقة وعز الدين مسعود بن البرسقي عند منكبرس منفردا عن أبيه وكان سبب انعقاد الصلح ان جيوس بك أرسل الى السلطان محمود يطلب الزيادة له وللملك مسعود فأقطعهما اذربيجان ثم وصل الخبر بمسيرهما الى بغداد فاستشعر منهما العصيان وجهز العساكر الى الموصل فكتب اليه رسوله بذلك ووقع الكتاب بيد منكبرس الشحنة فبعث اليه وضمن له اصلاح الحال له وللسلطان مسعود وكان منكبرس متزوجا بأم السلطان مسعود واسمها سرجهان فكان يؤثر مصلحته فاستقر الصلح واتفقوا على اخراج البرسقي من بغداد الى الملك وأقام عنده واستقر منكبرس شحنة بغداد وساء أثره في الرعية وتعرض لاموال الناس وحرمهم وبلغ الخبر الى السلطان محمود فاستدعاه اليه فبقي يدافع ثم سار خوفا من عامة بغداد والله سبحانه وتعالى أعلم

(خروج الملك طغرلبك على أخيه السلطان محمود)

كان الملك طغرلبك بن السلطان محمد عند وفاة أبيه مقيما بقلعة سرجهان وكان أبوه أقطعه سنة أربع ساوة وآوة وزنجان وجعل اتابك الامير شيركير الذي حاصر قلاع الاسماعيلية كما مر في أخبارهم وكان عمره يومئذ عشرا فأرسل السلطان محمد الامير كسعدي أتابك له وأعمله اليه وكان كسعدي ساقدا عليه فحمل طغرلبك على العصيان ومنعه من المجيء الى أخيه وانتهى ذلك الى محمود فأرسل الى أخيه بتحف وخلع وثلاثين ألف دينار ومواعد جميلة فلم يصغوا اليها وأجابه كسعدي اننا في الطاعة ومعترضون لمراسم الملك فسار اليهم السلطان معد اليكبسهم وبحسل طريقه على قلعة شهران التي فيها ذخائر طغرلبك

وأمواله وغاب الخبر الى طغرل وكسعدى نفر جادن العسكر فى خفية قاصدين شهران وأخلى الطريق عنهما الماسبق من الالطف فوقعا على قلعة سرجهان وجاء السلطان الى العسكر فأخذ خزائن أخيه طغرل وفيها ثمانمائة ألف دينار ثم أقام بزنجان أياما ولحق منها بالرى ولحق طغرل وكسعدى بكنجة واجتمع اليه أصحابه وتمكنت الوحشة بينه وبين أخيه

(فتنة السلطان محمود مع عمه سنجر)

ولما توفى السلطان محمود وبلغ الخبر الى أخيه سنجر بخراسان أظهر من الجزع والحزن مالم يسمع بمثله حتى جلس للعزاء على الرماد وأغلق بابه سبعا ثم سمع بولاية ابنه محمود فنكر ذلك وعزم على قصد بلاد الجبل والعراق وطلب السلطنة لنفسه مكان أخيه وكان قد سار الى غزنة سنة ثمان وخمسين وفتحها وتنكر لوزيره أبى جعفر محمد بن فخر الملك أبى المظفر ابن نظام الملك لما بلغه أنه أخذ عليه الرشوة من صاحب غزنة ليثنيه عن قصده اليه وفعل مثل ذلك بما وراء النهر وامتحن أهل غزنة بعد فتحها وأخذ منها أموالا عظيمة وشكا اليه الامراء اهانته اياهم فلما عاد الى بلخ قبض عليه وقتله واستصفى أمواله وكانت لا يعبر عنها كان فيها من العين وحده ألف ألف دينار مرتين واستوزر بعده شهاب الاسلام عبد الرزاق بن أخى نظام الملك وكان يعرف بابن الفقيه فلما مات أخوه السلطان محمد عزم على طلب الامر لنفسه وعاوده الندم على قتل وزيره أبى جعفر لما يعلم من اضطلاعه بمثلها ثم ان السلطان محمودا بعث اليه يستعطفه بالهدايا والتحف وضمن له ما يزيد عن مائتى ألف دينار كل سنة وبعث فى ذلك شرف الدين أنوشروان بن خالد وفخر الدين طغرل فقال لهما سنجر ان ابن أخى صغير وقد تحكم عليه وزيره وعلى ابن عمر الحاجب فلا بد من المسير وبعث فى مقدمته الامير انز وسار السلطان محمود وبعث فى مقدمته الحاجب على بن محمد وكان حاجب أبيه قبله فلما تقاربت المقدمتان بعث الحاجب على بن عمر الى الامير أنز وهو بجرجان بالعتاب وتوعده بالوعيد فتأخر عن جرجان فلحقته بعض العساكر ونالوا منه ورجع الحاجب الى السلطان محمود بالرى فشكر له فعله وأقاموا بالرى ثم ساروا الى كرمان وجاءته الامداد من العراق مع منكبرس ومنصور بن صدقة أخى دبيس وأمراء فسار الى همدان وتوفى وزيره الربيب فاستوزر أبا طالب الشهيرى ثم سار السلطان فى عشرين ألفا وثمانية عشر فيلا ومعه ابن الامير أبى الفضل صاحب سجستان وخوارزم شاه محمد والامير انز والامير قماج وكرشاسف بن صرام بن كاكويه صاحب برد وهو صهره على أخته وكان خصيصا بالسلطان محمد فاستدعاه بعد موته سنجر وتأخر عنه وأقطع بلده اقراجا

السامر فبادر اليه وتراجعوا بقرب ساوة في جمادى ثالث عشر فسبقت عساكر السلطان محمود الى الماء من أجل المسافة التي بين ساوة وخراسان وكانت عساكر السلطان ثلاثين ألفا ومعه الحاجب علي بن عمر ومنكبرس وأتابك غرغلي وبنو برسق واقسنقر البخاري وقراجا الساقي ومعه سبعمائة جمل من السلاح فعندما اصطفوا الى الحرب انهزم عساكر السلطان سنجر ميمنة وميسرة وثبت هو في القلب والسلطان محمود قبالته وحمل السلطان سنجر في الفيلة فانهزمت عساكر السلطان محمود واسر أتابك غرغلي وكان يكاتب السلطان سنجر بأنه يحمل اليه ابن أخيه فعاتبه على ذلك ثم قتله ونزل سنجر في خيام محمود واجتمع اليه أصحابه ونجا محمود من الواقعة وأرسل دبيس ابن صدقة للمسترشد في الخطبة لسنجر فخطب له أواخر جمادى الاولى من السنة وقطعت خطبة محمود ثم ان السلطان سنجر رأى قلة أصحابه وكثرة أصحاب محمود فراسله في الصلح وكانت تحضه على ذلك فامتنع ولحق البرسقي بسنجر وكان عند الملك مسعود باذربيجان من يوم خروجه من بغداد فسار سنجر من همدان الى الكرخ وأعاد مراسلة السلطان محمود في الصلح ووعده بولاية عهده فأجاب وتحالفا على ذلك وسار محمود الى عمه سنجر في شعبان بهدية حافلة ونزل على جدته فتقبل منه سنجر وقدم له خمسة افراس عربية وكتب لعماله بالخطبة لمحمود بعده في جميع ولايته والى بغداد بمثل ذلك وأعاد عليه جميع ما أخذه من بلاده سوى الري وصار محمود في طاعة عمه سنجر ثم سار منكبرس عن السلطان محمود الى بغداد وبعث دبيس بن صدقة من منعه من دخولها فعاد ووجه الصلح بين الملكين قد أسفر فقصد السلطان سنجر مستجيرا به من الاستبداد ... ه وسيره لشحنة بغداد من غير اذنه ثم ان الحاجب علي بن عمر ارتفعت منزلته في دولته وكثرت سعاية الامراء فيه فأضمر السلطان نكبته فاستوحش وهرب الى قلعة له كان ينزل بها أهله وأمواله وسار منها الى خوزستان وكانت بنو برسق اسوري وابن أخويه ارغوى ابن ملكي وهدد بن زنكي بعثوا عسكرا يصدونه عن بلادهم ولقوه قريبا من تستر فهزموه وجاؤا به أسيرا وكاتبوا السلطان محمودا بأمره فأمرهم بقتله وحمل رأسه اليه ثم أمر السلطان سنجر باعادة مجاهد الذين تهددوا الى شحنة بغداد فعاد اليها وعزل نائب دبيس بن صدقة

(استبداد علي بن سكمان بالبصرة)

كان السلطان محمد قد أقطع البصرة للامير اقسنقر البخاري واستخلف عليها سنقر الشامي فأحسن السيرة فلما توفي السلطان محمد وثب عليه غرغلي مقدم الاتراك الاسماعيلية وكان يحج بالناس منذ سنين وسنقر ألبا وملكا البصرة من يده وحبساه

وذلك سنة احدى عشرة وهم سنقر البرسقي بقتاله فعارضه غرغلي فلم يرجع وقتله فقتله غرغلي به وسكن الناس وكان بالبلد أمير اسمه علي بن سكمان حج بالناس وغاب عن هذه الواقعة فغص به غرغلي لتمام الحج على يده وخشي أن يثأر منهم بسنقر البرسقي لتقدمه عليهم فأوغر الى عرب البرية فنهب الحاج (١) وانثنى علي بن سكمان في الدفاع عنهم الى أن قارب البصرة والعرب يقاتلونه فبعث اليه غرغلي بالمنع من البصرة فقصد القرى أسفل دجلة وصدق الحملة على العرب فهزمهم ثم سار اليه غرغلي وقاتله فأصابه سهم فمات وسار علي بن سكمان الى البصرة وملكها وكاتب اقسنقر البخاري صاحب عمان بالطاعة وأقرنوابه على أعماله وكان عند السلطان وطلبه أن يوليه البصرة فأبى وبقي ابن سكمان مستبدا بالبصرة الى أن بعث السلطان اقسنقر البخاري الى البصرة سنة أربع عشرة فملكها من علي بن سكمان

(استيلاء الكرج على تفليس)

كان الكرج قديما يغيرون على اذربيجان وبلاد اران قال ابن الاثير والكرج هم الخزر وقد بينا الصحيح من ذلك عند ذكر الانساب وان الخزر هم التركمان (٢) الا أن يكون الكرج من بعض شعوبهم فيمكن ولما استفحل ملك السلجوقية امسكوا عن الاغارة على البلاد المجاورة لهم فلما توفي السلطان محمد رجعوا الى الغارة فكانت سراياهم وسرايا القفجاق تغير على البلاد ثم اجتمعوا وكانت بلد الملك طغرل وهي اران ونقجوان الى أوس مجاورة لهم فكانوا يغيرون عليها الى العراق الملك بغداد ونزل على دبيس ابن صدقة فسار هو وأتابك كبغري ودبيس بن صدقة وأبي الغازي ابن ارتق وساروا في ثلاثين ألفا الى الكرج والقفجاق فاضطرب المسلمون وانهزموا وقتل منهم خلق وتبعهم الكفار عشرة فراسخ وعادوا عنهم وحاصروا مدينة تفليس وأقاموا عليها سنة وملكوها عنوة سنة خمس عشرة (٣) ووصل صريخهم سنة ست عشرة الى السلطان محمود بهمدان فسار لصريخهم وأقام بمدينة تبريز وانفذ عساكره الى الكرج فكان من أمرها ما نذكر ان شاء الله تعالى

(الحرب بين السلطان محمود وأخيه مسعود)

قد تقدم لنا مسير مسعود الى العراق وموت أبيه السلطان محمد وما تقرر بينهما من الصلح ورجوعه الى الموصل بلده وان السلطان محمودا زاده اذربيجان ولحق به قسيم الدولة البرسقي عندما طرده عن شحنة بغداد فأقطعه مسعود مراغة مضافة الى الرحبة وكاتب دبيس جيوش بك أتابك مسعود يحرضه على نكبة البرسقي وانه يباطن السلطان محمودا ووعده على ذلك بالاموال وحرضهم على طلب الامر لمسعود ليقع الاختلاف فيحصل له

اعلوا الكلمة كما حصل لابيه في فتنة بركيارق ومحمد وشعر البرسقي بسعاية دبيس فخشي على نفسه ولحق بالسلطان محمود فقبله وأعلى محله ثم اتصل بالملك مسعود الاستاذ أبو اسمعيل الحسين بن علي الاصبهاني الطغرائي (١) وكان ابنه أبو الوليد محمد بن أبي اسمعيل يكتب الطغري للملك مسعود فلما وصل أبوه استوزره مسعود وعزل أبا علي بن عمار صاحب طرابلس سنة ثلاث عشرة فأغرى مسعودا بالخلاف على أخيه السلطان محمود فكتب اليهم السلطان بالترغيب والترهيب فاظهروا أمرهم وخاطبوا الملك مسعودا بالسلطان وضربوا له النوب الخمس وأغروا اليه المسير وهو في خف من العسكر فسار اليهم في خمسة عشر ألفا وفي مقدمته البرسقي ولقيهم بعقبة استراباذ منتصف ربيع الاول سنة أربع عشرة فانهزم الملك مسعود وأصحابه وأسر جماعة من أعيانهم منهم الاستاذ أبو اسمعيل الطغرائي وزير الملك مسعود فأمر السلطان محمود بقتله وقال ثبت عندي فساد عقيدته وكان قتله لسنة من وزارته وكان كاتبا شاعرا يميل الى صناعة الكيمياء وله فيها تصانيف معروفة ولما انهزم الملك مسعود لحق ببعض الجبال على اثني عشر فرسخا من المعركة فاختفى فيه مع غلمان صغار وبعث يستأمن الى أخيه فأرسل اليه اقسنقر البرسقي يؤمنه ويجيء به اليه وخالفه اليه بعض الامراء فحرضه على اللحاق بالموصل واذربيجان ومكاتبة دبيس ومعاودة الحرب فسار معه لذلك وجاء البرسقي الى مكانه الاول فلم يجده فاتبعه الى أن أدركه على ثلاثين فرسخا وأعلمه حال أخيه من الرضا عنه وأعاده فرجع وتلقته العساكر بأمر السلطان محمود وأنزله عند أمه ثم أحضره وهش له وبكى وخلطه بنفسه وذلك لثمانية وعشرين يوما من الخطبة باذربيجان وأما جيوش بك الاتابك فافترق من السلطان من المعركة وسار الى الموصل وجمع الغلال من سوادها واجتمعت اليه العساكر وبلغه فعل السلطان مع أخيه فسار الى الزاب موريا بالصيد ثم أجد السير الى السلطان بهمدان فأمنه وأحسن اليه وبلغ الخبر بالهزيمة الى دبيس وهو بالعراق فنهب البلاد وأخربها وبعث اليه السلطان فلم يصغ الى كتابه

(ولاية اقسنقر البرسقي على الموصل ثم على واسط وشحنة العراق)

ولما وصل جيوش بك الى السلطان محمود بعثه الى أخيه طغرل وأتابك كنغري فسار الى كنجة وبقي أهل الموصل فوضى من غير وال وكان اقسنقر البرسقي قد أبلى في خدمة السلطان محمود وردّ اليه أخاه مسعودا يوم الهزيمة فعرف له حق نعمه وحسن أثره فأقطعه الموصل وأعمالها وما يضاف اليها كسنجار والجزيرة فسار اليها سنة خمس عشرة وتقدم الى سائر الامراء بطاعته وأمره بمجاهدة الافرنج واسترجاع البلاد منهم فوصل الى الموصل وقام بتدبيرها واصلاح أحوالها ثم أقطعه سنة ست عشرة بعدها

مدينة واسط وأعمالها مضافة الى الموصل وجعله شحنة بالعراق فسلم لقب عماد الدين زنكي بن اقسنقر وبعثه اليها فسار اليها في شعبان من السنة

(مقتل حيوس بك والوزير الشهيرمي)

ثم ان السلطان بعد وصول حيوس بك بعثه لحرب أخيه طغرل كم قلناه وأقطعه اذربيجان فتنكر له الامراء وأغروا به السلطان فقتله على باب هرمز في رمضان سنة عشر وأصله تركي من موالي السلطان محمد وكان عادلا حسن السيرة ولما ولي الموصل والجزيرة وكان الاكراد بتلك الاعمال انتشروا وكثرت قلاعهم وعظم فسادهم فقصدهم وفتح كثيرا من قلاعهم كبلد البكارية وبلد الزوزن وبلد الكوسة وبلد الحشية وهربوا منه في الجبال والشعاب والمضايق وصلحت السابلة وأمن الناس وأما الوزير الكمال أبو طالب الشهيرمي فانه برز مع السلطان دبيس الى همدان وخرج في موكبه وضاق الطريق تقدم الموكب بين يديه فوثب عليه باطني وطعنه بسكين فأنفذه واتبعه الغلمان فوثب عليه آخر فجذبه عن سرجه وطعنه طعنات وشردهم الناس عنه فوثب آخر فجذبه وذلك لاربع سنين من وزارته وكان سيء السيرة ظلوما غشوما كثير المصادر ولما قتل رفع السلطان ما كان أحدث من المكوس

(رجوع طغرل الى طاعة أخيه السلطان محمود)

قد ذكرنا عصيان طغرل على أخيه السلطان محمود بالري سنة ثلاث عشرة وأن السلطان محمود سار اليه وكبسه فلحق برجهان ثم لحق منها بكنجة وبلاد أران ومعه أتابك كبغري فاشتدت شوكته وقصد التغلب على بلاد اذربيجان وهلك كبغري في شوال سنة خمس عشرة ولحق باقسنقر الارمني صاحب مراغة ليقيم له الاتابكية وحرضه على قتال السلطان محمود فسار معه الى مراغة ومروا باردبيل فامتنعت عليهم فساروا الى هرمز وجاءهم الخبر هنالك بأن السلطان محمود بعث الامير حيوس بك الى أذربيجان وأقطعه البلاد وأنه وصل الى مراغة في عسكر كثيف فساروا عن هرمز الى
وانتقض عليهم وراسلوا الامير بشركين الذي كان أتابك طغرل أيام أبيه يستنجده وكان كبغري الاتابك قد قبض عليه بعد السلطان محمد ثم أطلقه السلطان سنجر وعاد الى أبهر وزنجان وكانت أقطاعه فأجاب داعيهم وسار أمامهم الى أبهر ولم يتم أمرهم فراسلوا السلطان في الطاعة وعاد طغرل الى أخيه وانتظم أمرهم

(مقتل وزير السلطان محمود)

كان وزير السلطان محمود شمس الملك بن نظام الملك وكان حظيا عنده فكثرت سعاية

أصحابه فيه وكان ابن عمه الشهاب أبو المحاسن وزير السلطان سنجر فتوفي واستوزر سنجر بعده أبا طاهر القمي عدو البني نظام الملك فأغرى السلطان سنجر حتى أمر السلطان محمود بنكبته فقبض عليه ودفعه الى طغرل فحبسه بقلعة جلال ثم قتله بعد ذلك وكان أخوه نظام الدين أحمد قد استوزره المسترشد وعزل به جلال الدين أبا علي ابن فلما بلغه نكبة شمس الملك ومقتله عزل أخاه نظام الدين وأعاد ابن الى وزارته والله سبحانه وتعالى أعلم

(ظفر السلطان بالكرج)

ثم وفد سنة سبع عشرة على السلطان محمود جماعة من أهل وشروان يستصرخونه على الكرج ويشكون ما يلقون منهم فسار اليهم لصريخهم ولما تقارب الفئتان هم السلطان بالرجوع وأشار به وزيره شمس وتطارح عليه أهل شروان فأقام وباتوا على وجل ثم وقع الاختلاف بين الكرج وقفجاق واقتتلوا ليلتهم ورحلوا منهزمين وعاد السلطان الى همدان والله تعالى اعلم

(عزل البرسقي عن شحنة العراق وولاية برتقش الزكوي)

كان الخليفة المسترشد قد وقعت بينه وبين دبيس بن صدقة حروب شديدة بنواحي المباركة من أطراف غانة وكان البرسقي معه وانهزم دبيس فيها هزيمة شنيعة كما مر في أخباره وقصد غزية صريخا فلم يصرخوه فقصد المنتفق وسار بهم الى البصرة فدخلوها واستباحوها وقتلوا اسلمان نائبها فأرسل الخليفة الى البرسقي بالنكير على اهمال أمر دبيس حتى فتك في البصرة فسار البرسقي اليه وهرب دبيس فلحق بالافرنج وجاء معهم لحصار حلب فامتنعت فلحق بطغرل بن السلطان محمد يستحثه لقصد العراق كما مر ذلك في أخبار دبيس وبقيت في نفس المسترشد عليه ولحق بها أمثالها فتنكر له وبعث الى السلطان محمود في عزله فعزله وأمره بالعود الى الموصل لجهاد الافرنج ووصل نائب برتقش الى بغداد وأقام بها الشحنة وبعث السلطان ابنا له صغيرا ليكون معه على الموصل وسار البرسقي به ووصل الموصل وقام بولايتها

(بداية أمر بني اقسنقر وولاية عماد الدين زنكي على البصرة)

كان عماد الدين زنكي في جملة البرسقي ولما أقطعه السلطان واسط بعث عليها زنكي وأقام فيها أياما ثم كان مسير البرسقي الى البصرة في أتباع دبيس فلما هرب دبيس عنها بعث البرسقي اليها عماد الدين زنكي فأقام بحمايتها ودفع العرب عنها ثم استدعاه البرسقي عندما سار الى الموصل فضجر من تلون الاحوال عليه واختار اللحاق باصبهان

فقدم عليه باصبهان فأكرمه السلطان وأقطعه البصرة وعاد اليها سنة ثمان عشرة والله تعالى أعلم

(استيلاء البرسقي على حلب)

لما سار دبيس الى الافرنج حرضهم على حلب وان ينوب فيها عنهم ووجدهم قد ملكوا مدينة صور وطمعوا في بلاد المسلمين وساروا مع دبيس الى حلب فحاصروها حتى جهد أهلها الحصار وبها يومئذ تاش بن ابن ارتق فاستنجد بالبرسقي صاحب الموصل وشرط عليهم ان يمكنوه من القلعة ويسلموها الى نوابه وسار الى انجادهم فاجفل عنهم الافرنج ودخل الى حلب فأصلح أمورها ثم سار الى كفرطاب فملكها من الافرنج ثم سار الى قلعة عزاز من أعمال حلب وصاحبها جوسكين فحاصرها وسارت اليه عساكر الافرنج فانهزم وعاد الى حلب فخلف فيها ابنه مسعودا وعبر الفرات الى الموصل

(مسير طغرل ودبيس الى العراق)

ولما رحل الافرنج عن حلب فارقهم دبيس ولحق بالملك طغرل فتلقاه بالكرامة والمبرة وأغراه بالعراق وضمن له ملكه فساروا لذلك سنة تسع عشرة وانتهوا الى دقوقا فكتب مجاهد الدين بهرام بن تكريت الى المسترشد بخبرهم فتجهز للقائهم وأمر برتقش الزكوي ان يتجهز معه خامس صفر وانتهى الى الخالص وعدل طغرل ودبيس الى طريق خراسان ثم نزلوا رباط جلولاء ونزل الخليفة بالدسكرة وفي مقدمته الوزير جلال الدين بن صدقة وسار دبيس الى جسر النهروان لحفظ المقابر وقد كان رأيه مع طغرل أن يسير طغرل الى بغداد فيملكها وتقدم دبيس في انتظاره فقعد به المرض عن لحاقه وغشيتهم أمطار أثقلتهم عن الحركات وجاء دبيس الى النهروان طريحا من التعب والبرد والجوع واعترضوا ثلاثين جملا للخليفة جاءت من بغداد بالملبوس والمأكول فطعموا وأكلوا وناموا في دفء الشمس واذا بالمسترشد قد طلع عليهم في عساكره بلغه الخبر أن دبيسا وطغرل خالفوه الى بغداد فاضطرب عسكره واجفلوا راجعين الى بغداد فلقوا في طريقهم دبيسا كما ذكرنا على ديال غرب النهروان ووقف الخليفة عليه فقبل دبيس الارض واستعطف حتى هم الخليفة بالعفو عنه ثم وصل الوزير ابن صدقة فثناه عن رأيه ووقف دبيس مع برتقش الزكوي يحادثه ثم شغل الوزير بعقد الجسر للعبور فتسلل دبيس ولحق بطغرل وعاد المسترشد الى بغداد ولحق طغرل ودبيس بهمدان فعاثوا في أعمالها وصادروا أهلها وخرج اليهم السلطان محمود فانهزموا بين يديه ولحقوا بالسلطان سنجر بخراسان شاكين من المسترشد وبرتقش

الشحنة والله أعلم بغيبه وأحكم

(مقتل البرسقي وولاية ابنه عز الدين على الموصل)

ثم ان المسترشد تنكر للشحنة برنقش وتهدده فلحق بالسلطان محمود في رجب سنة عشرين فأغراه بالمسترشد وخوفه غائلته وانه تعود الحروب وركب العسكر ويوشك أن يمتنع عنك ويستصعب عليك فاعتزم السلطان على قصد العراق وبعث اليه الخليفة بالاطفه في الرد لغلاء البلاد وخرابها او يؤخره الى حين صلاحها فصدق عنده حديث الزكوى وسار مجدا فعبر المسترشد بأهله وولده وأولاد الخلفاء الى الجانب الغربي في ذي القعدة راحلا عن بغداد والناس باكون لفراقه وبلغ ذلك الى السلطان فشق عليه وأرسل يستعطفه في العود الى داره فشرط عليه الرجوع عن العراق في الوقت كما شرط أولا فغضب السلطان وسار نحو بغداد والخليفة بالجانب الغربي ثم أرسل خادمه عفيفا الى واسط يمنع عنها نواب السلطان فسار اليه عماد الدين زنكي من البصرة وهزمه وفتك في عسكره قتلا وأسرا وجمع المسترشد السفن اليه وسد أبواب قصره ووكل حاجب الباب ابن الصاحب بدار الخلافة ووصل السلطان الى بغداد في عشري ذي الحجة ونزل بباب الشماسية وأرسل المسترشد في العود والصلح وهو يمتنع وجرت بين العسكرين مناوشة ودخل جماعة من عسكر السلطان الى دار الخلافة ونهبوا التاج أول المحرم سنة احدى وعشرين وخمسمائة فضج العامة لذلك ونادوا بالجهاد وخرج المسترشد من سرادقه ينتمي بأعلى صوته وضربت الطبول ونفخت البوقات ونصب الجسر وعبر الناس دفعة وعسكر السلطان مشتغلون بالنهب في دور الخلافة والامراء وكان في دار الخلافة ألف رجل كامنون في السرداب فخرجوا عند ذلك ونالوا من عسكر السلطان وأسروا جماعة من أمرائه ونهب العامة دور وزير السلطان وأمرائه وحاشيته وقتل منهم خلق وعبر المسترشد الى الجانب الشرقي في ثلاثين ألف مقاتل من أهل بغداد والسواد ودفع السلطان وعسكره عن بغداد وحفر عليها الخنادق واعتزموا على كبس السلطان فأخافهم أبو الهيجاء الكردي صاحب اربل ركب للقتال فلحق بالسلطان ووصل عماد الدين زنكي من البصرة في جيش عظيم في البر والبحر أذهل الناس برؤيته فخام المسترشد عن اللقاء وتردد الرسل بينهما فأجاب الى الصلح وعفا السلطان عن أهل بغداد وأقام بها الى عاشر ربيع الآخر وأهدى اليه المسترشد سلاحا وخيلا وأموالا ورحل الى همدان وولى زنكي بن اقسنقر شحنة بغداد ثقة بكفايته واستقامت أحواله مع الخليفة واشار به أصحابه ورأوا أنه يرقع الخرق ويصلح الامر فولاه على ذلك مضافا الى ما بيده من البصرة وواسط وسار الى همدان وقبض في طريقه على وزيره أبي

القاسم علي بن الناصر الشاباذي لأنه اتهمه بموالاة المسترشد لكثرة سعيه في الصلح فقبض عليه واستدعى شرف الدولة أنوشروان بن خالد من بغداد فلحقه بأصبهان في شعبان واستوزره عشرة أشهر ثم عزله ورجع إلى بغداد وبقي أبو القاسم محبوسا إلى أن جاء السلطان سنجر إلى الري فأطلقه وأعاده إلى وزارة السلطان محمود آخر ثنتين وعشرين

وفاة عز الدين بن البرسقي وولاية عماد الدين زنكي على الموصل وأعمالها ثم استيلاؤه على حلب

ولما استولى عز الدين على الموصل وأعمالها واستقل بأمره طمحت همته إلى الشام فاستأذن السلطان في المسير إليه وسار إلى دمشق ومر بالرحبة فحاصرها وملكها ثم مات إثر ذلك وهو عليها وافترقت عساكره وشغلوا عن دفنه ثم دفن بعد ذلك ورجعت العساكر إلى الموصل وقام بالأمر مملوكه جاولي ونصب أخاه الأصغر وأرسل إلى السلطان يطلب تقرير الولاية له وكان الرسول في ذلك القاضي بهاء الدين أبو الحسن علي الشهرزوري وصلاح الدين محمد الباغيساني أمير حاجب البرسقي واجتمعا بنصير الدين جعفر مولى عماد الدين زنكي وكان بينه وبين صلاح الدين صهر فخوفهما جعفر ابن جاولي وحملهما على طلب عماد الدين زنكي وضمن لهما عنه الولايات والاقطاع فأجابوه وجاء بهما إلى الوزير شرف الدين أنوشروان ابن خالد فقالا له إن الجزيرة والشام قد تمكن منهما الافرنج من حدود ماردين إلى عريش مصر وكان البرسقي يكفهم وقد قتل وولده صغير ولا بد للبلاد من يضطلع بأمرها ويدفع عنها وقد خرجنا عن النصيحة إليكم فبلغ الوزير مقالتهما إلى السلطان فأحضرهما واستشارهما فذكرا جماعة منهم عماد الدين زنكي وبذلا عنه مقربا إلى خزانة السلطان مالا جزيلا فولاه السلطان لما يعلم من كفايته وولى مكانه شحنة العراق مجاهد الدين بهروز صاحب تكريت وسار عماد الدين زنكي فبدأ بالبوازيج وملكها ثم سار إلى الموصل وتلقاه جاولي مطيعا وعاد إلى الموصل في خدمته فدخلها في رمضان وأقطع جاولي الرحبة وبعثه إليها وولى نصير الدين جعفر قلعة الموصل وسائر القلاع وجعل صلاح الدين محمد الباغيساني أمير حاجب وولى بهاء الدين الشهرزوري قضاء بلاده جميعا وزاده أملاكا وإقطاعا وشركه في رأيه ثم سار إلى جزيرة ابن عمر وقد امتنع بها مماليك البرسقي فجد في قتالهم وكانت دجلة تحول بينه وبين البلد فعبر بعسكره الماء سبحا واستولى على المسافة التي بين دجلة والبلد وهزم من كان فيها من الحامية حتى أحجرهم بالبلد وضيق حصارهم فاستأمنوا وأمنهم ثم سار إلى نصيبين وهي لحسام الدين تمرتاش ابن أبي الغازي صاحب ماردين فحاصرها واستنجد حسام الدين بن عمه ركن الدولة

داود بن سكمان بن ارتق صاحب كيفا فأنجده بنفسه وأخذ في جمع العساكر وبعث تمرتاش ماردين الى نصيبين يعرف العساكر بالخبر وأن العساكر واصلة اليهم عن خمسة أيام وكتبه في رقعة وعلقها في جناح طائر فاعترضه عسكر زنكي وصادوه وقرأ زنكي الرقعة وعوض الخمسة أيام بعشرين يوما وأطلق الطائر بها الى البلد فقرؤا الكتاب وسقط في أيديهم واستطالوا العشرين واستأمنوا العماد الدين زنكي فأمنهم وملك نصيبين وسار عنها الى سنجار فملكها صلحا وبعث العساكر الى الخابور فملكها ثم سار الى حران وخرج اليه أهل البلد بطاعتهم وكانت الرها وسروج والبيرة ونواحيها للافرنج وعليها جوسكين صاحب الرها فكاتب زنكي وهادنه ليتفرغ للجهاد بعد ثم عبر الفرات الى حلب في المحرم سنة ثنتين وعشرين وقد كان عز الدين مسعود بن اقسنقر البرسقي لما سار عنها الى الموصل بعد قتل أبيه استخلف عليها قرمان من امرائه ثم عزله بآخر اسمه قطلغ ابه وكتب له الى قرمان فتبعه الا أن يرى العلامة التي بينه وبين عز الدين ابن البرسقي فعاد قطلغ الى مسعود ليجيء بالعلامة فوجده قد مات بالرحبة فعاد الى حلب وأطاعه رئيسها فضائل بن بديع والمقدمون بها واستنزلوا قرمان من القلعة على ألف دينار أعطوه اياها وملك قطلغ القلعة منتصف احدى وعشرين ثم ساءت سيرته وظهر ظلمه وجوره وكان بالمدينة بدر الدولة سليمان بن عبد الجبار بن ارتق وكان ملكها قبل وخلع عنها فدعا الناس الى البيعة وثاروا بقطلغ فامتنع بالقلعة فحاصروه وجاءهم بدار صاحب منبج وحسن صاحب مراعة لاصلاح أمرهم فلم يتفق وطمع الافرنج في ملكها وتقدم جوسكين بعسكره اليها فدافعوه بالمال ثم وصل صاحب انطاكية فحاصرهم الى آخر السنة وهم يحاصرون القلعة فلما ملك عماد الدين زنكي الموصل والجزيرة والشأم فأطاعوا وسار عبد الجبار وقطلغ الى عماد الدين بالموصل وأقام أحد الامير بن بحلب حتى بعث عماد الدين زنكي صاحبه صلاح الدين محمد الباغسياني في عسكر فملك القلعة ورتب الامور وولى عليها وجاء عماد الدين بعساكره في أثره وملك في طريقه منبج ومراعة ثم دخل حلب وأقطع أعمالها الاجناد والامراء وقبض على قطلغ ابه وسلمه لابن بديع فكحله فمات واستوحش ابن بديع فهرب الى قلعة جعفر وأقام عماد الدين مكانه في رياسة حلب أبا الحسن على بن عبد الرزاق

(قدوم السلطان سنجر الى الري ثم قدوم السلطان محمود الى بغداد)

الموصل طغرل ودبيس الى السلطان سنجر بخراسان حرضه دبيس على العراق والسلطان محمود قد اتفقا على الامتناع منه فسار سنجر وأخبر السلطان محمود باستدعائه فوافاه لاقرب وقت وأمر العساكر بتلقيه وأجلسه معه على التخت وأقام السلطان محمود

عنده الى آخر ثنتين وعشرين ثم رجع سنجر الى خراسان بعد أن أوصى محمودا بدبيس وأعاده الى بلده ورجع محمود الى همذان ثم سار الى العراق وخرج الوزير للقائه ودخل بغداد فى تاسوعاء سنة ثلاث وعشرين ثم لحقه دبيس بمائة ألف دينار فى ولاية الموصل وسمع بذلك زنكى وجاء الى السلطان وحمل المائة ألف مع هدايا جليلة فخلع عليه وأعاده وسار منتصف السنة عن بغداد الى همذان بعد أن ولى الحلة مجاهد الدين بهروز شحنة بغداد

(وفاة السلطان محمود وملك ابنه داود) ثم توفى السلطان محمود بهمذان فى شوال سنة خمس وعشرين لثلاث عشرة سنة من ملكه بعد أن كان قبض على جماعة من امرائه وأعيان دولته منهم عزيز الدولة أبو نصر أحمد بن حامد المستوفى وأنوشتكين المعروف بشيركير بن حاجب وابنه عمر لخافهم الوزير أبو القاسم الشابادى فأغرى بهم السلطان فنكبهم وقتلهم ولما توفى اجتمع الوزير أبو القاسم والاتابك اقسنقر الاحمر يلى وبايعوا الابنه داود وخطبوا له فى جميع بلاد الجبل وأذربيجان ووقعت الفتنة بهمذان وسائر بلاد الجبل ثم سكنت وهرب الوزير الى الرى مستجيرا بالسلطان فأمن بها

(منازعة السلطان مسعود لداود ابن أخيه واستيلاؤه على السلطان بهمذان)

لما هلك السلطان محمود سار أخوه مسعود من جرجان الى تبريز فملكها فسار داود من همذان فى ذى القعدة سنة خمس وعشرين وحاصره بتبريز فى محرم سنة ست وعشرين ثم اصطلحوا وتأخر داود عن الامر لعمه مسعود فسار مسعود من تبريز الى همذان وكاتب عماد الدين زنكى صاحب الموصل يستنجده فوعده بالنصر وأرسل الى المسترشد فى طلب الخطبة ببغداد وكان داود قد أرسل فى ذلك قبله ورد المسترشد الامر فى الخطبة الى السلطان سنجر ودس اليه أن لا يأذن لواحد منهما وان تكون الخطبة له فقط وحسن موقع ذلك عنده وسار السلطان مسعود الى بغداد وسبقه اليها أخوه سلجوق شاه مع اتابك قراجا الساقى صاحب فارس وخوزستان ونزل فى دار السلطان واستحلفه الخليفة لنفسه ولما سار السلطان مسعود أوعز الى عماد الدين زنكى أن يسير الى بغداد فسار من الموصل اليها وانتهى السلطان مسعود الى عباسة الخالص وبرزت اليه عساكر المسترشد وسلجوق شاه وسار قراجا الساقى الى مدافعة زنكى فدافعه على المعشوق فهزمه وأسر كثيرا من أصحابه ومر منهزما الى تكريت وبها يومئذ نجم الدين أيوب أبو الاملاك الايوبية فهيأ له المعابر وعبر دجلة الى بلاده وسار السلطان مسعود من العباسة وقاتلت طلائعه طلائع أخيه سلجوق وبعث سلجوق يستحث قراجا

بعد انهزام زنكي فعاد سر بعا وتأخر السلطان مسعود بعد هزيمة زنكي وأرسل الى المسترشد بأن عمه سنجر وصل الى الري عازما على بغداد ويشير بمدافعته عن العراق وتكون العراق لوكيل الخليفة ثم تراسل القوم واتفقوا على ذلك وقد اتفقوا عليه وان يكون مسعود السلطان ولي العهد ودخلوا الى بغداد فنزل مسعود بدار السلطان وسلجوق دار الشحنة والله سبحانه وتعالى ولي التوفيق

* (هزيمة السلطان مسعود وملك طغرل أخيه) *

لما توفي السلطان محمود سار السلطان سنجر من خراسان الى بلاد الجبال ومعه طغرل ابن أخيه محمد وانتهى الى الري ثم سار الى همذان فسار مسعود لقتاله ومعه قراجا الساقي وسلجوق شاه وقد كان الخليفة عزم أن لا يتجهز معهم فأبطأ فبعثوا اليه قراجا فسار الى خانقين وأقام وقطعت خطبة سنجر من العراق وخالفهم الى بغداد دبيس وزنكي وقد سمى اقطاعه لسنجر الحلة وزنكي ولاه شحنة بغداد فرجع المسترشد الى بغداد لموافقتهما وسار السلطان وأخوه سلجوق شاه للقاء سنجر ثم سمعا بكثرة عساكره فتأخروا فسار في طلبهم يوما وليلة ثم تراجعوا عند الدينور وكان مسعود يماطل باللقاء انتظارا للمسترشد فلم يجد بدا من اللقاء فالتقوا على التعبية وحمل قراجا عليهم وتورط في المعركة وأصيب بجراحات ثم التقوا عليه وأسروه وانهزم من أصحاب مسعود قزل وقد كان واطأهم على الهزيمة فانهزم السلطان مسعود عند ذلك منتصف سنة وعشرين وقتل كثير من أكابر الامراء ونزل سنجر في خيامهم وأحضر قراجا فقتله وجيء اليه بالسلطان مسعود فأكرمه وأعاده الى كنجة وخطب للملك طغرل ابن أخيه في السلطنة وخطب له في جميع البلاد واستوزر له أبا القاسم السابادي وزير السلطان محمود وعاد الى نيسابور آخر رمضان سنة ست وعشرين وخمسمائة

* (هزيمة السلطان داود واستيلاء طغرل بن محمد على الملك) *

• لما ولي طغرل همذان وولي عنه السلطان سنجر الى خراسان وبلغه أن صاحب ماوراء النهر المرخان قد انتقض عليه فسار لاصلاحه وشغل بذلك فقام الملك داود باذربيجان وبلاد كنجة وطلب الامر لنفسه وجمع العساكر وسار الى همذان ومعه برتقش الزكوي واتابك اقسنقر الاحمديلي ومعه طغرل بن برسق ونزل وقد استقر ثم اضطرب عسكر داود وأحسوا من برتقش الزكوي بالفشل فنهب التركمان خيامه وهرب اقسنقر اتابك وانهزم في رمضان سنة ست وعشرين ثم قدم بغداد في ذي القعدة ومعه اتابك اقسنقر فأكرمه الخليفة وأنزله بدار السلطان

(عود السلطان مسعود الى الملك وهزيمة طغرل) قد تقدم لنا هزيمة السلطان مسعود من عمه سنجر وعوده الى كنجة وولاية طغرل السلطان ثم محاربة داود ابن أخيه له وانهزام داود ثم رجوع داود الى بغداد فلما بلغ الخبر الى مسعود جاء الى بغداد ولقيه داود قريبا منها وترجل له عن فرسه ودخلا بغداد في صفر سنة سبع وعشرين ونزل مسعود بدار السلطان وخطب له ولداود بعده وطلبا من السلطان عسكرا ليسيرهما الى اذربيجان فبعث معهما العساكر الى اذربيجان ولقيهم اقسنقر الاحمديلي في مراغة بالاقامة والاموال وملك مسعود بلاد اذربيجان وهرب بين يديه من كان بها من الامراء وامتنعوا بمدينة اذربيجان فحاصرهم بها وملكها عليهم وقتل منهم جماعة وهرب الباقون ثم سار الى همذان لمحاربة أخيه طغرل فهزمه وملك همذان في شعبان من السنة ولحق طغرل بالري وعاد الى اصبهان ثم قتل اقسنقر الاحمديلي بهمذان غيلة ويقال ان السلطان مسعود ادس عليه من قتله ثم سار الى حصار طغرل باصبهان ففارقها طغرل الى فارس وملكها مسعود وسار في اثر طغرل الى البيضاء فاستأمن اليه بعض أمراء طغرل فأمنه وخشي طغرل أن يستأمنوا اليه فقصد الري وقتل في طريقه وزيره أبا القاسم السابادي في شوال من السنة ومثل به غلمان الامير شيركين الذي سعى في قتله كما مر ثم سار الامير مسعود يتبعه الى أن تراجعا ودارت بينهما حرب شديدة وانهزم طغرل وأسر من أمرائه الحاجب تنكي وأق بقرا وأطلقهما السلطان مسعود وعاد الى همذان والله تعالى أعلم

(عود الملك طغرل الى الجبل وهزيمة السلطان مسعود)

ولما عاد مسعود من حرب أخيه طغرل بلغه انتقاض داود ابن أخيه محمود باذربيجان فسار اليه وحاصره بقلعة   فخرج مرجع طغرل العساكر وتغلب على بلاده وسار اليه واستعمل بعض قواده فسار مسعود لقتاله واقام عند قزوين وفارق مسعود الامراء الذين استمالهم طغرل ولحقوا به فانهزم مسعود في رمضان سنة ثمان وعشرين وبعث الى المسترشد يستأذنه في دخول بغداد فأذن له وكان أخوه سلجوق باصبهان مع نائبه فيها البقش السلاحي فلما سمع بانهزامه سبقه الى بغداد وأنزله المسترشد بدار السلطان وأحسن اليهما الاموال ووصل مسعود وأكثر أصحابه رجالا فوسع عليه الخليفة بالانفاق والمراكب والظهر واللباس والآلة ودخل دار السلطان منتصف شوال وأقام طغرل بهمذان

(وفاة طغرل واستيلاء مسعود على الملك) ولما وصل مسعود الى بغداد حمل اليه المسترشد ما يحتاج اليه وأمره بالمسير الى همذان لدافعة طغرل ووعده بالمسير معه

بنفسه فتباطأ مسعود عن المسير واتصل جماعة من أمرائه بخدمة الخليفة ثم اطلع على مداخلة بعضهم لطغرل فقبض عليه ونهب ماله وارتاب الآخرون فهربوا عن السلطان مسعود وبعث المسترشد في اعادتهم اليه فدافعه ووقعت لذلك بينهما وحشة فقعد المسترشد عن نصره بنفسه وبينما هم في ذلك وصل الخبر بوفاة أخيه طغرل في المحرم سنة تسع وعشرين فسار مسعود الى همذان واستوزر شرف الدين أنوشروان بن خالد حمله من بغداد وأقبلت اليه العساكر فاستولى على همذان وبلاد الجبل اه

(فتنة المسترشد مع السلطان مسعود ومقتله وخلافة ابنه الراشد)

قد تقدم لنا ان الوحشة وقعت عندما كان ببغداد بسبب أمرائه الذين اتصلوا بخدمة المسترشد ثم هربوا عنه الى السلطان مسعود فلما سار السلطان مسعود الى همذان بعد أخيه طغرل وملكها استوحش منه جماعة من أعيان أمرائه منهم برتقش وقزل وقرا سنقر الخمارتكين والي همذان وعبد الرحمن بن طغرليك ودبيس بن صدقة وساروا الى خوزستان ووافقهم صاحبها برسق بن برسق واستأمنوا الى الخليفة فارتاب من دبيس وبعث الى الآخرين بالامان مع سديد الدولة بن الانباري وارتاب دبيس منهم أن يقبضوا عليه فرجع الى السلطان مسعود وسار الآخرون الى بغداد فاستحثوا المسترشد للمسير الى قتال مسعود فأجابهم وبالغ في تكرمتهم وبرز آخر رجب من سنة تسع وعشرين وهرب صاحب البصرة اليها وبعث اليه بالامان فأبى فتكاسل عن المسير فاستحثوه وسهلوا له الامر فسار في شعبان ولحق به برسق بن برسق و بلغ عدة عسكره سبعة آلاف وتخلف بالعراق مع خادمه اقبال ثلاثة آلاف وكاتبه أصحاب الاطراف بالطاعة وأبطأ في مسيره فاستعجلهم مسعود وزحفوا اليه فكان عسكره خمسة عشر ألفا وتسلل عن المسترشد جماعة من عسكره وأرسل اليه داود بن محمود من اذربيجان يشير بقصد الدينور والمقام بها حتى يصل في عسكره فأبى واستمر في مسيره وبعث زنكي من الموصل عسكرا فلم يصل حتى تواقعوا وسار السلطان محمود اليهم مجدا فوافاهم عاشر رمضان ومالت ميسرة المسترشد اليه وانهزمت ميمنته وهو ثابت لم يتحرك حتى أخذ أسيرا ومعه الوزير والقاضي وصاحب المخزن وابن الانباري والخطباء والفقهاء والشهود فأنزل في خيمة ونهب مخيمه وحمل الجماعة أصحابه الى قلعة ترجمعان ورجع بقية الناس الى بغداد ورجع السلطان الى همذان وبعث الامير بك ابه الى بغداد شحنة فوصلها سلخ رمضان ومعه عميد وقبضوا أملاك المسترشد وغلاتها وكانت بينهم وبين العامة فتنة قتل فيها خلق من العامة وسار السلطان في شوال الى مراغة وقد ترددت الرسل بينهما في الصلح على مال يؤديه المسترشد وأن لا يجمع العساكر ولا يخرج

من داره لحرب ما عاش وأجابه السلطان وأذن له في الركوب وحمل الغاشية وفارق المسترشد بعض الموكلين به فهجم عليه جماعة من الباطنية فألحوه جراحا وقتلوه ومثلوا به جدعا وصلبا وتركوه سليبا فى نفر من أصحابه قتلوهم معه وتبع الباطنية فقتلوا وكان ذلك منتصف ذي القعدة سنة ستة وعشرين لثمان عشرة سنة من خلافته وكان كاتبا بليغا شجاعا قرما ولما قتل بمراغة كتب السلطان مسعود الى بك ابه شحنة بغداد بأن يبايع لابنه فبويع ابنه الراشد أبو جعفر منصور بعهده اليه لثمانية أيام من مقتله وحضر بيعته جماعة من أولاد الخلفاء وأبو النجيب الواعظ وأما اقبال خادم المسترشد فلما بلغه خبر الواقعة وكان مقيما ببغداد كما قدمناه عبر الى الجانب الغربي ولحق بتكريت ونزل على مجاهد الدين بهروز

(فتنة الراشد مع السلطان مسعود)

لما بويع الراشد بعث اليه السلطان مسعود برتقش الزكوي يطالبه بما استقر عليه الصلح مع أبيه المسترشد وهو أربعمائة ألف دينار فأنكر الراشد أن يكون له مال وانما مال الخلافة كان مع المسترشد فنهب ثم جمع الراشد العساكر وقدم عليهم كرابة وشرع في عمارة السور واتفق برتقش مع بك ابه على هجوم دار الخلافة وركبوا لذلك في العساكر فقاتلهم عساكر الراشد والعامة وأخرجوهم عن البلد الى طريق خراسان وسار بك ابه الى واسط وبرتقش الى سرخس ولما علم داود بن محمود فتنة عمه مسعود مع الراشد سار من اذربيجان الى بغداد في صفر سنة ثلاثين ونزل بدار السلطان ووصل بعده عماد الدين زنكي من الموصل وصدقة بن دبيس من الحلة ومعه عنتر بن أبي العسكر يدبر أمره ويديره وكان أبوه دبيس قد قتل بعد مقتل المسترشد باذربيجان وملك هو الحلة ثم وصل جماعة من أمراء مسعود منهم برتقش بازدار صاحب قزوين والبقش الكبير صاحب اصبهان وابن برسق وابن الاحمر يلي وخرج للقائهم كرابة والطرنطاي وكان اقبال خادم المسترشد قد قدم من تكريت فقبض عليه الراشد وعلى ناصر الدولة أبي عبد الله الحسن بن جهير فاستوحش أهل الدولة وركب الوزير جلال الدين بن صدقة الى لقاء عماد الدين زنكي فأقام عنده مستجيرا حتى أصلح حاله مع الراشد واستجار به قاضي القضاة الزينبي ولم يزل معه الى الموصل وشفع في اقبال فأطلق وسار اليه ثم جدد الراشد في عمارة السور وسار الملك داود لقتال مسعود واستحلفه الراشد واستحلفه عماد الدين زنكي وقطعت خطبة مسعود من بغداد وولى داود شحنة بغداد برتقش بازدار ثم وصل الخبر بأن سلجوق شاه أخا الامير مسعود ملك واسط وقبض على الامير بك ابه فسار الامير زنكي لدفاعه فصالحه ورجع وعبر الى طريق خراسان

للحاق داود واحتشد العساكر ثم سار السلطان مسعود لقتالهم وفارق زنكي داود ليسير الى مراغة وعاد السلطان مسعود الى همذان وبرز الراشد من بغداد أول رمضان وسار الى طريق خراسان وعاد بعد ثلاث وعزم على الحصار ببغداد واستدعى داود الامراء ليكونوا معه عنده فجاؤا لذلك ووصلت رسل السلطان مسعود بطاعة الراشد والتعريض بالوعيد للامراء المجتمعين عنده فلم يقبل طاعة من أجلهم والله سبحانه وتعالى أعلم

(حصار بغداد ومسير الراشد الى الموصل وخلعه وخلافة المقتفى)

ثم ان السلطان مسعودا أجمع المسير الى بغداد وانتهى الى الملكية فسار زين الدين على من أصحاب زنكي حتى شارف معسكره وقاتلهم ورجع ونزل السلطان على بغداد والعيارون فأفسدوا سائر المحال ببغداد وانطلقت أيديهم وأيدى العساكر في النهب ودام الحصار نيفا وخمسين يوما وتأخر السلطان مسعود الى النهروان عازما على العود الى اصبهان فوصله طرنطاى صاحب واسط في سفن كثيرة فركب الى غربي بغداد فاضطرب الامراء وافترقوا وعادوا الى اذربيجان وكان زنكي بالجانب الغربي فعبر اليه الراشد وسار معه الى الموصل ودخل السلطان مسعود بغداد منتصف ذى القعدة فسكن الناس وجمع القضاة والفقهاء وأوقفهم على يمين الراشد التى كتبها بخطه انى متى جمعت أو خرجت أو لقيت أحدا من أصحاب السلطان بالسيف فقد خلعت نفسى من الامر فأفتوا بخلعه واتفق أرباب الدولة ممن كان ببغداد ومن أسر مع المسترشد وبقى عند السلطان مسعود كلهم على ذمه وعدم أهليته على ما مر في أخباره بين أخبار الخلفاء وبويع محمد بن المستظهر ولقب المقتفى وقد قدمت هذه الاخبار بأوسع من ذلك ثم بعث السلطان العساكر مع قراسنقر لطلب داود فأدركته عند مراغة وقاتله فهزمه وملك اذربيجان ومضى داود الى خوزستان واجتمع عليه عساكر من التركمان وغيرهم فحاصر تستر وكان عمه سلجوق بواسط فسار اليه بعد ان أمره أخوه مسعود بالعساكر ولقى داود على تستر فهزمه داود ثم عزل السلطان وزيره شرف الدين أنوشروان بن خالد واستوزر كمال الدين أبا البركات بن سلامة من أهل خراسان ثم بلغه ان الراشد قد فارق الموصل فأذن للعساكر التى عنده ببغداد في العود الى بلادهم وصرف فيهم صدقة بن دبيس صاحب الحلة بعد ان أصهر اليه في ابنته وقدم عليه جماعة من الامراء الذين كانوا مع داود منهم البقش السلامى وبرسق بن برسق وصاحب تستر وسنقر الخمارتكين شحنة همذان فرضى عنهم وأمنهم وعاد الى همذان سنة احدى وثلاثين

(الفتنة بين السلطان مسعود وبين داود والراشد وهزيمة مسعود ومقتل الراشد)

كان الامير بوزابة صاحب خوزستان والامير عبد الرحمن طغرايلك صاحب خلخال والملك داود ابن السلطان محمود خائفين من السلطان فاجتمعوا عند الامير منكبرس صاحب فارس وبلغهم مسير الراشد من الموصل الى مراغة فراسلوه فى أن يجتمعوا عليه ويردّوه الى خلافته فأجابهم وبلغ الخبر الى السلطان مسعود فسار اليهم فى شعبان سنة ثنتين وثلاثين وأوقع بهم وأخذ منكبرس أسيرا فقتله وافترقت عساكره للنهب فانفرد بوزابة وطغرايلك وصدقا الحملة عليه فانهزم وقبض على جماعة من الامراء مثل صدقة بن دبيس صاحب الحلة وكافلة عنتر بن أبى العساكر وابن أتابك قراسنقر صاحب اذربيجان وحبسهم بوزابة حتى تحقق قتل منكبرس ولحق السلطان مسعود باذربيجان منهزما وسار داود الى همذان فملكها ووصل اليه الراشد هنالك وأشار بوزابة وكان كبير القوم بالمسير الى فارس فساروا معه واستولى عليها وملكها ولما علم سلجوق شاه وهو بواسط أن أخاه السلطان مسعود امضى الى اذربيجان سار هو الى بغداد ليملكها ودافعه البقش الشحنة ونظر الخادم أمير الحاج وثار العيارون بالبلدان وأفحشوا فى النهب فلما رجع الشحنة استأصل شأفتهم وأخذ المستورين بجناياتهم فجلا الناس عن بغداد الى الموصل وغيرها ولما قتل صدقة بن دبيس أقر السلطان مسعود أخاه محمدا على الحلة ومعه مهلهل بن أبى العساكر أخو عنتر المقتول كما مرّ فى أخباره ثم لما ملك بوزابة فارس رجع مع الراشد والملك داود ومعهما خوارزم شاه الى خوزستان ونحوا الجزيرة فسار اليهم مسعود ليمنعهم عن العراق فعاد الملك داود الى فارس وخوارزم شاه الى بلده وسار الراشد الى اصبهان فثار به نفر من الخراسانية كانوا فى خدمته فقتلوه عند القائلة فى خامس عشر رمضان من السنة ودفن بظاهر اصبهان ثم قبض السلطان آخر السنة على وزيره أبى البركات بن سلامة الدركزينى واستوزر بعده كمال الدين محمد بن الخازن وكان نبيها حسن السيرة فرفع المظالم وأزال المكوس وأقام وظائف السلطان وجمع له الاموال وضرب على أيدى العمال وكشف خياناتهم فثقل عليهم وأوقعوا بينه وبين الامراء فبالغوا فى السعاية فيه عند السلطان وتولى كبرها قراسنقر صاحب اذربيجان فانه بعث الى السلطان يتهدده بالخروج عن طاعته فأشار على السلطان خواصه بقتله خشية الفتنة فقتله على كره وبعث برأسه الى قراسنقر فرضى وكان قتله سنة ثلاث وثلاثين وخمسمائة لسبعة أشهر من وزارته واستوزر بعده أبا العز طاهر بن محمد اليزدجردى وزير قراسنقر ولقب عز الملك وضاقت الامور على السلطان وأقطع البلاد للامراء ثم قتل السلطان البقش السلاحى الشحنة بما ظهر منه من الظلم والعسف فقبض عليه وحبسه بتكريت عند مجاهد الدين بهروز ثم أمر

بقتله فلما قرب للقتل ألقى نفسه فى دجلة فمات وبعث برأسه الى السلطان فقدم مجاهد الدين بهروز شحنة بغداد فحسن أثره ثم عزله السلطان سنة ست وثلاثين وولى فيها قرلى أميرا آخر من موالى السلطان محمود وكانت له بزدجرد والبصرة فأضيف له اليهما والله سبحانه وتعالى أعلم بغيبه

(فتنة السلطان سنجر مع خوارزم شاه)

وهو أول بداية بنى خوارزم قد تقدم لنا ذكر أولية محمد خوارزم شاه وهو محمد بن أبى شنتكين وان خوارزم شاه لقب له وان الامير داود حبشى لما ولاه بركيارق خراسان وقتلها كنجى ولى محمد بن أبى شنتكين وولى بعده ابنه أتسز فظهرت كفاءته وقربه السلطان سنجر واستخلصه واستظهر به فى سفره وبه فزاده ذلك تقدما ورفعة واستفحل ملكه فى خوارزم ونمى للسلطان سنجر انه يريد الاستبداد فسار اليه سنة ثلاث وثلاثين وبرز أتسز ولقيه فى التعبية فلم يثبت وانهزم وقتل من عسكره خلق وقتل له ابن فحزن عليه حزنا شديدا وملك سنجر خوارزم وأقطعها غياث الدين سليمان شاه ابن أخيه محمد ورتب له وزيرا وأتابك وحاجبا وعاد الى مرو منتصف السنة فخالفه أتسز الى خوارزم وهرب سليمان شاه ومن معه الى سنجر واستولى أتسز على خوارزم وكان من أمره مايذكر بعد ان شاء الله تعالى

(استيلاء قراسنقر صاحب اذربيجان على بلاد فارس) ثم جمع أتابك قراسنقر صاحب اذربيجان وبرزطالبا بثأر أبيه الذى قتله بوزابة فى المصاف كامرّ وأرسل السلطان مسعود فى قتل وزيره الكمال فقتله كامرّ فانصرف عنه الى بلاد فارس وتحصن عنه بوزابة فى القلعة البيضاء ووطئ قراسنقر البلاد وملكها ولم يمكنه مقام فسلمها لسلجوق شاه ابن السلطان محمود وهو أخو السلطان مسعود وعاد الى اذربيجان فنزل بوزابة من القلعة سنة أربع وثلاثين وهزم سلجوق شاه وأسره وحبسه ببعض قلاعه واستولى على البلاد ثم هلك قراسنقر صاحب اذربيجان واران بمدينة اردبيل وكان من مماليك طغرل وولى مكانه جاولى الطغرلى والله سبحانه ولىّ التوفيق

(مسير جهان دانكى الى فارس) ثم أمر السلطان سنة خمس وثلاثين الامير اسمعيل جهان دانكى فسار اليها ومنعها مجاهد الدين بهروز من الوصول واستعدّ لذلك بخسف المعابر وتغريقها فقصد الحلة فمنعها أيضا فقصد واسط فقاتله طرنطاى وانهزم ودخل واسط ونهبها ونهب النعمانية وماليها واتبعهم طرنطاى الى البطيحة ثم فارقه عسكره الى طرنطاى فلحق بتستر وكتب اسمعيل الى السلطان فعفا عنه

(هزيمة السلطان سنجر امام الخطا واستيلاؤهم على ماوراء النهر)

وتلخيص هذا الخبر من كتاب ابن الاثير ان أتسز بن محمد ملك خوارزم واستقر بها فبعث الى الخطا وهم أعظم الترك فيما وراء النهر وأغراهم بمملكة السلطان سنجر واستحثهم لها فساروا في ثلثمائة ألف فارس وسار سنجر في جميع عساكره وعبر اليهم النهر ولقيهم سنة ست وثلاثين واقتتلوا أشد قتال ثم انهزم سنجر وعساكره وقتل منهم مائة ألف فيهم أربعة آلاف امرأة وأسرت زوجة السلطان سنجر ولحق سنجر بترمذ وسار منها الى بلخ وقصد أتسز مدينة مرو فدخلها مراغما للسلطان وفتك فيها وقبض على جماعة من الفقهاء والاعيان وبعث السلطان سنجر الى السلطان مسعود يأذن له في التصرف في الري ليدعوه ان احتاج اليه فجاء عباس صاحب الري بذلك الى بغداد وسار السلطان مسعود الى الري امتثالا لامر عمه سنجر قال ابن الاثير وقيل ان بلاد تركستان وهي كاشغر وبلاد ساغون وختن (1) وطراز وغيرها مما وراء النهر كانت بيد الخانية وهم مسلمون من نسل افراسياب ملك الترك المعروف خبره مع ملوك الكينية وأسلم جدهم الاول سبق قراخان لانه رأى في منامه ان رجلا نزل من السماء وقال له بالتركية ما معناه أسلم تسلم في الدنيا والآخرة وأسلم في منامه ثم أسلم في يقظته ولما مات ملك مكانه موسى بن سبق ولم يزل الملك في عقبه الى ارسلان خان بن سليمان بن داود بن بقرخان بن ابراهيم طغاج خان بن ايلك نصر بن ارسلان بن علي بن موسى بن سبق فخرج عليه قردخان وانتزع الملك منه ثم نصره سنجر وقتل قردخان وخرج بعد ذلك خوارزم ونصره السلطان سنجر منهم وأعاده الى ملكه وكان في جنده نوع من الاتراك يقال لهم القارغلية والاتراك الغزية الذين نهبوا خراسان على ما نذكره بعد وهم صنفان صنف يقال لهم جق وأميرهم طوطي بن داديك وصنف يقال لهم برق وأميرهم برغوث ابن عبد الحميد وكان لارسلان نصرخان شريف يصحبه من أهل سمرقند وهو الاشرف ابن محمد بن أبي شجاع العلوي فحمل ابن ارسلان نصرخان وطلبوا انتزاع الملك منه فاستصرخ السلطان سنجر فعبر اليه في عساكره سنة أربع وعشرين وخمسمائة وانتهى الى سمرقند فهرب القارغلية أمامه وعاد الى سمرقند فقبض على ارسلان خان وحبسه ببلخ فمات بها وولى على سمرقند مكانه قلج طمغاج أبا المعالي الحسن بن علي بن عبد المؤمن ويعرف بحسن تكين من أعيان بيت الخانية الا أن ارسلان خان اطرحه فولاه سنجر ولم تطل أيامه فولى بعده محمود بن ارسلان خان وأبوه هو الذي ملك سمرقند من يده وهو ابن أخت سنجر وكان في سنة ثنتين وعشرين وخمسمائة قد خرج كوهرخان من الصين الى حدود كاشغر في جموع عظيمة وكوهر الاعظم بلسانهم وخان السلطان فمعناه أعظم ملك ولقيه صاحب كاشغر أحمد بن الحسن الخان فهزمه وقد كان خرج قبله من الصين

اتراك الخطا وكانوا فى خدمة الخانية أصحاب تركستان وكان ارسلان خان محمد
ابن سليمان ينزلهم على الدروب بينه وبين الصين مسالح ولهم على ذلك جرايات
واقطاعات وسخط عليهم بعض السنين وعاقبهم بما عظم عليهم فطلبوا فسيحا من البلاد
يأمنون فيه من ارسلان خان لكثرة ما كان يغزوهم ووصفت لهم بلاد ساغون
فساروا اليها ولما خرج كوخان من الصين ساروا اليه واجتمعوا عليه ثم ساروا جميعا
الى بلاد ما وراء النهر ولقيهم الخان محمود بن ارسلان خان محمد فى حدود بلاده فى رمضان
سنة احدى وثلاثين فهزموه وعاد الى سمرقند وعظم الخطب على أهلها وأهل بخارى
واستمد محمود السلطان سنجر وذكر ما لقى السلطان من العنت واجتمع عنده ملوك
خراسان وملك سجستان من بنى خلف وملك غزنة من الغوريين وملك مازندران وعبر
النهر للقاء الترك فى أكثر من مائة ألف وذلك لآخر خمس وثلاثين وخمسمائة وشكا اليه
محمود خان من القارغلية قصدهم واستجار وا بكوخان ملك الصين فكتب الى سنجر
بالشفاعة فيهم فلم يشفعه وكتب اليه يدعوه للاسلام ويتهدده بكثرة العساكر فأهان
الرسول وزحف للقاء سنجر والتقى الجمعان بموضع يسمى قطوان خامس صفر سنة ست
وثلاثين وأبلى القارغلية من الترك وصاحب سجستان من المسلمين ثم انهزم المسلمون
فقتل كثير منهم وأسر صاحب سجستان والامير قماج وزوجة السلطان سنجر فأطلقهم
كوخان ومضى السلطان سنجر منهزما وملك الترك الكفار والخطا بلاد ما وراء النهر
الى أن مات كوخان ملكهم سنة سبع وثلاثين وولیت بعده ابنته ثم ماتت قريبا
وملكت أمها من بعدها وهى زوجة كوخان وابنه محمد وصار ما وراء النهر بيد الخطا
الى أن غلبهم عليه علاء الدين محمد خوارزم شاه سنة ثنتى عشرة وستمائة

(أخبار خوارزم شاه بخراسان وصلحه مع سنجر)

ولما عاد السلطان منهزما سار خوارزم شاه الى سرخس فى ربيع سنة ست وثلاثين
فأطاعته ثم الى مرو الشاهجان فشفع فيهم الامام أحمد الباخرزى ونزل بظاهرها
وبينما هو قد استدعى أبا الفضل الكرمانى وأعيان أهلها للشورى ثار عامة البلد
وقتلوا من كان عندهم من جنده وامتنعوا فقاتلها ودخلها عنوة وقتل كثيرا من
علمائها ثم رجع فى شوال من السنة الى نيسابور وخرج اليه علماؤها وزهادها يسألون
معافاتهم مما نزل بأهل مرو فأعفاهم واستصفى أصحاب السلطان وقطع خطبة سنجر
وبعث عسكرا الى أعمال صغد فقاتلوهم أياما ولم يطق سنجر مقاومته لمكان الخطا
وجوارهم له ثم سار السلطان سنجر سنة ثمان وثلاثين لقتال خوارزم وحاصرها أياما
وكان يملكها واقتحمها بعض أمرائه يوما فدافعه أتسز بعد حروب شديدة ثم أرسل

أنسز الى سنجر بالطاعة والعود الى ما كان عليه قبله وعاد سنة ثمان وثلاثين

(صلح زنكى مع السلطان مسعود)

ثم وصل السلطان مسعود سنة ثمان وثلاثين الى بغداد على عادته فتجهز لقصد الموصل وكان يحمل لزنكى جميع ما وقع من الفتن فبعث اليه زنكى يستعطفه مع أبي عبد الله بن الانبارى وحمل معه عشرين ألف دينار وضمن مائة ألف على أن يرجع عنه فرجع وانعقد الصلح بينهما وكان مما رغب السلطان فى صلحه أن ابنه غازى بن زنكى هرب من عند السلطان خوفا من أبيه فرده الى السلطان ولم يجتمع به فوقع ذلك من السلطان أحسن موقع والله تعالى أعلم

(انتقاض صاحب فارس وصاحب الرى) كان بوزابة صاحب فارس وخوزستان كما قدمناه فاستوحش من السلطان مسعود فانتقض سنة أربعين وخمسمائة وبايع لمحمد ابن محمود وهو ابن أخى السلطان مسعود وسار الى ماشون واجتمع بالامير عباس صاحب الرى ووافقه على شأنه واتصل به سليمان شاه أخو السلطان مسعود وتغلبوا على كثير من بلاده فسار اليهم من بغداد فى رمضان من السنة ومعه الامير طغايرك حاجبه وكان له التحكم فى الدولة والميل الى القوم واستخلفه على بغداد الامير مهلهل ونصير أمير الحاج وجماعة من غلمان بهروز وسار فلما تقاربوا للحرب نزع السلطان شاه عنهم الى أخيه مسعود وسعى عبد الرحمن فى الصلح فانعقد بينهما على ما أحبه القوم وأضيف الى عبد الرحمن ولاية اذربيجان واران الى خلخال وضامن جاولى الطغرلى واستوزر أبا الفتح بن دراست وزير بوزابة وقد كان السلطان سنة تسع وثلاثين قبض على وزيره البروجردى واستوزر مكانه المرزبان بن عبد الله بن نصر الاصبهانى وسلم اليه البروجردى واستصفى أمواله فلما كان هذه السنة وفعل بوزابة فى صلح القوم ما فعل اعتضد بهم على مقامه عند السلطان وتحكم عليه وعزل وزيره واستوزر له أبا الفتح هذا

(مقتل طغايرك وعباس)

قد قدمنا أن طغايرك وعبد الرحمن تحكما على السلطان واستبدا عليه ثم آل أمره الى أن منع الملك ارسلان المعروف بابن خاص بك بن التكرى من مباشرة السلطان وكان تربيته وخاصته ونجى خلوته وتجهز طغايرك لبعض الوجوه فحمله فى جملته فأسر السلطان الى ارسلان الفتك بطغايرك وداخل رجال العسكر فى ذلك فأجاب منهم زنكى جاندار ان يباشر قتله بيده ووافق بك ارسلان جماعة من الامراء واعترضوا له فى موكبه فضربه الجاندار فصرعه عن فرسه وأجهز عليه ابن خاص بك ووقف الامراء

الذين واطؤه على ذلك دون الجاندار فمنعوه وكان ذلك بظاهر صهوة وبلغ الخبر الى السلطان مسعود ببغداد ومعه عباس صاحب الرى فى جيش كثيف فامتعض لذلك وذكره فداراه السلطان حتى سكن وداخل بعض الامراء فى قتله فأجابوه وتولى كبر ذلك البقش حروسوس اللحف وأحضر السلطان عباسا وأدخله فى داره وهذان الاميران عنده وقد أكمنوا له فى بعض المخادع رجالا وعدلوا به الى مكانهم فقتلوه ونهبت خيامه وأصاخت البلاد لذلك ثم سكنت وكان عباس من موالى السلطان محمود وكان عادلا حسن السيرة وله مقامات حسان فى جهاد الباطنية وقتل فى ذى القعدة سنة احدى وأربعين ثم حبس السلطان أخاه سليمان شاه فى قلعة تكريت وسار عن بغداد الى اصبهان والله سبحانه وتعالى ولى التوفيق

(مقتل بوزابة صاحب فارس)

قد تقدم لنا ان طغايرك كان مستظهرا على السلطان بعباس صاحب الرى وبوزابة صاحب فارس وخوزستان فلما قتل طغايرك وامتعض له عباس قتل اثره وانتهى الخبر الى بوزابة فجمع العساكر وسار الى اصبهان سنة ثنتين وأربعين فحاصرها وبعث عسكرا آخر لحصار همذان وآخر الى قلعة الماهكى من بلاد اللحف وكان بلاد اللحف من قلاع البقش كوزخر فسار اليها ودفعهم عنها ثم سار بوزابة عن اصبهان لطلب السلطان مسعود فامتنع وتراجعا بمرج قراتكين واشتد القتال بينهما وكبا الفرس ببوزابة وسيق الى السلطان فقتل بين يديه وقيل أصابه سهم فسقط ميتا وانهزمت عساكره وكان هذا الحرب من أعظم الحروب بين السلجوقية

(انتقاض الامراء على السلطان) ولما قتل طغايرك وعباس وبوزابة اختص بالسلطان ابن خاص بك لميله اليه واطرح بقية الامراء فاستوحشوا وارتابوا بأنفسهم أن يقع بهم ما وقع بالآخرين ففارقوه وساروا نحو العراق أبو ركن المسعودى صاحب كنجة واران والبقش كوزخر صاحب الجبل والحاجب ترايطاى المحمودى شحنة واسط وابن طغايرك والركن وقرقوب ومعهم ابن أخى السلطان وهو محمد بن محمود وانتهوا الى حزان فاضطرب الناس ببغداد وغلت الاسعار وبعث اليهم المقتفى بالرجوع فلم يرجعوا ووصلوا الى بغداد فى ربيع الآخر من سنة ثلاث وأربعين ونزلوا بالجانب الشرقى وهرب أجناد مسعود شحنة بغداد الى تكريت ووصل اليهم على ابن دبيس صاحب الحلة ونزل بالجانب الغربى وجمع الخليفة العساكر ثم قاتل العامة عساكر الامراء فاستطردوا لهم ثم كروا عليهم فملؤا الارض بالقتلى ثم جست خيولهم خلال الديار فنهبوا وسبوا ثم جاؤا مقابل التاج يعتذرون ورددوا الرسل الى

الخليفة سائر يومهم ثم ارتحلوا من الغد الى النهروان فعاثوا فيها وعاد مسعود من بلاد تكريت الى بغداد ثم افترق الامراء وفارقوا العراق ثم عاد البقش كون خر والطرنطاي وابن دبيس سنة أربع وأربعين ومعهم ملك شاه بن محمود وهو ابن أخي السلطان وطلبوا من الخليفة الخطبة لملك شاه فأبى وجمع العساكر وشغل بما كان فيه من أمر عم السلطان سنجر وذلك أن السلطان سنجر بعث اليه يلومه في تقديم ابن خاص بك ويأمره بابعاده وتهدده فغالطه ولم يفعل فسار الى الري فبادر اليه مسعود وترضاه فرضي عنه ولما علم البقش كون خر مراسلة المقتفي لمسعود نهب النهروان وقبض على علي بن دبيس وسار السلطان بعد لقاء عمه الى بغداد فوصلها منتصف شوال سنة أربع وأربعين فهرب الطرنطاي الى النعمانية ورحل البقش الى النهروان بعد أن أطلق علي بن دبيس فجاء الى السلطان واعتذر فرضي عنه

(وفاة السلطان مسعود وولاية ملك شاه بن أخيه محمود ثم أخيه محمد من بعده)

ثم توفي السلطان مسعود بهمذان في رجب منتصف سبع وأربعين لثنتين وعشرين سنة من طلبه الملك وبه كل استفحال ملك السلجوقية وركب الخمول دولتهم بعده وكان عهد الى ملك شاه بن أخيه محمود فلما توفي بايع له الامير بن خاص بك وأطاعه العسكر وانتهى خبر موته الى بغداد فهرب الشحنة بلاك الى تكريت وأمر المقتفي بالحوطة على داره ودور أصحاب السلطان مسعود ثم بعث السلطان ملك شاه عسكرا الى الحلة مع سلاركرد من أمرائه فملكها وسار اليه بلاك الشحنة فخادعه حتى استمكن منه فقبض عليه وغرقه واستبد بلاك الشحنة بالحلة وجهز المقتفي العساكر مع الوزير عون الدين ابن هبيرة الى الحلة وبعث عساكرا الى الكوفة وواسط فملكهما ووصلت عساكر السلطان ملك شاه فملكوها وسار اليها الخليفة بنفسه فارتجعها منهم وسار منها الى الحلة ثم الى بغداد آخر ذي القعدة من السنة ثم ان ابن خاص بك طمع في الانفراد بالامر فاستدعى محمد بن محمود من خوزستان فأطمعه في الملك ليقبض عليه وعلى أخيه ملك شاه فقبض على ملك شاه أول السنة أشهر من ولايته ووصل محمد في صفر من سنة ثمان وأربعين فأجلسه على التخت وخطب له بالسلطنة وحمل اليه الهدايا وقد سعى للسلطان محمد بما انطوى عليه ابن خاص بك فلما كان صبيحة وصوله قتله به وقتله وقتل معه زنكي الجاندار قاتل طغايرك وأخذ من أموال ابن خاص بك كثيرا وكان صبيا كابينا اتصل بالسلطان مسعود وتنصح له فقدمه على سائر العساكر والامراء وكان أتوغري التركي المعروف بشملة في جملة ابن خاص بك ومن أصحابه ونهاه عن الدخول الى السلطان محمد فلما قتل ابن خاص بك نجا شملة الى خوزستان وكان له بها بعد ذلك ملك والله أعلم

بغيبه وأحكم

(تغلب الغز على خراسان وهزيمة السلطان سنجر وأسره)

كان هؤلاء الغز فيما وراء النهر وهم شعب من شعوب الترك ومنهم كان السلجوقية أصحاب هذه الدولة وبقوا هنالك بعد عبورهم وكانوا مسلمين فلما استولى الخطا على ملك الصين وعلى ما وراء النهر هجر هؤلاء الغز الى خراسان وأقاموا بنواحي بلخ وكان لهم من الامراء محمود ودينار وبختيار وطوطي وارسلان ومعر وكان صاحب بلخ الامير قماج فتقدم اليهم أن يبعدوا عن بلخ فصانعوه فتركهم وكانوا يعطون الزكاة ويؤمنون السابلة ثم عاد اليهم في الانتقال فامتنعوا وجمعوا فخرج اليهم في العساكر وبذلوا له مالا فلم يقبل وقاتلوه فهزموه وقتلوا العسكر والرعايا والفقهاء وسبوا العيال ونجا قماج الى مرو وبها السلطان سنجر فبعث اليهم يتهددهم ويأمرهم بمفارقة بلاده فلاطفوه وبذلوا المال فلم يقبل وسار اليهم في مائة ألف فهزموه وأثخنوا في عسكره وقتل علاء الدين قماج وأسروا السلطان سنجر ومعه جماعة من الامراء فقتلوا الامراء واستبقوا السلطان سنجر وبايعوه ودخلوا معه الى مرو وطلب منه بختيار اقطاعها فقال هي كرسي خراسان فسخروا منه ثم دخل سنجر خانقاه فقسط على الناس واطرهم وعسفهم وعلق في الاسواق ثلاث غرائر وطالبهم بملئها ذهبا فقتله العامة ودخل الغز نيسابور ودمروها تدميرا وقتلوا الكبار والصغار وأحرقوها وقتلوا القضاة والعلماء في كل بلد ولم يسلم من خراسان غير هراة وسجستان لحصانتهما وقال ابن الاثير عن بعض مؤرخي العجم ان هؤلاء الغز انتقلوا من نواحي التغرغر من أقاصي الترك الى ما وراء النهر أيام المقتفي وأسلموا واستظهر بهم المقنع الكندي على مخارقه وشعوذته حتى تم أمره فلما سارت اليه العساكر خذلوه وأسلموه وفعلوا مثل ذلك مع الملوك الخانية ثم طردهم الاتراك القارغلية عن اقطاعهم فاستدعاهم الامير زنكي بن خليفة الشيباني المستولي على حدود طخارستان وأنزلهم بلاده واستظهر بهم على قماج صاحب بلخ وسار بهم لمحاربته فخذلوه لان قماج كان استمالهم فانهزم زنكي وأسر هو وابنه وقتلهما قماج وأقطع الغز في بلاده فلما سار الحسين بن الحسين الغوري الى بلخ برز اليه قماج ومعه هؤلاء الغز فخذلوه ونزعوا عنه الى الغوري حتى ملك بلخ فسار السلطان سنجر الى بلخ وهزم الغوري واستردها وبقي الغز بنواحي طخارستان وفي نفس قماج حقد عليهم فأمرهم بالانتقال عن بلاده فتألفوا وتجمعوا في طوائف من الترك وقدموا عليهم ارسلان بوقا التركي ولقيهم قماج فهزموه وأسروه وابنه أبا بكر وقتلوهما واستولوا على نواحي بلخ وعاثوا فيها وجمع السلطان سنجر وفي مقدمته محمد بن أبي بكر بن قماج المقتول

والمؤيد ابنه في محرم سنة ثمان وأربعين وجاء السلطان سنجر على أثرهم وبعثوا اليه
بالطاعة والاموال فلم يقبل منهم وقاتلهم فهزموه الى بلخ ثم عاود قتالهم فهزموه الى
مرو واتبعوه فهرب هو وعسكره من مرو رعبا منهم ودخلوا البلد وأفحشوا فيه قتلا
ونهبا وقتلوا القضاة والائمة والعلماء ولما خرج سنجر من مرو وأسروه أجلسوه
على التخت على عادته وآتوه طاعتهم ثم عاودوا الغارة على مرو فمنعهم أهلها وقاتلوهم
ثم عجزوا واستسلموا فاستباحوها أعظم من الاولى ولما أسر سنجر فارقه جميع أمراء
خراسان ووزيره طاهر بن فخر الملك بن نظام الملك ووصلوا الى نيسابور واستدعوا
سليمان شاه بن السلطان محمود وخطبوا له بالسلطان في منتصف السنة واجتمعت عليه
عساكر خراسان وساروا لطلب الغز فبارزوهم على مرو وانهزمت العساكر رعبا منهم
وقصدوا نيسابور والغز في اتباعهم ومروا بطوس فاستباحوها وقتلوا حتى العلماء
والزهاد وخربوا حتى المساجد ثم ساروا الى نيسابور في شوال سنة تسع وأربعين
ففعلوا فيها أفحش من طوس حتى ملؤا البلاد من القتلى وتحصن طائفة بالجامع الاعظم
من العلماء والصالحين فقتلوهم عن آخرهم وأحرقوا خزائن الكتب وفعلوا مثل
ذلك في جوين واسفراين فحاصروهما واقتحموهما مثل ما فعلوا في البلاد الاخرى
وكانت أفعال الغز في هذه البلاد أعظم وأقبح من أفعال الغز في غيرها ثم ان السلطان
سليمان شاه توفي وزيره طاهر بن فخر الملك بن نظام الملك في شوال سنة ثمان وأربعين
فاستوزر ابنه نظام الملك واختل أمره وعجز عن القيام بالملك فعاد الى جرجان في صفر سنة
تسع وأربعين فاجتمع الامراء وخطبوا للخان محمود بن محمد بن بقراخان وهو ابن أخت
سنجر واستدعوه فملكوه في شوال من السنة وساروا معه لقتال الغز وهم محاصرون
هراة فكانت حروبه معهم سجالا وأكثر الظفر للغز ثم رحلوا عن هراة الى مرو ومنتصف
خمسين وأعادوا مصادرة أهلها وسار الخان محمد الى نيسابور وقد غلب عليها المؤيد
كما نذكر فراسل الغز في الصلح فصالحوه في رجب

* (استيلاء المؤيد على نيسابور وغيرها) *

هذا المؤيد من موالي سنجر واسمه وكان من أكابر أوليائه ومطاعا فيهم
ولما كانت هذه الفتنة وافترق أمر الناس بخراسان تقدم فاستولى على
نيسابور وطوس ونسا وان ورد وشهرستان والدامغان وحصنها ودافع الغز
عنها ودانت له الرعية لحسن سيرته فعظم شأنه وكثرت جموعه واستبد بهذه الناحية
وطالبه السلطان محمود عندما ملكوه بالحضور عنده وتسليم البلاد فامتنع وترددت الرسل
بينهما على مال يحمله للسلطان محمود فضمنه المؤيد وكف عنه محمود واستقر الحال على ذلك

والله سبحانه وتعالى أعلم

(استيلاء ايناخ على الري) كان ايناخ من موالى السلطان سنجر وكانت الري أيضا من أعمال سنجر فلما كانت فتنة الغز لحق بالري واستولى عليها وصانع السلطان محمد شاه ابن محمود صاحب همذان واصبهان وغيرهما وبذل له الطاعة فأقره فلما مات السلطان محمد مقيده الى أعمال تجاوزته وملكها فعظم أمره وبلغت عساكره عشرة آلاف فلما ملك سليمان شاه همذان على ماذكره وقد كان أنس به عند ولاية سليمان على خراسان سار اليه وقام بخدمته وبقي مستبدا بتلك البلاد والله سبحانه وتعالى أعلم

(الخبر عن سليمان شاه وحبسه بالموصل)

كان سليمان شاه بن السلطان محمد بن ملك شاه عند عمه السلطان سنجر وجعله ولى عهده وخطب له على منابر خراسان فلما وقعت فتنة الغز وأسر سنجر قدمه أمراء خراسان على أنفسهم ثم عجز ومضى الى خوارزم شاه فزوجه ابنة أخيه ثم سعى به عنده فأخرجه من بلاده وجاء الى اصبهان فمنعه الشحنة من الدخول فمضى الى قاشان فبعث السلطان محمد شاه بن أخيه محمود عسكرا فصدوه عنها فسار الى خوزستان فمنعه ملك شاه منها فقصد اللحف ونزل وأرسل المقتفي في أثره فطلبه في زوجته رهينة ببغداد فبعث بجامع جواريها وأتباعها فأكرمهم المقتفي وأذن له في القدوم وخرج الوزير بن هبيرة وقاضي القضاة والنقباء لتلقيه وخلع عليه المقتفي وأقام ببغداد حتى اذا دخلت سنة احدى وخمسين أحضر بدار الخلافة وحضر قاضي القضاة والاعيان واستحلف على الطاعة والتجافي للخليفة عن العراق وخطب له ببغداد ولقب ألقاب أبيه وأمد بثلاثة آلاف من العسكر وجعل معه الامير دوران أمير حاجب صاحب الجبلة وسار الى بلاد الجبل في ربيع الاول من السنة وسار المقتفي الى حلوان وبعث الى ملك شاه بن السلطان محمود يدعوه الى موافقة عمه سليمان شاه وان يكون ولى عهده فقدم في ألفي فارس وتحالفا وأمدهما المقتفي بالمال والاسلحة واجتمع معهم ايلدكز صاحب كنجة واراينة وساروا القتال السلطان محمد فلما بلغه خبرهم أرسل الى قطب الدين مودود بن زنكي ونائبه زين الدين على كوجك في المساعدة والارتفاق فأجاباه وسار القاء عمه سليمان شاه ومن معه واقتتلوا في جمادى الاولى فهزمهما السلطان محمد وافترقوا وتوجه سليمان شاه الى بغداد على شهر زور وكانت لصاحب الموصل وبها الامير بوران من جهة على كوجك نائب الموصل فاعترضه هنالك كوجك وبوران فاحتمله كوجك الى الموصل فحبسه بها وبعث الى السلطان محمد بالخبر وانه على الطاعة والمساعدة فقبل منه وشكره

(فرار سنجر من أسر الغز)

قد تقدم لنا ما كان من أسر السلطان سنجر بيد الغز وافتراق خراسان واجتماع الامراء بنيسابور وما اليها على الخان محمود بن محمد وامتنعوا من الغز وامتنع أتسز ابن محمد أنوشكين بخوارزم وانقسمت خراسان بينهم وكانت الحرب بين الغز وبينهما سجالا ثم هرب سنجر من أسر الغز وجماعة من الامراء كانوا معه في رمضان سنة احدى وخمسين ولحق بترمذ ثم عبر جيحون الى دار ملكه بمرو فكانت مدة أسره من جمادى سنة ثمان وأربعين ثلاث سنين وأربعة أشهر ولم يتفق فراره من الاسر الا بعد موت علي بك مقدم القارغلية لانه كان أشد شئ عليه فلما توفي انقطعت القارغلية اليه وغيرهم ووجد فسحة في أمره والله سبحانه وتعالى أعلم

(حصار السلطان محمد بغداد) كان السلطان محمد بن محمود لاول ولايته الملك بعد عمه مسعود بعث الى المقتفي في الخطبة له ببغداد والعراق على عادتهم فدفعه لما رجا من ذهاب دولتهم استعمالهم واستبدادهم فسار السلطان من همذان في العساكر نحو العراق ووعده صاحب الموصل ونائبه بمدد العساكر فقدم آخر احدى وخمسين وبعث المقتفي في الحشد فجاء خطاوفرس في عسكر واسط وخالفهم مهلهل الى الحلة فملكها واهتم المقتفي وابن هبيرة بالحصار وقطع الجسر وجمع السفن تحت التاج ونودي في الجانب الغربي بالعبور فعبروا في محرم سنة ثنتين وخمسين وخرب المقتفي ما وراء الحلبة صلاحا في استبداده وكذلك السلطان محمد من الجهة الاخرى ونصبت المنجنيقات والرعادات وفرق المقتفي السلاح على الجند والعامة وجاء زين الدين كجك في عسكر الموصل ولقي السلطان على أوانا واتصلت الحرب واشتد الحصار وفقدت الاقوات وانقطعت المواد عن أهل بغداد وفتر كجك وعسكره في القتال أدبا مع المقتفي وقيل أوصاه بذلك نور الدين محمود بن زنكي أخو قطب الدين الاكبر ثم جاء الخبر بأن ملكشاه أخا السلطان محمد وايلدكز صاحب اران وربيبه ارسلان بن طغرل قصدوا همذان فسار عن بغداد مسرعا الى همذان آخر ربيع الاول وعاد زين الدين الى الموصل ولما وصل ملكشاه وايلدكز وربيبه ارسلان الى همذان أقاموا بها قليلا وسمعوا بمجيء السلطان فأجفلوا وساروا الى الري فقاتلهم الشحنة اينانج فهزموه وحاصروه وأمده السلطان محمد بعسكر بن سقمس بن قماز فوجدهم قد أفرجوا عنه وقصدوا بغداد فقاتلهم فهزموه ونهبوا عسكره فسار السلطان محمد ليسابقهم الى بغداد فلما انتهى الى حلوان بلغه أن ايلدكز بالدينور ثم وافاه رسول اينانج بأنه ملك همذان وخطب له فيها وان شملة صاحب خراسان هرب عن ايلدكز وملكشاه الى بلاده

فعاد الى اران ورجع السلطان الى همذان قاصد التجهز الى بلاد ايلدكز باران

(وفاة سنجر)

ثم توفى السلطان سنجر صاحب خراسان فى ربيع سنة ثنتين وخمسين وقد كان ولى خراسان منذ أيام أخيه بركيارق وعهده أخوه محمد فلما مات محمد خوطب بالسلطنة وكان الملوك كلهم بعدها فى طاعته نحو أربعين سنة وخطب له قبلها بالملك عشرين سنة وأسره الغز ثلاث سنين ونصف ومات بعد خلاصه من الاسر وقطعت خطبته ببغداد والعراق ولما احتضر استخلف على خراسان ابن أخته محمد بن محمود بن بقراخان فأقام بجرجان وملك الغز مرو وخراسان وملك به المؤيد نيسابور وناحيته من خراسان وبقى الامر على هذا الخلاف سنة أربع وخمسين وبعث الغز الى محمود الخان ليحضر عندهم فيملكوه نخافهم على نفسه و بعث ابنه اليهم فاطاعوه مدة ثم لحق هو بهم كما نذكر بعد

(منازعة ايناق للمؤيد)

كان ايناق هذا من موالى السلطان سنجر فلما كانت الفتنة وافترق الشمل ومات السلطان سنجر وملك المؤيد نيسابور وحصل له التقدم بذلك على عساكر خراسان حسده جماعة من الامراء وانحرف عنه ايناق هذا فتارة يكون معه وتارة يكون فى مازندان فلما كان سنة ثنتين وخمسين سار من مازندان فى عشرة آلاف فارس من المنحرفين عن المؤيد وقصد دنسا وابيورد وأقام بها المؤيد ايناق فسار اليه وكبسه وغنم معسكره ومضى ايناق منهزما الى مازندان وكان بين ملكها رستم وبين أخيه على منازعة فتقرب ايناق الى رستم بقتال أخيه على فوجد لذلك غلبة ودفعه عنه وسار يتردد فى نواحى خراسان بالعيث والفساد والح على اسفراين نخربها وراسله السلطان محمود الخان والمؤيد فى الطاعة والاستقامة فامتنع فساروا اليه فى العساكر فى صفر سنة ثلاث وخمسين فهرب الى طبرستان و بعث رستم شاه مازندان الى محمود والمؤيد بطاعته و بأموال جليلة وهدية فقبلوا منه و بعث ايناق ابنه رهنا على الطاعة فرجعوا عنه واستقر بجرجان ودستان وأعمالها

(منازعة سنقر العزيزى للمؤيد ومقتله)

كان سنقر العزيزى من أمراء السلطان سنجر وكان فى نفسه من المؤيد ما عند الباقين فلما شغل المؤيد بحروب ايناق سار سنقر من عسكر السلطان محمود بن محمد الى هراة فلكها واشترط عليه أن يستظهر بملك الغورية الحسين فأبى وطمع فى الاستبداد لما رأى من استبداد الامراء على السلطان محمود بن محمد فحاصره المؤيد بهراة واستمال

الاتراك الذين كانوا معه فأطاعوه وقتلوا اسنقر العزيزي غيلة وملك السلطان محمد هراة ولحق الفل من عسكر سنقر بأياق وتسلطوا على طوس وقراها واستولى الخراب على البلاد والله تعالى أعلم

(فتنة الغز الثانية بخراسان وخراب نيسابور على يد المؤيد)

كان الغز بعد فتنتهم الاولى أوطنوا بلخ ونزعوا عن النهب والقتل بخراسان واتفقت الكلمة بها على طاعة السلطان محمود بن محمد الخان وكان القائم بدولته المؤيد أبوابه فلما كانت سنة ثلاث وخمسين في شعبان سار الغز الى مرو فزحف المؤيد اليهم وأوقع طائفة منهم وتبعهم الى مرو وعاد الى سرخس وخرج معه الخان محمود لحربهم فالتقوا خامس شوال وتواقعوا مرارا ثلاثا انهزم فيها الغز على مرو وأحسنوا السيرة وأكرموا العلماء والائمة ثم أغاروا على سرخس وطوس واستباحوهما وخربوهما وعادوا الى مرو وأما الخان محمود بن محمد فسار الى جرجان ينتظر ما آل أمرهم وبعثوا اليه الغز سنة أربع وخمسين يستدعونه ليملكوه فاعتذر لهم خشية على نفسه فطلبوا منه جلال الدين عمر فتوثق منهم بالحلف وبعثه اليهم فعظموه وملكوه في ربيع الآخر من سنة أربع ثم سار أبوه محمود الى خراسان وتخلف عنه المؤيد ابوابه وانتهى الى حدود نسا وابيورد فولى عليهم الامير عمر بن حمزة النسوي فقام في حمايتهما المقام المحمود بظاهر نسا ثم سار الغز من نيسابور الى طوس لامتناع أهلها من طاعتهم فملكوها واستباحوها وعادوا الى نيسابور فسار وامع جلال الدين عمر بن محمود الخان الى حصار سابزوار وبها النقيب عماد الدين محمد بن يحيى العلوي الحسيني فحاصروه وامتنعت عليهم فرجعوا الى نسا وابيورد للقاء الخان محمود بجرجان كما قدمناه فخرج منها سائرا الى خراسان واعترضه الغز ببعض القرى في طريقه فهرب منه وأسر بعضهم ثم هرب منه ولحق بنيسابور فلما جاء الخان محمود اليها مع الغز فارقها منتصف شعبان ودخلها الغز وأحسنوا السيرة وساروا الى سرخس ومرو فعاد المؤيد في عساكره الى نيسابور وامتنع أهلها عليه فحاصرها وافتتحها عنوة وخربها ورحل عنها الى سبق في شوال سنة أربع وخمسين

(استيلاء ملكشاه بن محمود على خوزستان) ولما رجع السلطان ملكشاه محمد بن محمود من حصار بغداد وامتنع الخليفة من الخطبة له أقام بهمذان عليلا وسار أخوه ملكشاه الى قم وقاشان فأفحش في نهبها ومصادرة أهلها وراسله أخوه السلطان محمد في الكف عن ذلك فلم يفعل وسار الى اصبهان وبعث الى ابن الجعفري وأعيان البلد في طاعته فاعتذروا بطاعة أخيه فعاث في قراها ونواحيها فسار السلطان اليه من

همذان وفي مقدمته كرجان الخادم فافترقت جموع ملكشاه ولحق ببغداد فلما انتهى الى قوس لقيه موبران وسنقر الهمذاني فأشارا عليه بقصد خوزستان من بغداد فسار الى واسط ونزل بالجانب الشرقي وساء أثر عسكره في النواحي ففتحوا عليهم البثوق وغرق كثير منهم ورجع ملكشاه الى خوزستان فمنعه شملة من العبور فطلب الجوار في بلده الى أخيه السلطان فمنعه فنزل على الاكراد الذين هنالك فاجتمعوا عليه من الجبال والبسائط وحارب شملة ومع ملكشاه سنقر الهمذاني وموبدان وغيرهما من الامراء فانهزم شملة وقتل عامة أصحابه واستولى ملكشاه على البلاد وسار الى فارس والله هو المؤيد بنصره

(وفاة السلطان محمد وولاية عمه سليمان شاه)

ثم توفي السلطان محمد بن محمود بن محمد بن ملكشاه آخر سنة أربع وخمسين وهو الذي حاصر بغداد يطلب الخطبة له من الخليفة ومنعه فتوفي آخر هذه السنة لسبع سنين ونصف من ولايته وكان له ولد صغير فسلمه الى سنقر الاحمر يلي وقال هو وديعة عندك فأوصل به الى بلادك فان العساكر لا تطيعه فوصل به الى مراغة واتفق معظم الجند على البيعة لعمه سليمان شاه وبعث أكابر الامراء بهمذان الى أتابك زين الدين مودود أتابك ووزير مودود وزيره فأطلقه مودود وجهزه بما يحتاج اليه في سلطانه وسار معه زين الدين على بكك في عساكر الموصل فلما انتهى الى بلاد الجبل وأقبلت العساكر للقاء سليمان شاه ذكر معاملتهم مع السلطان ودالتهم عليه فخشي على نفسه وعاد الى الموصل ودخل سليمان شاه همذان وبايعوا له والله سبحانه وتعالى أعلم

(وفاة المقتفي وخلافة المستنجد) ثم توفي المقتفي لامر الله في ربيع الاول سنة خمس وخمسين لاربع وعشرين سنة من خلافته وقد كان استبد في خلافته وخرج من حجر السلجوقية عند افتراق أمرهم بعد السلطان مسعود كما ذكرناه في أخبار الخلفاء ولما توفي بويع بعده بالخلافة ابنه المستنجد فجرى على سنن أبيه في الاستبداد واستولى على بلاد الماهلي ونزل اللحف وولى عليها من قبله كما كانت لابيه وقد تقدم ذكر ذلك في أخبارهما انتهى

(اتفاق المؤيد مع محمود الخان) قد كنا تقدمنا أن الغز لما تغلبوا استدعوا محمود الخان ليملكوه فبعث اليهم بابنه عمر فملكوه ثم سار محمود من جرجان الى نسا وجاء الغز فسار وا به الى نيسابور فهرب عنها المؤيد ودخلها محمود والغز ثم ساروا عنها فعاد اليها المؤيد فحاصرها وملكها عنوة وخربها في شوال سنة أربع وخمسين ورحل عنها الى سرخس فعاد اليها المؤيد فحاصرها وملكها عنوة ورحل عنها الى بيهق ثم رجع اليها سنة خمس

وخمسين وعمر خرابها وبالغ فى الاحسان اليها ثم سار لاصلاح أعمالها ومحو آثار
المفسدين والثوار من نواحيها ففتح حصن اشقيل وقتل الثوار الزيدية وخربه وفتح
حصن خسروجرد من أعمال بيهق وهو من بناء كيخسرو ملك الفرس أيام حربه مع
افراسياب وملكه ورتب فيه الحامية وعاد الى نيسابور ثم قصد مدينة كندر من
أعمال طرسا وفيها متغلب اسمه خرسده يفسد السابلة ويخرب الاعمال ويكثر القتل
وكان البلاء به عظيما فى خراسان فحاصره ثم ملك عليه الحصن عنوة وقتله وأراح البلاد
منه ثم قصد فى رمضان من السنة مدينة بيهق وكانوا قد عصوا عليه فراجعوا الطاعة
وقبلهم واستفحل أمره فأرسل اليه السلطان محمود بن محمد وهو مع الغز بالولاية على
نيسابور وطوس وما اليها فاتصلت يده به واستحكم الصلح بينه وبين الغز وذهبت الفتن

كان هؤلاء الاتراك البرزية من شعوب الترك بخراسان وأميرهم بقراخان بن داود فأغار
عليهم جمع من عساكر خوارزم شاه وأوقعوا بهم وفتكوا فيهم ونجا بقراخان فى الفل
منهم الى السلطان محمود بخراسان ومن معه من الغز مستصرخا بهم وهو يظن أن ايتاق
هو الذى هيج عليهم فسار الغز معه على طريق نسا وابيورد وقصدوا ايتاق فلم يكن له
بهم قوة فاستنصر شاه مازندان فسار لنصره واحتشد فى أعماله من الاكراد
والديلم والتركمان وقاتلوا الغز والبرزية بنواحى دهستان فهزمهم خمسا
وكان ايتاق فى ميمنة شاه مازندان وأثخن الغز فى قتل عسكرهم ولحق شاه مازندان
بسارية وايتاق بشهر وزخوارزم ثم ساروا الى دهستان فنهبوها وخربوها سنة ست
وخمسين وخربوا جرجان كذلك وافترق أهلها فى البلاد ثم سار ايتاق الى بقراتكين
المتغلب على اعمال قزوين فانهزم من بين يديه ولحق بالمؤيد وصار فى جملته واكتسح
ايتاق سائر أعماله ونهب أمواله فقوى بها

قد قدمنا ان ملك شاه بن محمود سار بعد أخيه السلطان محمد بن خورستان الى أصبهان
ومعه شملة التركمانى ودكلا صاحب فارس فأطاعه ابن الخجندى رئيس اصبهان
وسائر أهلها وجمع له الاموال وأرسل ملك شاه الى أهل الدولة باصبهان يدعوهم الى
طاعته وكان هواهم مع عمه سليمان فلم يجيبوه الى ذلك وبعثوا عن سليمان من الموصل
وملكوه وانفرد ملك شاه بأصبهان واستفحل أمره وبعث الى المستنجد فى الخطبة له
ببغداد مكان عمه سليمان شاه وان تعاد الامور الى ما كانت ويتهددهم فوعد
الوزير عميد الدين بن هبيرة جارية جاعلها على سمه فسمته فى الطعام وفطن الطبيب بأنه
مسموم وأخبر بذلك شملة ودكلا فاحضروا الجارية وأقرت ومات ملك شاه وأخرج أهل

اصبهان صحابه وخطبوا السلطان سليمان شاه وعاد شملة الى خراسان فارتجع ما كان ملكشاه تغلب عليه منها

كان سليمان لما ملك أقبل على اللهو ومعاقرة الخمر حتى فى نهار رمضان وكان يعاشر الصفاعين والمساخر وعكف على ذلك مع ما كان فيه من الخرق والتهور فقعد الامراء عن غشيان بابه وشكوا الى شرف الدين كردبازه الخادم وكان مدبر مملكته وكان حسن التربية والدين فدخل عليه يوما يعذله على شأنه وهو مع ندمائه بظاهر همذان فأشار اليهم أن يعبثوا بكردبازه فخرج مغضبا واعتذر اليه عند ما صحا فأظهر له القبول وقعد عن غشيان مجلسه وكتب سليمان شاه الى اينانج صاحب الرى يدعوه الى الحضور فوعده بذلك اذا أفاق من مرضه وزاد كردبازه استيحاشا فاستحلف الامراء على خلع سليمان وبدأ بقتل جميع الصفاعين الذين كانوا ينادمونه وقال انما فعلته صونا للملك ثم عمل دعوة فى داره فحضر سليمان شاه والامراء وقبض على سليمان شاه ووزيره أبى القاسم محمود بن عبد العزيز الحاقدى وعلى خواصه وذلك فى شوال سنة خمس وخمسين وقتل وزيره وخواصه وحبس سليمان شاه قليلا ثم قتله ثم أرسل الى ايلدكز صاحب اران وأذربيجان يستقدم ربيبه أرسلان بن طغرل ليبايع له بالسلطنة وبلغ الخبر الى اينانج صاحب الرى فسار الى همذان ولقيه كردبازه وخطب له بالسلطنة بجميع تلك البلاد وكان ايلدكز قد تزوج بأم أرسلان وولدت له ابنه البهلوان محمد ومزدارسلان عثمان فكان ايلدكز أتابك وابنه البهلوان حاجبا وهو أخو أرسلان لامه وايلدكز هذا من موالى السلطان مسعود ولما ملك أقطعه اران وبعض اذربيجان و[illegible] الفتن والحروب فاعتصم هو باران ولم يحضر عند أحد من ملوكهم وجاء اليه ارسلان شاه من تلك الفتن فأقام عنده الى أن ملك ولما خطب له بهمذان بعث ايلدكز اتابك الى اينانج صاحب الرى ولاطفه وصاهره فى ابنته لابنه البهلوان وتحالفا على الاتفاق وبعث الى المستنجد بطلب الخطبة لارسلان فى العراق واعادة الامور الى عادتها أيام السلطان مسعود فطرد رسوله بعد الاهانة ثم أرسل ايلدكز الى اقسنقر الاحمديلى يدعوه الى طاعة السلطان ارسلان فامتنع وكان عنده ابن السلطان شاه بن محمود المدنى أسلمه اليه عند موته فتهدده بالبيعة له وكان الوزير ابن هبيرة يكاتبه من بغداد ويقمعه فى الخطبة لذلك الصبى قصدا للنصر من بينهم فجهز ايلدكز العساكر مع البهلوان الى اقسنقر واستمد اقسنقر شاه رمن سقمان القطبى صاحب خلاط وواصله فمدّه بالعساكر وسار نحو البهلوان وقاتله فظفر به ورجع البهلوان الى همذان مهزوما والله تعالى أعلم

فلما مات ملكشاه بن محمود باصبهان كما قلناه لحق طائفة من أصحابه ببلاد فارس ومعهم ابنه محمود فانتزعه منهم صاحب فارس زنكى بن دكلا السلغرى وأنزله فى قلعة اصطخر فلما ملك ايلدكز السلطان ارسلان وطلب الخطبة ببغداد وأخذ الوزير ابن هبيرة فى استفساد الاطراف عليهم وبعث لابن اقسنقر فى الخطبة لابن السلطان محمد شاه الذى عنده وكاتب صاحب فارس أيضا يشير عليه بالبيعة للسلطان محمد بن السلطان ملكشاه الذى عنده ويعده بالخطبة له ان ظفر بايلدكز فبايع له ابن دكلا وخطب له بفارس وضرب النوب الخمس على بابه وجمع العساكر وبلغ الى ايلدكز فجمع وسار فى أربعين ألفا الى اصبهان يريد فارس فأرسل الى زنكى فى الخطبة لارسلان شاه فأبى فقال له ايلدكز ان المستنجد اقطعنى بلادك وأنا سائر اليها وتقدمت طائفة الى نواحى ارجان فلقيتها سرية لارسلان بوقا صاحب ارجان فأوقعوا بطائفته وقتلوا منهم وبعثوا بالخبر الى اينانج فنزل من الرى فى عشرة آلاف وأمده اقسنقر الاحمديلى بخمسة آلاف فقصد

وهرب صاحب ابن البازدان وابن طغايرك وغيرهما من أولياء ايلدكز للقاء اينانج ورد عسكر المدافعة زنكى عن شهرم وغيرها من البلاد فهزمهم زنكى بن دكلا ورجعوا اليه فاستدعى عساكره من اذربيجان وجاء هيبس بن مزدارسلان واستمد اينانج وقتل أصحابه ونهب سواده ودخل الرى وتحصن فى قلعة طبرك ثم ترددت الرسل بينه وبين ايلدكز فى الصلح وأقطعه جرباذقان وغيرها وعاد ايلدكز الى همذان والله سبحانه وتعالى أعلم

وفى ربيع سنة ست وخمسين قبض المؤيد على أعيان نيسابور وحبسهم وفيهم نقيب العلويين أبو القاسم زيد بن الحسن الحسنى وآخذهم على ما فعله آباؤهم بأهل البلد من أهل البلد من النهب والاعتداء على الناس فى أموالهم وحرمهم فأخذ هؤلاء الاعيان بذنوبهم كأنهم لم يضربوا على أيديهم وقتل جماعة من أهل الفساد فخرب البلد وامتدت الايدى الى المساجد والمدارس وخزائن الكتب وأحرق بعضها ونهب بعضها وانتقل المؤيد الى الشادياخ فأصلح سوره وسد ثلمه وسكنه وخرب نيسابور بالكلية وكان الذى اختط هذا الشادياخ عبد الله بن طاهر أيام ولايته على خراسان يتفرد بسكناه هو وحشمه عن البلد تجافيا عن مزاحمتهم ثم خربت وجددها الب ارسلان ثم خربت فجددها الآن المؤيد وخربت نيسابور بالكلية ثم زحف الغز والخان محمود معهم وهو ملك خراسان لذلك العهد فحاصروا المؤيد بالشادياخ شهرين ثم هرب الخان عنهم الى شهرستان كأنه يريد الحمام وأقام بها وبقى الغز الى آخر شوال ثم رجعوا فنهبوا البلاد

ونهبوا طوس ولما دخل الخان الى نيسابور أمهله المؤيد الى رمضان سنة سبع وخمسين ثم قبض عليه وسمله وأخذ ما كان معه من الذخائر وحبسه وحبس معه جلال محمد فماتا في محبسهما وخطب المؤيد لنفسه بعد المستنجد ثم زحف المؤيد الى شهرستان وقرب نيسابور فحاصرها حتى نزلوا على حكمه في شعبان سنة تسع وخمسين ونهبها عسكره ثم رفع الايدى عنهم واستقامت في ملكه والله أعلم

ثم زحف المؤيد الى قلعة بسكره من طوس وكان بها أبو بكر جاندار ممتنعا فحاصره بها شهرا وأعانه أهل طوس لسوء سيرته فيهم ثم جهده الحصار فاستأمن ونزل فحبسه وسار الى كرمان فأطاعوه وبعث عسكرا الى اسفراين فتحصن بها رئيسها عبد الرحمن بن محمد بالقلعة فحاصروه واستنزله وحمله مقيدا الى الشادياخ فحبس ثم قتل في ربيع الآخر سنة ثمان وخمسين ثم ملك المؤيد قهندر ونيسابور واستفحل ملكه وعاد الى ما كان عليه وعمر الشادياخ وخرب المدينة العتيقة ثم بعث عسكرا الى بوشنج وهراة وهي في ولاية محمد بن الحسين ملك الغور فحاصرها وبعث الملك محمد عسكرا لمدافعته فافرجوا عنها وصفت ولاية هراة للغورية

كان الكرج قد ملكوا مدينة انى من بلاد اران في شعبان سنة ست وخمسين واستباحوها قتلا وأسرا وجمع لهم شاه ارمن بن ابراهيم بن سكمان صاحب خلاط جموعا من الجند والمتطوعة وسار اليهم فقاتلوه وهزموه وأسر كثير من المسلمين ثم جمع الكرج في شعبان سنة سبع وخمسين ثلاثين ألف مقاتل وملكوا دوس من اذربيجان والجبل واصبهان فسار اليهم ايلدكز وسار معه شاه ارمن بن ابراهيم بن سكمان صاحب خلاط واقسنقر صاحب مراغة في خمسين ألفا ودخلوا بلاد الكرج في صفر سنة ثمان وخمسين فاستباحوها وأسروا الرجال وسبوا النساء والولدان وأسلم بعض أمراء الكرج ودخل مع المسلمين وكمن بهم في بعض الشعاب حتى زحف الكرج وقاتلوا المسلمين شهرا أو نحوه ثم خرج الكمين من ورائهم فانهزموا واتبعهم المسلمون يقتلون ويأسرون وعادوا ظافرين

ثم سار المؤيد الى ايبه صاحب نيسابور الى بلاد قومس فملك بسطام ودامغان وولى بسطام مولاه تنكز فجرى بينه وبين شاه مازندران اختلاف أدى الى الحرب واقتتلوا في ذى الحجة سنة ثمان وخمسين ولما ملك المؤيد قومس بعث اليه السلطان ارسلان بن طغرل بالخلع والالوية لما كان بين المؤيد وايلدكز من المودة وأذن له في ولاية ما يفتحه من

خراسان ويخطب له فيها فخطب له في أعمال قومس وطوس وسائر أعمال نيسابور ويخطب لنفسه بعده ارسلان وكانت الخطب في جرجان ودهستان لخوارزم شاه ارسلان بن اتسز وبعده للامير ايتاق والخطبة في مرو وبلخ وسرخس وهي بيد الغز وهراة وهي بيد الامير ايتكين وهو مسالم الغز للسلطان سنجر يقولون اللهم اغفر للسلطان السعيد سنجر وبعده لامير تلك المدينة والله تعالى ولي التوفيق

كان خان خاقان الصيني ولي على سمرقند وبخارى الخان جغرا بن حسين تكين وهو من بيت قديم في الملك ثم بعث اليه سنة سبعة وخمسين باجلاء القارغلية من أعماله الى كاشغرا ويشتغلون بالماش من الزراعة وغيرها فامتنعوا فألح عليهم فاجتمعوا وساروا الى بخارى فدس أهل بخارى الى جغراخان وهو بسمرقند ووعدوا القارغلية بالمصانعة وطاوعوهم الى أن صبحهم جغر في عساكره فأوقع بهم وقطع دابرهم والله تعالى أعلم

وفي سنة تسع وخمسين استولى الامير صلاح الدين سنقر من موالي السلطان سنجر على بلاد الطالقات وأغار على عرشستان حتى ملكها وصارت في حكمه بحصونها وقلاعها وصالح أمراء الغز وحمل لهم الاتاوة

كان صاحب هراة الامير ايتكين وبينه وبين الغز مهادنة فلما قتل الغز ملك الغور محمد ابن الحسين كما مر في أخباره طمع ايتكين في بلاده فجمع جموعه وسار اليها في رمضان سنة تسع وخمسين وتوغل في بلاد الغور فقاتله أهلها وهزموه وقتل في المعركة وقصد الغز هراة وقد اجتمع أهلها على أثير الدين منهم فاتهموه بالميل للغز وقتلوه واجتمعوا على أبي الفتوح بن علي بن فضل الله الطغرائي ثم بعثوا الى المؤيد بطاعتهم فبعث اليهم مملوكه سيف الدين تنكز فقام بأمرهم وبعث جيشا الى سرخس ومرو وأغاروا على دواب الغز فأفرجوا عن هراة ورجعوا الطاعته والله تعالى أعلم

قد ذكرنا استيلاء المؤيد على قومس وبسطام وولاية مولاه تنكز عليها ثم ان شاه مازندان وهو رستم بن علي بن هربار بن قارون جهز اليها عسكرا مع سابق الدين القزويني من أمرائه فملك دامغان وسار اليه تنكز فيمن معه من العسكر فكبسهم القزويني وهزمهم واستولى على البلاد وعاد تنكز الى المؤيد بنيسابور وجعل يغير على بسطام قومس ثم توفي شاه مازندان في ربيع سنة ستين فكتم ابنه علاء الدين موته حتى استولى على حصونه وبلاده ثم أظهره وملك مكانه ونازعه اتياق صاحب جرجان ودهستان ولم يرع ما كان بينه وبين أبيه فلم يظفر بشيء والله سبحانه وتعالى أعلم

ثم بعث المؤيد عساكره في جمادى سنة ستين لحصار مدينة نسا وبعث خوارزم شاه ارسلان بن اتسز في عساكره اليها فأجفلت عنها عساكر المؤيد ورجعوا الى نيسابور وصارت نسا في طاعة خوارزم شاه وخطب له فيها ثم سار عسكر خوارزم الى دهستان وغلبوه عليها وأقام فيها بطاعته والله أعلم

ثم بعث اقسنقر الاحمريلي صاحب مراغة سنة ثلاث وستين الى بغداد في الخطبة للملك الذي عنده وهو ابن السلطان محمد شاه على أن يتجافى عن العراق ولا يطلب الخطبة منه الا اذا أسعف بها فأجيب بالوعد الجميل وبلغ الخبر الى ايلدكز صاحب فبعث ابنه البهلوان في العساكر لحرب اقسنقر فحاربه وهزمه وتحصن بمراغة فنازله البهلوان وضيق عليه وتردد بينهما الرسل واصطلحوا وعاد البهلوان الى أبيه بهمذان

كان زنكي بن دكلا قد أساء السيرة في جنده فأرسلوا الى شملة صاحب خوزستان واستدعوه ليملكوه فسار ولقي زنكي وهزمه ونجا الى الاكراد الشوابكار وملك شملة بلاد فارس فأساء السيرة في أهلها ونهب ابن أخيه خرسكا البلاد فنفر أهل فارس عنه ولحق بزنكي بعض عساكره فزحف الى فارس وفارقها شملة الى بلاده خوزستان وذلك كله سنة أربع وستين وخمسمائة

كان اينانج قد استولى على الري واستقر فيها بعد حروب مع ايلدكز على جزية يؤديها اليه ثم منع الضريبة واعتذر بنفقات الجند فسار اليه ايلدكز سنة أربع وستين وحاربه اينانج فهزمه ايلدكز وحاصره بقلعة طبرك وراسل بعض مماليكه ورغبهم فغدروا به وقتلوه واستولى ايلدكز على طبرك وعلى الري وولى عليها علي بن عمر باغ ورجع الى همذان وشكر لوالى اينانج الذين قتلوه ولم يف لهم بالوعد فافترقوا عنه وسار الذي تولى قتله الى خوارزم شاه فصلبه لما كان بينه وبين اينانج من الوصلة والله سبحانه وتعالى ولي التوفيق بمنه وكرمه

ثم توفي سنة خمس وستين الملك طغرل بن قاروت بك صاحب كرمان وولي ابنه ارسلان شاه مكانه ونازعه أخوه الاصغر بهرام شاه فحاربه ارسلان وهزمه فلحق بالمؤيد في نيسابور فأنجده بالعساكر وسار الى أخيه ارسلان فهزمه وملك كرمان ولحق ارسلان باصبهان مستنجدا بايلدكز فأنجده بالعساكر وارتجع كرمان ولحق بهرام بالمؤيد وأقام عنده ثم هلك ارسلان فسار بهرام الى كرمان وملكها ثم توفي المستنجد وولي ابنه المستضيء ولم نترجم لوفاة الخلفاء ههنا لانها مذكورة في أخبارهم وانما ذكرناها قبل هؤلاء لانهم كانوا في كفالة السلجوقية وبني بويه قبلهم فوفاتهم من جملة أخبار الدولتين وهؤلاء من لدن المقتفي قد استبدوا بأمرهم وخلافتهم من بعد ضعف

السلجوقية بوفاة السلطان مسعود وافترقت دولتهم في نواحي المشرق والمغرب واستبد منهاء الخلفاء ببغداد ونواحيها ونازعوا من قبلهم أنهم كانوا يخطبون لهم في أعمالهم ونازعهم فيها مع ذلك حرصا على الملك الذي سلبوه وأصبحوا في ملك منفرد عن أولئك المنفردين مضافا الى الخلافة التي هي شعارهم وتداول أمرهم الى أن انقرضوا بهلك المستعصم على يد هلاكوا

لما انهزم خوارزم شاه أرسلان امام الخطا رجع الى خوارزم فمات سنة ثمان وستين وولي ابنه سلطان شاه فنازعه أخوه الاكبر علاء الدين تكش واستنجد بالخطا وسار الى خوارزم فملكها ولحق سلطان شاه بالمؤيد صريخا فسار معه بجيوشه ولقيهم تكش فانهزم المؤيد وجيء به أسيرا الى تكش فقتل بين يديه صبرا وعاد أصحابه الى نيسابور فولوا ابنه طغان شاه أبو بكر بن المؤيد وكان من أخبار طغان شاه وتكش ما نذكره في أخبار دولتهم وفي كيفية قتله خبر آخر نذكره هنالك ثم سار خوارزم شاه سنة تسع وستين الى نيسابور وحاصرها مرتين ثم هزم في الثانية طغان شاه بن المؤيد وأخذه أسيرا وحمله الى خوارزم وملك نيسابور وأعمالها وجميع ما كان لبني المؤيد بخراسان وانقرض أمرهم والبقاء لله وحده والله تعالى أعلم

ثم توفي الاتابك شمس الدين ايلدكز أتابك ارسلان شاه ابن طغرل صاحب همذان واصبهان والري واذربيجان وكان أصله مملوك الكمال الشهير ابن وزير السلطان محمود ولما قتل الكمال صار للسلطان وترقى في كتب الولاية فلما ولي السلطان مسعود ولاه أرانية فاستولى عليها وبقيت طاعته للملوك على البعد واستولى على أكثر اذربيجان ثم ملك همذان واصبهان والري وخطب لربيبه ارسلان بن طغرل وبقي أتابك وبلغ عسكره خمسين ألفا واتسع ملكه من تفليس الى مكران وكان متحكما على ارسلان وليس له من الدولة الا جراية تصل اليه ولما هلك ايلدكز قام بالامر بعده ابنه محمد البهلوان وهو أخو السلطان ارسلان لامه فسار أول ملكه لاصلاح اذربيجان وخالفه ابن سنكي وهو ابن أخي شملة صاحب خوزستان الى بلد نهاوند فحاصرها ثم تأخر ابن سنكي من تستر وصبحهم من ناحية اذربيجان يوهمهم انه مدد البهلوان ففتحوا له البلد ودخل فطلب القاضي والاعيان ونصبهم وتوجه نحو ماسندان قاصدا العراق ورجع الى خوزستان ثم سار شملة سنة سبعين وقصد بعض التركمان فاستنجدوا البهلوان بن ايلدكز فأنجدهم وقاتلوه فهزموه وأسر شملة جريحا وولده وابن أخيه وتوفي بعد يومين وهو من التركمان الافشرية وملك ابنه من بعده وسار البهلوان سنة سبعين الى مدينة تبريز وكان صاحبها اقسنقر الاحمر يلي قد هلك وعهد

بالملك بعده لابنه ملك الدين فسار الى بلاده وحاصر مراغة وبعث أخاه قزل وعاد عن مراغة الى همذان والله سبحانه وتعالى أعلم

ثم توفى السلطان ارسلان بن طغرل مكفول البهلوان بن ايلدكز وأخوه لامه بهمذان سنة ثلاث وسبعين وخمسمائة وخطب بعده لابنه طغرل

ثم توفى البهلوان محمد بن ايلدكز أول سنة ثنتين وخمسمائة وكانت البلاد والرعايا فى غاية الطمأنينة فوقع عقب موته باصبهان بين الحنفية والشافعية وبالرى بين أهل السنة والشيعة فتن وحروب آلت الى الخراب وملك البلاد بعد البهلوان أخوه قزل ارسلان واسمه عثمان وكان البهلوان كافلا للسلطان طغرل وحاكما عليه ولما هلك قزل لم يرض طغرل بتحكمه عليه وفارق همذان ولحق به جماعة من الامراء والجند وجرت بينه وبين قزل حروب ثم غلبه طغرل الى الخليفة فأمر بعمارة دار السلطان فطرد رسوله وهدمت دار السلطنة وألحقت بالارض وبعث الخليفة

سنة أربع وثمانين عسكرا مع وزيره جلال الدين عبيد الله بن يونس لانجاده قزل على طغرل قبل همذان وهزمهم ونهب جميع ما معهم وأسر الوزير ابن يونس

قد تقدم لنا ما كان بين السلطان طغرل وبين قزل بن ايلدكز من الحروب ثم ان قزل غلبه واعتقله فى بعض القلاع ودانت له البلاد وأطاعه ابن دكلا صاحب فارس وخوزستان وعاد الى اصبهان والفتن بها متصلة فأخذ جماعة من أعيان الشافعية وصلبهم وعاد الى همذان وخطب لنفسه بالسلطنة سنة سبعة وثمانين ثم قتل غيلة على فراشه ولم يعرف قاتله وأخذ جماعة من غلمانه بالظنة وكان كريما حليما يحب العدل ويؤثره ولما هلك ولى من بعده قتلغ بن أخيه البهلوان واستولى على الممالك التى كانت بيده

ولما توفى قزل وولى قتلغ بن أخيه البهلوان كما قلناه اخرج السلطان طغرل من محبسه بالقلعة التى كان بها واجتمع اليه العساكر وسار الى همذان فلقيه قتلغ بن البهلوان فانهزم بين يديه ولحق بالرى وبعث الى خوارزم شاه علاء الدين تكش ليستنجده فسار اليه سنة ثمان وثمانين وندم قتلغ على استدعائه فتحصن ببعض قلاعه وملك خوارزم شاه الرى وملك قلعة طبرك وصالح السلطان طغرل وولى على الرى وعاد الى خوارزم سنة تسعين فأحدث أحدوثة السلطان شاه نذكره فى أخبارهم وسار السلطان طغرل الى الرى فأغار عليها وفر منه قتلغ بن البهلوان وبعث الى خوارزم شاه يستنجده ووافق ذلك وصول منشور من الخليفة اليه باقطاعه البلاد فسار من نيسابور الى الرى وأطاعه قتلغ وسار معه الى همذان وخرج طغرل للقائهم قبل أن يجمع العساكر ولقيهم قريبا من الرى فى ربيع الاول فحمل عليهم وتورط بينهم فصرع عن فرسه وقتل وملك خوارزم شاه

همذان وتلك البلاد جميعا وانقرضت مملكة بني ملكشاه وولى خوارزم شاه على همذان وملك الاعمال فبلغ اتابك بن البهلوان وأقطع كثيرا منها مماليكه وقدم عليهم مساحق منهم ثم استولى وزير الخليفة ابن العطاف على همذان واصبهان والري من يدموا اليه وانتزعها منهم خوارزم كما ذكرناه في أخبار الخلفاء وجاءت العساكر من قبل الخليفة الى همذان مع أبي الهيجاء السمين من أمراء الايوبية وكان أميرا على القدس فعزلوه عنها وسار الى بغداد فبعثه الناصر سنة ثلاث وتسعين بالعساكر الى همذان ولقي عندها ازبك بن البهلوان مطيعا فقبض عليه وأنكر الخليفة ذلك وبعث باطلاقه وخلع عليه وعاد الى بلاد أذربيجان

كان ازبك بن البهلوان قد استولى على اذربيجان بعد موته وكان مشغولا بلذاته فسار الكرج الى مدينة دوين وحاصروها وبعث أهلها اليه بالصريخ فلم يصرخهم حتى ملكها الكرج عنوة واستباحوها والله تعالى أعلم

كان كوجة من موالي البهلوان قد تغلب على الري وهمذان وبلاد الجبل واصطنع صاحبه ايدغمش ووثق به فنازعه الامر وحاربه فقتله واستولى ايدغمش على البلاد وبقي ازبك بن البهلوان مغلبا ليس له من الحكم شيء

قد ذكرنا أن ازبك كان مشغولا بلذاته مهملا لملكه ثم حدثت بينه وبين صاحب اربل وهو مظفر الدين كوكبري سنة اثنتين وستمائة فتنة جاء مظفر الدين على قصده فسار الى مراغة واستنجد صاحبها علاء الدين بن قراسنقر الاحمديلي فسار معه لحصار تبريز وبعث ازبك الصريخ الى ايدغمش بمكانه من بلاد الجبل فسار اليه وأرسل مظفر الدين بالفتن والتهديد فعاد الى بلده وعاد علاء الدين بن قراسنقر الى بلاد مراغة فسار ايدغمش وازبك وحاصروه بمراغة حتى سلم قلعة من قلاعه ورجعوا عنه والله تعالى أعلم

ثم توفي حسام الدين اردشير صاحب مازندان وولى ابنه الاكبر وأخرج أخاه الاوسط عن البلاد فلحق بجرجان وبها علي شاه بن تكش نائبا عن أخيه خوارزم فاستنجده على شرط الطاعة له وأمره أخوه تكش بالمسير معه فساروا من جرجان وبلغهم في طريقهم مهلك صاحب مازندان المتولي بعد أبيه وان أخاه الاصغر استولى على الكراع والاموال فساروا اليه وملكوا البلاد ونهبوها مثل سارية وآمد وغيرها وخطب لخوارزم شاه فيها وعاد علي شاه الى خراسان وأقام ابن صاحب مازندان وهو الاوسط الذي استصرخ به وقد امتنع أخوه الاصغر بقلعة كوري ومعه الاموال والذخائر وأخوه الاوسط فراسله واستعطف وقد ملك البلاد جميعا والله ولي التوفيق

ثم توفي سنة أربع وستمائة علاء الدين بن قراسنقر الاحمديلي صاحب مراغة وأقام بأمرها من بعده خادمه ونصب ابنه طفلا صغيرا وعصى عليه بعض الامراء وبعث العسكر لقتاله فانهزموا أولا ثم استقر ملك الطفل ثم توفي سنة خمس وستمائة وانقرض أهل بيته فسار ازبك بن البهلوان من تبريز الى مراغة واستولى على مملكة آل قراسنقر ما عدا القلعة التي اعتصم بها الخادم وعنده الخزائن والذخائر

لما تمكن ايدغمش في بلاد الجبل بهمذان واصبهان والري وما اليها عظم شأنه حتى طلب الامر لنفسه وسار ليصار ازبك ابن مولاه الذي نصبه للامر وكان باذربيجان فخرج عليه مولى من موالي البهلوان اسمه سنكلي وكثر جمعه واستولى على البلاد وقدم ايدغمش الى بغداد واحتفل الخليفة لقدومه وتلقاه وذلك سنة ثمان وأقام بها

كان ايدغمش قد وفد سنة ثمان وستمائة الى بغداد وشرفه

الخليفة بالخلع والالوية وولاه على ما كان بيده ورجع الى همذان ووعده الخليفة بمسير العساكر فأقام ينتظرها عند سليمان بن مرحم أمير الايوانية من التركمان فدس الى سنكلي بخبره ثم قتل ايدغمش وحمل أصحابه الى سنكلي وافترق أصحابه واستولى سنكلي وبعث اليه الخليفة بالنكير فلم يلتفت اليه فبعث الى مولاه ازبك بن البهلوان صاحب اذربيجان يحرضه عليه والى جلال الدين الاسماعيلي صاحب قلعة الموت لمساعدته على أن يكون للخليفة بعض البلاد ولازبك بعضها ولجلال الدين بعضها وبعث الخليفة العساكر مع مولاه سنقر وجه السبع وأمره بطاعة مظفر الدين كوكبري بن زين الدين علي كجك صاحب اربل وشهرزور وهو مقدم العساكر جميعا فسار لذلك وهرب سنكلي وتعلق بالجبل ونزلوا بسفحه قريبا من كوج فناوشهم الحرب فانهزم ازبك ثم عاد فعاد ثم أسرى من ليلته منهزما وأصبحوا فاقتسموا البلاد على الشريطة وولى أزبك فيما أخذ منها   مولى أخيه فاستولى عليها ومضى سنكلي الى ساوة وبها شحنة له فقتله وبعث برأسه الى ازبك واستقر

في بلاد الجبل حتى قتله الباطنية سنة أربع عشرة وستمائة وجاء خوارزم شاه فملكه كما نذكر في أخباره ودخل ازبك بن البهلوان صاحب اذربيجان واران في طاعته وخطب له على منابر أعماله وانقرض أمر بني ملكشاه ومواليهم من العراقين وخراسان وفارس وجميع ممالك المشرق وبقي ازبك ببلاد اذربيجان ثم استولى التتر على أعمال محمد بن تكش فيما وراء النهر وخراسان وعراق العجم سنة ثماني عشرة وستمائة والى الهند وسار جنكزخان فاطاعه ازبك بن البهلوان سنة احدى وعشرين وأمره بقتل من عنده من الخوارزمية ففعل ورجع عنه الى خراسان ثم جاء جلال الدين ابن

محمد بن تكش من الهند سنة اثنتين وعشرين فاستولى على عراق العجم وفارس وسار
الى أذربيجان فملكها ومر ازبك الى كنجة من بلاد اران ثم ملك كنجة وبلاد أران
ومد ازبك الى بعض القلاع هنالك ثم هلك وملك جلال الدين على جميع البلاد وانقرض
أمر بنى ازبك واستولى التتر على البلاد وقتلوا جلال الدين سنة ثمان وعشرين كما يأتى
فى أخبارهم جميعا وانتهى الكلام فى دولة السلجوقية فلنرجع الى أخبار الدول
المتشعبة عنها واحدة بعد واحدة والله وارث الارض ومن عليها وهو خير الوارثين

طغرل بن ارسلان شاه بن طغرل — بن محمد — بن ملك شاه — بن ارسلان — بن جعفربك — بن ميكال — بن سلجوق

- سلجوق
- محمود
- محمد بن مسعود
- محمد بن ملك شاه بن محمود
- محمد بن ميساشاه
- سنجر
- محمود
- ملك شاه بن كافر
- ارسلان
- ابراهيم
- بركيارق
- تتش
- اياز
- سليمان
- ياقوتي
- قاروت بك
- طغرلبك
- قتلمش بن سعيد
- يوسف بن موسى
- قتلمش بن اسرائيل
- ارسلان

ابراهيم ينال — ابن عم طغرلبك وأخوه لامه

محمد — بن أوتاش

أحمد

خاموش — بن ازبك بن البهلوان — بن ايلدكز

- قتلغ اينانج
- عثمان قزل
- ايدغمش
- قبكالي بغا
- تقزل

كان أنوشتكين جدهم تركيا مملوكا لرجل من غرشتان ولذلك يقال له أنوشتكين غرشه ثم صار لرجل من أمراء السلجوقية وعظمائهم اسمه ملكابك وكان مقدما عنده لنجابته وشجاعته ونشأ ابنه محمد على مثل حاله من النجابة والشجاعة وتحلى بالادب والمعارف واختلط بأمراء السلجوقية وولى لهم الاعمال واشتهر فيهم بالكفاية وحسن التدبير ولما ولى بركيارق ابن السلطان ملكشاه وانتقض عليه عمه ارسلان أرغون واستولى على خراسان بعث اليه العساكر سنة تسعين وأربعمائة مع أخيه سنجر وسار في اثره ولقيهم في طريقهم خبر مقتل أرغون عمهم وان بعض مواليه خلفه غدا عليه فقتله كما مر قبل فسار بركيارق في نواحي خراسان وما وراء النهر حتى دوخها وولى عليها أخاه سنجر وانتقض عليه أميرميران من قرابته اسمه محمد بن سليمان فسار اليه سنجر وظفر به وسمله وعاد بركيارق الى العراق بعد أن ولى على خوارزم اكنجي شاه ومعنى شاه بلسانهم السلطان فأضيف الى خوارزم على عادتهم في تقديم المضاف اليه على المضاف ولما انصرف بركيارق الى العراق تأخر من أمرائه قودز وبارقطاش وانتقضا على السلطان ووثبا بالامير اكنجي صاحب خوارزم وهو بمرو ذاهبا الى السلطان شاه فقتلاه وبلغ الخبر الى السلطان وقد انتقض عليه بالعراق الامير انز ومؤيد الملك بن نظام الملك فمضى لحربهما وأعاد الامير داود حبشي بن ايتاق في عسكر الى خراسان لقتالهما فسار الى هراة وعاجلاه قبل اجتماع عساكره فعبر جيحون وسبق اليه بارقطاش فهزمه داود وأسره وبلغ الخبر الى قودز فثار به عسكره وفر الى بخارى فقبض عليه نائبها ثم أطلقه ولحق بالملك سنجر فقبله وأقام برقطاش أسيرا عند الامير داود وصفت خراسان من الفتنة والثوار واستقام أمرها للامير داود حبشي فاختار لولاية خوارزم محمد بن أنوشتكين فولاه وظهرت كفايته وكان محبا لاهل الدين والعلم مقربا لهم عادلا في رعيته فحسن ذكره وارتفع محله ثم استولى الملك سنجر على خراسان فاقر محمد بن أنوشتكين وزاده تقديما وجمع بعض ملوك الترك وقصد خوارزم وكان محمد غائبا عنها ولحق بالترك محمد بن اكنجي الذى كان أبوه أميرا على خوارزم واسمه طغرل تكين محمد فحرض الترك على خوارزم وبلغ الخبر الى محمد بن أنوشتكين فبعث الى سنجر بنيسابور يستمده وسبق الى خوارزم فافترق الترك وطغرل تكين محمد وسار كل منهما الى ناحية ودخل محمد بن أنوشتكين الى خوارزم فازداد بذلك عند سنجر ظهورا والله سبحانه وتعالى ولي التوفيق لا رب سواه

ثم هلك محمد بن أنوشتكين خوارزم وولى بعده ابنه اتسز وسار بسيرة أبيه وكان قد قاد الجيوش أيام أبيه وحارب الاعداء فلما ولى افتتح أمره بالاستيلاء على مدينة مقشلاع

وظهرت كفايته في شأنها فاستدعاه السلطان سنجر فاختصه وكان يصاحبه في أسفاره وحروبه وكلما مر يزيد تقدما عنده والله تعالى أعلم بغيبه وأحكم

ثم كثرت السعاية عند السلطان سنجر في اتسز خوارزم شاه وانه يحدث نفسه بالامتناع فسار سنجر اليه لينتزع خوارزم من يده فتجهز اتسز للقائه واقتتلوا فانهزم اتسز وقتل ابنه وخلق كثير من أصحابه واستولى سنجر على خوارزم وأقطعها غياث الدين سليمان شاه ابن أخيه محمدا ورتب له وزيرا وأتابك وحاجبا وعاد الى مرو منتصف ثلاث وثلاثين وكان أهل خوارزم يستغشون لاتسز فعاد اليهم بعد سنجر فأدخلوه البلد ورجع سليمان شاه الى عمه سنجر واستبد اتسز بخوارزم والله أعلم

ثم سار سنجر سنة ست وثلاثين لقتال الخطا من الترك فيما وراء النهر لما رجعوا الملك تلك البلاد فيقال ان اتسز أغراهم بذلك ليشغل السلطان سنجر عن بلاده وأعماله ويقال ان محمود بن محمد بن سليمان بن داود بقراخان ملك الخانية في كاشغر وتركستان وهو ابن أخت سنجر زحفت اليه أمم الخطا من الترك ليتملكوا بلاده فسار اليهم وقاتلهم فهزموه وعاد الى سمرقند وبعث بالصريخ الى خاله سنجر فعبر النهر اليه في عساكر المسلمين وملوك خراسان والتقوا في أول صفر سنة ست وثلاثين فانهزم سنجر والمسلمون وفشا القتل فيهم يقال كان القتلى مائة ألف رجل وأربعة آلاف امرأة وأسرت زوجة السلطان سنجر وعاد منهزما وملك الخطا ما وراء النهر وخرجت عن ملك الاسلام وقد تقدم ذكر هذه الواقعة مستوفى في أخبار السلطان سنجر ولما انهزم السلطان سنجر قصد اتسز خوارزم شاه خراسان فملك سرخس ولقى الامام أبا محمد الزيادي وكان يجمع بين العلم والزهد فأكرمه وقبل قوله ثم قصد مرو الشاهجان فخرج اليه الامام أحمد الباخوري وشفع في أهل مرو وأن لا يدخل لهم أحد من العسكر فشفعه وأقام بظاهر البلد فثار عامة مرو وأخرجوا أصحابه وقتلوا بعضهم وامتنعوا فقاتلهم اتسز وملكها عليهم غلابا أول ربيع من سنة ست وثلاثين وقتل الكثير من أهلها وكان فيهم جماعة من أكابر العلماء وأخرج كثيرا من علمائها الى خوارزم منهم أبو بكر الكرماني ثم سار في شوال الى نيسابور وخرج اليه جماعة من العلماء والفقهاء متطارحين أن يعفيهم مما وقع بأهل مرو فأعفاهم واستصفى أموال أصحاب السلطان وقطع الخطبة لسنجر وخطب لنفسه ولما صرح باسمه على المنبر همّ أهل نيسابور بالثورة ثم ردهم خوف العواقب فأقصروا وبعث جيشا الى أعمال بيهق فحاصرها خمسا ثم ساروا في البلاد ينهبون ويكتسحون والسلطان سنجر خلال ذلك متغافل عنه فيما يفعله في خراسان لما وراءه من مدد الخطا وقوتهم ثم أوقع الغز سنة ثمان وأربعين بالسلطان سنجر واستولوا على خراسان وكان هؤلاء الغز

مقيمين بما وراء النهر منذ فارقهم ملوك السلجوقية وكانوا يدينون بالاسلام فلما استولى الخطا على ما وراء النهر أخرجوهم منها فأقاموا بنواحى بلخ وأكثروا فيها العيث والفساد وجمع لهم سنجر وقاتلهم فظفروا به وهزموه وأسروه وانتثر سلك دولته فلم يعد انتظامه وافترقت أعماله على جماعة من مواليه واستقل حينئذ اتسز بملك خوارزم وأعمالها وأورثها بنيه ثم استولوا على خراسان والعراق عندما ركدت ريح السلجوقية وكانت لهم بعد ذلك دولة عظيمة نذكر أخبارها مفصلة عند دول أهلها والله تعالى ولى التوفيق بمنه وكرمه

ثم توفى اتسز بن محمد بن أنوشتكين فى منتصف احدى وخمسين وخمسمائة لستين سنة من ولايته وكان عادلا فى رعيته حسن السيرة فيهم ولما توفى ملك بعده ارسلان بن اتسز فقتل جماعة من عماله وسمل أخاه ثم بعث بطاعته للسلطان سنجر عندما هرب من أسر الغز فكتب له بولاية خوارزم وقصد الخطا خوارزم وجمع ارسلان لقتالهم وسار غير بعيد ثم طرقه المرض فرجع وأرسل الجيوش لنظر أمير من أمرائه فقاتله الخطا وهزموه وأسروه ورجع الى ما وراء النهر والله سبحانه وتعالى أعلم

ثم توفى خوارزم شاه ارسلان بن اتسز من مرضه الذى قعد به عن لقاء الخطا وملك بعده ابنه الاصغر سلطان شاه محمود فى تدبير أمه وكان ابنه الاكبر علاء الدين تكش مقيما فى اقطاعه بالجند فاستنكف من ولاية أخيه الاصغر وسار الى ملك الخطا مستنجدا ورغبه فى أموال خوارزم وذخائرها فأنجده بجيش كثيف وجاء الى خوارزم ولحق سلطان شاه وأمه بالمؤيد آيه صاحب نيسابور والمتغلب عليها بعد سنجر وأهدى له ورغبه فى الاموال والذخائر فجمع وسار معه حتى اذا كان على عشرين فرسخا من خوارزم سار اليه تكش وهزمه وجىء بالمؤيد أسيرا الى تكش فأمر بقتله وقتل بين يديه صبرا ولحق أخوه سلطان شاه بدهستان وتبعه تكش فملكها عنوة وهرب سلطان شاه وأخذت أمه فقتلها تكش وعاد الى خوارزم ولحق سلطان شاه بنيسابور وقد ملكوا طغان شاه أبا بكر بن ملكهم المؤيد ثم سار سلطان شاه من عنده الى غياث الدين ملك الغورية فأقام عنده وعظم تحكم الخطا على علاء الدين تكش صاحب خوارزم واشتطوا عليه وبعثوا يطلبونه فى المال فأنزلهم متفرقين على أهل خوارزم ودس اليهم فبيتوهم ولم ينج منهم أحد ونبذ الى ملك الخطا عهده وسمع ذلك أخوه سلطان شاه فسار من غزنة الى ملك الخطا يستنجده على أخيه تكش وادعى أن أهل خوارزم يميلون اليه فبعث معه جيشا كثيفا من الخطا وحاصروا خوارزم فامتنعت وأمر تكش باجراء ماء النهر عليهم فكادوا يغرقون وأفرجوا عن

البلاد ولاموا سلطان شاه فيما غزهم فقال لقائدهم ابعث معي الجيش لم ولا تتزعها من
دينار الغزي الذي استولى عليها من حين فتنتهم مع سنجر فبعث معه الجيش وسار الى
سرخس واقتحمها على الغز الذين بها وأثخن في قتلهم واستباحهم ولجأ دينار الى
القلعة فتحصن بها ثم سار سلطان شاه الى مرو وملكها وأقام بها ورجع الخطا الى
ماوراء النهر وأقام سلطان شاه بخراسان يقاتل الغز فيصيب منهم كثيرا وعجز دينار ملك
الغز عن سرخس فسلمها لطغان شاه بن المؤيد صاحب نيسابور فولى عليها امرا اموش
من أمرائه ولحق دينار بنيسابور فحاصر دينار سلطان شاه وعاد الى نيسابور ولحق به
مراموش ونزل لقلعة سرخس ثم ملك نطوش والتم وضاقت الامور على طغان شاه
بنيسابور الى أن مات في محرم سنة ثنتين وثمانين وملك ابنه سنجر شاه واستبد عليه
منكلى تكين مملوك جده المؤيد وأنف أهل الدولة من استبداده وتحكمه فلحق أكثرهم
بسلطان شاه في سرخس وسار الملك دينار من نيسابور في جموع الغز الى كرمان فملكها ثم
أساء منكلى تكين السيرة بنيسابور في الرعية بالظلم وفي أهل الدولة بالقتل فسار اليه
خوارزم شاه علاء الدين تكش في ربيع سنة ثنتين وثمانين فحاصره بنيسابور شهرين
فامتنعت عليه فعاد الى خوارزم ثم رجع سنة ثلاث وثمانين فحاصرها وملكها على
الامان وقتل منكلى تكين وحمل سنجر شاه الى خوارزم فأنزله بها وأكرمه ثم بلغه أنه
يكاتب أهل نيسابور فسمله وبقي عنده الى أن مات سنة خمس وتسعين قال ابن الاثير
ذكر هذا أبو الحسن بن أبي القاسم البيهقي في كتاب مسارب التجارب وذكر غيره أن
تكش بن ارسلان لما أخرج أخاه سلطان شاه من خوارزم وقصد سلطان شاه الى مرو
فملكها من يد الغز ثم ارتجعوها منه ونالوا من عساكره فعبر الى الخطا واستنجدهم
وضمن لهم المال وجاء بجيوشهم فملك مرو وسرخس ونسا وابيورد من يد الغز وصرف
الخطا فعادوا الى بلادهم ثم كاتب غياث الدين الغوري وله هراة وبوشنج وباذغيس
وأعمالها من خراسان يطلب الخطبة له ويتوعده فأجابه غياث الدين بطلب الخطبة
منه بمرو وسرخس وما ملكه من بلاد خراسان ثم ساءت سيرة سلطان شاه في خراسان
وصادر رعاياها فجهز غياث الدين العساكر مع صاحب سجستان وأمر ابن أخته بهاء
الدين صاحب باميان بالمسير معه فساروا الى هراة وخاف سلطان شاه من لقائهم فرجع
من هراة الى مرو حتى انصرم فصل الشتاء ثم أعاد مراسلة غياث الدين فامتعض
وكتب الى أخيه شهاب الدين بالخبر وكان بالهند فرجع مسرعا اليه وساروا الى خراسان
واجتمعوا بعسكرهم الاول على الطالقان وجمع سلطان شاه جموعه من الغز وأهل
الفساد ونزل بجموعه الطالقان وتواقفوا كذلك شهرين وترددت الرسل بين

سلطان شاه وغياث الدين حتى جنح غياث الدين الى النزول له عن بوشنج وباذغيس وشهاب الدين ابن أخته وصاحب سجستان يجنحان الى الحرب وغياث الدين يكفهم حتى حضر رسول سلطان شاه عند غياث الدين لاتمام العقد والملوك جميعا حاضرون فقام الدين العلوي الهروي وكان غياث الدين يختصه وهو يدل عليه فوقف في وسط الجمع ونادى بفساد الصلح وصرخ ومزق ثيابه وحثى التراب على رأسه وأفحش لرسول سلطان شاه وأقبل على غياث الدين وقال كيف تعمد الى ما ملكناه بأسيافنا من الغز والاتراك والسنجرية فتعطيه هذا الطريد اذ لا يقنع منا أخوه وهو الملك بخوارزم ولا بغزنة والهند فأطرق غياث الدين ساكتا فنادى في عسكره بالحرب والتقدم الى مرو الروذ وتواقع الفريقان فانهزم سلطان شاه وأخذ أكثر أصحابه أسرى ودخل الى مرو في عشرين فارسا ولحق الفل من عسكره وبلغ الخبر الى أخيه تكش فسار من خوارزم لاعتراضه وقدم العساكر الى جيحون يمنعون

الى الخطا وسمع أخوه سلطان شاه بذلك فرجع عن جيحون وقصد غياث الدين ولما قدم عليه أمر بتلقيه وأنزله معه في بيته وأنزل أصحابه عند نظرائهم من أهل دولته وأقام الى انصرام الشتاء وكتب أخوه علاء الدين خوارزم الى غياث الدين في رده اليه ويعدد فعلاته في بلاده وكتب مع ذلك الى نائب غياث الدين بهراة يتهدده فامتعض غياث الدين لذلك وكتب الى خوارزم شاه بأنه مجيره وشفيع في التجافي عن بلاده وانصافه من وراثة أبيه ويطلب مع ذلك الخطبة له بخوارزم والصهر مع أخيه شهاب الدين فامتعض خوارزم شاه وكتب اليه يتهدده ببعض بلاده فجهز غياث الدين اليه العساكر مع ابن اخته أبو غازي الى بهاء الدين سامي صاحب سجستان وبعثهما مع سلطان شاه الى خوارزم وكتب الى المؤيد أبيه صاحب نيسابور يستنجده وكانت ابنته تحت غياث الدين فجمع المؤيد عساكره وخيم بظاهر نيسابور وكان خوارزم شاه عزم على لقاء أخيه والغورية وسار عن خوارزم فلما سمع خبر المؤيد عاد الى خوارزم واحتمل أمواله وذخائره وعبر جيحون الى الخطا وترك خوارزم وسار أعيانها الى أخيه سلطان شاه والبوغازي ابن اخت غياث الدين فأتوا طاعتهم وطلبوا الوالي عليهم وتوفي سلطان شاه منسلخ رمضان سنة تسع وعاد البوغازي الى خاله غياث الدين ومعه أصحاب سلطان شاه فاستخدمهم غياث الدين وأقطعهم وبلغ وفاة سلطان شاه الى أخيه خوارزم تكش فعاد الى خوارزم وعاد الشحنة الى بلاد سرخس ومرو فجهز اليهم نائب الغورية بمرو عمر المرغني عسكرا ومنعهم منها حتى يستأذن غياث الدين وأرسل خوارزم شاه الى غياث الدين في الصلح والصهر في وفد من فقهاء خراسان والعلوية يعظمونه ويستجيرون

به من خوارزم شاه أن يجيز اليهم الخطا ويثخنهم ولا يحسم ذلك الا صلحه أو سكناه بمرو فأجابهم الى الصلح وعقدوه وردّ على خوارزم تكش بلاد أخيه وطمع الغز فيها فعاثوا في نواحيها وجاء خوارزم شاه اليها ودخل مرو وسرخس فسار الى ابيورد وتطرق الى طوس وهي للمؤيد ابنه فجمع وسار اليها وعاد خوارزم شاه الى بلده وأفسد الماء في طريقه واتبعه المؤيد فلم يجد ماء ثم كرّ عليه خوارزم شاه وقد جهد عسكره العطش فأوقع بهم وجيء اليه بالمؤيد أسيرا فقتله وعاد الى خوارزم وقام بنيسابور بعد المؤيد ابنه طغان شاه ورجع اليه خوارزم شاه من قابل فحاصره

بنيسابور وبرز اليه فأسره وملك نيسابور واحتمل طغان شاه وعياله وقرابته فأنزلهم بخوارزم قال ابن الاثير هذه الرواية مخالفة للاولى وانما أوردتها ليتأمل الناظر ويستكشف أيهما أوضح فيعتمدها والله تعالى أعلم

قد تقدم لنا في أخبار الدولة السلجوقية ولاية ارسلان شاه بن طغرل في كفالة ايلدكز وابنه محمد البهلوان من بعده ثم أخيه ازبك ارسلان بن ايلدكز وأنه اعتقل السلطان طغرل ثم توفي فولي مكانه قطلغ ابن أخيه البهلوان فخرج السلطان من محبسه وجمع لقتاله سنة ثمان وثمانين فهزمه ولحق قطلغ بالري وبعث الى خوارزم شاه علاء الدين تكش فسار اليه وندم قطلغ على استدعائه فتحصن منه ببعض قلاعه وملك خوارزم شاه الري وقلعة طبرك ورتب فيها الحامية وعاد الى خوارزم لما بلغه أن أخاه سلطان شاه خالفه اليها ولما كان ببعض الطريق لقيه الخبر بأن أهل خوارزم منعوا سلطان شاه وعاد ناكثا فتمادى الى خوارزم وأقام الى انسلاخ فصل الشتاء ثم سار الى أخيه سلطان شاه بمرو سنة تسع وثمانين وترددت الرسل بينهما في الصلح ثم استأمن اليه نائب أخيه بقلعة سرخس فسار اليها وملكها ومات أخوه سلطان شاه سنة تسع فسار خوارزم شاه الى مرو وملكها وملك ابيورد ونسا وطوس وسائر مملكة أخيه واستولى على خزائنه وبعث على ابنه علاء الدين محمد فولاه مرو وولى ابنه الكبير ملك شاه نيسابور وذلك آخر تسع وثمانين ثم بلغه أن السلطان طغرل أغار على أصحابه بالري قطلغ اينانج فبعث اليه بانه يستنجده ووصل اليه رسول الخليفة يشكو من طغرل وأقطعه أعماله فسار من نيسابور الى الري وتلقاه قطلغ اينانج بطاعته وسار معه ولقيهم السلطان طغرل قبل استكمال تعبيته وحمل عليهم بنفسه وأحيط به فقتل في ربيع سنة تسعين وبعث خوارزم شاه برأسه الى بغداد وملك همذان وبلاد الجبل أجمع وكان الوزير مؤيد الدين بن القصاب قد بعثه الخليفة الناصر مددا لخوارزم شاه في أمره فرحل اليه واستوحش بن القصاب فامتنع ببعض الجبال هنالك وعاد خوارزم شاه الى همذان وسلمها وأعمالها

الى قطلغ اينانج وأقطع كثيرا منها مماليكه وقدم عليهم مناجق وأنزل معه ابنه وعاد الى خوارزم ثم اختلف مناجق وقطلغ اينانج واقتتلوا سنة أحدى وتسعين فانهزم قطلغ

وكان الوزير ابن القصاب قد سار الى خوزستان فملكها وكثيرا من بلاد فارس وقبض على بنى شملة أمرائها وبعث بهم الى بغداد وأقام هو يمهد البلاد فلحق به قطلغ اينانج هنالك مهزوما مستلبا واستنجده على الرى فأزاح علله وسار معه الى همذان فخرج مناجق وابن خوارزم شاه الى الرى وملك ابن القصاب همذان فى سنة احدى وتسعين وسار الى الرى فأجفل الخوارزميون أمامهم وبعث الوزير العساكر فى اثرهم حتى لحقوهم بالدامغان وبسطام وجرجان ورجعوا عنهم واستولى الوزير على الرى ثم انتقض قطلغ اينانج على الوزير وامتنع بالرى فحاصره الوزير وغلبه عليها ولحق اينانج بمدينة ساوة ورحل الوزير فى اتباعه حتى لحقه على دربندكرخ فهزمه ونجا اينانج بنفسه وسار الوزير الى همذان فأقام بظاهرها ثلاثة أشهر وبعث اليه خوارزم شاه بالنكير على ما فعل ويطلب اعادة البلاد فلم يجب الى ذلك وسار خوارزم اليه وتوفى قبل وصوله فقاتل العساكر بعده فى شعبان سنة ثنتين وتسعين فهزمهم وأثخن فيهم وأخرج الوزير من قبره فقطع رأسه وبعث به الى خوارزم لانه كان قتل فى المعركة واستولى على همذان وبعث عسكره الى اصبهان فملكها وأنزل بها ابنه وعاد الى خوارزم وجاءت عساكر الناصر اثر ذلك مع سيف الدين طغرل مقطع بلاد اللحف من العراق فاستدعاه أهل اصبهان فملكوا البلد ولحق عسكر خوارزم شاه بصاحبهم ثم اجتمع مماليك البهلوان وهم أصحاب قطلغ وقدموا على أنفسهم كركجة من أعيانهم وساروا الى الرى فملكوها ثم الى اصبهان كذلك وأرسل كركجة الى الديوان ببغداد يطلب أن يكون الرى له مع جوار الرى وساوة وقم وقاشان وما ينضاف اليها وتكون اصبهان وهمذان وزنجان ومرو من الديوان فكتب له بذلك والله أعلم

قد تقدم لنا أن خوارزم شاه تكش ولى ابنه ملكشاه على نيسابور سنة تسع وثمانين وأضاف اليه خراسان وجعله ولى عهده فى الملك فأقام بها الى سنة ثلاث وتسعين ثم هلك فى ربيع منها وخلف ابنا اسمه هندوخان وولى خوارزم شاه على نيسابور ابنه الآخر قطب الدين محمد وكان ولاه بمرو

كان خوارزم شاه تكش لما ملك الرى وهمذان واصبهان وهزم ابن القصاب وعساكر الخليفة بعث الى الناصر يطلب الخطبة ببغداد فامتعض الناصر لذلك وأرسل الى غياث الدين ملك غزنة والغور فقصد بلاد خوارزم شاه فكتب اليه غياث الدين يتهدده بذلك فبعث خوارزم شاه الى الخطا يستنجدهم على غياث الدين ويحذرهم

أن عللت البلاد كاملك بلخ فسار الخطا في عساكرهم ووصلوا بلاد الغور ووراسلوا بهاء الدين سام ملك باميان وهو ببلخ يأمرونه بالخروج عنها وعاثوا في البلاد وخوارزم شاه قد قصد هراة وانتهى الى طوس واجتمع أمراء الغورية بخراسان مثل محمد بن مك مقطع الطالقان والحسين بن مرميل وحروس وجمعوا عساكرهم وكبسوا الخطا وهزموهم وألحقوهم بجيحون فتقسموا بين القتل والغرق وبعث ملك الخطا الى خوارزم شاه يتجنى عليه في ذلك ويطلب الدية على القتلى من قومه ويجعله السبب في قتلهم فراجع غياث الدين واستعطفه ووافقه على طاعة الخليفة واعادة ما أخذه الخطا من بلاد الاسلام وأجاب ملك الخطا بأن قومه انما جاؤا الانتزاع بلخ من يد الغورية ولم يأتوا النصرتي وأنا قد دخلت في طاعة غياث الدين فجهز ملك الخطا عساكره اليه وحاصروه فامتنع فرجعوا عنه بعد أن فنى أكثرهم بالقتل وسار في اثرهم وحاصر بخارى وأخذها عنوة حتى ملكها سنة أربع وتسعين فأقام بها مدة وعاد الى خوارزم والله تعالى ولي التوفيق

ثم سار خوارزم شاه تكين لارتجاع الري وبلاد الجبل من يد مناجق والبهلوانية الذين انتقضوا عليه فهرب مناجق عن البلاد وتركها وملكها خوارزم شاه واستدعاه فامتنع من الحضور واتبعه فاستأمن أكثر أصحابه ورجعوا عنه ولحق هو بقلعة من أعمال مازندران فامتنع بها فبعث خوارزم شاه الى الخليفة الناصر فبعث بالخلع له ولولده قطب الدين وكتب له تقليدا بالاعمال التي بيده ثم سار خوارزم شاه لقتال الملحدة فافتتح قلعة لهم قريبة من قزوين وانتقل الى حصار قلعة الموت من قلاعهم فقتل عليها رئيس الشافعية بالري صدر الدين محمد بن الوزان وكان مقدما عنده ولازمه ثم عاد الى خوارزم فوثب الملحدة على وزيره نظام الملك مسعود بن علي فقتلوه فجهز ابنه قطب الدين لقتالهم فسار الى قلعة ترشيش من قلاعهم فحاصرها حتى سألوه في الصلح على مائة ألف دينار يدفعونها فامتنع أولا ثم بلغه مرض أبيه فأجابهم وأخذ منهم المال المذكور وعاد والله أعلم

ثم توفي خوارزم شاه تكش بن البارسلان بن اتسز بن محمد أنوشتكين صاحب خوارزم بعد ان استولى على الكثير من خراسان وعلى الري وهمذان وغيرها من بلاد الجبل وكان قد سار من خوارزم الى نيسابور فمات في طريقه اليها في رمضان سنة ست وتسعين وخمسمائة وكان عندما اشتد مرضه بعث لابنه قطب الدين محمد يخبره بحاله و يستدعيه فوصل بعد موته فبايع له أصحابه بالملك ولقبوه علاء الدين لقب أبيه وحمل شلو أبيه الى خوارزم فدفنه بالمدرسة التي بناها هنالك وكان تكش عادلا عارفا بالاصول

والفقه على مذهب أبي حنيفة ولما توفي ابنه علاء الدين محمد كان ولده الآخر علي شاه
باصبهان فاستدعاه أخوه محمد فسار اليه ونهب أهل اصبهان خلعه وولاه أخوه على
خراسان فقصد نيسابور و بها هندوخان ابن أخيهما ملكشاه منذ ولاه جده تكش عليها
بعد أبيه ملكشاه وكان هندوخان يخاف عمه محمدا لعداوة بينه وبين أبيه ملكشاه ولما
مات جده تكش نهب الكثير من خزائنه ولحق بمرو وبلغ وفاة تكش الى غياث الدين
ملك غزنة فجلس للعزاء على ما بينهما من العداوة اعظاما للقدره ثم جمع هندوخان جموعا
وسار الى خراسان فبعث علاء الدين محمد بن تكش العساكر لدفاعه مع جنقر التركي
فخام هندوخان عن لقائه ولحق بغياث الدين مستنجدا فأكرمه ووعده النصر
ودخل جنقر مدينة مرو وبعث بام هندوخان وولده الى خوارزم مكرمين فأرسل غياث
الدين صاحب غزنة الى محمد بن ضربك نائبه بالطالقان أن ينبذ الى جنقر العهد ففعل
وسار من الطالقان الى مرو الروذ فملكها وبعث الى جنقر يأمره بالخطبة في مرو
لغياث الدين أو يفارقها فبعث اليه جنقر يتهدده ظاهرا ويسأله سرا أن يستأمن له
غياث الدين فقوى طمعه في البلاد بذلك وأمر أخاه شهاب الدين بالمسير الى خراسان
والله أعلم

استيلاء ملوك الغورية على أعمال خوارزم شاه محمد تكش بخراسان وارتجاعها اياها منهم ثم حصاره هراة من أعمالهم

ولما استأمن جنقر نائب مرو الى غياث الدين طمع في أعمال خوارزم شاه بخراسان
كما قلناه واستدعاه أخوه شهاب الدين للمسير اليها فسار الى غزنة واستشار غياث الدين
نائبه بهراة عمر بن محمد المرغني في المسير الى خراسان فنهاه عن ذلك ووصل أخوه شهاب
الدين في عساكر غزنة والغور وسجستان وساروا منتصف سبع وتسعين ووصل كتاب
جنقر نائب مرو الى شهاب الدين وهو بقرب الطالقان يحثه للوصول وأذن له غياث
الدين فسار الى مرو وقاتل العساكر الذين بها من الخوارزمية فغلبهم وأحجرهم
بالبلد وسار بالفيلة الى السور فاستأمن أهل البلد وأطاعوا وخرج جنقر الى شهاب
الدين ثم جاء غياث الدين بعد الفتح الى هراة مكرما وسلم مرو الى هندوخان بن ملكشاه
كما وعده ثم سار الى سرخس فملكها صلحا وولى عليها زنكي بن مسعود من بني عمه
وأقطعه معها نسا وابيورد ثم سار الى طوس وحاصرها ثلاثا واستأمن اليه أهلها
فملكها وبعث الى علي شاه علاء الدين محمد بن تكش بنيسابور في الطاعة فامتنع فسار
اليه وقاتل نيسابور من جانب وأخوه شهاب الدين من الجانب الآخر
اليه سقوطه ودخلوا نيسابور وملكوها ونادوا بالامان وجيء بعلي شاه من خوارزم

الى غياث الدين فأمنه وأكرمه و بعثه بالامراء الخوارزمية الى هراة وولى على خراسان ابن عمه وصهره على ابنته ضياء الدين محمد بن على الغورى ولقبه علاء الدين وأنزله نيسابور فى جمع من وجوه الغورية وأحسن الى أهل نيسابور وسلم على شاه الى أخيه شهاب الدين ورحل الى هراة ثم سار شهاب الدين الى قهستان وقيل له عن قرية من قراها انهم اسماعيلية فأمر بقتلهم وسبى ذراريهم ونهب أموالهم وخرب القرية ثم سار الى حصن من أعمال قهستان وهم اسماعيلية فلكه بالامان بعد الحصار وولى عليه بعض الغورية فأقام بها الصواب وشعار الاسلام وبعث صاحب قهستان الى غياث الدين يشكو من أخيه شهاب الدين ويقول ان هذا نقض العهد الذى بيني و بينكم فاراعه الا نزول أخيه شهاب الدين على حصن آخر للاسماعيلية من أعمال دهستان فحاصره فبعث بعض ثقاته الى شهاب الدين يأمره بالرحيل فامتنع فقطع أطناب سرادقه ورحل مراغما وقصد الهند مغاضبا لاخيه ولما اتصل بعلاء الدين محمد بن تكش مسيرهما عن خراسان كتب الى غياث الدين يعاتبه عن أخذه بلاده ويطلب اعادتها ويتوعده باستنجاد الخطا عليه فماطله بالجواب الى خروج أخيه شهاب الدين من الهند لعجزه عن الحركة لاستيلاء مرض النقرس عليه فكتب خوارزمشاه الى علاء الدين الغورى نائب غياث الدين بنيسابور يأمره بالخروج عنها فكتب بذلك الى غياث الدين فأجابه بعده بالنصر وسار اليه خوارزمشاه محمد بن تكش آخر سنة سبع وتسعين وخمسمائة فلما قرب أبيورد هرب هندوخان من موالى غياث الدين وملك محمد بن تكش مدينة مرو ونسا وأبيورد وسار الى نيسابور وبها علاء الدين الغورى فحاصرها وأطال حصارها حتى استأمنوا اليه واستحلفوه وخرجوا اليه فأحسن اليهم وسأل من علاء الدين الغورى السعى فى الاصلاح بينه و بين غياث الدين فضمن ذلك وسار الى هراة و بها أقطاعه وغضب على غياث الدين لقعوده عن انجاده فلم يسر اليه وبالغ محمد بن تكش فى الاحسان الى الحسين بن خرميل من أمراء الغورية ثم سار الى سرخس وبها الامير زنكى من قرابة غياث الدين فحاصرها أربعين يوما وضيق مخنقها بالحرب وقطع الميرة ثم سأله زنكى الافراج ليخرج عن الامان فأفرج عنه قليلا ثم ملأ البلد من الميرة بما احتاج اليه وأخرج العاجزين عن الحصار وعاد الى شأنه فتقدم محمد بن تكش ورحل عنها وجهز عسكرا لحصارها وجاء نائب الطالقان مددا لمحمد بن خربك داخل بعد ان أرسل اليه بأنه

عساكر الخوارزمية المجمرة عليه وأشاع ذلك فأفرجوا عنه وجاء اليه زنكى من الطالقان فخرج معه ابن خربك الى مرو الروذ وجبى خراجها وما يجاورها و بعث

اليه محمد بن تكش عسكرا نحوا من ثلاثة آلاف مع خاله فلقيهم محمد بن خربك فى تسعمائة فارس فهزمهم وأثخن فيهم قتلا وأسرا وغنم سوادهم وعاد خوارزم شاه محمد بن تكش الى خوارزم وأرسل الى غياث الدين فى الصلح فأجابه مع الحسين بن محمد المرغنى من كبراء الغورية وغالطه فى القول ولما وصل الحسين المرغنى الى خوارزم شاه واطلع على أمره قبض على الحسين وسار الى هراة فحاصرها وكتب الحسين الى أخيه عمر بن محمد المرغنى أمير هراة بالخبر فاستعد للحصار وقد كان لحق بغياث الدين أخوان من حاشية سلطان شاه عم محمد بن تكش المتوفى فى سرخس فأكرمهما غياث الدين وأنزلهما بهراة فكاتبا محمد بن تكش وداخلاه فى تمليكه هراة فسار لذلك وحاصر البلد وأميرها عمر المرغنى مر الى الاخوين وعندهما مفاتيح البلد واطلع أخوه الحسين فى محبسه على شأن الاخوين فى مداخلة محمد بن تكش فبعث الى أخيه عمر بذلك فلم يصدقه فبعث اليه بخط أحدهما فقبض عليهما وعلى أصحابهما واعتقلهم وبعث محمد بن تكش عسكرا الى الطالقان للغارة عليها فظفر بهم ابن خربك ولم يفلت منهم أحد ثم بعث غياث الدين ابن أخته البوغانى فى عسكر من الغورية فنزلوا قريبا من عسكر خوارزم شاه محمد بن تكش وقطع عنهم الميرة ثم جاء غياث الدين فى عسكر قليل لان أكثرها مع أخيه شهاب الدين بالهند وغزنة فنزل قريبا من هراة ولم يقدم على خوارزم فلما بلغ الحصار أربعين يوما وانهزم أصحاب خوارزم شاه بالطالقان ونزل غياث الدين وابن أخته البوغانى قريبا منه وبلغه وصول أخيه شهاب الدين من الهند الى غزنة أجمع الرحيل عن هراة وصالح عمر المرغنى على مال حمله اليه وارتحل الى مرو منتصف ثمان وتسعين وسار شهاب الدين من غزنة الى بلخ ثم الى باميان معتزما على محاربة خوارزم شاه والتقت طلائعهما فقتل بين الفريقين خلق ثم ارتحل خوارزم شاه عن مرو مجفلا الى خوارزم وقتل الامير سنجر صاحب نيسابور لاتهامه بالمخادعة وسار شهاب الدين الى طوس وأقام بها الى انسلاخ الشتاء معتزما على المسير لحصار خوارزم فأتاه الخبر بوفاة أخيه غياث الدين فرجع الى هراة واستخلف بمرو محمد بن خربك فسار اليه جماعة من أمراء خوارزم شاه سنة تسع وتسعين ابن خربك ولم ينج منهم الا القليل فبعث خوارزم شاه الجيوش مع منصور التركى لقتال ابن خربك ولقيهم على عشرة فراسخ من مرو وقاتلهم فهزموه ودخل مرو منهزما فحاصروه خمسة عشر يوما ثم استأمن اليهم وخرج فقتلوه وأسف ذلك شهاب الدين وترددت الرسل بينه وبين خوارزم شاه فى الصلح فلم يتم وأراد العود الى غزنة فاستعمل على هراة ابن أخته البوغانى وملك علاء الدين بن أبى على الغورى مدينة مرو وزكورة و بلد الغور وأعمال

خراسان وفوض اليه في مملكته وعاد الى غزنة سنة تسع وتسعين وخمسمائة ثم عاد خوارزم شاه الى هراة منتصف سنة ستمائة وبها البوغانى ابن أخت شهاب الدين الغورى وكان شهاب الدين قد سار عن غزنة الى لهاوون غازيا فحصر خوارزم شاه هراة الى منسلخ شعبان وهلك في الحصار بين الفريقين خلق وكان الحسن بن حرميل مقيما بجوزستان وهى اقطاعه فأرسل الى خوارزم شاه يخادعه ويطلب منه عسكرا يستلمون الفيلة وخزانة شهاب الدين فبعث اليه ألف فارس فاعترضهم هو والحسن بن محمد المرغنى فلم ينج منهم الا القليل فندم خوارزم شاه على انفاذ العسكر وبعث الى البوغانى أن يظهر بعض طاعته ويفرج عنه الحصار فامتنع ثم أدركه المرض فخشى أن يشغله المرض عن حماية البلد فيملكها عليه خوارزم شاه فرجع الى اجابته واستحلفه وأهدى وخرج له للقاء ويعطيه بعض الخدمة فمات في طريقه وارتحل خوارزم شاه عن البلد وأحرق المجانيق وسار الى سرخس فأقام بها

* (حصار شهاب الدين خوارزم شاه وانهزامه أمام الخطا) *

ولما بلغ شهاب الدين بغزنة ما فعل خوارزم شاه بهراة وموت نائبه بها البوغانى ابن أخته وكان غازيا الى الهند فانثنى عزمه وسار الى خوارزم وكان خوارزم شاه قد سار من سرخس وأقام بظاهر مرو فلما بلغه خبر مسيره أجفل راجعا الى خوارزم فسبق شهاب الدين اليها وأجرى الماء في السبخة حواليها وجاء شهاب الدين فأقام أربعين يوما يطرق المسالك حتى أمكنه الوصول ثم التقوا واقتتلوا وقتل بين الفريقين خلق كان منهم الحسن المرغنى من الغورية وأسر جماعة من الخوارزمية فقتلهم شهاب الدين صبرا وبعث خوارزم شاه الى الخطا فيما وراء النهر يستنجدهم على شهاب الدين فجمعوا وساروا الى بلاد الغور وبلغ ذلك شهاب الدين فسار اليهم فلقيهم بالمفازة فهزموه وحصروه في اندخوى حتى صالحهم وخلص الى الطالقان وقد كثر الارجاف بموته فتلقاه الحسين بن حرميل صاحب الطالقان وأزاح علله ثم سار الى غزنة واحتمل ابن حرميل معه خشية من شدة جزعه أن يلحق بخوارزم شاه ويطيعه فولاه حجابته وسار معه ووجد الخلاف قد وقع بين أمرائه لما بلغهم من الارجاف بموته حسبما مر في أخبار الغورية فأصلح من غزنة ومن الهند وتأهب للرجوع لخوارزم شاه وقد وقع في خبر هزيمته أمام الخطا بالمفازة وجه آخر ذكرناه هنالك وهو أنه فرق عساكره في المفازة لقلة الماء فأوقع بهم الخطا منفردين وجاء في الساقة فقاتلهم أربعة أيام مصابرا وبعث اليه صاحب سمرقند من عسكر الخطا وكان مسلما وأشار عليه بالتهويل عليهم فبعث عسكرا من الليل وجاؤا من الغد متتابعين وخوفهم صاحب سمرقند بوصول المدد

لشهاب الدين فرجعوا الى الصلح وخلص هو من تلك الواقعة وذلك سنة احدى وستمائة ومات شهاب الدين اثر ذلك

(استيلاء خوارزم شاه على بلاد الغورية بخراسان)

كان نائب الغورية بهراة من خراسان الحسن بن حرميل ولما قتل شهاب الدين الغوري في رمضان سنة ثنتين وستمائة قام بأمرهم غياث الدين محمود ابن أخيه غياث الدين واستولى على الغور من يد علاء الدين محمد بن أبي على سرورڪاه ولما بلغ وفاة شهاب الدين الى الحسن بن حرميل نائب هراة جمع أعيان البلد وقاضيهم واستحلفهم على الامتناع من خوارزم شاه ظاهرا ودس الى خوارزم شاه بالطاعة ويطلب عسكرا يمتنع به من الغورية وبعث ابنه رهينة في ذلك فأنفذ اليه عسكرا من نيسابور وأمرهم بطاعة ابن حرميل وغياث الدين خلال ذلك يكاتب ابن حرميل ويطلبه في الطاعة فيراوغه بالمواعدة وبلغه خبره مع خوارزم شاه فاعتزم على النهوض اليه واستشار ابن حرميل بهراة أعيان البلد يختبر ما عندهم فقال له على بن عبد الخالق مدرس مية وناظر الاوقاف الرأي صدق الطاعة لغياث الدين فقال انما أخشاه فسر اليه وتوثق لي منه ففعل وسار الى غياث الدين فأطلعه على الجلي من أمر ابن حرميل ووعده الثورة به وكتب غياث الدين الى نائبه بمرو يستدعيه فتوقف وجاء أهل مرو على المسير فسار فخلع عليه غياث الدين وأقطعه واستدعى غياث الدين أيضا نائبه بالطالقان أميران قطر فتوقف فأقطع الطالقان سونج مملوك ابيه المعروف بأمير شكار وبعث الى ابن حرميل مع ابن زياد بالخلع ووصل معه رسوله يستنجز خطبته له فطله أياما حتى وصل عسكر خوارزم شاه من نيسابور ووصل في اثرهم خوارزم شاه وانتهى الى بلخ على أربعة فراسخ فندم ابن حرميل عندما عاين مصدوقة الطاعة وعرف عسكر خوارزم شاه بأن صاحبهم قد صالح غياث الدين وترك له البلاد فانصرفوا الى صاحبهم وبعث اليه معهم بالهدايا ولما سمع غياث الدين بوصول عسكر خوارزم شاه الى هراة أخذ اقطاع ابن حرميل وقبض على أصحابه واستصفى أمواله وما كان له من الذخيرة في حروبان وتبين ابن حرميل في أهل هراة الميل الى غياث الدين والانحراف عنه وخشي من ثورتهم به فأظهر طاعة غياث الدين وجمع أهل البلد على مكاتبته بذلك فكتبوا جميعا وأخرج الرسول بالكتاب ودس اليه بأن يلحق عسكر خوارزم شاه فيردهم اليه فوصل الرسول بهم لرابع يومه ولقيهم ابن حرميل وأدخلهم البلد وسمل ابن زياد الفقيه وأخرج صاعدا القاضي وشيع الغورية فلحقوا بغياث الدين وسلم البلد لعسكر خوارزم شاه وبعث غياث الدين عسكرا مع على بن أبي على وسار معه أميران صاحب الطالقان وكان منحرفا

عن غياث الدين بسبب عزله فدس الى ابن خرميل بأن يكبسه وواعده الهزيمة وحلف له على ذلك فكبسه ابن خرميل فانهزم عسكر غياث الدين وأسر كثير من أمرائه وشن ابن خرميل الغارة على بلاد باذغيس وغيرها من البلاد واعتزم غياث الدين على المسير بنفسه الى هراة ثم شغل عن ذلك بأمر غزنة ومسير صاحب باميان الى الدوس فأقصر واستظهر خوارزم شاه الى بلخ وقد كان عند مقتل شهاب الدين أطلق الغورية الذين كان أسرهم في المصاف على خوارزم وخيرهم في المقام عنده أو اللحاق بقومهم واستصفى من أكابرهم محمد بن بشير وأقطعه فلما قصد الآن بلخ قدم اليها أخوه علي شاه في العساكر وبرز اليه عمر بن الحسن أميرها فدافعه عنها ونزل على أربعة فراسخ وأرسل الى أخيه خوارزم شاه بذلك فسار اليه في ذي القعدة من السنة ونزل على بلخ وحاصرها وهم ينتظرون المدد من صاحبهم بباميان بن بهاء الدين وقد شغلوا بغزنة فحاصرها خوارزم شاه أربعين يوما ولم يظفر فبعث محمد بن بشير الغوري الى عماد الدين عمر بن الحسين نائبها يستنزله فامتنع فاعتزم خوارزم شاه على المسير الى هراة ثم بلغه أن أولاد بهاء الدين أمراء باميان ساروا الى غزنة وأسرهم تاج الدين الزز فأعاد محمد بن بشير الى عمر بن الحسين فأجاب الى طاعة خوارزم شاه والخطبة له وخرج اليه فأعاده الى بلده وذلك في ربيع سنة ثلاث وستمائة ثم سار خوارزم شاه الى جوزجان وبها علي بن علي فنزل له عنها وسلمها خوارزم شاه الى ابن خرميل لانها كانت من أقطاعه وبعث الى غياث الدين عمر بن الحسين من بلخ يستدعيه ثم قبض عليه وبعث به الى خوارزم شاه وسار الى بلخ فاستولى عليها واستخلف عليها جغرى التركي وعاد الى بلاده

(استيلاء خوارزم شاه على ترمذ وتسليمها للخطا)

ولما أخذ خوارزم شاه بلخ سار عنها الى ترمذ وبها عماد الدين عمر بن الحسين الذي كان صاحب بلخ وقدم اليه محمد بن علي بن بشير بالعذر عن شأن أبيه وانه انما بعثه لخوارزم مكرما وهو أعظم خواصه ويعده بالاطلاع فاتهم على صاحبها أمره واجتمع عليه خوارزم شاه والخطا من جميع جوانبه وأسر أصحابه ملوك باميان بغزنه فاستأمن الى خوارزم شاه وملك منه البلد ثم سلمها الى الخطا وهم على كفرهم ليسلموه حتى يملك وينتزعها منهم فكان كما قدره والله سبحانه وتعالى أعلم

(استيلاء خوارزم شاه على الطالقان)

ولما ملك خوارزم شاه ترمذ سار الى الطالقان وبها سونج واستناب على الطالقان أمير شكار نائب غياث الدين محمود وبعث اليه يستميله فامتنع وبرز للحرب حتى تراءى

الجمان فنزل عن فرسه ونبذ سلاحه وجاء متطارحا في العفو عنه فأعرض عنه وملك
الطالقان واستولى على ما فيها وبعث اليه سونج واستناب على الطالقان بعض أصحابه
وسار الى قلاع كالوين ومهوار وبها حسام الدين علي بن علي فقاتله ودفعه على ناحيته
وساروا الى هراة وخيم بظاهرها وجاء رسول غياث الدين بالهدايا والتحف ثم جاء ابن
حرميل في جمع من عساكر خوارزم شاه الى اسفراين فملكها على الامان في صفر من
السنة وبعث الى صاحب سجستان وهو حرب بن محمد بن ابراهيم من عقب خلف الذي
كان ملكها منذ عهد ابن سبكتكين في الطاعة لخوارزم والخطبة له فامتنع وقصد
خوارزم شاه وهو على هراة القاضي صاعد بن الفضل الذي أخرجه ابن حرميل ولحق
بغياث الدين فلما جاء الى خوارزم شاه رماه ابن حرميل بالميل الى الغورية فحبسه بقلعة
زوزن وولى القضاء بهراة الصفي أبا بكر بن محمد السرخسي وكان ينوب عن صاعد وابنه
في القضاء

(استيلاء خوارزم شاه على مازندان وأعمالها)

ثم توفي صاحب مازندان حسام الدين اردشير وولي مكانه ابنه الاكبر وطرد أخاه
الاوسط فقصد جرجان وبها الملك علي شاه ينوب عن أخيه خوارزم شاه محمد بن تكش
واستنجده فاستأذن أخاه وسار معه من جرجان سنة ثلاث وستمائة ومات الاخ الذي ولي
على مازندان وولي مكانه أخوهما الاصغر ووصل علي شاه ومعه أخو صاحب
مازندان فملكوا البلاد وامتنع الملك بالقلاع مثل سارية وآمد فملكوها من يده
وخطب فيها لخوارزم شاه وعاد علي شاه الى جرجان وترك ابن صاحب مازندان الذي
استجار به ملكا في تلك البلاد وأخوه بقلعة كوره

(استيلاء خوارزم شاه على ما وراء النهر وقتاله مع الخطا وأسره وخلاصه)

قد تقدم لنا كيف تغلب الخطا على ما وراء النهر منذ هزموا سنجر بن ملك شاه وكانوا أمة
بادية يسكنون الخيام التي يسمونها الخركاوات وهم على دين المجوسية كما كانوا وكانوا
موطنين بنواحي أوزكند وبلاد ساغون وكاشغر وكان سلطان سمرقند وبخارى من
ملوك الخانية الاقدمين عريقا في الاسلام والبيت والملك ويلقب خان خانان بمعنى
سلطان السلاطين وكان الخطا وضعوا الجزية على بلاد المسلمين فيما وراء النهر وكثر عيثهم
وثقلت وطأتهم فأنف صاحب بخارى من تحكمهم وبعث الى خوارزم شاه يستصرخه
لجهادهم على أن يحمل اليه ما يحملونه للخطا وتكون له الخطبة والسكة وبعث
في ذلك وجوه بخارى وسمرقند فحضروا له ووضعوا رهائنهم عنده فتجهز لذلك وولى أخاه

علي شاه على طبرستان مع جرجان وولى على نيسابور الامير كزلك خان من أخواله وأعيان
دولته وندب معه عسكرا وولى على قلعة زوزن أمين الدين أبا بكر وكان أصله جمالا
فارتفع وترقى في الرتب الى ملك كرمان وولى على مدينة الجام الامير جلدك وأقر على
هراة الحسين بن خرميل وأنزل معه ألفا من المقاتلة واستناب في مرو وسرخس وغيرهما
وصالح غياث الدين محمودا على ما بيده من بلاد الغور وكرمسير وجمع عساكر وسار الى
خوارزم فتجهز منها وعبر جيحون واجتمع بسلطان بخارى وسمرقند وزحف اليه الخطا
فتواقعوا معه مرات وبقيت الحرب بينهم سجالا ثم انهزم المسلمون وأسر خوارزم شاه
ورجعت العساكر الى خوارزم مفلولة وقد أرجف بموت السلطان وكان كزلك خان
نائب نيسابور يحاصر الهراة ومعه صاحب زوزن فرجعوا الى بلادهما وأصلح
كزلك خان سور نيسابور واستكثر من الجند والاقوات وحدثته نفسه بالاستبداد وبلغ
خبر الارجاف الى أخيه علي شاه بطبرستان فدعا لنفسه وقطع خطبة أخيه وكان مع
خوارزم شاه حين أسر أمير من أمرائه يعرف بابن مسعود فتحيل للسلطان بأن أظهر
نفسه في صورته واتفقا على دعائه باسم السلطان وأوهما صاحبهما الذي أسرهما أن
ابن مسعود هو السلطان وان خوارزم شاه خديمه فأوجب ذلك الخطائي حقه وعظمه
لاعتقاده انه السلطان وطلب منه بعد أيام أن يبعث ذلك الخديم لاهله وهو خوارزم
شاه في الحقيقة ليعرف أهله بخبره ويأتيه بالمال فيدفعه اليه فأذن له الخطائي في ذلك
وأطلقه بكتابه ولحق بخوارزم ودخل اليها في يوم مشهود وعلم بما عمله أخوه علي شاه
بطبرستان وكزلك خان بنيسابور وبلغهما خبر خلاصه فهرب كزلك خان الى
العراق ولحق علي شاه بغياث الدين محمود فأكرمه وأنزله وسار خوارزم شاه الى نيسابور
فأصلح أمورها وولى عليها وسار الى هراة فنزل عليها وعسكره محاصر دونها وذلك سنة
أربع وستمائة والله أعلم

(مقتل ابن خرميل ثم استيلاء خوارزم شاه على هراة)

كان ابن خرميل قد تنكر لعسكر خوارزم شاه الذين كانوا عنده بهراة لسوء سيرتهم
فلما عبر خوارزم شاه جيحون واشتغل بقتال الخطا قبض ابن خرميل على العسكر
وحبسهم وبعث الى خوارزم شاه يعتذر ويشكو من فعلهم فكتب اليه يستحسن فعله
ويأمره بانفاذ ذلك العسكر اليه لينتفع بهم في قتال الخطا وكتب الى جلدك بن طغرل
صاحب الجام أن يسير اليه بهراة ثقة بفعله وحسن سريرته وأعلم ابن خرميل بذلك ودس
الى جلدك بالتحيل على ابن خرميل بكل وجه والقبض عليه فسار في ألفي مقاتل وكان
يهوى ولاية هراة لان أباه طغرل كان واليها أيام السنجرية فلما قارب هراة أمر ابن خرميل

الناس بالخروج لتلقيه وخرج هو في اثرهم بعد ان أشار عليه وزيره خواجا الصاحب فلم يقبل فلما التقى جلدك وابن خرميل ترجلا عن فرسيهما للسلام وأحاط أصحاب جلدك بابن خرميل وقبضوا عليه وانهزم أصحابه الى المدينة فأغلق الوزير خواجا الابواب واستعد للحصار وأظهر دعوة غياث الدين محمود وجاء جلدك فناداه من السور وتهدده بقتل ابن خرميل وجاء ابن خرميل حتى أمره بتسليم البلد لجلدك فأبى وأساء الرد عليه وعلى جلدك فقتل ابن خرميل وكتب الى خوارزم شاه بالخبر فبعث خوارزم شاه الى كزلك خان نائب نيسابور والى أمين الدين أبي بكر نائب زوزن بالمسير الى جلدك وحصار هراة معه فساروا لذلك في عشرة آلاف فارس وحاصروها فامتنعت وكان خلال ذلك ماقدمناه من انهزام خوارزم شاه أمام الخطا وأسرهم اياه ثم تخلص ولحق بخوارزم ثم جاء الى نيسابور ولحق بالعساكر الذين يحاصرون هراة فأحسن الى أمرائهم لصبرهم وبعث الى الوزير خواجا في تسليم البلد لانه كان يعد عسكره بذلك حين وصوله فامتنع وأساء الرد فشد خوارزم في حصاره وضجر أهل المدينة وجهدهم الحصار وتحدثوا في الثورة فبعث جماعة من الجند للقبض عليه فثاروا بالبلد وشعر جماعة العسكر من خارج بذلك فرجعوا الى السور واقتحموه وملك البلد عنوة وجيء بالوزير أسيرا الى خوارزم شاه فأمر بقتله فقتل وكان ذلك سنة خمس وستمائة وولى على هراة خاله أمير ملك وعاد وقد استقر له أمر خراسان

(١) *(استيلاء خوارزم شاه على بيروزكوه وسائر بلاد خراسان)*

لما ملك خوارزم شاه هراة وولى عليها خاله أمير ملك وعاد الى خوارزم بعث الى أمير ملك يأمره [...] بيروزكوه وكان بها غياث الدين محمود بن غياث الدين وقد لحق به أخوه علي شاه وأقام عنده فسار أمير ملك وبعث اليه محمود بطاعته ونزل اليه فقبض عليه أمير ملك وعلى علي شاه أخي خوارزم شاه وقتلهما جميعا سنة خمس وستمائة وصارت خراسان كلها لخوارزم شاه محمد بن تكش وانقرض أمر الغورية وكانت دولتهم من أعظم الدول وأحسنها والله تعالى ولي التوفيق

(هزيمة الخطا)

ولما استقر أمر خراسان لخوارزم شاه واستنفر وعبر نهر جيحون وسار اليه الخطا وقد احتفلوا للقائه وملكهم يومئذ طاينكوه ابن مائة سنة ونحوها وكان مظفرا مجربا بصيرا بالحرب واجتمع خوارزم شاه وصاحب سمرقند وبخارى وتراجعوا سنة ست وستمائة ووقعت بينهم حروب لم يعهد مثلها ثم انهزم الخطا وأخذ فيهم القتل كل مأخذ

وأسر ملكهم طاينكو وفا كرمه خوارزمشاه وأجلسه معه على سريره وبعث به الى خوارزم وسار هو الى ما وراء النهر وملكها مدينة مدينة الى أوركند وأنزل نوابه فيها وعاد الى خوارزم ومعه صاحب سمرقند فأصهر اليه خوارزمشاه بأخته وردّه الى سمرقند وبعث معه شحنة يكون بسمرقند على ما كان أيام الخطا والله تعالى يؤيد بنصره من يشاء

(انتقاض صاحب سمرقند)

ولما عاد صاحب سمرقند الى بلده أقام شحنة خوارزمشاه وعسكر معه نحوا من سنة ثم استقبح سيرتهم وتنكر لهم وأمر أهل البلاد فثاروا بهم وقتلوهم في كل مذهب وهمّ بقتل زوجته أخت خوارزمشاه فغلقت الابواب دونه واسترحمته فتركها وبعث الى ملك الخطا بالطاعة وبلغ الخبر الى خوارزمشاه فامتعض وهمّ بقتل من في بلده من أهل سمرقند ثم انثنى عن ذلك وأمر عساكره بالتوجه الى ما وراء النهر فخرجوا أرسالا وهو في أثرهم وعبر بهم النهر ونزل على سمرقند وحاصرها ونصب عليها الآلات وملكها عنوة واستباحها ثلاثا وقتل فيها نحوا من مائتي ألف واعتصم صاحبها بالقلعة ثم حاصرها وملكها عنوة وقتل صاحبها صبرا في جماعة من أقرانه ومحا آثار الخانية وأنزل في سائر البلاد وراء النهر نوابه وعاد الى خوارزم والله تعالى ولي النصر بمنه وفضله

(استلحام الخطا)

قد تقدم لنا وصول طائفة من أمم الترك الى بلاد تركستان وكاشغر وانتشارهم فيما وراء النهر واستخدموا للملوك الخانية أصحاب تركستان وكان ارسلان خان محمد بن سليمان ينزلهم مسالح على الريف فيما بينه وبين الصين ولهم على ذلك الاقطاعات والجرايات وكان يعاقبهم على ما يقع منهم من الفساد والعيث في البلاد ويوقع بهم ففرّوا من بلاده وابتغوا عنه فسيحا من الارض ونزلوا بلاد ساغون ثم خرج كوخان ملك الترك الاعظم من الصين سنة ثنتين وعشرين وخمسمائة فسارت اليه أمم الخطا ولقيهم الخان محمود بن محمد بن سليمان بن داود بقراخان وهو ابن أخت السلطان سنجر فهزموه وبعث بالصريخ الى خاله سنجر فاستنفر ملوك خراسان وعساكر المسلمين وعبر جيحون للقائهم في صفر سنة ست وثلاثين ولقيه أمم الترك والخطا فهزموه وأثخنوا في المسلمين وأسرت زوجة السلطان سنجر ثم أطلقها كوخان بعد ذلك وملك الترك بلاد ما وراء النهر ثم مات كوخان ملكهم سنة سبع وثلاثين ووليت بعده ابنته وماتت قريبا وملكت من بعدها أمها زوجة كوخان وابنه محمد ثم انقرض ملكهم واستولى الخطا على ما وراء

النهر الى أن غلبهم عليه خوارزم شاه علاء الدين محمد بن تكش كما قدمنا وكانت قد خرجت قبل ذلك خارجة عظيمة من الترك يعرفون بالتتر نزلوا في حدود الصين وراء تركستان وكان ملكهم كشلي خان ووقع بينه وبين الخطا من العداوة والحروب ما يقع بين الامم المتجاورة فلما بلغهم ما فعله خوارزم شاه بالخطا أرادوا الانتقام منهم وزحف كشلي في أمم التتر الى الخطا لينتهز الفرصة فيهم فبعث الخطا الى خوارزم شاه يتلطفون له ويسألونه النصر من عدوهم قبل أن يستحكم أمرهم وتضيق عنه قدرته وقدرتهم وبعث اليه كشلي يغريه بهم وأن يتركه واياهم ويحلف له على مسالمة بلاده فسار خوارزم شاه يوهم كل واحد من الفريقين انه له وأقام متنبذا عنهما حتى تواقعوا وانهزم الخطا فمال مع التتر عليهم واستلحموهم في كل وجه ولم ينج منهم الا القليل تحصنوا بين جبال في نواحي تركستان وقليل آخرون لحقوا بخوارزم شاه كانوا معه وبعث خوارزم شاه الى كشلي خان ملك التتر يعتد عليه بهزيمة الخطا وانها انما كانت بمظاهرته فأظهر له الاعتراف وشكره ثم نازعه في بلادهم وأملاكهم وسار لحربهم ثم علم انه لا طاقة له بهم فكثيرا ما وغهم على اللقاء وكشلي خان يعذله في ذلك وهو يتعلله واستولى كشلي خان خلال ذلك على كاشغر وبلاد تركستان وساغون ثم عمد خوارزم شاه الى الشاش وفرغانة واسبيجاب وكاشان وما حولها من المدن التي لم يكن في بلاد الله انزه منها ولا أحسن عمارة فجلا أهلها الى بلاد الاسلام وخرب جميعها خوفا أن يملكها التتر ثم اختلف التتر بعد ذلك وخرج على كشلي طائفة أخرى منهم يعرفون بالمغل وملكهم جنكزخان فشغل كشلي خان بحربهم عن خوارزم شاه فعبر النهر الى خراسان وترك خوارزم شاه الى أن كان من أمره ما نذكره والله تعالى أعلم

(استيلاء خوارزم شاه على كرمان ومكران والسند)

قد تقدم لنا أنه كان من جملة أمراء خوارزم شاه تكش تاج الدين أبو بكر وانه كان كريا للدواب ثم ترقت به الاحوال الى أن صار سروان لتكش والسروان مقدم الجهاد ثم تقدم عنده بجلده وامانته وصار أميرا وولاه قلعة زوزن ثم تقدم عند علاء الدين محمد بن تكش واختصه فأشار عليه بطلب بلاد كرمان لما كانت مجاورة لوطنه فبعث معه عسكرا وسار الى كرمان سنة ثنتي عشرة وصاحبها يومئذ محمد بن حرب أبي الفضل الذي كان صاحب سجستان أيام السلطان سنجر فغلبه على بلاده وملكها ثم سار الى كرمان وملكها كلها الى السند من نواحي كابل وسار الى هرمز من مدن فارس بساحل البحر واسم صاحبها ملنك فأطاعه وخطب لخوارزم شاه وضمن مالا يحمله وخطب له بقلعات وبعض عمان من وراء النهر لانهم كانوا يتقربون الى

صاحب هرمز بالطاعة وتسيير سفنهم بالتجار الى هرمز لانه المرسى العظيم الذى تساعر اليه التجار من الهند والصين وكان بين صاحب هرمز وصاحب كيش مغاورات وفتن وكل واحد منهما ينهى مراكب بلاده أن ترسى ببلاد الآخر وكان خوارزم شاه يطيف بنواحى سمرقند خشية أن يقصد التتر أصحاب كشلى خان بلاده

(استيلاء خوارزم شاه على غزنة وأعمالها)

ولما استولى خوارزم شاه محمد بن تكش على بلاد خراسان وملك باميان وغيرها وبعث تاج الدين المرز صاحب غزنة وقد تغلب عليها بعد ملوك الغورية وقد تقدم فى أخبار دولتهم فبعث اليه فى الخطبة له وأشار عليه كبير دولته قطلغ تكين مولى شهاب الدين الغورى وسائر أصحابه بالاجابة الى ذلك فخطب له ونقش السكة باسمه وسار قد صيرا وترك قطلغ تكين بغزنة نائبا عنه فبعث قطلغ تكين لخوارزم شاه يستدعيه فأغذ له السير وملك غزنة وقلعتها وقتل الغورية الذين وجدوا بها خصوصا الاتراك وبلغ الخبر المرز فهرب الى أساون ثم أحضر خوارزم شاه قطلغ ووبخه على قلة وفائه لصاحبه وصادره على ثلاثين حملا من أصناف الاموال والامتعة وأربعمائة مملوك ثم قتله وعاد الى خوارزم وذلك سنة ثلاث عشرة وستمائة وقيل سنة ثنتى عشرة بعد ان استخلف عليها ابنه جلال الدين منكبرس والله أعلم بغيبه وأحكم

(استيلاء خوارزم شاه على بلاد الجبل)

كان خوارزم شاه محمد بن تكش قد ملك الرى وهمذان وبلاد الجبل كلها أعوام تسعين وخمسمائة من يد طغرل آخر ملوك السلجوقية وقد تنازعها بقية أمراء السلجوقية ونازعه فيها ابن القصاب وزير الخليفة الناصر فغلبه خوارزم شاه وقتله كما مر فى أخباره ثم شغل عنها تكش الى أن توفى وذلك سنة سبع وتسعين وصار ملكه لابنه علاء الدين محمد بن تكش وتغلب موالى البهلوان على بلاد الجبل واحدا بعد واحد ونصبوا أزبك بن مولاهم البهلوان ثم انتقضوا عليه وخطبوا لخوارزم شاه وكان آخر من ولى منهم أغمش وأقام بها مدة يخطب لعلاء الدين محمد بن تكش خوارزم شاه ثم وثب عليه بعض الباطنية وطمع أزبك بن محمد البهلوان بقية الدولة السلجوقية باذربيجان واران فى الاستيلاء على أعمال اصبهان والرى وهمذان وسائر بلاد الجبل وطمع سعد بن زنكى صاحب فارس ويقال سعد بن دكلا فى الاستيلاء عليها أيضا كذلك وسار فى العساكر فملك أزبك اصبهان بمما لأة أهلها وملك سعد الرى وقزوين وسمنان وطار الخبر الى خوارزم شاه باصبهان بسمرقند فسار فى العساكر سنة أربع عشرة وستمائة فى مائة ألف بعد ان جهز

العساكر فيما وراء النهر وبثغور الترك وانتهى الى قومس ففارق العساكر وسار متجردا في اثني عشر ألفا فلما ظفرت مقدمته بأهل الري وسعد مخيم بظاهرها وركب للقتال يظن انه السلطان ثم تبين الآلة والمركب واستيقن انه السلطان فولت عساكره منهزمة وحصل في أسر السلطان وبلغ الخبر الى أزبك باصبهان فسار الى همذان ثم عدل عن الطريق في خواصه وركب الاوعار الى اذربيجان وبعث وزيره أبا القاسم بن علي بالاعتذار فبعث اليه في الطاعة فأجابه وحمله الضريبة فاعتذر بقتال الكرج وأما سعد صاحب فارس فبلغ الخبر بأسره الى ابنه نصرة الدين أبي بكر فهاج بغلمان أبيه وأطلق السلطان سعدا على أن يعطيه قلعة اصطخر ويحمل اليه ثلث الخراج وزوجه بعض قرابته وبعث معه من رجال الدولة من يقبض اصطخر فلما وصل الى شيراز وجد ابنه متقضبا فداخله بعض أمراء ابنه وفتح له باب شيراز ودخل على ابنه واستولى على ملكه وخطب لخوارزم شاه واستولى خوارزم شاه على ساورة وقزوين وجرجان وابهر وهمذان واصبهان وقم وقاشان وسائر بلاد الجبل واستولى عليها كلها من أصحابها واختص الامير طايسين بهمذان وولى ابنه ركن الدولة بادرشاه عليهم جميعا وجعل معه جمال الدين محمد بن سابق الشاوي وزيرا

• (طلب الخطبة وامتناع الخليفة منها) •

ثم بعد ذلك بعث خوارزم شاه محمد بن تكش الى بغداد يطلب الخطبة بها من الخليفة كما كانت لبني سلجوق وذلك سنة أربع عشرة وذلك لما رأى من استفحال أمره واتساع ملكه فامتنع الخليفة من ذلك وبعث في الاعتذار عنه الشيخ شهاب الدين السهروردي فأكبر السلطان مقدمه وقام لتلقيه وأول ما بدأ به الكلام على حديث وجلس على ركبتيه لاستماعه ثم تكلم وأطال وأجاد وعرض بالموعظة في معاملة النبي صلى الله عليه وسلم في بني العباس وغيرهم والتعرض لاذايتهم فقال السلطان حاش لله من ذلك وأنا ما آذيت أحدا منهم وأمير المؤمنين كان أولى بموعظة الشيخ فقد بلغني أن في محبسه جماعة من بني العباس مخلدين يتناسلون فقال الشيخ الخليفة اذا حبس أحدا للاصلاح لا يعترض عليه فيه فبايع الالله نظر في المصالح ثم ودعه السلطان ورجع الى بغداد وكان ذلك قبل أن يسير الى العراق فلما استولى على بلاد الجبل وفرغ من أمرها سار الى بغداد وانتهى الى عقبة سراباد وأصابه هنالك ثلج عظيم أهلك الحيوانات وعفن أيدي الرجال وأرجلهم حتى قطعوها ووصله هنالك شهاب الدين السهروردي ووعظه فندم ورجع عن قصده فدخل الى خوارزم سنة خمس عشرة والله سبحانه وتعالى ولي التوفيق

ولما استكمل السلطان خوارزمشاه محمد بن تكش ملكه بالاستيلاء على الري وبلاد الجبل قسم أعمال ملكه بين ولده فجعل خوارزم وخراسان ومازندران لولي عهده قطب الدين أولاغ شاه وانما كان ولي عهده دون ابنه الاكبر جلال الدين منكبرس لان أم قطب الدين وأم السلطان وهي تركان خاتون من قبيلة واحدة وهم بياروت من شعوب يمك احدى بطون الخطا فكانت تركان خاتون متحكمة في ابنها السلطان محمد ابن تكش وجعل غزنة وباميان والغور وبست ومكساباد وما من الهند لابنه جلال الدين منكبرس وكرمان وكيس ومكرمان لابنه غياث الدين پيرشاه وبلاد الجبل لابنه ركن الدين غورشاه كما قدمناه وأذن لهم في ضرب النوب الخمس له وهي دبادب صغار تقرع عقب الصلوات الخمس واختص هو بنوبة سماها نوبة ذي القرنين سبع وعشرين دبدبة كانت مصنوعة من الذهب والفضة مرصعة بالجواهر هكذا ذكر الوزير محمد ابن أحمد النسوي المنشي كاتب جلال الدين منكبرس في أخباره وأخبار أبيه علاء الدين محمد بن تكش وعلى كتابه اعتمدت دون غيره لانه أعرف بأخبارهما وكانت كرمان ومكران وكيش لمؤيد الملك قوام الدين وهلك منصرف السلطان من العراق فأقطعها لابنه غياث الدين كما قلناه وكان الملك هذا سوقة فأصبح ملكا وأصل خبره ان أمه كانت داية في دار نصرة الدين محمد بن أبي صاحب زوزن فنشأ في بيته واستخدمه وسفر عنه للسلطان فسعى به أنه من الباطنية ثم رجع لخوفه من السلطان بذلك فانقطع نصرة الدين الى الاسماعيلية وتحصن ببعض قلاع زوزن وكتب قوام الدين بذلك الى السلطان فجعل اليه وزارة زوزن وولاية جبايتها ولم يزل يخادع صاحبه نصرة الدين الى أن راجع فتمكن من السلطان وسمله ثم طمع قوام الدين في ملك كرمان وكان بها أمير من بقية الملك دينار وأمده السلطان بعسكر من خراسان فملك كرمان وحسن موقع ذلك من السلطان فلقبه مؤيد الملك وجعلها في أقطاعه ولما رجع السلطان من العراق وقد نفقت جماله بعث اليه بأربعة آلاف بختي وتوفي أثر ذلك فرد السلطان أعماله الى ابنه غياث الدين كما قلناه وحمل من تركته الى السلطان سبعون حملا من الذهب خلا الاصناف

(أخبار تركان خاتون أم السلطان محمد بن تكش)

كانت تركان خاتون أم السلطان محمد بن تكش من قبيلة بياروت من شعوب الترك يمك من الخطا وهي بنت خان جنكش من ملوكهم تزوجها السلطان خوارزمشاه تكش

فولدت له السلطان محمد اعلا الملك خوارزم شاه علاء الدين فتعلق بها طوائف من الترك ومن جاورهم من الترك
واستظهرت بهم وتحكمت في الدولة فلم يملك السلطان معها أمره وكانت تولى
في النواحي من جهتها كما يولي السلطان وتحكم بين الناس وتنصف من الظلامات
وتقدم على الفتك والقتل وتقيم معاهد الخير والصدقة في البلاد وكان لها سبعة من
الموقعين يكتبون عنها واذا عارض توقيعها التوقيع السلطاني عمل بالمتأخر منهما وكان
لقبها خداوندجهان أي صاحبة العالم وتوقيعها في الكتاب عصمة الدنيا والدين اولاغ
تركان ملكة نساء العالمين وعلامتها اعتصمت بالله وحده تكتبها بقلم غليظ وتجود كتابتها
أن تزور عليها واستوزرت للسلطان وزيره نظام الملك وكان مستخدما لها فلما عزل
السلطان وزيره أشارت عليه بوزارة نظام الملك هذا فوزر له على كره من السلطان
وتحكم في الدولة بتحكمها ثم تنكر له السلطان لامور بلغته عنه وعزله فاستمر على
وزارتها وكان شأنه في الدولة أكبر وشكا اليه بعض الولاة بنواحي خوارزم
أنه صادره فأمر بعض خواصه بقتله فمنعته تركان من ذلك وبقي على حاله وعجز السلطان
عن انفاذ أمره فيه والله يؤيد بنصره من يشاء

(خروج التتر وغلبهم على ما وراء النهر وفرار السلطان أمامهم من خراسان)

ولما عاد السلطان من العراق سنة خمس عشرة كما قدمناه واستقر بنيسابور وفدت عليه
رسل جنكزخان بهدية من المعدنين ونوافج المسك وحجر اليشم والثياب الطائية
التي تنسج من وبر الابل البيض ويخبر أنه ملك الصين وما يليها من بلاد الترك ويسأل
الموادعة والاذن للتجار من الجانبين في التردد في متاجرهم وكان في خطابه اطراء
السلطان بأنه مثل أعز أولاده فاستنكف السلطان من ذلك واستدعى محمودا الخوارزمي
من الرسل واصطنعه ليكون عينا له على جنكزخان واستخبره على ما قاله في كتابه من
ملكه الصين واستيلائه على مدينة طوغاج فصدق ذلك ونكر عليه الخطاب بالولد وسأله
عن مقدار العساكر فغشه وقللها وصرفهم السلطان بما طلبوه من الموادعة والاذن
للتجار فوصل بعض التجار من بلادهم الى اترار وبها ينال خان ابن خال السلطان
في عشرين ألفا من العساكر فشره الى أموالهم وخاطب السلطان بأنهم عيون وليسوا
بتجار فأمره بالاحتياط عليهم فقتلهم خفية وأخذ أموالهم وفشا الخبر الى جنكزخان
فبعث بالنكير الى السلطان في نقض العهد وان كان فعل ينال افتياتا فبعث اليه يتهدده
على ذلك فقتل السلطان الرسل وبلغ الخبر الى جنكزخان فسار في العساكر واعتزم
السلطان أن يحصن سمرقند بالاسوار فجبى لذلك خراج سنتين وجبى ثالثة استخدم بها
الفرسان وسار الى احياء جنكزخان فكبسهم وهو غائب عنهم في محاربة كشلي خان

فغنم ورجع واتبعهم ابن جنكزخان فكانت بينهم واقعة عظيمة هلك فيها كثير من الفريقين ولما عبر خوارزم شاه الى جيحون فأقام عليه ينتظر شأن التتر ثم عاجله جنكزخان فأجفل وترك بها وفرق عساكره فى مدن ماوراء النهر اترار وبخارى وسمرقند وترمذ وجند وأنزل آيناج من كبراء أمرائه وحجاب دولته فى بخارى وجاء جنكزخان الى اترار فحاصرها وملكها غلابا وأسر أميرها ينال خان الذى قتل التجار وأذاب الفضة فى أذنيه وعينيه ثم حاصر بخارى وملكها على الامان وقاتلوا معه القلعة حتى ملكوها ثم غدر بهم وقتلهم وسلبهم وخربها ورحل جنكزخان الى سمرقند ففعلوا فيها مثل ذلك سنة تسع عشرة وستمائة ثم كتب كتبا على لسان الامراء قرابة أم السلطان يستدعون جنكزخان ويعدها بزيادة خراسان الى خوارزم وبعث من يستخلفه على ذلك وبعث الكتب مع من يتعرض بها للسلطان فلما قرأها ارتاب بأمه وقرابتها

(اجفال السلطان خوارزم شاه الى خراسان ثم الى طبرستان ومهلكه)

ولما بلغ السلطان استيلاء جنكزخان على اترار وبخارى وسمرقند وجاءه نائب بخارى ناجيا فى الفل أجفل حينئذ وعبر جيحون ورجع عنه طوائف الخطا الذين كانوا معه وعلاء الدين صاحب قندز وتخاذل الناس وسرح جنكزخان العساكر فى أثره نحوا من عشرين ألفا يسميهم التتر المغربة لمسيرهم نحو غرب خراسان فتوغلوا فى البلاد وانتهوا الى بلاد يجوروا واكتسحوا كل ما مروا عليه ووصل السلطان الى نيسابور فلم يثبت بها ودخل الى ناحية العراق بعد أن أودع أمواله قال المنشى فى كتابه حدثنى الامير تاج الدين البسطامى قال لما انتهى خوارزم شاه فى مسيره الى العراق استحضرنى وبين يديه عشرة صناديق مملوءة لآلئ لا تعرف قيمتها وقال فى اثنين منها فيهما من الجواهر ما يساوى خراج الارض باسرها وأمرنى بحملها الى قلعة اردهن من أحصن قلاع الارض وأخذت خط يد الوالى بوصولها ثم أخذها التتر بعد ذلك حين ملكوا العراق انتهى ولما ارتحل خوارزم شاه من نيسابور قصد مازندران والتتر فى أثره ثم انتهى الى أعمال همذان فكبسوه هنالك ونجا الى بلاد الجبل وقتل وزيره عماد الملك محمد بن

وأقام هو بساحل البحر بقرية عند الفريضة يصلى ويقرأ ويعاهد الله على حسن السيرة ثم كبسه التتر أخرى فركب البحر وخاضوا فى أثره فغلبهم الماء ورجعوا ووصلوا الى جزيرة فى بحر طبرستان فأقام بها وطرقه المرض فكان جماعة من أهل مازندران يمرضونه ويحمل اليه كثيرا من حاجته فيوقع لحاملها بالولايات والاقطاع وأمضى ابنه جلال الدين بعد ذلك جميعها ثم هلك سنة سبع عشرة وستمائة ودفن بتلك الجزيرة لاحدى وعشرين سنة من ملكه بعد أن عهد لابنه جلال الدين منكبرس وخلع ابنه الاصغر

قطب الدين أولاغ شاه ولما بلغ خبر اجفاله الى أمه تركان خاتون بخوارزم خرجت هاربة بعد أن قتلت نحوا من عشرين من الملوك والاكابر المحبوسين هنالك ولحقت بقلعة ايلان من قلاع مازندان فلما رجع التتر المغربة عن السلطان خوارزم شاه بعد ان خاض بحر طبرستان الى الجزيرة التي مات بها فقصدوا مازندان وملكوا قلاعها على ما فيها من الامتناع ولقد كان فتحها تأخر الى سنة تسعين أيام سليمان بن عبد الملك فملكوها واحدة واحدة وحاصروا تركان خاتون في قلعة ايلان الى أن ملكوا القلعة صلحا وأسروها وقال ابن الاثير انهم لقوها في طريقها الى مازندان فأحاطوا بها وأسروها ومن كان معها من بنات السلطان وتزوجهن التتر وتزوج دوش خان بن جنكزخان باحداهن وبقيت تركان خاتون أسيرة عندهن في خمول وذل وكانت تحضر سماط جنكزخان كاحداهن وتحمل قوتها منه وكان نظام الملك وزير السلطان مع أمه تركان خاتون فحصل في قبضة جنكزخان وكان عندهم معظما لما بلغهم من تنكر السلطان له وكانوا يشاورونه في أمر الجباية فلما استولى دوش خان على خوارزم وجاء بحرم السلطان الذين كانوا بها وفيهن مغنيات فوهب احداهن لبعض خدمه فمنعت نفسها منه وبدأت للوزير نظام الملك فشكاه ذلك الخادم لجنكزخان ورماه بالجارية فأحضره جنكزخان وعدد عليه خيانة استاذه وقتله

مسير التتر بعد مهلك خوارزم شاه من العراق الى أذربيجان وما وراءها من البلاد هنالك

ولما وصل التتر الى الري في طلب خوارزم شاه محمد بن تكش سنة سبع عشرة وستمائة ولم يجدوه عادوا الى همذان واكتسحوا ما مروا عليه وأخرج اليهم أهل همذان ما حضرهم من الاموال والثياب والدواب فأمنوهم ثم ساروا الى زنجان ففعلوا كذلك ثم الى قزوين فامتنعوا منهم فحاصروها وملكوها عنوة واستباحوها ويقال ان القتلى بقزوين زادوا على أربعين ألفا ثم هجم عليهم الشتاء فساروا الى اذربيجان على شأنهم من القتل والاكتساح وصاحبها يومئذ أزبك بن البهلوان مقيم بتبريز عاكف على لذاته فراسلهم وصانعهم وانصرفوا الى بوقان ليشتوا بالسواحل ومروا الى بلاد الكرج فجمعوا لقتالهم فهزمهم التتر وأثخنوا فيهم فبعثوا الى ازبك صاحب اذربيجان والى الاشرف بن العادل بن أيوب صاحب خلاط والجزيرة يطلبون اتصال أيديهم على مدافعة التتر وانضاف الى التتر اقرش من موالي ازبك واليه جموع من التركمان والاكراد وسار مع التتر الى الكرج واكتسحوا بلادهم وانتهوا الى بلقين وسار اليهم الكرج فلقيهم اقرش أولا ثم لقيهم التتر فانهزم الكرج وقتل منهم ما لا يحصى

وذلك فى ذى القعدة من سنة سبع عشرة ثم عاد التتر الى مراغة ومروا بتبريز فصانعهم صاحبها كعادته وانتهوا الى مراغة فقاتلوها أياما وبها امرأة تملكها ثم ملكوها فى صفر سنة ثمانى عشرة واستباحوها ثم رحلوا عنها الى مدينة اربل وبها مظفر الدين بن
فاستمد بدر الدين صاحب الموصل فأمده بالعساكر ثم هم بالخروج لحفظ الدروب على بلاده فجاءت كتب الخليفة الناصر اليهم جميعا بالمسير الى دقوقا ليقيم وابها مع عساكره ويدافع عن العراق وبعث معهم بشتمر كبير امرائه وجعل المقدم على الجميع مظفر الدين صاحب اربل فخاموا عن لقاء التتر وخام التتر عن لقائهم وساروا الى همذان وكان لهم بها شحنة منذ ملكوها أولا فطالبوه بفرض المال على أهلها وكان رئيس همذان شريفا علويا قديم الرياسة بها فحضهم على ذلك فضجروا وأساؤا الرد عليه وأخرجوا الشحنة وقاتلوا التتر وغضب العلوى فتسلل عنهم الى قلعة بقربها فامتنع وزحف التتر الى البلد فملكوه عنوة واستباحوه واستلحموا أهله ثم عادوا الى اذربيجان فملكوا اردبيل واستباحوها وخربوها وساروا الى تبريز وقد فارقها ازبك بن البهلوان صاحب اذربيجان واران وقصد نقجوان وبعث بأهله وحرمه الى خوى فرارا من التتر لعجزه وانهماكه فقام بأمر تبريز شمس الدين الطغرائى وجمع أهل البلد واستعد للحصار فأرسل اليه التتر فى المصانعة فصانعهم وساروا الى مدينة سرا فاستباحوها وخربوها وساروا الى بيلقان فحاصروها وبعثوا الى أهل البلد رجلا من أكابرهم يقرر معهم فى المصانعة والصلح فقتلوه فأسرى التتر فى حصارهم وملكوا البلد عنوة فى رمضان سنة ثمان عشرة واستلحموا أهلها وأفحشوا فى القتل والمثلة حتى بقروا البطون على الاجنة واستباحوا جميع الضاحية قتلا ونهبا وتخريبا ثم ساروا الى قاعدة اران وهى كنجة ورأوا امتناعها فطلبوا المصانعة من أهلها فصانعوهم ولما فرغوا من أعمال اذربيجان واران ساروا الى بلاد
وكانوا قد جمعوا لهم واستعدوا ووقعوا
فى حدود بلادهم فقاتلهم التتر فهزموهم الى بلقين قاعدة ملكهم فجمعوا ثانيا ثم خاموا عن لقائهم لما رأوا من اقتحامهم المضائق والجبال فعادوا الى بلقين واستولى التتر على نواحيها فخربوها كيف شاؤا ولم يقدروا على التوغل فيها لكثرة الاوعار والدوسرات فعادوا عنها ثم قصدوا دربند شروان وحاصروا مدينة شماخى وقاتلوا فى أهلها ووصلوا الى السور فعالوه باشلاء القتلى حتى ساموه واقتحموا البلد فأهلكوا كل من فيه ثم قصدوا الدربند فلم يطيقوا عبوره فأرسلوا الى شروان فى الصلح فبعث اليهم رجالا من أصحابه فقتلوا بعضهم واتخذوا الباقين أذلاء فسلكوا بهم دربند شروان وخرجوا الى الارض الفسيحة وبها أمم القفجاق واللان واللكز وطوائف من الترك

مسلمون وكفار فأوقعوا بتلك الطوائف واكتسحوا غاية البسائط وقاتلهم قفجاق واللان ودافعوهم ولم يطق التتر مغالبتهم ورجعوا وبعثوا الى القفجاق وهم واثقون بمسالمتهم فأوقعوا بهم وبجر من كان بعيدا منهم الى بلاد الروس واعتصم آخرون بالجبال والغياض واستولى التتر على بلادهم وانتهوا الى مدينتهم الكبرى سراى على بحر نيطش المتصل بخليج القسطنطينية وهي مادتهم وفيها تجارتهم فملكها التتر وافترق أهلها في الجبال وركب بعضهم الى بلاد الروم في ايالة بني قليج ارسلان ثم سار التتر سنة عشر وستمائة من بلاد قفجاق الى بلاد الروس المجاورة لها وهي بلاد فسيحة وأهلها يدينون بالنصرانية فسار والى مدافعتهم في تخوم بلادهم ومعهم جموع من القفجاق سافروا اليهم فاستطرد لهم التتر مراحل ثم كروا عليهم وهم غارون فطاردهم القفجاق والروم أياما ثم انهزموا وأثخن التتر فيهم قتلا وسبيا ونهبا وركبوا السفن هاربين الى بلاد المسلمين وتركوا بلادهم فاكتسحها التتر ثم عادوا اليها وقصدوا بلغار أواخر السنة واجتمع أهلها وساروا للقائهم بعد أن أكمنوا لهم ثم استطردوا أمامهم وخرج عليهم الكمناء من خلفهم فلم ينج منهم الا القليل وارتحلوا عائدين الى جنكزخان بأرض الطالقان ورجع القفجاق الى بلادهم واستقروا فيها والله تعالى يؤيد بنصره من يشاء

(أخبار خراسان بعد مهلك خوارزم شاه)

قد كنا قدمنا مهلك خوارزم شاه ومسير هؤلاء التتر المغربين في طلبه ثم انتهاءهم بعد مهلكه الى النواحي التي ذكرناها وكان جنكزخان بعد اجفال خوارزم شاه من جيحون وهو بسمرقند قد بعث عسكرا الى ترمذ فساروا منها الى كلاة من أحصن القلاع الى جانب جيحون فاستولوا عليها وأوسعوها نهبا وسير عسكرا آخر الى فرغانة وكذلك عسكرا آخر الى خوارزم وعسكرا آخر الى خوزستان فعبر عسكر خراسان الى بلخ وملكوها على الامان سنة سبع وستمائة ولم يعرضوا لها بعيث وأنزلوا شحنتهم بها ثم ساروا الى زوزن وميمنة واندخوى وفارياب فملكوها وولوا عليها ولم يعرضوا لأهلها بأذى وانما استنفروهم لقتال البلد معهم ثم ساروا الى الطالقان وهي ولاية متسعة فقصدوا قلعة صوركوه من أمنع بلادها فحاصروها ستة أشهر وامتنعت عليهم فسار اليهم جنكزخان بنفسه وحاصرها أربعة أشهر أخرى حتى اذا رأى امتناعها أمر بنقل الخشب والتراب حتى اجتمع منه تل مشرف على البلد واستيقن أهل البلد الهلكة واجتمعوا وفتحوا الباب وصدقوا الحملة فنجا الخيالة وتفرقوا في الجبال والشعاب وقتل الرجالة ودخل التتر البلد فاستباحوها ثم بعث جنكزخان صهره قفجاق قوين الى خراسان ومرو واسا وقاتلوها فامتنعت عليهم وقتل قفجاق قوين فاقاموا على حصارها

وملكوها عنوة واستباحوها وخربوها ويقال قتل فيها أزيد من سبعين ألفا وجمع فكان كالتلال العظيمة وكان رؤساؤها في حجزة بخوارزم منذ ملكها خوارزم شاه تكش فعاد اليها اختيار الدين جنكى بن عمر بن حجزة وبو عمه وضبطوها ثم بعث جنكزخان ابنه في العساكر الى مدينة مرو واستنفر أهل البلاد التي ملكوها قبل مثل بلخ واخواتها وكان الناجون من هذه الوقائع كلها قد لحقوا بمرو واجتمع بها مايزيد على مائتي ألف وعسكروا بظاهرها لا يشكون في الغلب فلما قاتلهم التتر صابروهم فوجدوا في مصابرتهم ما لم يحتسبوه فولوا منهزمين وأثخن التتر فيهم ثم حاصروا البلد خمسة أيام وبعثوا الى أميرها يستميلونه للنزول عنها فاستأمن اليهم وخرج فأكرموه أولا ثم أمروا باحضار جنده للعرض حتى استكملوا وقبضوا عليهم ثم استكتبوه رؤساء البلد وتجاره وصناعه على طبقاتهم وخرج أهل البلد جميعا وجلس لهم جنكزخان على كرسي من ذهب فقتل الجند في صعيد واحد وقسم العامة رجالا وأطفالا ونساء بين الجند فاقتسموهم وأخذوا أموالهم وامتحنوهم في طلب المال ونبشوا القبور في طلبه ثم أحرقوا البلد وتربة السلطان سنجر ثم استلحم في اليوم الرابع أهل البلد جميعا يقال كانوا سبعمائة ثم ساروا الى نيسابور وحاصروها خمسا ثم اقتحموها عنوة وفعلوا فيها فعلهم في مرو وأشد ثم بعثوا عسكرا الى طوس وفعلوا فيها مثل ذلك وخربوها وخربوا مشهد على بن موسى الرضا ثم ساروا الى هراة وهي من أمنع البلاد فحاصروها عشرا وملكوها وأمنوا من بقي من أهلها وأنزلوا عندهم شحنة وساروا القتال جلال الدين بن خوارزم شاه كما نذكر بعد فوثب أهل هراة على الشحنة وقتلوه فلما رجع التتر منهزمين اقتحموا البلد واستباحوه وخربوه وأحرقوه ونهبوا نواحيها أجمع وعادوا الى جنكزخان بالطالقان وهو يرسل السرايا في نواحي خراسان حتى أتوا عليها تخريبا وكان ذلك كله سنة سبع عشرة وبقيت خراسان خرابا وتراجع أهلها بعض الشئ فكانوا فوضى واستبد آخرون في بعض مدنها كما نذكر ذلك في أماكنه والله أعلم

أخبار السلطان جلال الدين منكبرس مع التتر بعد مهلك خوارزم شاه واستقراره بغزنة

ولما توفي السلطان خوارزم شاه محمد بن تكش بجزيرة بحر طبرستان ركب ولده البحر الى خوارزم يقدمهم كبيرهم جلال الدين منكبرس وقد كان وثب بها بعد منصرف تركان خاتون أم خوارزم شاه رجل من العيارين فضبطها وأساء السيرة وانطلقت اليها أيدي العيارين ووصل بعض نواب الديوان فأشاعوا موت السلطان ففر

العيارون ثم جاء جلال الدين واخوته واجتمع الناس اليهم فكانوا معهم سبعة آلاف
من العساكر أكثرهم البارونية قرابة أم خوارزم شاه فمالوا الى أولاغ شاه وكان ابن
أختهم كامرّ وتشاوروا في الوثوب بجلال الدين وخلعه ونمى الخبر اليه فسار الى خراسان
في ثلثمائة فارس وسلك المفازة الى بلدنسا فلقي هنالك رصدا من التتر فهزمهم ولجأ فلهم
الى نسا وكان بها الاسير اختيار زنكي بن محمد بن عمر بن حمزة قد رجع اليها من
خوارزم كما قدمناه وضبطها فاستلحم فل التتر وبلغ وبعث الى جلال الدين بالمدد فسار
الى نيسابور ثم وصلت عساكر التتر الى خوارزم بعد ثلاث من مسير جلال الدين
فأجفل أولاغ واخوته وساروا في اتباعه ومرّوا بنسا فسار معهم اختيار الدين
صاحبها واتبعتهم عساكر التتر فأدركوهم بنواحي خراسان وكبسوهم فقتل أولاغ شاه
وأخوه انشاه واستولى التتر على ما كان معهم من الاموال والذخائر وافترقت في أيدي
الجند والفلاحين فبيعت بأبخس الاثمان ورجع اختيار الدين زنكي الى نسا
فاستبد بها ولم يسم الى مراسم الملك وكتب له جلال الدين بولايتها فراجع أحوال
الملك ثم بلغ الخبر الى جلال الدين بزحف التتر الى نيسابور وأن جنكزخان بالطالقان
نيسابور الى بست واتبعه نائب هراة أمر ملك ابن خال السلطان خوارزم
شاه في عشرة آلاف فارس هاربا أمام التتر وقصد سجستان فامتنعت عليه فرجع
واستدعاه جلال الدين فسار اليه واجتمعوا فكبسوا التتر وهم محاصرون قلعة قندهار
فاستلحموهم ولم يفلت منهم أحد فرجع جلال الدين الى غزنة وكانت قد استولى عليها
اختيار الدين قربوشت صاحب الغور عندما سار واليها عن جلال الدين صريخا عن
أمير ملك سجستان فخالفه قربوشت اليها وملكها فنا ربه صلاح الدين النسائي والى
قلعتها وقتله وملك غزنة رضا الملك شرف الدين بن أمور فقتلك به رضا الملك
واستبد بغزنة فلما ظفر جلال الدين بالتتر على قندهار رجع الى غزنة فقتله وأوطنها
وذلك سنة ثمان عشرة

(استيلاء التتر على مدينة خوارزم وتخريبها)

قد كما قدمنا ان جنكزخان بعد ما أجفل خوارزم شاه من جيحون بعث عساكره الى
النواحي وبعث الى مدينة خوارزم عسكرا عظيما لعظمها لانها كرسي الملك وموضع
العساكر فسارت عساكر التتر اليها مع ابنه جنطاي واركطاي فحاصروها خمسة أشهر
ونصبوا عليها الآلات فامتنعت فاستمدوا عليها جنكزخان فأمدهم بالعساكر متلاحقة
فزحفوا اليها وملكوا جانبا منها وما زالوا يملكونها ناحية ناحية الى أن استوعبوها
ثم قصدوا السد الذي يمنع ماء جيحون عنها فسار اليها جيحون فغرقها واقتسم أهلها بين

السيف والغرق هكذا قال ابن الاثير وقال النسائي الكاتب ان دوشي خان بن جنكزخان عرض عليهم الامان فخرجوا اليه فقتلهم أجمعين وذلك في محرم سنة سبع عشرة ولما فرغ التتر من خراسان وخوارزم رجعوا الى ملكهم جنكزخان بالطالقان

(خبر آبنايخ نائب بخاري وتغلبه على خراسان ثم فراره أمام التتر الى الري)

كان آبنايخ أمير الامراء والحجاب أيام خوارزم شاه وولاه نايا بخاري فلما ملكها التتر عليه كما قلناه أجفل الى المفازة وخرج منها الى نواحي نسا وراسله اختيار الدين صاحبها يعرضها عليه للدخول عنده فأبى فوصله وأمده وكان رئيس بشخوان من قرى نسا أبو الفتح فداخل التتر فكتب الى شحنة خوارزم بمكان آبنايخ فجرد اليهم عسكرا فهزمه آبنايخ وأثخن فيهم وساروا الى بشخوان فحاصروها وملكوها عنوة وهلك أبو الفتح أيام الحصار ثم ارتحل آبنايخ الى ابيورد وقد تغلب تاج الدين عمر بن مسعود على ابيورد وما بينها وبين مرو وجبى خراجها واجتمع عليه جماعة من أكابر الامراء وعاد الى نسا وقد توفي نائبها اختيار الدين زنكي وملك بعده ابن عمه عمدة الدين حمزة بن محمد بن حمزة فطالب منه آبنايخ خراج سنة ثمان عشرة وسار الى شروان وقد تغلب عليها ايلجي بهلوان فهزمه وانتزعها من يده ولحق بهلوان بجلال الدين في الهند واستولى آبنايخ خان على عامة خراسان وكان تكين بن بهلوان متغلبا بمرو فعبر جيحون وكبس شحنة التتر بخاري فهزموه سنة سبع ورجع الى شروان وهم باتباعه ولحقوا با آبنايخ خان على جرجان فهزموه ونجا الى غياث الدين بترشاه بن خوارزم شاه بالري فأقام عنده الى أن هلك كما نذكر ان شاء الله تعالى

(خبر ركن الدين غورشاه صاحب العراق من ولد خوارزم شاه)

قد كان تقدم لنا أن السلطان لما قسم ممالكه بين أولاده جعل العراق في قسمة غورشاه منهم ولما أجفل السلطان الى ناحية الري لقيه ابنه غورشاه ثم سار من الري الى كرمان فملكها تسعة أشهر ثم بلغه أن جلال الدين محمد بن آيه القزويني وكان بهمذان أراد أن يملك العراق واجتمع اليه بعض الامراء وأن مسعود بن صاعد قاضي اصبهان مائل اليه فعاجله ركن الدولة واستولى على اصبهان وهرب القاضي الى الاتابك سعد بن زنكي صاحب فارس فأجاره وبعث ركن الدين العساكر لقتال همذان فتخاذلوا ورجعوا دون قتال ثم مضى الى الري ووجد بها قوما من الاسماعيلية يحاولون اظهار دعوتهم ثم زحف التتر الى ركن الدولة فحاصروه بقلعة روانده واقتحموها فقتلوه واستأمن اليهم ابن آيه صاحب همذان فأمنوه ودخلوا همذان فولوا عليها علاء الدين الشريف

الحسيني عوضا من ابن أبيه

(خبر غياث الدين بيرشاه صاحب كرمان من ولد السلطان خوارزم شاه)

قد كنا قدمنا أن السلطان خوارزم شاه ولى ابنه غياث الدين بيرشاه كرمان وكيش ولم ينفذ اليها أيام أبيه ولما كانت الكبسة على قزوين خلص الى قلعة ماروت من نواحي اصبهان وأقام عند صاحبها ثم رجع الى اصبهان ومر به التتر ذاهبين الى اذربيجان فحاصروه وامتنع عليهم وأقام بها الى آخر سنة عشرين وستمائة فلما جاء أخوه ركن الدين غورشاه من كرمان الى اصبهان لقيه هنالك وحرضه غياث الدين على كرمان فنهض اليها وملكها فلما قتل ركن الدين كما قلناه سار غياث الدين الى العراق وكان ركن الدين لما ولاه أبوه العراق جعل معه الامير بقاطابستي اتابكين فاستبد عليه فشكاه الى أبيه وأذن له في حبسه فحبسه ركن الدين بقلعة سرجهان فلما قتل ركن الدين كما قلناه أطلقه نائب القلعة أسد الدين حولى فاجتمع عليه الناس وكثير من الامراء واستماله غياث الدين وأصهر اليه بأخته وماطله في الزفاف يستبرئ ذهاب الوحشة بينهما وكانت اصبهان بعد مقتل ركن الدين غلب عليها ازبك خان واجتمعت عليه العساكر وزحف اليه الامير بقاطابستي فاستنجد ازبك غياث الدين فأنجده بعسكر مع الامير دولة ملك وعاجله بقاطابستي فهزمه بظاهر اصبهان وقتله وملكها ورجع دولة ملك الى غياث الدين فزحف غياث الدين الى اصبهان وأطاعه القاضي والرئيس صدر الدين وبادر بقاطابستي الى طاعته ورضي عنه غياث الدين وزف اليه أخته واستولى غياث الدين على العراق ومازندان وخراسان وأقطع مازندان وأعمالها دولة ملك وبقاطابستي همذان وأعمالها ثم زحف غياث الدين الى اذربيجان وشن الغارة على مراغة وترددت رسل صاحب اذربيجان ازبك بن البهلوان في المهادنة فهادنه وتزوج بأخته صاحب بقعوان وقويت شوكته وعظم فكان بقاطابستي في دولته وتحكم فيها ثم حدثته نفسه بالاستبداد وانتقض وقصد اذربيجان وبها ملو كان منتقضان على ازبك بن البهلوان فاجتمعا معه وزحف اليهم غياث الدين فهزمهم ورجعوا مغلوبين الى اذربيجان ويقال ان الخليفة دس بذلك الى بقاطابستي وأغراه بالخلاف على غياث الدين

ثم لحق بغياث الدين آبنايخ خان نائب بخارى مفلتا من واقعته مع التتر بجرجان فأكرمه وقدمه ونافسه خال السلطان دولة ملك وأخوه وسعوا اليها فزجرهما عنه فذهبا مغاضبين ووقع دولة ملك في عساكر التتر بمرو وزنجان فقتل وهرب ابنه بركة خان الى ازبك باذربيجان ثم أوقع عساكر التتر بقاطابستي وهزموه ونجا الى الكرم وخلص الفل الى غياث الدين وعاد التتر الى ماوراء جيحون ثم تذكر صاحب فارس

سعد الدين بن زنكي وكاتبه أهل اصبهان حين كانوا منهزمين عنه فسار اليه وحاصره في قلعة اصطخر وملكها ثم سار الى شيراز وملكها عنوة ثم سار الى قلعة خرة فحاصرها حتى استأمنوا وتوفى عليها آباجي خان ودفن هنالك بشعب سلمان وبعث عسكرا الى كازرون فملكها عنوة واستباحها ثم سار الى ناحية بغداد وجمع الناس الجموع من اربل وبلاد الجزيرة ثم راسل غياث الدين في الصلح فصالحه ورجع الى العراق

(أخبار السلطان جلال الدين منكبرس وهزيمته أمام التتر ثم عوده الى الهند)

قد كان تقدم لنا أن أباه خوارزم شاه لما قسم البلاد بين ولده جعل في قسمه غزنة وباميان والغور وبست وهكاباد وما يليها من الهند واستناب عليها ملك وأنزله غزنة فلما انهزم السلطان خوارزم شاه أمام التتر زحف اليه حربوشة والى الغور فملكها من يده وكان من أمره ما قدمناه الى أن استقر بها رضا الملك شرف الدين ولما أجفل جلال الدين من نيسابور الى غزنة واستولى التتر على بلاد خراسان وهرب أمراؤها فلحقوا بجلال الدين فقتل نائب هراة أمين الملك خال السلطان وقد قدمنا محاصرته بسجستان ثم مراجعته طاعة السلطان جلال الدين ولحق به أيضا سيف الدين بقراق الخلجي وأعظم ملك من بلخ ومظفر ملك والحسن فزحف كل منهم في ثلاثين ألفا ومع جلال الدين من عسكره مثلها فاجتمعوا وكبسوا التتر المحاصرين قلعة قندهار كما قلناه واستلحموهم ولحق فلهم بجنكزخان فبعث ابنه طولى خان في العساكر فساروا الى جلال الدين فلقيهم بشروان وهزمهم وقتل طولى خان بن جنكز في المعركة وذهب التتر منهزمين واختلف عسكر السلطان جلال الدين على الغنائم وتنازع سيف الدين بقراق مع أمين الملك نائب هراة وتحيزا الى العراق وأعظم ملك ومظفر ملك وقاتلوا أمين الملك فقتل أخ لبقراق وانصرف مغاضبا الى الهند وتبعه أصحابه ولاطفهم جلال الدين ووعظهم فلم يرجعوا وبلغ خبر الهزيمة الى جنكزخان فسار في أمم التتر وسار جلال الدين فلقي مقدمة عساكره فلم يفلت من التتر الا القليل ورجع فنزل على نهر السند وبعث بالصريخ الى الامراء المنصرفين عنه وعاجله جنكزخان قبل رجوعه فهزمه بعد القتال والمصابرة ثلاثا وقتل أمين الملك قريب أبيه واعترض المنهزمين نهر السند فغرق أكثرهم وأسر ابن جلال الدين فقتل وهو ابن سبع سنين ولما وقف جلال الدين على النهر والتتر في اتباعه فقتل أهله وحرمه جميعا واقتحم النهر بفرسه فخاص الى عدوته وتخلص من عسكره ثلثمائة فارس وأربعة آلاف راجل وبعض أمرائه ولقوه بعد ثلاث وتخلص بعض خواصه بمركب مشحون بالاقوات والملابس فسد من حاجتهم وتحصن

أعظم ملك ببعض القلاع وحاصره جنكزخان وملكها عنوة وقتله ومن معه ثم عاد التتر الى غزنة فملكوها واستباحوها وأحرقوها وخربوها واكتسحوا سائر نواحيها وكان ذلك كله سنة تسع عشرة ولما سمع صاحب جبل جردى من بلاد الهند بجلال الدين جمع للقائه وخام جلال الدين وأصحابه عن اللقاء لما نكتهم الحرب فرجعوا ادراجهم وأدركهم صاحب جلال الدين صورى نقاتلهم وهزموه وملكوا أمرهم وبعث اليهم نائب ملك الهند فلاطفهم وهاداهم والله تعالى ولي التوفيق

(أخبار جلال الدين بالهند)

كان جماعة من أصحاب جلال الدين وأهل عسكره لما عبروا اليهم حصلوا عند قباجة ملك الهند منهم بنت أمين الملك خلصت الى مدينة اوجا من عمله ومنهم شمس الملك وزير جلال الدين حماة أبيه ومنهم قزل خان بن أمين الملك خلص الى مدينة كاور فقتله عاملها وقتل قباجة شمس الملك الوزير لخبر جلال الدين بأموره وبعث أمين الملك ولحق بجلال الدين جماعة من أمراء أخيه غياث الدين فقوى بهم وحاصر مدينة كاور وافتتحها وافتتح مدينة ترنوخ كذلك فجمع قباجة للقائه وسار اليه جلال الدين فخام عن اللقاء وهرب وترك معسكره فغنمه جلال الدين عاقبه وسار الى لهاوون وفيها ابن قباجة ممتنعا عليه فصالحه على مال يحمله ورحل الى تستشان وبها فخر الدين السلاوى نائب قباجة فتلقاه بالطاعة ثم سار الى اوجا وحاصرها فصالحوه على المال ثم سار الى جانس وهي لشمس الدين اليتمشى من ملوك الهند ومن موالى شهاب الدين الغورى فأطاعه أهلها وأقام بها وزحف اليه ايتش في ثلاثين ألف فارس ومائة ألف راجل وثلثمائة فيل وزحف جلال الدين في عساكره وفي مقدمته جرجان بهلوان ازبك واختلفت المقدمتان فلم يكن اللقاء وبعث ايتش في الصلح فجنح اليه جلال الدين ثم اجتمع قباجة وايتش وسائر ملوك الهند فخام عن لقائهم ورجع الطلب العراق واستخلف جهان بهلوان الملك على ماملك من الهند وعبر النهر الى غزنة فولى عليها وعلى الغور الاسير وفاملك واسمه الحسن قزلف وسار الى العراق وذلك سنة احدى وعشرين بعد مقدمه لها بسنتين

(أحوال العراق وخراسان في ايالة غياث الدين)

كان غياث الدين بعد مسير جلال الدين الى الهند اجتمع اليه شراد العساكر بكرمان وسار بهم الى العراق فملك خراسان ومازندران كما تقدم وأقام منهمكا في لذاته واستبد الامراء بالنواحي فاستولى قائم الدين على نيسابور وتغلب يقرن ايلجى بهلوان على شروان وغلب ينال خطابها تر ونظام الملك اسفراين ونصرة الدين بن محمد مستمد

بنسا كما مرّ واستولى تاج الدين عمر بن مسعود التركمانى على أبيورد وغياث الدين مع ذلك منهمك فى لذاته وسارت اليه عساكر التتر فخرج اهم عن العراق الى بلاد الجبل وانكسروا ساء رجهانه واشتط عليه الجند وزادهم فى الاقطاع والاحسان فلم يشبعهم وأظهروا الفساد وعاثوا فى الرعايا وتحكمت أم السلطان غياث الدين فى الدولة لاغفاله أمرها واقتفت طريقة تركان خاتون أم السلطان خوارزم شاه وتلقبت بلقبها خداوندجهان الى أن جاء السلطان جلال الدين فغلب عليه كما قلناه

وصول جلال الدين من الهند الى كرمان وأخباره بفارس والعراق مع أخيه غياث الدين

ولما فارق جلال الدين الهند كما قلناه سنة احدى وعشرين وسار الى المفازة وخلص منها الى كرمان بعد أن لقى بها من المتاعب والمشاق ما لا يعبر عنه وخرج معه أربعة آلاف راكب على الحمير والبقر ووجد بكرمان براق الحاجب نائب أخيه غياث الدين وكان من خبر براق هذا أنه كان حاجبا لكوخان ملك الخطا وسفر عنه الى خوارزم شاه فأقام عنده ثم ظفر خوارزم شاه بالخطا وولاه حجابته ثم صار الى خدمة ابنه غياث الدين ترشه بكرمان فأكرمه ولما سار جلال الدين الى الهند ورجع عنه التتر سار غياث الدين لطلب العراق فاستناب براق فى كرمان فلما جاء جلال الدين من الهند اتهمه وهمّ بالقبض عليه فنهاه عن ذلك وزيره شرف الملك فخر الدين على بن أبى القاسم الجندى خواجا جهان أن يستوحش الناس لذلك ثم سار جلال الدين الى شيراز وأطاعه صاحبها بردالاتابك وأهدى له وكان أتابك فارس سعد بن دنكى قد استوحش من غياث الدين فاصطلحه جلال الدين وأصهر اليه فى ابنته ثم سار الى اصبهان فأطاعه القاضى ركن الدين مسعود ابن صاعد وبلغ خبره الى أخيه غياث الدين وهو بالرى فجمع لحربه وبعث جلال الدين يستعطفه وأهدى له سلب طولى خان بن جنكزخان الذى قتل فى حرب بروان كما مر وفرسه وسيفه ودس الى الامراء الذين معه بالاستمالة فمالوا اليه ووعدوه بالمظاهرة ونمى الخبر الى غياث الدين فقبض على بعضهم ولحق الآخرون بجلال الدين فجاؤا به الى المخيم فمال اليه أصحاب غياث الدين وعساكره واستولى على مخيمه وذخائره وأمه ولحق غياث الدين بقلعة سلوقان وعاتب جلال الدين أمه فى فراره فاستدعته وأصلحت بينهما ووقف غياث الدين موقف الخدمة لاخيه السلطان جلال الدين وجاء المتغلبون بخراسان والعراق واذعنوا الى الطاعة وكانوا من قبل مستبدين على غياث الدين فاستقر السلطان طاعتهم وعمل فيها على شاكلتها والله أعلم

(استيلاء ابن أبا يغ على نسا)

كان نصرة الدين بن محمد قد استولى على نسا بعد ابن عمه اختيار الدين كما مرّ واستناب في أموره محمد بن أحمد النسائي المنشي صاحب التاريخ المعتمد عليه في نقل أخبار خوارزم شاه وبنيه أقام فيها تسع عشرة سنة مستندا على غياث الدين ثم انتقض عليه وقطع الخطبة له فسرّح اليه غياث الدين العساكر مع طوطي بن آبنايخ وأنجده بارسلان وكاتب المتغلبين بمساعدته فراجع نصرة الدين محمد بن حمزة نفسه وبعث نائبه محمد بن أحمد المنشي الى غياث الدين بمال صالحه عليه فبلغه الخبر في طريقه بوصول جلال الدين واستيلائه على غياث الدين فأقام باصبهان ينتظر صلاح السابلة وزوال الثلج ثم سار الى همذان فوجد السلطان غائبا في غزو الاتابك بقطابسق وكان من خبره أنه صهر الى غياث الدين على أخته كما قدمناه فهرب بعد خلعه الى اذربيجان واتفق هو والاتابك سعد وسار اليهما جلال الدين فخالفه

الى همذان وسار الى جلال الدين وكبسه هنالك فأخذه ثم أمنه وعاد الى مخيمه ولقيه وافد نصرة الدين على بلاد نسا وما يتاخمها وبعث الى ابن آبنايخ بالافراج عن نسا ثم بلغ الخبر بعد يومين بهلاك نصرة الدين واستيلاء ابن آبنايخ على نسا

* (مسير السلطان جلال الدين الى خوزستان ونواحي بغداد) *

ولما استولى السلطان جلال الدين على أخيه غياث الدين واستقامت أموره سار الى خوزستان شاتيا وحاصر قاعدتها وبها مظفر الدين وجه السبع مولى الخليفة الناصر وانبثت سراياه في الجهات الى بادرايا والى البصرة فأوقع بهم تلكين نائب البصرة وجاءت عساكر الناصر مع مولاه جلال الدين فشمروخاموا عن اللقاء وأوفد ضياء الملك علاء الدين محمد بن مودود السوى العارض على الخليفة ببغداد داعيا وكان في مقدمته جهان بهلوان فلقي في طريقه جماعة من العرب وعساكر الخليفة فرجع وأوقع بهم ورجعوا الى بغداد وجيء بأسرى منهم الى السلطان فأطلقهم واستعد أهل بغداد للحصار وسار السلطان الى يعقوبا على سبع فراسخ من بغداد ثم الى دقوقا فملكها عنوة وخربها وقاتلت بعوثه عسكر تكريت وترددت الرسل بينه وبين مظفر الدين صاحب اربل حتى اصطلحوا واضطربت البلاد بسبب ذلك وأفسد العرب السابلة وأقام ضياء الملك ببغداد الى أن ملك السلطان مراغة والله تعالى أعلم

* (أولية الوزير شرف الدين) *

هذا الوزير هو فخر الدين علي بن القاسم خواجة جهان ويلقب شرف الملك أصله من وكان أول أمره ينوب عن صاحب الديوان بها وكان نجيب الدين

الشهرستاني وزير السلطان وابنه بهاء الملك وزير الجند وفخر الدين هذا يخدمه بهاشم تمكن من منصب الاسعاء وطمع الى مغالبة مجيب الدين على الوزارة وسعى عند السلطان بأنه تناول من جباياتها مائتي ألف دينار فسامحه بها السلطان ولم يعرض له ثم سعى بفخر الدين ثانية فولى وزارة الجند وأقام بها أربع سنين حتى عبر السلطان الى بخارى فكثرت به الشكايات فأمر بالقبض عليه فاختفى ولحق بالطالقان الى أن اتصل بجلال الدين حين كان بغزنة بعد مهلك ابنه فرتبه في الجباية الى أن أجاز بحر السند وكان وزيره شهاب الدين الهروي فقتله قباجة ملك الهند كما مرّ واستوزر جلال الدين مكانه فخر الدين هذا ولقبه شرف الملك ورفع رتبته على الوزراء ووقفه وسائر آدابه وأحواله

(عود التتر الى الري وهمذان وبلاد الجبل)

وبعد رجوع التتر المغربة من اذربيجان وبلاد قفجاق وسروان كما قدمناه وخراسان يومئذ فوضى ليس بها ولاة الا المتغلبون من بعض أهلها بعد الخراب الاول والنهب فعمروها فبعث جنكزخان عسكرا آخر من التتر اليها فنهبوها ثانيا وخربوها وفعلوا في ساوة وقاشان وقم مثل ذلك ولم يكن التتر أولا أصابوا منها ثم ساروا الى همذان فاجفل أهلها وأوسعوها نهبا وتخريبا وساروا في اتباع أهلها الى أذربيجان وكبسوهم في حدودها فأجفلوا وبعضهم قصد تبريز فسار التتر في اتباعهم وراسلوا صاحبها ازبك ابن البهلوان في اسلام من عنده فبعث بهم بعد ان قتل جماعة منهم وبعث برؤسهم وصانعهم بما أرضاهم فرجعوا عن بلاده والله تعالى أعلم

(وقائع اذربيجان قبل مسير جلال الدين اليها)

لما رجع التتر من بلاد قفجاق والروس وكانت طائفة من قفجاق لما افترقوا وفروا أمام التتر ساروا الى دربند شروان واسم ملكه يومئذ رشيد وسألوه المقام في بلاده وأعطوه الرهن على الطاعة فلم يجبهم ريبة بهم فسألوه الميرة فأذن لهم فيها فكانوا يأتون اليها زرافات وتنصح له بعضهم بأنهم يرومون الغدر به وطلب منه الانجاد بعسكره وسار في أثرهم فأوقع بهم وهم يأخذون بالطاعة فرجع ذلك القفجاقي بالعسكر ثم بلغه انهم رحلوا من مواضعهم فاتبعهم ثانيا بالعساكر حتى أوقع بهم ورجع الى رشيد ومعه جماعة منهم مستأمنين وقد اختفى فيهم كبير من مقدميهم وتلاحق به جماعة منهم فاعتزموا على الوثوب فهرب خائفا ولحق ببلاد شروان واستولت طائفة القفجاق على القلعة وعلى مخلف رشيد فيها من المال والسلاح واستدعوا أصحابهم فلحقوا بهم

واعتزموا وقصدوا قلعة الكرج فحاصروها وخالفهم رشيد الى القلعة فملكها وقتل من وجد بها منهم فعادوا من حصار تلك المدينة الى دربند واستنعت عليهم القلعة فرجعوا الى تلك المدينة فاكتسحوا نواحيها وساروا الى كنجة من بلاد اران وفيها مولى لازبك صاحب اذربيجان فراسلوه بطاعة ازبك فلم يجبهم اليها وعدد عليهم

في الغدر ونهب البلاد واعتذروا بأنهم انما غدروا شروان لانه منعهم الجواز الى صاحب اذربيجان وعرضوا عليه الرهن فجاءهم بنفسه ولقوه في عدد قليل نفيا عن محال التهمة فبعث بطاعتهم الى سلطانه وبعث بذلك الى أزبك وجاء بهم الى كنجة فأفاض فيهم الخلع والاموال وأصهر اليهم وأنزلهم بجبل كيكلون وجمع لهم الكرج فآواهم الى كنجة ثم سار اليهم أمير من أمراء قفجاق ونال منهم فرجعوا الى جبل كيكلون وسار القفجاق الذين كبسوهم الى بلاد الكرج فاكتسحوها وعادوا فاتبعهم الكرج واستنقذوا الغنائم منهم وقتلوا ونهبوا فرحل القفجاق الى بردعة وبعثوا الى أمير كنجة في المدد على الكرج فلم يجبهم فطلبوا رهنهم فلم يعطهم فمدوا أيديهم في المسلمين واسترهنوا أضعاف رهنهم وثار بهم المسلمون من كل جانب فلحقوا بشروان وتخطفهم المسلمون والكرج وغيرهم فافنوهم وبيع سبيهم وأسراهم بابخس ثمن وذلك كله سنة تسع عشرة وكانت مدينة بيلقان من بلاد اران فأخربها التتر كما قدمناه وساروا عنها الى بلاد قفجاق فعاد اليها أهلها وعمروها وسار الكرج في رمضان من هذه السنة اليها فملكوها وقتلوا أهلها وخربوها واستفحل الكرج ثم كانت بينهم وبين صاحب خلاط غازي بن العادل بن أيوب واقعة هزمهم فيها وأثخن فيهم كما يأتي في دولة بني أيوب ثم انتقض على شروان شاه ابنه وملك البلاد من يده فسار الى الكرج واستصرخ بهم وساروا معه فبرز ابنه اليهم فهزمهم وأثخن فيهم فتشاءم الكرج بشروان شاه فطردوه عن بلادهم واستقر ابنه في الملك واغتبط الناس بولايته وذلك سنة ثنتين وعشرين ثم سار الكرج من تفليس الى اذربيجان وأتوها من الاوعار والمضائق يظنون صعوبتها على المسلمين فسار المسلمون وولجوا المضائق اليهم فركب بعضهم بعضا منهزمين ونال المسلمون منهم أعظم النيل وبينما هم يتجهزون لاخذ الثار من المسلمين وصلهم الخبر بوصول جلال الدين الى مراغة فرجعوا الى مراسلة ازبك صاحب اذربيجان في الاتفاق على مدافعته وعاجلهم جلال الدين عن ذلك كما نذكره ان شاء الله تعالى

(استيلاء جلال الدين على اذربيجان وغزو الكرج)

قد تقدم لنا مسير جلال الدين في نواحي بغداد وما ملك منها وما وقع بينه وبين صاحب

اربل من الموافقة والصلح ولما فرغ من ذلك سار الى اذربيجان سنة ثنتين وعشرين وقصد مراغة أولا فملكها وأقام بها وأخذ في عمارتها وكان بغان طايش خال أخيه غياث الدين مقيما باذربيجان كما مرّ فجمع عساكره ونهب البلد وسار الى ساحل اران فشتى هنالك ولما عاث جلال الدين في نواحي بغداد كما قدمناه بعث الخليفة الناصر الى بغان طايس وأغراه بجلال الدين وأمره بقصد همذان وأقطعه اياها وما يفتحه من البلاد فعاجله جلال الدين وصبحه بنواحي همذان على غرة وعاين الجند فسقط في يده وأرسل زوجته أخت السلطان جلال الدين فاستأمنت له فأمنه وجرد العساكر عنه وعاد الى مراغة وكان ازبك بن البهلوان قد فارق تبريز كرسي ملكه الى كنجة فأرسل جلال الدين الى أهل تبريز يأمرهم بميرة عسكره فأجابوا الى ذلك وترددت عساكره اليها فاجتمع الناس وشكا أهل تبريز الى جلال الدين ذلك فأرسل اليهم شحنة يقيم عندهم للنصفة بين الناس وكانت زوجة ازبك بنت السلطان طغرل بك بن ارسلان وقد تقدم ذكرها في أخبار سلفها مقيمة بتبريز حاكمة في دولة زوجها ازبك ثم ضجر أهل تبريز من الشحنة فسار جلال الدين اليها وحاصرها خمسا واشتد القتال وعابهم بما كان من اسلام أصحابه الى التتر فاعتذروا بأن الامر في ذلك لغيرهم والذنب لهم ثم استأمنوا فأمنهم وأمر بنت السلطان طغرل وأبقى لها مدينة طغرل الى خوى كما كانت وجمع ما كان لها من المال والاقطاع وملك تبريز منتصف رجب سنة ثنتين وعشرين وبعث بنت السلطان طغرل الى خوى مع خادمه قليج وهلال وولى على تبريز بها نظام الدين ابن أخي شمس الدين الطغرائي وكان هو الذي داخله في فتحها وأفاض العدل في أهلها وأوصلهم اليه وبالغ في الاحسان اليهم ثم بلغه أن الكرج في اذربيجان واران وأرمينية ودربند شروان وما فعلوا بالمسلمين فاعتزم على غزوهم وبلغه اجتماعهم بدوين فسار اليهم وعلى مقدمته جهان بهلوان الكجي فلما تراءى الجمعان وكان الكرج على جبل لم يستتموا فتسنمت اليهم العساكر الاوعار فانهزموا وقتل منهم أربعة آلاف وأوزيدون وأسر بعض ملوكهم واعتصم ملك آخر منهم ببعض قلاعهم فجوز جلال الدين عليها عسكرا لحصارها وبعث عساكره في البلاد فعاثوا فيها واستباحوها

(فتح السلطان مدينة كنجة ونكاحه زوجة ازبك)

لما فرغ السلطان من أمر الكرج واستولى على بلادهم وكان قد ترك وزيره شرف الدين بتبريز للنظر في المصالح وولى عليها نظام الملك الطغرائي فقصد الوزير به وكتب الى السلطان بأنه وعمه شمس الدين داخلوا أهل البلد في الانتقاض واعادة ازبك لشغل السلطان بالكرج فلما بلغ ذلك الى السلطان أسره حتى فرغ من أمر الكرج وترك

أخاه غياث الدين نائبا على ما ملك منها وأمره بتدويخ بلادهم وتخريبها وعاد الى تبريز فقبض على نظام الملك الطغرائى وأصحابه فقتلهم وصادر شمس الدين على مائة ألف وحبسه بمراغة ففرّ منها الى ازبك ثم لحق ببغداد وحج سنة خمس وعشرين وبلغ السلطان تنصله فى المطاف ودعاؤه على نفسه ان كان فعل شيأ من ذلك فأعاده الى تبريز ورد عليه أملاكه ثم بعثت اليه زوجة ازبك فى الخطبة وان ازبك حنث فيها بالطلاق فحكم قاضى تبريز عز الدين القزوينى بحلها للنكاح فتزوجها السلطان جلال الدين وسار اليها فدخل فى خوى ومات ازبك لما لحقه من الغم بذلك ثم عاد السلطان الى تبريز فأقام بها مدة ثم بعث العساكر مع ارخان الى كنجة من أعمال نقجوان وكان بها ازبك ففارقها وترك بها جلال الدين القمى نائبا فملكها عليه ارخان واستولى على أعمالها مثل وشمكور وبردعة وشمنة وانطلقت أيدى عساكره فى النهب فشكا ازبك الى جلال الدين فكتب الى ارخان بالمنع من ذلك وكان مع ارخان نائب الوزير الى السلطان فعزل ارخان وذهب مغاضبا الى أن قتلته الاسماعيلية وفى آخر رمضان من سنة ثنتين وعشرين توفى الخليفة الناصر لسبع وأربعين سنة من خلافته واستخلف بعده ابنه الظاهر أبو نصر محمد بعهده اليه بذلك كما مر فى أخبار الخلفاء

(استيلاء جلال الدين على تفليس من الكرج بعد هزيمته اياهم)

كان هؤلاء الكرج اخوة الارمن وقد تقدم نسبة الارمن الى ابراهيم عليه السلام وكان لهم استطالة بعد الدولة السلجوقية وكانوا من أهل دين النصرانية فكان صاحب أرمن الروم يخشاهم ويدين لهم ببعض الشئ حتى ان ملك الكرج كان يخلع عليه فيلبس خلعته وكان شروان صاحب الدربند يخشاهم وكذلك ملكوا مدينة أرجيش من بلاد ارمينية ومدينة قارس وغيرها وحاصروا مدينة خلاط قاعدتها وأسروا مقدمهم ايواى وفادوه بالرحيل عنهم بعد ان اشترطوا عليه متابعته لهم فى قلعة خلاط فبنوها وكذلك هزموا ركن الدولة قليج ارسلان صاحب بلاد الروم لما زحف لاخيه طغرل شاه بارزن الروم استنجدهم طغرل فأنجدوه وهزموا ركن الدين أعظم ما كان ملكا واستفحالا وكانوا يجوسون خلال اذربيجان ويعيثون فى نواحيها وكان ثغر تفليس من أعظم الثغور خطرا على من يجاوره منذ عهد الفرس وملكه الكرج سنة خمس عشرة وخمسمائة أيام محمود بن محمود بن ملك شاه ودولة السلجوقية يومئذ أحفل ما كانت وأوسع ايالة وأعمالا فلم يطق ارتجاعه من أيديهم واستولى ايلدكز بعد ذلك وابنه البهلوان على بلاد الجبل والرى واذربيجان واران وارمينية وخلاط وجاورهم بكرسيه ومع ذلك لم يطق ارتجاعه منهم فلما جاء السلطان جلال الدين الى اذربيجان

وملكها زحف الى الكرج وهزمهم سنة ثنتين وعشرين وعاد الى تبريز في مهمه كما قدمناه فلما فرغ من مهمه ذلك وكان قد ترك العساكر ببلاد الكرج مع أخيه غياث الدين ووزيره شرف الدين فأغذ السير اليه غازيا من تبريز وقد جمع الكرج واحتشدوا وأمدهم القفجاق والكزوسار واللقاء فلما التقى الفريقان انهزم الكرج وأخذتهم سيوف المسلمين من كل جانب ولم يبقوا على أحد حتى استلموهم وافنوهم ثم قصد جلال الدين تفليس في ربيع الاول سنة ثلاث وعشرين ونزل قريبا منها وركب يوما الاستكشاف أحوالها وترتيب مقاعد القتال عليها وأكمن الكمائن حوالها واطلع عليهم في خف من العسكر فطمعوا فيه وخرجوا فاستطرد لهم حتى تورطوا والتفت عليهم الكمائن فهربوا الى البلد والقوم في اتباعهم ونادى المسلمون من داخلها بشعار الاسلام وهتفوا باسم جلال الدين فالقى الكرج بأيديهم وملك المسلمون البلد وقتلوا كل من فيها الا من اعتصم بالاسلام واستباحوا البلد وامتلأت أيديهم بالغنائم والاسرى والسبايا وكان ذلك من أعظم الفتوحات هذه سياقة ابن الاثير في فتح تفليس وقال النسائي الكاتب ان السلطان جلال الدين سار نحو الكرج فلما وصل نهر ارس مرض واشتد الثلج وهو بتفليس فبرز أهلها للقتال فهزمهم العساكر وأعجلوهم عن دخولها فلكوها واستباحوها وقتلوا من كان فيها من الكرج والارمن واعتصم أهلها بالقلعة حتى صالحوا على أموال عظيمة فحملوها وتركوهم

(انتقاض صاحب كرمان ومسير السلطان اليه)

ولما اشتغل السلطان جلال الدين بشأن الكرج وتفليس طمع براق الحاجب في الانتقاض بكرمان والاستيلاء على البلاد وقد كنا قدمنا خبره وان غياث الدين استخلفه على كرمان عند مسيره الى العراق وان جلال الدين لما رجع من الهند ارتاب به وهم بالقبض عليه ثم تركه وأقره على كرمان فلما انتقض الآن وبلغ خبره الى السلطان وهو معتزم على قصد خلاط فتركها وأغذ السير اليه واستصحب أخاه غياث الدين وعده بكرمان وترك مخلفه بكيكاون وترك وزيره شرف الدين بتفليس وأمره باكتساح بلاد الكرج وقدم الى صاحب كرمان بالخلع والمقاربة والوعد فارتاب بذلك ولم يطمئن وقصد بعض قلاعه فاعتصم بها ورجع الرسول الى جلال الدين فلما علم أن المكيدة لم تتم عليه أقام باصبهان وبعث اليه وأقره على ولايته وعاد وكان الوزير شرف الدين بتفليس كما قلناه وضاق الحال به من الكرج وأرجف عند الامراء بكيكاون أن الكرج حاصروه بتفليس فساروا رخاء منهم في العساكر الى تفليس ثم وصل البشير من نفجوان

برجوع السلطان من العراق فأعطاه الوزير أربعة آلاف دينار ثم افترقت العساكر في بلاد الكرج وبها ايواني مقدمهم مع بعض أعيانهم وبعث عسكرا آخر الى مدينة فرس واشتد عليها الحصار ثم جر العساكر عليها وعاد الى تفليس

(مسير جلال الدين الى حصار خلاط)

كانت خلاط في ولاية الاشرف بن العادل بن أيوب وكان نائبه بها حسام الدين علي الموصلي وكان الوزير شرف الدين حين أقام بتفليس عند مسير جلال الدين الى كرمان ضاقت على عساكره الميرة فبعث عسكرا منهم الى أعمال أرزن الروم فاكتسحوا نواحيها ورجعوا فمروا بخلاط فخرج نائبها حسام الدين واعترضهم واستنقذ ما معهم من الغنائم وكتب الوزير شرف الدين بذلك الى جلال الدين وهو بكرمان فلما عاد جلال الدين من كرمان وحاصر مدينة آني استقر حسام الدين نائب خلاط للامتناع منه فارتحل هو الى بلاد انخاز ليأتيه على غرة ورحل جلال الدين من انخاز فسار الى خلاط وحاصر مدينة ملازكرد في ذي القعدة من السنة وانتقل منها الى مدينة خلاط وحاصرها وضيق مخنقها وقاتلها مرارا واشتد أهل البلد في مدافعته لما يعلمون من سيرة الخوارزمية الاولاتية وكانوا متغلبين على الكثير من بسائط ارمينية وأذربيجان فبلغه أنهم أفسدوا البلاد وقطعوا السابلة وأخذوا الضريبة من أهل خوى وخربوا سائر النواحي وكتب اليه بذلك نوابه وبنت السلطان طغرل زوجته فلما رحل عن خلاط قصدهم على غرة قبل أن يصعدوا الى حصونهم بجبالهم الشاهقة فأحاطت بهم العساكر واستباحوهم واقتسموهم بين القتل والغنيمة وعاد الى تبريز

(دخول الكرج مدينة تفليس واحراقها)

ولما عاد السلطان من خلاط وغزو التركمان فرق عساكره للمشتى وكان الامراء أساؤا السيرة الى تفليس وهرب العسكر الذين بها واستلموا بقيتهم وخربوا البلاد وحرقوها لعجزهم عن حمايتها من جلال الدين وذلك في ربيع سنة أربع وعشرين وستمائة وعند النسائي الكاتب ان استيلاء الفرنج على تفليس واحراقهم اياها كان والسلطان جلال الدين على خلاط وانه لما بلغه ذلك رجع وأغار على التركمان في طريقه لما بلغه من افسادهم فنهب أموالهم وساق مواشيهم الى موقان وكان خمسها ثلاثين ألفا ثم سار الى خوى للاقاة بنت طغرل ثم سار الى كنجة فبلغه الخبر بانصراف الكرج على تفليس بعد احراقها قال ولما وصل كنجة قدم عليه هنالك خاموش بن الاتابك ازبك ابن البهلوان مؤديا منطقة بالجنش قدر الكف مصنوعا عليه منقوشا اسم كيكاوس

وجماعة من ملوك الفرس فغير السلطان صناعتها ونقشها على اسمه وكان يلبس تاك المنطقة في الأعياد وأخذها التتر يوم كسوه وحملت الى الخان الأعظم ابن جنكزخان بقراقروم وأقام خاموش في خدمة السلطان الى أن صرعه الفقر ولحق بعلاء الملك ملك الاسماعيلية فتوفي عنده انتهى كلام النسائي

(أخبار السلطان جلال الدين مع الاسماعيلية)

كان السلطان جلال الدين بعد وصوله من الهند ولى ارخان على نيسابور وأعمالها وكان وعده بذلك بالهند فاستخلف عليها وأقام مع السلطان وكان نائبه بها يتعرض لبلاد الاسماعيلية المتاخمة لهم بستان وغيرها بالنهب والقتل فأوفدوا على السلطان وهو بخوى وقد أمنهم يشكون من نائب ارخان وأساء عليهم ارخان في المجاورة ولما عاد السلطان الى كنجة وكان قد أقطعها وأعمالها الارخان فلما خيم بظاهرها وثب ثلاثة من الباطنية ويسمون الفداوية لانهم يقتلون من أمرهم أميرهم بقتله ويأخذون ديتهم منه وقد فرغوا عن أنفسهم فوثبوا به فقتلوه وقتلتهم العامة وكانت الاسماعيلية قد استولوا على الدامغان أيام الفتنة ووصل رسولهم بعد هذه الواقعة الى السلطان وهو بيلقان فطالبهم بالنزول على الدامغان فطلبوا ضمانها بثلاثين ألف دينار وقررت عليهم وكان الرسول الوافد في خدمة الوزير وهم راجعون الى اذربيجان فاستخفه الطرب ليلة وأحضر له خمسة من الفداوية معه بالعسكر وبلغ خبرهم السلطان فأمر باحراقهم انتهى كلام النسائي وقال ابن الاثير ان السلطان بعد مقتل ارخان سار في العساكر الى بلاد الاسماعيلية من الموت الى كردكوه فاكتسحها وخربها وانتقم منهم وكانوا بعد واقعته قد طمعوا في بلاد الاسلام فكف عاديتهم وقطع أطماعهم وعاد فبلغه أن طائفة من التتر بلغوا الدامغان قريبا من الري فسار اليهم وهزمهم وأثخن فيهم ثم جاء الخبر بأن جموع التتر متلاحقة لحربه فأقام في انتظارهم في الري انتهى

(استيلاء حسام الدين نائب خلاط على مدينة خوى)

قد تقدم لنا أن بنت السلطان طغرل زوجة ازبك بن البهلوان لما ملك السلطان جلال الدين تبريز من يدها أقطعها مدينة خوى ثم تزوجها بعد ذلك كما قدمناه وتركها لما هو فيه من أشغال ملكه فوجدت لذلك ما فقدته من العز والتحكم قال النسائي الكاتب وأضاف لها السلطان مدينتي سلماس وارمية وعين رجلا لقبض أقطاعها فتنكرلها وأغرى بها الوزير فكاتب السلطان بأنها تداخل الاتابك ازبك وتكاتبه ثم وصل الوزير الى خوى فنزل بدارها واستصفى وكانت مقيمة بقلعة طلع فحاصرها

وسألت المضي الى السلطان فأبى الانزولها على حكمه انتهى وكان أهل خوى مع ذلك
قد ضجروا من ملكة جلال الدين وجوره وتسلط عساكره فاتفقت الملكة معهم
وكاتبوا حسام الدين الحاجب النائب عن الاشرف بخلاط فسار اليهم في مغيب
السلطان جلال الدين بالعراق واستولى على مدينة خوى وأعمالها ومدينة
وكانه أهل نقجوان وسلموها له وعاد الى خلاط واحتمل الملكة بنت طغرل زوجة جلال
الدين الى خلاط الى ان كان ما نذكره

(واقعة السلطان مع التتر على اصبهان)

ثم بلغ الخبر الى السلطان بأن التتر زحفوا من بلادهم فيما وراء النهر الى العراق فسار
من تبريز للقائهم وجرد أربعة آلاف فارس الى الري والدامغان طليعة فرجعوا
وأخبروه بوصولهم الى اصبهان فنهض للقائهم واستخلف العساكر على الاستمانة
وأمر القاضي باصبهان باستنفار العامة وبعث التتر عسكرا الى الري فبعث السلطان
عسكرا لاعتراضهم فأوقعوا بالتتر فنالوا منهم ثم التقى الفريقان في رمضان سنة خمس
وعشرين لرابعة وصولهم الى اصبهان وانتقض عنه أخوه غياث الدين وجهان بهلوان
الكجي في طائفة من العسكر وانهزمت ميسرة التتر والسلطان في اتباعهم وكانوا قد
أكمنوا له فخرجوا من ورائه وثبت واستشهد جماعة من الامراء وأسر آخرون وفيهم
علاء الدولة صاحب يزد ثم صدق السلطان عليهم الحملة فافرجوا له وسار على وجهه
وانهزمت العساكر فبلغوا فارس وكرمان ورجعت ميمنة السلطان من قاشان فوجدوه
قد انهزم فتفرقوا أشتاتا وفقدا السلطان ثمانيا وكان بقاطي بسبق مقيما باصبهان فاعتزم
أهل اصبهان على بيعته ثم وصل السلطان فاقصروا عن ذلك وتراجع بعض العسكر
وسار السلطان فيهم الى الري وكان التتر قد حاصروا أصبهان بعد الهزيمة فلما وصل
السلطان خرج معه أهل اصبهان فقاتلوا التتر وهزموهم وسار السلطان في اتباعهم
الى الري وبعث العساكر وراءهم الى خراسان وعند ابن الاثير أن صاحب بلاد فارس
وهو ابن الاتابك سعد الذي ملك بعد أبيه حضر مع السلطان في هذه الواقعة وأن التتر
انهزموا أولا فاتبعهم صاحب فارس حتى اذا أبعدوا انفرد عن العسكر ورجع عنهم
فوجد جلال الدين قد انهزم لانحراف أخيه غياث الدين وأمرائه عنه ومضى الى
شهرم تلك الايام ثم عاد الى اصبهان كما ذكرناه

(الوحشة بين السلطان جلال الدين وأخيه غياث الدين)

كان ابتداؤها ان الحسن بن خرميل نائب الغورية بهراة لما قتلته عساكر خوارزم شاه

محمد بن تتش وحاصروا وزيره الممتنع بها حتى اقتحموها عليه عنوة وقتلوه محمد بن الحسن بن خرميل الى بلاد الهند فلما سار السلطان جلال الدين وحظى لديه وأقامه شحنة بأصبهان فلما سار السلطان الى اصبهان للقاء التتر انحرف جماعة من غلمان غياث الدين عنه فساروا الى نصرة الدين بن خرميل واسترجعهم منه غياث الدين في بيته وطعنه فأشواه ومات للحال وأحفظ ذلك السلطان وأقام غياث الدين مستوحشا فلما كان يوم اللقاء انحرف عن أخيه ولحق بخوزستان وخاطب الخليفة فبعث اليه بثلاثين ألف دينار وسار من هنالك الى قلعة الموت عند صلاح الدين شيخ الاسماعيلية فلما رجع السلطان من وقعة التتر الى الرّيّ سار الى قلعة الموت وحاصرها فاستأمن علاء الدين الى السلطان لغياث الدين فأمنه وبعث من يأتيه به فامتنع غياث الدين وفارق القلعة واعترضه عساكر السلطان بنواحي همذان وأوقعوا به وأسروا جماعة من أصحابه ونجا الى براق الحاجب بكرمان فتزوج بأمه كرها ونمي اليه أنها تحاول سمه فقتلها وقتل معها بهان بهلوان الكجي وحبس غياث الدين ببعض القلاع ثم قتله بحبسه ويقال بل هرب من محبسه ولحق باصبهان وقتل بأمر السلطان قال النسائي وقفت على كتاب براق الحاجب الى الوزير شرف الملك والسلطان بتبريز وهو يعتد سوابقه ويعد منها قتله أعدى عدوّ السلطان والله تعالى ولي التوفيق

(انتقاض البهلوانية)

لما وصل السلطان والوزير شرف الملك معه وانتهى الى همذان بلغه أنّ الامراء البهلوانية اجتمعوا بظاهر تبريز يرومون الانتقاض واتبعه خاموش بن الاتابك ازبك من قلعة قوطور وكان مقيما بها فرجع السلطان اليهم وقدم بين يديه الوزير شرف الملك فلقيهم قريبا من تبريز وهزمهم وقبض على الذين تولوا أكبر الفتنة منهم ودخل تبريز في اثرهم وقبض على القاضي المعزول فصادمه قوام الدين الحرادي ابن أخت الطغرائي وصادره وسار السلطان للقاء التتر وأقام الوزير نائبا بالبلاد

(ايقاع نائب خلاط بالوزير)

ولما كان ما ذكرناه من مسير حسام الدين نائب خلاط الى اذربيجان واحتماله زوجة السلطان جلال الدين الى خلاط امتعض الوزير لذلك فسار الى موقان من بلاد اران وجمع التركمان وفرّق العمال للجباية وطلب المال من شروان شاه وهو خمسون ألف دينار فتوقف وأغار على بلاده فلم يظفر بشيء ورجع الى اذربيجان وكانت بنت الاتابك بهلوان في نقجوان فارقها مولانا ايدغمش وجاء الى الوزير فأطمعه فيها وسار الوزير

مضمر الغدر بها وامتنعت عليه ونزل بالمرج فأكرمته وقربته ورحل الى حورس من أعمالها وكانت للاشرف صاحب خلاط من أيام ازبك فانتشرت أيدي العسكر في تلك الضياع وقاتلها الوزير وجاء الحاجب صاحب خلاط في عساكره فانهزم الوزير وترك أثقاله وذلك سنة أربع وعشرين وكان مع الحاجب فخر الدين سام صاحب حلب وحسام الدين خضر صاحب تبريز وكان الوزير وتكالبه فظاهر الآن بخلفه وخاص الوزير الى اران وسار الحاجب على في اتباعه ثم عاد الى تبريز ومر بخوى فنهبها ثم وسار الى بقجان فلكها ثم الى تدمر كذلك وأقام الوزير بتبريز وكان بها الاتابك ازبك متمسكا منعه أهل تبريز من الدخول وحملوا اليه النفقة ثم جاء الخبر برجوع السلطان الى اصبهان بعد الهزيمة كما مر فسار الوزير الى اذربيجان ولقي ثلاثة من الامراء جاؤا مددا له من عند السلطان وأمره بحصار خوى فساروا اليها وبها نائب الحاجب حسام الدين صاحب خلاط وهو بدر الدين بن صرهنك والحاجب حسام الدين على منوشهر فنهض اليه الوزير من خوى فتأخر الى تركري والتقيا هنالك فانهزم الحاجب ودخل تركري فاعتصم بها وحاصره الوزير وطلب الصلح فلم يسعفه ورجع الامراء الذين كانوا معه بعساكرهم الى اذربيجان وأفرج الوزير عن حصار تركري ومر بخوى وقد فارقها ابن صرهنك الى قلعة قوطور واستأمن للسلطان من بعد ذلك ودخل الوزير مدينة خوى وصادر أهلها وسار الى ترمذ ونقجوان ففعل فيهما مثل ذلك وانقطعت ايالة الحاجب صاحب خلاط والله أعلم

(فتوحات الوزير باذربيجان واران)

ولما تخلف الوزير عن السلطان صرف همته الى تمهيد البلاد ومدافعة صاحب خلاط وارتجاع البلاد التي ملك من اذربيجان واران وفتح القلاع العاصية فكان بينه وبين الحاجب حسام الدين صاحب خلاط ما ذكرناه وهو خلال ذلك يستميل أصحاب القلاع ويقبض فيهم الاموال والخلع حتى أجاب أكثرهم ثم قبض على ناصر الدين محمد من أمراء البهلوانية وكان معتزلا عند نصرة الدين محمد بن سبكتكين فصادره على مال وتسلم من نائبه قلعة كانت بيده ثم مات نائب السلطان بكنجة اقسنقر الاتابكي فنهض اليها وقبض على نائبه شمس الدين كرشاسف وصادره وتسلم منه قلعة هرد وجاربرد من أعمال اران ثم جر العساكر لحصار قلعة زونين وبها زوجة السلطان خاموش فأطال حصارها وعرضت عليه نكاحها فأبى ولما رجع السلطان من العراق تزوجها وولى خادمه سعد الدين على القلعة فأساء اليها وانتزع أملاكها فأخرجوه وعادوا الى الانتقاض ولما خلص الوزير من واقعته مع الحاجب نائب خلاط قصد أران لجبي الاموال وجمع واحتشد

وقصد قلعة مرداقين وكانت لصهر الوزير ركبة الدين فصانعه بأربعة آلاف دينار حملها اليه ثم سار الى قلعة حاجين وبها جلال الدولة ابن أخت أبوانى أمير الكرج فصالحه على عشرين ألف دينار وسبعمائة أسير من المسلمين ثم كانت فتنة البهلوانية فسكنها وسرح الجند عنها وشرح الخبر عنها ان بعض مماليك اتابك ازبك كان قد أفحش فى قتل الخوارزمية باذربيجان عند زحفهم اليها أيام فرارهم من التتر فلما ملك السلطان جلال الدين اذربيجان ومحا ملك البهلوانية منها لحق الامير مقدى هذا بالاشرف بن العادل بن أيوب صاحب الشأم وأقام عنده فلما بلغه انهزام الوزير شرف الملك أمام الحاجب حسام الدين نائب الاشرف بخلاط فرّ من الشأم الى اذربيجان ليقيم مع الاتابكية ومرّ بالحاجب فى خوى فاتبعه وعبر النهر وخاطب من عدوته معتذرا فرجع عنه ودخل مقدى بلاد قبار وفيها قلاع استولى عليها المتقضون والعصاة فراسلهم فى اقامة الدعوة الاتابكية والبيعة لابن خاموش بن ازبك يستدعونه من قلعة قوطور واتصل ذلك بالوزير فأقلقه ثم جاء خبر هزيمة السلطان بأصبهان فازداد قلقا وسار الامير مقدى الى نصرة الدين محمد بن سبكتكين يدعوه لذلك فلاطفه فى القول وكتب للوزير بالخبر فأجابه بأن يضمن لمقدى ما أحب فى مراجعة الطاعة ففعل وجاء به الى الوزير فأكرمه وخلع عليه وعلى من جاء معه وعاهده على العفو عن دماء الخوارزمية وجاء الخبر برجوع السلطان من اصبهان فارتحل الوزير للقائه ومعه الامير مقدى وابن سبكتكين واكرمهما السلطان

(أخبار الوزير بخراسان)

كان صفى الدين محمد الطغرائى وزيرا بخراسان وأصل خبره انه كان من قرية كلاجرد وأبوه رئيسها وكان هو حسن الخط وشية الاطوار ثم لحق بالسلطان فى الهند وخدم الوزير شرف الملك فلما عادوا الى العراق ولاه الطغرائى ولما ملك السلطان تفليس من يد الكرج ولى عليها اقسنقر مملوك الاتابك ازبك وأقام صفى الدين فى وزارتها فلما حاصرها الكرج هرب اقسنقر وأقام صفى الدين فحاصروه أياما ثم أفرجوا ووقع ذلك من السلطان أحسن المواقع وولاه وزارة خراسان فأقام بها سنة ونفر منه أهلها فلما جاء السلطان الى الرى وأقام بها كثرت به الشكايات فنكبه السلطان واستصفى أمواله وقبض على مواليه وحاشيته وقيدت خيله الى مرابط السلطان وكانت المثمانة وخلص من مواليه على الكرمانى الى قلعة كان حصنها فامتنع بها واستوزر السلطان مكانه تاج الدين البلخى المستوفى وسلم اليه الصفى ليستصفيه ويقلع القلعة من مولاه وشدد فى امتحانه وكان عدوه فلم يظفر منه بشئ وكان لما نكب طالبه خاتون السلطان

باحضار الجواهر وما ساقه للخدمة الوزير وغيره فأحضر أربعة آلاف دينار وسبعين فصا من ياقوت وبلخش واستأثر الخازن بها الظنه أنه مقتول ثم كاتب الصفي أرباب الدولة ووعدهم بالاموال فشفعوا فيه وخلصوه وكتب السلطان بخطه بسراحه فجاء واستخلص ماله من الخازن الا الفصوص فانه تعذر عليه ردها وولى السلطان على وزارة نسا محمد بن مودود النسوى العارض من بيت رياسة بها وردت به الحادثة الى غزنة فلما جاء السلطان من الهند ولاه الانشاء والحبس وعظم أمره وغص به الوزير شرف الملك فلما ورد أحمد بن محمد المنشى الكاتب رسولا عن نصرة الدين محمد بن حمزة صاحب نسا كما مر ولاه السلطان الانشاء فارتمض لذلك ضياء الدين وطلب وزارة نسا فولاه السلطان اياها وأقطع له عشرة آلاف دينار فى السنة زيادة على أرزاق الوزارة وذهب اليها لاقامة وظيفته واستناب فى ديوان العرض مجد الملك النيسابورى ثم قطع الحمل فعزله السلطان وولى مكانه الكاتب أحمد بن محمد المنشى وتعرض للسعاية فيه فطرده السلطان وهلك فى طرده

* (خبر بلبان صاحب خلخال) *

كان من أتابكية ازبك ولما كانت فتنة التتر وخلاء خراسان واستيلاء السلطان جلال الدين على اذربيجان لحق بمدينة خلخال فاستولى عليها وعلى قلاعها ونزل عنه السلطان بأمر العراق وصاحب خلاط فلما انصرف المسلمون من واقعة التتر بالعراق حاصره بقلعة فيروزاباد حتى استأمن وملكها السلطان وولى عليها حسام الدين بكتاش مولى سعد اتابك فارس ثم خلف السلطان أثقاله بموقان وتجرد لخلاط وعاقه البرد بارجيش فنهب بعض قلاع وكان عز الدين الخلطاني فى كفرطاب قريبا من أرجيش فلحق بخلاط وجهزه الحاجب الى اذربيجان يشغلهم باثارة الفتنة فيها فلم يتم قصده من ذلك فلحق بجبال زنجان وأقام صيف السابلة وكتب له السلطان بالامان ونزل الى اصبهان فبعث نائبها شرف الدولة برأسه الى السلطان ثم رجع السلطان من كفرطاب الى خرتبرت فنهبها وخربها ووصل له خلال ذلك الخبر بوفاة الخليفة الظاهر منتصف ثلاث وعشرين وولاية ابنه المنتصر وجاء كتابه بأخذ البيعة وأن يبعث اليه بالخلع والله تعالى ولى التوفيق لارب غيره

* (تنكر السلطان للوزير شرف الملك) *

لما رجعت العساكر الى موقان وأقام السلطان بخوى شكا اليه أهلها بكثرة مصادرة الوزير لهم واطلع على اساءته للملكة بنت طغرل واستصفائه مالها وضيع براءتها مما نسب اليها ثم جاء الى تبريز فبلغه عنه أكثر من ذلك وهو بقرية كوزنان من اعمالها

فتقدر رئيسها وكان يخدمه فتمل ان الوزير صادره على ألف دينار لملوكين له فلما وصل الى تبريز حبس من أخذها حتى ردها على صاحبها وأسقط عن أهل تبريز خراج ثلاث سنين وكتب لهم بذلك وكثرت الشناعات على الوزير بما فعله في مغيب السلطان هذا مع ما كان منه في محاربة الاسماعيلية بأن السلطان كاتبه من بغداد بأن يفتش قفول الشأم من أجل رسول من عند التتر بعثوه الى الشأم وقصد بذلك معاتبة الخليفة ان عثر على الرسول فقربه فل الاسماعيلية فقتلهم واستولى على أموالهم فلما عاد السلطان الى اذربيجان وصله رسول علاء الدين ملك الاسماعيلية يعاتبه على ذلك و يطلب المال فنكر السلطان على الوزير ما فعله ووكل به أميرين حتى ردّ ما أخذ من أموالهم وكانت ثلاثين ألف دينار وعشرة أفراس فانطوى السلطان للوزير من ذلك كله على سخط وأعرض عن خطابه وكان يكاتب فلا يجاب وعجزت تبريز عن علوفة السلطان فأمر بفتح اهراء الوزير والتصرف فيها ورجع السلطان الى موقان فلم يغير عليه شيأ ووقع له بتناول عشر الخاص فكان يأخذ من عشر العراق سبعين ألف دينار في كل سنة والله أعلم

(وصول القفجاق لخدمة السلطان)

كان للقفجاق على قديم العهد هوى مع قوم هذا السلطان وأهل بيته وكانوا يصهرون اليهم غالبا بناتهم ومن أجل ذلك استأصلهم جنكزخان واشتد في طلبهم فلما عاد السلطان من واقعة اصبهان وقد هاله أمر التتر رأى أن يستظهر عليهم بقبائل قفجاق وكان في جملته سبيرجنكش منهم فبعثه اليهم يدعوهم لذلك ويرغبهم فيه فاجابوا وجاءت قبائلهم ارسالا وركب البحر كور كان من ملوكهم في ثلثمائة من قرابته ووصل الى الوزير بموقان فشق بهم ثم جاء السلطان فخلع عليه وردّه بوعد جميل في فتح دربند وهو باب الابواب ثم أرسل السلطان لصاحب دربند وكان طفلا وأتابكه يلقب بالاسد برأمر مقدم على السلطان فخلع عليه وأقطع له وملكه العمل على أن يفتح له الدربند وجهز عساكر وأمراء فلما فصلوا من عنده قبضوا على الاسد وشنوا الغارة على نواحي الباب وأعمل الاسد الحيلة وتخلص من أيديهم وتعذر عليهم ما أرادوه

(استيلاء السلطان على أعمال كستاسفي)

كان علم الوزير بشكر أن السلطان أراد أن ينتصح له ببعض مذاهب الخدمة فسار في العساكر وعبر تهر ارس فاستولى على أعمال كستاسفي من يد شروان شاه فلما عاد السلطان الى موقان أقطعها لجلال الدين سلطان شاه بن شروان شاه وكان أسيرا عند الكرج أسلمه أبوه اليهم على أن يتزوجوه بنت الملك رسودان بنت تامار فلما افتتح

السلطان بلاد الكرج استخلصه من الاسرو رباه وبقي عنده وأقطعه الآن كستاسفي وكان أيضا عند الكرج ابن صاحب ارزن الروم وكان تنصر فزوجوه رسودان بنت تاماد فأخرجه السلطان لما فتح بلاد الكرج ثم رجع الى ردته ولحق بالكرج فوجد رسودان قد تزوجت

(قدوم شروان شاه)

كان السلطان ملك شاه بن الب ارسلان لما ملك اران أطلق الغارة على بلاد شروان فوفد عليه ملكها افريدون بن فرتبرز وضمن حمل مائة ألف دينار في السنة فلما ملك السلطان جلال الدين اران سنة ثنتين وعشرين وستمائة طلب شروان شاه افريدون بالحمل فاعتل بتغلب الكرج وضعف البلاد فأسقط عنه نصف الحمل فلما عاد الان قدم عليه شروان شاه وأهدى له خمسمائة فرس وللوزير خمسين فاستقلها وأشار على السلطان بحبسه فلم يقبل اشارته ورده بالخلع والتشريف وأسقط عنه من الحمل عشرين ألفا فبقي ثلاثون قال النسائي الكاتب وأعطاني في التوقيع ألف دينار والله تعالى أعلم

(مسير السلطان الى بلاد الكرج وحصاره قلاع بهرام)

لما كان السلطان مقيما بموقان منصرفه من اذربيجان بعث عساكره مع ايلك خان فأغار على بلاد الكرج واكتسحها ومر ببحيرة بتاج فكبسه الكرج وأوقعوا به وفقد اربطاني وامتعض السلطان لما وقع بعسكره وارتحل لوقته وقد جمع له الكرج فهزمت مقدمته مقدمتهم وجيء بالاسرى منهم فقتلهم وسار في اتباعهم ونازل كوري وطالبهم باطلاق أسرى البحيرة فأطلقوهم وأخبر أن اربطاني خاص تلك الليلة الى اذربيجان ثم وجده السلطان في نقجوان ثم سار الى بهرام الكرجي وقد كان أغار على نواحي كنجة فعاث في أعماله وحاصر قلعة سكان ففتحها عنوة وكذلك قلعة عليا ثم حاصر قلعة كالبو وبعث الوزير لحصار كوزاني فحاصرها ثلاثة أشهر حتى طلبوا الصلح على مال حملوه فرحل عنهم الى خلاط والله أعلم

(مسير السلطان الى خلاط وحصارها)

ولما فرغ السلطان من شأن الكرج قدم أثقاله الى خلاط على طريق قاقروان وسارهو الى نقجوان وصبح الكرج واستاق مواشيهم ثم أقام اياما وقضى أشغال أهل خراسان والعراق لفرغ لحصار خلاط قال النسائي الكاتب وحصل لي منهم تلك الايام ألف دينار ثم ارتحل الى خلاط ولحق بعساكره ولقيه رسول من عز الدين ايبك نائب الاشرف بخلاط وقد كان الاشرف بعثه وأمره بالقبض على نائبها حسام

الدين على ابن حماد فقبض عليه ثم قتله غيلة وبعث الى السلطان يستخدم اليه بذلك وان سلطانه الاشرف أمره بطاعة السلطان جلال الدين وبالغ فى الملاطفة فأبى السلطان الا امضاء ما عزم عليه وقال ان كان هذا حقا فابعث الى بالحاجب فلما سمع هذا الجواب قتله وسار السلطان الى خلاط ونزل عليها بعد عيد الفطر من سنة ست وعشرين وجاءه ركن جهان بن طغرل صاحب ارزن الروم فكان معه وحاصرها ونصب عليها المجانيق وأخذ بمخنقها حتى فر أهلها عنها من الجوع وتفرقوا فى البلاد ثم داخله بعض أهلها فى أن يمكنهم من بقيتها على أن يؤمنوه ويقطعوه فى اذربيجان فأقطعه السلطان سلماس وعدة ضياع هنالك وأصعد الرجال ليلا الى الاسوار فقاتلوا الجند بالمدينة وهزموهم وملكوها وأسروا من كان بها وأسروا النصارى وأسد بن عبد الله وتحصن النائب عز الدين ايبك بالقلعة فأمنه وحبسه بقلعة درقان فلما وقعت المراسلة فى الصلح نقل لئلا يشترط وقال ابن الاثير ان مولى من موالى حسام الدين كان هرب الى السلطان فلما ملك خلاط طلب أن يثأر منه بمولاه فدفعه اليه وقتله ونهب البلد ثلاثا وسرح السلطان صاحب ارزن وهرب القهري من محبسه فقتل أسد بن عبد الله المهرانى بجزيرته وأقطع السلطان خلاط للامراء وعاد والله تعالى ولى التوفيق

(واقعة السلطان جلال الدين مع الاشرف وكيقباد وانهزامه أمامهما)

ولما استولى السلطان جلال الدين على خلاط تجهز الاشرف من دمشق وقد كان ملكها وسار لقتال السلطان جلال الدين فى عساكر الجزيرة والشام وذلك فى سنة تسع وعشرين واقيه علاء الدين كيقباد صاحب بلاد الروم على سيواس وكان كيقباد قد خشى من اتصال جهان شاه ابن عمه طغرل صاحب ارزن الروم بالسلطان جلال الدين لما بينهما من العداوة فسار الاشرف وكيقباد من سيواس وفى مقدمة الاشرف عز الدين عمر بن على من أمراء حلب من الاكراد الهكارية وله صيت فى الشجاعة وجاء السلطان علاء الدين للقائهم فلما تراءى الجمعان حمل عز الدين صاحب المقدمة عليهم فهزمهم وعاد السلطان الى خلاط وكان الوزير على ملازكرد يحاصرها فلحق به وارتحلوا جميعا الى اذربيجان وأسر ركن الدين جهان شاه بن طغرل وجىء به الى ابن عمه علاء الدين كيقباد فجاء به الى ارزن فسلمها وسائر أعمالها ووصل الاشرف الى خلاط فوجدها خاوية ولما رجع السلطان الى اذربيجان ترك العساكر مع الوزير بكمان وأقام بخوى وخلص التركمان فى الوزيعة الى موقان وتردد شمس الدين التكريتى رسول الاشرف بينه وبين السلطان جلال الدين فى الصلح بينهم ودخل فيه علاء الدين

صاحب الروم وانعقد بينهم جميعا وسلم لهم السلطان سر من رأى مع خلاط والله
تعالى أعلم

* (الحوادث أيام حصار خلاط) *

منها وفادة نصر الدين اصبهبذ صاحب الجبل مع ارخامن امراء السلطان بصهره على
أخيه فقبض السلطان عليه الى أن عاد من بلاد الروم منهزما فأقطعه وأعاده الى بلاده
* ومنها رسالة أخت السلطان وكانت عند دوشي خان أخذها من العيال الذين جاؤا
معه وتركان خاتون من خوارزم وأولادها وكانت تكاتب أخاها بالاخبار فبعثت
اليه الآن في الصلح مع خاقان والمصاهرة وأن يسلم لهما وراء جيحون فلم يجبها * ومنها
وفادة ركن الدين شاه ابن طغرل صاحب ارزن الروم وكان في طاعة الاشرف ومظاهرا
للحاجب نائب خلاط على عداوة السلطان منافرة لابن عمه علاء الدين كيقباد
ابن كيخسرو صاحب الروم وكان قتل رسول السلطان منقلبا من الروم ومنع
الميرة عن العسكر فلما طال حصار السلطان بخلاط استأمن وقدم عليه السلطان
فاحتفل لقدومه وارتكب الوزر للقائه ثم خلع عليه ورده الى بلاده واستدعى
منه آلات الحصار فبعث بها ثم حضر بعد ذلك واقعة الاشرف مع السلطان كما مرّ
* ومنها وصول سعد الدين الحاجب برسالة الخليفة الى السلطان بالخطبة في أعمالها
وان لا يتعرض لمظفر الدين كوكبرى صاحب اربل ولا للولد صاحب الموصل ولا
لشهاب الدين سليمان شاه ملك ولا لعماد الدين بهلوان بن هزارسب ملك
الجبال ويعدهم في أولياء الديوان فامتثل مراسمه وبعث نائب العراق شرف الدين
علي بأن ملك العراق لا يتم الا بطاعة ملك الجبال عماد الدين بهلوان وملك
سليمان شاه فبعث اليهما السلطان من لاطفهما حتى كانت طاعتهما اختيارا منهما
وبعث السلطان الحاجب بدر الدين طوطو بن اينانج خان فأحسن في تأدية رسالته
وجاء بهدية حافلة من عند الخليفة خلعتان للسلطان احداهما جبة وعمامة وسيف
هندي مرصع الحلية والاخرى قباء وكمة وفرجية وسيف محلى بالذهب وقلادة مرصعة
ثمينة وفرسان رائعان بعدتين كاملتين ونعال الكل واحدة من أربعمائة دينار وترس
ذهب مرصع بالجوهر وفيه احد وأربعون فصا من الياقوت وبندخستاني في وسطه
فيروزجة كبيرة وثلاثون فرسا عربية مجللة بالاطلس الرومي المبطن بالاطلس البغدادي
بعقاود الحرير ونعال الذهب لكل واحدة منها ستون دينارا وعشرون مملوكا بالعدة
والمركوب وعشرة فهود بجلال الاطلس وقلائد الذهب وعشرة صقور بالاكمام المكللة
ومائة وخمسون بقجة في كل واحدة عشرة ثياب وخمس أكر من العنبر مضلعة بالذهب

وشجرة من العود الهندى طولها خمسة أذرع وأربع عشرة خلعة نسوانية للخانات من خوالص الذهب وكنائس للخيل تفليسية وللامراء ثلثمائة خلعة لكل أمير خلعة قباء وكمة وللوزير عمامة سوداء وقباء وفرجية وسيف هندى واكرتان من العنبر وخمسون ثوبا وبغلة ولاصحاب الديوان عشرون خلعة فى كل خلعة جبة وعمامة وعشرون ثوبا أكثرها اطلس رومى وبغدادى وعشرون بغلة شهباء ورفعت للسلطان خباء فدخلها ولبس الخلعتين وشفع الرسول فى أهل خلاط فاعتذر له السلطان * ومنها وصول هدية من صاحب الروم ثلاثون بغلا محملة بثياب الاطلس الخطائى وفرو القندسى والسمور وثلاثون مملوكا بالخيل والعدة ومائة فرس وخمسون بغلا ولما مر وا باذربيجان اعترضهم ركن الدين جهان شاه بن طغرل صاحب ارزن وكان فى طاعة الاشرف فأمسك الهدية عنده الى أن وفد على السلطان بطاعته فأحضرها * ومنها اسار وزير المورخاناه الى الجبل المطل على قزوين لحصار الحشيش على عادته وكان السلطان قد تغير على علاء الدين صاحبهم بسبب أخيه غياث الدين ولحاقه بهم فى الموت فسار مقطع ساوة الى ذلك الجبل وأكمن لهم وأسر الوزير وبعث به الى السلطان وهو يحاصر خلاط فحبسه بقلعة رزمان وهلك لاشهر قلائل ثم بعث السلطان كاتبه محمد بن أحمد النسائى الى علاء الدين صاحب قلعة الموت يطلب الخوارج وطلب الخطبة فامتنع منها أولا واحتج عليه بأن أباه جلال الدين الحسن خطب لخوارزم شاه علاء الدين محمد بن تكش والد السلطان فأنكروا التزم أن يبعث الى الديوان مائة ألف فى كل سنة

(وصول جهان بهلوان ازبك من الهند)

كان السلطان لما فصل من الهند يقصد العراق واستخلف على البلاد التى ملكها هنالك جهان بهلوان ازبك فأقام هنالك الى أن قصده عسكر شمس الدين ايتامش صاحب لهاوور ففارق مكانه وسار الى بلاد قشمير فزاحموه وطردوه عن البلاد فقصد العراق وتخلف عنه أصحابه وعادوا الى ايتامش وفيهم الحسن برلق الملقب رجا ملك وكاتب جهان عليها ملك العراق بوصوله فى سبعمائة فارس فأجاب الحسن رأى السلطان فيه وبعث اليه بعشرة آلاف دينار للنفقة ووصل توقيع السلطان بأن تحمل اليه عشرون ألفا وأن يشتى بالعراق يستريح بها من التعب فصادف عود السلطان من بلاد الروم وزحف السلطان الى اذربيجان فحال قدر الله بينه وبين مرامه وقتل هنالك سنة ثمان وعشرين

(وصول التتر الى اذربيجان)

كان التتر عندما ملكوا ما وراء النهر وزحفوا الى خراسان فضعضعوا ملك بنى

خوارزم شاه وانتهوا الى قاصية البلاد وخربوا ما مروا عليه واكتسحوا ونهبوا وقتلوا ثم استقر ملكهم بما وراء النهر وعمروا تلك البلاد واختطوا قرب خوارزم مدينة عظيمة تعوض منها وبقيت خراسان خالية واستبد بالمدن فيها أمراء أشبه الملوك يعطون الطاعة للسلطان جلال الدين لما جاء من الهند وانفرد جلال الدين بملك العراق وفارس وكرمان واذربيجان واران وما وراء ذلك وبقيت خراسان مجالات لغارات التتر وحروبهم ثم سارت طائفة منهم سنة خمس وعشرين فكان بينهم وبين جلال الدين لما جاء من الهند المواقعة على اصبهان كما مر ثم كان بين جلال الدين وبين الاشرف صاحب الشام وعلاء الدين كيقباد صاحب الروم المواقعة سنة سبع وعشرين كما مر وأوهنت من جلال الدين وحلت عرى ملكه وكان علاء الدين مقدم الاسماعيلية في قلعة الموت فعادى جلال الدين لما أثخن في بلاده وقرر عليه وظائف الاموال فبعث الى التتر يخبرهم بالهزيمة الكائنة عليه وانها أوهنته ويحثهم على قصده فساروا الى أذربيجان أول سنة ثمان وعشرين وبلغ الخبر الى السلطان بمسيرهم فبعث يوغر من أمرائه طليعة لاستكشاف خبرهم فلقي مقدمتهم فانهزم ولم ينج من أصحابه غيره وجاء بالخبر فرحل من تبريز الى موقان وخلف عياله بتبريز لنظر الوزير وأعجله الحال عن أن يبعثهم الى بعض الحصون ثم ورد كتاب من حدود زنجان بأن المقدمة التي لقيها يوغر باهرا قاموا ببرج الخان وانهم سبعمائة فارس فظن السلطان أنهم لا يجاوزونها فسرى عنه ورحل الى موقان فأقام بها وبعث في احتشاد العساكر الاميرين يغان شحنة خراسان وأوسمان بهلوان شحنة مازندان وشغل بالصيد وبينما هو كذلك كبسه التتر بمكانه ونهبوا معسكره وخاض الى نهر اوس ثم ورى بقصد كنجة وعطف الى اذربيجان فتنكر لماهان وكان عز الدين صاحب قلعة شاهن غاضبا منذ سنين لاغارة الوزير على بلده فلما نزل السلطان ماهان كان يخدمه بالميرة وبأخبار التتر ثم أنذره آخر الشتاء بمسير التتر اليه من ارجان وأشار عليه بالعود الى اران لكثرة ما فيها من العساكر وأجناد التركمان متحصنين بها فلما فارقها وكان الوزير فوق بيوت السلطان وخزائنه في قلاع حسام الدين منهم ارسلان كبير أمراء التركمان باران وكان قد عمر هنالك قلعة سنك سراخ من أحصن القلاع فأنزل عياله بها وكان مستوحشا من السلطان فجاهر بالعصيان وكانت وحشته من السلطان لامور منها تبذير أمواله في العطاء والنفقة ومنها أنه ظن أن السلطان يجفل الى الهند فكاتب الاشرف صاحب الشام وكيقباد صاحب الروم فوعدهم من نفسه الطاعة وهما عدوا السلطان ومنها أنه كاتب قليج ارسلان التركماني فأمره بحفظ حرم السلطان وخزائنه

ولايسلمها اليه و بعث في الكتاب له والكاس قبله ليغزو الروم فلما مر السلطان بقلعته بعث اليه يستدعيه فوصل وحمل كفنه في يده فلاطفه السلطان وكايده فظنها مخالصة فاطمأن والله تعالى ولي التوفيق

(استيلاء التتر على تبريز وكنجة)

ولما اجفل السلطان بعد النكبة من موقان الى اران بلغ الخبر الى أهل تبريز فثار وا بالخوارزمية وأرادوا قتلهم ووافقهم بهاء الدين محمد بن بشير فاربك الوزير بعد الطغريائي وكان الطغريائي رئيس البلد كامر فمنعهم من ذلك وعدوا على واحد من الخوارزمية وقتلوه فقتل به اثنين من العامة واجتهد في تحصين تبريز وحراستها وشحنها بالرجال ولم تنقطع كتبه عن السلطان ثم هلك فسلمها العوام الى التتر ثم ثار أهل كنجة وسلموا بلدهم للتتر وكذا أهل بيلقان والله أعلم

(نكبة الوزير ومقتله)

لما وصل السلطان الى قلعة جاربرد بلغه استيحاش الوزير وخشي أن يفر الى بعض الجهات فركب الى القلعة مور يا بالنظر في أحوالها والوزير معه وأسر الى والي القلعة أن يمسك الوزير ويقيده هنالك ففعل ونزل السلطان فجمع مماليك الوزير وكبيرهم الناصر قشتمر وضمهم الى أورخان ثم نمى الى والي القلعة أن السلطان مستبدل منه فاستوحش وبعث بخاتم الوزير الى قشتمر كبير المماليك يقول نحن وصاحبكم متوازرون فمن أحب خدمته فليأت القلعة فسقط في يد السلطان وكان ابن الوالي في جملته وحاشيته فأمره السلطان أن يكاتب أباه ويعاتبه ففعل وأجابه بالتنصل من ذلك فقال له السلطان فليبعث الي برأس الوزير فبعث به وكان الوزير مكرما للعلماء والادباء مواصلا لهم كثير الخشية والبكاء متواضعا منبسطا في العطاء حتى استغرق أموال الديوان لولا أن السلطان جذب من عنانه وكان فصيحا في لغة الترك وكانت علامته على التواقيع السلطانية الحمد لله العظيم وعلى التواقيع الديوانية يعتمد ذلك وعلى تواقيعه الى بلاده أبو المكارم علي ابن ابي القاسم خالصة أمير المؤمنين

(ارتجاع السلطان كنجة)

لما ثار أهل كنجة بالخوارزمية كان القائم بأمرهم رجل منهم اسمه بندار وبعث السلطان اليهم رسولا ليدعوهم الى الطاعة فوصلوا قريبا منه وأقاموا وخرج اليهم الرئيس جمال الدين القمي بأولاده وامتنع الباقون ثم وصل السلطان وردد اليهم فلم تغن وبرزوا بعض الايام للقتال ورموا على خيمته فركب وحمل عليهم فانهزموا

وازدحموا فى الباب فمنعهم الزحام من اغلاقه فاقتحم السلطان المدينة وقبض على
ثلاثين من أهل الفتنة فقتلهم وجىء ببندار وكان بالغا فى الفساد وكسر سرير الملك الذى
نصبه بها محمد بن ملك شاه فمثل به وفصل أعضاءه بين يديه وأقام السلطان بكنجة نحوا
من شهر ثم سار الى خلاط مستقر الاشرف فارتحل الاشرف الى مصر وتعلل بالمواعيد
ووصل السلطان فى وجهته الى قلعة شمس وبها الرئيس ابن ايوان الكرجى فخرج وقبل
الارض على البعد ثم بعث الى السلطان ما أمرى وبعث السلطان الى جيرانه من الملوك
مثل صاحب حلب وآمد وماردين يستنجدهم بعد يأسه من الاشرف وجرد عسكرا
الى خرت برت وملطية واذربيجان فأغاروا فى تلك النواحى واستاقوا نعمها لما بين
ملكها كيقباد وبين الاشرف من الموالاة فاستوحش جميعهم من ذلك وقعدوا عن
نصرته والله تعالى ولى التوفيق

(واقعة التتر على السلطان بآمد وهلكه)

كان السلطان بلغه وهو بخلاط أن التتر ساروا اليه فبعث السلطان الامير
أوترخان فى أربعة آلاف فارس طليعة فرجع وأخبر أن التتر رجعوا من حدود
ملازكرد وكان الامراء أشاروا على السلطان الانتقال
بديار بكر ويعبرون الى اصبهان ثم جاءه رسول صاحب آمد وزين له قصد بلاد الروم
وأطمعه فى الاستيلاء عليها ليتصل بالقفجاق ويستظهر بهم على التتر وأنه يمده بنفسه
فى أربعة آلاف فارس وكان صاحب آمد يروم الانتقام من صاحب الروم بما ملك من
قلاعه فجنح السلطان الى كلامه وعدل عن اصبهان الى آمد فنزل بها وبعث اليه التركمان
بالنذير وانهم رأوا نيران التتر بالمنزل الذى كانوا به أمس فاتهم خبرهم وصبحه التتر على
آمد وأحاطوا بخيمته قبل أن يركب فحمل عليهم اوترخان حتى كشفهم عن الحركات
وركب السلطان وركض وأسلم زوجته بنت الاتابك سعد الى أميرين يحملانها الى
حيث تنتهى الخفة ثم ردّ اوترخان والعساكر عنه ليتوارى بانفراده عن عين العدو
وسار اوترخان فى أربعة آلاف فارس فخلص الى اصبهان واستولى عليها الى أن ملكها
التتر عليه سنة تسع وثلاثين وذهب السلطان مستخفيا الى باشورة آمد والناس
يظنون أن عسكره غدروا به فوقفوا يردونهم فذهب الى حدود الدربندات وقد ملئت
المضايق بالمفسدين فأشار عليه أوترخان بالرجوع فرجع وانتهى الى قرية من
قرى ميافارقين فنزل فى بيدرها وفارقه أوترخان الى شهاب الدين غازى صاحب حلب
لمكاتبات كانت بينهما فحبسه ثم طلبه الكامل فبعث به اليه محبوسا ثم سقط من سطح
فمات وهجم التتر على السلطان بالبيدر فهرب وقتل الذين كانوا معه وأخبر التتر أنه

السلطان فاتبعوه وأدركه اثنان منهم فقتلهما ويئس منه الباقون فرجعوا
عنه وصعد جبل الاكراد فوجدهم مترصدين في الطرق للنهب فسلبوه وهموا
بقتله وأسرّ الى بعضهم أنه السلطان فمضى به الى بيته ليخلصه الى بعض النواحي
ودخل البيت في غيبته بعض سفلتهم وبيده حربة وهو يطلب الثار من الخوارزمية
بأخ له قتل بخلاط فقتله ولم يغن عنه البيت وكانت الوقعة منتصف شوال سنة ثمان
وعشرين هذه سياقة الخبر من كاتب النسائي كاتب السلطان جلال الدين وأما ابن الاثير
فذكر الواقعة وانه فقد فيها وبقوا أياما في انتظار خبره ولم يذكر قتله وانتهى به التأليف
ولم يزد على ذلك قال النسائي وكان السلطان جلال الدين أسمر قصيرا تركيا شجاعا حليما
وقورا لا يضحك الا تبسما ولا يكثر الكلام مؤثرا للعدل الا أنه مغلوب من أجل الفتنة
وكان يكتب للخليفة والوحشة قائمة بينهما كما كان أبوه يكتب خادمه المطواع فلان فلما
بعث اليه بالخلع عن خلاط كامر كتب اليه عبده فلان والخطاب بعد ذلك سيدنا ومولانا
أمير المؤمنين وامام المسلمين وخليفة رب العالمين قدوة المشارق والمغارب المنيف على
الذروة العليا ابن لؤي بن غالب ويكتب لملوك الروم ومصر والشأم السلطان فلان بن
فلان ليس معها أخوه ولا محبه وعلامته على تواقيعه النصرة من الله وحده وعلامته
لصاحب الموصل بأحسن خط وشق القلم شقين ليغلظ ولما وصل من الهند كاتبه الخليفة
الجناب الرفيع الخاقاني فطلب الخطاب بالسلطان فأجيب بأنه لم تجر به عادة مع أكابر
الملوك فألح في ذلك حين حلت له الخلع فخوطب بالجناب العالي الشاهنشاهي ثم انتشر التتر
بعد هذه الواقعة في سواد آمد وأرزن وميافارقين وساروا بديار بكر فاكتسحوها وخربوها
وملكوا مدينة اسعرد عنوة فاستباحوها بعد حصار خمسة أيام ومروا بماردين
فامتنعت ثم وصلوا الى نصيبين فاكتسحوا نواحيها ثم الى سنجار وجبالها والخابور
ثم ساروا الى تدليس فأحرقوها ثم الى أعمال خلاط فاستباحوا أباكرى وارجيش
وجاءت طائفة أخرى من اذربيجان الى أعمال اربل ومروا في طريقهم بالتركمان
الايوائية والاكراد الجوزقان فنهبوا وقتلوا وخرج مظفر الدين صاحب اربل بعد
ان استمد صاحب الموصل فلم يدركهم وعادوا وبقيت البلاد قاعا صفصفا والله وارث
الارض ومن عليها وهو خير الوارثين وافترق عسكر جلال الدين منكبرس وساروا
الى كيقباد ملك الروم فأثبتهم في ديوانه واستخدمهم ثم هلك سنة أربع وثلاثين وولي
ابنه غياث الدين كيخسرو فارتاب بهم وقبض على كبيرهم وفر الباقون واكتسحوا
ما مروا به وأقاموا مستبدين بأطراف البلاد ثم استمالهم الصالح نجم الدين أيوب بن
الكامل وكان نائبا لابيه بالبلاد الشرقية حران وكيفا وآمد واستأذن أباه

في استخدامهم فأذن له كما يأتي في أخباره والله سبحانه وتعالى ولي التوفيق بمنه وفضله

جلال الدين منكبرس بن علاء الدين محمد بن تكش بن ارسلان بن أطسز بن محمد بن أنوشتكين خوارزمشاه

غياث الدين تيرشاه

مغرقشان بن ملكشاه

سلطان شاه محمود

{ الخبر عن دولة بني تتش بن البارسلان ببلاد الشأم دمشق وحلب وأعمالهما وكيف تناوبوا فيها القيام بالدعوة العباسية والدعوة العلوية الى حين انقراض أمرهم }

قد تقدم لنا استيلاء السلجوقية على الشأم لاول دولتهم وكيف سار أتسز بن أتق الخوارزمي من أمراء السلطان ملكشاه الى فلسطين ففتح الرملة وبيت المقدس وأقام فيهما الدعوة العباسية ومحا الدعوة العلوية ثم حاصر دمشق وذلك سنة ثلاث وستين

وأربعمائة ثم أقام يردد الحصار على دمشق حتى ملكها سنة ثمان وستين وسار الى مصر سنة تسع وستين وحاصرها وعاد عنها وولى السلطان ملك شاه بعد أبيه الب ارسلان سنة خمس وستين فأقطع أخاه تتش بلاد الشأم وما يفتحه من تلك النواحي سنة سبعين وأربعمائة فسار الى حلب وحاصرها وكان أمير الجيوش بدر الجمالي قد بعث العساكر لحصار دمشق وبها أتسز فبعث بالصريخ الى تاج الدولة تتش فسار لنصرته وأجفلت عساكر مصر وخرج أتسز لتلقيه فتعلل عليه ببطئه عن تلقيه وقتله واستولى على دمشق وقد تقدم ذلك كله ثم استولى سليمان بن قطلمش على انطاكية وقتل مسلم بن قريش وسار الى حلب فملكها وسمع بذلك تتش فسار اليها واقتتلا سنة تسع وسبعين وقتل سليمان بن قطلمش في الحرب وسار السلطان ملك شاه الى حلب فملكها وولى عليها قسيم الدولة اقسنقر جد نور الدين العادل ثم جاء السلطان الى بغداد سنة أربع وثمانين وسار اليه أخوه تاج الدين تتش من دمشق وقسيم الدولة اقسنقر صاحب حلب وبوزان صاحب الرها وحضروا معه صنيع المولد النبوي ببغداد فلما اوعدوه العود الى بلادهم أمر قسيم الدولة وبوزان بأن يسيرا بعسكرهما مع تاج الدولة تتش لفتح البلاد بساحل الشأم وفتح مصر من يد المستنصر العلوي ومحو الدولة العلوية منها فساروا لذلك وملك تتش حمص من يد ابن ملاعب وغزة عنوة وأماسية من يد خادم العلوي بالامان وحاصر طرابلس وبها جلال الدين بن عمار فداخل قسيم الدولة اقسنقر وصانعه بالمال في أن يشفع له عند تتش فلم يشفعه فرحل مغاضبا وأجفلوا الى جبلة وانتقض أمرهم وهلك السلطان ملك شاه سنة خمس وثمانين ببغداد وقد كان سار الى بغداد وسار تتش أخوه من دمشق للقائه وبلغه في طريقه خبر وفاته وتنازع ولده محمود وبركيارق الملك فاعتزم على طلب الامر لنفسه ورجع الى دمشق فجمع العساكر وقسم العطاء وسار الى حلب فأعطاه اقسنقر الطاعة لصغر أولاد ملك شاه والتنازع الذي بينهم وحمل صاحب انطاكية وبوزان صاحب الرها وحران على طاعته وساروا جميعا في محرم سنة ست وثمانين فحاصروا الرحبة وملكوها وخطب فيها تتش لنفسه ثم ملك نصيبين عنوة واستباحها وأقطعها لمحمد بن مسلم بن قريش ثم سار الى الموصل وبها ابراهيم بن قريش بن بدران وبعث اليه في الخطبة على منابره فامتنع وبرز للقائه في ثلاثين ألفا وكان تتش في عشرة آلاف والتقوا بالمضيع من نواحي الموصل فانهزم ابراهيم وقتل واستبيحت أحياء العرب وقتل أمراؤهم وأرسل الى بغداد في طلب الخطبة فلم يسعف الا بالوعد ثم سار الى ديار بكر فملكها في ربيع الآخر وسار منها الى اذربيجان وكان بركيارق بن ملك شاه قد استولى على الري وهمذان وكثير من بلاد الجبل فسار في العساكر لمدافعته فلما تقاربا نزع

اقسنقر وبوزان الى بركيارق وعاد تتش منهزما الى الشام وجمع العساكر واستوعب فيها الحشد وسار الى اقسنقر فى حلب فبرز اليه ومعه بوزان صاحب الرها وكربوقا الذى ملك الموصل فيما بعد ولقيهم تتش على ستة فراسخ من حلب فانهزموا وجىء باقسنقر أسيرا فقتله صبرا ولحق كربوقا وبوزان بحلب فحاصرها تتش وملكها وأخذهما أسيرين وبعث الى حران والرها فى الطاعة فامتنعوا فقتل بوزان وملكهما وحبس كربوقا بحمص ثم سار الى الجزيرة فملكها جميعا ثم الى ديار بكر وخلاط ثم اذربيجان ثم همذان وبعث الى بغداد فى الخطبة وكان بركيارق يومئذ بنصيبين فعبر دجلة الى اربل ثم منها الى بلد سرخاب بن بدر وسار الامير يعقوب بن ارتق من عسكر تتش فكبسه وهزمه ونجا الى اصبهان فكان من خبره ما تقدم وبعث تتش يوسف بن اتق التركمانى شحنة الى بغداد فمنع منها فعاث فى نواحيها ثم بلغه مهلك تتش فعاد الى حلب وهذه الاخبار كلها قد تقدمت فى أول دولة السلجوقية وانما ذكرناها هنا توطئة لدولة بنى تتش بدمشق وحلب والله أعلم

(مقتل تتش)

ولما انهزم بركيارق أمام عمه تتش لحق باصبهان وبها محمود وأهل دولته فأدخلوه وتشاوروا فى القبض عليه ثم أبقوه الى ابلال محمود من مرضه فقدر هلاك محمود وبايعوا لبركيارق فبادر الى اصبهان وقدم أميرا آخر بين يديه لاعداد الزاد والعلوفة وسارهو الى اصبهان ورجع تتش الى الرى وأرسل الى الامراء باصبهان يدعوهم ويرغبهم فأجابوه باستبراء أمر بركيارق ثم ابل بركيارق من مرضه وسار فى العساكر الى الرى فانهزم تتش وانهزم عسكره وثبت هو فقتله بعض أصحاب اقسنقر بثار صاحبه واستقام الامر لبركيارق والله تعالى أعلم

(استيلاء رضوان بن تتش على حلب)

كان تتش لما انفصل من حلب استخلف عليها أبا القاسم الحسن بن على الخوارزمى وأمكنه من القلعة ثم أوصى أصحابه قبل المصاف بطاعة ابنه رضوان وكتب اليه بالمسير الى بغداد ونزول دار السلطنة فسار لذلك وسار معه أبو الغازى بن ارتق وكان أبوه تتش تركه عنده وسار معه و   معه محمد بن صالح بن مرداس وغيرهما وبلغه مقتل أبيه عند هيت فعاد الى حلب ومعه الاميران الصغيران أبو طالب وبهرام وأمه وزوجها جناح الدولة الحسين بن افتكين لحق بهم من المعركة فلما انتهوا الى حلب امتنع أبو القاسم بالقلعة ومعه جماعة من المغاربة وهم أكثر جندها فاستمالهم جناح

الدولة فثاروا بالقلعة من الليل ونادوا بشعار الملك رضوان واحتاطوا على أبي القاسم فبعث اليه رضوان بالامان وخطب له على منابر حلب وأعمالها وأقام يتدبر دولته جناح الدولة وأحسن السيرة وخالف عليهم الامير باغيسيان بن محمد بن ايه التركماني صاحب انطاكية ثم أطاع وأشار على رضوان بقصد ديار بكر وسار معه لذلك وجاءهم أمراء الاطراف الذين كان تتش رأسهم فيها وقصدوا سروج فسبقهم اليها سلمان بن ارتق وملكها فساروا الى الرها وبها الفارقليط من الروم كان يضمن البلاد من بوزان فتحصن بالقلعة ودافعهم ثم غلبوه عليها وملكها رضوان وطلبها منه باغيسيان وخشي جناح الدولة على نفسه فلحق بحلب ورجع رضوان والامراء على أثره فسار باغيسيان فأقطعها له ثم سار الى حران وأميرها قراجا فدس اليهم بعض أهلها بالطاعة واتهم قراجا بذلك ابن المعني من أعيانها كان تتش يعتمد عليه في حفظ البلد فقتله وقتل بني أخيه ثم فسد ما بين جناح الدولة وباغيسيان وخشي جناح الدولة على نفسه فلحق بحلب ورجع رضوان والامراء على أثره فسار باغيسيان الى بلده انطاكية وسار معه أبو القاسم الخوارزمي ودخل رضوان الى حلب دار ملكه وكان من أهل دولته يوسف ابن اتق الخوارزمي الذي بعثه تتش الى بغداد شحنة وكان من القتيان بحلب وكان قنوعا وكان يعادي يوسف بن اتق فجاء الى جناح الدولة القائم بأمر رضوان ورمى يوسف بن اتق عنده بأنه يكاتب باغيسيان ويداخله في الثورة واستأذنه في قتله فأذن له وأمده بجماعة من الجند وكبس يوسف في داره فقتله ونهب فيها واستطال على الدولة وطمع في الاستبداد على رضوان ودس لجناح الدولة أن رضوان أمره بقتله فهرب الى حمص وكانت اقطاعا له واستبد على رضوان ثم تنكر له رضوان سنة تسع وثمانين وأمر بالقبض عليه فاختفى ونهبت دوره وأمواله ودوابه ثم قبض عليه فامتحن وقتل هو وأولاده

(استيلاء دقاق بن تتش على دمشق)

كان تتش قد بعث ابنه دقاقا الى أخيه السلطان ملك شاه ببغداد فأقام هنالك الى أن توفي ملك شاه فسار معه ابنه محمود وأمه خاتون الجلالية الى اصبهان ثم ذهب عنهم سرا الى بركيارق ثم لحق بأبيه وحضر معه الواقعة التي قتل فيها ولما قتل تتش أبوه سار به مولاه تكين الى حلب فأقام عند أخيه رضوان وكان بقلعة دمشق ساوتكين الخادم من موالي تتش ولاه عليها قبل موته فبعث الى دقاق يستدعيه للملك فسار اليه وبعث رضوان في طلبه فلم يدركه ووصل دمشق وكتب اليه باغيسيان صاحب انطاكية يشير عليه بالاستبداد بدمشق على أخيه رضوان ووصل معتمد الدولة

طغتكين مع جماعة من خواص تتش وكان قد حضر المعركة وأسر فخلص الآن من الاسار وجاء الى دمشق فلقيه دقاق ومال اليه وحكمه فى أمره وداخله فى مثل ساوتكين الخادم فقتلوه ووفد عليهم باغيسيان من انطاكية ومعه أبو القاسم الخوارزمى فأكرمهما واستوزر الخوارزمى وحكمه فى دولته

(الفتنة بين دقاق وأخيه رضوان)

ثم سار رضوان الى دمشق سنة تسعين وأربعمائة قاصدا انتزاعها من يد دقاق فامتنعت عليه فعاد الى مالس وقصد الورس فامتنعت عليه فعاد الى حلب وفارقه باغيسيان صاحب انطاكية الى أخيه دقاق وحض على المسير الى أخيه بحلب فسار لذلك واستنجد رضوان سكمان من سروج فى أمم من التركمان ثم كان اللقاء بقنسرين فانهزمت عساكر دقاق ونهب سوادهم وعاد رضوان الى حلب ثم سعى بينهما فى الصلح على أن يخطب لرضوان بدمشق وانطاكية قبل دقاق فانعقد ذلك بينهما ثم لحق جناح الدولة بحمص عندما عظمت فيه سعاية المنجم كما ذكرناه وكان باغيسيان منافراله فلما فصل من حلب جاء باغيسيان الى رضوان وصالحه ثم بعث الى رضوان المستعلى خليفة العلويين بمصر يعده بالامداد على أخيه على أن يخطب له على منابره وزين له بعض أصحابه صحة مذهبهم فخطب له فى جميع أعماله سوى انطاكية والمعرة وقلعة حلب ثم وفد عليه بعد شهرين من هذه الخطبة سكمان بن ارتق صاحب سروج وباغيسيان صاحب انطاكية فلم يقم بها غير ثلاث حتى وصل الفرنج فحاصروه وغلبوه على انطاكية وقتلوه كما مر فى خبره

(استيلاء دقاق على الرحبة)

كانت الرحبة بيد كربوقا صاحب الموصل فلما قتل كما مر فى خبره استولى عليها قايماز من موالى السلطان الب ارسلان فسار دقاق بن تتش ملك دمشق وأتابكه طغركين اليها سنة خمس وتسعين وحاصروها فامتنعت عليهم فعادوا عنها وتوفى قايماز صاحبها فى صفر سنة ست وتسعين وقام بأمرها حسن من موالى الاتراك فطمع فى الاستبداد وقتل جماعة من أعيان البلد وحبس آخرين واستخدم جماعة من الجند وطرد آخرين وخطب لنفسه فسار دقاق اليه وحاصره فى القلعة حتى استأمن وخرج اليه وأقطعه بالشأم اقطاعات كثيرة وملك الرحبة وأحسن الى أهلها وولى عليهم ورجع الى دمشق والله سبحانه وتعالى ولى التوفيق لارب غيره

(وفاة دقاق وولاية أخيه تلتاش ثم خلعه)

ثم توفى دقاق صاحب دمشق سنة سبع وتسعين واستقل أتابكه طغركين بالملك وخطب لنفسه سنة ثم قطع خطبته وخطب لتلتاش أخى دقاق صبيا مراهقا وخوفته أمه من طغركين بزواجه أم دقاق وأنه يميل الى ابن دقاق من أجل جدته فاستوحش وفارق دمشق الى بعلبك فى صفر سنة ثمان وتسعين ولحقه ايتكين الحلبى صاحب بصرى وكان ممن حسن له ذلك فعاثا فى نواحى خوارزم ولحق به أهل الفساد وراسلاهدويل ملك الفرنج فأجابهما بالوعد ولم يوف لهما فسارا الى الرحبة واستولى عليها تلتاش وقيل ان تلتاش لما استوحش منه طغركين من دخول البلد مضى الى حصون له وأقام بها ونصب طغركين الطفل ابن دقاق وخطب له واستبد عليه وأحسن الى الناس واستقام أمره والله تعالى ولى التوفيق وهو نعم الرفيق

(الحرب بين طغركين والفرنج أشهرا)

كان قمص من قامصة الفرنج على مرحلتين من دمشق فلج بالغارات على دمشق فجمع طغركين العساكر وسار اليه وجاء معرون ملك القدس عكا من الفرنج بانجاد القمص فأظهر العينة عليه وعاد الى عكا وقاتل طغركين القمص فهزمه وأخذ حصنه ثم حاصره حتى ملك الحصن عنوة وقتل أهله وأسر جماعته وعاد الى دمشق ظافرا غانما ثم سار الى حصن رمسة من حصون الشأم وقد ملكه الفرنج وبه ابن أخت صنجيل المقيم على طرابلس يحاصرها فحاصر طغركين حصن رمسة حتى ملكه وقتل أهله من الفرنج وخربه والله أعلم

(مسير رضوان صاحب حلب لحصار نصيبين)

ثم ان رضوان صاحب حلب اعتزم على غزو الفرنج واستدعى الامراء من النواحى لذلك فجاءه أبو الغازى بن ارتق الذى كان شحنة بغداد وأصبهان وصباوو وألبى بن ارسلان ماش صاحب سنجر وهو صهر جكرمس صاحب الموصل وأشار أبو الغازى بالمسير الى بلاد جكرمس للاستكثار بعسكرها وأموالها وافقه ألبى وساروا الى نصيبين فى رمضان سنة تسع وتسعين وأربعمائة فحاصروها وفيها أميران من قبل جكرمس واشتد الحصار وجرح ألبى بن ارسلان بسهم أصابه فعاد الى سنجر وأجفل أهل السواد الى الموصل وعسكر جكرمس بظاهرها معتزما على الحرب ثم كاتب أعيان العسكر وحثهم على رضوان وأمر أصحابه بنصيبين باظهار طاعته وطلب الصلح معه وبعث الى رضوان بذلك والامداد بما يشاؤه على أن يقبض على أبى الغازى فمال الى ذلك واستدعى أبا الغازى فخبره أن المصلحة فى صلح جكرمس ليستعينوا به فى غزو

الفرنج وجمع شمل المسلمين فجاء به أبو الغازى بالمنع من ذلك ثم قبض عليه وقيده فانتقض التركمان ولجؤا الى سور المدينة وقاتلوا رضوان وبعث رضوان بأبى الغازى الى نصيبين فخرجت منها العساكر لامداده فافترق منها التركمان ونهبوا ما قدروا عليه ورحل رضوان من وقته الى حلب وانتهى الخبر الى جكرمس بتل أعفر وهو قاصد حرب القوم فرحل عند ذلك الى سنجار وبعث اليه رضوان فى الوفاء بما وعده من النجدة فلم يف له ونازل صهره ابى بن ارسلان بسنجر وهو جريح من السهم الذى أصابه على نصيبين فخرج اليه ابى محمولا واعتذر اليه فأعتبه وأعاده الى بلده فمات وامتنع أصحابه بسنجار رمضان وشوالا ثم خرج اليه عم ابى وصالح جكرمس وعاد الى الموصل والله سبحانه وتعالى ولى التوفيق عنه

(استيلاء الفرنج على افامية)

كان خلف بن ملاعب الكلابى فى حمص وملكها منه تاج الدولة تتش فسار الى مصر وأقام بها ثم بعث صاحب افامية من جهة رضوان بن تتش بطاعته الى صاحب مصر العلوى فبعث اليها ابن ملاعب وملكها وخلع طاعة العلوية وأقام يخيف السبيل كما كان فى حمص فلما ملك الافرنج سرمين لحق به قاضيها وكان على مذهب الرافضة فكتب الى ابن الطاهر الصائغ من أكابر الغلاة ومن أصحاب رضوان وداخلهم فى الفتك بابن ملاعب ونمى الخبر اليه من أولاده فحلف له القاضى بما اطمأن اليه وتحيل مع ابن الصائغ فى جند من قبلهم يستأمنون الى ابن ملاعب ويعطونه خيلهم وسلاحهم ويقيمون للجهاد معه ففعلوا وأنزلهم بربض افامية ثم بيته القاضى ليلا بمن معه من أهل سرمين ورفع أولئك الجند من الربض بالحبال وقتلوا ابن ملاعب فى بيته وقتلوا معه ابنه وفر الآخر الى أبى الحسن بن منقذ صاحب شيرز وجاء الصائغ من حلب الى القاضى فطردوه واستبد بافامية وكان بعض أولاد ابن ملاعب عند طغركين وولاه حماية بعض الحصون فعظم ضرره فطلب طغركين فهرب الى الافرنج وأغراهم بافامية ودلهم على عورتها وعدم الاقوات فيها فحاصروها شهرا وملكوها عنوة وقتلوا القاضى والصائغ وذلك سنة تسع وتسعين وقد ذكرنا قبل أن الصائغ قتله ابن بديع وتتش صاحب حلب مهلك رضوان فالله أعلم أيهما الصحيح ثم ملك صاحب انطاكية من الافرنج حصن الامارة بعد حصار طويل فملكه عنوة واستلحم أهله وفعل فى ذرية مثل ذلك ورحل أهل منبج وبالس وتركوهما خاويين وملكوا حيد بالامان وطلب الفرنج من أهل الحصون الاسلامية الجزية فأعطوهم ذلك على ضريبة فرضوها عليهم فكان على رضوان فى حلب وأعمالها ثلاثون ألف دينار وعلى صور سبعة آلاف وعلى ابن منقذ فى شيرز

أربعة آلاف وعلى حماة ألف دينار وذلك سنة خمس وخمسمائة

* (استيلاء طغركين على بصرى) *

قد تقدم لنا سنة سبع وتسعين حال تلتاش بن تتش والخطبة له بعد أخيه دقاق وخروجه من دمشق واستنجاده الفرنج وان الذى تولى كبر ذلك كله اسكين الحلى صاحب بصرى فسار طغركين سنة المائة الخامسة الى بصرى وحاصرها حتى أذعنوا وضربوا له أجلا للفرنج فعادا الى دمشق حتى انقضى الاجل فأتوه طاعتهم وملك البلد وأحسن اليهم والله تعالى ولى التوفيق لا رب غيره

* (غزو طغركين وهزيمته) *

ثم سار طغركين سنة اثنتين وخمسمائة الى طبرية ووصل اليها ابن أخت بقدوين ملك القدس من الفرنج فاقتتلوا فانهزم المسلمون أولا فنزل طغركين ونادى بالمسلمين فكروا وانهزم الفرنج وأسر ابن أخت بقدوين وعرض طغركين عليه الاسلام فامتنع فقتله بيده وبعث بالاسرى الى بغداد ثم انعقد الصلح بين طغركين وبقدوين بعد أربع سنين وسار بعدها طغركين الى حصن عرقة في شعبان من السنة وكان بيد مولى القاضى فخر الملك بن على بن عمار صاحب طرابلس فعصى عليه وحاصره الافرنج وانقطعت عنه الميرة فأرسل الى طغركين صاحب دمشق أن يمكنه من الحصن فأرسل اليه اسرائيل من أصحابه فملك الحصن وقتل صاحبه مولى بن عمار غيلة ليستأثر بخلفه فانتظر طغركين دخول الشتاء وسار الى الحصن لينظر في أمره وكان اسردانى من الافرنج يحاصر طرابلس فلما سمع بوصول طغركين حصن الاكمة أغذ السير اليه فهزمه وغنم سواده ولحق طغركين بحمص ونازل أسردانى عرقة فاستأمنوا اليه وملكها وقبض على اسرائيل فادى به أسيرا كان لهم بدمشق منذ سبع سنين ووصل طغركين الى دمشق ثم قصد ملك الافرنج رمسة من أعمال دمشق فملكها وشحنها بالاقوات والحامية فقصدها طغركين بعد أن نمى اليه الخبر بضعف الحامية الذين بها فكبسها عنوة وأسر الافرنج الذين بها والله سبحانه وتعالى أعلم

* (انتقاض طغركين على السلطان محمد) *

كان السلطان محمد بن ملك شاه قد أمر مودود بن بوشكين صاحب الموصل بالمسير لغزو الافرنج لان ملك القدس تابع الغارات على دمشق سنة ست وخمسمائة واستصرخ طغركين بمودود فجمع العساكر وسار سنة تسع ولقيه طغركين بسلمية وقصدوا القدس وانتهوا الى الاقحوانة على الاردن وجاء بقدوين فنزل قبالتهما على النهر ومعه جوسكين

صاحب جيشه واقتتلوا منتصف محرّم سنة عشر على بحيرة طبرية فانهزم الافرنج وقتل منهم كثير وغرق كثير في بحيرة طبرية ونهر الاردنّ ولقيتهم عساكر طرابلس وانطاكية فاشتدّوا وأقاموا بجبل قرب طبرية وحاصرهم المسلمون فيه ثم يئسوا من الظفر به فساحوا في بلادهم واكتسحوها وخربوها ونزلوا مرج الصفر وأذن مودود للعساكر في العود والراحة ليتهيؤا للغزو سلخ الشتاء ودخل دمشق آخر ربيع من سنة ليقيم عند طغركين تلك المدّة وصلى معه أوّل جمعة ووثب عليه باطني بعد الصلاة فطعنه ومات آخر يومه واتهم طغركين بقتله وولى السلطان مكانه على الموصل اقسنقر البرسقي فقبض على ايازبن أبي الغازي وأبيه صاحب حصن كيفا فسار بنو أرتق الى البرسقي وهزموه وتخلص ايازمن أسره فلحق أبو الغازي أبوه بطغركين صاحب دمشق وأقام عنده وكان مستوحشا من السلطان محمد لاتهامه بقتل مودود فبعث الى صاحب انطاكية من الفرنج وتحالفوا على المظاهرة وقصد أبو الغازي ديار بكر فظفر به قيرجان ابن قراجا صاحب حمص وأسره وجاء طغركين لاستنقاذه فحلف قيرجان ليقتلنه ان لم يرجع طغركين الى بلاده وانتظار وصول العساكر من بغداد تحمله فأبطأت فأجاب طغركين الى اطلاقه ثم بعث السلطان محمد العساكر لجهاد الافرنج والبداءة بقتال طغركين وأبي الغازي فساروا في رمضان سنة ثمان وخمسمائة ومقدمهم برسق ابن برسق صاحب همذان وانتهوا الى حلب وبعثوا الى متوليها لؤلؤ الخادم ومقدم عسكرها شمس الخواص يأمرونهما بالنزول عنها وعرضوا عليهما كتب السلطان بذلك فدافعا بالوعد واستحثا طغركين وأبا الغازي في الوصول فوصلا في العساكر وامتنعت حلب على العساكر وأظهروا العصيان فسار برسق الى حماة وهي لطغركين فملكها عنوة ونهبها ثلاثا وسلمها الى الامير قيرجان صاحب حمص وكان جميع ما يفتحه من البلاد له بأمر السلطان فانتقض الامراء من ذلك وكسلوا عن الغزو وسار أبو الغازي وطغركين وشمس الخواص الى انطاكية يستنجدون صاحبها جيل من الافرنج ثم تواعدوا الى انصرام الشتاء ورجع أبو الغازي الى ماردين وطغركين الى دمشق ثم كان في اثر ذلك هزيمة المسلمين واستشهد برسق وأخوه زنكي وقد تقدّم خبر هذه الهزيمة في أخبار البرسقي ثم قدم السلطان محمد بغداد فوفد عليه اتابك طغركين صاحب دمشق في ذي القعدة من سنة تسع مستعينا فأعانه وأعاده الى بلده والله سبحانه وتعالى أعلم

(وفاة رضوان بن تتش صاحب حلب وولاية ابنه الب ارسلان)

ثم توفي رضوان بن تتش صاحب حلب سنة تسع وخمسمائة وقد كان قتل أخويه

أباطالب وبهرام وكان يستعين بالباطنية في أموره ويداخلهم ولما توفي بايع مولاه لؤلؤ الخادم لابنه البارسلان صبيا مغتلما وكانت في لسانه حبسة فكان يلقب الاخرس وكان لؤلؤ مستبدا عليه ولاول ملكه قتل أخويه وكل ملكشاه منهما شقيقه وكانت الباطنية كثيرا في حلب في أيام رضوان حتى خافهم ابن بديع وأعيانها فلما توفي أذن لهم البارسلان في الايقاع بهم فقبضوا على مقدمهم ابن طاهر الصائغ وجماعة من أصحابهم فقتلوهم وافترق الباقون

مهلك لؤلؤ الخادم واستيلاء أبي الغازي ثم مقتل البارسلان وولاية أخيه السلطان شاه

كان لؤلؤ الخادم قد استولى على قلعة حلب وولى أتابكية البارسلان ابن مولاه رضوان ثم تنكر له فقتله لؤلؤ ونصب في الملك أخاه سلطان شاه واستبد عليه فلما كان سنة احدى عشرة سار الى قلعة جعفر للاجتماع بصاحبها سالم بن مالك فغدر به مماليكه الاتراك وقتلوه عند خرتبرت وأخذوا خزائنه واعترضهم أهل حلب فاستعادوا منهم ما أخذوه وولى أتابكية سلطان شاه بن رضوان شمس الخواص يارقياس وعزل لشهر وولى بعده أبو المعالي بن الملحي الدمشقي ثم عزل وصودر واضطربت الدولة وخاف أهل حلب من الافرنج فاستدعوا أبا الغازي بن أرتق وحكموه على أنفسهم ولم يجد فيها مالا فصادر جماعة الخدم وصانع بمالهم الافرنج حتى صار الى ماردين بنية العود الى حمايتها واستخلف عليها ابنه حسام الدين مرتاش وانقرض ملك رضوان بن تتش من حلب والله سبحانه وتعالى أعلم

(هزيمة طغركين أمام الافرنج)

كان ملك الافرنج بقدوين صاحب القدس قد توفي في سنة ثنتي عشرة وقام بملكهم بعده القمص صاحب الرها الذي كان أسره جكرمس وأطلقه جاولي كما تقدم في أخبارهم وبعث الى طغركين في المهادنة وكان قد سار من دمشق لغزوهم فأبى من اجابته وسار الى طبرية فنهبها واجتمع بقواد المصريين في عسقلان وقد أمرهم صاحبهم بالرجوع الى رأي طغركين ثم عاد الى دمشق وقصد الافرنج حصنا من أعماله فاستأمن اليهم أهله وملكوه ثم قصدوا أذرعات فبعث طغركين ابنه بوري لمدافعتهم فتنحوا عن أذرعات الى جبل هنالك وحاصرهم بوري وجاء اليه أبوه طغركين فراسلوه ليفرج عنهم فأبى طمعا في أخذهم فاستماتوا وحملوا على المسلمين حملة صادقة فهزموهم ونالوا منهم ورجع الفل الى دمشق وسار طغركين الى أبي الغازي بحلب يستنجده فوعده بالنجدة وسار الى

ماردين للحشد ورجع طغركين الى دمشق كذلك وتواعدوا للجبال وسبق الافرنج الى حلب وكان بينه وبين أبي الغازي ماذكره في موضعه من دولة بني ارتق والله سبحانه وتعالى ولي التوفيق لارب غيره

(منازلة الافرنج دمشق)

ثم اجتمع الافرنج سنة عشرين وخمسمائة ملوكهم وقمامصتهم وساروا الى دمشق ونزلوا مرج الصفر وبعث أتابك طغركين بالصريخ الى تركمان بديار بكر وغيرها وخيم قبالة الافرنج واستخلف ابنه بوري على دمشق ثم ناجزهم الحرب آخر السنة فاشتد القتال وصرع طغركين عن فرسه فانهزم المسلمون وركب طغركين واتبعهم ومضت خيالة الافرنج في اتباعهم وبقي رجالة التركمان في المعركة فلما خلص اليهم رجالة الافرنج اجتمعوا واستماتوا وحملوا على رجالة الافرنج فقتلوهم ونهبوا معسكرهم وعادوا غانمين ظافرين الى دمشق ورجعت خيالة الافرنج من اتباعهم منهزمين فوجدوا معسكرهم منهوبا ورجالتهم قتلى وكان ذلك من الصنع الغريب

(وفاة طغركين وولاية ابنه بوري)

ثم توفي أتابك طغركين صاحب دمشق في صفر سنة ثنتين وعشرين وكان من موالي تاج الدولة تتش وكان حسن السيرة مؤثرا العدل محببا في الجهاد ولقبه ظهير الدين ولما توفي ملك بعده ابنه تاج الدولة بوري أكبر أولاده بعهده اليه بذلك واقر وزير أبيه ابا على طاهر بن سعد المزدغاني على وزارته وكان المزدغاني يرى رأي الرافضة الاسماعيلية وكان بهرام ابن أخي ابراهيم الاسترابادي لما قتل عمه ابراهيم ببغداد على هذا المذهب لحق بالشام وملك قلعة بانياس ثم سار الى دمشق وأقام بها خليفة يدعو الى مذهبه ثم فارقها وملك القرموس وغيره من حصون الجبال وقابل البصرية والدرزية بوادي التيم من أعمال بعلبك سنة ثنتين وعشرين وغلبهم الضحاك وقتل بهرام وكان المزدغاني قد أقام له خليفة بدمشق يسمى أبا الوفاء فكثر اتباعه وتحكم في البلد وجاء الخبر الى بوري بأن وزيره المزدغاني والاسماعيلية قد راسلوا الافرنج بأن يملكوهم دمشق فجاء اليها وقتل المزدغاني ونادى بقتل الاسماعيلية وبلغ الخبر الى الافرنج فاجتمع صاحب القدس وصاحب انطاكية وصاحب طرابلس وسائر ملوك الافرنج وساروا لحصار دمشق واستصرخ تاج الملك بالعرب والتركمان وجاء الافرنج في ذي الحجة من السنة وبثوا سراياهم للنهب والاغارة ومضت منها سرية الى حوران فبعث تاج الدولة بوري سرية من المسلمين مع شمس الخواص من أمرائه لمدافعتهم فلقوهم وظفروا بهم واستلحموهم

وبلغ الخبر الى الافرنج فأجفلوا منهزمين وأحرقوا مخلفه واتبعهم المسلمون يقتلون ويأسرون والله تعالى ولى التوفيق

(أسر تاج الملك لدبيس بن صدقة وتمكين عماد الدين زنكى منه)

كان بصرخد من أرض الشأم أميرا عليها فتو فى سنة خمس وعشرين وخلف سريته واستولت على القلعة وعلمت أنه لا يتم لها استيلاؤها الا بتزويج رجل من أهل العصابة فوصف لها دبيس فكتبت اليه تستدعيه وهو على البصرة منابذا للسلطان عندما رجع من عند سنجر فاتخذ الادلاء وسار الى صرخد فضل به الدليل بنواحى دمشق ونزل على قوم من بنى كلاب شرقى الغوطة فحملوه الى تاج الملك فحبسه وبعث به الى عماد الدين زنكى يستدعيه ويتهدده على منعه وأطلق سونج بن تاج الملوك والامراء الذين كانوا مأسورين معه فبعث تاج الملك بدبيس اليه وأشفق على نفسه فلما وصل الى زنكى خالف ظنه وأحسن اليه وبدخلته وبسط أمله وبعث فيه المسترشد أيضا يطلبه وجاء فيه الانبارى وسمع فى طريقه باحسان زنكى اليه فرجع ثم أرسل المسترشد ليشفع فيه فأطلق

(وفاة تاج الملوك بورى صاحب دمشق وولاية ابنه شمس الملوك اسمعيل)

كان تاج الملوك بورى قد ثار به جماعة من الباطنية سنة خمس وعشرين وطعنوه فأصابته جراحة واندملت ثم انتقضت عليه فى رجب من سنة ست وعشرين لاربع سنين ونصف من امارته وولى بعده ابنه شمس الملوك اسمعيل بعهده اليه بذلك وكان عهد بمدينة بعلبك وأعمالها لابنه الآخر شمس الدولة وقام بتدبير أمره الحاجب يوسف ابن فيروز شحنة دمشق وأحسن الى الرعية وبسط العدل فيهم والله سبحانه وتعالى أعلم

(استيلاء شمس الملوك على الحصون)

ولما تولى شمس الملوك اسمعيل وسار أخوه محمد الى بعلبك خرج اليها وحاصر أخاه محمدا بها وملك البلد واعتصم محمد بالحصن وسأل الابقاء فأبقى عليه ورجع الى دمشق ثم سار الى بانياس وقد كان الافرنج الذين بها نقضوا الصلح وأخذوا جماعة من تجار دمشق فى بيروت فسار اليها طاويا وجه مذهبه حتى وصلها فى صفر سنة سبع وعشرين وقاتلها ونقب أسوارها وملكها عنوة ومثل بالافرنج الذين بها واعتصم فلهم بالقلعة حتى استأمنوا وملكها ورجع الى دمشق ثم بلغه ان المسترشد زحف الى الموصل فطمع هو فى حماة وسار آخر رمضان وملكها يوم الفطر من غده فاستأمنوا اليه وملكها واستولى على ما فيها ثم سار الى قلعة شيزر وبها صاحبها من بنى منقذ فحاصرها وصانعه

صاحبها عيال جاولي اليه فأفرج عنه وسار الى دمشق فى ذى القعدة من السنة ثم سار في محرم سنة ثمان وعشرين الى حصن شقيف فى الجبل المطل على بيروت وصيدا وبه الضحاك بن جندل رئيس وادي التيم قد تغلب عليه وامتنع به وتحاماه المسلمون والافرنج يحتمي من كل طائفة بالاخرى فسار اليه وملكه من وقته وعظم ذلك على الافرنج فسار والى حوران وعاثوا فى نواحيها فاحتشد هو واستنجد بالتركمان وسار حتى نزل قبالتهم وجهز العسكر هنالك وخرج فى البر وأناخ على طبرية وعكا فاكتسح نواحيها وامتلأت أيدى عسكره بالغنائم والسبي وانتهى الخبر الى الافرنج بمكانهم من بلاد حوران فأجفلوا الى بلادهم وعاد هو الى دمشق وراسله الافرنج فى تجديد الهدنة فهادنهم

(مقتل شمس الملوك وولاية أخيه شهاب الدين محمود)

كان شمس الملوك سيئ السيرة كثير الظلم والعدوان على رعيته مرهف الحد لاهله وأصحابه حتى انه وثب عليه بعض مماليك جده سنة سبع وعشرين وعلاه بالسيف ليقتله فأخذ وضرب فأقر على جماعة داخلوه فقتلهم وقتل معهم أخاه سونج فتنكر الناس له وأشيع عنه بأنه كاتب عماد الدين زنكي ليملكه دمشق واستحثه فى الوصول لئلا يسلم البلد الى الافرنج فسار زنكي فصدق الناس الاشاعة وانتقض أصحاب أبيه لذلك وشكوا الى امه فأشفقت ثم تقدمت الى غلمانه بقتله فقتلوه فى ربيع الآخر سنة تسع وعشرين وقيل انه اتهم أمه بالحاجب يوسف بن فيروز فاعتزم على قتلها فهرب يوسف وقتلته أمه ولما قتل ولى أخوه شهاب الدين محمود من بعده ووصل أتابك زنكي بعد مقتله فحاصر دمشق من ميدان الحصار وجدوا فى مدافعته والامتناع عليه وقام فى ذلك معين الدين أنز مملوك جده طغراكين مقاما محمودا وجلا فى المدافعة والحصار ثم وصل رسول المسترشد أبو بكر بن بشر الجزرى الى أتابك زنكي يأمره بمسالمة صاحب دمشق الملك البارسلان شهاب الدين محمود وصلحه معه فرحل عن دمشق منتصف السنة

(استيلاء شهاب الدين محمود على حمص)

كانت حمص لقيرجان بن قراجا ولولده من بعده والموالى بها من قبلهما وطالبهم عماد الدين زنكي فى تسليمها وضايقهم فى نواحيها فراسلوا شهاب الدين صاحب دمشق فى أن يملكها ويعوضهم عنها بتدمر فأجاب واستولى على حمص وسار اليها سنة ثلاثين وأقطعها المملوك جده معين الدين أنز وأنزل معه حامية من عسكره ورجع الى

دمشق واستأذنه الحاجب يوسف بن فيروز في العود من تدمر الى دمشق وقد كان هرب اليها كما قدمناه وكان جماعة من الموالي منحرفين عنه بسبب ما تقدم في مقتل سونج فنكروا ذلك فلاطفهم ابن فيروز واسترضاهم وحلف لهم انه لا يتولى شيأ من الامور ولما دخل رجع الى حاله فوثبوا عليه وقتلوه وخيموا بظاهر دمشق واشتطوا في الطلب فلم يسعفوا بكلمة فلحقوا بشمس الدولة محمد بن تاج الملوك في بعلبك وبثوا السرايا الى دمشق فعاثت في نواحيها حتى أسعفهم شهاب الدين بكل ما طلبوه فرجعوا الى ظاهر دمشق وخرج لهم شهاب الدين وتحالفوا ودخلوا الى البلد وولي مرواش كبيرهم على العساكر وجعل اليه الحل والعقد في دولته والله أعلم

(استيلاء عماد الدين زنكي على حمص وغيرها من أعمال دمشق)

ثم سار أتابك زنكي الى حمص في شعبان سنة احدى وثلاثين وقدم اليه حاجبه صلاح الدين الباغيسياني وهو أكبر أمرائه مخاطبا واليها معين الدين أنز في تسليمها فلم يفعل وحاصرها فامتنعت عليه فرحل عنها آخر شوال من السنة ثم سار سنة ثنتين وثلاثين الى نواحي بعلبك فملك حصن المحولي على الامان وهو اصاحب دمشق ثم سار الى حمص وحاصرها وعاد ملك الروم الى حلب فاستدعى الفرنج وملك كثيرا من الحصون مثل عين زربة وتل حمدون وحصر انطاكية ثم رجع وأفرج أتابك زنكي خلال ذلك عن حمص ثم عاود منازلتها بعد مسير الروم وبعث الى شهاب الدين صاحب دمشق يخاطب اليه امه مردخاتون ابنة جاولي طمعا في الاستيلاء على دمشق فزوجها له ولم يظفر بما أمله من دمشق وسلموا له حمص وقلعتها وحملت اليه خاتون في رمضان من السنة والله أعلم

(مقتل شهاب الدين محمود وولاية أخيه محمد)

لما قتل شهاب الدين محمود في شوال سنة ثلاث وثلاثين اغتاله ثلاثة من مواليه في مضجعه بخلوته وهربوا فنجا واحد منهم وأصيب الآخران كتب معين الدين أنز الى أخيه شمس الدين محمد بن بوري صاحب بعلبك بالخبر فسارع ودخل دمشق وتبعه الجند والاعيان وفوض أمر دولته الى معين الدين أنز أول جده وأقطعه بعلبك واستقامت أموره

(استيلاء زنكي على بعلبك وحصاره دمشق)

ولما قتل شهاب الدين محمود وبلغ خبره الى أمه خاتون زوجة أتابك زنكي بحلب عظم جزعها عليه وأرسلت الى زنكي بالخبر وكان بالجزيرة وسألت منه الطلب بثاره بانفسار

الى دمشق واستعدوا للحصار فعدل الى بعلبك وكانت لمعين الدين أنز كما قلناه وكان
أتابك زنكى دس اليه الاموال ليمكنه من دمشق فلم يفعل فسار الى بلده بعلبك وجد
فى حربها ونصب عليها المجانيق حتى استأمنوا اليه وملكها فى ذى الحجة آخر سنة ثلاث
وثلاثين واعتصم جماعة من الجند بقلعتها ثم استأمنوا فقتلهم وأرهب الناس بهم
ثم سار الى دمشق وبعث الى صاحبها فى تسليمها والنزول عنها على أن يعوضه عنها فلم يجب
الى ذلك فزحف اليها ونزل داريا منتصف ربيع الاول سنة أربع وثلاثين وبرزت اليه
عساكر دمشق فظفر بهم وهزمهم ونزل المصلى وقاتلهم فهزمهم ثانيا ثم امسك عن
قتالهم عشرة أيام وتابع الرسل اليه بأن يعوضه عن دمشق ببعلبك او حمص أو ما يختاره
فمنعه أصحابه فعاد زنكى الى القتال واشتد فى الحصار والله سبحانه وتعالى أعلم
وبه التوفيق

(وفاة جمال الدين محمد بن بورى وولاية ابنه مجير الدين أنز)

ثم توفى جمال الدين محمد بن بورى صاحب دمشق رابع شعبان سنة أربع وثلاثين وزنكى
محاصر به وهو معه فى مراوضة الصلح وجمع زنكى فيما عساه أن يقع بين الامراء من
الخلاف فاشتد فى الزحف فما وهنوا لذلك وولوا من بعد جمال الدين محمدا ابنه مجير الدين
أنز وقام بتربيته وتدبير دولته معين الدين أنز مدبر دولته وأرسل الى الافرنج يستنجدهم
على مدافعة زنكى على أن يحاصر قاشاش فاذا افتتحها أعطاهم اياها فأجابوا الى ذلك
حذرا من استطالة زنكى بملك دمشق فسار زنكى للقائهم قبل اتصالهم بعسكر دمشق
ونزل حوران فى رمضان من السنة تخام الافرنج عن لقائه وأقاموا ببلادهم فعاد
زنكى الى حصار دمشق فى شوال من السنة ثم أحرق قرى المرج والغوطة ورحل عائدا
الى بلده ثم وصل الافرنج الى دمشق بعد رحيله فسار معهم معين الدين أنز الى قاشاش
من ولاية زنكى ليفتحها ويعطيها للافرنج كما عاهدهم عليه وقد كان واليها أغار على
مدينة صور ولقيه فى طريقه صاحب انطاكية وهو قاصد الى دمشق لانجاد صاحبها
على زنكى فقتل الوالى ومن معه من العسكر ولجأ الباقون الى قاشاش وجاء معين الدين
أنز اثر ذلك فى العساكر فملكها وسلمها للافرنج وبلغ الخبر الى أتابك زنكى فسار الى
دمشق بعد ان فرق سراياه وبعوثه على حوران وأعمال دمشق وسار هو متجردا اليها
فصبحها وخرج العسكر لقتاله فقاتلهم عامة يومه ثم تأخر الى مرج راهط وانتظر بعوثه
حتى وصلوا اليه وقد امتلأت أيديهم بالغنائم ورحل عائدا الى بلده

(مسير الافرنج لحصار دمشق)

كان الافرنج منذ ملكوا سواحل الشأم ومدنه تسير اليهم أمم الافرنج من كل ناحية من بلادهم مددا لهم على المسلمين لما يرونه من تفرد هؤلاء بالشأم بين عدوهم وسار في سنة ثلاث وأربعين ملك الالمان من أمراء الافرنج من بلاده في جموع عظيمة قاصدا بلاد الاسلام لا يشك في الغلب والاستيلاء لكثرة عساكره وتوفر عدده وأمواله فلما وصل الشأم اجتمع عليه عساكر الافرنج الذين له ممتثلين أمره فأمرهم بالمسير معه الى دمشق فساروا والذلك سنة ثلاث وأربعين وحاصروها فقام معين الدين أنز في مدافعتهم المقام المحمود ثم قاتلهم الافرنج سادس ربيع الاول من السنة فنالوا من المسلمين بعد الشدة والمصابرة واستشهد ذلك اليوم الفقيه حجة الدين يوسف الفندلاوى المغربي وكان عالما زاهدا وسأله معين الدين يومئذ في الرجوع لضعفه وسنه فقال له قد بعت واشترى مني فلا أقيل ولا أستقيل يشير الى آية الجهاد وتقدم حتى استشهد عند اسرت على نصف فرسخ من دمشق واستشهد معه خلق وقوى الافرنج ونزل ملك الالمان الميدان الاخضر وكان عماد الدين زنكي صاحب الموصل قد توفى في سنة احدى وأربعين وولي ابنه سيف الدين غازى الموصل وابنه نور الدين محمود حلب فبعث معين الدين أنز الى سيف الدين غازى صاحب الموصل يستنجده فجاء لانجاده ومعه أخوه نور الدين وانتهوا الى مدينة حمص وبعث الى الافرنج يتهددهم فاضطروا الى قتاله وانقسمت مؤنتهم بين الفريقين وأرسل معين الدين الى الالمان يتهددهم بتسليم البلد الى ملك المشرق يعني صاحب الموصل وأرسل الى فرنج الشأم يحذرهم من استيلاء ملك الالمان على دمشق فانه لا يبقى لكم معه مقام في الشأم ووعدهم بحصن قاشاش فاجتمعوا الى ملك الالمان وخوفوه من صاحب الموصل أن يملك دمشق فرحل عن البلد وأعطاهم معين الدين قلعة قاشاش وعاد ملك الالمان الى بلاده على البحر المحيط في أقصى الشمال والمغرب ثم توفى معين الدين أنز مدبر دولة اتق والمتغلب عليه سنة أربع وأربعين لسنة من حصار ملك الالمان والله أعلم

(استيلاء نور الدين محمود العادل على دمشق وانقراض دولة بني تتش من الشأم)

كان سيف الدين غازى بن زنكي صاحب الموصل قد توفي في سنة أربع وأربعين وملك أخوه قطب الدين وانفرد أخوه الآخر نور الدين محمود بحلب وما يليها وتجرد لطلب دمشق والجهاد الافرنج واتفق أن الافرنج سنة ثمان وأربعين ملكوا عسقلان من يد خلفاء العلوية لضعفهم كما مر في أخبار دولتهم ولم يجد نور الدين سبيلا الى ارتجاعها منهم لاعتراض دمشق بينه وبينهم ثم طمعوا في ملك دمشق بعد عسقلان وكان أهل دمشق يؤدون اليهم الضريبة فيدخلون لقبضها ويحكمون فيهم ويطلقون من

آسرى الافرنج الذين بها كل من أراد الرجوع الى أهله تخشى نور الدين عليها من
الافرنج ورأى انه ان قصدها استنصر صاحبها عليه بالافرنج فراسل صاحبها مجير الدين
واستماله بالهدايا حتى وثق به فكان يغريه بأمرائه الذين يجد بهم القوة على المدافعة
واحدا واحدا ويقول له ان فلانا كاتبني بتسليم دمشق فيقتله مجير الدين حتى كان
آخرهم عطاء بن حافظ السلمي الخادم وكان شديدا في مدافعة نور الدين فأرسل الى مجير
الدين بمثلها فيه فقبض عليه وقتله فسار حينئذ نور الدين الى دمشق بعد ان كاتب
الاحداث الذين بها واستمالهم فوعدوه وأرسل مجير الدين الى الافرنج
س نور الدين على أن يعطيهم بعلبك فأجابوه وشرعوا في الحشد وسبقهم نور الدين الى
دمشق فثار الاحداث الذين كاتبهم وفتحوا له الباب الشرقي فدخل منه وملكها
واعتصم مجير الدين بالقلعة فراسله في النزول عنها وعوضه مدينة حمص فسار اليها ثم
عوضه عن حمص بالس فلم يرضها وسار الى بغداد واختط بها دارا قرب النظامية
وتوفي بها واستولى نور الدين على دمشق وأعمالها واستضافها الى ملكه بحلب وانقرض
ملك بني تتش من الشام والبلاد الفارسية أجمع والبقاء لله وحده والله مالك الملك
لارب غيره سبحانه وتعالى

مجير الدين ابق بن شمس الدين محمد بن تاج الملوك بوري بن طغركين اتابك دقاق بن تتش بن الب ارسلان

شمس الملوك اسمعيل

المستبد عليه معين الدين انز اتابك

تلتاش

سلطان شاه

{ الخبر عن دولة قطلمش وبنيه ملوك قونية وبلاد الروم من السلجوقية ومبادى أمورهم وتصاريف أحوالهم }

كان قطلمش هذا من عظماء أهل هذا البيت ونسبه فيهم مختلف فقيل قطلمش بن يبقو وابن الاثير تارة يقول قطلمش ابن عم طغرلبك وتارة يقول قطلمش بن اسرائيل من سلجوق ولعله بيان ذلك الاجمال ولما انتشر السلجوقية فى البلاد طالبين للملك دخل قطلمش هذا الى بلاد الروم وملك قونية وأقصرا ونواحيها وبعثه السلطان طغرلبك بالعساكر مع قريش بن بدران صاحب الموصل فى طلب دبيس بن مزيد عندما أظهر الدولة العلوية فى الحلة وأعمالها فهزمهم دبيس والبساسيرى كما تقدم فى أخبارهم ثم

عصى على السلطان الب ارسلان بعد طغرلبك وقصد الرى ليملكه وقاتله الب ارسلان سنة
ست وخمسين فانهزم عسكر قطلمش ووجد بين القتلى فتجمع له الب ارسلان وقعد للعزاء
فيه كما تقدم فى أخبارهم وقام بأمره ابنه سليمان وملك قونية وأقصرا وغيرهما من
الولاية التى كانت بيد أبيه وافتتح انطاكية من يد الروم سنة سبع وسبعين وأربعمائة
وقد كانوا ملكوها منذ خمس وخمسين وأربعمائة فأخذها منهم وأضافها الى ملكه
وقد تقدم خبر ملكه اياها فى دولتهم وكان لمسلم بن قريش صاحب الموصل ضريبة على
الروم بانطاكية فطالب بها سليمان بن قطلمش فامتعض لذلك وأنف منه فجمع مسلم
العرب والتركمان لحصار انطاكية ومعه جق أمير التركمان والتقيا سنة ثمان وسبعين
وانحاز جق الى سليمان فانهزم العرب وسار سليمان بن قطلمش لحصار حلب فامتنعت عليه
وسألوه الامهال حتى يكاتب السلطان ملك شاه ودسوا الى تاج الدولة تتش صاحب
دمشق يستدعونه فأغذ السير واعترضه سليمان بن قطلمش على غير تعبية فانهزم وطعن
نفسه بخنجر فمات وغنم تتش معسكره وملك بعده ابنه قليج ارسلان وأقام فى سلطانه
ولما زحف الافرنج الى سواحل الشام سنة تسعين وأربعمائة جعلوا طريقهم على
القسطنطينية فمنعهم من ذلك ملك الروم حتى شرط عليهم أن يعطوه انطاكية اذا
ملكوها فأجابوا الى ذلك وعبروا خليج القسطنطينية ومروا ببلاد قليج ارسلان بن سليمان
ابن قطلمش فلقيهم فى جموعه قريبا من قونية فهزموه وانتهوا الى بلاد بن ليون الارمنى
فمروا منها الى انطاكية وبها باغيسيان من أمراء السلجوقية فاستعد للحصار وأمر
بحفر الخندق فعمل فيه المسلمون يوما ثم عمل فيه النصارى الذين كانوا بالبلد من الغد فلما
جاؤا للدخول منعهم وقال أنا لكم فى مخلفكم حتى ينصرف هؤلاء الافرنج وزحفوا
اليه فحاصروه تسعة أشهر ثم غدا بعض الحامية من سور البلد عليهم فادخلوهم من
بعض مسارب الوادى وأصبحوا فى البلد فاستباحوه وركب باغيسيان للصلح
فهرب ولقيه حطاب من الارمن فجاء برأسه الى الافرنج وولى عليها بيمند من زعماء
الافرنج وكان صاحب حلب وصاحب دمشق قد عزما على النفير الى انطاكية
لمدافعتهم فكاتبهم الافرنج بالمسالمة وانهم لا يعرضون لغير انطاكية فأوهن ذلك
من عزائمهم وأقصروا عن انجاد باغيسيان وكان التركمان قد انتشروا فى نواحى
العراق وكان كمشتكين بن طيلق المعروف أبوه بالدانشمند ومعناه المعلم عندهم
قد ملك سيواس من بلاد الروم مما يلى انطاكية وكان بملطية مما يجاورها متغلب
آخر من التركمان وبينه وبين الدانشمند حروب فاستنجد صاحب ملطية عليه الافرنج
وجاء بيمند من انطاكية سنة ثلاث وتسعين فى خمسة آلاف فلقيه ابن الدانشمند

وهزمه وأخذه أسيرا وجاء الافرنج لتخليصه فنازلوا قلعة انكورية وهي أنقرة فأخذوها عنوة ثم ساروا الى أخرى فيها اسمعيل بن الدانشمند وحاصروها فجمع ابن الدانشمند وقاتلهم وأكمن لهم وكانوا في عدد كثير فلما قاتلهم استطرد لهم حتى خرج عليهم الكمين وكرّ عليهم فلم يفلت منهم أحد وسار الى ملطية فملكها وأسر صاحبها وجاء الافرنج من انطاكية فهزمهم

(استيلاء قليج ارسلان على الموصل)

كانت الموصل وديار بكر والجزيرة بيد جكرمس من قواد السلجوقية فمنع الحمل وهم بالانتقاض فأقطع السلطان الموصل وما معها لجاولي سكاوو والكل من قوادهم وأمرهم بالمسير لقتال الافرنج فسار جاولي وبلغ الخبر لجكرمس فسار من الموصل الى اربل وتعاقد مع أبي الهيجاء بن موسك الكردي الهذباني صاحب اربل وانتهى الى البوازيج فعبر اليه جكرمس دجلة وقاتله فانهزمت عساكر جكرمس وبقي جكرمس واقفا لفالج كان به فأسره جاولي ولحق الفل بالموصل فنصبوا مكانه ابنه زنكي صبيا صغيرا وأقام بأمره غرغلي مولى أبيه وكانت القلعة بيده وفرّق الاموال والخيول واستعدّ لمدافعة جاولي وكاتب صدقة بن مزيد والبرسقي شحنة بغداد وقليج ارسلان صاحب بلاد الروم يستنجدهم ويعد كلا منهم بملك الموصل اذا دافعوا عنه جاولي فأعرض صدقة عنه ولم يحتفل بذلك ثم سار جاولي الى الموصل وحاصرها وعرض جكرمس للقتل أو يسلموا اليه البلد فامتنعوا وأصبح جكرمس في بعض أيام حصارها ميتا وسمع جاولي بأن ارسلان سار في عساكره الى نصيبين فأفرج عن الموصل وسار الى سنجار وسبق البرسقي اليها بعد رحيل جاولي وأرسل الى أهلها فلم يجيبوه بشيء وعاد الى بغداد واستدعى رضوان صاحب دمشق جاولي سكاوو لمدافعة الافرنج عنه فساروا اليه وخرج من الموصل عسكر جكرمس الى قليج ارسلان بنصيبين فجاؤا معه وجاؤا به الى الموصل فملكها آخر رجب من سنة خمسمائة وخرج اليه ابن جكرمس وأصحابه وملك القلعة من غرغلي وجلس على التخت وخطب لنفسه بعد الخليفة وأحسن الى العسكر وسار في الناس بالعدل وكان في جملته ابراهيم ابن ينال التركماني صاحب آمد ومحمد بن جق التركماني صاحب حصن زياد وهو خرت برت وكان ابراهيم بن ينال قد ولى تتش على آمد حين ولي ديار بكر وكانت بيده وأما خرت برت فكانت بيد الفلادروس ترجمان الروم والرها وانطاكية من أعماله فملك سليمان بن قطلمش انطاكية وملك فخر الدولة بن جهير

ديار بكر فضعف اقبلاد روس وملك جق خرت برت من يده وآسلم القلاد روس على يد السلطان ملك شاه وأمره على الرها فأقام بها حتى مات وملكها جق هي وماجاورها من الحصون وأورثها ابنه محمد ابعد موته والله تعالى ولي التوفيق

(الحرب بين قليج ارسلان وبين الافرنج)

كان سمند صاحب انطاكية من الافرنج قد وقعت بينه وبين ملك الروم بالقسطنطينية وحشة واستحكمت وسار سمند فنهب بلاد الروم وعزم على قصد انطاكية فاستنجد ملك الروم بقليج ارسلان فأمده بعساكره وسار مع ذلك الروم فهزموا الافرنج وأسروهم ورجع الفل الى بلادهم بالشأم فاعتزوا على قصد قليج ارسلان بالجزيرة فأتاهم خبر مقتله فأقصروا والله تعالى ولي التوفيق

(مقتل قليج ارسلان وولاية ابنه مسعود)

قد تقدم لنا استيلاء قليج ارسلان على الموصل وديار بكر وأعمالها وجلوسه على التخت وان جاولي سكاو وسار الى سنجار ثم سار منها الى الرحبة وكان قليج ارسلان خطب له بها صاحبها محمد بن السباق من بني شيبان بعد مهلك دقاق وانتقاضه على أبيه فلما حاصرها جاولي بعث اليه رضوان بن تتش صاحب حلب في النجدة على الافرنج لما ساروا الى بلاده فوعده لانقضاء الحصار وجاء رضوان فحضر عنده واشتد الحصار على أهل الرحبة وغدر بعضهم فأدخل أصحاب جاولي ليلا ونهبوها الى الظهر وخرج اليه صاحبها محمد الشيباني فأطاعه ورجع عنه وبلغ الخبر الى قليج ارسلان فسار من الموصل لحرب جاولي واستخلف عليها ابنه ملك شاه صبيا صغيرا مع أمير يدبره فلما انتهى الى الخابور هرب عنه ابراهيم بن ينال صاحب آمد ولحق ببلده واعتزم قليج ارسلان على المطاولة واستدعى عسكره الذين أنجدهم ملك الروم على الافرنج فجاؤا اليه واغتنم جاولي قلة عسكره فلقيه آخر ذي القعدة من السنة واشتدت الحرب وحمل قليج ارسلان على جاولي بنفسه وصرع صاحب الراية وضرب جاولي بسيفه ثم حمل أصحاب جاولي عليه فهزموه وألقى نفسه في الخابور فغرق وسار جاولي الى الموصل فملكها وأعاد خطبة السلطان محمد وبعث اليه ملك شاه بن قليج ارسلان وولي مكان قليج ارسلان في قونية وأقصرا وسائر بلاد الروم ابنه مسعود واستقام له ملكها

(استيلاء مسعود بن قليج ارسلان على ملطية وأعمالها)

كانت ملطية وأعمالها وسيواس لابن الدانشمند من التركمان كامرو وكانت بينه وبينهم حروب وهلك كمشتكين بن الدانشمند وولي مكانه ابنه محمد واتصلت حروبه مع الافرنج

كما كان ابوه معهم ثم هلك سنة سبع وثلاثين فاستولى مسعود بن قليج ارسلان على الكثير منها وبقي الباقي بيد أخيه ياغي ارسلان بن محمد

(وفاة مسعود بن قليج وولاية ابنه قليج ارسلان)

ثم توفي مسعود بن قليج ارسلان سنة احدى وخمسين وخمسمائة وملك مكانه ابنه قليج ارسلان فكانت بينه وبين ياغي ارسلان ابن الدانشمند وصاحب ملطية وماجاورها من ملك الروم حروب بسبب ان قليج ارسلان تزوج بنت الملك طليق بن علي بن أبي القاسم فزوجها اليه بجهاز عظيم وأغار عليه ياغي ارسلان صاحب ملطية فأخذها بما معها وزوجها بابن أخيه ذي النون بن محمد بن الدانشمند بعد ان أشار عليها بالردة لينفسخ النكاح ثم عادت الى الاسلام وزوجها بابن أخيه فجمع قليج ارسلان عساكره وسار الى ياغي ارسلان بن الدانشمند فهزمه ياغي ارسلان واستنجد ملك الروم فأمده بعسكر وسار ياغي ارسلان خلال ذلك وولى ابراهيم ابن أخيه محمد وملك قليج ارسلان بعض بلاده واستولى أخوه ذو النون بن محمد بن الدانشمند على قيسارية وانفردشاه بن مسعود أخو قليج ارسلان بمدينة انكورية وهي انقرة واستقرت الحال على ذلك ثم وقعت الفتنة بين قليج ارسلان وبين نور الدين محمود بن زنكي وتراجعوا الحرب وكتب الصالح بن زريك المتغلب على العلوى بمصر الى قليج ارسلان ينهاه عن ذلك ثم هلك ابراهيم بن محمد ابن الدانشمند وملك مكانه أخوه ذو النون وانتقض قليج ارسلان عليه وملك ملطية من يده والله تعالى أعلم

(مسير نور الدين العادل الى بلاد قليج ارسلان)

ثم سار نور الدين محمود بن زنكي سنة ثمان وستين الى ولاية قليج ارسلان بن مسعود بلاد الروم وهي ملطية وسيواس وأقصرا فجاءه قليج ارسلان متنصلا معتذرا فأكرمه وثنى عزمه عن قصد بلاده ثم أرسل اليه شفيعا في ذي النون بن الدانشمند يرد عليه بلاده فلم يشفعه فسار اليه وملك مرعش ونهسنا وما بينهما في ذي القعدة من السنة وبعث عسكرا الى سيواس فملكوها فمال قليج ارسلان الى الصلح وبعث الى نور الدين يستعطفه وقد بلغه عن الفرنج ما أزعجه فأجابه على أن يمده بالعساكر للغزو وعلى أن يبقى سيواس بيد نواب نور الدين وهي لذي النون بن الدانشمند ثم جاءه كتاب الخليفة باقطاع البلاد ومن جملتها بلاد قليج ارسلان وخلاط وديار بكر ولما مات نور الدين عادت سيواس لقليج ارسلان وطرد عنها نواب ذي النون

(مسير صلاح الدين لحرب قليج ارسلان)

كان قليج ارسلان بن مسعود صاحب بلاد الروم قد زوج بنته من نور الدين محمود بن قليج ارسلان بن داود بن سقمان صاحب حصن كيفا وغيره من ديار بكر وأعطاه عدة حصون فلم يحسن عشرتها وتزوج عليها وهجر مضجعها وامتعض أبوها قليج ارسلان لذلك واعتزم على غزو نور الدين في ديار بكر وأخذ بلاده فاستجار نور الدين بصلاح الدين بن أيوب واستشفع به فلم يشفعه وتعلل بطلب البلاد التي أعطاه عند المصاهرة فامتعض صلاح الدين لذلك وكان يحارب الافرنج بالشأم فصالحهم وسار في عساكره الى بلاد الروم وكان الصالح اسمعيل بن نور الدين محمود بالشأم فعدل عنه ومر على تل باشر الى رعبان ولقيه بها نور الدين محمد صاحب كيفا وبعث اليه قليج ارسلان رسولا يقرر غدره بابنته فاغتاظ على الرسول وتوعده بأخذ بلادهم فتلطف له الرسول وخاص معه نجيا فقبح له ما ارتكبه من أجل هذه المرأة من ترك الغزو ومصالحة العدو وجمع العساكر وخساره وان بنت قليج ارسلان لو بعثت اليه بعد وفاة أبيها تسأل منه النصفة بينها وبين زوجها لكان أحق ما تقصده فامتنعت وعلم أن على نفسه الحق فأمر الرسول أن يصلح بينهم ويكون هو عونا له على ذلك فداخلهم ذلك الرسول في الصلح على أن يطلق هذه المرأة بعد سنة ويعقد بينهم ذلك ورجع كل الى بلده ووفى نور الدين بما عقد على نفسه والله سبحانه وتعالى أعلم

(قسمة قليج ارسلان أعماله بين ولده وتغلبهم عليه)

ثم قسم قليج ارسلان سنة سبع وثمانين أعماله بين ولده فاعطى قونية باعمالها لغياث الدين كسيخسرو واقصرا وسيواس لقطب الدين ودوقاط لركن الدين سليمان وانقرة وهي أنكورية لمحيي الدين وملطية لعز الدين قيصرشاه و لمغيث الدين وقيسارية لنور الدين محمود وأعطى تكسار واماسا لابني أخيه وتغلب عليه ابنه قطب الدين وحمله على انتزاع ملطية من يد قيصرشاه فانتزعها ولحق قيصرشاه بصلاح الدين بن أيوب مستشفعا به فأكرمه وزوجه ابنة أخيه العادل وشفع له عند أبيه وأخيه فشفعوه وردوا عليه ملطية ثم زاد تغلب ركن الدين وحجر عليه وقتل دائبة في مدينته وهو اختيار الدين حسن فخرج سائر بنيه عن طاعته وأخذ قطب الدين أباه وسار به الى قيسارية ليملكها من أخيه فهرب قليج ارسلان ودخل قيسارية وعاد قطب الدين الى قونية واقصرا فملكهما وبقي قليج ارسلان يتنقل بين ولده من واحد الى آخر وهم معرضون عنه حتى استنجد بغياث الدين كسيخسرو صاحب منهم فأنجده وسار معه الى قونية فملكها ثم سار الى اقصرا وحاصرها ثم مرض قليج ارسلان وعاد الى قونية فتوفي فيها وقيل انما اختلف ولده عليه لانه ندم على قسمة أعماله بينهم وأراد ايثار ابنه قطب الدين

بجميعها وانتقضوا عليه لذلك وخرجوا عن طاعته وبقي يتردد بينهم وقصد كسنجر صاحب قونية فأطاعه وخرج معه بالعساكر لحصار محمود أخيه في قيسارية وتوفي قليج ارسلان وهو محاصر لقيسارية ورجع غياث الدين الى قونية

(وفاة قليج ارسلان وولاية ابنه غياث الدين)

ثم توفي قليج ارسلان بمدينة قونية أو على قيسارية كما مر من الخلاف منتصف ثمان وثمانين لسبع وعشرين سنة من ملكه وكان مهيبا عادلا حسن السياسة كثير الجهاد ولما توفي واستقل ابنه غياث الدين كسنجر بقونية وما اليها وكان قطب الدين أخوه صاحب اقصرا وسيواس وكان كلما سار من احداهما الى الاخرى يجعل طريقه على قيسارية وبها أخوه نور الدين محمود يتلقاه بظاهرها حتى استنام اليه مدة فغدر به وقتله وامتنع أصحابه بقيسارية وكان كبيرهم حسن فقتله مع أخيه ثم أطاعوه وأمكنوه من البلد ومات قطب الدين اثر ذلك

(استيلاء ركن الدين سليمان على قونية وأكثر بلاد الروم وفرار غياث الدين)

ولما توفي قليج ارسلان وولي بعده في قونية ابنه غياث الدين كسنجر وبنوه يومئذ على حالتهم في ولاياتهم التي قسمها بينهم أبوهم وملك قطب الدين منهم قيسارية بعد أن غدر بأخيه محمود صاحبها ومات قطب الدين اثر ذلك فسار ركن الدين سليمان صاحب دوقاط الى التغلب على أعمال سلفه ببلاد الروم فسار الى سيواس واقصرا وقيسارية أعمال قطب الدين فملكها ثم سار الى قونية فحاصر بها غياث الدين وملكها ولحق غياث الدين بالشأم كما يأتي خبره ثم سار الى نكسار واماسا فملكهما وسار الى ملطية سنة سبع وتسعين فملكها من يد معز الدين قيصر شاه ولحق معز الدين بالعادل أبي بكر بن أيوب ثم سار الى أرزن الروم وكانت لولد الملك محمد بن صلتق من بيت ملك قديم وخرج اليه صاحبها البقرمعه صلحا فقبض عليه وملك البلد فاجتمع لركن الدين سائر أعمال اخوته ما عدا انقرة لحصانتها فجمر عليها الكتائب وحاصرها ثلاثا ثم دس من قتل أخاه وملك البلد سنة احدى وستمائة وتوفي هو عقب ذلك والله تعالى أعلم

(وفاة ركن الدين وولاية ابنه قليج ارسلان)

ثم توفي ركن الدين سليمان بن قليج ارسلان أوائل ذي القعدة من عام سنة احدى وستمائة وولي بعده ابنه قليج ارسلان فلم تطل مدته وكان ركن الدين ملكا حازما شديدا على الاعداء الا أنه ينسب الى التزين بالفلسفة والله تعالى أعلم

(استيلاء غياث الدين كسنجر على بلاد الروم من أخيه ركن الدين)

كان غياث الدين كيخسرو بن قليج ارسلان لما ملك أخوه ركن الدين قونية من يده لحق بحلب وفيها الظاهر غازى بن صلاح الدين فلم يجد عنده قبولا فسار الى القسطنطينية وأكرمه ملك الروم وأصهر اليه بعض البطارقة فى ابنته وكانت له قرية حصينة فى أعمال قسطنطينية فلما استولى الافرنج على القسطنطينية سنة ستمائة لحق غياث الدين بقلعة صهره البطريق و بلغ اليه خبر أخيه تلك السنة و بعث اليه بعض الامراء من قونية يستدعيه للملك فسار اليه واجتمعوا على حصار قونية وخرجت اليهم العساكر منها فهزموه ولحق ببعض البلاد فتحصن بها ثم قام أهل اقصرا بدعوته وطردوا واليهم و بلغ الخبر الى أهل قونية فثاروا بقليج ارسلان بن ركن الدين وقبضوا عليه واستدعوا غياث الدين فملكوه وأمكنوه من ابن أخيه وكان أخوه قيصرشاه قد لحق بصهره العادل أبى بكر بن أيوب فاستنصر به على أخيه ركن الدين عندما ملك ملطية من يده فأمر له بالرها واستفحل ملك غياث الدين وقصده على بن يوسف صاحب شمشاط ونظام الدين بن أرسلان صاحب خرت برت وغيرهما وعظم شأنه الى أن قتله أشكر صاحب قسطنطينية سنة سبع وستمائة والله تعالى ولى التوفيق

* (مقتل غياث الدين كيخسرو وولاية ابنه كيكاوس) *

ولما قتل غياث الدين كيخسرو ولى بعده ابنه كيكاوس ولقبوه الغالب بالله وكان عمه طغرلشاه بن قليج ارسلان صاحب ارزن الروم طلب الامر لنفسه وسار الى قتال كيكاوس ابن أخيه وحاصره فى سيواس وقصد أخوه كيقباد بن كيخسرو بلد انكورية من أعماله فاستولى عليها و بعث كيكاوس صريخه الى الملك العادل صاحب دمشق فانفذ اليه العساكر وأفرج طغرلشاه عن سيواس قبل وصولهم فسار كيكاوس الى انكورية وملكها من يد أخيه كيقباد وحبسه وقتل امراءه وسار الى عمه طغرلشاه فى ارزن الروم فظفر به سنة عشر وقتله وملك بلاده

{ مسير كيكاوس الى حلب واستيلاؤه على بعض أعمالها ثم هزيمته وارتجاع البلد من يده }

كان الظاهر بن صلاح الدين صاحب حلب قد توفى وملك بعده ابنه طفلا صغيرا وكان بعض أهل حلب قد لحق بكيكاوس فرارا من الظاهر وأغراه بملك حلب وهوّن عليه أمرها وملك ما بعدها ولما مات الظاهر قوى عزمه وطمعه فى ذلك واستدعى الافضل بن صلاح الدين ابن شميشاط للمسير معه على أن تكون الخطبة لكيكاوس والولاية للافضل فى جميع ما يفتحونه من حلب وأعمالها فاذا فتحوا بلاد الجزيرة مثل

حران والرها من يد الاشرف تكون ولايتها لكيكاوس وتعاقدوا على ذلك وساروا سنة خمس عشرة فملكوا قلعة رغبان وتسلمها الافضل على الشرط ثم ملكوا قلعة تل ناشر فاستأثر بها كيكاوس وارتاب الافضل ثم بعث ابن الظاهر صاحب حلب الى الاشرف بن العادل صاحب الجزيرة وخلاط يستنجده على أن يخطب له بحلب وينقش اسمه على السكة فسار لانجاده ومعه احياء طيء من العرب فنزل بظاهر حلب وسار كيكاوس والافضل الى منبج ولقيت طلعتهم طليعة الظاهر فاقتتلوا وعاد عسكر كيكاوس منهزمين اليه فأجفل وسار الاشرف الى رغبان وتل ناشر وبهما أصحاب كيكاوس فغلبهم عليهما وأطلقهم الى صاحبهم فأحرقهم بالنار وسلم الاشرف الحصنين الى شهاب الدين بن الظاهر صاحب حلب وبلغه الخبر بوفاة أبيه الملك العادل بمصر فرجع عن قصد بلاد الروم

(وفاة كيكاوس وملك أخيه كيغباد)

كان كيكاوس بعد الواقعة بينه وبين الاشرف قد اعتزم على قصد بلاد الاشرف بالجزيرة واتفق مع صاحب آمد وصاحب اربل على ذلك وكانا يخطبان له ثم سار الى ملطية يشغل الاشرف عن الموصل حتى ينال منها صاحب اربل ومرض في طريقه فعاد ومات سنة ست عشرة وخلف بنيه صغارا وكان أخوه كيغباد محبوسا منذ أخذه من انكورية فأخرجه الجند من محبسه وملكوه وقيل بل أخرجه هو من محبسه وعهد اليه ولما ملك خالف عليه عمه صاحب ارزن الروم فوصل يده بالاشرف وعقد معه صلحا

(الفتنة بين كيغباد وصاحب آمد من بني ارتق وفتح عدة من حصونه)

كانت الفتنة قد حدثت بين الاشرف صاحب الجزيرة والمعظم صاحب دمشق وجاء جلال الدين خوارزم من الهند سنة ثلاث وعشرين بعدهو وبه أمام التتر فملك اذربيجان واعتضد به المعظم صاحب دمشق على الاشرف وظاهرهما الملك مسعود صاحب آمد من بني ارتق فأرسل الاشرف الى كيغباد ملك الروم يستنجده على صاحب آمد والاشرف يومئذ محاصر لماردين فسار كيغباد وأقام على ملطية وجهز العساكر من هنالك الى آمد ففتح حصونا عدة وعاد صاحب آمد الى موافقة الاشرف فكتب الى كيغباد أن يرد عليه ما أخذه فامتنع فبعث عساكره الى صاحب آمد مددا على كيغباد وكان محاصرا القلعة الكمنا فلقيهم وهزمهم وأثخن فيهم وعاد ففتح القلعة والله أعلم

(استيلاء كيقباد على مدينة ارزنكان)

كان صاحب ارزنكان هذه بهرام شاه من بنى الاحدب بيت قديم فى الملك وملكها ستين سنة ولم يزل فى طاعة قليج ارسلان وولده وتوفى فملك بعده ابنه علاء الدين داود شاه وأرسل عنه كيقباد سنة خمس وعشرين ليعسكر معه فسار اليه وقبض عليه وملك مدينة اورزنكان وكان من حصونه كماخ فامتنع نائبه فيه وتهدد داود شاه فبعث الى نائبه فسلم له الحصن ثم قصد ارزن الروم وبها ابن عمه طغرلشاه بن قليج ارسلان فبعث ابن طغرلشاه بطاعته الى الاشرف واستنجد نائبه بخلاط حسام الدين على فسار اليه فجام كيقباد عن لقائه وعاد من ارزنكان الى بلاده فوجد العدو من الافرنج قد ملك قلعة منها تسمى صنوبا مطلة على بحر الخزر فحاصرها برا وبحرا وارتجعها المسلمون والله سبحانه وتعالى ولى التوفيق

(فتنة كيقباد مع جلال الدين)

كان صاحب ارزن الروم وهو ابن عم كيقباد صار الى طاعة جلال الدين خوارزم شاه وحاصر معه خلاط وفيها ايبك مولى الاشرف فملكها جلال الدين وقتل ايبك كما يأتى فى أخباره فخافهما كيقباد صاحب الروم فاستنجد الملك الكامل وهو بحران فأمده بأخيه الاشرف من دمشق فجمع عساكر الجزيرة والشأم وسار الى كيقباد فلقيه بسيواس واجتمعوا فى خمسة وعشرين ألفا وساروا من سيواس الى خلاط فلقيهم جلال الدين فى نواحى ارزنكان فهاله منظرهم ومضى منهزما الى خلاط ثم سار منها الى اذربيجان فنزلوا عند خوى وسار الاشرف الى خلاط فوجد جلال الدين قد خربها فعادوا الى بلادهم وترددت الرسل الى الصلح فاصطلحوا

(مسير بنى أيوب الى كيقباد وهزيمتهم)

كان علاء الدين كيقباد قد استفحل ملكه ببلاد الروم ومد يده الى ما يجاوره من البلاد فملك خلاط بعد أن دافع عنها مع الاشرف بن العادل جلال الدين خوارزم شاه فنازعه الاشرف فى ذلك واستصرخ بأخيه الكامل فسار فى العساكر من مصر سنة احدى وثلاثين وسار معه الملوك من أهل بيته وانتهى الى النهر الازرق من تخوم الروم وبعث فى مقدمته المظفر صاحب حماة من أهل بيته فلقيه كيقباد وهزمه وحصره فى خرت برت وكانت لبنى ارتق ورجع الكامل بالعساكر الى مصر سنة ثنتين وثلاثين وسار كيقباد فى اتباعهم ثم سار الى حران والرها فملكهما من يد نواب الكامل وولى عليهما من قبله وسار الكامل سنة ثلاث وثلاثين فارتجعهما

(وفاة كيغباد وملك ابنه كيخسرو)

ثم توفي علاء الدين كيغباد سنة أربع وثلاثين وستمائة وملك بعده ابنه غياث الدين كيخسرو وقارن ذلك انقراض الدولة السلجوقية من ممالك الاسلام واختلال دولة بني خوارزم شاه وخروج التتر من مفازة الترك وراء النهر واستيلاء جنكزخان سلطانهم على الممالك وانتزاعها من يد بني خوارزم شاه وفر جلال الدين آخرهم الى الهند ثم رجع واستولى على اذربيجان وعراق العجم وكان بنو أيوب يومئذ بممالك الشام وأرمينية كما نذكر ذلك كله في أماكنه ان شاء الله تعالى وانتشر التتر في سائر النواحي وعاثوا فيها وتغلبوا عليها واستفحل ملكهم فسارت منهم طوائف الى بلاد الروم سنة احدى وأربعين فبعث غياث الدين كيخسرو بالصريخ الى بني أيوب وغيرهم من الترك في جواره وجاء المدد من كل جانب فسار للقائهم واقيتهم المقدمة على قشمير زنجان فانهزمت المقدمة ووصلوا اليه فانهزم وتحاجبه الله وذخيرته الى مدينة على مسيرة شهر من المعترك ونهبوا اسواده ومخلفه وانتشروا في نواحي بلاد الروم وعاثوا فيها وتحصن غياث الدين بهذه المدينة واستولى التتر على خلاط وآمد ثم استأمن لهم غياث الدين ودخل في طاعتهم واستقامت أمورهم معهم الى أن مات قريبا من رجوعه وملك التتر قيسارية والله أعلم

(وفاة غياث الدين وولاية ابنه كيغباد)

ثم توفي غياث الدين كيخسرو سنة أربع وخمسين وترك ثلاثا من الولد أكبرهم علاء الدين كيغباد وعز الدين كيكاوس وركن الدين قليج ارسلان وولى علاء الدين كيغباد بعهد اليه وكان يخطب لهم جميعا وأمرهم واحد وكان جنكزخان ملك التتر قد هلك وكان كرسي سلطانهم بقراقروم وولى مكانه ابنه طلوخان وجلس على كرسيه وهو الخان الاعظم عندهم وحكمه ماض في ملوك الشمال والعراق من أهل بيته وسائر عشيرته ثم هلك طلوخان وولى مكانه في كرسيه ابنه منكوخان فبعث أخاه هلاكو لافتتاح العراق وبلاد الاسماعيلية سنة خمسين وستمائة فسار لذلك وملك العراقين وبغداد ثم جرد الخان ألاعظم منكوخان الى بلاد الروم سنة أربع وخمسين أميرا من أمراء المغل اسمه بيكو في العساكر فسار الى ارزن الروم وبها سنان الدين ياقوت مولى السلطان علاء الدين فحاصرها شهرين ونصب عليها المجانيق ثم ملكها عنوة وأسر ياقوت واستلحم الجند بأسرهم واستبقى الباعة والصناع ثم سار الى بلاد الروم فملك قيسارية وهي مسيرة شهر معها ورجع ثم عاد سنة خمس وخمسين وعاث في البلاد واستولى على أكثر من الاولى والله تعالى أعلم

(وفاة كيقباد وملك أخيه كيكاوس)

ولما كثر عيث التتر الذين مع بيكو في مملكة علاء الدين كيقباد واعتزم على المسير الى
الخان الاعظم منكوخان يؤكد الدخول في طاعته ويقتضي مراسمه الى بيكو ومن
معه من المغل بالكف عن البلاد سار من قونية سنة خمس وخمسين ومعه سيف الدين
طرنطاي من موالي أبيه واحتمل معه الاموال والهدايا وسار ووثب أخوه عز الدين
كيكاوس على أخيه الآخر قليج ارسلان فاعتقله بقونية واستولى على الملك
وكتب في اثر أخيه الى سيف الدين طرنطاي مع بعض الاكابر من أصحابه أن يكفوه
من الهدايا التي معهم يتوجه بها الى الخان ويردوا علاء الدين فلم يدركوه حتى دخل
بلاد الخان ونزل على بعض أمرائه فسعى ذلك الرسول في علاء الدين وطرنطاي بأن
معهم سما فكشف الامير فوجد شيأ من المحمودة فعرض عليهم أكلها فامتنعوا فتخيل
تحقق السعاية فسألوه احضار الاطباء فأزالوا عنه الشك وبعثهم الى الخان ومات
علاء الدين أثناء طريقه ولما اجتمعوا عند الخان اتفقوا على ولاية عز الدين كيكاوس
وأنه أكبر وعقدوا له الصلح مع الخان فكتب له وخلع عليهم ثم كتب بيكو الى الخان بأن
أهل بلاد الروم قاتلوه ومنعوه العبور فأحضر الرسل وعرفهم الخبر فقالوا اذا بلغناهم
كتاب السلطان اذعنوا فكتب الخان بتشريك الاميرين عز الدين كيكاوس وأخيه
ركن الدين قليج ارسلان على أن تكون البلاد قسمة بينهما فمن سيواس الى
القسطنطينية غربا لعز الدين ومن سيواس الى ارزن الروم شرقا المتصلة ببلاد التتر
لركن الدين وعلى الطاعة وحمل الاتاوة لمنكوخان ملكهم صاحب الكرسي بقراقروم
ورجعوا الى بلاد الروم وحملوا معهم شلو كيقباد الى أن دفنوه

(استيلاء التتر على قونية)

ثم سار بيكو في عساكر المغل الى بلاد الروم ثالثة فبعث عز الدين كيكاوس العساكر
للقائه مع ارسلان ايدغمش من أمرائه فهزمه بيكو وجاء في اتباعه الى قونية فهرب
عز الدين كيكاوس الى العلايا بساحل البحر فنزل بيكو على قونية وحاصرها حتى
استأمنوا اليه على يد خطيبهم ولما حضر اليه أكرمه ورفع منزلته وأسلمت امرأته على
يده وأمن أهل البلد ثم سار هلاكو الى بغداد سنة خمس وستين وبعث عن بيكو
وعساكره من بلاد الروم بالحضور معه فاعتذر بالاكراد الذين في طريقه من الفراسانية
والباروقية فبعث اليهم هلاكو العساكر فأجفلوا وانتهت العساكر الى اذربيجان
وقد أجفل أهلها أمام الاكراد فاستولوا عليها ورجع أصحاب بيكو الى هلاكو فحضر

معه فتح بغداد وقد تقدم خبرها في أخبار الخلفاء ويأتي في أخبار هلاكو ونال أن بيكو لما بعث عنه هلاكو لم يحضر معه فتح بغداد واستمر على غدره فلما انقضى أمر بغداد بعث اليه هلاكو من سقاه السم فمات لانه اتهمه بالاستبداد ثم سار هلاكو بعد فتح بغداد الى الشأم سنة ثمان وخمسين وحاصر حلب وبعث عن عز الدين كيكاوس وركن الدين قليج ارسلان وعن معين الدين سليمان البرنواه صاحب دولتهم وكان من خبره أن أباه مهذب الدين على كان من الديلم وطلب العلم ونبغ فيه ثم تعرض للوزير سعد الدين المستوفي أيام علاء الدين كيقباد يسأله اجراء رزقه وكان وصافا فاستحسنه وزوجه ابنته فولدت سليمان ونشأ في الدولة ومات سعد الدين المستوفي فرقى السلطان مهذب الدين الى الوزارة وألقى اليه بالمقاليد وتوفي مهذب الدين وترقى ابنه سليمان مهذب الدولة وكان يلقب معين الدين وترقى في الرتب الى أن ولي الحجابة وكان يدعى البرنواه ومعناه الحاجب بلغتهم وكان مختصا بركن الدين فلما حضر معهما عند هلاكو كما قلناه حلا بعينه وقال لركن الدين لا يأتيني في أموركم الا هذا فرقت حاله الى أن ملك بلاد الروم أجمع

{ الفتنة بين عز الدين كيكاوس وأخيه قليج ارسلان واستيلاء قليج ارسلان على الملك }

ثم وقعت الفتنة سنة تسع وخمسين بين عز الدين كيكاوس وأخيه ركن الدين قليج ارسلان وسار ركن الدين ومعه البرنواه الى هلاكو يستمده على أخيه فأمده بالعساكر وحارب أخاه فهزمه عز الدين أولا ثم أمده هلاكو فانهزم عز الدين ولحق بالقسطنطينية واستولى ركن الدين على سائر الاعمال وهرب التركمان الى أطراف الجبال والثغور والسواحل وبعثوا الى هلاكو يطلبون الولاية منه على احيائهم فولاهم وأذن لهم في اتخاذ الآلة فصاروا ملوكا من حينئذ وكان محمد بك أميرهم وأخوه على بك رديفه فاستدعى على هلاكو محمد بك فلم يأته فأمر قليج ارسلان وعساكر التتر الذين معه بقتاله فساروا وقاتلوه فانهزم ثم استأمن الى السلطان ركن الدين فأمنه وجاء به الى قونية فقتله واستقر على بك أميرا على التركمان وأورثها بنيه واستولى التتر على البلاد الى

(خبر عز الدين كيكاوس)

ولما انهزم عز الدين كيكاوس ولحق بالقسطنطينية أحسن اليه ميخاييل الشكرى صاحب قسطنطينية وأجرى عليه الرزق وكان معه جماعة من الروم أخواله فحدثتهم أنفسهم بالثورة وتملك القسطنطينية ونمى ذلك عنهم فقبض الشكرى عليه وعلى

من معه واعتقله ببعض القلاع ثم وقعت بين الشكرى وبين منكوتمر بن طغان ملك الشمال من بنى دوشى خان بن جنكزخان فتنة وغزا منكوتمر القسطنطينية وعاث فى نواحيها فهرب اليه كيكاوس من محبسه فمضى معه الى كرسيه بصراى فمات هنالك سنة سبع وسبعين وخلف ابنه مسعودا وخطب منكوتمر ملك صراى أمه فمنعها وهرب عنه ولحق بابغا بن هلاكو ملك العراق فأحسن اليه وأقطعه سيواس وارزن الروم وارزنكان فاستقر بها

(مقتل ركن الدين قليج ارسلان وولاية ابنه كيخسرو)

كان معين الدين سليمان البرنواه قد استبد على ركن الدين قليج ارسلان ثم تنكر له ركن الدين البرنواه على مكان أخيه عز الدين كيكاوس بالقسطنطينية أن يحدث فيه أمرا فلما بلغه خبر كيكاوس واعتقاله بالقسطنطينية أحكم تدبيره فى ركن الدولة فقتله غيلة ونصب للملك ابنه غياث الدين فى كفالته وتحت حجره واستقل بملك بلاد الروم واستقامت أموره والله سبحانه وتعالى أعلم

(استيلاء الظاهر ملك مصر على قيسارية ومقتل البرنواه)

كان هلاكو قد زحف الى الشأم سنة ثمان وخمسين مرارا وزحف ابنه ابغا كذلك وقاتلهم الملك الظاهر صاحب مصر والشأم وكان كثيرا ما يخالفهم الى بلادهم فدخل سنة خمس وسبعين الى بلاد الروم وأميرها يومئذ من التتر طغا وأمده ابغا بأميرين من التتر وهما كداون وترقو لحماية بلاد الروم من الظاهر فزحفوا الى الشأم وسار اليهم الظاهر من مصر فى مقدمته سنقر الاشقر فلقيت مقدمته مقدمتهم على كوكصو فانهزم التتر وتبعهم الظاهر والتقى الجمعان على ابلستين فانهزموا ثانية وأثخن فيهم الظاهر بالقتل والاسر الى قيسارية فملكها وكان البرنواه قد دس اليه واستحثه للوصول الى بلاده فأقام الظاهر على قيسارية ينتظره وبلغ ملك التتر ابغا خبر الواقعة فزحف فى جموع المغل الى قيسارية بعد منصرف الظاهر الى بلاده فلما وقف على مصارع قومه وجد على البرنواه وصدقت عنه السعاية فيه وأنه الذى استحث الظاهر لانه لم ير فى المعركة مصرع أحد من بلاد الروم ورجع الى معسكره ومعه سليمان البرنواه واستبد بملكه والله تعالى ولى التوفيق وهو نعم الرفيق لا رب سواه ولا معبود الا اياه سبحانه

(خلع كيخسرو ثم مقتله وولاية مسعود ابن عمه كيكاوس)

كان قنطغرطاى بن هلاكو مقيما ببلاد الروم مع غياث الدين كيخسرو ملك بلاد الروم وصار أمير المغل بها منذ عهد ابغا فلما ولى أحمد تكدار بن هلاكو بعد أخيه ابغا

بعث عن أخيه قنطغرطاى فامتنع من الوصول اليه خشية على نفسه ثم حمله غياث
الدين على اجابة أخيه وسار معه فقتل تكرار أخاه قنطغرطاى واتهم المغل غياث الدين
بأنه علم برأى تكرار فيه واعتقد لما ولى ارغون بن ابغا بعد تكرار عزل غياث الدين
عن بلاد الروم وحبسه بارزنكاى وولى مكانه على المغل ببلاد الروم أولاكو وذلك
سنة ثنتين وثمانين وأقام مسعود ملكا ببلاد الروم سنة ثمان عشرة وسبعمائة وأصابه
الفقر وأخل أمره وبقى الملك بها اللقب ثم فشل أمرهم واضمحلت دولتهم لا بقايا
بسيواس من بنى ارتنا مملوك دمرداش بن جوبان واستولى التركمان على تلك البلاد
أجمع وأصبح ملكهم لهم والله غالب على أمره يؤتى الملك من يشاء وهو العزيز الحكيم

غياث الدين كيخسرو بن قليج ارسلان بن غياث الدين كيخسرو بن كيقباد بن غياث الدين كيخسرو بن قليج ارسلان بن مسعود بن قليج ارسلان بن سليمان بن قطلمش بن اسرائيل بن سلجوق

مسعود بن كيكاوس

كيكاوس

قليج ارسلان بن ركن الدين سليمان

قطب الدين ملك شاه

(الخبر عن بني سكمان موالي السلجوقية ملوك خلاط وبلاد أرمينية ومصير الملك الى مواليهم من بعدهم ومبادي أمرهم وتصاريف أحوالهم)

كان صاحب مرند من اذربيجان اسمعيل بن ياقوتي بن داود أخو الب ارسلان وداود أخو طغرلبك كامرّ ولقب اسمعيل قطب الدولة وكان له مولى تركي اسمه سكمان بالكاف والقاف وكان ينسب اليه فيقال سكمان القطبي وكان شهما عادلا في أحكامه وكانت خلاط وارمينية لبني مروان ملوك ديار بكر وكانوا في آخر دولتهم قد اشتد عسفهم وظلمهم وساءت حال أهل البلد معهم فاجتمع أهل خلاط وكاتبوا سكمان واستدعوه ليملكوه عليهم فسار اليهم سنة ثنتين وخمسمائة الى ميافارقين من ديار بكر فحاصرها حتى استأمنوا اليه وملكها ثم أمر السلطان محمد شاه بن ملكشاه الامير مودود بن زيد بن صدقة صاحب الموصل بغزو الافرنج وانتزاع البلاد من أيديهم وأمر أمراء الثغور بالمسير معه فسار معه برسق صاحب همذان وأحمديك صاحب مراغة وأبو الهيجاء صاحب اربل وابو الغازي صاحب ماردين وسقمان القطبي صاحب ديار بكر فساروا الذلك وفتحوا عدة حصون وحاصروا الرها فامتنعت عليهم ثم تل باشر كذلك واستدعاهم رضوان بن تتش صاحب حلب

فلما ساروا اليه امتنع من لقائهم ومرض سكمان القطبي هنالك فرجع عنهم وتوفي في طريقه ببالس وافترقت العساكر وملك خلاط وبلاد ارمينية بعد مهلكه ابنه ظهير الدين ابراهيم وسار فيهم بسيرة أبيه الى أن هلك سنة احدى وعشرين وملك بعده أخوه أحمد بن سكمان عشرة أشهر ثم توفي فنصب أصحابه للملك بارمينية وخلاط شاه أرمن سكمان ابن أخيه ابراهيم بن سكمان صبيا داربا واستبدت عليه جدته أم ابراهيم ثم أزمعت قتله فقتلها أهل الدولة وعمد سنة ثمان وعشرين واستبد شاه أرمن وكانت بينه وبين الكرج وقائع وساروا سنة ست وخمسمائة الى مدينة اني من اعمال اران فاستباحوها وسار اليهم في العساكر فهزموه ونالوا منه وكانت عنده أخت طليق بن علي صاحب ارزن الروم ووقعت بينه وبين الكرج حرب فانهزم طليق وأسر وبعث شاه ارمن الى ملك الكرج وفادى طليقا ورده الى ملكه بارزن ثم استولى صلاح الدين بن أيوب على مصر والشأم واستفحل ملكه وكاتبه مظفر الدين كوكبري وأغراه بملك الجزيرة ووعده بخمسين ألف دينار وسار صلاح الدين الى سنجار فحاصرها وهو مجمع المسير الى الموصل وبها يومئذ عز الدين مودود بن زنكي فاستنجد بشاه ارمن صاحب خلاط فبعث شاه ارمن مولاه مكتمر الى صلاح الدين شفيعا في صاحب الموصل ووفد عليه وهو محاصر لسنجار ولم يشفعه صلاح الدين فرجع عنه مغاضبا وسار شاه ارمن

لقتاله واستدعى قطب الدين نجم الدين الى صاحب ماردين وهو ابن أخيه وابن خال عز الدين وحضر معه دولة شاه بن طغرلشاه بن قليج ارسلان صاحب

وسار سنة ثمان وسبعين وقد ملك صلاح الدين سنجار وافترقت العساكر فلما بلغه مسيرهم بعث عن تقى الدين ابن أخيه شاه من حماة فوافاه سريعا ورحل الى رأس عين وافترقت جموعهم وسار صلاح الدين الى ماردين فعاث فى نواحيها ورجع ثم سار الى الموصل آخر احدى وثلاثين وعبر الى الجزيرة وانتهى الى حران ولقيه مظفر الدين كوكبرى بن زين الدين ولم يف له بالخمسين ألفا التى وعده بها وأخذ منه حران والرها ثم أطلقه بما نفذه من مكاتبته وأعاد عليه بلدته وسار من حران فحضر عنده عساكر الحصن ودارا ولقيه سنجر شاه صاحب الجزيرة ابن أخى عز الدين مودود فارقا الطاعة عمه وسار معه الى الموصل ولما انتهى الى مدينة بلد بعث اليه عز الدين ابن عمه نور الدين محمود وجماعة من أعيان الدولة راغبين فى الصلح فأكرمهم واستشار أصحابه من أعيان الدولة فأشار على بن أحمد المشطوب كبير الهكارية بالامتناع من ذلك فردهم صلاح الدين واعتذر وسار فنزل على فرسخين من الموصل واشتدوا فى مدافعته فامتنعوا عليه فندم على عدم الصلح ورجع على على المشطوب ومن وافقه بالائمة وخاطبه القاضى الفاضل البيسانى من مصر وعزله فى ذلك وجاء زين الدين يوسف بن زين الدين صاحب اربل وأخوه مظفر الدين كوكبرى فتلقاهما بالتكرمة وأنزلهما مع الحشود الوافدة بالجانب الشرقى وبعث على بن أحمد المشطوب الهكارى الى قلعة الجزيرة من بلاد الهكارية فحاصرها واجتمع عليه الاكراد ولم يزل محاصرا لها حتى عاد صلاح الدين من الموصل وأقام صلاح الدين على حصارها مدة وبلغ عز الدين أن نائبه بالقلعة يكاتبه فمنعه من الصعود اليها وكان يقتدى برأى مجاهد الدين وبعثه فى الصلح فسعى فيه الى أن تحمله ووصل صلاح الدين الى ميافارقين

* (وفاة شاه ارمن سكمان وولاية بكتمر مولى أبيه) *

ثم توفى شاه ارمن سقمان بن ابراهيم بن سكمان صاحب خلاط سنة ست وسبعين وكان بكتمر مولى أبيه بميافارقين فأسرع الوصول بمن معه من المماليك واستولى على كرسى بنى سكمان وولى على ميافارقين أسد الدين برتقش من موالى شاه ارمن وكان البهلوان ابن ايلدكز صاحب اذربيجان وهمذان مرتبقا لملوك السلجوقية وقد زوج ابنته من شاه ارمن طمعا فى ملك خلاط فلما توفى شاه ارمن سار اليها فى عساكره فكاتب أهل خلاط صلاح الدين بن أيوب ودافعوا كلا منهما بالآخر وسار صلاح الدين فى مقدمته ابن عمه ناصر الدين محمد بن شيركوه ومظفر الدين بن زين الدين وغيرهما ونزلوا قريبا من خلاط

فتردد الرسل من صلاح الدين ومن شمس الدين البهلوان الى أهل خلاط وهم يدافعون الفريقين وكان قد بلغه وفاة صاحبها قطب الدين وان برتقش نصب ابنه طفلا صغيرا واستبد عليه فسار صلاح الدين اليها وحاصرها حتى تسلمها على الامان وأقام مكتمر أميرا بخلاط وطالت مدته وجرت بينه وبين صلاح الدين فتن وحروب الى أن توفى صلاح الدين سنة تسع وثمانين فأظهر الشماتة به وتسمى عبد العزيز وتلقب سيف الدين وتوفى اثر ذلك والله تعالى أعلم

(وفاة مكتمر وولاية اقسنقر)

كان مكتمر لاول ولايته قد اختص اقسنقر من موالى شاه ارمن وتلقب هزارديناري وزوجه بنته وجعله اتابكه فأقام على ذلك مدة ثم استوحش من مكتمر وتربص به حتى اذا توفى صلاح الدين تجهز مكتمر من ميافارقين فأمكنته فيه الفرصة فقتله لعشر سنين من ولايته وذلك بعد وفاة صلاح الدين بشهرين واستبد بملك خلاط وارمينية واعتقل ابن مكتمر وأمه في بعض القلاع والله سبحانه وتعالى أعلم

(وفاة اقسنقر وولاية محمد بن مكتمر)

ثم هلك اقسنقر صاحب خلاط وارمينية سنة أربع وتسعين لخمس سنين من ملكه وقام بملك خلاط بعده حجر اشتدقطلغ الارمنى ولم يرضه أهل خلاط فوثبوا به لسبعة أيام من ولايته وقتلوه واستدعوا محمد بن مكتمر من محبسه وملكوه ولقبوه الملك المنصور وقام بدولته شجاع الدين قطلغ القفجاقي دوادار شاه ارمن وأقام تحت استبداده الى سنة ثلاث وستمائة ثم دبر على الدوادار وقبض عليه وكان حسن السيرة فاستوحش لذلك الجند والعامة وعكف بعد نكبة الدوادار على لذاته فاجتمع أهل خلاط والجند وكبيرهم بلبان مملوك شاه ارمن وكتبوا الى ارتق بن أبي الغازى بن البى صاحب ماردين يستدعونه للملك بما كان ابن أخت شاه ارمن وجاهر بلبان بالعصيان الى ملازكرد واجتمع الجند عليه

(نكبة ابن مكتمر واستيلاء بلبان على خلاط وأعمالها)

ولما ملك بلبان مدينة ملازكرد وأعمالها واجتمع عليه الجند وسار يريد خلاط ووصل ارتق بن أبي الغازى صاحب ماردين لموعدهم ونزل قريبا من خلاط فبعث اليه بلبان أن الجند والرعية اتهموني فيك فارجع واذا ملكت البلد سلمته اليك فنفى قبلا فبعث اليه يتوعده على مقالته وبطئه فعاد الى ماردين وكان الاشرف موسى بن العادل

ابن أيوب صاحب الجزيرة وحران لما سمع بمسير ارتق الى خلاط طمع فيها النفسه وخشي
أن يزداد بملكها قوة عليهم فخالفه الى ماردين وأقام بتدليس وبني ديار بكر حتى
استوعبها وعاد الى حران ثم جمع بلبان العساكر وسار الى خلاط فحاصرها وبرز ابن
مكتمر فيمن عنده فانهزم بلبان وعاد الى ولايته بملازكرد وارجيش وغيرها ثم جمع ورجع
الى خلاط فحاصرها وضيق عليها وابن مكتمر عاكف على لذاته فلما جهدهم
الحصار ثاروا به وقبضوه ومكنوا بلبان منه ودخل الى خلاط واستولى عليها وعلى سائر
أعمالها وحبس ابن مكتمر في قلعة هنالك واستبد بملكها وكان الاوحد نجم الدين أيوب
ابن العادل بن أيوب قد ولي على ميافارقين من قبل أبيه الى خلاط سنة أربع وستمائة
وقصد مدينة سوس وحاصرها وملك ما يجاورها وعجز بلبان عنه ثم ملك سوس وقصد
خلاط فبرز له بلبان وهزمه فعاد الى ميافارقين وجمع واستمد أباه العادل فأمده بالعساكر
ونهض الى خلاط فبرز له بلبان ثانية وهزمه الاوحد وحاصره في خلاط فبعث بلبان الى
طغرل يستنجده فانهزم الاوحد امامهما وسار بلبان مع طغرل الى مراش فحاصراها
وغدر به طغرل هنالك وقتله وسار الى خلاط فمنعه أهلها فسار الى ملازكرد فمنعوه
كذلك فعاد الى ارزن وأرسل أهل خلاط بطاعتهم الى الاوحد نجم الدين فجاء
وملك خلاط واستولى على أعمالها وزحف الكرج فأغاروا على خلاط وعاثوا
في نواحيها والاوحد مقيم بخلاط لم يفارقها وانتقض عليه جماعة من العسكر بحصن
وان وساروا الى مدينة ارجيش فملكوها واجتمع اليهم المفسدون وبعث نجم الدين
الى أبيه العادل يستنجده فأمده بابنه الاشرف شرف الدين موسى فحاصر حصن وان
حتى استأمن اليه من كان به من الجند ورجع الاشرف الى عمله بحران والرها واستقر
نجم الدين بخلاط ثم سار الى ملازكرد ليطالع أمورها ويمهدها فثار أهل خلاط
بعسكره فاخرجوهم وحصروا أصحاب نجم الدين بالقلعة ونادوا بشعار شاه ارمن
وقومه فرجع الاوحد ولاقاه عسكر الجزيرة وحاصر خلاط ثم اختلف أهلها فدخلها
عليهم عنوة واستباحها ونقل جماعة من أعيانها الى ميافارقين وقتل كثيرا منهم هنالك
واستكان أهل خلاط بعدها وانمحى منها حكم المماليك بعد أن كانوا مستحكمين فيها
يولون ملوكها ويخلعونهم وانقرضت دولة بني سكمان من خلاط وصارت لبني أيوب
والبقاء لله وحده والله وارث الارض ومن عليها وهو خير الوارثين واليه المرجع

عز الدين بلبان مولى شاه أرمن بن ابراهيم بن سكمان القطبى مولى قطب الدين اسمعيل بن ياقوتى بن داود بن ميكائيل

اقسنقر مولى

محمد بن مكتمر مولى

قائم بدولته سالم مولى شاه أرمن

{أخبار الافرنج فيما ملكوه من سواحل الشام وثغوره}
{وكيف تغلبوا عليه وبداية أمرهم فى ذلك ومصايره}

قد تقدم لنا اول الكتاب الكلام فى أنساب هذه الامة عند ذكر أنساب الامم وانهم من ولد يافث بن نوح ثم من ولد يفات بن كومر بن يافث اخوة الصقالبة والخزر والترك وقال هروشوش انهم من عصرما بن غومر وأن مواطنهم من بلاد المعمورة انهم فى شمالى البحر الرومى من خليج رومة الى ما وراء النهر غربا وشمالا وكانوا أولا يدينون لليونان والروم بالطاعة عند استفحال أمرهم فلما انقرضت دولة أولئك استقل هؤلاء

الافرنج بملكهم وافترقوا دولا مثل دولة القوط بالاندلس والجلالقة بعدهم وملك اللمانين بالتفخيم من جزيرة انكلطرة بالبحر المحيط الغربي الشمالي ومايحاذيه ويقابله من المعمور ومثل ملوك افرنسة وهو عندهم اسم افرنجة بعينه ينطقون بها سينا وهم ماوراء خليج رومة غربا الى الثنايا المفضية الى جزيرة الاندلس في الجبل المحيط بها من شرقيها وتسمى تلك الثنايا البرت وكانت دولة هؤلاء الافرنس منهم من أعظم دولهم واستفحل أمرهم بعد الروم وصدرا من دولة الاسلام العربية فسموا الى ملك بلاد المشرق من ناحيتها وتغلبوا على جزر البحر الرومي في آخر المائة الخامسة وكان ملكهم لذلك العهد بردويل فبعث رجالا من ملوكهم الى صقلية وملكها من يد المسلمين سنة ثمانين وأربعمائة ثم سموا الى ملك ماوراء النهر من افريقية وبلاد الشأم والاستيلاء على بيت المقدس وطال ترددهم في ذلك ثم استحثهم وحرضهم عليه فيما يقال خلفاء العبيديين بمصر لما استفحل ملك السلجوقية وانتزعوا الشأم من أيديهم وحاصروهم في مصر فيقال ان المستنصر منهم دس الى الافرنج بالخروج وتسهيل أمرهم عليه ليحولوا بين السلجوقية وبين مرامهم فتجهز الافرنج لذلك وجعلوا طريقهم في البر على القسطنطينية ومنعهم ملك الروم من العبور عليه من الخليج حتى شرط عليهم أن يسلموا اليه انطاكية لكون المسلمين كانوا أخذوها من ممالكهم فقبلوا اشرطه وسهل لهم العبور في خليجه فأجازوا سنة تسعين وأربعمائة في العدد والعدة وانتهوا الى بلاد قليج ارسلان وجمع للقائهم فهزموه وفتر

بلاد ابن اليون الارمني ووصلوا انطاكية وبها باغيسيان من أمراء السلجوقية فحاصروه بها وخذلوا صاحب حلب ودمشق على صريخه بأن لا يقصدوا غير انطاكية فأسلموه حتى ضاق به الحصار وغدر به بعض الحامية فملك الافرنج البلاد وهرب باغيسيان فقتل وحمل اليهم رأسه وكان ملوكهم الحاضرون لذلك خمسة بردويل وصنجيل وكبريري والقمص واسند وهو مقدم العساكر فردوا اليه أمر انطاكية وبلغ الخبر الى المسلمين فسارروا اليهم شرقا وغربا وسار قوام الدولة كربوقا صاحب الموصل وجمع عساكر الشأم وسار الى دمشق فخرج اليهم دقاق بن تتش وطغتكين أتابك وجناح الدولة صاحب حمص وارسلان صاحب سنجر وسكمان ارتق وغيرهم من الامراء وزحفوا الى انطاكية فحاصروها ثلاثة عشر يوما ووهن الافرنج واشتد عليهم الحصار لما باءهم على غير استعداد وطلبوا الخروج على الامان فلم يسعفوا ثم اضطرب أمر عساكر المسلمين وأساء كربوقا السيرة فيهم وأزمعوا من استكثاره عليهم فخرج الافرنج اليهم واستماتوا فتخاذل المسلمون وانهزموا وأمن

غير قتال حتى ظنها الافرنج مكيدة فتقاعدوا عن اتباعهم واستشهد من المسلمين ألوف والله تعالى أعلم

(استيلاء الافرنج على معرة النعمان ثم على بيت المقدس)

ولما حصلت للافرنج هذه النكاية في المسلمين طمعوا في البلاد وساروا الى معرة النعمان وحاصروها واشتد القتال في أسوارها حتى داخل أهلها الجزع فتحصنوا بالدور وتركوا السور فملكه الافرنج ودخلوا عليهم فاستباحوها ثلاثا وأقاموا بها أربعين يوما ثم ساروا الى عرقة وحاصروها أربعة أشهر وامتنعت عليهم فصالحهم ابن منقذ عليها وساروا الى حمص وحاصروها فصالحهم عليها جناح الدولة وساروا الى عكا فامتنعت عليهم وكان بيت المقدس قد ملكه السلجوقية وصار لتاج الدولة تتش وأقطعه لسكمان بن ارتق من التركمان فلما كانت واقعة الافرنج بانطاكية طمع أهل مصر فيهم وسار الافضل بن بدر الجمالي المستولي على العلويين بمصر الى بيت المقدس وبها سكمان وابو الغازى ابنا ارتق وابن عمهما سوع وابن أخيهما ياقوتي فحاصروه نيفا وأربعين يوما ونصبوا عليه نيفا وأربعين منجنيقا وملكوه بالامان سنة احدى وتسعين وأربعمائة وأحسن الافضل الى سكمان وابي الغازى وأصحابهما وسرحهم الى دمشق وعبروا الفرات وأقام سكمان بالرها وسار ابو الغازى الى العراق واستناب الافضل عليها افتخار الدولة الذى كان بدمشق فقصده الافرنج بعد ان حاصروا عكا وامتنعت عليهم فحاصروه أربعين ليلة وافترقوا على جوانب البلد فملكوها من الجانب الشمالي آخر شعبان من السنة واستباحوها وأقاموا فيها أسبوعا واعتصم بعض المسلمين بمحراب داود وقاتلوا فيه ثلاثا حتى استأمنوا ولحقوا بعسقلان وأحصى القتلى من الائمة والعلماء والعباد والزهاد المجاورين بالمسجد فكانوا سبعين ألفا أو يزيدون وأخذ من المناور المعلقة عند الصخرة أربعون قنديلا من الفضة كل واحد منها ثلاثة آلاف وستمائة وستون درهما من الفضة زنته أربعون رطلا بالشامي ومائة وخمسون قنديلا من الصغار وما لا يحصى من غير ذلك وجاء الصريخ الى بغداد صحبة القاضي أبي سعيد الهروى ووصف في الديوان صورة الواقعة فكثر البكاء والاسف وسرح الخليفة جماعة من الاعيان والعلماء فيهم القاضي أبو محمد الدامغاني وأبو بكر الشاشي وأبو الوفا بن عقيل الى السلطان بركيارق يستصرخونه للاسلام فساروا الى حلوان وبلغهم اضطراب الدولة السلجوقية وقتل مجد الملك البارسلاني المتحكم في الدولة واختلاف السلاطين فعادوا وتمكن الافرنج من البلاد وولوا على بيت المقدس كندفرى من ملوكهم

(مسير العساكر من مصر لحرب الافرنج)

لما بلغ خبر الواقعة الى مصر جمع لافضل الجيوش والعساكر واحتشدوا الى عسقلان وأرسل الى الافرنج بالنكير والتهديد فأعادوا الجواب ورحلوا مسرعين فكبسوه بعسقلان على غير أهبة فهزموه واستلحموا المسلمين ونهبوا سوادهم ودخل الافضل عسقلان وافترق المنهزمون واستبدوا بنصر الجبر ووصل الافضل من عسقلان الى مصر ونازلها الافرنج حتى صانع أهلها الافرنج بعشرين ألف دينار وعادوا الى القدس

(ايقاع ابن الدانشمند بالافرنج)

كان كمشتكين بن الدانشمند من التركمان ويعرف بطايلوا ومعنى الدانشمند المعلم كان أبوه يعلم التركمان وتقلبت به الاحوال حتى ملك سيواس وغيرها وكان صاحب ملطية يعاديه فاستنجد عليه اسمند صاحب انطاكية فجاء في خمسة آلاف وسار اليه ابن الدانشمند وأسره ثم جاء الافرنج الى قلعة أنكورية فملكوها وقتلوا من بها من المسلمين ثم حاصروا اسمعيل بن الدانشمند فلقيهم كمشتكين وهزمهم واستلحمهم وكانوا ثلثمائة ألف ثم ساروا الى ملطية فملكوها وأسروا صاحبها وزحف اليه اسمند من انطاكية في الافرنج فهزمهم ابن الدانشمند فأتاح الله للمسلمين على يده هذا الظهور في مدد متقاربة حتى خاص اسمند من الاسر وجاء الى انطاكية والافرنج بها وبعث الى قيس العواصم وما جاورها يطلب الامارة فامتعض المسلمون لذلك وقلدوه بعد العهد الذى التزمه

(حصار الافرنج قلعة جبلة)

كانت جبلة من أعمال طرابلس وكان الروم قد ملكوها وولوا على المسلمين بها ابن رئيسهم منصور بن صليحة يحكم بينهم فلما صارت للمسلمين رجع أمرها لجلال الملك أبي الحسن علي بن عمار المستبد بطرابلس وبقي منصور بن صليحة على عادته فيها ثم توفي منصور فقام ابنه أبو محمد عبد الله مقامه وأظهر الشهامة فارتاب به ابن عمار وأراد القبض عليه فعصى هو في جبلة وأقام بها الخطبة العباسية واستنجد عليه ابن عمار دقاق بن تتش فجاءه ومعه أتابك طغركين فامتنع عليهم ورجعوا ثم جاء الافرنج فحاصروها فامتنعت عليهم أيضا وشاع أن بركيارق جاء الى الشأم فرحلوا ثم عادوا وأظهروا ان المصريين جاؤا لانجاده فرحلوا ثم عادوا فتقدم للنصارى الذين عنده أن يداخلوا الافرنج في نقب البلد من بعض أسواره فجهزوا اليهم ثلثمائة من أعيانهم

فرفعهم بالحبال واحدا بعد واحد وهو قاعد على السور حتى قتلهم أجمعين فرحلوا عنه
ثم عادوا اليه فهزمهم وأسر ملكهم كبرانيطل وفادى نفسه منه بمال عظيم ثم
ابن صليحة وجهده الحصار فأرسل الى طغركين صاحب دمشق وبعث ابن عمار فى طلبه
الى الملك دقاق على أن يدفعه اليه بنفسه دون ماله ويعطيه ثلاثين ألف دينار فلم يتفق
وسار ابن صليحة الى بغداد فوعده الى وصول رحله من الانبار فبعث الوزير من استولى
عليها فوجد فيها مالا يحصى من الملابس والعمائم والمتاع وانتزع ذلك كله ولما ملك
تاج الملوك جبلة أساء فيها السيرة فراسلوا فخر الملك أبا على بن عمار صاحب طرابلس
واستدعوه لملكها فبعث اليهم عسكرا وقاتلوا تاج الملك ومن معه فهزموه وأخذوه
أسيرا وملكوا جبلة بدعوة ابن عمار وحملوا تاج الملك الى ابن عمار فأحسن اليه
وبعث الى أبيه بدمشق واعتذر له بأنه خاف على جبلة من الافرنج

(استيلاء الافرنج على سروج وقيسارية وغيرهما)

ثم سار كبريرى ملك الافرنج من بيت المقدس سنة أربع وتسعين لحصارها فأصابه منهم
سهم فقتله فسار أخوه بقدوين فى خمسمائة فارس الى القدس ونهض دقاق صاحب
دمشق ومعه جناح الدولة صاحب حمص لاعتراضه فهزموا الافرنج وأثخنوا فيهم
ثم كاتب أهل قدينة الافرنج وكان أكبرهم ودخل فى طاعتهم وكان سقمان بن ارتق
صاحب سروج بجمع جموعه من التركمان وسار الى الرها فلقيه الافرنج وهزموه
فى ربيع سنة أربع وتسعين وساروا الى سروج فحاصروهم حتى ملكوها عنوة
واستباحوها ثم ملكوا حصن كيفا بقرب عكا عنوة وملكوا ارسوف بالامان ثم ساروا
فى رجب الى قيسارية فملكوها عنوة واستباحوها والله تعالى ولى التوفيق بمنه وكرمه

(حصار الافرنج طرابلس وغيرها)

كان صنجيل من ملوك الافرنج المذكورين قبل قد لازم حصار طرابلس وزحف اليه
قليج ارسلان صاحب بلاد الروم فظفر به وعاد صنجيل مهزوما فأرسل فخر الدولة بن عمار
صاحب طرابلس الى أمير آخر نائب جناح الدولة بحمص الى دقاق بن تتش يدعوه الى
معالجته فجاء تاج الدولة بنفسه وجاء العسكر مددا من عند دقاق واجتمعوا على
طرابلس وفرق صنجيل الفل الذين معه على قتالهم فانهزموا كلهم وقتل هو فى أهل
طرابلس وشد حصارها وأعانه أهل الجبل والنصارى من أهل سوادها ثم صالحوه على
مال وخيل ورحل عنهم الى طرسوس من أعمال طرابلس فحاصرها وملكها عنوة
واستباحها الى حصن الطومار ومقدمه ابن العريض فامتنع عليهم وقاتلهم صنجيل

فهزموا عساكره وأسروا زعيما من زعماء الافرنج بذل من فضل فيه عشرة آلاف دينار
وألف أسير ولم يعاوده وذلك كله سنة خمس وتسعين وأربعمائة ثم سار صنجيل الى
حصن الاكراد وحاصره جناح الدولة لغزوه فوثب عليه باطني بالمسجد
وقتله ويقال ان رضوان بن تتش وضعه عليه فسار صنجيل الى حمص وحاصرها وملك
أعمالها ثم نزل القمص على عكا في جمادى الاخيرة من السنة فنفر المسلمون من جميع
السواحل لقتاله وهزموه وأحرقوا اهله والمجانيقات التي نصبت للحرب ثم سار القمص
صاحب الرها الى سروت وحاصرها فامتنعت عليه وزحف عساكر مصر الى
عسقلان للمدافعة عن سواحلهم فزحف اليهم بردويل صاحب القدس فهزمه
المسلمون ونجا الى الرملة وهم في اتباعه فحاصروه وخلص الى يافا وفشا القتل والاسر
في الافرنج والله تعالى ولي التوفيق

(حصار الافرنج عسقلان وحروبهم مع عساكر مصر)

لما طمع الافرنج في عسقلان واستفحل أمرهم بالشأم جهز الافضل أمير الجيوش
عساكره من مصر لحربهم سنة ست وتسعين مع سعد الدولة القواسي مولى أبيه وزحف
بغدوين ملك الافرنج من القدس فلقيهم بين الرملة ويافا وهزمهم ومات سعد الدولة
متردّيا عن فرسه واستولى الافرنج على سواده وبعث الافضل بعده ابنه شرف المعالي
فلقيهم في العساكر على يازور قرب الرملة فهزمهم ونال منهم ونجا كثير من أعيانهم الى
بعض الحصون هناك فحاصرهم شرف المعالي خمس عشرة ليلة وملك الحصن فقتل وأسر
ونجا بغدوين الى يافا ثم الى القدس فصادف وصول جمع كثير من الافرنج لزيارة القدس
فندبهم للغزو فساروا الى عسقلان وبها شرف المعالي فامتنعت ورجعوا وبعث شرف
المعالي الى أبيه فبعث العساكر في البر مع تاج العجم مولى أبيه والاسطول في البحر
لحصار يافا مع القاضي ابن قادوس فلما وصل الاسطول الى يافا بعث عن تاج العجم ليأتيه
بالعساكر فامتنع فأرسل الافضل من قبض عليه وولى على العساكر وعلى عسقلان
جمال الملك من مواليهم فانصرمت السنة وبيد الافرنج بيت المقدس غير عسقلان ولهم
أيضا من الشأم يافا وارسوف وقيسارية وحيفا وطبرية والاردن واللاذقية وانطاكية
ولهم بالجزيرة الرها وسروج وصنجيل محاصر فخر الملك بن عمار بمدينة طرابلس وهو
يرسل الاسطول للغارة على بلاد الافرنج في كل ناحية ثم دخلت سنة سبع وتسعين فخرج
الافرنج الذين بالرها فأغاروا على الرقة وقلعة جعفر واكتسحوا نواحيهما وكانتا لسالم
ابن مالك بن بدران بن المقلد منذ ملكه السلطان ملكشاه اياها سنة تسع وسبعين كما مرّ
والله أعلم

(استيلاء الافرنج على جبيل وعكا)

في سنة سبع وتسعين وصلت مراكب من بلاد الافرنج تحمل خلقا كثيرا من التجار والحجاج فاستعان بهم صنجيل على حصار طرابلس فحاصرها حتى يئسوا منها فرحلوا الى جبيل وملكوها بالامان ثم غدروا بأهلها وأثخنوا في استباحتها ثم استنجدهم بقدوين ملك القدس على حصار عكا فحاصرها برا وبحرا وبها   الدولة الجيوشي من قبل ملك الجيوش الافضل صاحب مصر فدافعهم حتى عجز وهرب عنها الى دمشق وملك الافرنج عكا عنوة وأثخنوا في استباحتها والله تعالى أعلم

(حروب أمراء السلجوقية بالجزيرة الفرنج)

كان المسلمون أيام تغلب الافرنج على الشام في فتنة واختلاف فتمكن بها الافرنج واستطالوا وكانت حران وحمص لمولى من موالي ملك شاه اسمه قراجا والموصل لجكرمس وحصن كيفا لسقمان بن ارتق وهو في حران على قراجا ثم فيها فاغتاله جاولي مولى من موالي الترك وقتله فطمع الافرنج في حران وحاصروها وكان بين جكرمس وسقمان فتنة وحروب فوضعوا أوزارها للسلاف في حران واجتمعا على الخابور وتحالفا ومع سقمان سبعة آلاف من قومه التركمان ومع جكرمس ثلاثة آلاف من قومه الترك ومن العرب والاكراد وسار اليهم الافرنج من حران فاقتتلوا واستطرد لهم المسلمون بعيدا ثم كروا عليهم فأثخنوا فيهم واستباحوا أموالهم وكان ابيمند صاحب انطاكية وسكري صاحب الساحل قد أكمنوا للمسلمين وراء الجبل فلم يظهر لهم انهم أصحابهم وأقاموا هنالك الى الليل ثم هربوا وتبعهم المسلمون فاتبعوهم وأثخنوا فيهم وأسر في تلك الواقعة القمص بردويل صاحب الرها أسره بعض التركمان من أصحاب سقمان فشق ذلك على أصحاب جكرمس لكثرة ما امتاز التركمان من الغنائم وحسنوا له أخذ القمص من   سقمان فأخذه وأراد التركمان محاربة جكرمس وأصحابه عليه فمنعهم سقمان حذرا من اختلاف المسلمين وسار مفارقا لهم وكان يمر بحصون الافرنج فيخرجون اليه ظنا بنصر أصحابهم فملكها عليهم وسار جكرمس الى حران فملكها وولى عليها من قبله ثم سار الى الرها وحاصرها أياما وعاد الى الموصل وفادى القمص بردويل بخمسة وثلاثين ألف دينار ومائة وستين أسيرا والله سبحانه وتعالى ولي التوفيق بمنه وكرمه

(حروب الافرنج مع رضوان بن تتش صاحب حلب)

ثم سار سكري صاحب انطاكية من الافرنج سنة ثمان وتسعين الى حصن اربام من

حصون رضوان صاحب حلب فضاقت حالهم واستنجدوا برضوان فسار اليهم وخرج الافرنج للقائه ثم طلب الصلح من رضوان فمنعه اصبهبد صباوو من أمراء السلجوقية كان نزع اليه بعد قتل صاحبه اياز وانتهم الافرنج فانهزموا أولا ثم استقاموا وكروا على المسلمين فهزموهم وأثخنوا في قتلهم وقتل الرجالة الذين دخلوا عسكرهم في الحملة الاولى ونجا رضوان وأصحابه الى حلب ولحق صباوو بطغركين أتابك دمشق ورجع الافرنج الى حصار الحصن فهرب أهله الى حلب وملكه الافرنج والله تعالى ولي التوفيق

(حرب الافرنج مع عساكر مصر)

كان الافضل صاحب مصر قد بعث سنة ثمان وتسعين ابنه شرف المعالي في العساكر الى الرملة فملكها وقهر الافرنج ثم اختلف العسكر في ادعاء الظفر وكادوا يقتتلون وأغار عليهم الافرنج فعاد شرف المعالي الى مصر فبعث الافضل ابنه الآخر سناء الملك حسينا مكانه في العساكر وخرج معه جمال الدين صاحب عسقلان واستمد طغركين أتابك دمشق فجهز اليهم أصبهبد صباوو من أمراء السلجوقية وقصدهم بقدوين صاحب القدس وعكا فقتلوا وكثرت بينهم القتلى واستشهد جمال الملك نائب عسقلان وتحاجزوا وعاد كل الى بلده وكان مع الافرنج جماعة من المسلمين منهم بكتاش بن تتش ذهب مغاضبا عن دمشق لما عدل عنه طغركين الاتابك بالملك الى ابن أخيه دقاق وأقام عند الافرنج والله سبحانه وتعالى ولي التوفيق بمنه

(حرب الافرنج مع طغركين)

كان قص من قامصة الافرنج بالقرب من دمشق وكان كثيرا ما يغير عليها ويحارب عساكرها فسار اليه طغركين في العساكر وجاء بقدوين ملك القدس لانجاده على المسلمين فرده ذلك القمص ثقة بكفائه فرجع الى عكا وسار طغركين الى الافرنج فقاتلهم وحجزهم في حصنهم ثم خرب الحصن وألقى حجارته في الوادي وأسر الحامية الذين به وقتل من سواهم من أهله وعاد الى دمشق ظافرا ثم سار بعد أسبوع الى ... وبه ابن أخت صنجيل و... وقتل حاميته

(استيلاء الافرنج على حصن افامية)

كان خلف بن ملاعب الكلابي متغلبا على حمص وملكها منه تتش كما مر وانتقلت الاحوال الى مصر ثم ان رضوان صاحب حلب انتقض عليه واليه بحصن افامية وكان من الرافضة فبعث بطاعته الى صاحب مصر واستدعى منهم واليا فبعثوا خلف بن

ملاعب لايثاره الجهاد وأخذوا رهنه بعدى في افامية واستبدّ بها واجتمع عليه المفسدون ثم ملك الافرنج   من اعمال حلب وأهلها رافضة ولحق قاضيها بابن ملاعب في افامية ثم أعمل التدبير عليه وبعث الى أبي طاهر الصائغ من أصحاب رضوان وأعيان الرافضة ودعاتهم وداخله في الفتك بابن ملاعب وتسليم الحصن الى رضوان وشعر بذلك ابنا ابن ملاعب وحذرا أباهما من تدبير القاضي عليه وجاء القاضي فحلف له على كذبه وصدّقه وعاد القاضي الى مداخلة أبي طاهر ورضوان في ذلك التدبير وبعثوا جماعة من أهل سرمين بخيول وسلاح يقصدون الخدمة عند ابن ملاعب فأنزلهم بربض افامية حتى تم التدبير وأصعدهم القاضي وأصحابه ليلا الى القلعة فملكوها وقتلوا ابن ملاعب وهرب ابناه فلحق أحدهما بأبي الحسن بن منقذ صاحب شيرز وقتل الآخر وجاء أبو طاهر الصائغ الى القاضي يعتقد ان الحصن له فلم يمكنه القاضي وأقام عنده وكان بعض بني خلف بن ملاعب عند طغركين بدمشق مغاضبا لابيه فولاه حصنا من حصونه فأظهر الفساد والعيث فطلبه طغركين فهرب الى الافرنج واستحثهم لملك افامية فحاصروه حتى جهد أهله الجوع وقتلوا القاضي المتغلب بها والصائغ وذلك سنة تسع وتسعين وخمسمائة

(خبر الافرنج في حصار طرابلس)

كان صنجيل من ملوك الافرنج ملازما لحصار طرابلس وملك جبلة من يد ابن صليحة وبنى على طرابلس حصنا وأقام عليها ثم هلك وحمل الى القدس ودفن وأمر ملك الروم أهل اللاذقية أن يحملوا الميرة الى الافرنج المحاصرين طرابلس فحملوها في السفن وظفر أصحاب ابن عمار ببعضها فقتلوا وأسروا واستمر الحصن خمس سنين فعدمت الاقوات واستنفد أهل الثروة مكسوبهم في الانفاق وضاقت أحوالهم وجاءتهم سنة خمسمائة ميرة في البحر من جزيرة قبرص وانطاكية وجزائر البنادقة فحفظت أرماقهم ثم بلغ ابن عمار انتظام الامر للسلطان محمد بن ملك شاه بعد أخيه بركيارق فارتحل اليه صريخا واستخلف على طرابلس ابن عمه ذا المناقب في طرابلس وخيم ابن عمار على دمشق وأكرمه طغركين ثم سار الى بغداد فأكرمه السلطان محمد وأمر بتبليغه والاحتفال لقدومه ووعده بالانجاد ولما رحل عن بغداد أحضره عنده بالنهروان وأمر الامير حسين بن أتابك قطلغتكين بالمسير معه وان يستصحب العساكر التي بعثها مع الامير مودود الى الموصل لقتال جاولي بسكاوو وأمره باصلاح جاولي والمسير مع ابن عمار كما في أخبارهم ثم وقعت الحرب بين السلطان محمد وبين صدقة بن مزيد واصطلحوا وودّعه ابن عمار بعد ان خلع عليه وسار معه الامير حسين فلم يصل الى قصده

من عساكر الموصل   مودود فقاتل فخر الدين بن عمار فى
دمشق فى محرم سنة ثنتين وخمسمائة وسار منها الى   فملكها فبعث أهل طرابلس
الى الافضل أمير الجيوش بمصر يستمدونه ويسألون الوالى عليهم فبعث اليهم شرف
الدولة بن أبى الطيب بالمدد والاقوات والسلاح وعدة الحصار واستولى على ذخائر ابن
عمار وقبض على جماعة من أهله وحمل الجميع فى البحر الى مصر

(خبر القمص صاحب الرها مع جاولى ومع صاحب انطاكية)

كان جاولى قد ملك الموصل من يد أصحاب جكرمش ثم انتقض فبعث السلطان اليه مودود فى العساكر فسار جاولى عن الموصل وحمل معه القمص بردويل صاحب الرها الذى كان أسره سقمان وأخذه منه جكرمش وأصحابه وترك الموصل ثم أطلق جاولى هذا القمص فى سنة ثلاث وخمسمائة بعد خمس سنين من أسره على مال قرره عليه وأسرى من المسلمين عنده يطلقهم وعلى أن يمده بنفسه وعساكره وماله متى احتاج الى ذلك ولما انبرم العقد بينهما بعث الى سالم بن مالك بقلعة جعفر حتى جاءه هنالك ابن خالته جوسكين تل باشر فأقام رهينة مكانه ثم أطلقه جاولى ورهن مكانه أخا زوجته وزوجة القمص فلما وصل جوسكين الى منبج أغار عليها ونهبها وبها جماعة من أصحاب جاولى الى الغدر فاعتذر بأن هذه البلاد ليست لكم ولما أطلق القمص سار الى انطاكية ليسترد الرها من يد سكرى لانه أخذها بعد أسره فلم يردها وأعطاه ثلاثين ألف دينار ثم سار القمص الى تل باشر وقدم عليه أخوه جوسكين الذى وضعه رهينة عند جاولى وسار سكرى صاحب انطاكية لحربهما قبل أن يستفحل أمرهما ويمدهما جاولى فقاتلوه ورجع الى انطاكية وأطلق القمص مائة وستين من أسرى المسلمين ثم سار القمص وأخوه جوسكين فأغاروا على حصون انطاكية وأمدهم صاحب رعبان وكيسوم وغيرهما من القلاع شمال حلب وهو من الارمن بألف فارس وألفى راجل وخرج اليهم سكرى وتراجعوا الحرب ثم حملهم الترك على الصلح وحكم على سكرى برد الرها على القمص صاحبها بعد ان شهد عنده جماعة من البطارقة والاساقفة بأن اسمندخال سكرى لما انصرف الى بلاده أوصاه برد الرها على صاحبها اذا خلص من الاسر فردها سكرى على القمص فى صفر سنة ثلاث ووفى القمص لجاولى بما كان بينهما ثم قصد جاولى الشام ليملكه يتنقل فى نواحيه كما مر فى أخباره وكتب رضوان صاحب حلب الى سكرى صاحب انطاكية يحذره من جاولى ويستنجده عليه فأجابه وبرز من انطاكية وبعث اليه رضوان بالعساكر واستنجد جاولى القمص صاحب الرها فأنجده بنفسه ولحق به على منبج وجاءه الخبر هنالك باستيلاء عسكر السلطان على بلده الموصل وعلى خزائنه بها

وفارقه كثير من أصحابه منهم زنكي بن اقسنقر فنزل جاولي تل ناشر وتزاحف مع سكري عند الك واشتد القتال واستمر أصحاب انطاكية فخاذل أصحاب جاولي وانهزموا وذهب الافرنج بسوادهم فجاء الشمس وجوسكين الى تل ناشر والله تعالى أعلم

(حروب الافرنج مع طغركين)

كان طغركين قد سار الى طبرية سنة ثنتين وخمسمائة فسار اليه ابن أخت بغدوين ملك القدس واقتتلوا فانكشف المسلمون ثم استماتوا وهزموا الافرنج وأسروا ابن أخت الملك فقتله طغركين بيده بعد ان فادى نفسه بثلاثين ألف دينار وخمسمائة أسير فلم يقبل منه الا الاسلام أو القتل ثم اصطلح طغركين وبغدوين مدة أربع سنين وكان حصن عربة من أعمال طرابلس بيد مولى ابن عمار فعصى عليه وانقطعت عنه الميرة بعيث الافرنج في نواحيه فارسل الى طغركين بطاعته فبعث اسرائيل من أصحابه ليتملك الحصن ونزل منه مولى ابن عمار فرماه اسرائيل في الزحام بسهم فقتله حذرا أن يطلع الاتابك على مخالفه وقصد طغركين الحصن لمشارفة أحواله فمنعه نزول الثلج حتى اذا تقشع والنجلى سار في أربعة آلاف فارس وفتح حصونا للافرنج منها حصن الاكمة وكان السرداني من الافرنج يحاصر طرابلس فسار للقائه فلما أشرف عليه انهزم طغركين وأصحابه الى حمص وملك السرداني حصن عربة بالامان ووصل طغركين الى دمشق فبعث اليه بغدوين من القدس بالبقاء على الصلح وذلك في شعبان سنة اثنين

(استيلاء الافرنج على طرابلس وبيروت وصيدا وجبيل وباقياس)

ولما عادت طرابلس الى صاحب مصر من يد ابن عمار وولى عليها نائبه والافرنج يحاصرونها وزعيمهم السرداني ابن أخت صنجيل فلما كانت سنة ثلاث وخمسمائة في شعبان ووصل القمص والد صنجيل وليس صنجيل الاول وانما هو قمص آخر بمراكب عديدة مشحونة بالرجال والسلاح والميرة وجرت بينه وبين السرداني فتنة واقتتلوا وجاء سكري صاحب انطاكية مددا للسرداني ثم جاء بغدوين ملك القدس وأصلح بينهم وحاصروا طرابلس ونصبوا عليها الابراج فاشتد بهم الحصار وعدموا القوت لتأخر الاسطول المصري بالميرة ثم زحفوا الى قتالها بالابراج وملكوها عنوة ثاني الاضحى واستباحوها وأثخنوا فيها وكان النائب بها قد استأمن الى الافرنج قبل ذلك بليال وملكها بالامان ونزل على مدينة جبيل وبها فخر الملك بن عمار فاستأمنوا الى سكري وملكها ولحق ابن عمار بشيزر فنزل على صاحبها سلطان بن علي بن منقذ الكناني ولحق منها بدمشق فأكرمه طغركين وأقطعه الزبداني من أعمال دمشق

في محرم سنة أربع ووصل اسطول مصر بالميرة بعد أخذ طرابلس بثمانية أيام فأرسى بساحل صور وفرقت الغلال في جهاتها في صور وصيدا وبيروت ثم استولى الافرنج على صيدا في ربيع الآخر سنة أربع وخمسمائة وذلك انه وصل اسطول للافرنج من ستين مركبا مشحونة بالرجال والذخائر وبها ملوكهم بقصد الحج والغزو فاجتمع مع بقدوين صاحب القدس ونازلوا صيدا برا وبحرا وأسطول مصر يعجز عن انجادهم ثم زحفوا الى السور في ابراج الخشب المصفحة فضعفت نفوسهم أن يصيبهم مثل ما أصاب أهل بيروت فاستأمنوا فأمنهم الافرنج في جمادى الاولى ولحقوا بدمشق بعد سبعة وأربعين يوما من الحصار وأقام بالبلد خلق كثير تحت الامان وعاد بقدوين الى القدس

(استيلاء أهل مصر على عسقلان)

كانت عسقلان للخلفاء العلوية بمصر وقد ذكرنا حروب الافرنج مع عساكرهم عليها آخرمن استشهد منهم جمال الملك نائبها كما مر آنفا وولى عليها شمس الخلافة فراسل بقدوين ملك القدس وهاداه ليمتنع به من الخليفة بمصر وبعث الافضل بن أمير الجيوش العساكر اليه سنة أربع وخمسمائة مع قائد من قوادهم موريا بالغزو وأسر اليه بالقبض على شمس الخلافة والولاية مكانه بعسقلان وشعر شمس الخلافة بذلك فجاهر بالعصيان فخشي أن يملكها الافرنج فراسله وأقره على عمله وعزل شمس الخلافة جند عسقلان واستنجد جماعة من الارمن فاستوحش منه أهل البلد ووثبوا به فقتلوه وبعثوا الى الامير الافضل صاحب مصر المستولى عليها بطاعتهم فجاءهم الوالى من قبله واستقامت أمورهم

(استيلاء الافرنج على حصن الاقارب وغيره)

ثم جمع سكرى صاحب انطاكية واحتشد وسار الى حصن الاقارب على ثلاثة فراسخ من حلب فحاصره وملكه عنوة وأثخن فيهم بالقتل والسبي ثم سار الى حصن وزدناد ففعل فيه مثل ذلك وهرب أهله منه ومارس على بلديهما ثم سار عسكر من الافرنج الى مدينة صيدا فملكوها على الامان وأشفق المسلمون من استيلاء الافرنج على الشأم وراسلوهم في الهدنة فامتنعوا الاعلى الضريبة فصالحهم رضوان صاحب حلب على اثنين وثلاثين ألف دينار وعدة من الخيول والثياب وصاحب صور على سبعة آلاف دينار وابن منقذ صاحب شيزر على أربعة آلاف دينار وعلى الكردى صاحب حماة على ألفي دينار ومدة الهدنة الى حصاد الشعير ثم اعترضت مراكب الافرنج مراكب

التجار من مصر فأخذوها وأسروهم وسار جماعة من أهل حلب الى بغداد للنفير فدخلوها مستغيثين ومعهم خلق من الفقهاء والغوغاء وقصدوا جامع السلطان يوم الجمعة فمنعوا الناس من الصلاة بضجيجهم وكسروا المنبر فوعدهم السلطان بانفاذ العساكر للجهاد وبعث من دار الخلافة منبر الجامع ثم قصدوا في الجمعة الثانية جامع القصر في مثل جمعهم ومنعهم صاحب الباب فدفعوا ودخلوا الجامع وكسروا شبابيك المقصورة والمنبر وبطلت الجمعة وأرسل الخليفة الى السلطان في رفع هذا الحزن فأمر الامراء بالتجهز للجهاد وأرسل ابنه الملك مسعودا مع الامير مودود صاحب الموصل ليلحق به الامراء ويسيروا جميعا الى قتال الافرنج

(مسير الامراء السلجوقية الى قتال الافرنج)

ولما سار مسعود ابن السلطان مع الامير مودود الى الموصل اجتمع معهم الامراء سقمان القطبي صاحب ديار بكر وابنا برسق ابلتكي وزنكي اصحاب همذان والامير أحمد بك صاحب مراغة وأبو الهيجاء صاحب اربل وايازبن أبي الغازي بعثه أخوه صاحب ماردين وساروا جميعا الى سنجار وفتحوا عدة حصون للافرنج ونزلوا على مدينة الرها وحاصروا واجتمعوا مع الافرنج على الفرات وخام الطائفتان عن اللقاء وتأخر المسلمون الى حران يستطردون للافرنج لعلهم يعبرون الفرات فخالفهم الافرنج الى الرها وشحنوها أقواتا وعدة وأخرجوا الضعفاء منها ثم عبروا الفرات الى نواحي حلب لان الملك رضوان صاحبها لما عبروا الى الجزيرة ارتجع بعض الحصون التي كان الافرنج أخذوها بأعمال حلب فطرقوها الآن فاكتسحوا نواحيها وجاءت عساكر السلطان الى الرها وقاتلوها فامتنعت عليهم فعبروا الفرات وحاصروا قلعة تل باشر شهرا ونصفا فامتنعت فرحلوا الى حلب فقعد الملك رضوان عن لقائهم ومرض هنالك سقمان القطبي ورجعوا فتوفي في بالس وحمل شلوه الى بلده ونزلت العساكر السلطانية على معرة النعمان فخرج طغركين صاحب دمشق الى مودود ونزل عليه ثم ارتاب لما رأى من الامراء في حقه فدس للافرنج بالمهادنة ثم افترقت العساكر كما ذكرنا في أخبارهم وبقي مودود مع طغركين على نهر العاصي وطمع الافرنج بافتراقهم فساروا الى فامية وخرج سلطان بن منقذ صاحب شيزر الى مودود وطغركين فرحل بهم الى شيزر وهون عليهم أمر الافرنج وضاقت الميرة على الافرنج فرحلوا واتبعهم المسلمون يتخطفون من أعقابهم حتى أبعدوا والله تعالى أعلم

(حصار الافرنج مدينة صور)

ولما افترقت العساكر السلطانية خرج بغدوين ملك القدس وجمع الافرنج ونزلوا على

مدينة صور فى جمادى الاولى من سنة خمس وهى للامير الافضل صاحب مصر ونائبه بها عز الملك الاعز ونصبوا عليها الابراج والمجانيق وانتدب بعض الشجعان من أهل طرابلس كان عندهم فى ألف رجل وصدقوا الحملة حتى وصلوا البرج المتصل بالسور فأحرقوه ورموا الآخرين بالنفط فأحرقوهم واشتد القتال بينهم وبعث أهل صور الى طغركين صاحب دمشق يستنجدونه على أن يمكنوه من البلد فجاء الى بانياس وبعث اليهم بمائتى فرس واشتد القتال وبعث نائب البلد الى طغركين بالاستغاثة للوصول ليمكنه من البلد وكان طغركين يغير على أعمال الافرنج فى نواحيها وملك لهم حصنا من أعمال دمشق وقطع الميرة عنهم فسار وا وحملوها فى البحر ثم سار الى صيدا وأغار عليها ونال منها ثم أزهت الثمرة وخشى الافرنج من طغركين على بلادهم فأفرجوا عن صور الى عكا وجاء طغركين الى صور فأعطى الاموال واشتغلوا باصلاح سورهم وخندقهم والله أعلم

(أخبار مودود مع الافرنج ومقتله ووفاة صاحب انطاكية)

ثم سار الامير مودود صاحب الموصل سنة ست الى سروج وعاث فى نواحيها فخرج جكرمس صاحب تل باشر وأغار على دوابهم فاستاقها من راعيها وقتل كثيرا من العسكر ورجع ثم توفى الامير الارمنى صاحب الدوريب ببلاد ابن كاور فسار سكرى صاحب انطاكية من الافرنج الى بلاده ليملكها فمرض وعاد الى انطاكية ومات منتصف سنة ست وملكها بعده ابن أخته سرجان واستقام أمره ثم جمع الامير مودود صاحب الموصل العساكر واحتشد وجاءه صاحب سنجار وايلغازى ابن أبى الغازى صاحب ماردين وطغركين صاحب دمشق ودخلوا فى محرم سنة سبع الى بلاد الافرنج وخرج بقدوين ملك القدس وجوسكين صاحب القدس يغير على دمشق فعبروا الفرات وقصدوا القدس ونزلوا على الاردن والافرنج عدوتهم واقتتلوا منتصف المحرم فانهزم الافرنج وهلك منهم كثير فى بحيرة طبرية والاردن وغنم المسلمون سوادهم وساروا منهزمين فلقيهم عسكر طرابلس وانطاكية فشردوا معهم وأقاموا على جبل طبرية وحاصرهم المسلمون نحوا من شهر فلم يظفروا بهم فتركوهم وانساحوا فى بلاد الافرنج ما بين عكا الى القدس واكتسحوها ثم انقطعت المواد عنهم للبعد عن بلادهم فعادوا الى مرج الصفر على نية العود للغزاة فى فصل الربيع وأذنوا للعساكر فى الانطلاق ودخل مودود الى دمشق يقيم بها الى أوان اجتماعهم فطعنه باطنى فى الجامع منصرفه من صلاة الجمعة آخر ربيع الاول من السنة ومات من يومه واتهم طغركين بقتله والله تعالى أعلم

(أخبار البرسقي مع الافرنج)

ولما قتل مودود بعث السلطان محمد مكانه اقسنقر البرسقي ومعه ابنه السلطان مسعود في العساكر لقتال الافرنج وبعث الى الامراء بطاعته فجاءه عماد الدين زنكي بن اقسنقر وغيرك صاحب سنجار وسار الى جزيرة ابن عمر وملكها من يد نائب مودود ثم سار الى ماردين لحاصرها الى أن أذعن أبو الغازي صاحبها وبعث معه ابنه ايازا في العساكر فساروا الى الرها وحاصروها في ذي الحجة سنة ثمان مدة سبعين يوما فامتنعت وضاقت الميرة على المسلمين فرحلوا الى شمشاط وسروج وعاثوا في تلك النواحي وهلك في خلال ذلك كواسل صاحب مرعش وكيسوم ورعبان من الافرنج وملكت زوجته بعده وامتنعت من الافرنج وأرسلت الى البرسقي على الرها بطاعته فبعث اليها صاحب الخابور فردته بالاموال والهدايا وبطاعتها فعاد من كان عندها من الافرنج الى انطاكية والله أعلم

(الحرب بين العساكر السلطانية والفرنج)

كان السلطان محمد قد تنكر لطغركين صاحب دمشق لاتهامه اياه بقتل مودود فعصى وأظهر الخلاف وتابعه أبو الغازي صاحب ماردين لما كان بينه وبين البرسقي فاهتم السلطان شأنهما وشأن الافرنج وقوتهم وجهز العساكر مع الامير برسق صاحب همذان وبعث معه الامير جيوس بك والامير كسقري وعساكر الموصل والجزيرة وأمرهم بغزو الافرنج بعد الفراغ من شان أبي الغازي وطغركين فساروا في رمضان سنة ثمان وعبروا الفرات عند الرقة وجاؤا الى حلب وبها لؤلؤ الخادم بعد رضوان ومقدم العساكر شمس الخواص وعرضوا عليهما كتب السلطان بتسليم البلد فدافعا بالجواب واستنجدا أبا الغازي وطغركين فوصلا اليهما في ألفي فارس واستعانا على العسكر فسار الامير برسق الى حماة من أعمال طغركين فملكها عنوة ونهبها ثلاثا وسلمها للامير قرجان صاحب حمص بأمر السلطان بذلك في كل بلد يفتحونه فنفس عليه الامراء ذلك وفسدت ضمائرهم وكان أبو الغازي وطغركين وشمس الخواص قد ساروا الى انطاكية مستنجدين بصاحبها وبيل على مدافعتهم عن حماة فبلغهم فتحها ووصل اليهم بانطاكية بقدوين ملك القدس وطرابلس وغيره من شياطين الافرنج واجتمعوا على افامية واتفقوا على مطاولة المسلمين الى فصل الشتاء ليتفرقوا فلما أظل الشتاء والمسلمون مقيمون عاد أبو الغازي الى ماردين وطغركين الى دمشق والافرنج الى بلادهم وقصد المسلمون كفرطاب وكانت هي وافامية للافرنج فملكوها عنوة وفتكوا بالافرنج فيها وأسروا صاحبها ثم ساروا الى قلعة افامية فاستعصت عليهم فعادوا الى

المعرة وهي للافرنج وفارقهم الامير جيوش بك الى وادى مراغة ملكه وسارت العساكر من المعرة الى حلب وأثقالهم ودوابهم وهم متلاصقون فوصلت مقدمتهم الى الشأم ونخربوا الابنية وكان روجيل صاحب انطاكية قد سار في خمسمائة فارس وألفي راجل للمدافعة عن كفرطاب وأطل على خيام المسلمين قبل وصولهم فقتل من وجد بها من السوقة والغلمان وأقام الافرنج بين الخيام يقتلون كل من لحق بها حتى وصل الامير برسق وأخوه زنكي فصعدا ربوة هناك وأحاط الفل من المسلمين به وعزم برسق على الاستماتة ثم غلبه أخوه زنكي على النجاة فنجا في معه واتبعهم الافرنج فرسخا ورجعوا عنه وافترقت العساكر الاسلامية منهزمة الى بلادها وأشفق أهل حلب وغيرها من بلاد الشأم من الافرنج بعد هذه الواقعة وسار الافرنج الى رميلة من أعمال دمشق فملكوها وبالغوا في تحصينها واعتزم طغركين على تخريب بلاد الافرنج ثم بلغه الخبر عن خلو رميلة من الحامية فبادر اليها سنة تسع وملكها عنوة وقاتل وأسر وغنم وعاد الى دمشق ولم تزل رميلة بين المسلمين الى أن حاصرها الافرنج سنة عشرين وخمسمائة وملكوها والله أعلم

(وفاة ملك الافرنج وأخبارهم بعد مع المسلمين)

ثم توفي بقدوين ملك الافرنج بالقدس آخر سنة احدى عشرة وخمسمائة وكان قد زحف الى ديار بكر طامعا في ملكها فانتهى الى تنيس وسبح في النيل فانتقض عليه جرحه وعاد الى القدس فمات وعاد القمص صاحب الرها الذى كان أسره وأطلقه جاولي وكان حاضرا عنده لزيارة قمامة وكان أتابك طغركين قد سار لقتال الافرنج ونزل اليرموك فبعث اليه القمص في المهادنة فاشترط طغركين ترك المناصفة من جبل عردة الى الغور فلم يقبل القمص فسار طغركين الى طبرية ونهب نواحيها وسار منها الى عسقلان ولقي سبعة آلاف من عساكر مصر قد جاؤا في أثر بقدوين عندما ارتحل عن ديار بكر فاعلموا أن صاحبهم تقدم اليهم بالوقوف عند أمر طغركين فشكرلهم ذلك وعاد الى دمشق وأتاه الخبر بأن الافرنج قصدوا أذرعات ونهبوها بعد ان ملكوا حصنا من أعماله فأرسل اليهم تاج الملك بورى في أثرهم فحاصرهم في جبل هناك حتى يئسوا من أنفسهم وصدقوا الحملة عليهم فهزموهم وأثخنوا في القتل وعاد الفل الى دمشق وسار طغركين الى حلب يستنجد أبا الغازى فوعده بالمسير معه ثم جاء الخبر بأن الافرنج قصدوا أعمال دمشق فنهبوا حوران واكتسحوها فرجع طغركين الى دمشق وأبو الغازى الى ماردين الى حشد العساكر وقصدوا الاجتماع على حرب الافرنج ثم سار الافرنج سنة ثلاثة عشر الى نواحي حلب

فملكوا مراغة ونازلوا المدينة فصانعهم أهلها بمقاسمتهم أملاكهم وزحف أبو الغازي من ماردين في عشرين ألفا من العساكر والمتطوعة ومعه أسامة بن مالك بن شيرز الكناني والامير طغان ارسلان بن افتكين بن جناح صاحب ارزن وسار الافرنج الى صنبيل عرمس قرب الاثارب فنزلوا به في موضع منقطع المسالك وعزموا على المطاولة فناجزهم أبو الغازي وسار اليهم ودخل عليهم في مجتمعهم وقاتلوه أشد القتال فلم يقاوموه وقتل فيهم قتلة شنعاء وقتل فيهم سرحان صاحب انطاكية وأسر سبعون من زعمائهم وذلك منتصف ربيع من السنة ثم اجتمع فل الافرنج وعاودوا الحرب فهزمهم أبو الغازي وملك عليهم حصن آلات رب وزردنا وجاء الى حلب فأصلح أحوالها وعاد الى ماردين ثم سار جوسكين صاحب تل باشر في مائتين من الافرنج ليكبس حلة من احياء طي يعرفون ببني خالد فأغار عليهم وغنم أموالهم ودلوه على بقية قومهم من بني ربيعة فيما بين دمشق وطبرية فبعث أصحابه اليهم وسار هو من طريق آخر فضل عن الطريق ووصل أصحابه اليهم وأميرهم مرمن ربيعة فقاتلهم وغلبهم وقتل منهم سبعين وأسر اثني عشر ففاداهم بمال جزيل وأصناف عدتهم من الاسرى وبلغ الى جوسكين في طريقه فعاد الى طرابلس وجمع جمعا وأغار على عسقلان فهزمه المسلمون وعاد مفلولا والله أعلم

(ارتجاع الرها من الافرنج)

ثم سار بهرام أخو أبي الغازي الى مدينة الرها وحاصرها مدة فلم يظفر بها فرحل عنها ولقيه النذير بأن جوسكين صاحب الرها وسروج قد سار لاعتراضه وقد تفرق عن مالك أصحابه فاستجاب لما وصل اليه الافرنج ودفعهم لارض سبخة فوصلت فيها خيولهم فلم يفلت منهم أحد وأسر جوسكين وخاط عليه جلد جمل وفادى نفسه بأموال جليلة فأبى مالك من فديته الا أن يسلم حصن الرها فلم يفعل وحبسه في خرت برت ومعه كلام ابن خالته وكان من شياطينهم وجماعة من زعمائهم والله سبحانه وتعالى أعلم وبه التوفيق

(استيلاء الافرنج على خرت برت وارتجاعها منهم)

كان مالك بن بهرام صاحب خرت برت وكان في جواره الافرنج في قلعة كركر فحاصرهم بها وسار بقدوين اليه في جموعه فلقيه في صفر سنة سبعة عشر فهزم الافرنج وأسر ملكهم وجماعة من زعمائهم وحبسهم مالك في قلعة خرت برت مع جوسكين صاحب الرها وأصحابه وسار مالك الى حران في ربيع الاول وملكها ولما غاب من خرت برت تحيل الافرنج وخرجوا من محبسهم بمداخلة بعض الجند وسار بقدوين الى بلده وملك

الآخرون القلعة فعاد مالك اليهم وحاصرها وارتجعها من أيديهم ورتب فيها الحامية والله تعالى ولي التوفيق

(استيلاء الافرنج على مدينة صور)

كانت مدينة صور للخلفاء العلوية بمصر وكان بها عز الملك من قبل الافضل بن أمير الجيوش المستبد على الامر بمصر وتجهز الافرنج لحصارها سنة ست فاستمدوا طغركين صاحب دمشق فأمدهم بعسكر ومال مع وال من قبله اسمه مسعود فجاء اليها ولم يغير دعوة العلوية بها في خطبة ولا سكة وكتب الى الافضل بذلك وسأله تردد الاسطول اليه بالمدد فأجابه وشكره ثم قتل الافضل وجاء الاسطول اليها من مصر على عادته وقد أمر مقدمه أن يعمل الحيلة في القبض على مسعود الوالي بصور من قبل طغركين لشكوى أهل مصر منه فقبض عليه مقدم الاسطول وحمله الى مصر وبعثوا به الى دمشق وأقام الوالي من قبل أهل مصر في مدينة صور وكتب الى طغركين بالعذر عن القبض على مسعود واليه وكان ذلك سنة ستة عشر ولما بلغ الافرنج انصراف مسعود عن صور قوي طمعهم فيها وتجهزوا لحصارها وبعث الوالي الامير بذلك وبعجزه عن مقاومة حصارهم لها وسار طغركين الى بانياس ليكون قريبا من صريخها وبعث الى أهل مصر يستنجدهم فراسل الافرنج في تسليم البلد وخروج من فيها فدخلها الافرنج آخر جمادى الاولى من السنة بعد أن حمل أهلها ما أطاقوا وتركوا ما عجزوا عنه والله سبحانه وتعالى أعلم

(فتح البرسقي كفرطاب وانهزامه من الافرنج)

ثم جمع البرسقي عساكره وسار سنة تسعة عشر الى كفرطاب وحاصرها فملكها من الافرنج ثم سار الى قلعة عزاز شمالي حلب وبها جوسكين فحاصرها واجتمع الافرنج وساروا المدافعته فلقيهم وقاتلهم شديدا فمحص الله المسلمين وانهزموا وفتك النصارى فيهم ولحق البرسقي بحلب فاستخلف بها ابنه مسعودا وعبر الفرات الى الموصل ليستمد العساكر ويعود لغزوهم فقضى الله بقتله وولي ابنه عز الدين بعده قليلا ثم مات سنة احدى وعشرين وولى السلطان محمود عماد الدين زنكي بن اقسنقر مكانه على الموصل والجزيرة وديار بكر كما مر في أخبار دولة السلجوقية ثم استولى منها على الشأم وأورث ملكها بنيه فكانت لهم دولة عظيمة بهذه الاعمال نذكرها ان شاء الله تعالى ونشأت عن دولتهم دولة بني أيوب وتفرعت منها كما نذكره ونحن الآن نترك من أخبار الافرنج هنا جميع ما يتعلق بدولة بني زنكي وبني أيوب حتى نوردها في أخبار تينك الدولتين لئلا

تتكرر الاخبار ونذكر فى هذا الموضع من أخبار الافرنج ما ليس له تعلق بالدولتين فاذا طالعه المتأمل علم كيف يرد كل خبر الى مكانه بجودة قريحته وحسن تأنيه

(الحرب بين طغركين والافرنج)

ثم اجتمعت الافرنج سنة عشرين وخمسمائة وساروا الى دمشق ونزلوا مرج الصفر واستنجد طغركين صاحبها أمراء التركمان من ديار بكر وغيرها فجاؤا اليه وكان هو قد سار الى جهة الافرنج آخر سنة عشرين وقاتلهم وسقط فى المعترك فظن أصحابه انه قتل فانهزموا وركب فرسه وسار معهم منهزما والافرنج فى اتباعهم وقد أثخنوا فى رجالة التركمان فلما اتبعوا المنهزمين خالف الرجالة الى معسكرهم فنهبوا سوادهم وقتلوا من وجدوا فيه ولحقوا بدمشق ورجع الافرنج عن المنهزمين فوجدوا خيامهم منهوبة فساروا منهزمين ثم كان سنة ثلاث وعشرين واقعة المزدغانى والاسماعيلية بدمشق بعد أن طمع الافرنج فى ملكها فأسف ملوك الافرنج على قتله وسار صاحب القدس وصاحب انطاكية وصاحب طرابلس وغيرهم من القمامصة ومن وصل فى البحر للتجارة أو الزيارة وساروا الى دمشق فى ألفى فارس ومن الرجال ما لا يحصى وجمع طغركين من العرب والتركمان ثمانية آلاف فارس وجاء الافرنج آخر السنة ونازلوا دمشق وبثوا سراياهم للاغارة بالنواحى وجمع الميرة وسمع تاج الملك بسرية فى حوران فبعث شمس الخواص من أمرائه ولقوا سرية الافرنج وظفروا بهم وغنموا ما معهم وجاؤا الى دمشق وبلغ الخبر الى الافرنج فأجفلوا عن دمشق بعد أن أحرقوا ما تعذر عليهم حمله وتبعهم المسلمون يقتلون ويأسرون ثم ان اسمند صاحب انطاكية سار الى حصن القدموس وملكه والله تعالى يؤيد من يشاء

(هزيمة صاحب طرابلس)

ثم اجتمع سنة سبع وعشرين جمع كثير من تركمان الجزيرة وأغاروا على بلاد طرابلس وقتلوا وغنموا فخرج اليهم القمص صاحبها فاستطردوا له ثم كروا عليه فهزموه ونالوا منه ونجا الى قلعة بقوين فتحصن بها وحاصره التركمان فيها فخرج من القلعة ليلا فى عشرين من أعيان أصحابه ونجا الى طرابلس واستصرخ الافرنج من كل ناحية وسار بهم الى بقوين لمدافعة التركمان فقاتلهم حتى أشرف الافرنج على الهزيمة ثم عبروا الى ارمينية وتعذر على التركمان اتباعهم فرجعوا عنهم انتهى

(فتح صاحب دمشق بانياس)

كان بورى بن طغركين صاحب دمشق لما توفى سنة ست وعشرين وخمسمائة وولى

مكانه ابنه شمس الملوك اسمعيل فاستضعفه الافرنج وتعرضوا لنقض الهدنة ودخل بعض تجار المسلمين الى بيروت فأخذوا أموالهم وراسلهم شمس الملوك فى ردها عليهم فلم يفعلوا فتجهز وسار الى بانياس فى صفر سنة سبع وعشرين فنازلها وشد حصارها ونقب المسلمون سورها وملكوها عنوة واستلحموا الافرنج بها واعتصم فلهم بالقلعة حتى استأمنوا بعد يومين وكان الافرنج قد جمعوا المدافعة شمس الملوك فجاءهم خبر فتحها فأقصروا

(استيلاء شمس الملوك على الشقيف)

ثم سار شمس الملوك اسمعيل صاحب دمشق الى شقيف بيروت وهو فى الجبل المطل على بيروت وصيدا وكان بيد الضحاك بن جندل رئيس وادى التيم وهو ممتنع به وقد تحاماه المسلمون والافرنج وهو يحتمى من كل منهما بالآخر فسار اليه شمس الملوك وملكه فى المحرم سنة ثمان وعشرين وعظم ذلك على الافرنج وخافوا شمس الملوك فساروا الى بلد حوران وعاثوا فى جهاتها ونهض شمس الملوك ببعض عساكره وجمر الباقى قبالة الافرنج وقصد طبرية والناصرة وعكا فاكتسح نواحيها وجاء الخبر الى الافرنج فأجفلوا الى بلادهم وعظم عليهم خرابها وراسلوا شمس الملوك فى تجديد الهدنة فجددها لهم انتهى والله أعلم

(استيلاء الافرنج على جزيرة جربة من افريقية)

كانت جزيرة جربة من أعمال افريقية ما بين طرابلس وقابس وكان أهلها من قبائل البربر قد استبدوا بجزيرتهم عندما دخل العرب الهلاليون افريقية ومزقوا ملك صنهاجة بها وقارن ذلك استفحال ملك الافرنج برومة وما ليها من البلاد الشمالية وتطاولوا الى ملك بلاد المسلمين فسار ملكهم بردويل فيمن معه من زعمائهم وأقماصهم الى الشأم فملكوا مدنه وحصونه كما ذكرناه آنفا وكان من ملوكهم القمص رجار ابن تنعر بن خميرة وكان كرسيه مدينة مليكو امقابل جزيرة صقلية ولما ضعف أمر المسلمين بها وانقرضت دولة بنى أبى الحسين الكلبى منها سما رجار هذا الى ملكها وأغراه المتغلبون بها على بعض نواحيها فأجاز اليها عساكره فى الاسطول فى سبيل التضريب بينهم ثم ملكها من أيديهم معقلا معقلا الى أن كان آخرها فتحا طرابنسة ومازرعة من يد عبد الله بن الحواس أحد الثوار بها فملكها من يده صلحا سنة أربع وستين وأربعمائة وانقطعت كلمة الاسلام بها ثم مات رجار سنة أربع وتسعين فولى ابنه رجار مكانه وطالت أيامه واستفحل ملكه وذلك عندما هبت ريح الافرنج بالشأم وجاسوا خلالها وصاروا

يتغلبون على ما يقدرون عليه من بلاد المسلمين وكان رجار بن رجار يتعاهد سواحل افريقية بالغزو فبعث سنة ثلاث وخمسين اسطول صقلية الى جزيرة جربة وقد تقلص عنها ظل الدولة الصنهاجية فاحاطوا بها واشتد القتال ثم اقتحموا الجزيرة عليهم عنوة وغنموا وسبوا واستأمن الباقون وأقرهم الافرنج فى جزيرتهم على جزية وملكوا عليهم أمرهم والله تعالى يؤيد بنصره من يشاء من عباده

(فتح صاحب دمشق بعض حصون الافرنج)

ثم بعث شمس الملوك اسمعيل صاحب دمشق عساكره مع الامير خزواش سنة احدى وثلاثين الى طرابلس الشام ومعه جمع كثير من التركمان والمتطوعة وسار اليه القمص صاحب طرابلس فقاتلوه وهزموه وأثخنوا فى عساكره وأحجزه بطرابلس وعاثوا فى أعماله وفتح واحصن وادى ابن الاحمر من حصونه عنوة واستباحوه واستلحموا من فيه من الافرنج ثم سار الافرنج سنة خمس وثلاثين الى عسقلان وأغاروا فى نواحيها وخرج اليهم عسكر مصر الذين بها فانهزموا الافرنج وظفروا بهم وعادوا منهزمين وكفى الله شرهم بمنه وكرمه

(استيلاء الافرنج على طرابلس الغرب)

كان أهل طرابلس الغرب لما انحل نظام الدولة الصنهاجية بافريقية وتقلص ظلها عنهم قد استبدوا بأنفسهم وكان بالمهدية آخر الملوك من بنى باديس وهو الحسن بن على ابن يحيى بن تميم بن المعز فاستبد لعهده فى طرابلس أبو يحيى بن مطروح ورفضوا دعوة الحسن وقومه وذلك عندما تكالب الافرنج على الجهات فطمع رجار فى ملكها وبعث اسطوله فى البحر فنازلها آخر سنة سبع وثلاثين وخمسمائة فنقبوا سورها واستنجد أهلها بالعرب فأنجدوهم وخرجوا الى الافرنج فهزموهم وغنموا أسلحتهم ودوابهم ورجع الافرنج الى صقلية فتجهزوا الى المغرب وطرقوا جيجل من سواحل بجاية وهرب أهلها الى الجبل ودخلوها فانهبوها وخربوا القصر الذى بناه بها يحيى بن العزيز بن حماد ويسمى النزهة ورجعوا الى بلادهم ثم بعث رجار اسطوله الى طرابلس سنة احدى وأربعين فأرسى عليها ونزل المقاتلة وأحاطوا بها برا وبحرا وقاتلوها ثلاثا وكان أهل البلد قد اختلفوا قبل وصول الافرنج وأخرجوا بنى مطروح وولوا عليهم رجلا من أمراء لمتونة قام حاجا فى قومه فولوه أمرهم فلما شغل أهل البلد بقتال الافرنج اجتمعت شيعة بنى مطروح وأدخلوهم للبلد ووقع بينهم القتال فلما شعر الافرنج بأمرهم بادروا الى الاسوار فنصبوا عليها السلالم وتسنموها وقصدوا البلد عنوة وأثخنوا

فى القتل والسبى والنهب ونجا كثير من أهلها الى البربر والعرب فى نواحيها ثم رفعوا السيف ونادوا بالامان فتراجع المسلمون الى البلد وأقروهم على الجزية وأقاموا بها ستة أشهر حتى أصلحوا أسوارها وفنادقها وولوا عليها ابن مطروح وأخذوا رهنه على الطاعة ونادوا فى صقلية بالمسير الى طرابلس فسار اليها الناس وحسنت عمارتها

(استيلاء الافرنج على المهدية)

كانت قابس عندما اختل نظام الدولة الصنهاجية واستبد بها ابن كامل بن جامع من قبائل رياح احدى بطون هلال الذين بعثهم الجرجرائى وزير المستنصر بمصر على المعز بن باديس وقومه فأضرعوا الدولة وأفسدوا نظامها وملكوا بعض أعمالها واستبد آخرون من أهل البلاد بمواضعهم فكانت قابس هذه فى قسمة بنى دهمان هؤلاء وكان لهذا العهد رشيد أميرا بها كما ذكرنا ذلك فى أخبار الدولة الصنهاجية من أخبار البربر وتوفى رشيد سنة ثنتين وأربعين وخمسمائة ونصب مولاه يوسف ابنه الصغير محمد بن رشيد وأخرج ابنه الكبير معمرا واستبد على محمد وتعرض لحرم مسرّا وكان فيهن امرأة رشيد وساروا الى التعرض بصاحب المهدية يشكون فعله وكاتبه الحسن فى ذلك فلم يجبه وتهدده بادخال الافرنج الى قابس فجهز اليه العساكر وبعث يوسف الى رجار صاحب طرابلس بطاعته وأن يوليه على قابس كما ولى ابن مطروح على طرابلس وشعر أهل البلد بداخلته للافرنج فلما وصل عساكر الحسن ثاروا به معهم وتحصن يوسف بالقصر فملكوه عنوة وأخذ يوسف أسيرا وملك معمر قابس مكان أخيه محمد وامتحن يوسف بأنواع العذاب الى أن هلك وأخذ بنو قرة أختهم ولحق عيسى أخو يوسف وولد يوسف برجار صاحب صقلية واستجار وابه وكان الغلاء قد اشتد بافريقية سنة سبع وثلاثين ولحق أكثر أهلها بصقلية وأكل بعضهم بعضا وكثر الموتان فاغتنم رجار الفرصة ونقض الصلح الذى كان بينه وبين الحسن بن على صاحب المهدية لسنتين وجهز أسطوله مائتين وخمسين من الشوانى وشحنها بالمقاتلة والسلاح ومقدم الاسطول جرجى بن ميخائيل أصله من المتنصرة وقد ذكرنا خبره فى أخبار صنهاجة والموحدين فقصد قوصرة وصادف بها مركبا من المهدية فغنمه ووجد عندهم حمام البطاقة فبعث الخبر الى المهدية على أجنحتها بأن أسطول الافرنج أقلع الى القسطنطينية ثم أقلع فأصبح قريبا من المرسى فى ثامن صفر سنة ثلاث وأربعين وقد بعث الله الريح فعاقتهم عن دخول المرسى ففاته غرضه وكتب الى الحسن بأنه باق على الصلح وانما جاء طالبا بثار محمد بن رشيد ورده الى بلده قابس فجمع

الحسن الناس واستشارهم فاشاروا بالقتال فخام عنه واعتذر بقلة الاقوات وارتحل من البلد وقد حمل ما خف حمله وخرج الناس بأهاليهم وما خف من أموالهم واختفى كثير من المسلمين في الكنائس ثم ساعد الريح أسطول الافرنج ووصلوا الى المرسى ونزلوا الى البلد من غير مدافع ودخل جرجي القصر فوجده على حاله مملوأ بالذخائر النفيسة التي يعز وجود مثلها وبعث بالامان الى كل من شرد من أهلها فرجعوا وأقرهم على الجزية وسار الحسن بأهله وولده الى المعلقة وبها محرز بن زياد من أمراء الهلاليين ولقيه في طريقه حسن بن ثعلب من أمراء الهلاليين بمال انكسر له في ديوانه فأخذ ابنه يحيى رهينة به ولما وصل محرز بن زياد أكرم لقاءه وبر مقدمه جزاء بما كان يؤثره على العرب ويرفع محله وأقام عنده شهرا ثم عزم على المسير الى مصر وبها يومئذ الحافظ فأرصد له جرجي الشواني في البحر فرجع عن ذلك واعتزم على قصد عبد المؤمن من ملوك الموحدين بالمغرب وفي طريقه يحيى بن عبد العزيز بجاية من بني عمه حماد فأرسل اليه أبناءه يحيى وتميما وعليا يستأذنه في الوصول فأذن له وبعث اليه من أوصله الى جزائر بني مزغنة ووكل به وبولده حتى ملك عبد المؤمن بجاية سنة أربع وأربعين وخبرهم مشروح هنالك ثم جهز جرجي اسطولا آخر الى صفاقس وجاء العرب لانجادهم فلما توافوا للقتال استطرد لهم الافرنج غير بعيد فهزموهم ومضى العرب عنهم وملك الافرنج المدينة عنوة ثالث عشري صفر وتملكوا فيها ثم أمنوهم وفادوا أسراهم وأقروهم على الجزية وكذا أهل سوسة وكتب رجار صاحب صقلية الى أهل سواحل افريقية بالامان والمواعد ثم سار جرجي الى اقليبية من سواحل تونس واجتمع اليها العرب فقاتلوا الافرنج وهزموهم ورجعوا خائبين الى المهدية وحدثت الفتنة بين رجار صاحب صقلية وبين ملك الروم بالقسطنطينية فشغل رجار بها عن افريقية وكان متولي كبرها جرجي بن ميخاييل صاحب المهدية ثم مات سنة ست وأربعين فسكنت تلك الفتنة ولم يقم لرجار بعده أحد بقامه والله تعالى أعلم

(استيلاء الافرنج على بونة ووفاة رجار صاحب صقلية وملك ابنه غليالم)

ثم سار اسطول رجار من صقلية سنة ثمان وأربعين الى مدينة بونة وقائد الاسطول بها فتاه المهدوي فحاصرها واستعان عليها بالعرب فملكها واستباحها وأغضى عن جماعة من أهل العلم والدين فخرجوا بأموالهم وأهاليهم الى القرى وأقام بها عشرا ورجع الى المهدية ثم الى صقلية فنكر عليه رجار رفقه بالمسلمين في بونة وحبسه ثم اتهم في دينته فاجتمع الاساقفة والقسوس وأحرقوه ومات رجار آخر هذه السنة لعشرين سنة من ملكه وولي ابنه غليالم مكانه وكان حسن السيرة واستوزر مائق البرقياني

فأساء التدبير واختلفت عليه حصون من صقلية وبلاد قلورية وتعدى الامر الى اهل افريقية على ماسيأتى ان شاء الله تعالى والله تعالى أعلم

(استيلاء الافرنج على عسقلان)

كانت عسقلان فى طاعة الظافر العلوى ومن جملة ممالكه وكان الافرنج يتعاهدونها بالمحاصرة بعد مرة وكان الوزراء يمدونها بالاموال والرجال والاسلحة وكان لهم التحكم فى الدولة على الخلفاء العلوية فلما قتل ابن السلار سنة ثمان وأربعين اضطرب الحال بمصر حتى ولى عباس الوزارة فسار الافرنج خلال ذلك من بلادهم بالشأم وحاصروا عسقلان وامتنعت عليهم ثم اختلف أهل البلد وآل أمرهم الى القتال فاغتنم الافرنج الفرصة وملكوا البلد وعاثوا فيها والله يؤيد بنصره من يشاء من عباده

(ثورة المسلمين بسواحل افريقية على الافرنج المتغلبين فيها)

قد تقدم لنا وفاة رجار وملك ابنه غليالم وانه ساء تدبيره فاختلف عليه الناس وبلغ ذلك المسلمين الذين تغلبوا عليهم بافريقية وكان رجار قد ولى على المسلمين بمدينة صفاقس لما تغلب عليها أبو الحسين الفريانى منهم وكان من أهل العلم والدين ثم عجز عن ذلك وطلب ولاية ابنه عمر فولاه رجار وحمل أبا الحسين الى صقلية رهينة وأوصى ابنه عمر وقال يابنى أنا كبير السن وقد قرب أجلى فتى امكنتك الفرصة فى انقاذ المسلمين من ملكة العدو فافعل ولا تخش على واحسبنى قد مت فلما اختل أمر غليالم دعا عمر أهل صفاقس الى الثورة بالافرنج فثاروا بهم وقتلوهم سنة احدى وخمسين واتبعه أبو يحيى بن مطروح بطرابلس ومحمد بن رشيد بقابس وسار عسكر عبد المؤمن الى بونة فملكها وذهب حكم الافرنج عن افريقية ماعدا المهدية وسوسة وارسل عمر الفريانى الى زويلة قريبا من المهدية يغريهم بالوثوب على الافرنج الذين معهم فوثبوا وأعانهم أهل ضاحيتهم وقاتلوا الافرنج بالمهدية وقطعوا الميرة عنهم وبلغ الخبر الى غليالم فبعث الى عمر الفريانى بصفاقس وأعذر اليه فى أبيه فأظهر للرسول جنازة ودفنها وقال هذا قد دفنته فلما رجع الرسول بذلك صلب أبا الحسين ومات شهيدا رحمه الله تعالى وسار أهل صفاقس والعرب الى زويلة واجتمعوا مع أهلها على حصار المهدية وأمدهم غليالم بالاقوات والاسلحة وصانعوا العرب بالمال على أن يخذلوا أصحابهم ثم خرجوا للقتال فانهزم العرب وركب أهل صفاقس البحر الى بلدهم أيضا واتبعهم الافرنج فعاجلوهم عن زويلة وقتلوهم ثم اقتحموا البلد فقتلوا مخلفهم بها

واستباحوهم

(ارتجاع عبد المؤمن المهدية من يد الافرنج)

ولما وقع بأهل زويلة من الافرنج ما وقع لحقوا بعبد المؤمن ملك المغرب يستصرخونه فأجاب صريخهم ووعدهم وأقاموا في نزله وكرامته وتجهز للمسير وتقدم الى ولاته وعماله بتحصيل الغلات وحفر الآبار ثم سار في صفر سنة أربع وخمسين في مائة ألف مقاتل وفي مقدمته الحسن بن علي صاحب المهدية ونازل تونس منتصف السنة وبها صاحبها أحمد بن خراسان من بقية دولة صنهاجة وجاء أسطول عبد المؤمن فحاصرها من البحر ثم نزل اليه من سورها عشرة رجال من أعيانها في السلام مستأمنين لاهل البلد ولانفسهم فأمنهم على مقاسمتهم في أموالهم وعلى أن يخرج اليه ابن خراسان فتم ذلك كله وسار عنها الى المهدية وأسطوله يحاذيه في البحر فوصلها منتصف رجب من السنة وبها أولاد الملوك والزعماء من الافرنج وقد أخلوا زويلة وهي على غلوة من المهدية فعمرها عبد المؤمن لوقتها وامتلأ فضاء المهدية بالعساكر وحاصرها اياما وضاق موضع القتال من البر لاستدارة البحر عليها لانها صورة يد في البحر وذراعها في البر وأحاط الاسطول بها في البحر وركب عبد المؤمن البحر في الشواني ومعه الحسن بن علي فرأى حصانتها في البحر وأخذ في المطاولة وجمع الاقوات حتى كانت في ساحة معسكره كالتلال وبعث اليه أهل صفاقس وطرابلس وجبال نفوسة بطاعتهم وبعث عسكرا الى قابس فملكها عنوة وبعث ابنه عبد الله ففتح كثيرا من البلاد ثم وفد عليه يحيى بن تميم بن المعز بن الرند صاحب قفصة في جماعة من أعيانها فبذل طاعته ووصله عبد المؤمن بألف دينار ولما كان آخر شعبان وصل أسطول صقلية في مائة وخمسين من الشواني غير الطرائد كان في جزيرة يابسة فاستباحها وبعث اليه صاحب صقلية بقصد المهدية فلما أشرفوا على المرسى قذفت اليهم أساطيل عبد المؤمن ووقف عسكره على جانب البر وعبد المؤمن ساجد يعفر وجهه بالتراب ويجأر بالدعاء فانهزم اسطول الافرنج وأقلعوا الى بلادهم وعاد اسطول المسلمين ظافرا ويئس أهل المهدية من الانجاد ثم صابروا الى آخر السنة حتى جهدهم الحصار ثم استأمنوا الى عبد المؤمن فعرض عليهم الاسلام فأبوا ولم يزالوا يخضعون له بالقول حتى أمنهم وأعطاهم السفن فركبوا فيها وكان فصل شتاء فمال عليهم البحر وغرقوا ولم يفلت منهم الا الاقل ودخل عبد المؤمن المهدية في محرم سنة خمس وخمسين لثنتي عشرة سنة من ملك الافرنج وأقام بها عشرين يوما فأصلح أمورها وشحنها بالحامية والاقوات واستعمل عليها بعض أصحابه وأنزل معه الحسن بن علي وأقطعه بأرضها له ولاولاده وأمر الوالي أن يقتدي

برأيه ورجع الى المغرب والله أعلم

(حصار الافرنج أسد الدين شيركوه في بلبيس)

كان أسد الدين شيركوه بن شادي عم صلاح الدين قد بعثه نور الدين العادل سنة تسع وخمسمائة منجد الشاور وزير العاضد صاحب مصر على قريعه الضرغام كما سيأتي في أخبارهم ان شاء الله تعالى وسار نور الدين من دمشق في عساكره الى بلاد الافرنج ليشغلهم عن أسد الدين شيركوه وخرج ناصر الدين أخو الضرغام في عساكر مصر فهزمه أسد الدين على تنيس واتبعه الى القاهرة ونزلها منتصف السنة وأعاد شاور الى الوزارة ونقض ما بينه وبين أسد الدين وتأخر الى تنيس وخشي منه ودس الى الافرنج يغريهم به وبذل لهم المال فطمعوا بذلك في ملك الديار المصرية وسار ملك القدس في عساكر الافرنج واجتمعت معه عساكر المسلمين وساروا الى أسد الدين فحاصروه في بلبيس ثلاثة ولم يظفروا منه بشيء ثم جاءهم الخبر بأن نور الدين العادل هزم أصحابهم على حارم وفتحها ثم سار الى بانياس فسقط في أيديهم وطلبوا الصلح من أسد الدين ليعودوا الى بلادهم لذلك وخرج من بلبيس سائرا الى الشام ثم عاد الى مصر سنة ثنتين وستين وعبر النيل من اطفيح ونزل الجزيرة واستمد شاور الافرنج فساروا اليه بجموعهم وكان أسد الدين قد سار الى الصعيد وانتهى الى فسار الافرنج والعساكر المصرية في اثره فأدركوه منتصف السنة واستشار أصحابه فاتفقوا على القتال وأدركته عساكر الافرنج ومصر وهو على تعبيته وقد أقام مقامه في القلب راشدا حذرا من حملة الافرنج والفارزقين يثق به من شجعان أصحابه الى الميمنة فحمل الافرنج على القلب فهزموهم واتبعوهم وخالفهم أسد الدين الى من تركوا وراءهم من العساكر فهزمهم وأثخن فيهم ورجع الافرنج من اتباع القلب فانهزموا وانهزم أصحابهم ولحقوا بمصر ولحق أسد الدين بالاسكندرية فملكها صلحا وأنزل بها صلاح الدين ابن أخيه وحاصرته عساكر الافرنج ومصر وزحف اليهم عمه أسد الدين من الصعيد فبعثوا اليه في الصلح فأجابهم على خمسين ألف دينار يعطونها اياه ولا يقيم في البلد أحد من الافرنج ولا يملكون منها شيأ فقبلوا ذلك وعادوا الى الشام وملك أهل مصر الاسكندرية واستقر بينهم وبين الافرنج أن ينزلوا بالقاهرة شحنة وأن يكون أبوابها في غلقها وفتحها بأيديهم وان لهم من خراج مصر مائة ألف دينار في كل سنة ولم ذلك منه وعاد الافرنج الى بلادهم بالسواحل الشامية والله تعالى أعلم

(حصار الافرنج القاهرة)

ثم كان مسير اسد الدين الى مصر وقتله شاور سنة أربع وستين باستدعاء العاضد لما رأى من تغلب الافرنج كما نذكر فى أخبار أسد الدين وأرسل الى الافرنج أصحابهم الذين بالقاهرة يستدعونهم لملكها ويهونونها عليهم وملك الافرنج يومئذ بالشأم مرى ولم يكن ظهر فيهم مثله شجاعة ورأيا فأشار بأن جبايتها للناخير من ملكها وقد يضطرون فيملكون نور الدين منها وان ملكها قبله احتاج الى مصانعتنا فأبوا عليه وقالوا انما نزداد بها قوة فرجع الى رأيهم وساروا جميعا الى مصر وانتهوا الى تنيس فى صفر سنة أربع وستين فملكوها عنوة واستباحوها ثم ساروا الى القاهرة وحاصروها وأمر شاور باحراق مصر وانتقال أهلها الى القاهرة فنهبت المدينة ونهب أموال أهلها وبقيتهم قبل نزول الافرنج عليهم بيوم فلم تخمد النار مدة شهرين وبعث العاضد بالصريخ الى نور الدين واشتد عليه الحصار وبعث شاور الى ملك الافرنج يشير بالصلح على ألف ألف دينار مصرية ويهدده بعساكر نور الدين فأجابوا الى ذلك ودفع اليهم مائة ألف دينار وتأخروا قريبا حتى يصل اليهم بقية المال وعجز عن تحصيله والافرنج يستحثونه فبعثوا خلال ذلك الى نور الدين يستحثونه على الافرنج بأن يرسل اليهم أسد الدين شيركوه فى عسكر يقيمون عندهم على أن لنور الدين ثلث بلاد مصر ولأسد الدين اقطاعه وعطاء العساكر فاستدعى أسد الدين من حمص وكانت اقطاعه وأمره بالتجهز الى مصر وأعطاه مائتى ألف دينار سوى الدواب والاسلحة وحكمه فى العساكر والخزائن وما يحتاج اليه وسار فى ستة آلاف وأزاح علل جنده وأعانهم أسد الدين بعشرين دينارا لكل فارس وبعث معه جماعة من الامراء منهم خرديك مولاه وعز الدين قليج وشرف الدين بن بخش وعين الدولة الياروقى وقطب الدين نيال بن حسان وصلاح الدين يوسف ابن أخيه أيوب وسار الى مصر فلما قاربها ارتحل الافرنج راجعين الى بلادهم ودخل هو اليها منتصف السنة وخلع عليه العاضد وأجرى عليه وعلى عسكره الجرايات الوافرة ثم شرع شاور فى مماطلة أسد الدين بما وقع اتفاقهم معه عليه وحدث نفسه بالقبض عليه واستخدام جنده لمدافعة الافرنج ولم يتم له ذلك وشعر به أسد الدين فاعترضه صلاح الدين ابن أخيه وعز الدين خرديك مولاه عند قبر الامام الشافعى رضى الله تعالى عنه وقتلاه وفوض العاضد أمور دولته الى أسد الدين وتقاصر الافرنج عنها ومات أسد الدين واستولى صلاح الدين بعد ذلك على البلاد وارتجع البلاد الاسلامية من يد الافرنج كما نذكر فى أخبار دولته والله أعلم

* (حصار الافرنج دمياط) *

ولما ملك أسد الدين شيركوه مصر خشيه الافرنج على ما بايديهم من مدن الشأم

وسواحله وكاتبوا أهل ملتهم ونسبهم بصقلية وافرنسة يستنجدونهم على مصر ليملكوها
وبعثوا الاقسة والرهبان من بيت المقدس يستنفرونهم لحمايتها وواعدوهم بدمياط
طمعا فى أن يملكوها ويتخذوها ركابا للاستيلاء على مصر فاجتمعوا عليها
وحاصروها لاول أيام صلاح الدين وأمدهم صلاح الدين بالعساكر والاموال وجاء
بنفسه وبعث الى نور الدين يستنجده ويخوفه على مصر فتابع اليه الامداد وسار بنفسه
الى بلاد الافرنج بالشأم واكتسحها وخربها فعاد الافرنج الى دمياط بعد حصار خمسين
يوما نفس الله عليهم ومن هذه القصة بقية أخبار الافرنج متعلقة بالدولتين دولة بنى
زنكى بالشأم ودولة بنى أيوب بمصر فأخرت بقية أخبارهم الى أن نسردها فى الدولتين
على مواقعها فى مواضعها حسبما نراه ولم يبق الا استيلاؤهم على القسطنطينية من يد
الروم فأوردناه ههنا

(استيلاء الافرنج على القسطنطينية)

كان هؤلاء الافرنج بعدما ملكوه من بلاد الشأم اختلفت أحوالهم فى الفتنة
والمهادنة مع الروم بالقسطنطينية لاستيلائهم على الثغور من بلاد المسلمين التى تجاور
الروم التى كانت بأيديهم من قبل وظاهرهم الروم على المسلمين فى بعض المرات ثم غلبوا
عليهم آخرا وملكوا القسطنطينية من أيديهم فأقامت فى أيديهم مدة ثم ارتجعها الروم
على يد شكرى من بطارقتهم وكيفية الخبر عن ذلك أن ملوك الروم أصهروا الى ملوك
الافرنج وتزوجوا منهم بنتا الملك الروم فولدت ذكرا خاله الافرنسيس وثب عليه أخوه
فانتزع الملك من يده وحبسه ولحق الولد بملك الافرنج خاله مستصرخا به فوصل اليه
وقد تجهز الافرنج لاستنقاذ القدس من يد المسلمين وكان صلاح الدين قد ارتجعها منهم
كما يأتى فى أخباره ان شاء الله تعالى وانتدب لذلك ثلاثة من ملوكهم دموس البنادقة
وهو صاحب الاسطول الذى ركبوا فيه وكان شيخا أعمى لا يركب ولا يمشى الا بقائد
ومقدم الفرنسيس ويسمى المركيش والثالث يسمى كيد اقليد وهو أكثرهم عددا فجعل
الملك ابن أخته معهم وأوصاهم بمظاهرته على ملكه بالقسطنطينية ووصلوا اليها فى
ذى القعدة سنة تسع وتسعين وخمسمائة فخرج عم الصبى وقاتلهم واضرم شيعة الصبى
النار فى نواحى البلاد فاضطرب العسكر ورجعوا وفتح شيعة الصبى باب المدينة
وأدخلوا الافرنج وخرج عمه هاربا ونصب الافرنج الصبى فى الملك وأطلقوا أباه من
السجن واستبدوا بالحكم وصادروا الناس وأخذوا مال البيع وما على المصلبات من
الذهب وما على تماثيل المسيح والحواريين وما على الانجيل فعظم ذلك على الروم ووثبوا
بالصبى فقتلوه وأخرجوا الافرنج من البلد وذلك منتصف سنة ستمائة وأقام الافرنج

بظاهرها محاصرين لهم وبعث الروم صريخا الى صاحب قونية ركن الدين سليمان بن قليج ارسلان فلم ينهض لذلك وكان بالمدينة متخلفون من الافرنج يناهزون ثلاثين ألفا فثاروا بالبلد عند شغل الروم بقتال أصحابهم وأضرموا النار ثانيا فاقتحم الافرنج وأفحشوا في النهب والقتل ونجا كثير من الروم الى الكنائس وأعظمها كنيسة سوفيا فلم تغن عنهم وخرج القسيسون والاساقفة في أيديهم الانجيل والصلبان فقتلوهم ثم تنازع الملوك الثلاثة على الملك بها وتقارعوا فخرجت القرعة على كبداقليد فملكها على أن يكون لدموس البنادقة الجزائر البحرية اقريطش ورودس وغيرهما ويكون لمركيش الافرنسيس شرقي الخليج ولم يحصل أحد منهم شيأ الا الملك القسطنطينية كبداقليد وتغلب على شرقي الخليج بطريق من بطارقة الروم اسمه شكري فلم يزل بيده الى أن مات ثم غلب بعد ذلك على القسطنطينية وملكها من يد الافرنج والله غالب على أمره

الخبر عن دولة بني ارتق وملكهم لماردين وديار بكر ومبادي أمورهم وتصاريف أحوالهم

كان ارتق بن اكسك ويقال اكست والاول أصح كلمة أولها همزة ثم كافان الاولى ساكنة بينهما سين من مماليك السلطان ملك شاه بن الب ارسلان ملك السلجوقية وله مقام محمود في دولتهم وكان على حلوان وما اليها من أعمال العراق ولما بعث السلطان ملك شاه عساكره الى حصار الموصل مع فخر الدولة بن جهير سنة سبع وسبعين وأربعمائة أردفه بعسكر آخر مع أرتق فهزمه مسلم بن قريش فحاصره بآمد ثم داخله في الخروج من هذا الحصار على مال اشترطه ونجا الى الرقة ثم خشي ارتق من فعلته تلك فلحق بتتش حتى سار الى حلب طامعا في ملكها فلقيه تتش وهزمه وكان لارتق في تلك الواقعة المقام المحمود ثم سار تتش الى حلب وملكها واستجار مقدمها ابن الحسين بارتق فأجاره من السلطان تتش ثم هلك ارتق سنة ثلاث وثمانين بالقدس وملكه من بعد ارتق ابناه أبو الغازي وسقمان وكان لهما معه الرها وسروج ولما ملك الافرنج انطاكية سنة احدى وتسعين وأربعمائة اجتمعت الامراء بالشأم والجزيرة وديار بكر وحاصروها وكان لسقمان في ذلك المقام المحمود ثم تخاذلوا وافترقوا وطمع أهل مصر في ارتجاع القدس منهم وسار اليها الملك الافضل المستولي على دولتهم فحاصرها أربعين يوما وملكها بالامان وخرج سقمان وأبو الغازي ابنا ارتق وابن أخيهما ياقوتي وابن عمهما سونج وأحسن اليهم الافضل وولى على بيت المقدس ورجع الى مصر وجاء الافرنج فملكوها كما تقدم في أخبار الدولة السلجوقية ولحق أبو الغازي بالعراق فولي شحنة بغداد وسار

سقمان الى الرها فأقام بها وكان بينه وبين كربوقا صاحب الموصل فتن وحروب أسر في بعضها ياقوتي ابن أخيه ثم توفي كربوقا سنة خمس وتسعين وولي الموصل بعده موسى التركماني وكان نائبا بحصن كيفا فزحف اليه جكرمس صاحب جزيرة ابن عمر وحاصره بالموصل واستنجد موسى سقمان على أن يعطيه حصن كيفا فأنجده وسار اليه وأفرج عنه جكرمس وخرج موسى للقاء سقمان فقتله مواليه غدرا ورجع سقمان الى حصن كيفا فملكه ثم كانت الفتنة بين أبي الغازي وكستكين القيصري لما بعثه بركيارق شحنة على بغداد وكان هو شحنة من قبل السلطان محمد فمنع القيصري من الدخول واستنجد أخاه سقمان فجاء اليه من حصن كيفا في عساكره ونهب تكريت وخرج اليه أبو الغازي واجتمع معهم صدقة بن مزيد صاحب الحلة وعاثوا في نواحي بغداد وفتكوا بنفر من أهل البلد وبعث اليهم الخليفة في الصلح على أن يسير القيصري الى واسط فسار اليها ودخل أبو الغازي بغداد ورجع سقمان الى بلده وقد مر ذلك في أخبارهم ثم استولى مالك بن بهرام أخي سقمان على عانة الحرمية سنة سبع وتسعين وكان له مدينة سروج فملكها منه الافرنج وسار الى عانة فملكها من بني يعيش بن عيسى بن خلاط واستصرخوا بصدقة بن مزيد وارتجعها لهم منه وعاد الى الحلة فعاد مالك فملكها واستقرت في ملكه ثم اجتمع سقمان وجكرمس صاحب الموصل على جهاد الافرنج سنة سبع وتسعين وهم محاصرون حران فتركوا المنافسة بينهم وقصدوهم وسقمان في سبعة آلاف من التركمان فهزموا الافرنج وأسروا القمص بردويل صاحب الرها أسره أصحاب سقمان فتغلب عليهم أصحاب جكرمس وأخذوه وافترقوا بسبب ذلك وعادوا الى ما كان بينهم من الفتن والله أعلم

(استيلاء سقمان بن ارتق على ماردين)

كان هذا الحصن ماردين من ديار بكر وأقطعه السلطان بركيارق بجميع أعماله لمغني كان عنده وكان في ولاية الموصل وكان يجتز اليه خلق كثير من الاكراد يفسدون السابلة واتفق ان كربوقا صاحب الموصل سار لحصار آمد وهي لبعض التركمان فاستنجد صاحبها بسقمان فسار لانجاده وقاتل كربوقا قتالا شديدا ثم هزمه وأسر ابن أخيه ياقوتي بن ارتق وحبسه بقلعة ماردين عند المغني فبقي محبوسا مدة طويلة وكثر ضرر الاكراد فبعث ياقوتي الى المغني صاحب الحصن في أن يطلقه ويقيم عنده بالربض لدفاع الاكراد ففعل وصار يغير عليهم في سائر النواحي الى خلاط وصار بعض أجناد القلعة يخرجون للاغارة معه فلا يهيجهم ثم حدثته نفسه بالتوثب على القلعة فقبض عليهم بعض الايام مرجعهم من الاغارة ودنا من القلعة وعرضهم على القتل ان لم

يقصد الله فقتلها أهلوهم وملكها وجمع الجموع وسار الى نصيبين وأغار على جزيرة ابن عمر وهي لجكرمس فكبسه جكرمس وأصحابه في الحرب بينهم فقتله وبكاه جكرمس وكان تحت ياقوتي ابنة عمه سقمان فمضت الى أبيها وجمعت التركمان وجاء سقمان بهم الى نصيبين فترك طلب الثار فبعث اليه جكرمس ما أرضاه من المال في ديته ورجع وقدم بماردين بعد ياقوتي أخوه على بطاعة جكرمس وخرج منها لبعض المذاهب وكتب نائبه بها الى عمه سقمان بأنه يملك ماردين لجكرمس فسار اليها سقمان وعوض عليا ابن أخته جبل جور وأقامت ماردين في ملكه مع حصن كيفا واستضاف اليهما نصيبين والله أعلم

(وفاة سقمان بن ارتق وولاية أخيه أبي الغازي مكانه بماردين)

ثم بعث فخر الدين بن عمار صاحب طرابلس يستنجد سقمان بن ارتق على الافرنج وكان استبدّ بها على الخلفاء العلويين أهل مصر ونازله الافرنج عندما ملكوا سواحل الشأم فبعث بالصريخ الى سقمان بن ارتق سنة ثمان وتسعين وأجابه وبينما هو يتجهز للمسير وافاه كتاب طغركين صاحب دمشق المستبدّ بها من موالي بني تتش يستدعيه لحضور وفاته خوفا على دمشق من الافرنج فأسرع المسير اليه معتزما على قصد طرابلس وبعدها دمشق فانتهى الى القريتين وندم طغركين على استدعائه وجعل يدبر الرأي مع أصحابه في صرفه ومات هو بالقدس فكفاهم الله أمره وقد كان أصحابه عندما أشفى على الموت أشاروا عليه بالرجوع الى كيفا فامتنع وقال هذا جهاد وان مت كان لي ثواب شهيد فلما مات حمله ابنه ابراهيم الى حصن كيفا فدفنه بها وكان أبو الغازي بن ارتق شحنة بغداد كما قدمناه ولاه السلطان محمد أيام الفتنة بينه وبين أخيه بركيارق فلما اصطلح بركيارق وأخوه سنة تسع وتسعين على أن تكون بغداد له وممالك أخرى من الممالك الاسلامية ومن جملتها حلوان وهي أقطاع أبي الغازي فبادر وخطب لبركيارق ببغداد فنكر عليه ذلك صدقة بن مزيد وكان من شيعة السلطان محمد فجاء الى بغداد ليزعج أبا الغازي عنها ففارقها الى يعقوب وبعث الى صدقة يعتذر بأنه صار في ولاية بركيارق وتحكم الصلح في اقطاعه وولايته فلم يمكنه غير ذلك ومات بركيارق على اثر ذلك فخطب أبو الغازي لابنه ملك شاه فنكر ذلك السلطان محمد منه فلما استولى على الامر عزله عن شحنة بغداد فلحق بالشام وحمل رضوان بن تتش صاحب حلب على حصار نصيبين من بلاد جكرمس فحاصروها وبعث جكرمس الى رضوان وأغراه بأبي الغازي فنفسد ما بينهما ورحلوا مفترقين على نصيبين وسار أبو الغازي الى ماردين وقدمات أخوه سقمان كما قلناه فاستولى عليها والله تعالى أعلم

لما ولى السلطان محمد على الموصل والجزيرة وديار بكر سنة ثنتين وخمسمائة مودود بن افتكين مكان جاولي سكاو والذي ملكها من يد جكرمس كما مر في أخبارهم فوصل مودود الى الموصل وسار جاولي الى نصيبين وهي يومئذ لابي الغازي وراسله في المظاهرة والانجاد فوصل اليه بماردين على حين غفلة مستنجدا به فلم يسعه الا اسعافه وسار معه الى سنجار والرحبة وحاصرهما وشق عليهما فلما نزل الخابور هرب أبو الغازي راجعا الى نصيبين ثم الى بلده وبقي مضطربا ثم بعث السلطان محمد سنة خمس وخمسمائة الى الامير مودود بالمسير الى قتال الافرنج وأن يسير الامراء معه من كل جهة مثل سقمان القطبي صاحب ديار بكر وأحمد بك صاحب مراغة وأبي الهيجاء صاحب اربل وأبي الغازي صاحب ماردين فحضروا كلهم الا أبا الغازي فانه بعث ولده اياز في عسكر فسارت العساكر الى الرها وحاصروها وامتنعت عليهم ثم ساروا سنة ست وخمسمائة الى سروج كذلك ثم ساروا سنة سبع الى بلاد الافرنج فهزموهم على طبرية ودوخوا بلادهم وعاد مودود الى دمشق وافترقت العساكر ودخل دمشق ليشتي بها عند طغركين صاحبها فقتل غيلة بها واتهم طغركين في أمره وبعث السلطان مكانه على العساكر والموصل اقسنقر البرسقي وأمره بقصد الافرنج وقتالهم وكتب الى الامراء بطاعته وبعث ابنه الملك مسعودا في عسكر كثيف ليكونوا معه فسار اقسنقر سنة ثمان وخمسمائة وفر أبو الغازي وحاصره بماردين حتى استقام وبعث معه ابنه اياز في عسكر فحاصروا الرها وعاثوا في نواحيها ثم سروج وشمشاط وأطاعه صاحب مرعش وكيسوم ورجع فقبض على اياز بن أبي الغازي ونهب سواد ماردين فسار أبو الغازي من وقته الى ركن الدولة داود ابن أخيه سقمان وهو بحصن كيفا مستنجدا به فأنجده وساروا الى البرسقي آخر ثمان وخمسمائة فهزموهم وخلصوا ابنه ايازمن الاسر وأرسل السلطان الى أبي الغازي يتهدده فلحق بطغركين صاحب دمشق صريخا وكان طغركين مستوحشا لاتهامه بأمر مودود فاتفقا على الاستنجاد وبعثا بذلك الى صاحب انطاكية فجاء اليهما قرب حمص وتحالفا وعاد الى انطاكية وسار أبو الغازي الى ديار بكر في خف من أصحابه فاعترضه قيرجان صاحب حمص فظفر به وأسره وبعث الى السلطان بخبره وأبطأ عليه وصول جوابه فيه وجاء طغركين الى حمص فدخل على قيرجان وألح عليه بقتل أبي الغازي ثم أطلقه قيرجان وأخذ عليه وسار أبو الغازي الى حلب وبعث السلطان العساكر مع يوسف بن برسق صاحب همذان وغيره من الامراء لقتال أبي الغازي وقتال الافرنج بعده فساروا الى حلب

وبها لؤلؤ الخادم مولى رضوان بن تتش كفل ابنه البارسلان بعد موته ومعه مقدم العساكر شمس الخواص فطالبوهما بتسليم حلب بكتاب السلطان اليهما في ذلك وبادر أبو الغازي وطغركين فدخلا اليهما فامتنعت عليهما فسار والى حماة من أعمال طغركين وبها ذخائره فقتحوها عنوة ونهبوها وسلموها الى الامير قيرجان صاحب حمص فأعطاهم اياز بن أبي الغازي وكان أبو الغازي وطغركين وشمس الخواص ساروا الى روجيل صاحب انطاكية يستنجدونه على حفظ حماة وجاءهم هنالك بقدوين صاحب القدس والقمص صاحب طرابلس وغيرهما واتفقوا على مطاولة العساكر ليتفرقوا عند هجوم الشتاء واجتمعوا عند قلعة افامية فلم تبرح العساكر مكانها فافترقوا وعاد طغركين الى دمشق وأبو الغازي الى ماردين والافرنج الى بلادهم ثم كان اثر ذلك فتح كفرطاب على المسلمين واعتزموا على معاودة حلب فاعترضهم روجيل صاحب انطاكية وقد جاء في خمسمائة فارس مددا للافرنج في كفرطاب فانهزم المسلمون وكان تمحيصهم ورجع برسق أمير العساكر وأخوه منهزمين الى بلادهم وكان اياز بن أبي الغازي أسيرا عندهم فقتله الموكلون به يوم المعركة سنة تسع وخمسمائة والله تعالى أعلم

(استيلاء أبي الغازي على حلب)

كان رضوان بن تتش صاحب حلب لما توفي سنة سبع وخمسمائة قام بأمر دولته لؤلؤ الخادم ونصب ابنه البارسلان في ملكه ثم استوحش منه ونصب مكانه أخاه سلطان شاه واستبد عليه ثم سار لؤلؤ الخادم الى قلعة جعفر سنة احدى عشرة بينه وبين مالك بن سالم بن مالك بن بدران فغدر به مماليك الاتراك وقتلوه عند خرت برت واستولوا على خزائنه واعترضهم أهل حلب واستنقذوا منهم ما أخذوه وولي شمس الخواص أتابك مكان لؤلؤ ثم عزل لأشهر وولي أبو المعالي بن الدمشقي ثم عزل وصودر واضطربت الدولة وخشي أهل حلب على بلدهم من الافرنج فاستدعوا أبا الغازي بن ارتق من ماردين وسلموا له البلد وانقرض ملك آل رضوان ابن تتش منها فلم يملكها بعد واحد منهم ولما ملكها لم يجد فيها مالا فصادر جماعة من الخدم وصانع الافرنج بمالهم ثم سار الى ماردين بنية العود الى حمايتها واستخلف عليها ابنه حسام الدين تمرتاش

(واقعة أبي الغازي مع الافرنج)

ولما استولى أبو الغازي على حلب وسار عنها طمع فيها الافرنج وساروا اليها فملكوا مراغة وغيرها من أعمالها وحاصروها فلم يكن لاهلها بد من مدافعتهم بقتال أو بمال

فقاسموهم أملاكهم التي بضاحيتها في سبيل المصانعة وبعثوا الى بغداد يستغيثون فلم يغاثوا وجمع أبو الغازي من العساكر والمتطوعة نحوا من عشرين ألفا وسار بهم الى الشام سنة ثلاث عشرة ومعه أسامة بن مبارك بن منقذ الكناني وطغان ارسلان ابن اسكين بن جناح صاحب ارزن الروم ونزل الافرنج قريبا من حصون الاماري في ثلاثة آلاف فارس وتسعة آلاف راجل ونزلوا في تل عفرين حيث كان مقتل مسلم بن قريش وتحصنوا بالجبال من كل جهة الا ثلاث مسارب فقصدهم أبو الغازي ودخل عليهم من تلك المسارب وهم غارون فركبوا وصدقوا الحملة فلقوا عساكر المسلمين متتابعة فولوا منهزمين وأخذهم السيف من كل جهة فلم يفلت الا القليل وأسر من زعمائهم سبعون ففاداهم أهل حلب بثلثمائة ألف دينار وقتل سرجان صاحب انطاكية وجماعة من المعركة فاجتمع جماعة من الافرنج وعاودوا اللقاء فهزمهم أبو الغازي وفتح حصن الاربات وزردنا وعاد الى حلب فأصلح أمورها وعبر الفرات الى ماردين وولى على حلب ابنه سليمان ثم وصل دبيس بن صدقة الى أبي الغازي مستجيرا به فكتب اليه المسترشد مع سديد الدولة عبد [illegible] أبي الغازي بابعاد دبيس ثم وقع بينه وبين السلطان محمود الاتفاق ورهن ولده على الطاعة ورجع وسار أبو الغازي الى الافرنج عقب ذلك سنة أربع عشرة فقاتلهم بأعمال حلب وظفر بهم ثم سار هو وطغركين صاحب دمشق فحاصروا الافرنج بالمشيرة وخشوا من استماتتهم فأفرج لهم أبو الغازي حتى خرجوا من الحصن وكان لا يطيل المقام بدار الحرب لان أكثر الغزاة معه التركمان يأتون بجراب دقيق وقديد شاه فيستعجل العودان فنيت ازوادهم والله أعلم

(انتقاض سليمان بن أبي الغازي بحلب)

كان أبو الغازي قد ولى على حلب ابنه سليمان فحمله بطانته على الخلاف على أبيه وسار اليه أبوه تلقاه ابنه سليمان بالمعاذير فأمسك عنه وقبض على بطانته الذين داخلوه في ذلك وكان متولي كبرها أمير كان لقيطا لابيه ونشأ في بيته فسمله وقطع لسانه وكان منهم آخر من أهل حماة قدمه أبو الغازي على أهل حلب فقطعه وسمله فمات وأراد قتل ابنه ثم تلته الشفقة عليه وهرب الى دمشق وشفع فيه طغركين فلم يشفعه ثم استخلف على حلب سليمان ابن أخيه عبد الجبار ولقبه بدر الدولة وعاد الى ماردين وذلك سنة خمس عشرة ثم ابنه حسام الدين تمرتاش مع القاضي بهاء الدولة أبي الحسن الشهرزوري شافعا في دبيس وضامنا في طاعته فلم يتم ذلك فلما انصرف تمرتاش الى أبيه أقطع السلطان أباه أبا الغازي مدينة ميافارقين وكانت لسقمان القطبي صاحب

خلاط فتسلمها أبو الغازى ولم تزل فى يده الى أن ملكها صلاح الدين بن أيوب سنة ثمانين وخمسمائة والله تعالى أعلم

(واقعة مالك بن بهرام مع جوسكين صاحب الرها)

قد تقدم لنا أن جوسكين من الافرنج كان صاحب الرها وسروج وأن مالك بن بهرام كان قد ملك مدينة عانة فسار سنة خمس عشرة الى الرها وحاصرها أياما فامتنعت عليه وسار جوسكين فى اتباعه بعد أن جمع الافرنج وقد تفرق عن مالك أصحابه ولم يبق معه الا اربعمائة فلحقوه فى أرض رخوة قد نضب عنها الماء فوحلت فيها خيولهم ولم يقدروا على التخلص فظفر بهم أصحاب مالك وأسروهم وجعل جوسكين فى اهاب جمل وخيط عليه وطلبوا منه تسليم الرها فلم يفعل وحبسه فى خرت برت بعد أن بذل فى فديته أموالا فلم يفادوه والله تعالى يؤيد بنصره من يشاء من عباده

(وفاة أبى الغازى وملك بنيه من بعده)

ثم توفى أبو الغازى بن ارتق صاحب ماردين فى رمضان سنة ست عشرة وخمسمائة فولى بعده بماردين ابنه حسام الدين تمرتاش وملك سليمان ميافارقين وكان بحلب سليمان ابن أخيه عبد الجبار فاستولى عليها ثم سار مالك بن بهرام بن ارتق الى مدينة حران فحاصرها وملكها وبلغه ان سليمان ابن عمه عبد الجبار صاحب حلب قد عجز عن مدافعة الافرنج وأعطاهم حصن الاثارب فطمع فى ملك بلاده وسار اليها فى ربيع سنة ست عشرة وملكها بأمان ثم سار سنة ثمان عشرة الى منبج وحاصرها وملك المدينة وحبس صاحبها حسان التغلبى وامتنع أهلها بالقلعة فحاصرها وسمع الافرنج بذلك فساروا اليه فترك على القلعة من يحاصرها ونهض اليهم فهزمهم وأثخن فيهم وعاد الى منبج فحاصرها وأصابه بعض الايام سهم غرب فقتله فاضطرب العسكر وافترقوا وخلص حسان من محبسه وكان تمرتاش بن أبى الغازى صاحب ماردين معه على منبج فلما قتل حمل شلوه الى حلب ودفنه بها واستولى عليها ثم استخلف عليها وعاد الى ماردين وجاء الافرنج الى مدينة صور فملكوها وطمعوا فى غيرها من بلاد المسلمين ولحق بهم دبيس بن صدقة ناجيا من واقعته مع المسترشد فأطمعهم فى ملك حلب وساروا معه فحاصروها وبنوا عليها المساكن وطال الحصار وقلت الاقوات واضطرب أهل البلد وظهر لهم العجز من صاحبهم ولم يكن فى الوقت أظهر من البرسقى صاحب الموصل ولا أكثر قوة وجمعا منه فاستدعوه ليدافع عنهم ويملكوه وشرط عليهم أن يمكنوه من القلعة قبل وصوله ونزل فيها نوابه وسار فلما أشرف على الافرنج ارتحلوا عائدين الى

بلادهم وخرج أهل حلب فتلقوا البرسقي فدخل واستولى على حلب وأعمالها ولم تزل بيده الى ان هلك وملكها ابنه عز الدين ثم هلك فولى السلطان محمود عليها اتابك زنكي حسبما يأتي في أخبار دولته ورجع تمرتاش الى ماردين واستمر ملكه بها وكان مستوليا على كثير من قلاع ديار بكر ثم استولى سنة ثنتين وثلاثين على قلعة الساخ من ديار بكر وكانت بيد بعض بني مروان من بقايا ملوك الاولين وكان هذا آخرهم بهذه القلعة وكان ملك ميافارقين قد سار لحسام الدين تمرتاش وملكها من يد أخيه سليمان ولم يزل تمرتاش ملكا بماردين الى أن هلك سنة سبع وأربعين وخمسمائة لاحدى وثلاثين سنة من ملكه والله تعالى ولي التوفيق

(وفاة تمرتاش وولاية ابنه البي بعده)

ثم توفي حسام الدين تمرتاش سنة سبع واربعين وخمسمائة كما قلناه فملك بعده ابنه بماردين البي بن تمرتاش وبقي ملكا عليها الى أن مات وولي بعده ابنه أبو الغازي بن البي الى أن مات ولم يذكر ابن الاثير تاريخ وفاتهما وقال مؤرخ حماة لم يقع الى تاريخ وفاتهما

(ولاية حسام الدين بولق ارسلان بن أبي الغازي بن البي)

ولما توفي أبو الغازي بن البي قام بأمر ملكه نظام الملك النقش ونصب للملك مكانه ابنه بولق ارسلان طفلا واستبد عليه وكان النقش غالبا على هواه حيث صار أمر الطفل في يده ولم تزل حالهم على ذلك الى أن هلك حسام الدين في سنة خمس وتسعين وخمسمائة على عهد بولق هذا وكناه ابن الاثير حسام الدين ناصر الملك قصد العادل أبو بكر ابن أيوب ماردين وخشيت ملوك الجزيرة ولم يقدروا على منعه ثم توفي العزيز بن صلاح الدين صاحب مصر وولي أخوه الافضل فاستنفر العادل أهل مصر ودمشق وأهل سنجار وبعثهم مع ابنه الكامل وحاصروا ماردين فبعث اليه النقش المستولي على بولق بالطاعة وتسليم القلعة لاجل معلوم على أن يدخل اليهم الاقوات ووضع العادل ابنه على بابها أن لا يدخلها زائد على القوت فصانعوا الولد بالمال وشحنوها بالاقوات وبينما هم في ذلك جاء نور الدين صاحب الموصل لانجادهم وقاتلهم فانهزم عساكر العادل وخرج أهل القلعة فأوقعوا بعسكر الكامل ابنه فرحلوا جميعا منهزمين ونزل حسام الدين بولق الى نور الدين ولقيه وشكر وعاد ونزل نور الدين على دنيسر ثم رحل عنها قاصدا حوران كما نذكره في أخبار دولته ان شاء الله تعالى والله أعلم

(وفاة بولق وولاية أخيه ارتق)

ولما هلك بولق ارسلان نصب لؤلؤ الخادم بعده للملك أخاه الاصغر ناصر الدين ارتق

ارسلان بن قطب الدين أبى الغازى ولم يذكر ابن الاثير خبر وفاته أيضا وبقى مملكا في كفالة النقش الى سنة احدى وستمائة والله أعلم

(مقتل النقش واستبداد ارتق المنصور واتصال الملك في عقبه)

ثم استنكف ارتق من الحجر ومرض النقش سنة احدى وستمائة فجاء ارتق لعيادته وقتل لؤلؤا خادمه في بعض زواياً بيته ورجع الى النقش فقتله في فراشه واستقل بملك ماردين وتلقب المنصور وتوفي سنة ست وثلاثين وثلثمائة وملك بعده ابنه السعيد نجم الدين غازى بن ارتق وتوفي سنة ثمان أو ثلاث وخمسين وملك بعده أخوه المظفر قرا ارسلان بن ارتق فأقام سنة أو بعضها ثم هلك سنة ثلاث وتسعين وستمائة وملك بعده أخوه المنصور نجم الدين غازى بن قرا ارسلان الى أن توفي سنة ثنتي عشرة وسبعمائة لاربع وخمسين سنة من ولايته وملك بعده ابنه المنصور أحمد الى أن توفي سنة تسع وستين لثلاث سنين من ولايته ثم ملك بعده ابنه الصالح محمود أربعة أشهر وخلعه عمه المظفر فخر الدين داود بن المنصور أحمد الى أن توفي سنة ثمان وسبعين وسبعمائة وملك بعده ابنه مجد الدين عيسى وهو السلطان بماردين لهذا العهد والملك لله يؤتيه من يشاء من عباده (ولما) ملك هلاكو بن طلوخان بن جنكزخان مدينة بغداد وأعمالها أعطاه المظفر قرا ارسلان طاعته وخطب له في أعماله ولم يزالوا يدينون بطاعة بنيه الى أن هلك أبو سعيد ابن خربندا آخر ملوك التتر ببغداد سنة سبع وثلاثين فقطعوا الخطبة لهم واستبد أحمد المنصور منهم وهو الثانى عشر من لدن ابى الغازى جدهم الاول (وأما) داود بن سقمان فانه ملك حصن كيفا من بعد سقمان ابيه وابراهيم أخيه ولم أقف على خبر وفاته (وملك بعده) ابنه فخر الدين قرا ارسلان بن داود وملك أكثر ديار بكر مع حصن كيفا وتوفي سنة ثنتين وستين وخمسمائة (وملك بعده) ابنه نور الدين محمد بعهده اليه بذلك وكانت بينه وبين صلاح الدين مواصلة ومظاهرة ظاهر صلاح الدين على الموصل على أن يظاهره على آمد فظاهره صلاح الدين وحاصرها من صاحبها ابن نيسان سنة تسع وستين وصارت من أعمال نور الدين كما نذكر في دولة صلاح الدين ثم توفي نور الدين محمد سنة احدى وثمانين وخلف ولدين (فملك الاكبر) منهما قطب الدين سقمان وقام بتدبير دولته العوام ابن سماق الاسعد وزير أبيه وكان عماد الدين أخو نور الدين هو المرشح للامارة الا أنه سار في العساكر مددا لصلاح الدين على حصار الموصل فلما بلغه الخبر بوفاة أخيه سار لملك البلد لصغر أولاد أخيه نور الدين فلم يظفر واستولى على خرتبرت فانتزعها منهم وملكها وأورثها بنيه فلما أفرج صلاح الدين عن الموصل لقيه قطب الدين سقمان

وأقره على ملك أبيه بكيفا وأبقى بيده آمد التي كان ملكها لابيه وشرط عليه مراجعته في أحواله والوقوف عند أوامره وأقام أميرا من أصحاب ابنه قرا ارسلان اسمه صلاح الدين فقام بأمور دولته واستقر ملكه بكيفا وآمد وما اليهما الى أن توفي سنة سبع وتسعين وخمسمائة تردى من جوسق له بحصن كيفا فمات وكان أخوه محمود مرشحا لمكانه الا أن قطب الدين سقمان كان شديد البغضاء له واشخصه الى حصن منصور من آخر عملهم واصطنع مملوكه اياسا وزوجه باخته وجعله ولي عهده (ولما توفي) ملك بعده مملوكه وشخص أهل الدولة فدسوا الى محمود فسار الى آمد وسبقه اياس اليها ليدافعه فلم يطق وملك محمود آمد واستولى على البلد كلها وحبس اياسا الى أن أطلقه بشفاعة صاحب بلاد الروم ولحق به وانتظم في امرائه واستقل محمود بملك كيفا وآمد وأعمالهما ولقب ناصر الدين وكان ظالما قبيح السيرة وكان ينتحل العلوم الفلسفية وتوفي سنة تسعة عشر وستمائة وولي مكانه المسعود وحدثت بينه وبين الافضل بن عادل فتنة واستنجد عليه أخاه الكامل فسار في العساكر من مصر ومعه داود صاحب الكرك والمظفر صاحب حماة فحاصروه بآمد الى أن نزل عنها وجاء الى الكامل فاعتقله فلم يزل عنده حبيسا الى أن مات الكامل فذهب الى التترفمات عندهم (وأما) عماد الدين بن قرا ارسلان الذي ملك خرتبرت من يد قطب الدين سقمان ابن أخيه نور الدين فلم تزل في يده الى أن توفي سنة احدى وستمائة لعشرين سنة من ملكه اياها (وملكها بعده) ابنه نظام الدين أبو بكر وكانت بينه وبين ناصر الدين محمود ابن عمه نور الدين صاحب آمد وكيفا عداوة ودخل محمود في طاعة العادل بن أيوب وحضر مع ابنه الاشرف في حصار الموصل على أن يسير معه بعدها الى خرتبرت فيملكها له وكان نظام الدين مستنجدا

الدين قليج ارسلان صاحب بلاد الروم فمات وسار الاشرف مع محمود بعساكره وحاصروا خرتبرت في شعبان سنة احدى وستين وملكوا ربضها وبعثوا غياث الدين صاحب الروم الى نظام الدين المدد بالعساكر مع الافضل بن صلاح الدين صاحب سميساط فلما انتهوا الى ملطية أفرج الاشرف ومحمود عن خرتبرت الى بعض حصون نظام الدين بالصحراء بحيرة سهنين وفتحت في ذى الحجة سنة احدى وستين فلما وصل الافضل بعساكر غياث الدين ووصل الاشرف عن الحيرة راجعا جاء نظام الدين بالعساكر الى الحصن فامتنع عليه وبقي لصاحب آمد ثم ملك كيقباد صاحب الروم حصن خرتبرت من أيديهم سنة احدى وثلاثين وانقرض منها ملك بني سقمان والله وارث الارض ومن عليها واليه يرجعون

الطاهر عيسى بن المظفر داود بن الصالح صالح بن المنصور غازي بن المظفر قرا ارسلان بن المنصور ارتق ارسلان بن دولو ارسلان بن ابي الغازي بن البي بن تمرتاش بن ابي الغازي بن ارتق بن اكسك

الصالح محمود بن المنصور احمد

داود

السعيد غازي

سليمان

سليمان بن عبد الجبار

مالك بن بهرام

معين السلطان ملك شاه السلجوقي

ملك ماردين وآمد

سقمان

داود بن سقمان

ملك حصن كيفا

قرا ارسلان بن داود

ابراهيم

قطب الدين سقمان

محمد بن قرا ارسلان

محمود بن محمد

مسعود بن محمود

عماد الدين ابو بكر بن قرا ارسلان

نظام الدين ابو بكر بن عماد الدين

ملك خرتبرت بعد أبيه

الخبر عن دولة بني زنكي بن اقسنقر من موالي السلجوقية بالجزيرة والشأم ومبادي أمورهم وتصاريف أحوالهم

قد تقدم لنا ذكر اقسنقر مولى السلطان ملك شاه وأنه كان يلقب قسيم الدولة وأن السلطان ملك شاه لما بعث الوزير فخر الدولة بن جهير سنة سبع وسبعين وأربعمائة بفتح ديار بكر من يد ابن مروان واستنجد ابن مروان صاحب الموصل شرف الدولة مسلم بن عقيل وهزمته العساكر وانحصر بآمد فبعث السلطان عميد الدولة بن فخر الدولة بن جهير ليخالف شرف الدولة الى السلطان فلقيه في الرحبة وأهدى له فرضي عنه ورده الى بلده الموصل واستولى بنو جهير بعد ذلك على ديار بكر كما مر في موضعه من دولة بني مروان ثم كان بعد ذلك شأن حلب واستبد بها أهلها بعد انقراض دولة بني صالح بن مرداس الكلابي وطمع فيها شرف الدولة مسلم بن قريش وسليمان بن قطلمش صاحب بلاد الروم وتتش ابن السلطان الب ارسلان وقتل سليمان بن قطلمش مسلم ابن قريش ثم قتل تتش سليمان بن قطلمش وجاء الى حلب فملكها وامتنعت عليه القلعة فحاصرها وقد كانوا ابعثوا الى السلطان ملك شاه واستدعوه لملكها فوصل اليهم سنة تسع وسبعين ورحل تتش عن القلعة ودخل البرية واستولى السلطان على حلب وولى عليها قسيم الدولة اقسنقر وعاد الى العراق فعمرها اقسنقر وأحسن السيرة فيها وسار معه تتش حين عهد له أخوه السلطان ملك شاه بفتح بلاد العلوية بمصر والشأم ففتح الكثير منها وهو معه كما مر وزحف قبل ذلك سنة ثمانين الى بني منقذ بشيزر فحاصره وضيق عليه ثم رجع عنه عن صلح وأقام بحلب ولم يزل واليا عليها الى أن هلك السلطان سنة خمس وثمانين واختلف ولده من بعده وكان أخوه تتش قد استولى على الشأم منذ سنة احدى وسبعين فلما هلك أخوه طمع في ملك السلجوقية من بعده فجمع العساكر وسار لاقتضاء الطاعة من الامراء معه بالشأم وقصد حلب فأطاعه قسيم الدولة اقسنقر وحمل باغيسيان صاحب انطاكية وتبران صاحب الرها وحران على طاعته حتى يظهر ما آل الامر في ولد سيدهم ملك شاه وساروا مع تتش الى الرحبة فملكها وخطب لنفسه فيها ثم الى نصيبين ففتحها عنوة ثم الى الموصل فهزم صاحبها ابراهيم بن قريش بن بدران وتولى كبر هزيمته اقسنقر وقتل قريش بن ابراهيم وملك الموصل من يده وولى تتش عليها ابن عمته على بن مسلم بن قريش وسار الى ديار بكر فملكها ثم الى اذربيجان وكان بركيارق ابن ملك شاه قد استولى على الري وهمذان وكثير من البلاد فسار لمدافعته وجنح قسيم الدولة اقسنقر وبوزان صاحب الرها الى بركيارق ابن سيدهم فلحقوا به وتركوا تتش فانقلب عائدا الى الشأم ساخطا على اقسنقر وبوزان ما فعلوه فجمع العساكر

وسار الى حلب سنة سبع وثمانين لقتال قسيم الدولة وأمده بركيارق بالامير كربوقا فالتقى العساكر فبرزوا الى لقائهم والتقوا على ست فراسخ من حلب ونزع بعض عساكر اقسنقر الى تتش فاختل مصافه وتمت الهزيمة عليه وجيء به أسيرا الى تتش فقتله صبرا ولحق كربوقا وبوزان بحلب وتبعهما فحاصرهما وملكها وأخذهما أسيرين كما مر في أخبار الدولة وكان قسيم الدولة حسن السياسة كثير العدل وكانت بلاده آمنة ولما مات نشأ ولده في ظل الدولة السلجوقية وكان أكبرهم زنكي فنشأ مرموقا بعين التجلة ولما ولي كربوقا الموصل من قبل بركيارق أيام الفتنة بين بركيارق وأخيه محمد كان زنكي في جملته لانه كان صاحب أبيه وسار كربوقا أيام ولايته لحصار آمد وصاحبها يومئذ بعض أمراء التركمان وأنجده سقمان بن ارتق وكان زنكي بن اقسنقر يومئذ صبيا وهو في جملة رجال كربوقا ومعه جماعة من أصحاب أبيه فبلا في تلك الحرب وانهزم سقمان وظهر كربوقا وفي هذه الحرب أسر ابن ياقوتي ابن ارتق وحبسه كربوقا بقلعة ماردين فكان ذلك سببا لملك بني ارتق فيها كما مر في أخبار دولتهم ثم تتابعت الولاة على الموصل فوليها جكرمس بعد كربوقا وبعده جاولي سكاوو وبعده مودود بن ايتكين وبعده اقسنقر البرسقي كما تقدم في أخبار السلجوقية وولاه السلطان محمد بن ملك شاه سنة ثمان وخمسين وبعث معه ابنه مسعودا وكتب الى سائر الامراء هنالك بطاعته ومنهم يومئذ عماد الدين زنكي بن اقسنقر فاختص به ولما ملك السلطان محمود بعد أبيه محمد سنة احدى عشرة كان أخوه مسعود بالموصل كما تقدم أتابكه حيوس بك ونقل البرسقي من الموصل الى شحنة بغداد وانتقض دبيس ابن صدقة صاحب الحلة على المسترشد والسلطان محمود وجمع البرسقي العساكر وقصد الحلة فكاتب دبيس السلطان مسعودا وأتابكه حيوس بك بالموصل وأغراهما بالمسير الى بغداد فسار لذلك مع السلطان مسعود وزيره فخر الملك أبو علي بن عمار صاحب طرابلس وزنكي بن قسيم الدولة اقسنقر وجماعة من أمراء الجزيرة ووصلوا الى بغداد وصالحهم البرسقي وسار معهم ودخل مسعود الى بغداد وجاء منكبرس الى بغداد ونزع اليه دبيس بن صدقة ووقعت الحرب بينهما على بغداد كما تقدم في أخبار الدولة وأقام منكبرس ببغداد ثم كان له في خدمة السلطان محمود عند حربه مع أخيه مسعود مقامات جليلة وغلب السلطان أخاه مسعودا وأخذه عنده واستنزل أتابكه حيوس بك من الموصل وأعاد اليها البرسقي سنة خمسة عشر فعاد زنكي الى الاختصاص به كما مر ثم أضاف اليه السلطان محمود شحنة بغداد وولاية واسط مضافة الى ولاية الموصل سنة ستة عشر فولى عليها عماد الدين زنكي فحسن أثره في ولايتهما ولما كانت الحرب بين دبيس بن صدقة وبين الخليفة المسترشد وبرز المسترشد لقتاله من بغداد وحضر البرسقي من الموصل وعماد الدين زنكي فانهزم دبيس عماد الدين في ذلك المقام ثم

ذهب دبيس الى البصرة وجمع السقى من بنى عقيل فدخلوا البصرة ونهبوها وقتلوا أميرها وبعث المسترشد الى البرسقى نعذله فى اهماله أمر دبيس حتى فعل فى البصرة مافعل فبادر الى قصره وهرب دبيس واستولى على البصرة وولى عليها عماد الدين زنكى بن اقسنقر فأحسن حمايتها والدفاع عنها وكبس العرب فى حللهم بنواحيها وأجفلوا ثم عزل البرسقى سنة ثمان عشرة عن شحنة بغداد وعاد الى الموصل فاستدعى عماد الدين زنكى من البصرة فحضر من ذلك وقال كل يوم للموصل جديد يستخدمنا وسار الى السلطان ليكون فى جملته فلما قدم عليه باصبهان أقطعه البصرة وأعاده عليها من قبله ثم ملك البرسقى مدينة حلب سنة ثمان عشرة وقتل بها سنة تسع عشرة وكان ابنه عز الدين مسعود بحلب فبادر الى الموصل وأقام ملك أبيه بها ووقع الخلاف بين المسترشد والسلطان محمود وبعث الخليفة عفيفا الخادم الى واسط ليمنع عنها نواب السلطان محمود فسار اليه عماد الدين زنكى من البصرة وقاتله فهزمه ونجى عفيف الى المسترشد وأقام عماد الدين فى واسط وأمره أن يحضر بالعساكر فى السفن وفى البر فجمع السفن من البصرة وشحنها بالمقاتلة شاكى السلاح وأصعد فى البر وقدم على السلطان وقد تسلطت العساكر فهاله منظرهم ووهن المسترشد لما رأى فأجابه الى الصلح

(ولاية زنكى شحنة بغداد والعراق)

ولما ظهر من عماد الدين زنكى من الكفاءة والغناء فى ولاية البصرة وواسط ما ظهر ثم كان له المقام المحمود مع السلطان محمود على بغداد كما مر ولاه شحنة بغداد والعراق لما رأى انه يستقيم اليه فى أمور الخليفة بعد أن شاور أصحابه فأشاروا به وذلك سنة احدى وعشرين وسار عن بغداد بعد أن ولاه على كرسى ملكه باصبهان والله تعالى أعلم

(ولاية عماد الدين زنكى على الموصل وأعمالها)

قد قدمنا ان عز الدين مسعود بن البرسقى لما قتل الباطنية أباه بالموصل وكان نائبه بحلب فبادر الى الموصل وضبط أمورها وخاطب السلطان محمود افولاه مكان أبيه وكان شجاعا عاقرا فطمع فى ملك الشام فسار وبدأ بالرحبة فحاصرها حتى استأمن اليه أهل القلعة وطرقه مرض فمات وتفرقت عساكره ونهب بعضهم بعضا حتى شغلوا عن دفنه وكان جاولى مولى أبيه مقدم العساكر عنده فنصب مكانه أخاه الاصغر وكاتب السلطان فى تقرير ولايته وأرسل فى ذلك الحاجب صلاح الدين محمد الباغيسيانى والقاضى أبا الحسن على بن القاسم الشهرزورى فأوصى صلاح الدين

صهره جقرى فيما جاء فيه وكان شيعة لعماد الدين زنكى نخوف الحاجب وحذره مغبة حاله معه وأشار عليه وعلى القاضى بطلب عماد الدين زنكى وضمن لهما عنده الولايات والاقطاع وركب القاضى مع الحاجب الى الوزير شرف الدين أنوشروان ابن خالد وذكر له حال الجزيرة والشأم واستيلاء الافرنج على أكثرها من ماردين الى العريش وأنها تحتاج الى من يكف طغيانهم وابن البرسقى المنصوب بالموصل صغير لا يقوى على مدافعتهم وحماية البلاد منهم ونحن قد خرجنا عن العهدة وأنهينا الامر اليكم فرفع الوزير قولهما الى السلطان فشكرهما واستدعاهما واستشارهما فيمن يصلح للولاية فذكرا جماعة وأدرجا فيهم عماد الدين زنكى وبذلا عنه مالا جزيلا لخزانة السلطان فأجابهما اليه لما يعلم من كيفياته وولاه البلاد كلها وكتب منشوره بها وشافهه بالولاية وسار الى ولايته فبدأ بالفوارع وملكها ثم سار الى الموصل وخرج جاولى والعساكر للقائه ودخل الموصل فى رمضان سنة احدى وعشرين وبعث جاولى واليا على الرحبة وولى على القلعة نصير الدين جقرى وولى على حجابته صلاح الدين الباغيسانى وعلى القضاء ببلاده جميعا بهاء الدين الشهرزورى وزاد فى اقطاعه وكان لا يصدر الا عن رأيه ثم خرج الى جزيرة ابن عمر وبها موالى البرسقى فامتنعوا عليه وحاصرهم وكان بينه وبين البلد دجلة فعبرها وبين دجلة والبلد فسيح من الارض فعبر دجلة وقاتلهم فى ذلك الفسيح وهزمهم فتحصنوا بالاسوار ثم استأمنوا فدخل البلد وملكه وسار لنصيبين وكانت لحسام الدين تمرتاش بن أبى الغازى صاحب ماردين فاستنجد عليه ابن عمه ركن الدولة داود بن سقمان صاحب كيفا فوعده بالنجدة وبعث حسام الدين بذلك الى أهل نصيبين يأمرهم بالمصابرة عشرين يوما الى حين وصوله فسقط فى أيديهم لعجزهم عن ذلك واستأمنوا لعماد الدين فأمنهم وملكها وسار منها الى سنجار فامتنعوا عليه أولا ثم استأمنوا وملكها وبعث منها الى الخابور فملك جميعه ثم سار الى حران وكانت الرها وسروج البيرة فى جوارها للافرنج وكانوا معهم فى ضيقة فبادر أهل حران الى طاعته وأرسل الى جوسكين وهادنه حتى يتفرغ له فاستقر بينهما الصلح والله تعالى أعلم

* (استيلاء الاتابك زنكى على مدينة حلب) *

كان البرسقى قد ملك حلب وقلعتها سنة ثمانية عشر واستخلف عليها ابنه مسعودا ثم قتل الباطنية البرسقى بالموصل فبادر ابنه مسعود الى الموصل واستخلف على حلب الامير قزمان ثم عزله وبعث بولايتها الى الامير قطلغ أبه فمنعه قزمان وقال بينى وبينه علامة لم أرها فى التوقيع فرجع الى مسعود فوجده قد الرحبة فعاد الى حلب

مسرعا ومال اليه أهل البلد ورئيسهما ضايل بن ربيع وأدخلوه وملكوه واستنزلوا قزمان من القلعة وأعطوه ألف دينار وبلغوه مأمنه وملك قطلغ القلعة والبلد منتصف احدى وعشرين ثم ساءت سيرته وفحش ظلمه واشتمل عليه الاشرار فاستوحش الناس منه وثاروا به في عيد الفطر من السنة وقبضوا على أصحابه وولوا عليهم بدر الدولة سليمان بن عبد الجبار بن ارتق الذي كان ملكها من قبل وحاصروا قطلغ بالقلعة ووصل حسان صاحب منبج وحسن صاحب مراغة لاصلاح الامر فلم يتم وزحف جوسكين صاحب الرها من الافرنج الى حلب فصانعوه بالمال ورجع فزحف صاحب انطاكية وحاصر البلد وهم يحاصرون القلعة الى منتصف ذي القعدة من آخر السنة وانتهى عماد الدين زنكي الى صاحب حران كما ذكرناه فبعث الى أهل حلب أميرين من أصحابه بتوقيع السلطان له بالموصل والجزيرة والشأم فبادروا الى الطاعة وسار اليه بدر الدولة ابن عبد الجبار وقطلغ آبه وأقام أحد الاميرين بحلب ولما وصلا الى عماد الدين أصلح بينهما وأقاما عنده وبعث الحاجب صلاح الدين محمد الباغيساني في عسكر اليها فملك القلعة ورتب الامور وولى ثم وصل عماد الدين بعده في محرم سنة ثنتين وعشرين وملك في طريقه منبج من يد حسان ومراغة من يد حسن وتلقاه أهل حلب فاستولى وأقطع أعمالها للامراء والاجناد ثم قبض على قطلغ آبه وأسلمه الى ابن بديع فكحله ومات واستوحش ابن بديع فلحق بقلعة جعفر مستجيرا بصاحبها وأقام عماد الدين مكانه في رياسة حلب على بن عبد الرزاق وعاد الى الموصل والله أعلم

(استيلاء الاتابك زنكي على مدينة حماة)

ثم سار عماد الدين زنكي لجهاد الافرنج وعبر الفرات الى الشأم واستنجد تاج الملوك بوري بن طغركين صاحب دمشق فأنجده بعد التوثق باستحلافه وبعث عسكره من دمشق الى ابنه سونج وأمره بالمسير الى زنكي فلما وصلوا اليه أكرمهم ثم غدر بهم بعد أيام وقبض على سونج والامراء الذين معه فاعتقلهم بحلب ونهب خيامهم وبادر الى حماة وهي خلو من الحامية فملكها وسار عنها الى حمص وصاحبها قيرجان بن قراجا معه في عساكره وهو الذي أشار بحبس سونج وأصحابه فقبض عليه يظن أهل حمص يسلمون بلادهم اليه فامتنعوا وبعث اليهم قيرجان بذلك فلحق اليها فحاصرها مدة وامتنعت عليه فعاد الى الموصل ومعه سونج بن بوري والله أعلم

(فتح عماد الدين حصن الاثارب وهزيمة الافرنج) (١)

ولما عاد عماد الدين الى الموصل أراح عساكره أياما ثم تجهز سنة أربع وعشرين الى الغزو

وعاد الى الشأم فقصد حلب واعتزم على قصد حصن الاثارب وهو على ثلاثة فراسخ من حلب وكان الافرنج الذين به قد ضيقوا على حلب فسار اليه وحاصره وجاء الافرنج من انطاكية لدفاعه واستنفروا فتبعهم وترك الحصن وسار اليهم واستماتت المسلمون فانهزم الافرنج وأسر كثير من زعمائهم وقتل كثير حتى بقيت عظامهم ماثلة بذلك الموضع أكثر من ستين سنة ثم عاد الى حصن الاثارب فملكه عنوة وخربه وتقسم جميع من فيه بين القتل والاسر وسار الى قلعة حارم (١) قرب انطاكية وهى للافرنج فحاصرها حتى صالحوه على نصف خراجها فرجع عنها وملئ الافرنج رعبا منه ومن استبداد المسلمين به وذهب ما كان عندهم من الطمع

(واقعة عماد الدين مع بنى ارتق)

ولما فرغ عماد الدين من غزو الافرنج وفتح الاثارب وقلعة حارم عاد الى الجزيرة وحاصر مدينة سرخس وهى لصاحب ماردين بينها وبين نصيبين فاجتمع حسام الدين صاحب ماردين وركن الدولة صاحب آمد وهما لابى الغازى صاحب ماردين بن حسام الدين تمرتاش بن أبى الغازى وصاحب كيفا ركن الدولة داود بن سقمان وتمرتاش بن ارتق وجمعوا من التركمان نحوا من عشرين ألفا وساروا المدافعة زنكى فهزمهم وملك سرخس وسار ركن الدولة الى جزيرة ابن عمر لينهبها فاتبعه عماد الدين فرجع الى بلده فعاد عنه لضيق مسالكه وملك من قلاعه همرد ورجع الى الموصل الى آخره

(حصول دبيس بن صدقة فى أسر الاتابك زنكى)

قد تقدم لنا أن دبيس بن صدقة لما فارق البصرة سار الى سرخد من قلاع الشأم سنة خمس وعشرين باستدعاء الجارية التى خلفها الحسن هنالك ليتزوج بها وأنه مر فى الغوطة بحى من أحياء كلب فأسروه وحملوه الى تاج الملوك صاحب دمشق وبلغ الخبر الى الاتابك زنكى وكان عدوا له فبعث فيه الى تاج الملوك بورى وفادى من ابنه سونج والامراء الذين معه عنده فأطلقهم وبعث بورى اليه بدبيس وهو مستيقن الهلاك فلما وصل أكرمه وأحسن اليه وأزاح علله وبعث المسترشد فيه الى بورى ابن طغركين صاحب دمشق فوجده قد فات بتسليمه الى زنكى فذم الرسل زنكى فيما فعله فأرصد لهم فى طريقهم وسبقوا اليه وهم سديد الدولة بن الانبارى وأبو بكر ابن بشر الجزرى فحبسهما حتى شفع فيهما المسترشد وبقى دبيس عنده حتى انحدر معه الى العراق

(مسير الاتابك زنكى الى العراق ولمظاهرة السلطان مسعود وانهزامه)

ولما توفي السلطان محمود سنة خمس وعشرين واختلف ولده داود وأخوه مسعود وسار داود الى مسعود وحاصره بتبريز في محرم سنة ست وعشرين ثم صالحه وخرج مسعود من تبريز واجتمعت عليه العساكر وسار الى همذان وبعث يطلب الخطبة من المسترشد فمنعه وكتب الاتابك عماد الدين زنكي يستنجده وسار الى بغداد فحاصرها وكان قد سبق اليها أخوه سلجوق شاه صاحب فارس وخوزستان مع أتابك قراجا الساقي في عسكر كثير وأنزله المسترشد بدار السلطان فلما جاء مسعود ونزل عباسة وبرز عسكر المسترشد وعسكر سلجوق شاه وقراجا الساقي لمحاربة مسعود فأتاهم الخبر بوصول عماد الدين زنكي من ورائهم وأنه وصل الى المعشوب فرجع قراجا الساقي الى محاربته وسار سلجوق شاه بالعساكر الى محاربة أخيه مسعود وأغذ قراجا السير وصبح عماد الدين بعد يوم وليلة على المعشوب وقاتله وهزمه وأسر كثيرا من أصحابه وسار زنكي منهزما الى تكريت وعبر الدجلة هنالك وكان النائب بها نجم الدين أيوب بن شادي والد السلطان صلاح الدين فأقام له المعابر وعبر ثم سار الى بلاده وسار مسعود الى بغداد للقاء أخيه سلجوق شاه ثم اصطلح مع الخليفة على أن يكون العراق له والسلطنة لمسعود وولاية العهد لسلجوق شاه وذلك منتصف سنة ست وعشرين

(مسير الاتابك عماد الدين الى بغداد ثانية وانهزامه)

قد قدمنا ما كان بعد وفاة السلطان محمود من الخلاف بين ابنه داود وأخويه مسعود وسلجوق شاه ثم استقر مسعود في السلطنة وصلحه مع أخيه سلجوق على أن يكون ولي عهده ثم ان السلطان سنجر سار من خراسان يطلب السلطنة لطغرل ابن أخيه السلطان محمود وكان عنده مقيما فبلغ همذان وخرج السلطان مسعود وسلجوق شاه للقائه وسار وامتباطئين ينتظرون لحاق المسترشد بهم وخرج المسترشد الى خانقين فجاءته الاخبار بوصول الاتابك زنكي ودبيس بن صدقة الى بغداد فذكر دبيس ان السلطان سنجر أقطعه الحلة وبعث يسترضي فلم يشفعه وذكر الاتابك زنكي ان السلطان سنجر ولاه شحنة بغداد واستمر السلطان مسعود وأخوه سلجوق على المسير للقاء سنجر وكانت الهزيمة على مسعود كما مر فعاد المسترشد الى بغداد ونزل العباسية من الجانب الغربي ولقي الاتابك زنكي ودبيس على حصن البرامكة فهزمهما آخر رجب سنة ست وعشرين ولحق الاتابك بالموصل

(واقعة الافرنج على أهل حلب)

وفي غيبة الاتابك زنكي سار ملك الافرنج من القدس الى حلب فخرج نائبها عن الاتابك زنكي وهو الامير اسوار وجمع التركمان مع عساكره وقاتل الافرنج عند

قنسرين وصابرهم ومحص الله المسلمين وانهزموا الى حلب وسار ملك الافرنج في أعمال حلب ظافرا ثم سار بعض الافرنج من الرها للغارة في أعمال حلب فخرج اليهم الامير اسوار ومعه حسان التغلبي الذي كان صاحب منبج فأوقعوا بهم واستلحموهم وأسروا من بقي منهم وعادوا ظافرين

(حصار المسترشد الموصل)

ولما وقع ما قدمناه من وصول زنكي الى بغداد وانهزامه أمام المسترشد حقد عليه المسترشد ذلك وأقام يتربص ثم كثر الخلاف بين سلاطين السلجوقية واعتزلهم جماعة من أمرائهم فرارا من الفتنة ولحقوا بالخليفة وأقاموا في ظله فأراد الخليفة المسترشد أن ينتصف بهم من الاتابك زنكي فقدم اليه بهاء الدين أبا الفتوح الاسفرايني الواعظ وحمله عتابا أغلظ فيه وزاده الواعظ غلاظة حفظا على ناموس الخلافة في معتقده فامتعض الاتابك لما شافهه به وأهانه وحبسه وأرسل المسترشد الى السلطان مسعود على قصد الموصل وحاصرها لما وقع من زنكي ثم سار في شعبان سنة سبع وعشرين الى الموصل في ثلاثين ألف مقاتل فلما قارب الموصل فارقها الاتابك زنكي الى سنجار وترك نائبه بها نصير الدين جقري وجاء المسترشد فحاصرها والاتابك زنكي قد قطع الميرة عن معسكره فتعذرت الاقوات وضاقت عليهم الاحوال وأرادت جماعة من أهل البلد الوثوب بها وسعى بهم فأخذوا وصلبوا ودام الحصار ثلاثة أشهر وامتنعت عليه فأفرج عنها وعاد الى بغداد وقيل ان مطر الخادم جاءه من بغداد وأخبره أن السلطان مسعودا عازم على قصد العراق فعاد مسرعا

(ارتجاع صاحب دمشق مدينة حماة)

قد كنا قدمنا أن الاتابك زنكي تغلب على حماة من يد تاج الملوك بوري بن طغركين صاحب دمشق سنة ثلاث وعشرين وأقامت في ملكه أربع سنين وتوفي تاج الملوك بوري في رجب سنة ست وعشرين وولي بعده ابنه شمس الملوك اسمعيل وملك بانياس من الافرنج في صفر سنة سبع وعشرين ثم بلغه أن المسترشد بالله حاصر الموصل فسار هو الى حماة وحاصرها وقاتلها يوم الفطر ويومين بعده فملكها عنوة واستأمنوا فأمنهم ثم حصر الوالي ومن معه بالقلعة فاستأمنوا أيضا واستولى على ما فيهما من الذخائر والسلاح وسار منها الى قلعة شيزر فحاصرها ابن منقذ فحمل اليه مالا صانعه به وعاد الى دمشق في ذي الحجة من السنة

حصار الاتابك زنكي قلعة آمد واستيلاؤه على قلعة النسور ثم حصار قلاع الحميدية

وفي سنة ثمان وعشرين وخمسمائة اجتمع الاتابك زنكي صاحب الموصل وصاحب ماردين على حصار آمد واستنجد صاحبها بداود بن سقمان صاحب كيفا فجمع العساكر وسار اليهما ليدافعهما عنه وقاتلاه فهزماه وقتل كثير من عسكره وأطالا حصار آمد وقطعا شجرها وكرومها وامتنعت عليهما فرحلا عنها وسار زنكي الى قلعة النسور من ديار بكر فحاصرها وملكها منتصف رجب من السنة ووفد عليه ضياء الدين أبو سعيد ابن الكفرتوثي فاستوزره الاتابك وكان حسن الطريقة عظيم الرياسة والكفاية محببا في الجند وتوفي في سنة ست وثلاثين بعدها ثم استولى الاتابك على سائر قلاع الاكراد الحميدية مثل قلعة العقر وقلعة سوس وغيرهما وكان لما ملك الموصل أمر صاحب هذه القلاع الامير عيسى الحميدي على ولايتها فلما حاصر المسترشد الموصل قام في خدمته أحسن القيام وجمع له الاكراد فلما عاد المسترشد الى بغداد من قتال الاتابك زنكي حاصر قلاعهم وحاصرتها العساكر وقاتلوها قتالا شديدا حتى ملكوها في هذه السنة ورفع الله شرهم عن أهل السواد المجاورين لهم فقد كانوا منهم في ضيقة من كثرة عيثهم في البلاد وتخريبهم والله تعالى أعلم

(استيلاء الاتابك على قلاع الهكارية وقلعة كواشى)

حدث ابن الاثير عن الجنيبي أن الاتابك زنكي لما ملك قلاع الحميدية وأجلاهم عنها خاف أبو الهيجاء بن عبد الله على قلعة أشب والجزيرة وكواشى فاستأمن الاتابك واستحلفه وحمل له مالا ثم وفد عليه بالموصل بعد أن اخرج ابنه أحمد من أشب خشية أن يغلب عليها وأعطاه قلعة كواشى وولى على أشب رجلا من الكرد واسمه باد الارمني وابنه أحمد هذا هو أبو علي بن أحمد المشطوب من أمراء السلطان صلاح الدين ولما مات أبو الهيجاء واسمه موسى وسار أحمد الى أشب ليملكها فامتنع عليه باد وأراد حفظها لعلي الصغير من بني أبي الهيجاء فسار الاتابك زنكي في عساكره ونزل على اشب وبرز أهلها لقتاله واستجرهم حتى أبعدوا ثم كر عليهم فأفناهم قتلا وأسرا وملك القلعة في الحال وسيق اليه باد في جماعة من مقدمي الاكراد وقتلهم وعاد الى الموصل ثم سار غازيا في بعض مذاهبه فبعث نائبه نصر الدين جقري عسكرا وخلى كنجاورسى قلعة العمادية وحاصروا قلعة الشغبان وفرح وكواشى والزعفراني والنغى وسرق وسقروه وهي حصون الهكارية فحصرها وملكها جميعا واستقام أمر الجبل والزوزان

وأمنت الرعية من الاكراد وأما باقي قلاع الهكارية وهي جبل وصورا وهرور والملايسي وبامرما وماترحاوباكرا ونسرفان فراجاصاحب العمادية فتحها بعد قتل زنكي بمدة طويلة كان أميرا على تلك الحصون الهكارية من قبل زين الدين على على ماقال ابن الاثير ولم أعلم تاريخ فتح هذه القلاع فلهذا ذكرته هنا قال وحدثني بخلاف هذا الحديث بعض فضلاء الاكراد أن أتابك زنكي لما فتح قلعة اشب وجرسانى قلعة العمادية ولم يبق في الهكارية الاصاحب جبل صورا وصاحب هرور ولم يكن لهما شوكة يخشى منهما ثم عاد الى الموصل وخافه أهل القلاع الجبلية ثم توفى عبد الله بن عيسى ابن ابراهيم صاحب الربية والقي وفرح وملكها بعده ابنه على وكانت أمه خديجة ابنة الحسن أخت ابراهيم وعيسى وهما من الامراء مع زنكي بالموصل فأرسلها ابنها على الى أخويها المذكورين وهما خالاه ليستأمنا له من الاتابك فاستحلفاه وقدم عليه فأقره على قلاعه واستقل بفتح قلاع الهكارية وكان الشعبان هذا الامير من المهرانية اسمه الحسن بن عمر فأخذه منه وخرّ به لكبره وقلة أعماله وكان نصير الدين جقرى يكره على اصاحب الربية والقي وفرح فسعى عند الاتابك في حبسه فأمر بحبسه ثم ندم وكتب اليه أن يطلقه فوجده قد مات فأمرهم نصير الدين بقتله ثم بعث العساكر الى قلعة الربية فنازلوها بغتة وملكوها عنوة وأسروا ولد على واخوته ونجت أمه خديجة لغيبها وجاء البشير الى الاتابك بفتح الربية فسره ذلك وبعث العساكر الى مابقي من قلاع على فابى الا أن يزيدوه قلعة كواشى فمضت خديجة أم على الى صاحب كواشى من المهرانية واسمه جرك راهروا وسألته النزول عن كواشى لاطلاق أسراهم ففعل ذلك وتسلم زنكي القلاع وأطلق الاسرى واستقامت له جبال الاكراد والله تعالى أعلم

(حصار الاتابك زنكي مدينة دمشق)

كان شمس الملوك اسمعيل بن بورى قد انحل أمره وضعفت دولته واستطال عليه الافرنج وخشى عاقبة أمرهم فاستدعى الاتابك زنكي سرا ليملكه دمشق ويريح نفسه وشعر بذلك أهل دولته فشكوا الى أمه فوعدتهم ازاحته منه ثم اغتالته فقتلته وجاء الاتابك زنكي فقدم رسله من الفرات فألفوا شمس الملوك قد مات وولى مكانه أخوه محمود واشتغل أهل الدولة عليه ورجعوا الخبر الى الاتابك فلم يحفل به وسار حتى نزل بظاهر دمشق واشتد أهل الدولة على مدافعته ومقدمهم معين الدين أنر بوه أتابك طغركين ثم بعث المسترشد أبا بكر بن بشر الجزرى الى الاتابك زنكي فأمره بصلح صاحب دمشق فصالحه ورحل عنه منتصف السنة والله سبحانه وتعالى أعلم

(فتنة الراشد مع السلطان مسعود ومسيره الى الموصل وخلعه)

كان كثير من أمراء السلجوقية قد اجتمعوا على الانتقاض على السلطان مسعود والخروج عليه ولحق داود ابن السلطان محمود من اذربيجان ببغداد فى صفر سنة اثنين وثلاثين فأنزل بدار السلطنة وراسل أولئك الامراء وقدم عليه بعضهم مثل صاحب قزوين وصاحب اصبهان وصاحب الاهواز وصاحب البلة وصاحب الموصل الاتابك زنكى وخرجت اليهم العساكر من بغداد وولى داود شحنية بغداد وخرج موكب الخليفة مع الوزير جلال الدين الرضى وكان الخليفة قد تغير عليه وعلى قاضى القضاة الزينبى فسمع بهم الاتابك ثم وقعت العزيمة من الراشد والسلطان داود والاتابك زنكى وحلف كل منهم لصاحبه وبعث الراشد الى الاتابك بأربى ألف دينار ووصل سلجوق شاه الى واسط وقبض على الامير بك آيه ونهب ماله فانحدر الاتابك زنكى لمدافعته فاصطلحا وعاد زنكى الى بغداد ومرّ على جميع العساكر لقتال السلطان مسعود وخرج على طريق خراسان وبلغهم أن السلطان مسعودا سار الى بغداد فعادا اليها ثم عاد الملك داود وجاء السلطان مسعود فنزل على بغداد وحاصرهم نيفا وخمسين يوما وارتحل الى النهروان ثم قدم عليه طرنطاى صاحب واسط بالسفن فرجع الى بغداد وعبر الى الجانب الغربى ثم اختلف العسكر ببغداد ورجع الملك داود الى ولايته باذربيجان وافترق الامراء الذين معه ولحق الراشد بالاتابك زنكى فى نفر من أصحابه وهو بالجانب الغربى وسار معه الى الموصل ودخل السلطان مسعود الى بغداد منتصف ذى القعدة سنة ثلاثين واستقر بها وسكن الناس وجمع القضاة والفقهاء وعرض عليهم يمين الراشد بخطه بأنه متى جمع أو خرج لحرب السلطان فقد خلع نفسه فأفتوا بخلعه ثم وقعت الشهادات من أهل الدولة وغيرهم على الراشد بموجبات العزل وكتبت وأفتى الفقهاء عقبها باستحقاق العزل وحكم به القاضى المبين حينئذ لغيبة قاضى القضاة بالموصل مع الراشد ونصب للخلافة ابن المستظهر وجاء رسول الاتابك زنكى الى بغداد وهو القاضى كمال الدين محمد بن عبد الله الشهرزورى وبايع بعد أن ثبت عنده الخلع وانصرف الى الاتابك باقطاع من خاص الخليفة ولم يكن ذلك لاحد قبله وعاد كمال الدين الى الاتابك وحمل كتب الخلع فحكم بها قاضى القضاة بالموصل وانصرف الراشد عن الموصل الى اذربيجان كما مرّ فى أخبار الخلفاء والسلجوقية والله تعالى ولى التوفيق

(غزاة العساكر حلب الى الافرنج)

ثم اجتمعت عساكر حلب مع الامير اسوار نائب الاتابك زنكى بحلب

فى شعبان سنة ثلاثين وسار واغازين الى بلاد الافرنج وقصدوا اللاذقية على غرة فنالوا منها واستباحوا فى بسائطها واكتسحوها وامتلأت أيديهم من الغنائم وخربوا بلاد اللاذقية وما جاورها وخرجوا على شيزر يملؤا الشأم بالاثقال والظهر ووهن الافرنج لذلك والله سبحانه وتعالى يؤيد بنصره من يشاء من عباده

{حصار الاتابك زنكى مدينة حمص واستيلاؤه على بعدوين وهزيمة الافرنج واستيلاؤه على حمص}

ثم سار الاتابك فى العساكر فى شعبان سنة احدى وثلاثين الى مدينة حمص وبها يومئذ معين الدين انز القائم بدولة صاحب دمشق وحمص من أقطاعه فقدم اليه صاحبه صلاح الدين الباغيسانى فى تسليمها فاعتذر بأن ذلك ليس من الاصابة فحاصرها والرسل تردد بينهما وامتنعت عليه فرحل عنها الى بعدوين من حصون الافرنج فى شوال من السنة فجمع الافرنج وأوعبوا وزحفوا اليه واشتد القتال بينهم ثم هزم الله العدو ونجا المسلمين منهم ودخل ملوكهم الى حصن بعدوين فامتنعوا به وشد الاتابك حصاره وذهب القسوس والرهبان الى بلاد النصرانية من الروم والافرنج يستنجدونهم على المسلمين ويخوفونهم استيلاء الاتابك على قلعة بعدوين وما يخشى بعد ذلك من ارتجاعهم بيت المقدس وجد الاتابك بعد ذلك فى حصارها والتضييق عليها حتى جهدهم الحصار ومنع عنهم الاخبار ثم استأمنوا على أن يحملوا اليه خمسين ألف دينار فأجابهم وملك القلعة ثم سمعوا بمسير الروم والافرنج لانجادهم وكان الاتابك خلال الحصار قد فتح المعرة وكفرطاب فى الولايات التى بين حلب وحماة ووهن الافرنج ثم سار الاتابك زنكى فى محرم سنة اثنين وثلاثين الى بعلبك وملك حصن المجدل من أعمال صاحب دمشق وبعث اليه نائب بانياس بالطاعة كذلك ثم كانت حادثة ملك الروم ومنازلته حلب كما نذكره فسار الى سلمية ولما انجلت حادثة الروم رجع الى حصار حمص وبعث الى محمود صاحب دمشق فى خطبة أمه مردخان بنت جاولى التى قتلت ابنها فتزوجها وملك حمص وقلعتها وحملت الخاتون اليه فى رمضان وظن أنه يملك دمشق بزواجها فلم يحصل على شئ من ذلك والله تعالى يؤيد بنصره من يشاء من عباده

(مسير الروم الى الشأم وملكهم مراغة)

ولما استنجد الافرنج ببعدوين ملك أمم النصرانية كما مر جمع ملك الروم بالقسطنطينية وركب البحر سنة احدى وثلاثين ولحقته أساطيله وسار الى مدينة قيقية فحاصرها وصالحوه بالمال وسار عنها الى اذنة والمصيصة وهما لابن ليون الارمنى

صاحب قلاع الدر وب فحاصرهما وملكهما وسار الى عين زربة فملكها عنوة وملك
تل حمدون ونقل أهله الى جزيرة قبرص ثم ملك مدينة انطاكية فى ذى القعدة من السنة
وبها رغسد من ملوك الافرنج فصالحه ورجع الى بقراس ودخل منها بلاد ابن ليون
فصالحه بالاموال ودخل فى طاعته ثم خرج الى الشأم أول سنة ثنتين وثلاثين وحاصر
مراغة على ستة فراسخ من حلب وبعثوا بالصريخ الى الاتابك زنكى فبعث بالعساكر
الى حلب لحمايتها وقاتل ملك الروم مراغة فملكها بالامان منتصف السنة ثم غدر بهم
واستباحهم ورحل الى حلب فنزل بريق ومعه الافرنج ورجعوا من الغد الى حلب
وحاصروها ثلاثا فامتنعت عليهم وقتل عليها بطريق كبير منهم ورحل عنها الى قلعة
الاتاود فى شعبان من السنة فهرب عنها أهلها ووضع الروم بها الاسرى والسبى وأنزلوا
بها حامية وبعث اليهم أسوار نائب حلب عسكرا فقتلوا الحامية وخلصوا الاسرى
والسبى ورحل الاتابك من حصن   بعد فتحه الى سلمية وقطع
الفرات الى الرقة واتبع الروم فقطع عنهم الميرة وقصد الروم قلعة شيزر وبها سلطان ابن
على بن مقلد بن نصر بن منقذ الكنانى فحاصروها ونصبوا المجانيق عليها واستصرخ
صاحبها بالاتابك زنكى فسار اليه ونزل نهر العاصى بين شيزر وحماة وبعث السرايا
تختطف من حول معسكر الروم وبعث الى الروم يدعوهم الى المناجزة والنزول الى
البسيط فحاموا عن ذلك فرجع الى التضريب بين الروم والافرنج يحذر أحد الفريقين
من الآخر حتى استراب كل بصاحبه فرحل ملك الروم فى رمضان من السنة بعد حصار
شيزر أربعين يوما واتبعه الاتابك فلحقهم واستلبهم واستباحهم ثم أرسل القاضى [illegible]
الدين محمد بن عبد الله الشهرزورى الى السلطان مسعود يستنجده على العدو [illegible]
الروم واستيلاءهم على حلب ويحدرون من الفرات الى بغداد فوضع القاضى كمال
الدين فى جامع القصر من ينادى بصريخ المسلمين والخطيب على المنبر وكذا فى جامع
السلطان فعظم الصراخ والبكاء وتسايلت العوام من كل جانب وجاؤا الى دار
السلطان فى تلك الحالة وقد وقع العويل والصراخ فعظم الهول على السلطان مسعود
وجهز عسكرا عظيما وخاف القاضى كمال الدين غائلته ثم وصل الخبر برحيل ملك
الروم فاخبر القاضى السلطان مسعود بذلك و   من مسير العسكر
والله تعالى أعلم

(استيلاء الاتابك زنكى على بعلبك)

ثم قتل محمود صاحب دمشق سنة ثلاث وثلاثين فى شوال كما مر فى أخبار دولتهم وكانت
أمه زمرد خان متزوجة بالاتابك كما مر فبعثت اليه وهو بالجزيرة تعرفه بالخبر وتطلب

منه أن يسير الى دمشق ويثأر بوالده من أهل دولته فسار لذلك واستعد أهل دمشق للحصار ثم قصد الاتابك مدينة بعلبك ونزلها وكان ابن القائم بالدولة قد نصب كمال الدين محمد بن بوري بدمشق وتزوج أمه وبعث بجاريته الى بعلبك فلما سار الاتابك الى دمشق قدم رسله الى انز في تسليم البلد على أن يبذل له ما يريد فأبى من ذلك وسار الاتابك الى بعلبك فنازلها آخر ذي الحجة من السنة ونصب عليها المجانيق وشدد حصارها حتى استأمنوا فملكها واعتصم الحامية بالقلعة حتى يئسوا من أنز فاستأمنوا الى الاتابك فلما ملكها قبض عليهم وصلبهم وتزوج جارية انز ونقلها الى حلب الى أن بعثها ابنه نور الدين محمود الى صاحبها بعد موت الاتابك والله تعالى أعلم

(حصار الاتابك زنكي مدينة دمشق)

ثم سار الاتابك زنكي الى حصار دمشق في ربيع الاول من سنة أربع وثلاثين بعد الفراغ من بعلبك فنزل بالبقاع وأرسل الى جمال الدين محمد صاحبها في أن يسلمها اليه ويعوضه عنها بما شاء فلم يجب الى ذلك فزحف اليه ونزل داريا والتقت الطلائع فكان الظفر لاصحاب الاتابك ثم تقدم الى المصلى فنزل بها وقاتله أهل دمشق بالغوطة فظفر بهم وأثخن فيهم ثم أمسك عن القتال عشرا يراود فيها صاحب دمشق ويبذل له بعلبك وحمص وما يختاره من البلاد فجنح الى ذلك ولم يوافقه أصحابه فعادت الحرب ثم توفي صاحب دمشق جمال الدين محمد في شعبان من السنة ونصب معين الدين انز مكانه ابنه مجير الدين أبق وقام بأمره وطمع زنكي في ملك البلد فامتنعت عليه وبعث معين الدين انز الى الافرنج يستدعيهم الى النصر على الاتابك ويبذل لهم ويخوفهم غائلته ويشترط لهم اعانتهم على بانياس حتى يملكوها فأجاب الافرنج لذلك وأجفل زنكي الى حوران خامس رمضان من السنة معتزما على لقائهم فلم يصلوا فعاد الى حصار دمشق وأحرق قراها وارتحل الى بلاده ثم وصل الافرنج وارتحل معين الدين انز في عساكر دمشق الى بانياس وهي للاتابك زنكي ليوفي للافرنج بشرطه لهم فيها وقد كان نائبها سار للاغارة على مدينة صور ولقيه في طريقه صاحب انطاكية ذاهبا الى دمشق منجدا فهزم عسكر بانياس وقتلوا ولحق فلهم بالبلد وقد وهنوا وحاصرهم معين الدين انز والافرنج وملكها عنوة وسلمها للافرنج وأحفظه ذلك وفرق العسكر في حوران وأعمال دمشق وسار هو فصابح دمشق ولم يعلموا بمكانه فبرزوا اليه وقاتلوه وقتل منهم جماعة ثم احجم عنهم لقلة من معه وارتحل الى مرج راهط في انتظار عساكره فلما توافوا عنده عاد الى بلاده

(استيلاء الاتابك على شهرزور وأعمالها)

كان شهرزور بيد قفجاق بن ارسلان شاه أمير التركمان وصاحبهم وكانت الملوك تتجافى عن أعماله لامتناعها ومضايقها فعظم شأنه واشتمل عليه التركمان وسار اليه الاتابك زنكي سنة أربع وثلاثين فجمع ولقيه فظفر به الاتابك واستباح معسكره وسار في اتباعه فحاصر قلاعه وحصونه وملك جميعها واستأمن اليه قفجاق فأمنه وسار في خدمته وخدمة بنيه بعده الى آخر المائة ثم كان في سنة خمس وثلاثين بين الاتابك زنكي وبين داود بن سقمان صاحب كيفا فتنة وحروب وانهزم داود وملك الاتابك من بلاده قلعة بهمرد وادركه فعاد الى الموصل ثم سار الاتابك الى مدينة الحرمية فملكها سنة ست وثلاثين ونقل آل مهارش الذين كانوا بها الى الموصل ورتب أصحابه مكانهم ثم خطب له صاحب آمد وصار في طاعته بعد أن كان مع داود عليه ثم بعث الاتابك لسنة سبع وثلاثين عسكرا الى قلعة أشب وهي أعظم من حصون الاكراد الهكارية وأمنعها وفيها أهلوهم وذخائرهم فحاصرها وملكها وأمر الاتابك بتخريبها وبنى قلعة العمادية عوضا عنها وكانت خربت قبل ذلك لاتساعها وعجزهم عن حمايتها فأعيدت الآن وكان نصير الدين نائب الموصل قد فتح أكثر القلاع الحربية والله تعالى أعلم

(صلح الاتابك مع السلطان مسعود واستيلاؤه على أكثر ديار بكر)

كان السلطان مسعود ملك السلجوقية قد حقد على الاتابك زنكي شأن الخارجين على طاعتهم من أهل الاطراف وينسب ذلك اليه وكان يفعل ذلك مشغلة للسلطان عنه فلما فرغ السلطان مسعود من شواغله سنة ثمان وثلاثين وخمسمائة سار الى بغداد عازما على قصد الاتابك وحصار الموصل فأرسل الاتابك يستعطفه ويستميله على أن يدفع اليه مائة ألف دينار ويعود عنه فشرع في ذلك وحمل منها عشرين ألفا ثم حدثت الفتنة على السلطان فاحتاج الى مداراته وترك له الباقي وبالغ هو في مخالصة السلطان بحيث ان ابنه غازي كان عند السلطان فهرب الى الموصل فبعث الى نائبها نصير الدين جقري يمنعه من دخولها وبعث الى ابنه بالرجوع الى خدمة السلطان وكتب الى السلطان بان ابني هرب للخوف من تغير السلطان عليه وقد أعدته الى الخدمة ولم ألمه وأنا مملوكك والبلاد لك فوقع ذلك من السلطان أحسن المواقع ثم سار الاتابك الى ديار بكر ففتح طره واسعرد وحران وحصن الرزق وحصن تطليت وحصن باسنه وحصن ذي القرنين وغيرها وملك أيضا من بلاد ماردين الافرنج حملين والموزر وتل موزر وغيرها من بلاد وحصون جستان وأزال بها الناصية وقصد آمد فحصرها وسير عسكرا الى مدينة عانة من أعمال الفرات فملكها والله تعالى أعلم

(فتح الرها وغيرها من أعمال الافرنج)

كان الافرنج بالرها وسروج والبيرة قد أضروا بالمسلمين جوارهم مثل آمد ونصيبين ورأس عين والرقة وكان زعيمهم ومقدمهم بتلك البلاد جوسكين الزعيم ورأى الاتابك أنه يورى عن قصدهم بغيره لئلا يجمعوا له فورى بغزو ديار بكر كما قلناه و
جوسكين وعبر الفرات من الرها الى غزنة وجاء الخبر بذلك الى الاتابك فارتحل منتصف جمادى الاخيرة سنة تسع وثلاثين وحرض المسلمين وحثهم على عدوهم ووصل الى الرها وجوسكين غائب عنها فاعجز الافرنج بالبلد وحاصرهم شهرا وشد فى حصارهم وقتالهم ولج فى ذلك قبل اجتماع الافرنج ومسيرهم اليه ثم ضعف سورها فسقطت ثلمة منه وملك البلد عنوة ثم حاصر القلعة وملكها كذلك ثم رد على أهل البلد ما أخذ منهم وأنزل فيه حامية وسار الى سروج وجميع البلاد التى بيد الافرنج شرقيا فملكها جميعا الا البيرة لامتناعها فأقام يحاصرها حتى امتنعت ورحل عنها والله سبحانه وتعالى أعلم

{مقتل نصير الدين جقرى نائب الموصل وولاية زين الدين على كجك مكانه بالقلعة}

كان استقر عند الاتابك زنكى بالموصل الملك البارسلان ابن السلطان محمد ويلقب الخفاجى وكان شبيها به ويتوهم السلطان ان البلاد له وأنه نائبه وينتظر وفاة السلطان مسعود فيخطب له ويملك البلد باسمه وكان يتردد له ويسعى فى خدمته فداخله بعض المفسدين فى غيبة الاتابك وزين له قتل نصير الدين النائب والاستيلاء على الموصل فلما دخل اليه أغرى به أجناد الاتابك ومواليه فوثبوا به وقتلوه فى ذى القعدة سنة تسع وثلاثين ثم ألقوا برأسه الى أصحابه يحسبون أنهم يفترقون فاعصوصبوا واقتحموا عليه الدار ودخل عليه القاضى تاج الدين يحيى ابن الشهرزورى فأوهمه بطاعته وأشار عليه بالصعود الى القلعة ليستولى على المال والسلاح فركب وصعد معه وتقدم الى حافظ القلعة وأشار عليه بأن يمكنه من الدخول ثم يقبض عليه فدخل ودخل معه الذين قتلوا نصير الدين فحبسهم والى القلعة وعاد القاضى الى البلد وطار الخبر الى الاتابك زنكى بحصار البيرة فخشى اختلاف البلد وعاد الى الموصل وقدم زين الدين على ابن كجك وولاه القلعة مكان نصير الدين وأقام ينتظر الخبر وخاف الافرنج الذين بالبيرة من عودته اليهم فبعثوا الى نجم الدين صاحب ماردين وسلموها له فملكها المسلمون

(حصار زنكى حصن جعبر وفنك)

ثم سار الاتابك زنكى سنة احدى وأربعين فى المحرم الى حصن جعبر ويسمى دوس وهو مطل على الفرات وكان لسالم بن مالك العقيلى أقطعه السلطان ملك شاه لابيه حين أخذ منه حلب وبعث جيشا الى قلعة فنك على فرسخين من جزيرة ابن عمر فحاصروها وصاحبها يومئذ حسام الدين الكردى فحاصر قلعة جعبر حتى توسط الحال بينهما حسان المنبجى ورغبه ورهبه وقال فى كلامه من يمنعك منه فقال الذى منعك أنت من مالك بن بهرام وقد حاصر حسان منبج فأصابه فى بعض الايام سهم فقتله وأفرج عن حسان وقدر قتل الاتابك كذلك والله تعالى أعلم

(مقتل الاتابك عماد الدين زنكى)

كان الاتابك عماد الدين زنكى بن اقسنقر صاحب الموصل والشأم محاصر القلعة جعبر كما ذكرنا واجتمع جماعة من مواليه اغتالوه ليلا وقتلوه على فراشه ولحقوا بجعبر وأخبروا أهلها فنادوا من السور بقتله فدخل أصحابه اليه وألفوه يجود بنفسه وكان قتله لخمس من ربيع الآخر سنة احدى وأربعين عن ستين سنة من عمره ودفن بالرقة وكان يوم قتل أبوه ابن سبع سنين ولما قتل دفن بالرقة وكان حسن السياسة كثير العدل مهيبا عند جنده عمر البلاد وأمنها وأنصف المظلوم من الظالم وكان شجاعا شديد الغيرة كثير الجهاد ولما قتل رحل العسكر عن قلعة فنك وصاحبها غفار قال ابن الاثير سمعتهم يزعمون أن لهم فيها نحو ثلثمائة سنة وفيهم رفادة وعصبية ويجيرون كل من يلجأ اليهم والله أعلم

(استيلاء ابنه غازى على الموصل وابنه الآخر محمود على حلب)

ولما قتل الاتابك زنكى نزع ابنه نور الدين محمود خاتمه من يده وسار به الى حلب فاستولى عليها وخرج الملك البارسلان ابن السلطان محمود واجتمعت عليه العساكر وطمع فى الاستقلال بملك الموصل وحضر ابنه جمال الدين محمد بن على بن متولى الديوان وصلاح الدين محمد بن الباغيسانى الحاجب وقد اتفقا فيما بينهما على حفظ الدولة لاصحابهما وحسنا للبارسلان ما هو فيه من الاشتغال بلذاته وأدخلاه الرقة فانغمس بها وهما يأخذان العهود على الامراء لسيف الدين غازى ويبعثانهم الى الموصل وكان سيف الدين غازى فى مدينة شهرزور وهى أقطاعه وبعث اليه زين الدين على كوجك نائب القلعة بالموصل يستدعيه ليحضر عنده وسار البارسلان الى سنجار والحاجب وصاحبه معه ودسوا الى نائبها بأن يعتذر للملك البارسلان بتأخره حتى يملك الموصل فساروا الى الموصل ومروا بمدينة وقد وقف العسكر فأشاروا على البارسلان

بعبور دجلة الى الشرق وبعثوا الى سيف الدين غازى يخبره وقلة عسكره فأرسل اليه عسكرا فقبضوه وجاؤا به فحبسه بقلعة الموصل واستولى سيف الدين غازى على الموصل والجزيرة وأخوه نور الدين محمود على حلب ولحق به صلاح الدين الباغيسيانى فقام بدولته والله سبحانه وتعالى يؤيد بنصره من يشاء من عباده

(عصيان الرها)

ولما قتل الاتابك زنكى ملك الرها جوسكين وكان جوسكين مقيما فى ولايته تل باشر وما جاورها فراسل أهل الرها وعامتهم من الارمن وحملهم على العصيان على المسلمين وتسليم البلد له فأجابوه وواعدوه ليوم عينوه فسار فى عساكره وملك البلد وامتنعت القلعة وبلغ الخبر الى نور الدين محمود وهو بحلب فأغذ السير اليها وأجفل جوسكين الى بلده ونهب نور الدين المدينة وسبا أهلها وارتحلوا عنها وبعث سيف الدين غازى العساكر اليها فبلغهم فى طريقهم ما فعله نور الدين فعادوا وذلك سنة احدى وأربعين ثم قصد صاحب دمشق بعد قتل الاتابك حصن بعلبك وبه نجم الدين أيوب بن شادى نائب الاتابك فابطأ عليه انجاد بنيه فصالح صاحب دمشق وسلم له بعلبك على اقطاع ومال أعطاه اياه وعشر قرى من بلاد دمشق وانتقل معه الى دمشق فسكنها وأقام بها ثم سار نور الدين محمود سنة ثنتين وأربعين من حلب الى الافرنج ففتح مدينة ارتاح عنوة وحاصر حصونا أخرى وكان الافرنج بعد قتل الاتابك يظنون أنهم يستردون ما أخذ منهم قبدا لهم ما لم يكونوا يحتسبون ولما قتل الاتابك زنكى طمع صاحب ماردين وصاحب كيفا أن يستردوا ما أخذ من بلادهم فلما تمكن سيف الدين غازى سار الى أعمال ديار بكر فملك دارا وغيرها وتقدم الى ماردين وحاصرها وعاث فى نواحيها حتى ترحم صاحبها حسام الدين تمرتاش على الاتابك مع عداوته ثم أرسل الى سيف الدين غازى وصالحه وزوجه بنته فعاد الى الموصل وزفت اليه وهو مريض فهلك قبل زفافها وتزوجها أخوه قطب الدين من بعده والله أعلم

(مصاهرة سيف الدين غازى لصاحب دمشق وهزيمة نور الدين محمود للافرنج)

كان تقدم لنا فى دولة بنى طغركين موالى دقاق بن تتش أن ملك الالمان من الافرنج سار سنة ثلاث وأربعين وحاصر دمشق بجموع الافرنج وبها مجير الدين ارتق بن بورى بن محمد بن طغركين فى كفالة معين الدين أنر مولى

فبعث معين الدين الى سيف الدين غازى بن أتابك زنكى بالموصل يدعوه الى نصرة المسلمين فجمع عساكره وسار الى الشأم واستدعى أخاه نور الدين من حلب ونزلوا على

حمص فأخذوا بحجزة الافرنج عن الحصار وقوى المسلمون بدمشق عليهم و بعث معين الدين الى طائفتى الافرنج من سكان الشأم والالمان الواردين فلم يزل يضرب بينهم وجعل لافرنج الشأم حصن بانياس طعمة على أن يرحلوا بملك اللمانيين ففتلوا له فى الذروة والغارب حتى رحل عن دمشق ورجع الى بلاده وراء قسطنطينية بالشمال وحسن أمر سيف الدين غازى وأخيه فى الدفاع عن المسلمين وكان مع ملك اللمان حين خرج الى الشأم ابن ادفونش ملك الجلالقة بالاندلس وكان جده هو الذى ملك طرابلس الشأم من المسلمين حين خروج الافرنج الى الشأم فلما جاء الآن مع ملك اللمان ملك حصن العريمة وأخذ فى منازلة طرابلس ليملكها من القمص فأرسل القمص الى نور الدين محمود ومعين الدين أنز وهما مجتمعان ببعلبك بعد رحيل ملك اللمانيين عن دمشق وأغراهما بابن ادفونش ملك الجلالقة واستخلاص حصن العريمة من يده فسار الملك سنة ثلاث وأربعين وخمسمائة و بعث الى سيف الدين وهو بحمص فأمدهما بعسكر مع الامير عز الدين أبى بكر الدبيسى صاحب جزيرة ابن عمر وحاصروا حصن العريمة أياما ثم نقضوا سوره وملكوه على الافرنج وأسروا من كان به من الافرنج ومعهم ابن ادفونش وعاد الى سيف الدين عسكره ثم بلغ نور الدين ان الافرنج تجمعوا فى يقومن أرض الشأم للاغارة على أعمال حلب فسار اليهم وقاتلهم وهزمهم وأثخن فيهم قتلا وأسرا وبعث من غنائمهم وأسراهم الى أخيه سيف الدين غازى والى المقتفى الخليفة انتهى والله سبحانه وتعالى أعلم

* (وفاة سيف الدين غازى وملك أخيه قطب الدين مودود) *

ثم توفى سيف الدين غازى بن الاتابك زنكى صاحب الموصل منتصف أربع وأربعين وخمسمائة لثلاث سنين وشهرين من ولايته وخلف ولدا صغيرا ربى عند عمه نور الدين محمود وهلك صغيرا فانقرض عقبه وكان كريما شجاعا متسع المائدة يطعم بكرة وعشية مائة رأس من الغنم فى كل نوبة وهو أول من حمل الصنجق على رأسه وأمر بتعليق السيوف بالمناطق وترك التوشح بها وحمل الدبوس فى حلقة السرج و بنى المدارس للفقهاء والربط للفقراء ولما أنشده حيص بيص الشاعر يمدحه

الام يراك المجد فى زى شاعر * وقد نحلت شوقا اليك المنابر

فوصله بألف مثقال سوى الخلع وغيرها ولما توفى سيف الدين غازى انتقض الوزير جمال الدين وأمير الجيوش زين الدين على وجاؤا بقطب الدين مودود بادروا الى تمليكه واستحلفوه وحلفوا له وركب الى دار السلطنة و زين الدين فى ركابه فبايعوا له

وأطاعه جميع من في أعمال أخيه بالموصل والجزيرة وتزوج الخاتون بنت حسام الدين تمرتاش صاحب ماردين التي هلك أخوه قبل زفافها فكان ولده كلهم منها والله سبحانه وتعالى أعلم

(استيلاء السلطان محمود على سنجار)

ولما ملك قطب الدين مودود الموصل وكان أخوه نور الدين محمود بالشأم وكان أكبر منه وله حلب وحماة كاتبه جماعة من الامراء بعد أخيه غازي وفيمن كاتبه نائب سنجار المقدم عبد الملك فبادر اليه في سبعين فارسا من أمرائه وسبق أصحابه في يوم مطير الى مساكن ودخل البلد ولم يعرفوا منه الا أنه أمير من جند التركمان ثم دخل على الشحنة بيته فقبل يده وأطاعه ولحق به أصحابه وساروا جميعا الى سنجار وأغذ السير فقطع عنه أصحابه ووصل الى سنجار في فارسين ونزل بظاهر البلد وبعث الى المقدم فوصله وكان قد سار الى الموصل وترك ابنه شمس الدين محمدا بالقلعة فبعث في اثر أبيه وعاد من طريقه وسلم سنجار الى نور الدين محمود فملكها واستدعى فخر الدين قرى ارسلان صاحب كيفا المودة بينهما فوصل في عساكره وبلغ الخبر الى قطب الدين صاحب الموصل ووزيره جمال الدين وأمير جيشه زين الدين فساروا الى سنجار للقاء نور الدين محمود وانتهوا الى تل اعفر ثم خاموا عن لقائه وأشار الوزير جمال الدين بمصالحته وسار اليه بنفسه فعقد معه الصلح وأعاد سنجار على أخيه قطب الدين وسلم له أخوه مدينة حمص والرحبة والشأم فانفرد بملك الشأم وانفرد أخوه قطب الدين بالجزيرة واتفقا وعاد نور الدين الى حلب وحمل ما كان لابيهم الاتابك زنكي من الذخيرة لسنجار وكانت لا يعبر عنها والله تعالى أعلم

(غزو نور الدين الى انطاكية وقتل صاحبها وفتح فاميا)

ثم غزا نور الدين سنة أربع وأربعين الى انطاكية فعاث فيها وخرب كثيرا من حصونها وبينما هو يحاصر بعض الحصون اجتمع الافرنج وزحفوا اليه فلقيهم وهاربهم وأبلى في ذلك الموقف فهزم الافرنج وقتل البرنس صاحب انطاكية وكان من عتاة الافرنج وملك بعده ابنه سمند طفلا وتزوجت أمه برنس آخر يكفل ولدها ويدبر ملكها فغزاه نور الدين ولقوه فهزمهم وأسر ذلك البرنس الثاني وتمكن الطفل سمند من ملكه بانطاكية ثم سار نور الدين سنة خمس وأربعين الى حصن فاميا بين شيزر وحماة وهو من أحسن القلاع فحاصره وملكه وشحنه حامية وسلاحا وأقواتا ولم يفرغ من أمره الا والافرنج الذي بالشام جمعوا وزحفوا اليه وبلغهم الخبر فخاموا عن اللقاء وصالحوه في المهادنة فعقد لهم انتهى

(هزيمة نور الدين جوسكين وأسر جوسكين)

ثم جمع نور الدين بعد ذلك وسار غازيا الى بلاد زعيم الافرنج وهي تل باشر وعنتاب وعذار وغيرها من حصون شمالي حلب فجمع جوسكين لمدافعته عنها ولقيه فاقتتلوا ومحص الله المسلمين واستشهد كثير منهم وأسر آخرون وفيهم صاحب سلاح نور الدين فبعثه جوسكين الى الملك مسعود بن قليج ارسلان يعيره به لمكان صهره نور الدين على ابنته فعظم ذلك عليه وأعمل الحيلة في جوسكين وبذل المال لاحياء التركمان البادين بضواحيه أن يحتالوا في القبض عليه ففعلوا وظفر به بعضهم فشاركهم في اطلاقه على مال وبعث من يأتي به وشعر بذلك والي حلب أبو بكر بن الرامة فبعث عسكرا اليسوا من ذلك الحي وجاؤا بجوسكين أسيرا الى حلب وثار نور الدين الى القلاع فملكها وهي تل باشر وعنتاب وعذار وتل خالد وقورص ودلوك ومرعش ونهر الجوز وحصن البارة وكفرشود وكفرلات ودلوكا ومرعش ونهر الجود وشحنها بالاقوات وزحف اليه الافرنج ليدافعوه فلقيهم على حصن جلدك وانهزم الافرنج وأثخن المسلمون فيهم بالقتل والاسر ورجع نور الدين الى دلوكا ففتحها وتأخر فتح تل باشر منها الى أن ملك نور الدين دمشق واستأمنوا اليه وبعث اليهم حسان المنبجي فتسلمها منهم وحصنها وذلك في سنة تسع وأربعين وخمسمائة والله سبحانه وتعالى أعلم

(استيلاء نور الدين على دمشق)

كان الافرنج سنة ثمان وأربعين قد ملكوا عسقلان من يد العلوية خلفاء مصر واعترضت دمشق بين نور الدين وبينهم فلم يجد سبيلا الى المدافعة عنها واستطال الافرنج على دمشق بعد ملكهم عسقلان ووضعوا عليها الجزية واشترطوا عليهم تخيير الاسرى الذين بأيديهم في الرجوع الى وطنهم وكان بها يومئذ مجير الدين ابق بن محمد ابن بوري بن طغركين الاتابك واهن القوى مستضعف القوة فخشي نور الدين عليها من الافرنج وربما ضايق مجير الدين بعض الملوك من جيرانه فيفزع الى الافرنج فيغلبون عليه وأمعن النظر في ذلك وبدأ أمره بمواصلة مجير الدين وملاطفته حتى استحكمت المودة بينهما حتى صار يداخله في أهل دولته ويريهم عنده أنهم كاتبوه فيوقع الآخر بهم حتى هدم أركان دولته ولم يبق من أمرائه الا الخادم عطاء بن حفاظ وكان هو القائم بدولته فغص به نور الدين وحال بينه وبين دمشق فأغرى به صاحبه مجير الدين حتى نكبه وقتله وخلت دمشق من الحامية فسار حينئذ نور الدين مجاهرا بعداوة مجير الدولة ومتجنيا عليه واستنجد بالافرنج على أن يعطيهم الاموال ويسلم لهم بعلبك

فجمعوا واحتشدوا وفي خلال ذلك عمد نور الدين الى دمشق سنة سبع وأربعين وكاتب جماعة من احداثها ووعدهم من أنفسهم فلما وصل ثار واعجبوا الدين ولجأ الى القلعة وملك نور الدين المدينة وحاصره بالقلعة وبذل له اقطاعا منها مدينة حمص فسار اليها مجير الدين وملك نور الدين القلعة ثم عوضه عن حمص ببالس فلم يرضها ولحق ببغداد وابتنى بها دارا وأقام بها الى أن توفي والله سبحانه وتعالى أعلم

(استيلاء نور الدين على تل باشر وحصاره قلعة حارم)

ولما فرغ نور الدين من أمر دمشق بعث اليه الافرنج الذين في تل باشر في شمالي حلب واستأمنوا اليه ومكنوه من حصنهم فتسلمه حسان المنبجي من كبراء أمراء نور الدين سنة تسع وأربعين ثم سار سنة احدى وخمسين الى قلعة بهرام بالقرب من انطاكية وهي لمعتمد أمير انطاكية من الافرنج فحاصرها واجتمع الافرنج لمدافعته ثم خاموا عن لقائه وصالحوه على نصف أعمال حارم فقبل صلحهم ورحل عنها والله سبحانه وتعالى ولي التوفيق بمنه وكرمه

(استيلاء نور الدين على شيزر)

شيزر هذه حصن قريب من حماة على نصف مرحلة منها على جبل منيع عال لا يسلك اليه الا من طريق واحدة وكانت لبني منقذ الكنانيين يتوارثون ذلك من أيام صالح ابن مرداس صاحب حلب من أعوام عشرين وأربعمائة الى أن انتهى ملكها الى المرشد نصر بن علي بن نصير بن منقذ بعد أبيه أبي الحسن علي فلما حضره الموت سنة تسعين وأربعمائة عهد لأخيه أبي سلمة بن مرشد وكان عالما بالقرا آت والادب وولى مرشد أخاه الاصغر سلطان بن علي وكان بينهما من الاتفاق والملاءمة مالم يكن بين اثنين ونشأ لمرشد بنون كثيرون و   في السودد منهم عز الدولة أبو الحسن علي ومؤيد الدولة أسامة وولد لعلي وتعدد ولده وناقسوا بني عمهم وفشت بينهم السعايات فتماسكوا المكان مرشد والتئامه بأخيه فلما مات مرشد سنة احدى وثلاثين وخمسمائة تنكر أخوه سلطان لولده وأخرجهم من شيزر فتفرقوا وقصد بعضهم نور الدين فاستعض لهم وكان مشتغلا عنهم بالافرنج ثم توفي سلطان وقام بأمر شيزر أولاده وراسلوا الافرنج فحنق نور الدين عليهم لذلك ثم وقعت الزلازل بالشأم وخرب أكثر مدنه مثل حماة وحمص وكفرطاب والمعرة وافامية وحصن الاكراد وعرقة ولاذقية وطرابلس وانطاكية هذه سقطت جميعها وتهدمت سنة ثنتين وخمسين وما سقط بعضه وتهدمت أسواره فأكثر بلاد الشأم وشغل نور الدين عليها من الافرنج فوقف بعساكره

فى أطراف البلاد حتى رم ما تثلم من أسوارها وكان بنو منقذ أمراء شيزر قد اجتمعوا عند صاحبها منهم فى دعوة فأصابتهم الزلزلة مجتمعين فسقطت عليهم القلعة ولم ينج منهم أحد وكان بالقرب منها بعض أمراء نور الدين فبادر وصعد اليها وملكها منه نور الدين ورم ما تثلم من أسوارها وجدد بناءها فعادت كما كانت هكذا قال ابن الاثير وقال ابن خلكان وفى سنة أربع وسبعين وأربعمائة استولى بنو منقذ على شيزر من يد الروم والذى تولى فتحها منهم على بن منقذ بن نصر بن سعد وكتب الى بغداد بشرح الحال ما نصه كتابى من حصن شيزر حماه الله وقد رزقنى الله من الاستيلاء على هذا المعقل العظيم ما لم يتأت لمخلوق فى هذا الزمان واذا عرف الامر على حقيقته علم أنى هزبر هذه الامة وسليمان الجن والمردة وأنا أفرق بين المرء وزوجه وأستنزل القمر من محله أنا أبو النجم وشعرى شعرى نظرت الى هذا الحصن فرأيت أمرا يذهل الالباب يسع ثلاثة آلاف رجل بالاهل والمال وتمسكه خمس نسوة فعمدت الى تل بينه وبين حصن الروم يعرف بالخواص ويسمى هذا التل بالحصن فعمرته حصنا وجمعت فيه أهلى وعشيرتى ونفرت نفرة على حصن الخواص فأخذته بالسيف من الروم ومع ذلك فلما أخذت من به من الروم أحسنت اليهم وأكرمتهم ومزجتهم بأهلى وعشيرتى وخالطت خنازيرهم بغنمى ونواقيسهم بصوت الاذان ورأى أهل شيزر فعلى ذلك فأنسوا بى ووصل الى منهم قريب من نصفهم فبالغت فى اكرامهم ووصل اليهم مسلم بن قريش العقيلى فقتل من أهل شيزر نحو عشرين رجلا فلما انصرف مسلم عنهم سلموا الى الحصن انتهى كتاب على بن منقذ وبين هذا الذى ذكره ابن خلكان والذى ذكره ابن الاثير نحو خمسين سنة وما ذكره ابن الاثير أولى لان الافرنج لم يملكوا من الشأم شيأ فى أوائل المائة الخامسة والله سبحانه وتعالى أعلم

(استيلاء نور الدين على بعلبك)

كانت بعلبك فى يد الضحاك البقاعى نسبة الى بقاعة والا ان عليها صاحب دمشق فلما ملك نور الدين دمشق امتنع ضحاك ببعلبك وشغل نور الدين عنه بالافرنج فلما كانت سنة ثنتين وخمسين استنزله نور الدين عنها وملكها والله أعلم

(استيلاء أخى نور الدين على حران ثم ارتجاعها)

كان نور الدين سنة أربع وخمسين وخمسمائة بحلب ومعه أخوه الاصغر أمير أميران فمرض نور الدين بالقلعة واشتد مرضه فجمع أخوه وحاصر قلعة حلب وكان شيركوه ابن شادى أكبر أمرائه بحمص فلما بلغه الارجاف سار الى دمشق ليملكها وعليها

أخوه نجم الدين أيوب فنكر عليه وأمره بالمسير الى حلب حتى يتبين حياة نور الدين من موته فأغذ السير الى حلب وصعد القلعة وأظهر نور الدين للناس من سطح مشرف فافترقوا عن أخيه أمير أميران فسار الى حران فملكها فلما أفاق نور الدين سلمها الى زين الدين على كجك نائب أخيه قطب الدين بالموصل وسار الى الرقة فحاصرها والله تعالى ولى التوفيق

(خبر سليمان شاه وحبسه بالموصل ثم مسيره منها الى السلطنة بهمذان)

كان الملك سليمان شاه بن السلطان محمد بن ملك شاه عند عمه السلطان سنجر بخراسان وقد عهد له بملكه وخطب باسمه على منابر خراسان فلما حصل سنجر فى أسر الغز سنة ثمان وأربعين وخمسمائة كما مر فى أخبار دولتهم واجتمعت العساكر على سليمان شاه هذا وقدموه فلم يطق مقاومة الغز ومضى الى خوارزم شاه وزوجه ابنة أخيه ثم بلغه عنه ما ارتاب له فأخرجه من خوارزم وقصد اصبهان فمنعه الشحنة من الدخول فقصد قاشان فبعث اليه محمد شاه ابن أخيه محمود عسكرا فمنعوه عنها فسار الى خراسان فمنعه ملك شاه منها فقصد النجف ونزل   وأرسل للخليفة المستنصر وبعث أهله وولده رهنا بالطاعة واستأذن فى دخول بغداد فأكرمهم الخليفة وأذن له وخرج ابن الوزير ابن هبيرة لتلقيه فى الموكب وفيه قاضى القضاة والنقبا ودخل بغداد وخلع عليه آخر سنة خمسين وبعد أيام أحضر بالقصر واستحلف بحضرة قاضى القضاة والاعيان وخطب له ببغداد ولقب ألقاب أبيه وأمر بثلاثة آلاف فارس وسار نحو بلاد الجبل فى ربيع سنة احدى وخمسين ونزل الخليفة حلوان واستنفر له ابن أخيه ملك شاه صاحب همذان فقدم اليه فى ألفى فارس وجعله سليمان شاه ولى عهده وأمدهما الخليفة بالمال والسلاح ولحق بهما ايلدكز صاحب الرى فكثرت جموعهم وبعث السلطان محمد الى قطب الدين مودود صاحب الموصل وزين الدين كجك على نائبه فى المظاهرة والانجاد وسار الى لقاء سليمان شاه فانهزم وتفرق عسكره وفارقه ايلدكز فذهب الى بغداد على طريق شهرزور وبلغ خبر الهزيمة الى زين الدين على كجك فخرج فى جماعة من عسكر الموصل وقعدله بشهرزور ومعه الامير ايراق حتى مر بهم سليمان شاه فقبض عليه زين الدين وحمله الى الموصل فحبسه بها مكرما وطير الى السلطان محمود بالخبر فلما هلك السلطان محمود بن محمد سنة خمس وخمسين أرسل أكابر الامراء من همذان الى قطب الدين اتابك وزيره وزير اله وتعاهدوا على ذلك وجهزه قطب الدين جهاز الملك وسار معه زين الدين على كجك فى عسكر الموصل الى همذان فلما قاربوا بلاد الجبل تتابعت العساكر والامداد للقائهم ارسالا واجتمعوا على سليمان

شاه وجروا معه على مذاهب الدولة فغشيهم زين الدين على نفسه وفارقهم الى الموصل وسار سليمان شاه الى همذان فكان من أمرهم ما تقدم في أخبار الدولة السلجوقية

* (حصار قلعة حارم وانهزام نور الدين امام الافرنج ثم هزيمتهم وفتحها) *

ثم جمع نور الدين محمود عساكر حلب وحاصر الافرنج بقلعة حارم وجمعوا المدد اليها ثم خاموا عن لقائه ولم يناجزوه وطال عليه أمرها فعاد عنها ثم جمع عساكره وسار سنة ثمان وخمسين معتزما على غزو طرابلس وانتهى الى البقيعة تحت حصن الاكراد فكبسهم الافرنج هنالك وأثخنوا فيهم ونجا نور الدين في الفل الى بحيرة قدس قريبا من حمص ولحق به المنهزمون وبعث الى دمشق وحلب في الاموال والخيام والظهر وأزاح علل العسكر وعلم الافرنج بمكان نور الدين من حمص فنكبوا عن قصدها وسألوه الصلح فامتنع فأنزلوا حاميتهم بحصن الاكراد ورجعوا وفي هذه الغزاة عزل نور الدين رجلا يعرف بابن نصري تنصح له بكثرة خرجه بصلاته وصدقاته على الفقراء والفقهاء والصوفية والقراء الى مصارف الجهاد فغضب وقال والله لا أرجو النصر الا بأولئك فانهم يقاتلون عني بسهام الدعاء في الليل وكيف أسرفها عنهم وهي من حقوقهم في بيت المال ذلك شيء لا يحل لي ثم أخذ في الاستعداد للاخذ بثاره من الافرنج وسار بعضهم الى ملك مصر فأراد أن يخالفهم الى بلادهم فبعث الى أخيه قطب الدين مودود صاحب الموصل والى فخر الدين قرا ارسلان صاحب كيفا والى نجم الدين والى صاحب ماردين بالنجدة فسار من بينهم أخوه قطب الدين وفي مقدمته زين الدين على بكتك صاحب جيشه ثم تبعه صاحب كيفا وبعث نجم الدين عسكره فلما توافت الامداد سار نور الدين نحو حارم سنة تسع وخمسين فحاصرها ونصب عليها المجانيق واجتمع من بقي بالساحل من ملوك الافرنج ومقدمهم البرنس بيمند صاحب انطاكية والقمص صاحب طرابلس وابن جوسكين واستنفر لهم أمم النصرانية وقصدوه فأفرج عن حارم الى ارتاح ثم خاموا عن لقائه وعادوا الى حصن حارم وسار في اتباعهم وناوشهم الحرب فحملوا على عساكر حلب وصاحب كيفا في ميمنة المسلمين فهزموها ومرّوا في اتباعهم وحمل زين الدين في عساكر الموصل على الصف فلقيه الرجل فأثخن فيهم واستلحمهم وعاد الافرنج من اتباع الميمنة فسقط في أيديهم ودارت رحا الحرب على الافرنج فانهزموا ورجع المسلمون من القتل الى الاسر فأسروا منهم أمما فيهم بيمند صاحب انطاكية والقمص صاحب طرابلس وبعث السرايا في تلك الاعمال بقصد انطاكية لخلوها من الحامية فأبى وقال أخشى أن يسلمها أصحابها لملك الروم فان بيمند ابن أخته ومجاورته أحق الي من مجاورة ملك الروم ثم عاج على قلعة حارم فحاصرها وافتتحها ورجع مظفرا والله

(فتح نور الدين قلعة بانياس)

ولما افتتح نور الدين قلعة حارم أذن لعسكر الموصل وحصن كيفا بالانطلاق الى بلادهم وعزم على منازلة بانياس وكانت بيد الافرنج من سنة ثلاث وأربعين وخمسمائة ثم ورى عنها بقصد طبرية فصرف الافرنج همتهم الى حمايتها وخالف هو الى بانياس لقلة حاميتها فحاصرها وضيق عليها فى ذى الحجة من سنة تسع وخمسين وكان معه أخوه نصير الدين أمير أميران فأصيب بسهم فى احدى عينيه وأخذ الافرنج فى الجمع لمدافعته فلم يستكملوا أمرهم حتى فتحها وشحن قلعتها بالمقاتلة والسلاح وشاطره الافرنج فشاطروه فى أعمال طبرية وضرب عليهم الجزية فى الباقى ووصل الخبر بفتح حارم وبانياس الى ملوكهم الذين ساروا الى مصر فسبقهم بالفتح وعاد الى دمشق ثم سار سنة احدى وستين متجردا الى حصن المنيطرة فنازلهم على غرة وملكه عنوة ولم يجتمع الافرنج الا وقد ملكه فافترقوا ويئسوا من ارتجاعه والله تعالى أعلم

{وفادة شاور وزير العاضد بمصر على نور الدين العادل صريخا وانجاده بالعسكر مع أسد الدين شيركوه}

كانت دولة العلويين بمصر قد أخذت فى التلاشى وصارت الى استبداد وزرائها على خلفائها وكان من آخر المستبدين بها شاور السعدى استعمله الصالح بن رزيك على قوص وندم فلما هلك الصالح بن رزيك وكان مستبدا على الدولة قام ابنه رزيك مقامه فعزل شاور عن قوص فلم يرض بعزله وجمع وزحف الى القاهرة فملكها وقتل رزيك واستبد على العاضد ولقبه أمير الجيوش وكانت سنة ثمان وخمسين وخمسمائة ثم نازعه الضرغام وكان صاحب الباب ومقدم البرقية فثار عليه لسبعة أشهر من وزارته وأخرجه من القاهرة فلحق بالشأم وقصد نور الدين محمود بن زنكى مستنجدا به على أن يكون له ثلث الجباية بمصر ويقيم عسكر نور الدين بها مددا له فاختار من أمرائه لذلك أسد الدين شيركوه بن شادى الكردى وكان بحمص وجهزه بالعساكر فسار لذلك فى جمادى سنة تسع وخمسين واتبعه نور الدين الى أطراف بلاد الافرنج فشغلها عن التعرض للعساكر وسار أسد الدين مع شاور وسار معه صلاح الدين ابن أخيه نجم الدين أيوب وانتهوا الى بلبيس فلقيهم ناصر الدين أخو الضرغام فى عساكر مصر فانهزم ورجع الى القاهرة واتبعه أسد الدين فقتله عند مشهد السيدة نفيسة رضى الله تعالى عنها وقتل أخوه وعاد شاور الى وزارته وأقام أسد الدين بظاهر القاهرة ينتظ

الوفاء بالعهد من شاور بما عاهد عليه نور الدين فنكث شاور العهد وبعث اليه بالرجوع الى بلده فلج في طلب ضريبته ورحل الى بلبيس والبلاد الشرقية فاستولى عليها واستمد شاور عليه بالافرنج فبادروا الى ذلك لما كان في نفوسهم من تخوف غائلته وطمعوا في ملك مصر وسار نور الدين من دمشق ليأخذ بحجزتهم على المسير فلم يتم ذلك وتركوا بلادهم حامية فلما قاربوا مصر فارقها أسد الدين واجتمع الافرنج وعساكر مصر فحاصروه ثلاثة أشهر يغاديهم القتال ويراوحهم وجاءهم الخبر بهزيمة الافرنج على حارم وما هيأ الله لنور الدين في ذلك فراسلوا أسد الدين شيركوه في الصلح وطووا عنه الخبر فصالحهم وخرج ولحق بالشأم ووضع له الافرنج المراصد بالطريق فعدل عنها ثم أعاده نور الدين الى مصر سنة ثنتين وستين فسار بالعساكر في ربيع ونزل اطفيح وعبر النيل وجاء الى القاهرة من جانبها الغربي ونزل الجيزة في عدوة النيل وحاصرها خمسين يوما واستمد شاور بالافرنج وعبر الى أسد الدين فتأخر الى الصعيد ولقيهم منتصف السنة فهزمهم وسار الى ثغر الاسكندرية فملكها وولى عليها صلاح الدين ابن أخيه ورجع فدوخ بلاد الصعيد وسارت عساكر مصر والافرنج الى الاسكندرية وحاصروا بها صلاح الدين فسار اليه أسد الدين فتلقوه بطلب الصلح فتم ذلك بينهم وعاد الى الشأم وترك لهم الاسكندرية وكاتب شجاع بن شاور نور الدين بالطاعة عنه وعن طائفة من الامراء ثم استطال الافرنج على أهل مصر وفرضوا عليهم الجزية وأنزلوا بالقاهرة الشحنة وتسلموا أبوابها واستدعوا ملكهم بالشأم الى الاستيلاء عليها فبادر نور الدين وأعاد أسد الدين في العساكر اليها في ربيع سنة أربع وستين فملكها وقتل شاور وطرد الافرنج عنها وقلده العاضد لوزارته والاستبداد عليه كما كان من قبله ثم هلك أسد الدين وقام صلاح الدين ابن أخيه مكانه وهو مع ذلك في طاعة نور الدين محمود وهلك العاضد فكتب نور الدين الى صلاح الدين يأمره باقامة الدعوة العباسية بمصر والخطبة للمستضيء ويقال انه كتب له بذلك في حياة العاضد وبين يدي وفاته وهلك لخمسين يوما أو نحوها فخطب للمستضيء العباسي وانقرضت الدولة العلوية بمصر وذلك سنة سبع وستين كما نأتي على شرحه وتفصيله في دولة بني أيوب ان شاء الله تعالى ووقعت خلال ذلك فتنة بين نور الدين محمود وبين صاحب الروم قليج ارسلان بن مسعود بن قليج رسلان سنة ستين وخمسمائة وكتب الصالح بن رزيك الى قليج ارسلان ينهاه عن الفتنة والله تعالى ولي التوفيق

* (فتح نور الدين صافيتا وعريمة ومنبج وجعبر) *

ثم جمع نور الدين عساكره سنة ثنتين وستين واستدعى أخاه قطب الدين من الموصل فقدم

عليه بحصن ودخلوا جميعا بلاد الافرنج ومروا بحصن الاكراد واكتسحوا نواحيه ثم حاصروا عرقة وخربوا حلبة وفتحوا العريمة وصافيتا وبعثوا سراياهم فعاثت فى البلاد ورجعوا الى حمص فأقاموا بها الى رمضان وانتقلوا الى بانياس وقصدوا حصن حوص فهرب عنه الافرنج فهدم نور الدين سوره وأحرقه واعتزم على بيروت فرجع عنه أخوه قطب الدين الى الموصل وأعطاه نور الدين من عمله الرقة على الفرات ثم انتقض بمدينة منبج غازى بن حسان وبعث اليها العساكر فملكها عنوة وأقطعها أخاه قطب الدين ينال بن حسان وبقيت بيده الى أن أخذها منه صلاح الدين بن أيوب ثم قبض بنو كلاب على شهاب الدين مالك بن على بن مالك العقيلى صاحب قلعة جعبر وكانت تسمى دوس ثم سميت باسم جعبر بانيها وكان السلطان ملك شاه أعطاها لجده عندما ملك حلب كما مر فى أخباره ولم تزل بيده وبيد عقبه الى أن هلك هذا الخرج يتصيد سنة ثلاث وستين وقد أرصد له بنو كلاب فأسروه وحملوه الى نور الدين محمود صاحب دمشق فاعتقله مكرما وحاوله فى النزول عن جعبر بالترغيب تارة وبالترهيب أخرى فأبى وبعث بالعساكر مع الامير فخر الدين محمود بن أبى على الزعفرانى وحاصرها مدة فامتنعت فبعث عسكرا آخر وقدم على الجميع الامير فخر الدين أبا بكر ابن الداية رضيعه وأكبر أمرائه فحاصرها فامتنعت ورجع الى ملاطفة صاحبها فأجاب وعوضه نور الدين عنها سروج وأعمالها وساحة حلب ومراغة وعشرين ألف دينار وملك قلعة جعبر سنة أربع وستين وانقرض أمر بنى مالك منها والبقاء لله وحده

(رحلة زين الدين نائب الموصل الى اربل واستبداد قطب الدين بملكه)

قد كان تقدم لنا أن نصير الدين جقرى كان نائب الاتابك زنكى بالموصل وقتل البارسلان ابن السلطان محمود آخر سنة تسع وثلاثين وخمسمائة طمعا فى الملك لغيبة الاتابك فرجع من غيبته فى حصار البيرة وقدم مكانه زين الدين على بن كشتكين بقلعة الموصل فلم يزل بها بقية أيام الاتابك وأيام ابنه غازى وابنه الآخر قطب الدين سنة ثمان وخمسين على وزيرهم جمال الدين محمد بن على بن منصور الاصبهانى فاعتقله وهلك لسنة من الاعتقال وحمل الى المدينة النبوية على ساكنها أفضل الصلاة وأتم التسليم فدفن بها فى رباط هنالك أعده لذلك وكانت وفاته أيام سيف الدين غازى بن قطب الدين فولى مكانه جلال الدين أبا الحسن ابنه وكان زين الدين على بن كشتكين ويعرف بكجك قد استبد فى دولة قطب الدين واستقل بحكم الدولة وصارت بيده أكثر البلاد اقطاع مثل اربل وشهرزور والقلاع التى فى تلك البلاد الهكارية ومنها العمادية وغيرها والحميدية وتكريت وسنجار وقد كان نقل أهله وولده وذخائره الى اربل وأقام بمحل

نيابته من قلعة الموصل فأصابه الكبر وطرقه العمى والصمم فعزم على مفارقة الموصل الى كسر بيته باربل فسلم جميع البلاد التى بيده الى قطب الدين ما عدا اربل وسار اليها سنة أربع وستين وأقام قطب الدين مكانه فخر الدين عبد المسيح خصيا من موالى جده الاتابك زنكى وحكمه فى دولته فنزل بالقلعة وعمرها وكان الخراب قد لحقها باهمال زين الدين أمر البناء والله تعالى أعلم

(حصار نور الدين قلعة الكرك)

ثم بعث صلاح الدين سنة خمس وستين الى نور الدين محمود يطلب انفاذ أبيه نجم الدين أيوب اليه فبعثه فى عسكر واجتمع اليه خلق من التجار ومن أصحاب صلاح الدين وخشى عليهم نور الدين فى طريقهم من الافرنج فسارت العساكر الى الكرك وهو حصن اختطه من الافرنج البرابس ارناط واختط له قلعة فحاصره نور الدين وجمع له الافرنج فرحل الى مقدمتهم قبل أن يتلاحقوا فخاموا عن لقائه ونكصوا على أعقابهم وسار فى بلادهم فاكتسحها وخرب ما مر به من القلاع وانتهى الى بلاد المسلمين حتى نزل حوشب وبعث نجم الدين من هنالك الى مصر فوصلها منتصف خمس وستين وركب العاضد للقائه ولما كان نور الدين بعشيرا سار للقاء شهاب الدين محمد بن الياس بن أبى الغازى بن ارتق صاحب قلعة أكبره فلما انتهى الى نواحى بعلبك لقى سرية من الافرنج فقاتلهم وهزمهم واستلحمهم وجاء بالاسرى ورؤس القتلى الى نور الدين وعرف الرؤس مقدم الاستبان صاحب حصن الاكراد وكان شجى فى قلوب المسلمين وبلغه وهو بهذا المنزل خبر الزلازل التى عمت البلاد بالشأم والموصل والجزيرة والعراق وخربت أكثر البلاد بعمله فسار اليها وشغل فى اصلاحها من واحدة الى أخرى حتى أكملها ابلغ جهده واشتغل الافرنج بعمارة بلادهم أيضا خوفا من غائلته والله تعالى أعلم

(وفاة قطب الدين صاحب الموصل وملك ابنه سيف الدين غازى)

ثم توفى قطب الدين مودود بن الاتابك زنكى صاحب الموصل فى ذى الحجة سنة خمس وستين لاحدى وعشرين سنة ونصف من ملكه وعهد لابنه الاكبر عماد الدين بالملك وكان القائم بدولته فخر الدين عبد المسيح وكان شديد الطواعية لنور الدين محمود ويعلم ميله عن عماد الدين زنكى بن مودود فعدل عنه الى أخيه سيف الدين غازى بن مودود بموافقة أمه خاتون بنت حسام الدين تمرتاش بن أبى الغازى ولحق عماد الدين بعمه نور الدين منتصرا به وقام فخر الدين عبد المسيح بتدبير الدولة بالموصل واستبد بها والله

تعالى أعلم

(استيلاء نور الدين على الموصل واقراره ابن أخيه سيف الدين عليها)

ولما ولى سيف الدين غازى بالموصل بعد أبيه قطب الدين واستبد عليه فخر الدين عبد المسيح كما تقدم وبلغ الخبر الى نور الدين باستبداده أنف من ذلك وسار فى خف من العسكر وعبر الفرات عند جعفر أول سنة ست وستين وقصد الرقة فملكها ثم الخابور فلك جميعه ثم نصيبين وكلها من أعمال الموصل وجاءه هنالك نور الدين محمد بن قرا ارسلان ابن داود بن سقمان صاحب كيفا مددا ثم سار الى سنجار فحاصرها وملكها وسلمها العماد الدين ابن أخيه قطب الدين ثم جاءته كتب الامراء بالموصل فاستحثوه فأغذ السير الى مدينة كلك ثم عبر الدجلة ونزل شرقى الموصل على حصن نينوى ودجلة بينه وبين الموصل وسقطت ذلك اليوم ثلمة كبيرة من سور الموصل وكان سيف الدين غازى قد بعث أخاه عز الدين مسعود الى الاتابك شمس الدين صاحب همذان وبلاد الجبل واذربيجان واصبهان والرى يستنجده على عمه نور الدين فأرسل ايلدكز الى نور الدين ينهاه عن الموصل فأساء جوابه وتوعده وأقام يحاصر الموصل ثم اجتمع أمراؤها على طاعة نور الدين ولما استحث فخر الدين عبد المسيح استأمن الى نور الدين على أن يبقى سيف الدين ابن أخيه على ملكها فأجابه على أن يخرج هو عنه ويكون معه بالشأم وتم ذلك بينهما وملك نور الدين منتصف جمادى الاولى من سنة ست وستين ودخل المدينة واستناب بالقلعة خصيا اسمه كمشتكين ولقبه سعد الدين فأقر سيف الدين ابن أخيه على ملكه وخلع عليه خلعة وردت عليه من الخليفة المستضىء وهو يحاصرها وأمر ببناء جامع بالموصل فبنى وشهر باسمه وأمر سيف الدين أن يشاور كمشتكين فى جميع أموره وأقطع مدينة سنجار لعماد الدين ابن أخيه قطب الدين وعاد الى الشأم والله تعالى أعلم

(الوحشة بين نور الدين وصلاح الدين)

ثم سار صلاح الدين فى صفر سنة تسع وستين من مصر الى بلاد الافرنج غازيا ونازل حصن الشوبك من أعمال   واستأمن اليه أهله على أن يمهلهم عشرة أيام فأجابهم وسمع نور الدين بذلك فسار من دمشق غازيا أيضا بلاد الافرنج من جانب آخر وتنصح لصلاح الدين أصحابه بأنك ان ظاهرته على الافرنج اضمحل أمرهم فاستطال عليك نور الدين ولا تقدر على الامتناع منه فترك الشوبك وكر راجعا الى مصر وكتب لنور الدين يعتذر له بأنه بلغه عن بعض سفلة العلويين بمصر أنهم معتزمون على الوثوب فلم يقبل نور الدين عذره فى ذلك واعتزم على عزله عن مصر فاستشار صلاح

الدين أباه وخاله شهاب الدين الحارمي وقرابتهم فأشار عليه تقي الدين عمر بن أخيه بالامتناع والعصيان فنكر عليه نجم الدين أبوه وقال له ليس منا من يقوم بعصيان نور الدين لو حضر أو بعث وأشار عليه بأن يكاتبه بالطاعة وأنه ان عزم على أخذ البلاد منك فسلمها ويصل بنفسه وافترق المجلس فخلا به أبوه وقال مالك توجه بهذا الكلام السبيل للامراء فى استطالتهم عليك ولو فعلتم مافعلتم كنت أول الممتنعين عليه ولكن ملاطفته أولى وكتب صلاح الدين الى نور الدين بما أشار به أبوه من الملاطفة فتركهم نور الدين وأعرض عن قصدهم ثم توفى واشتغل صلاح الدين بملك البلاد ثم جمع نور الدين العساكر وسار لغزو الافرنج بسبب ما أخذوه لاهل البلاد من مراكب التجار ونكثوا فيها العهد مغالطين بأنها تكسرت فلم يقبل مغالطتهم وسار اليهم وبث السرايا فى بلادهم نحو انطاكية وطرابلس وحاصر هو حصن عرقة وخرب ربضه وأرسل عسكرا الى حصن صافيتا وعريمة ففتحهما عنوة وخربهما ثم سار من عرقة الى طرابلس واكتسح كل مامر عليه حتى رجع الافرنج الى الانصاف من أنفسهم وردوا ما أخذوا من المكرمين الاعزين وسألوا تجديد الهدنة فأجابهم بعد أن خربت بلادهم وقتلت رجالهم وغنمت أموالهم ثم اتخذ نور الدين فى هذه السنة الحمام بالشأم تطيرا الى أوكارها من لاتساع بلاده ووصول الاخبار بسرعة فبادر الى القيام بواجبه وأجرى الجرايات على المرتبين لحفظها لتصل الكتب فى أجنحتها ثم أغار الافرنج على حوران من أعمال دمشق وكان نور الدين بمنزل الكسوة فرحل اليهم ورحلوا أمامه الى السواد وتبعهم المسلمون ونالوا منهم ونزل نور الدين على عشيرا وبعث منها سرية الى أعمال طبرية فاكتسحها وسار الافرنج لمدافعتهم فرجعوا عنها واتبعهم الافرنج فعبروا النهر وطمعوا فى استنقاذ غنائمهم فقاتلهم المسلمون دونها أشد قتال الى أن استنقذت وتحاجزوا ورجع الافرنج خائبين والله تعالى ينصر المسلمين على الكافرين بمنه وكرمه

(واقعة ابن ليون ملك الارمن بالروم)

كان مليح بن ليون صاحب دروب حلب أطاع نور الدين محمود بن زنكي وأمره على الجمالة وأقطعه بلاد الشأم وكان يسير فى خدمته ويشهد حروبه مع الافرنج أهل ملته وكان الارمني أيضا يستظهر به على أعدائه وكانت أذنة والمصيصة وطرسوس مجاورة لابن ليون وهي بيد ملك الروم صاحب القسطنطينية فتغلب عليها ابن ليون وملكها وبعث صاحب القسطنطينية منتصف سنة ثمان وستين وخمسمائة جيشا كثيفا مع عظيم من بطارقته فلقيه ابن ليون بعد أن استنجد نور الدين فأنجده بالعساكر وقاتلهم

فهزمهم وبعث بغنائمهم وأسراهم الى نور الدين وقويت شوكة ابن ليون ويئس الروم من تلك البلاد والله تعالى أعلم

(مسير نور الدين الى بلاد الروم)

كان ذو النون بن محمد بن الدانشمند صاحب ملطية وسيواس واخصرى وقيسارية ملكها بعد عمه ياغى ارسلان وأخيه ابراهيم بن محمد فلم يزل قليج ارسلان بن محمد بن قليج ارسلان يخيف بلاده الى أن استولى عليها ولحق ذو النون بنور الدين صريخا وأرسل الى قليج ارسلان بالشفاعة فى رد بلاده فلم يشفعه فسار اليه وملك من بلاده بكسور ومهنسا ومرعش ومرزبان وما بينهما فى ذى القعدة سنة ثمان وستين ثم بعث عسكرا الى سيواس فملكوها ثم أرسل قليج ارسلان الى نور الدين يستعطفه وقد كان يجيز امداده الى قاصية بلاده فأجابه نور الدين الى الصلح على أن ينجده بعسكر الافرنج ويبقى سيواس بيد ذى النون وعسكر نور الدين الذى معه فيها ورجع نور الدين الى بلاده وبقيت سيواس بيد ذى النون حتى مات نور الدين وعاد قليج ارسلان ثم وصل رسول نور الدين من بغداد كمال الدين أبو الفضل محمد بن عبد الله الشهرزورى ومعه منشور من الخليفة المستضىء لنور الدين بالموصل والجزيرة واربل وخلاط والشأم وبلاد الروم وديار مصر والله سبحانه وتعالى أعلم

(مسير صلاح الدين الى الكرك ورجوعه)

ولما كانت الوحشة بين نور الدين وصلاح الدين كما قدمناه واعتزم نور الدين على عزله عن مصر واستعطفه صلاح الدين كان فيما تقرر بينهما أنهما يجتمعان على الكرك وأيهما سبق انتظر صاحبه فسار صلاح الدين من مصر فى شوال سنة ثمان وستين وسبق الى الكرك وحاصره وخرج نور الدين بعد أن بلغه مسير صلاح الدين من مصر وأزاح علل العساكر وانتهى الى الرقيم على مرحلتين من الكرك فخافه صلاح الدين على نفسه وخشى أن يعزله عند لقائه وكان استخلف أباه نجم الدين أيوب على مصر فبلغه أنه طرقه مرض شديد فوجد فيه عذرا لنور الدين وكر راجعا الى مصر وبعث الفقيه عيسى بذلك العذر وان حفظه مصر أهم عليه فلما وصل مصر وجد أباه قد توفى من سقطة سقطها عن مركوبه هزه المرح فرماه وحمل الى بيته وقيذا ومات لايام قريبة آخر ذى الحجة من السنة ورجع نور الدين الى دمشق وكان قد بعث رسوله كمال الدين الشهرزورى القاضى ببلاده وصاحب الوقوف والديوان لطلب التقليد للبلاد التى بيده مثل مصر والشأم والجزيرة والموصل والتى دخلت فى طاعته كديار بكر وخلاط

و بلاد الروم وأن يعاد له ما كان لابيه زنكي من الاقطاع بالعراق وهي صريفين ودرب هرون وأن يسوغ قطعة أرض على شاطئ دجلة بظاهر الموصل يبنى فيها مدرسة للشافعية فأسعف بذلك كله

(وفاة نور الدين محمود وولاية ابنه اسمعيل الصالح)

ثم توفى نور الدين محمود بن الاتابك زنكي حادى عشر شوال سنة تسع وستين وخمسمائة لسبع عشرة سنة من ولايته وكان قد شرع في التجهز لاخذ مصر من صلاح الدين ابن أيوب واستنفر سيف الدين ابن أخيه في العساكر وليغزو الافرنج وكان قد اتسع ملكه وخطب له بالحرمين الشريفين وباليمن لما ملكها سيف الدولة بن أيوب وكان معتنيا بمصالح المسلمين مواظبا على الصلاة والجهاد وكان عارفا بمذهب أبي حنيفة ومتحريا للعدل ومتجافيا عن أخذ المكوس في جميع أعماله وهو الذى حصن قلاع الشأم وبنى الاسوار على مدنها مثل دمشق وحمص وحماة وشيزر وبعلبك وحلب وبنى مدارس كثيرة للحنفية والشافعية وبنى الجامع النورى بالموصل والمارستانات والخانات في الطرق والخوانق للصوفية في البلاد واستكثر من الاوقاف عليها يقال بلغ ريع أوقافه في كل شهر تسعة آلاف دينار صورى وكان يكرم العلماء وأهل الدين ويعظمهم ويتمثل لهم قائما ويؤنسهم في المجالسة ولا يرد لهم قولا وكان متواضعا مهيبا وقورا ولما توفى اجتمع الامراء والمقدمون وأهل الدولة بدمشق وبايعوا ابنه الملك الصالح اسمعيل وهو ابن احدى عشرة سنة وحلفوا له وأطاعه الناس بالشأم وصلاح الدين بمصر وخطب له هنالك وضرب السكة باسمه وقام بكفالته وتدبير دولته الامير شمس الدين محمد بن عبد الملك بن المقدم واشار عليه القاضى كمال الدين الشهرزورى بأن يرجعوا في جميع أمورهم الى صلاح الدين لئلا ينبذ طاعتهم فأعرضوا عن ذلك والله تعالى ولى التوفيق

(استيلاء سيف الدين غازى على بلاد الجزيرة)

قد كنا قدمنا أن نور الدين استولى على بلاد الجزيرة وأقر سيف الدين ابن أخيه قطب الدين على الموصل واحتمل معه فخر الدين عبد المسيح الذى ولى سيف الدين واستبد عليه بأمره وولى على قلعة الموصل سعد الدين كمشتكين ولما استنفرهم نور الدين بين يدى موته سار اليه سيف الدين غازى وكمشتكين الخادم في العساكر وبلغهم في طريقهم خبر وفاته وكان كمشتكين في المقدمة فهرب الى حلب واستولى سيف الدين على مخلفه وسواده وعاد الى نصيبين فملكها وبعث العساكر الى الخابور فاستولى عليها وعلى أقطاعها ثم سار

الى حران وبها قايماز الحرانى مولى نور الدين فحاصرها أياما ثم استنزله على أن يقطعه حران فلما نزل قبض عليه وملكها ثم سار الى الرها وبها خادم لنور الدين فتسلمها وعوضه عنها قلعة الزعفرانى من جزيرة ابن عمر وانتزعها منه بعد ذلك ثم سار الى الرقة وسروج فملكها واستوعب بلاد الجزيرة سوى قلعة جعبر لامتناعها وسوى راس عين كانت لقطب الدين صاحب ماردين وهو ابن خاله وكان شمس الدين على بن الداية بحلب وهو من أكبر أمراء نور الدين ومعه العساكر ولم يقدر على مدافعة سيف الدين فخر الدين عبد المسيح وكان نور الدين تركه قبل موته بسيواس مع ذى النون بن الدانشمند فلما مات نور الدين رجع الى صاحبه سيف الدين غازى وهو الذى كان ملكه فوجده بالجزيرة وقد ملكها فأشار عليه بالعبور الى الشأم وعارضه آخر من أكبر الامراء فى ذلك فرجع سيف الدين الى قوله وعاد الى الموصل وأرشد صلاح الدين الى الملك الصالح وأهل دولته يعاتبهم حيث لم يستدعوه لمدافعة سيف الدين عن الجزيرة ويتهدد ابن المقدم وأهل الدولة على انفرادهم بأمر الملك الصالح دونه وعلى قعودهم عن مدافعة سيف الدين غازى ثم أرسل شمس الدين بن الداية الى الملك الصالح يستدعيه من دمشق الى حلب ليدافع شمس الدين ابن عمه قطب الدين عن الجزيرة فمنعه أمراؤه عن ذلك مخافة أن يستولى عليه ابن الداية والله سبحانه وتعالى أعلم بغيبه

(حصار الافرنج بانياس)

ولما مات نور الدين محمود اجتمع الافرنج وحاصروا قلعة بانياس من أعمال دمشق وجمع شمس الدين بن المقدم العساكر وسار عن دمشق وراسل الافرنج وتهددهم بسيف الدين صاحب الموصل وصلاح الدين صاحب مصر فصالحوه على مال يبعثه اليهم واشترى من الافرنج وأطلعهم وتقررت الهدنة وبلغ ذلك صلاح الدين فنكره واستعظمه وكتب الى الصالح وأهل دولته يقبح مرتكبهم ويعدهم بغزوة الافرنج وقصده انما هو طريقه الى الشأم ليملك البلاد وانما صالح ابن المقدم الافرنج خوفا منه ومن سيف الدين والله تعالى أعلم

(استيلاء صلاح الدين على دمشق)

ولما كان ماذكرناه من استيلاء سيف الدين غازى على بلاد الجزيرة خاف شمس الدين ابن الداية منه على حلب وكان سعد الدين كمشتكين قد هرب من سيف الدين غازى اليه فأرسله الى دمشق ليستدعى الملك الصالح للمدافعة فلما قارب دمشق أنفذ ابن المقدم اليه عسكرا انهبوه وعاد الى حلب ثم رأى ابن المقدم وأهل الدولة بدمشق ان مسير

الصالح الى حلب أصلح فبعثوا الى كمشتكين وبعثوا معه الملك الصالح فلما وصل الى
حلب قبض كمشتكين على ابن الداية واخوته وعلى رئيس حلب ابن الخشاب وعلى
مقدم الاحداث بها واستبد بأمر الصالح وخشى ابن المقدم وأمراؤه بدمشق غائلته
فكاتبوا سيف الدين غازى صاحب الموصل أن يملكوه فأحجم عن المسير اليهم وظنها
مكيدة وبعث بخبرهم الى كمشتكين وصالحه على مال أخذه من البلاد فنكر ارتياب
القوم فى دمشق فكاتبوا صلاح الدين بن أيوب فطار اليهم ونكب عن الافرنج فى طريقه
وقصد بصرى و[illegible] صاحبها ثم سار صلاح الدين الى دمشق فخرج اليه أهل الدولة
يقدمهم شمس الدين محمد بن عبد الملك المقدم وهو الذى كان أبوه سلم سنجار لنور الدين
سنة أربع وأربعين كما مر ودخل صلاح الدين دمشق آخر ربيع سنة سبعين ونزل دار
أبيه المعروفة بدار العقيقى وكان فى القلعة ريحان خديم نور الدين فبعث اليه صلاح
الدين القاضى كمال الدين الشهرزورى بأنه على طاعة الصالح والخطبة له فى بلاده
وانه انما جاء ليرتجع البلاد التى أخذت له فسلم اليه ريحان القلعة واستولى على ما فيها
من الاموال وهو فى ذلك كله يظهر طاعة الملك الصالح ويخطب له وينقش السكة باسمه
انتهى والله أعلم

(استيلاء صلاح الدين على حمص وحماة ثم حصاره حلب ثم ملكه بعلبك)

ولما ملك صلاح الدين دمشق من ايالة الملك الصالح استخلف عليها أخاه سيف الاسلام
طغركين بن أيوب وكانت حمص وحماة وقلعة بعرين وسلمية وتل خالد والرها من بلاد
الجزيرة فى اقطاع فخر الدين مسعود الزعفرانى من أمراء نور الدين ما عدا القلاع منها
ولما مات نور الدين أجفل الزعفرانى عنها لسوء سيرته ولما ملك صلاح الدين دمشق سار
الى حمص فملك البلد وامتنعت القلعة بالوالى الذى بها فجهز عسكرا لحصارها وسار الى
حماة فنازلها منتصف شعبان وبقلعتها الامير خرديك فبعث اليه صلاح الدين بأنه
فى طاعة الملك الصالح وانما جاء لمدافعة الافرنج عنه وارتجاع بلاده بالجزيرة من ابن
عمه سيف الدين غازى صاحب الموصل واستحلفه على ذلك عز الدين ثم بعثه صلاح
الدين الى الملك الصالح بحلب فى الاتفاق واطلاق شمس الدين على وحسن وعثمان بنى
الداية من الاعتقال فسار عز الدين لذلك واستخلف بالقلعة أخاه ولما وصل الى حلب
قبض عليه كمشتكين وحبسه فسلم أخوه قلعة حماة لصلاح الدين وملكها ثم سار صلاح
الدين من وقته الى حلب وحاصرها وركب الملك الصالح وهو صبى مناهز فسار فى البلد
واستعان بالناس وذكر حقوق أبيه فبكى الناس رحمة له واستماتوا دونه وخرجوا
فصادموا عسكر صلاح الدين ودس كمشتكين الى مقدم الاسماعيلية فى الفتك

بصلاح الدين فبعث لذلك فداوية منهم وشعر بذلك بعض أصحاب صلاح الدين وجماعة منهم معه وقتلوا عن آخرهم وأقام صلاح الدين محاصرا لحلب وبعث كمشتكين الى الافرنج يستنجدهم على منازلة بلاد صلاح الدين ليرحل عنهم وكان القمص سنة السنجيلي صاحب طرابلس أسره نور الدين في حارم سنة تسع وخمسين وبقي معتقلا بحلب فأطلقه الآن كمشتكين بمائة وخمسين ألف دينار صورية وألف أسير وكان متغلبا على ابن مرى ملك الافرنج لكونه مجذوما لا يصدر الا عن رأيه فسار بجموع الافرنج الى حمص سابع رجب وصالحهم صلاح الدين من الغد فأجفلوا وحاصر هو القلعة وملكها آخر شعبان واستولى على أكثر الشأم ثم سار الى بعلبك وبها يمن الخادم من موالى نور الدين فحاصرها حتى استأمنوا اليه فملكها منتصف رمضان من السنة وأقطعها شمس الدين محمد بن عبد الملك المقدم بما تولى له من اظهار طاعته بدمشق وتسليمها له والله تعالى أعلم

حروب صلاح الدين مع سيف الدين غازى صاحب الموصل وغلبه اياه واستيلاؤه على بعدوين وغيرها من أعمال الملك الصالح ثم مصالحته على حلب

لما ملك صلاح الدين حمص وحماة وحاصر حلب كاتب الملك الصالح اسمعيل من حلب الى ابن عمه سيف الدين غازى صاحب الموصل يستنجده فجمع عساكره واستنجد أخاه عماد الدين زنكى صاحب سنجار فلم يجبه لما كان بينه وبين صلاح الدين وأنه ولاه سنجار ويطمعه في الملك فبعث سيف الدين غازى بالعساكر لمدافعة صلاح الدين عن الشأم في رمضان سنة سبعين وخمسمائة مع أخيه عز الدين مسعود وأمير جيوش عز الدين القندار وجعل التدبير اليه وسار هو الى سنجار فحاصر بها أخاه عماد الدين وامتنع عليه وبينما هو يحاصره جاءه الخبر بأن صلاح الدين هزم أخاه عز الدين وعساكره فصالح عماد الدين على سنجار وعاد الى الموصل ثم جهز أخاه عز الدين في العساكر ثانية ومعه القندار وساروا الى حلب فانضمت اليهم عساكره وساروا جميعا الى صلاح الدين فأرسل الى عماد الدين بالموصل في الصلح بينه وبين الملك الصالح على أن يرد عليه حمص وحماة ويسوغه الصالح دمشق فأبى الا ارتجاع جميع بلاد الشأم واقتصاره على مصر فسار صلاح الدين الى عساكرهم ولقيها قريبا من حماة فانهزمت وثبت عز الدين قليلا ثم صدق عليه صلاح الدين الحملة فانهزم وغنم سوادهم ومخلفهم واتبع عساكر حلب حتى أخرجهم منها وحاصرها وقطع خطبة الملك الصالح وبعث بالخطبة للسلطان في جميع بلاده ولما طال عليهم الحصار صالحوه على اقراره على جميع ما ملك من الشأم ورحل عن حلب عاشر شوال من السنة وعاد الى حماة ثم سار منها الى بعدوين وكانت لفخر

الدين مسعود بن الزعفراني من أمراء نور الدين وكان قد اتصل بالسلطان صلاح الدين واستخدم له ثم فارقه حيث لم يحصل على غرضه عنده فلحق بقدوين وبها نائب الزعفراني فحاصرها حتى استأمنوا اليه وأقطعها خاله شهاب الدين محمود بن تكش الحارمي وأقطع حمص ناصر الدين بن عمه شيركوه وعاد الى دمشق آخر سنة سبعين وكان سيف الدين غازي صاحب الموصل بعد هزيمة أخيه وعساكره عاد من حصار أخيه بسنجار وكما قلناه الى الموصل فجمع العساكر وفرق الاموال واستنجد صاحب كيفا وصاحب ماردين وسار في ستة آلاف فارس وانتهى الى نصيبين في ربيع سنة احدى وسبعين فأقام الى انسلاخ فصل الشتاء وسار الى حلب فبرز اليه سعد الدين كمشتكين الخادم مدبر الصالح في عساكر حلب وبعث صلاح الدين عن عساكره من مصر وقد كان أذن لهم في الانطلاق فجاؤا اليه وسار من دمشق الى سيف الدين وكمشتكين فلقيهم تل الفعول وانهزموا راجعين الى حلب وترك سيف الدين أخاه عز الدين بها في جمع من العساكر وعبر الفرات الى الموصل يظن أن صلاح الدين في اتباعه وشاور الصالح وزيره جلال الدين ومجاهد الدين قايماز في مفارقة الموصل الى قلعة الجديدة فعارضاه في ذلك ثم عزل القندار عن امارة الجيوش لانه كان جر الهزيمة برأيه ومفارقته وولى مكانه مجاهد الدين قايماز ولما انهزمت العساكر أمام صلاح الدين وغنم مخلفها سار الى مراغة وملكها وولى عليها ثم سار الى منبج وبها صاحبها قطب الدين ينال بن حسان المنبجي وكان شديد العداوة لصلاح الدين فملك المدينة وحاصره بالقلعة وضيق مخنقه ثم نقب أسوارها وملكها عليه عنوة وأسره ثم أطلقه سليبا فلحق بالموصل وأقطعه سيف الدين الرقة ولما فرغ صلاح الدين من منبج سار الى قلعة عزاز وهي في غاية المنعة فحاصرها أربعين يوما حتى استأمنوا اليه فتسلمها في الاضحى ثم رحل الى حلب فحاصرها وبها الملك الصالح واشتد أهلها في قتاله فعدل الى المطاولة ثم سعى بينهما في الصلح وعلى أن يدخل فيه سيف الدين صاحب الموصل وصاحب كيفا وصاحب ماردين فاستقر الامر على ذلك وخرجت أخت الملك الصالح الى صلاح الدين فأكرمها وأفاض عليها العطاء وطلبت منه قلعة عزاز فأعطاها اياها ورحل الى بلاد الاسماعيلية والله سبحانه وتعالى أعلم

* (عصيان صاحب شهرزور على سيف الدين صاحب الموصل ورجوعه) *

كان مجاهد الدين قايماز متولي مدينة اربل وكان بينه وبين شهاب الدين محمد بن بدران صاحب شهرزور عداوة فلما ولي سيف الدين مجاهد الدين قايماز نيابة الموصل خاف شهاب الدين غائلته عن تعاهد الخدمة بالموصل وأظهر الامتناع وذلك سنة ثنتين

وسبعين لخاطبه جلال الدين الوزير في ذلك مخاطبة بليغة وحذره ورغبه فعاود الطاعة وبادر الى الحضور بالموصل والله تعالى ينصر من يشاء من عباده

(نكبة كمشتكين الخادم ومقتله)

كان سعد الدين كمشتكين الخادم قائما بدولة الملك الصالح في حلب وكان يناهضه فيها أبو صالح العجمي فقدم عند نور الدين وعند ابن الملك الصالح ونجا وزمر اتب الوزير فعدا عليه بعض الباطنية فقتله وخلا الجو لكمشتكين وانفرد بالاستبداد على الصالح وكثرت السعاية فيه بحجر السلطان والاستبداد عليه وأنه قتل وزيره فقبض عليه وامتحنه وكان قد أقطعه قلعة حارم فامتنع بها أصحابه وأرادهم الصالح على تسليمها فامتنعوا وهلك كمشتكين في المحنة وطمع فيها وساروا اليها وحاصروها وصانعهم الصالح بالمال فرجعوا عنها وبعث هو عساكره اليها وقد جهدهم الحصار فسلموها له وولى عليها والله تعالى أعلم

(وفاة الصالح اسمعيل واستيلاء ابن عمه عز الدين مسعود على حلب)

ثم توفي الملك الصالح اسمعيل بن نور الدين محمود صاحب حلب في منتصف سنة سبع وسبعين لثمان سنين من ولايته وعهد بملكه لابن عمه عز الدين مسعود صاحب الموصل واستحلف أهل دولته على ذلك بعضهم بعماد الدين صاحب سنجار أخي عز الدين الاكبر لمكان صهره على أخت الصالح وأن أباه نور الدين كان يميل اليه فأبى وقال عز الدين أنا أقدر على مدافعة صلاح الدين عن حلب فلما قضى نحبه أرسل الامراء بحلب الى عز الدين مسعود يستدعونه هو ومجاهد الدين قايماز الى الفرات ولقي هنالك أمراء حلب وجاؤا معه فدخلها آخر شعبان من السنة وصلاح الدين يومئذ بمصر بعيد عنهم وتقي الدين عمر بن أخيه في منبج فلما أحس بهم فارقها الى حماة وثار به أهل حماة ونادوا بشعار عز الدين وأشار أهل حلب عليه بقصد دمشق و بلاد الشأم وأطمعوه فيها فأبى من أجل العهد الذي بينه وبين صلاح الدين ثم أقام بحلب شهورا وسار عنها الى الرقة والله تعالى أعلم

(استيلاء عماد الدين على حلب ونزوله عن سنجار لاخيه عز الدين)

ولما انتهى عز الدين الى الرقة منقلبا من حلب وافقه هنالك رسل أخيه عماد الدين صاحب سنجار يطلب منه أن يملكه مدينة سنجار و ينزل هو له عن حلب فلم يجبه الى ذلك فبعث عماد الدين اليه بأنه يسلم سنجار الى صلاح الدين فحمل الامراء حينئذ على

معاوضته على سنجار وتحميهم له ولم يكن لعز الدين مخالفة لتمكنه في الدولة وكثرة بلاده وعساكره فأخذ سنجار من أخيه عماد الدين وأعطاه حلب وسار اليها عماد الدين وملكها وسهل أمره على صلاح الدين بعد ان كان متخوفا من عز الدين على دمشق والله سبحانه وتعالى أعلم

مسير صلاح الدين الى بلاد الجزيرة وحصاره الموصل واستيلاؤه على كثير من بلادها ثم على سنجار

كان عز الدين صاحب الموصل قد أقطع مظفر الدين كوكبرى زين الدين كجك مدينة حران وقلعتها ولما سار صلاح الدين لحصار البيرة جنح اليه مظفر الدين ووعده النصر واستحثه للقدوم على الجزيرة فسار الى الفرات موريا بقصد وعبر اليه مظفر الدين فلقيه وجاء معه الى البيرة وهي قلعة منيعة على الفرات من عدوة الجزيرة وكان صاحبها من بني ارتق أهل ماردين قد أطاع صلاح الدين فعبر من جسرها وعز الدين صاحب الموصل يومئذ قد سار ومعه مجاهد الدين الى نصيبين لمدافعة صلاح الدين عن حلب فلما بلغهما عبوره الفرات عادا الى الموصل وبعثا حامية الى الرها وكاتب صلاح الدين ملوك النواحي بالنجدة والوعد على ذلك وكان تقدم العهد بينه وبين نور الدين محمد بن قرى ارسلان صاحب كيفا على أن صلاح الدين يفتح آمد ويسلمها اليه فلما كاتبهم الآن كان صاحب كيفا أول مجيب وسار صلاح الدين الى الرها فحاصرها في جمادى سنة ثمان وسبعين وبها يومئذ فخر الدين مسعود الزعفراني فلما اشتد به الحصار استأمن الى صلاح الدين وحاصر معه القلعة حتى سلمها نائبها على مال أخذه وأقطعها صلاح الدين مظفر الدين كوكبرى صاحب حران وسار عنها الى الرقة وبها نائبها قطب الدين ينال بن حسان المنبجي فاجفل عنها الى الموصل وملكها صلاح الدين وسار الى الخابور وهو قرقيسيا وماكسين وعرمان فاستولى على جميعها وسار الى نصيبين فملكها لوقتها وحاصر القلعة اياما وملكها وأقطعها أبا الهيجاء السمين من أكبر أمرائه وسار عنها وملكها ومعه صاحب كيفا وجاءه الخبر بأن الافرنج أغاروا على أعمال دمشق ووصلوا داريا فلم يحفل بخبرهم واستمر على شأنه وأغراه مظفر الدين كوكبرى وناصر الدين محمد بن شيركوه بالموصل ورجحا قصدها على سنجار وجزيرة ابن عمر كما أشار عليهما فسار صلاح الدين وصاحبها عز الدين ونائبه مجاهد الدين وقد جمعوا العساكر وأفاضوا العطاء وشحنوا البلاد التي بأيديهم كالجزيرة وسنجار والموصل واربل وسار صلاح الدين حتى قاربها وسار هو ومظفر الدين وابن شيركوه في أعيان دولته الى السور فرآه مخايل الامتناع وقال لمظفر الدين ولناصر الدين

ابن عمه قد أغرى عانى ثم صبح البلد وناشبه وركب أصحابه فى المقاعد للقتال ونصب منجنيقا فلم يغن ونصب اليه من البلد تسعة ثم خرج اليه جماعة من البلد وأخذوه وكانوا يخرجون ليلا من البلد بالمشاعل يوهمون الحركة فخشى صلاح الدين من البيات وتأخر عن القصد وكان صدر الدين شيخ الشيوخ قد وصل من قبل الخليفة الناصر مع بشير الخادم من خواصه فى الصلح بين الفريقين على اعادة صلاح الدين بلاد الجزيرة فأجاب على اعادة الآخر بن حلب فامتنعوا ثم رجع عن شرط حلب الى ترك مظاهرة صاحبها فاعتذروا عن ذلك ووصلت رسل صاحب اذربيجان قزل ارسلان وأرسل صاحب خلاط شاه رمن فلم ينتظم بينهما أمر ورحل صلاح الدين عن الموصل الى سنجار فحاصرها وبها أمير أميران وأخوه عز الدين صاحب الموصل فى عسكر ولقبه شرف الدين وجاءها المدد من الموصل فحال بينهم وبينها وداخله بعض أمراء الاكراد من الدوادية من داخلها فكبسها صلاح الدين من ناحيته واستأمن شرف الدين لوقته فأمنه صلاح الدين ولحق بالموصل وملك صلاح الدين سنجار وصارت سياجا على جميع ما ملكه بالجزيرة وولى عليها سعد الدين ابن معين الدين انز الذى كان متغلبا بدمشق على آخر طغركين وعاد فى نصيبين وشكا اليه أهلها من أبى الهيجاء السمين فعزله وسار الى حران بلد مظفر الدين كوكبرى فوصلها فى القلعة من سنة سبع وثمانين فأراح بها وأذن لعساكره فى الانطلاق وكان عز الدين قد بعث الى شاه رمن صاحب خلاط يستنجده وأرسل شاه رمن الى صلاح الدين بالشفاعة فى ذلك رسلا عديدة آخرهم مولاه سكرجاه وهو على سنجار فلم يشفعه أخاه من ذلك وفارقه مغاضبا وسار شاه رمن الى قطب الدين صاحب ماردين وهو ابن أخته وابن خال عز الدين وصهره على بنته فاستنجده وسار معه وجاءهم عز الدين من الموصل فى عساكره واعتزموا على قصد صلاح الدين وبلغه الخبر وهو مريح بحران فبعث عن تقى الدين ابن أخيه صاحب حمص وحماة وارتحل للقائهم ونزل رأس عين فخاموا عن لقائه ولحق كل ببلده وسار صلاح الدين الى ماردين فأقام عليها اياما ورجع والله تعالى أعلم

(استيلاء صلاح الدين على حلب وأعمالها)

ولما ارتحل صلاح الدين عن ماردين قصد آمد فحاصرها سنة تسع وسبعين وملكها وسلمها لنور الدين محمد بن قرا ارسلان كما كان العهد بينهما وقد أشرنا اليه ثم سار الى الشأم فحاصر تل خالد من أعمال حلب حتى استأمنوا اليه وملكها فى محرم سنة تسع وسبعين وسار منها الى عتاب وبها ناصر الدين محمد أخو الشيخ اسمعيل خازن نور الدين محمود

وصاحبه ولاه عليها نور الدين فلم يزل بها فاستأمن الى صلاح الدين على أن يقره على الحصن و يكون في خدمته فأقره وأطاعه ورحل صلاح الدين الى حلب و بها عماد الدين زنكي بن مودود ونزل عليها بالميدان الاخضر اياما ثم انتقل الى جبل جوشن أياما أخرى وأظهر أنه أبى عليها وعجز عماد الدين عن عطاء الجند فراسل صلاح الدين أن يعوضه عنها سنجار ونصيبين والخابور والرقة وسروج فأجاب الى ذلك وأعطاه عنها تلك البلاد وملكها وكان في شرط صلاح الدين عليه انه يبادر الى الخدمة متى دعاه اليها وسار عماد الدين الى بلاده تلك ودخل صلاح الدين حلب في آخر سنة تسع وسبعين ومات عليها أخوه الاصغر تاج الملوك بورى بضربة في ركبته تصدعت لها ومات بعد فتح حلب ثم ارتحل صلاح الدين الى قلعة حارم و بها رجل من موالى نور الدين ولاه عليها عماد الدين فلما سلم حلب لصلاح الدين امتنع مرجل في قلعة حارم فحاصره صلاح الدين وترددت الرسل بينهما وقد دس الى الافرنج ودعاهم وخشى الجند الذين معه أن يسلمها اليهم فحبسوه واستأمنوا الى صلاح الدين فملكها وولى عليها بعض خواصه وعلى تل خالد الاميردا روم الياروقى صاحب تل باشر وأقطع قلعة عزاز الاميرسليمان بن جندر فعمرها بعد ان كان عماد الدين خربها وأقطع صلاح الدين أعمال حلب لامرائه وعساكره والله تعالى أعلم

(نكبة مجاهد الدين قايماز)

كان مجاهد الدين قايماز قائما بدولة الموصل ومتحكما فيها كما قلناه وكان عز الدين محمود الملقب زلقندار صاحب الجيش وشرف الدين أحمد بن أبي الخير الذي كان صاحب العراق كان من أكابر الامراء عند السلطان عز الدين مسعود صاحب الموصل وكانا يغريانه بمجاهد الدين و يكثران السعاية عنده فيه حتى اعتزم على نكبته ولم يقدر على ذلك في مجلسه لاستبداد مجاهد الدين وقوة شوكته فانقطع في بيته لعارض مرض وكان مجاهد الدين خصيا لا يحتجب منه النساء فدخل عليه يعوده فقبض عليه وركب الى القلعة فاحتوى على أمواله وذخائره وولى بها زلقندار نائبا وجعل ابن صاحب العراق أميرا حاجبا وحكمهما في دولته وكان في يد مجاهد الدين اربل وأعمالها فيها زين الدين يوسف بن زين الدين على كجك صبيا صغيرا تحت استبداده و بيده أيضا جزيرة ابن عمر لمعز الدين سنجرشاه بن سيف الدين غازى وهو صبي تحت استبداده و بيده أيضا شهرزور وأعمالها ودقوقا وقلعة عقر الحميدية ونوابه في جميعها ولم يكن لعز الدين مسعود بعد استيلاء صلاح الدين على الجزيرة سوى الموصل وقلعتها لمجاهد الدين وهو الملك في الحقيقة فلما قبض عز الدين عليه امتنع صاحب اربل واستبد

بنفسه وكان صاحب جزيرة ابن عمر وبعث بطاعته الى صلاح الدين وبعث الخليفة الناصر شيخ الشيوخ وبشير الخادم بالصلح بين عز الدين وصلاح الدين على أن تكون الجزيرة واربل من أعماله وامتنع عز الدين وقال هما من أعمالى وطمع صلاح الدين فى الموصل فتنكر عز الدين لزلقندار ولابن صاحب العراق لما جلاه عليه من الفساد لنكبة مجاهد الدين فبدأ أولا بعزل صاحب اذربيجان فقال له أنا أكفيكه وجهز له عسكرا نحو ثلاثة آلاف فارس وساروا نحو اربل فاكتسحوا البلد وخربوها وسار اليهم زين الدين يوسف باربل فوجدهم مفترقين فى النهب فهزمهم وما كان معهم وعاد مظفرا ولحق العجم ببلادهم وعاد مجاهد الدين الى الموصل والله سبحانه وتعالى ولى التوفيق

(حصار صلاح الدين الموصل وصلحه مع عز الدين صاحبها)

ثم سار صلاح الدين من دمشق فى ذى القعدة سنة احدى وثمانين فلما انتهى الى حران قبض على صاحبها مظفر الدين كوكبرى لانه كان لذلك وعده بخمسين ألف دينار حتى اذا وصل لم يف له بها فقبض عليه لانحراف أهل الجزيرة عنه فأطلقه ورد عليه عمله بحران والرها وسار عن حران وجاء معه عساكر كيفا ودارى وعساكر جزيرة ابن عمر مع صاحبها معز الدين سنجر شاه ابن أخى عز الدين صاحب الموصل وقد كان استبد بأمره وفارق طاعة عمه بعد نكبة مجاهد الدين كما قلناه فساروا مع صلاح الدين الى الموصل ولما انتهوا الى مدينة بلد وفدت عليه أم عز الدين وابن عمه نور الدين محمود وجماعة من أعيان الدولة ظنا بانه لا يردهم وأشار عليه الفقيه عيسى وعلى بن أحمد المشطوب بردهم ورحل الى الموصل فقاتلها وامتنعت عليه وندم على رد الوفد وجاءه كتاب القاضى الفاضل بالائمة ثم قدم عليه زين الدين يوسف صاحب اربل فأنزله مع أخيه مظفر الدين كوكبرى وغيره من الامراء ثم بعث الامير على بن أحمد المشطوب الى قلعة الجزيرة من بلاد الهكارية فاجتمع عليه الاكراد الهكارية وأقام يحاصرها وكاتب نائب القلعة زلقندار ونمى خبر مكاتبته الى عز الدين فمنعه واطرحه من المشورة وعدل الى مجاهد الدين قايماز وكان يقتدى برأيه فضبط الامور وأصلحها ثم بلغه فى آخر ربيع من سنة ثنتين وثمانين وقد ضجر من حصار الموصل ان شاه رمن صاحب خلاط توفى تاسع ربيع واستولى عليها مولاه بكتمر فرحل عن الموصل وملك ميافارقين كما يأتى فى أخبار دولته ولما فرغ منها عاد الى الموصل ومر بنصيبين ونزل الموصل فى رمضان سنة ثنتين وثمانين وترددت الرسل بينهما فى الصلح على أن يسلم اليه عز الدين شهرزور وأعمالها وولاية القرابلى وما وراء الزاب ويخطب له على منابرها وينقش اسمه على

سكته ومرض صلاح الدين اثناء ذلك ووصل الى حران ولحقته الرسل بالاجابة الى الصلح وتحالفا عليه وبعث من يسلم البلاد وأقام مريضا بحران وعنده أخوه العادل وناصر الدولة ابن عمه شيركوه وامنت بلاد الموصل ثم حدثت بعد ذلك فتنة بين التركمان والاكراد بالجزيرة والموصل وديار بكر وخلاط والشأم وشهرزور واذربيجان وقتل فيها مالا يحصى من الامم واتصلت أعواما وسببها أن عروسا من التركمان أهديت الى زوجها ومرّوا بقلعة الزوزان والاكراد وطلبوا منهم الوليمة على عادة الفتيان فأغلظوا في الرد فقتل صاحب القلعة الزوج وثار التركمان بجماعة من الاكراد فقتلوهم ثم أصلح مجاهد الدين بينهم وأفاض فيهم العطاء فعادوا الى الوفاق وذهبت بينهم الفتنة والله تعالى أعلم

(وفاة نور الدين يوسف صاحب اربل وولاية أخيه مظفر الدين اقتري)

كان زين الدين يوسف بن على بكتك قد صار في طاعة صلاح الدين كما ذكرناه قبل واربل من أعماله ووقع الصلح على ذلك بينه وبين عز الدين صاحب الموصل سنة ست وثمانين العسكر معه فمات عنده أخريات رمضان من السنة واستولى أخوه على موجوده وقبض على جماعة من أمرائه مثل بلداجي صاحب قلعة خفتيدكان وغيره وطلب من صلاح الدين أن يقطعه اربل مكان أخيه وينزل عن حران والرها فأقطعه اربل وأضاف اليها شهرزور وأعمالها ودقوقا وبني قفجاق وراسل أهل اربل مجاهد الدين قايماز واستدعوه ليملكوه وهو بالموصل فلم يتطاول لذلك خوفا من صلاح الدين ولان عز الدين لما كان ولاه نيابته بعد ان أطلقه من الاعتقال لم يمكنه كما كان أول مرة وجعل معه رديفا في الحكم كان من بعض غلمانه فكان أسفا لذلك فلما راسله أهل اربل قال والله لا أفعل لئلا يحكم معي فيها فلان وسار مظفر الدين اليها وملكها

(حصار عز الدين صاحب الموصل جزيرة ابن عمر)

كان سنجر شاه بن سيف الدين غازي بن مودود قد ملك جزيرة ابن عمر بوصية أبيه وخرج عن طاعة عمه عز الدين عند نكبة مجاهد الدين كما قلناه وصار عينا على عمه يكاتب صلاح الدين بأخباره ويغريه به ويسعى في القطيعة بينهما ثم حاصر صلاح الدين قلعة عكا سنة ست وثمانين واستنفر لها أصحاب الاطراف المتشبثين بدعوته مثل عز الدين صاحب الموصل وأخيه عماد الدين صاحب سنجار ونصيبين وسنجار شاه هذا ابن عمه وصاحب كيفا وغيرهم واجتمعوا عنده على عكا وجاء بجماعة من جزيرة ابن عمر يتظلمون من سنجر شاه فخاف واستأذن في الانطلاق فاعتذر صلاح الدين بأن في ذلك افتراق

عنده العساكر فألح عليه في ذلك وغدا عليه يوم الفطر مسلما فوعده وانصرف وكان تقي الدين عمر بن شاه أخي صلاح الدين مقبلا من حماة في عسكر فأرسل اليه صلاح الدين باعتراضه وردّه طوعا أو كرها فلقيه بقلعة فيك ورده كرها وكتب صلاح الدين الى عز الدين صاحب الموصل بحصار جزيرة ابن عمر بظنها مكيدة فتلقاها بالمراجعة وطلب اقطاع الجزيرة فأسعفه وسار اليها وحاصرها أربعة أشهر فامتنعت عليه ثم صالحه على نصف أعماله ورجع الموصل والله تعالى أعلم

(مسير عز الدين صاحب الموصل الى بلاد العادل بالجزيرة ورجوعه عنها)

كان صلاح الدين قد ملك من بلاد الجزيرة حران والرها وسميساط وميافارقين وكانت بيد ابن أخيه تقي الدين عمر بن شاه ثم توفي تقي الدين فأقطعها أخاه العادل أبا بكر بن أيوب ثم توفي صلاح الدين سنة تسع وثمانين فطمع عز الدين صاحب الموصل في ارتجاعها واستشار أصحابه فأشار عليه بعضهم بمعاجلتها وأن تستنفر أصحاب الاطراف لها مثل صاحب اربل وصاحب جزيرة ابن عمر وصاحب سنجار ونصيبين ومن امتنع يعاجله حربا ويعاجل البلد قبل أن يستعد أهله للمدافعة وأشار مجاهد الدين قايماز بمشاورة هؤلاء الملوك والعمل باشارتهم فقبل من مجاهد الدين وكاتبهم فأشاروا بانتظار أولاد صلاح الدين وأن البلد في طاعته وأنه القائم بدولته وأنه بلغه أن صاحب ماردين تعرض لبعض بلاده فجهز جيشا كثيفا لقصد ماردين فوجموا الكآبة وتركوا الحركة ثم بلغهم أنه بظاهر حران في خف من العسكر فتجهز للحركة عليه ولما وقع الاتفاق مع صاحب سنجار جاءت عساكر الشام الى العادل من الافضل فامتنع وسار عز الدين في عساكره من الموصل الى نصيبين واجتمع بأخيه عماد الدين وساروا الى الرها وقد عسكر العادل قريبا منهم بمرج الريحان وشافههم فأقاموا أياما كذلك ثم طرق عز الدين المرض فترك العساكر مع أخيه عماد الدين وسار الى الموصل والله تعالى أعلم

(وفاة عز الدين صاحب الموصل وولاية ابنه نور الدين)

ولما رجع عز الدين الى الموصل أقام بها مدة شهرين واشتد مرضه فتوفي آخر شعبان سنة تسع وثمانين وولي ابنه نور الدين ارسلان شاه بن عز الدين مسعود بن مودود بن الاتابك زنكي وقام بتدبير دولته مجاهد الدين قايماز مدبر دولة أبيه والله سبحانه وتعالى أعلم

(وفاة عماد الدين صاحب سنجار وولاية ابنه قطب الدين)

ثم توفي عماد الدين زنكي بن مودود بن الاتابك زنكي صاحب سنجار والخابور ونصيبين والرقة وسروج وهي التي عوضه صلاح الدين عن حلب لما أخذها منه توفي في محرم سنة أربع وتسعين وملك بعده ابنه قطب الدين وتولى تدبير دولته مجاهد الدين برتقش مولى أبيه وكان ديناخيرا عادلا متواضعا محبا لاهل العلم والدين معظما لهم وكان متعصبا على الشافعية حتى انه بنى مدرسة للحنفية بسنجار وكان حسن السيرة والله تعالى أعلم

(استيلاء نور الدين صاحب الموصل على نصيبين)

كان عماد الدين صاحب سنجار ونصيبين قد امتدت أيدي نوابه بنصيبين الى قرى من أعمال الموصل تجاورهم وبعث اليه في ذلك مجاهد الدين قايماز صاحب دولة الموصل يشكو اليه نوابه سرا من سلطانه نور الدين فلج عماد الدين في ادعاء انها من أعماله واساء الرد فأعاد نور الدين الرسالة اليه مع بعض مشايخ دولته وقد طرقه المرض فأجاب مثل الاول فنصح الرسول وكان من بقية الاتابك زنكي وعاد الى فأغلظ له في القول واعتزم نور الدين على المسير الى نصيبين ووصل الخبر اثر ذلك بوفاة عماد الدين وولاية ابنه قطب الدين فقوى طمع نور الدين في نصيبين وتجهز لها في جمادى سنة أربع وتسعين وسار قطب الدين بن سنجر في عسكره فسبقه نور الدين الى نصيبين فلما وصل لقيه فهزمه نور الدين ودخل الى قلعة نصيبين مهزوما ثم أسرى منها الى حران ومعه نائبه مجاهد الدين برتقش وكاتبوا العادل أبا بكر بن أيوب يستحثونه من دمشق وأقام نور الدين بنصيبين حتى وصل العادل الى الجزيرة ففارقها الى الموصل في رمضان من السنة وعاد قطب الدين اليها وكان الموتان قد وقع في عسكر نور الدين فمات كثير من أمراء الموصل ومات مجاهد الدين قايماز القائم بالدولة ولما عاد نور الدين الى الموصل وعاد قطب الدين الى نصيبين سار العادل الى ماردين فحاصرها اياما وضيق عليها ثم انصرف والله تعالى أعلم

{هزيمة الكامل بن العادل على ماردين أمام نور الدين صاحب الموصل وبني عمه ملوك الجزيرة}

لما رحل العادل عن ماردين كما قدمناه جهز العساكر عليها للحصار مع ابنه الكامل وعظم ذلك على ملوك الجزيرة وديار بكر وخافوا ان ملكها يغلبهم على أمرهم ولم يكن سار من سار معه منهم عند اشتغاله بحرب نور الدين الا تقية لكثرة عساكره فلما رجع الى دمشق وبقي الكامل على ماردين استهانوا بأمره وطمعوا في مدافعته وأغراهم بذلك

الظاهر والافضل ابنا صلاح الدين لمنعتهم مع عمهم العادل فتجهز نور الدين ارسلان شاه صاحب الموصل وسار أول شعبان سنة خمس وتسعين وانتهى الى نصيبين فأقام بها ولحق به ابن عمه قطب الدين محمد بن زنكي صاحب سنجار وابن عمه الآخر سنجرشاه ابن غازى صاحب جزيرة ابن عمر حتى اذا انقضى عيد الفطر ارتحلوا وتقدموا الى مزاحمة الكامل على ماردين وكان أهل ماردين خلال ذلك قد ضاق مخنقهم وجهدهم الحصار وبعث النظام المستولى على دولة صاحبها الى الكامل يراوده فى الصلح وتسليم القلعة له الى أجل سماه على أن يبيح لهم ما يقوتهم من الميرة فأسعفهم بذلك وبيناهم فى ذلك جاءهم خبر العساكر فامتنعوا وزحف الكامل مهزوما الى معسكره بالربض فخرج أهل القلعة اليهم وقاتلوهم الى المساء ثم أجفل الكامل من ليلته منتصف شوال وعاد الى بلاده ونهبت أهل القلعة مخلفه وخرج صاحب ماردين وهو يولوا ارسلان ابن أبى الغازى فلقى نور الدين وشكره وعاد الى حصنه ورجع نور الدين وأصحابه الى تسستر ثم سار منها الى رأس عين فقدم عليها هنالك رسول الظاهر بن صلاح الدين من حلب يطلب له منه السكة والخطبة فوجم لذلك وثنى عزمه عن مظاهرتهم ثم طرقه المرض فبعث اليهم بالعذر وعاد الى الموصل فى ذى الحجة آخر السنة والله تعالى أعلم

(مسير نور الدين صاحب الموصل الى بلاد العادل بالجزيرة)

ثم ان الملك العادل ملك مصر سنة ست وتسعين من يد الافضل ابن أخيه فخشيه الظاهر صاحب حلب وصاحب ماردين وراسلوا نور الدين صاحب الموصل فى الاتفاق وأن يسير الى بلاد العادل بالجزيرة حران والرها والرقة وسنجار فسار نور الدين لملكها فى شعبان سنة سبع وتسعين وسار معه ابن عمه قطب الدين صاحب سنجار وحسام الدين صاحب ماردين وانتهوا الى رأس عين وكان بحران الفائز بن العادل فى عسكر فأرسل الى نور الدين فى الصلح فبادر الى الاجابة لما وقع فى عسكره من الموتان واستحلفهم وحلف لهم وبعثوا الى العادل فحلف وعاد نور الدين الى الموصل فى ذى القعدة من السنة والله تعالى أعلم

(هزيمة نور الدين صاحب الموصل أمام عسكر العادل)

لم يزل الملك العادل يراسل قطب الدين صاحب سنجار ويستميله الى أن خطب له فى أعماله سنة ستمائة فسار نور الدين صاحب الموصل الى نصيبين من أعمال قطب الدين فحاصرها وملك المدينة وأقام يحاصر القلعة فبيناهو قد قارب فتحها بلغه الخبر من نائبه بالموصل بأن مظفر الدين كوكبرى صاحب اربل من أعمال الموصل

فرحل عن نصيبين معتزما على قصد اربل فلم يجد كل الخبر صحيحا فسار الى تل اعفر من أعمال سنجار فحصرها وملكها وكان الاشرف موسى بن العادل قد سار من حران الى رأس عين نجدة لصاحب سنجار وقد اتفق معه على ذلك مظفر الدين صاحب اربل وصاحب كيفا وآمد وصاحب جزيرة ابن عمر وتراسلوا وتواعدوا الاجتماع فلما ارتحل نور الدين عن نصيبين اجتمعوا عليها وجاءهم أخو الاشرف نجم الدين صاحب ميافارقين وساروا الى البقعا من تل اعفر الى كفرزمار وقصده المطاولة حتى جاءه بعض عيونه فقللهم في عينه وأطمعه فيهم وكان من مواليه فوثق بقوله ورحل الى نوشرى قريبا منهم وتراءى الجمعان فالتقوا وانهزم نور الدين ونجا في فل قليل ونزلت العساكر كفرزمار ونهبوا مدينة قيد وما اليها أياما. واهنالك وترددت الرسل في الصلح على أن يعيد نور الدين تل اعفر لقطب الدين صاحب سنجار فأعادها واصطلحوا سنة احدى وستمائة ورجع كل الى بلده والله تعالى ولي التوفيق

(مقتل سنجرشاه صاحب جزيرة ابن عمر وولاية ابنه محمود بعده)

كان سنجرشاه بن غازي بن مودود ابن الاتابك زنكي صاحب جزيرة ابن عمر وأعمالها أوصى له بها أبوه عند وفاته كما مر وكان سيء السيرة غشوما ظلوما مرهف الحد على رعيته وجنده وحرمه وولده كثير القهر لهم والانتقام منهم فاقد الشفقة على بنيه حتى غرب ابنيه محمودا ومودودا الى قلعة فرح من بلاد الزوزان لتوهم توهمه فيهما وأخرج ابنه غازي الى دار بالمدينة ووكل به فساءت حاله وكانت الدار كثيرة الخشاش فقبض من ساله وتناول حية وبعثها الى أبيه فلم يعطف عليه فتسلل من الدار واستخفى في المدينة وبعث الى نور الدين صاحب الموصل من أوهمه بوصوله اليه فبعث اليه بنفقة وردة خوفا من أبيه وترك أبوه طلبه لما شاع انه بالشام فلم يزل غازي يعمل الحيلة حتى دخل دار أبيه واختفى عند بعض حظاياه وطرق عليه الخلاء في بعض الليالي وهو سكران فطعنه أربع عشرة طعنة ثم ذبحه وأقام مع الحرم وعلم أستاذ الدولة من خارج بالخبر فأحضر أعيان الدولة وأغلق أبواب القصر وبايع الناس لمحمود بن سنجرشاه واستدعاه وأخاه مودودا من قلعة فرح ثم دخلوا الى غازي وقتلوه ووصل محمود فملكوه ولقبوه معز الدين لقب أبيه وعمد الى الجواري التي واطأت على قتل أبيه فغرقهن في الدجلة والله تعالى أعلم

(استيلاء العادل على الخابور ونصيبين من أعمال صاحب سنجار وحصاره اياه)

كان بين قطب الدين محمود بن زنكي بن مودود وبين ابن عمه نور الدين ارسلان شاه

ابن مسعود بن مودود صاحب الموصل عداوة مستحكمة قد مر كثير من أخبارها ولما كانت سنة خمس وستمائة أصهر العادل بن أيوب صاحب مصر والشأم الى نور الدين فى ابنته فزوجها نور الدين من ابنه واستكثر به وطمع الى الاستيلاء على جزيرة ابن عمر فأغرى العادل بأن يظاهره على ولاية ابن عمه قطب الدين سنجر وتكون ولاية قطب الدين وهى سنجار ونصيبين والخابور للعادل وتكون ولاية غازى بن سنجر شاه لنور الدين صاحب الموصل فأجاب الى ذلك العادل وأطمع نور الدين فى أنه يقطع ولاية قطب الدين اذا ملكها لابنه الذى هو صهره على ابنته وتحالفا على ذلك وسار العادل سنة ست وستمائة من دمشق الى الخابور وراجع نور الدين رأيه فاذا هو قد تورط وانه يملك البلاد كما يحب دونه اى وفى له وسار نور الدين الى الجزيرة فرجعا حال بنو العادل بينه وبين الموصل وان النقض نور الدين عليه سار اليه فاضطرب فى أمره وملك العادل الخابور ونصيبين واعتزم قطب الدين على أن يعتاض منه عن سنجار ببعض البلاد فنعه من ذلك أحمد بن برتقش مولى أبيه وجهز نور الدين عسكرا مع ابنه القاهر مددا للعادل كما اتفقا عليه وفى خلال ذلك بعث قطب الدين سنجر ابنه الى مظفر الدين صاحب اربل يستنجده فأرسل الى العادل شافعا فى أمره فلم يشفعه لمظاهرة نور الدين اياه فغضب مظفر الدين وأرسل الى نور الدين فى المساعدة على دفاع العدو فأجاب نور الدين الى ذلك ورجع عن مظاهرة العادل وأرسل هو ومظفر الدين الى الظاهر بن صلاح الدين صاحب حلب والى كيخسرو بن قليج ارسلان صاحب الروم يستنجدانهما فأجاباهما وتداعوا الى قصد بلاد العادل ان لم يرحل عن سنجار وبعث الخليفة الناصر أستاذ الدار أبا نصر هبة الله بن المبارك بن الضحاك والامير اقباش من خواص مواليه فى الافراج عن سنجار وتخاذل أصحابه عن مضايقة سنجار معه وسيما أسد الدين شيركوه صاحب حمص والرحبة فانه جاهر بخلافه فى ذلك فاجاب العادل فى الصلح على ان تكون نصيبين والخابور الاذان ملكهما له وتبقى سنجار لقطب الدين وتحالفوا على ذلك ورجع العادل الى حران ومظفر الدين الى اربل والله تعالى أعلم

(وفاة نور الدين صاحب الموصل وولاية ابنه القاهر)

ثم توفى نور الدين ارسلان شاه بن مسعود بن مودود بن الاتابك زنكى منتصف سنة سبع وستمائة لثمان عشرة سنة من ولايته وكان شهما شجاعا مهيبا عند أصحابه حسن السياسة لرعيته وجدد ملك آبائه بعد أن أشفى على الذهاب ولما احتضر عهد بالملك لابنه عز الدين مسعود وهو ابن عشرين سنة وأوصاه أن يتولى تدبير ملكه مولاه بدر الدين لؤلؤ لما فيه من حسن السياسة وكان قائما بأمره منذ توفى مجاهد الدين قايماز

وأوصى لولده الاصغر عماد الدين بقلعة عقر الحميدية وقلعة شوش وولايتهما ولنسبه الى العقر فلما توفى نور الدين بايع الناس ابنه عز الدين مسعودا ولقبوه القاهر واستقر ملك الموصل وأعمالها له وقام بدر الدين لؤلؤ بتدبير دولته والبقاء لله وحده

*(وفاة القاهر وولاية ابنه نور الدين ارسلان شاه فى كفالة بدر الدين لؤلؤ)

لما توفى الملك القاهر عز الدين مسعود بن ارسلان شاه بن مسعود بن مودود بن الاتابك زنكى صاحب الموصل آخر ربيع الاول سنة خمس عشرة وخمسمائة لثمان سنين من ولايته بعد أن عهد بالملك لابنه الاكبر نور الدين ارسلان شاه وعمره عشرون سنة وجعل الوصى عليه والمدبر لدولته لؤلؤا كما كان فى دولة القاهر وابنه نور الدين فبايع له وقام بملكه وأرسل الى الخليفة فى التقليد والخلع على العادة فوصلت وبعث الى الملوك فى الاطراف فى تجديد العهد كما كان بينهم وبين سلفه وضبط أموره وكان عمه نور الدين زنكى ارسلان شاه بقلعة عقر الحميدية لا يشك فى مصير السلطان له فدفعه عن ذلك واستقامت أموره وأحسن السيرة وسمع شكوى المتظلمين وأنصفهم ووصل فى تقليد الخليفة لنور الدين اسناد النظر فى أموره لبدر الدين لؤلؤ والله أعلم

(استيلاء عماد الدين صاحب عقر على قلاع الهكارية والزوزان)

كان عماد الدين زنكى قد ولاه أبوه قلعتى العقر والشوش قريبا من الموصل وأوصى له بهما وعهد بالملك لابنه الاكبر القاهر فلما توفى القاهر كما ذكرنا طمع زنكى الى الملك وكان يحدث به نفسه فلم يحصل له وكان بالعمادية نائب من موالى جده مسعود فدعا اخاه فى الطاعة له وشعر بذلك بدر الدين لؤلؤ فعزل ذلك النائب وبعث اليها أميرا أنزله بها وجعل فيها نائبا من قبله واستبد بالنواب فى غيرها وكان نور الدين بن القاهر لا يزال عليلا لضعف مزاجه وتوالى الامراض عليه فبقى محتجبا طول المدة فأرسل زنكى الى نور الدين بالعمادية يشيع موته ويقول أنا أحق بملك سلفى فتوهموا صدقه وقبضوا على نائب لؤلؤ ومن معه وسلموا البلد لعماد الدين زنكى منتصف رمضان سنة خمس عشرة وجهز لؤلؤ العساكر وحاصروه بالعمادية فى فصل الشتاء وكان البرد وتراكم الثلج ولم يتمكنوا من قتاله وظاهره مظفر الدين صاحب اربل على شأنه وذكر لؤلؤا بالعهد الذى بينهما أن لا يتعرض لاعمال الموصل والنص فيها على قلاع الهكارية والزوزان وانه مظاهر لهم على من يتعرض لها فلج فى مظاهرته واعتمد نقض العهد وأقام العسكر محاصر الزنكى بالعمادية وتقدموا بعض الليالى وركبوا الاوعار اليه فبرز اليهم أهل العمادية وهزموهم فى المضايق والشعاب فعادوا الى الموصل وراسل عماد الدين

قلاع الهكارية والزوزان فى الطاعة له فأجابوه وملكها وولى عليها والله أعلم

(مظاهرة الاشرف بن العادل للؤلؤ صاحب الموصل)

ولما استولى عماد الدين زنكى على قلاع الهكارية والزوزان وظاهره مظفر الدين صاحب اربل خاف لؤلؤ غائلته فبعث بطاعته الى الاشرف موسى بن العادل وقد ملك أكثر بلاد الجزيرة وخلاط وأعمالها ويسأله المعاضدة فأجابه وكان يومئذ بحلب فى مدافعة كيكاوس صاحب بلاد الروم عن أعمالها فأرسل الى مظفر الدين بالنكير عليه فيما فعل من نقضه العهد الذى كان بينهم جميعا كما مر و يعزم عليه فى اعادة ما أخذ من بلاد الموصل ويتوعده ان أصر على مظاهرة زنكى بقصد بلاده فلم يجب مظفر الدين الى ذلك واستألف على أمره صاحب ماردين وناصر الدين محمود صاحب كيفا وآمد فوافقوه وفارقوا طاعة الاشرف فى ذلك فبعث الاشرف عساكره الى نصيبين لانجاد لؤلؤ متى احتاج اليه والله تعالى أعلم

(واقعة عساكر لؤلؤ بعماد الدين)

ولما عاد عسكر الموصل عن حصار العمادية خرج زنكى الى قلعة العقر التى كانت من أعمال الموصل الصحراوية اذ كان قد فرغ من أعمالها الجبلية وأمده مظفر الدين صاحب اربل بالعساكر وعسكر جند الموصل على أربع فراسخ من البلد من ناحية العقر ثم اتفقوا على المسير الى زنكى وصبحوه آخر المحرم سنة ست عشرة وستمائة وهزموه فلحق باربل وعاد العسكر الى مكانهم ووصل رسل الخليفة الناصر والاشرف ابن العادل فى الصلح بينهما فاصطلحوا وتحالفوا والله تعالى أعلم

(وفاة نور الدين صاحب الموصل وولاية أخيه ناصر الدين)

لما توفى نور الدين ارسلان شاه بن الملك القاهر كما قدمناه من سوء مزاجه واختلاف الاسقام عليه فتوفى قبل كمال الحول ونصب لؤلؤ مكانه أخاه ناصر الدين محمد بن القاهر فى سن الثلاث واستحلف له الجند وأركبه فى الموكب فرضى به الناس لما بلوا من عجز أخيه عن الركوب لمرضه والله تعالى ولى التوفيق

(هزيمة لؤلؤ صاحب الموصل من مظفر الدين صاحب اربل)

ولما توفى نور الدين ونصب لؤلؤ أخاه ناصر الدين محمدا على صغر سنه تجدد الطمع لعماد الدين عمه ولمظفر الدين صاحب اربل فى الاستيلاء على الموصل وتجهزوا لذلك وعاثت سراياه فى نواحى الموصل وكذا لؤلؤ قد بعث ابنه الاكبر فى العساكر نجدة للملك الاشرف وهو يقصد بلاد الافرنج بالسواحل ليأخذ بحجزتهم عن امداد اخوانهم

بدمياط عن أبيه الكامل بمصر فبادر لؤلؤ الى عسكر الاشرف الذين بنصيبين واستدعاهم فجاؤا الى الموصل منتصف سنة عشر وستمائة وعليهم ايبك مولى الاشرف فاستقلهم لؤلؤ ورآهم مثل عسكره الذين بالشأم أمدونهم وألح ايبك على عبور دجلة الى اربل فمنعه أياما فلما أصر عبر لؤلؤ معه ونزلوا على فرسخين من الموصل شرقي دجلة وجمع مظفر الدين زنكي وعبروا الزاب وتقدم اليهم ايبك في عسكره وأصحاب لؤلؤ وسار منتصف الليل من رجب وأشار عليه لؤلؤ بانتظار الصباح فلم يفعل ولقيهم بالليل وحمل ايبك على زنكي في الميسرة فهزمه وانهزمت ميسرة لؤلؤ وبقي في نفر قليل فتقدم اليه مظفر الدين فهزمه وعبر دجلة الى الموصل وظهر مظفر الدين على تبريز ثلاثا ثم بلغه أن لؤلؤا يريد تبييته فأجفل راجعا وترددت الرسل بينهما فاصطلحا على كل ما بيده والله أعلم

(وفاة صاحب سنجار وولاية ابنه ثم مقتله وولاية أخيه)

ثم توفي قطب الدين محمد بن زنكي بن مودود بن الاتابك زنكي صاحب سنجار في ثامن صفر سنة ست عشرة وستمائة وكان حسن السيرة مسلما الى نوابه وملك بعده ابنه عماد الدين شاهنشاه واشتمل الناس عليه فملك شهورا ثم سار الى تل اعفر فاغتاله أخوه عمر ودخل اليه في جماعة فقتلوه وملك بعده وبقي مدة الى أن تسلم منها الاشرف بن العادل مدينة سنجار في جمادى سنة سبع عشرة وستمائة والله أعلم

(استيلاء عماد الدين على قلعة كواشي ولؤلؤ على تل اعفر والاشرف على سنجار)

كانت كواشي من أحسن قلاع الموصل وأمنعه وأعلاه ولما رأى الجند الذين بها بعد أهل العمادية واستبدادهم بأنفسهم طمعوا في مثل ذلك وأخرجوا نواب لؤلؤ عنهم وتمسكوا باظهار الطاعة على البعد خوفا على رهائنهم بالموصل ثم استدعوا عماد الدين زنكي وسلموا اليه القلعة وأقام عندهم وبعث لؤلؤ الى مظفر الدين يذكره العهود التي لم يجف ثلها بعد فأعرض وأرسل الى الاشرف بحلب يستنجده فسار وعبر الفرات الى حران وكان مظفر الدين صاحب اربل يراسل الملوك بالاطراف ويغريهم بالاشرف ويخوفهم غائلته ولما كان بين كيكاوس بن كيخسرو صاحب الروم من الفتنة ما نذكره في أخباره وسار كيكاوس الى حلب دعاه مظفر الدين الملوك بناحيته الى وفاق كيكاوس مثل صاحب كيفا وآمد وصاحب ماردين فأطاعوه وخطبوا له في أعمالهم ومات كيكاوس وفي نفس الاشرف منه ومن مظفر الدين ما في نفسه ولما سار الاشرف الى حران لمظاهرة لؤلؤ راسل مظفر الدين جماعة من أمرائه مثل أحمد بن علي المشطوب

وعز الدين محمد بن بدر الحميدي وغيرهما واستمالهم ففارقوا الاشرف ونازلوا دنيسر تحت
ماردين ليجتمعوا مع ملوك الاطراف لمدافعة الاشرف واستمال الاشرف صاحب آمد
وأعطاه مدينة حاني وجبل جودي ووعده بدارا اذا ملكها فأجاب وفارقهم اليه
واضطر آخرون منهم الى طاعة الاشرف فانحل أمرهم وانفرد ابن المشطوب بمشاقة
الاشرف فقصد اربل ومر بنصيبين فقاتله شحنتها فانهزم الى سنجار وأسره صاحبها
وكان هو امع الاشرف ولؤلؤ قصده ابن المشطوب عن رأيه فيهم حتى أجمع خلافه
وأطلقه فجمع المفسدين وقصد البقعا من أعمال الموصل فاكتسح نواحيها وعاد ثم سار
من سنجار ثانية الى الموصل وأرصد له لؤلؤ عسكرا فاعترضوه فهزمه واجتاز بتل اعفر
من أعمال صاحب سنجار فأقاموا عليها وبعثوا الى لؤلؤ فسار وحاصرها وملكها
في ربيع سنة سبع عشرة وستمائة وأسر ابن المشطوب وجاء به الى الموصل ثم بعث به الى
الاشرف فحبسه بحران سنين وهلك في محبسه ولما أطاع صاحب آمد الاشرف رحل من
حران الى ماردين ونزل دنيسر وحاصر ماردين ومعه صاحب آمد وترددت الرسل بينه
وبين صاحب ماردين على أن يرد عليه رأس عين وكان الاشرف قد أقطعها له على أن
يحمل اليه ثلاثين ألف دينار وأن يعطى لصاحب آمد الموزر بي بلد
وانعقد الصلح بينهما وارتحل الاشرف من دنيسر الى نصيبين يريد الموصل فلقيه رسل
صاحب سنجار يطلب من يتسلمها منه على أن يعوضه الاشرف منها بالرقة بما أدركه من
الخوف عند استيلاء لؤلؤ على تل اعفر ونفرة أهل دولته عنه لقتله أخاه كما ذكرناه فأجابه
الاشرف وأعطاه الرقة وملك سنجار في جمادى سنة سبع عشرة وستمائة ورحل عنها
بأهله وعشيرته وانقرض أمر بني زنكي منها بعد أربع وتسعين سنة والبقاء لله وحده

(صلح الاشرف مع مظفر الدين)

ولما ملك الاشرف سنجار سار الى الموصل ووافاه بها رسل الخليفة الناصر ومظفر الدين
صاحب اربل في الصلح ورد القلاع المأخوذة من ايالة الموصل على صاحبها لؤلؤ ما عدى
العمادية فتبقى بيد زنكي وتردد الحديث في ذلك شهرين ولم يتم فرحل الاشرف يقصد
اربل حتى قارب نهر الزاب وكان العسكر قد ضجروا وساء صاحب آمد مع مظفر الدين
فأشار باجابته الى ما سأل ووافق على ذلك أصحاب الاشرف فانعقد الصلح وساق زنكي
الى الاشرف رهينة على ذلك وسلمت قلعة العقر وشوش لنواب الاشرف وهما لزنكي
رهنا أيضا وعاد الاشرف الى سنجار في رمضان سنة سبع عشرة وبعثوا الى القلاع فلم
يسلمها جندها وامتنعوا بها واستجار عماد الدين زنكي بشهاب بن العادل فاستعطف له
أخاه الاشرف فأطلقه ورد عليه قلعتي العقر وشوش وصرف نوابه عنهما ورجع لؤلؤ

الاشرف يميل الى قلعة تل اعفر وانها لم تزل لسنجار قديما فبعث اليه بتسليمها والله تعالى أعلم

(رجوع قلاع الهكارية والزوزان الى طاعة صاحب الموصل)

لما رأى زنكى أنه ملك قلاع الهكارية والزوزان وبلوه فلم ير واعنده ماظنوه من حسن السيرة كما يفعل لؤلؤ مع جنده ورعاياه اعتزموا على مراجعة طاعة لؤلؤ وطلبوه فى الاقطاع فأجابهم واستأذن الاشرف فلم يأذن له وجاء زنكى من عند الاشرف فحاصر العمادية ولم يبلغ منها غرضا فأعادوا مراسلة لؤلؤ فاستأذن الاشرف وأعطاه قلعة جديدة رنصيبين وولاية بين النهرين وأذن له فى تملك القلاع وأرسل نوابه اليها ووفى لهم بما عاهدهم عليه وتبعهم بقية القلاع من أعمال الموصل فدخلوا كلهم فى طاعة لؤلؤ وانتظم له ملكها والله تعالى أعلم

(استيلاء صاحب الموصل على قلعة سوس)

كانت قلعة سوس وقلعة العقر متجاورتين على اثنى عشر فرسخا من الموصل وكانتا لعماد الدين زنكى بن نور الدين ارسلان شاه بوصية أبيه كما مر وملك معها قلاع الهكارية والزوزان ورجعت الى الموصل وسار هو سنة تسعة عشر الى ازبك بن البهلوان صاحب اذربيجان من بقية السلجوقية فسار معه وأقطع له الاقطاعات وأقام عنده فسار لؤلؤ من الموصل الى قلعة سوس فحاصرها وضيق عليها وامتنعت عليه فجمر العساكر لحصارها وعاد الى الموصل ثم اشتد الحصار بأهلها وانقطعت عنهم الاسباب فاستأمنوا الى لؤلؤ ونزلوا له عنها على شروط اشترطوها وقبلها وبعث نوابه عليها والله تعالى أعلم

(حصار مظفر الدين الموصل)

كان الاشرف بن العادل بن أيوب قد استولى على الموصل ودخل لؤلؤ فى طاعته واستولى على خلاط وسائر ارمينية وأقطعها أخاه شهاب الدين غازى ثم جعله ولى عهده فى سائر أعماله ثم نشأت الفتنة بينهما فاستظهر غازى بأخيه المعظم صاحب دمشق وبمظفر الدين كوكبرى وتداعوا لحصار الموصل فجمع أخوهما الكامل عساكره وسار الى خلاط فحاصرها بعد ان بعث الى المعظم صاحب دمشق وتهدده فأقصر عن مظاهرة أخيه واستنجد غازى مظفر الدين كوكبرى صاحب اربل فسار الى الموصل يحاصرها ليأخذ بحجزة الاشرف عن خلاط ونهض المعظم صاحب دمشق لانجاد أخيه غازى وكان لؤلؤ صاحب الموصل قد استعد للحصار فأقام عليها مظفر الدين

عشرا ثم رحل منتصف احدى وعشرين لامتناعها عليه ولقيه الخبر بأن الاشرف قد ملك خلاط من يد أخيه فندم على ما كان منه

(انتقاض أهل العمادية على لؤلؤ ثم استيلاؤه عليها)

قد تقدم لنا انتقاض أهل قلعة العمادية من أعمال الموصل سنة خمس عشرة ورجوعه الى عماد الدين زنكي ثم عودهم الى طاعة لؤلؤ فأقاموا على ذلك مدة ثم عادوا الى ديدنهم من التمريض في الطاعة وتجنوا على لؤلؤ بعزل نوابه فعزلهم مرة بعد أخرى ثم استبدبها أولاد خواجا ابراهيم وأخوه فيمن تبعهم وأخرجوا من خالفهم وأظهروا العصيان على لؤلؤ فسار اليهم سنة ثنتين وعشرين وحاصرهم وقطع الميرة عنهم وبعث عسكرا الى قلعة هزوران وقد كانوا تبعوا أهل العمادية في العصيان فحاصرهم حتى استأمنوا وملكها ثم جهز العساكر الى العمادية مع نائبه أمين الدين وعاد الى الموصل واستمر الحصار الى ذى القعدة من السنة ثم راسلوا أمين الدين في الصلح على مال وأقطاع وعوض عن القلعة وأجاب لؤلؤ الى ذلك وكان أمين الدين قد وليها قبل ذلك فكان له فيها بطانة مستمدون على عهده ومكاتبته وسخط كثير من أهل البلد فعل أولاد خواجا ابراهيم واستئثارهم بالصلح دونهم فوجد أولئك البطانة سبيلا الى التسلط عليهم ودسوا الامين الدين أن بيت البلد ويصالحها فصالحهم فوثبوا بأولاد خواجا ونادوا بشعار لؤلؤ فصعد العسكر القلعة وملكها أمين الدين وبعث بالخبر الى لؤلؤ قبل أن ينعقد اليمين مع وفد أولاد خواجا والله سبحانه وتعالى ولي التوفيق

(مسير مظفر الدين صاحب اربل الى أعمال الموصل وعوده عنها)

كان جلال الدين منكبرتي بن خوارزم شاه قد غلبه التتر أول خروجهم سنة سبع عشرة وستمائة على خوارزم وخراسان وغزنة وفر أمامهم الى الهند ثم رجع عنها السنة ثنتين وعشرين واستولى على العراق ثم على اذربيجان وجاور الاشرف بن العادل في ولايته بخلاط والجزيرة وحدثت بينهما الفتنة وراسله أعيان الاشرف في الاغراء به مثل مظفر الدين صاحب اربل ومسعود صاحب آمد وأخيه المعظم صاحب دمشق واتفقوا على ذلك وسار جلال الدين الى خلاط وسار مظفر الدين الى الموصل وانتهى الى الزاب ينتظر الخبر عن جلال الدين وسار المعظم صاحب دمشق الى حمص وحماة وبعث لؤلؤ من الموصل يستنجد الاشرف فسار الى حران ثم الى دنيسر فاقتسم أعمال ماردين وكان جلال الدين قد بلغه انتقاض نائبه بكرمان فاغذ السير اليه وترك خلاط

بعد ان عاث في أعمالها وفت ذلك في أعضاد الآخرين وعظمت سطوة الأشرف بهم وبعث اليه أخوه المعظم وقد نازل حمص وحماة يتوعده بمحاصرتهما ومحاصرة مظفر الدين الموصل فرجع عن ماردين ورجع الآخران عن حمص وحماة والموصل ولحق كل ببلده والله تعالى أعلم

(مسير التتر في بلاد الموصل واربل)

ولما أوقع التتر بجلال الدين خوارزم شاه على آمد سنة ثمان وعشرين وقتلوه ولم يبق لهم مدافع من الملوك ولا ممانع انساحوا في البلاد طولا وعرضا ودخلوا ديار بكر واكتسحوا اسواد آمد وارزن وميافارقين وحاصروا وملكوها بالامان ثم استباحوها وساروا الى ماردين فعاثوا في نواحيها ثم دخلوا الجزيرة واكتسحوا أعمال نصيبين ثم مرّوا الى سنجار فنهبوها ودخلوا الخابور واستباحوه وسارت طائفة منهم الى الموصل فاستباحوا أعمالها ثم أعمال اربل وأفحشوا فيها وبرز مظفر الدين في عساكره واستمدّ عساكر الموصل فبعث بها لؤلؤ اليه ثم عاد التتر عنهم الى اذربيجان فعاد كل الى بلاده والله أعلم

(وفاة مظفر الدين صاحب اربل وعودها الى الخليفة)

ثم توفي مظفر الدين كوكبرى بن زين الدين كجك صاحب اربل سنة تسع وعشرين لاربع وأربعين سنة من ولايته عليها أيام صلاح الدين بعد أخيه يوسف ولم يكن له ولد فأوصى باربل للخليفة المستنصر فبعث اليها نوابه واستولى عليها وصارت من أعماله والله تعالى أعلم

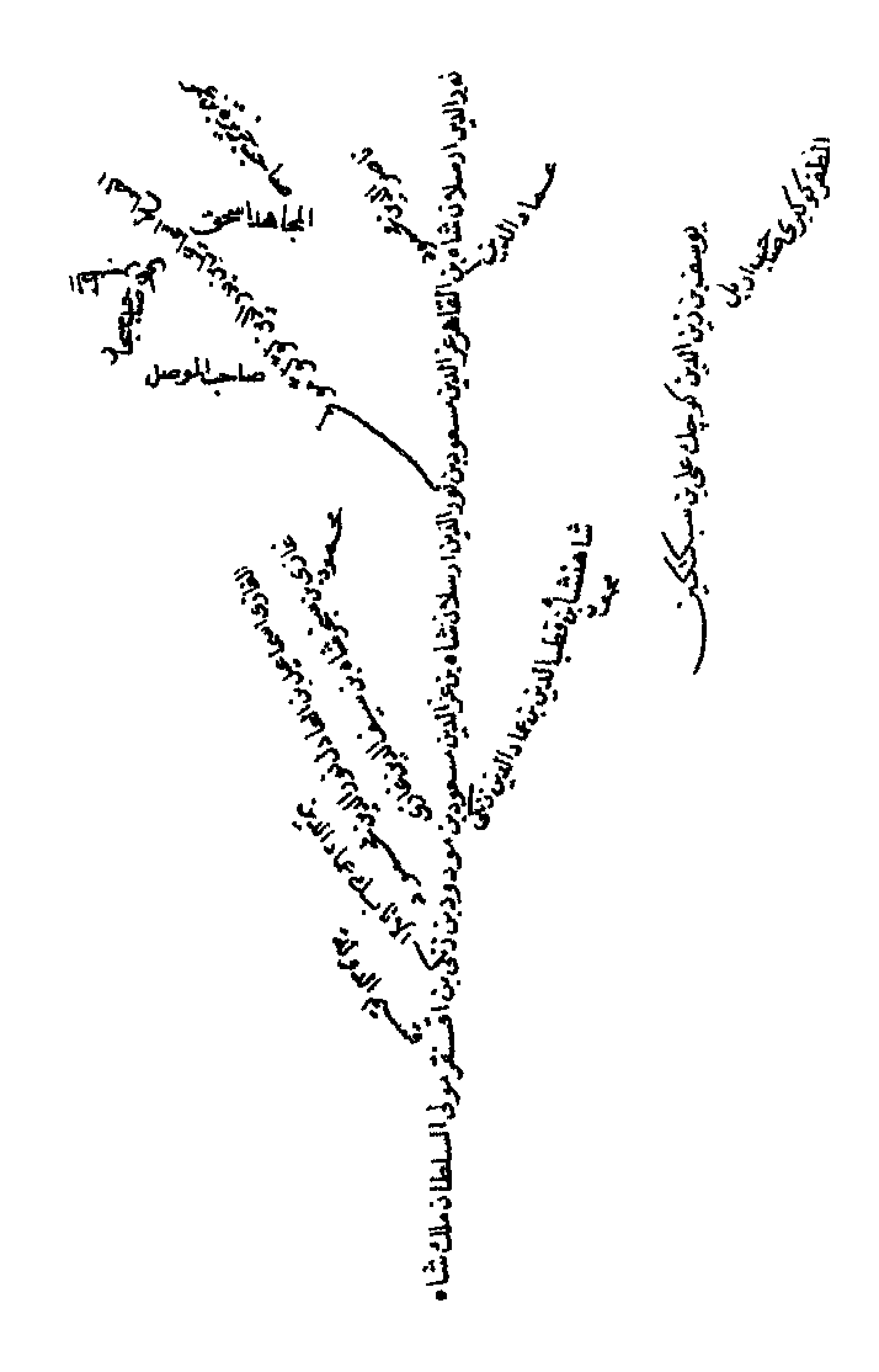
(بقية أخبار لؤلؤ صاحب الموصل)

كان عسكر خوارزم شاه بعد مهلكه سنة ثمان وعشرين على آمد لحقوا بصاحب الروم كيقباد فاستجدهم وهلك سنة أربع وثلاثين وستمائة وولى ابنه كيخسرو فقبض على أميرهم ومرّ الباقون وانتبذوا بأطراف البلاد وكان الصالح نجم الدين أيوب في حران وكيفا وآمد نائبا عن أبيه الملك العادل فرأى المصلحة في استضافتهم اليه فاستمالهم واستخدمهم بعد ان اذن أبوه له في ذلك فلما مات أبوه سنة خمس انتقضوا ولحقوا بالموصل واشتمل عليهم لؤلؤ وسار معهم فحاصر الصالح بسنجار ثم بعث الصالح الى الخوارزمية واستمالهم فرجعوا الى طاعته على أن يعطيهم حران والرها ينزلون بها فاعطاهما اياهم وملكوهما ثم ملكوا نصيبين من أعمال لؤلؤ ونزل أيوب بدمشق

متفرقون على كراسي الشأم وبينهم من الانفة والفرقة ما نتلو عليك قصصه في دولتهم ثم استقر ملك سنجار للجواد يونس منهم وهو ابن مودود بن العادل أخذها من الصالح نجم الدين أيوب عوضا عن دمشق واستولى لؤلؤ على سنجار من يده سنة سبع وثلاثين ثم حدثت بين صاحب حلب وبين الخوارزمية فتنة وبلوا بو منذ لصفيتهم خاتون بنت العادل فبعثت العساكر اليهم مع المعظم بوران شاه بن صلاح الدين فهزموا عساكره وأسروا ابن أخيه الافضل ودخلوا حلب واستباحوها ثم فتحوا منبج وعاثوا فيها وقطعوا الفرات من الرقة وهم يذهبون وتبعهم عسكر دمشق وحمص فهزموهم وأثخنوا فيهم ولحقوا ببلدهم حران فسارت اليهم عساكر حلب واستولوا على حران ولحق الخوارزمية بعانة وبادر لؤلؤ صاحب الموصل الى نصيبين فملكها من أيديهم ثم توفيت صفية بنت العادل سنة أربعين في حلب وكانت ولايتها بعد وفاة أبيها العزيز محمد بن الظاهر غازي بن صلاح الدين فولي بعدها ابنه الناصر يوسف ابن العزيز في كفالة مولاه اجبال الخاتوني فلما كانت سنة ثمان وأربعين وستمائة وقع بين عسكره وبين بدر الدين لؤلؤ صاحب الموصل حرب انهزم فيها لؤلؤ وملك الناصر نصيبين ودارا وقرقيسيا و لؤلؤ بحلب ثم زحف هلاكو ملك التترالى بغداد سنة وملكها وقتل الخليفة المستعصم واستلحم العلية من بغداد كما مر في أخبار الخلفاء ويأتي في أخبار التتر وتخطى منها الى اذربيجان فبادر لؤلؤ ووصل اليه باذربيجان وآتاه طاعته وعاد الى الموصل والله تعالى يؤيد بنصره من يشاء من عباده

(وفاة صاحب الموصل وولاية ابنه الصالح)

ثم توفي بدر الدين لؤلؤ صاحب الموصل سنة سبع وخمسين وستمائة وكان يلقب الملك الرحيم وملك بعده على الموصل ابنه الصالح اسمعيل وعلى سنجار ابنه المظفر علاء الدين علي وعلى جزيرة ابن عمر ابنه المجاهد اسحق وأبقاهم هلاكو عليها مدة ثم أخذها منهم ولحقوا بمصر فنزلوا على الملك الظاهر بيبرس كما نذكر في أخباره وسار هلاكو الى الشأم فملكها وانقرضت دولة الاتابك زنكي وبنيه ومواليه من الشأم والجزيرة اجمع كأن لم تكن والله وارث الارض ومن عليها وهو خير الوارثين والبقاء لله تعالى وحده والله تعالى أعلم



نور الدين ارسلان شاه بن القاهر عز الدين مسعود بن نور الدين ارسلان شاه بن عز الدين مسعود بن مودود بن زنكي بن اقسنقر مولى السلطان ملك شاه
ناصر الدين محمود
عماد الدين
صاحب الموصل
الصالح اسماعيل بن بدر الدين لؤلؤ
غازي بن سنجر شاه بن سيف الدين غازي
محمود
شاهنشاه بن قطب الدين بن عماد الدين زنكي
يوسف بن زين الدين كوجك علي بن سبكتكين
المظفر كوكبري صاحب اربل

﴿ الخبر عن دولة بني أيوب القائمين بالدولة العباسية وما كان لهم ﴾
﴿ من الملك بمصر والشأم واليمن والمغرب وأولية ذلك ومصايره ﴾

هذه الدولة من فروع دولة بني زنكي كما تراه وجدهم هو أيوب بن شادي بن مروان بن علي بن عشرة بن الحسن بن علي بن أحمد بن علي بن عبد العزيز بن هدبة بن الحصين بن الحرث بن سنان بن عمر بن مرة بن عوف الحميري الدوسي هكذا نسبه بعض المؤرخين لدولتهم قال ابن الاثير انهم من الاكراد الروادية وقال ابن خلكان شادي أبوهم من أعيان درين وكان صاحبه بهاء بهروز فأصابه خصي من بعض أمرائه وفر حياء من الملك فلحق بدولة السلطان مسعود بن محمد بن ملك شاه وتعلق بخدمة داية بنيه حتى اذا هلك الداية أقامه السلطان لبنيه مقامه فظهرت كفايته وعلا في الدولة محله فبعث عن شادي بن مروان صاحبه لما بينهما من الالفة وأكيد الصحبة فقدم عليه ثم ولى السلطان بهروز شحنة بغداد فسار اليها واستصحب شادي معه ثم أقطعه السلطان قلعة تكريت فولى عليها شادي فهلك وهو وال عليها وولى بهروز مكانه ابنه نجم الدين أيوب وهو أكبر من أسد الدين شيركوه فلم يزل واليا عليها ولما زحف عماد الدين زنكي صاحب الموصل لمظاهرة مسعود على الخليفة المسترشد سنة عشرين وخمسمائة وانهزم الاتابك وانكفأ راجعا الى الموصل ومر بتكريت قام نجم الدين بعلوفته وازواده وعقد له الجسور على دجلة وسهل له عبورها ثم ان شيركوه أصاب دما في تكريت ولم يفده منه أخوه أيوب فعزلهما بهروز وأخرجهما من تكريت فلحقا بعماد الدين بالموصل فأحسن اليهما وأقطعهما ثم ملك بعلبك سنة ثنتين وثلاثين جعله نائبا بها ولم يزل بها ايوب ولما مات عماد الدين زنكي سنة احدى وأربعين زحف صاحب دمشق فخر الدين طغركين الى بعلبك وحاصرها واستنزل أيوب منها على ما شرط لنفسه من الاقطاع وأقام معه بدمشق وبقي شيركوه مع نور الدين محمود بن زنكي وأقطعه حمص والرحبة لاستطلاعه وكفايته وجعله مقدم عساكره ولما صرف نظره الى الاستيلاء على دمشق واعتزم على مداخلة أهلها كان ذلك على يد شيركوه ومكاتبته لاخيه أيوب وهو بدمشق فتم ذلك على أيديهما وبهما ولتهما وملكها سنة تسع وأربعين وخمسمائة وكانت دولة العلويين بمصر قد أخلقت جدتها وذهب استفحالها واستبد وزراؤها على خلفائها فلم يكن الخلفاء يملكون معهم وطمع الافرنج في سواحلهم وأمصارهم لما نالهم من الهرم والوهن فمالوا عليهم وانتزعوا البلاد من أيديهم وكانوا يردون عليهم كرسي خلافتهم بالقاهرة ووضعوا عليهم الجزية وهم يتجرعون المصاب من ذلك ويتغاضونه مع بقاء أمرهم كذا الاتابك زنكي وقومه السلجوقية من قبله أن يمحو دعوتهم ويذهبوا

بدولتهم وأقاموا من ذلك على مضض وقلق وجاء الله بدعوة العاضد آخرهم وتغلب عليه
بعد الصالح بن زريك شاور السعدى وقتل زريك بن صالح سنة ثمان وخمسين واستبد
على العاضد ثم نازعه الضرغام لتسعة أشهر من ولايته وغلبه وأخرجه من القاهرة فلحق
بالشأم ولحق بنور الدين صريخا سنة تسع وخمسين وشرط له على نفسه ثلث الجباية
بأعمال مصر على أن يبعث معه عسكرا يقيمون بها فأجابه الى ذلك وبعث أسد الدين
شيركوه في العساكر فقتل الضرغام ورد شاور الى رتبته وآل أمرهم الى محو الدولة
العلوية وانتظام مصر وأعمالها في ملكة ابن أيوب بدعوة نور الدين محمود بن زنكى
ويخطب للخلفاء العباسيين لما هلك نور الدين محمود واستبد صلاح الدين بأمره في مصر
ثم غلب على بنى نور الدين محمود وملك الشأم من أيديهم وكثير ابن عمهم مودود واستفحل
ملكه وعظمت دولة بنيه من بعده الى أن انقرضوا والبقاء لله وحده

(مسير أسد الدين شيركوه الى مصر واعادة شاور الى وزارته)

لما اعتزم نور الدين محمود صاحب الشأم على صريخ شاور وارسال العساكر معه
واختار لذلك أسد الدين شيركوه بن شادى وكان من أكبر أمرائه فاستدعاه من حمص
وكان أميرا عليها وهى أقطاعه وجمع له العساكر وأزاح عللهم وفصل بهم شيركوه من
دمشق فى جمادى سنة تسع وخمسين وسار نور الدين بالعساكر الى بلاد الافرنج ليأخذ
بحجزتهم عن اعتراضه أو صده لما كان بينهم وبين صاحب مصر من الالفة والتظاهر
ولما وصل أسد الدين بلبيس لقيه هنالك ناصر الدين أخو الضرغام وقاتله فانهزم وعاد
الى القاهرة مهزوما وخرج الضرغام منسلخ جمادى الاخيرة فقتل عند مشهد السيدة
نفيسة رضى الله عنها وقتل أخوه وأعاد شاور الى وزارته وتمكن فيها وصرف أسد
الدين الى بلده وأعرض عما كان بينهما فطالبه أسد الدين بالوفاء فلم يجب اليه فتغلب
أسد الدين على بلبيس والبلاد الشرقية وبعث شاور الى الافرنج يستنجدهم ويعدهم
فبادروا الى اجابته وسار بهم ملكهم مرى لخوفهم أن يملك أسد الدين مصر واستعانوا
بجمع من الافرنج جاؤا لزيارة القدس وسار نور الدين اليهم ليشغلهم فلم يثنهم ذلك
وطمعوا العزمهم ورز أسد الدين الى بلبيس واجتمعت العساكر المصرية والافرنج
عليه وحاصروه ثلاثة أشهر وهو يغاديهم القتال ويراوحهم وامتنع عليهم وقصاراهم
منع الاخبار عنه واستنفر نور الدين ملوك الجزيرة وديار بكر وقصد حارم وسار الافرنج
لمدافعته فهزمهم وأثخن فيهم وأسر صاحب انطاكية وطرابلس وفتح حارم قريبا من
حلب ثم سار الى بانياس قريبا من دمشق ففتحها كما مر في أخبار نور الدين وبلغ الخبر
بذلك الى الافرنج وهم محاصرون أسد الدين في بلبيس ففت في عزائمهم وطووا الخبر

عنه وراسلوه في الصلح على أن يعود الى الشأم فصالحهم وعاد الى الشأم في ذي الحجة من السنة والله تعالى أعلم

(مسير أسد الدين ثانيا الى مصر وملكه الاسكندرية ثم صلحه عليها وعوده)

ولما رجع أسد الدين الى الشأم لم يزل في نفسه مما كان من غدر شاور وبقي يتشوق لغزوهم الى سنة ثنتين وستين فجمع العساكر وبعث معه نور الدين جماعة من الامراء وأكثف له العسكر خوفا على حامية الاسلام وسار أسد الدين الى مصر وانتهى الى اطفيح وعبر منها الى العدوة الغربية ونزل الجيزة وأقاموا نحوا من خمسين يوما وبعث شاور الى الافرنج يستمدهم على العادة وعلى مالهم من التخوف من استفحال ملك نور الدين وشيركوه فساروا الى مصر وعبروا مع عساكرها الى الجيزة وقد ارتحل عنها أسد الدين الى الصعيد وانتهى منها الى واتبعوه وأدركوه بها منتصف ثنتين وستين ولما رأى كثرة عددهم واستعدادهم مع تخاذل أصحابه فاستشارهم فاشار بعضهم بعبور النيل الى العدوة الشرقية والعود الى الشأم وأبى زعماؤهم الا الاستماتة سيما مع خشية العتب من نور الدين وتقدم صلاح الدين بذلك وأدركهم القوم على تعبية وجعل صلاح الدين في القلب وأوصاه أن يندفع أمامهم ووقف هو في الميمنة مع من وثق باستماتته وحمل القوم على صلاح الدين فسار بين أيديهم على تعبيته وخالفهم أسد الدين الى مخلفهم فوضع السيف فيهم وأثخن قتلا وأسرا ورجعوا عن صلاح الدين يظنون أنهم ساروا منهزمين فوجدوا أسد الدين قد استولى على مخلفهم واستباحه فانهزموا الى مصر وسار أسد الدين الى الاسكندرية فتلقاه أهلها بالطاعة واستخلف بها صلاح الدين ابن أخيه وعاد الى الصعيد فاستولى عليه وفرق العمال على جباية أمواله ووصلت عساكر مصر والافرنج الى القاهرة وأزاحوا عللهم وساروا الى الاسكندرية فحاصروا بها صلاح الدين وجهده الحصار وسار أسد الدين من الصعيد لامداده وقد انتقض عليه طائفة من التركمان من عسكره وبينما هو في ذلك جاءته رسل القوم في الصلح على أن يرد عليهم الاسكندرية ويعطوه خمسين ألف دينار سوى ما جباه من أموال الصعيد فأجابهم الى ذلك على أن يرجع الافرنج الى بلادهم ولا يملكوا من البلاد قرية فانعقد ذلك بينهم منتصف شوال وعاد أسد الدين وأصحابه الى الشأم منتصف ذي القعدة ثم شرط الافرنج على شاور أن ينزلوا بالقاهرة شحنة وتكون أبوابها بأيديهم ليتمكنوا من مدافعة نور الدين فضربوا عليه مائة ألف دينار في كل سنة جزية فتقبل ذلك وعاد الافرنج الى بلادهم بسواحل الشأم وتركوا بمصر جماعة من زعمائهم وبعث الكامل أبا شجاع شاور الى نور الدين

بطاعته وأن يبث بمصر دعوته وقرر على نفسه مالا يحمل كل سنة الى نورالدين فأجابه
الى ذلك وبقي شيعة له بمصر والله تعالى أعلم

(استيلاء أسد الدين على مصر ومقتل شاور)

ولما ضرب الافرنج الجزية على القاهرة ومصر وأنزلوا بها الشحنة وملكوا أبوابها
تمكنوا من البلاد وأقاموا فيها جماعة من زعمائهم فتحكموا واطلعوا على عورات
الدولة فطمعوا فيها وراموا ذلك من الاستيلاء وراسلوا بذلك ملكهم بالشأم واسمه مرى
ولم يكن ظهر بالشأم من الافرنج مثله فاستدعوه لذلك وأغروه فلم يجبهم واستحثه أصحابه
لملكها وما زالوا يفتلون له في الذروة والغارب ويوهمونه القوة بتملكها على نورالدين
ويريهم هو أن ذلك يؤول الى خروج أصحابها عنها لنورالدين فبقي بها الى أن غلبوا عليه
فرجع الى رأيهم وتجهز وبلغ الخبر نورالدين فجمع عساكره واستنفر من في ثغوره
وسار الافرنج الى مصر مفتتح أربع وستين فملكوا بلبيس عنوة في صفر واستباحوها
وكاتبهم جماعة من أعداء شاور فأنسوا مكاتبتهم وساروا الى مصر ونازلوا القاهرة
وأمر شاور باحراق مدينة مصر لينتقل أهلها الى القاهرة فيضبط الحصار فانتقلوا
وأخذهم الحريق وامتدت الايدي وانتهبت أموالهم واتصل الحريق فيها شهرين
وبعث العاضد الى نورالدين يستغيث به فأجاب وأخذ في تجهيز العساكر فاشتد الحصار
على القاهرة وضاق الامر بشاور فبعث الى ملك الافرنج يذكره بقديمه وأن هواه معه
دون العاضد ونورالدين ويسأل في الصلح على المال لنفور المسلمين مما سوى ذلك فأجابه
ملك الافرنج على ألف ألف دينار لما رأى من امتناع القاهرة وبعث اليهم شاور بمائة
ألف منها وسألهم في الافراج فارتحلوا وشرع في جمع المال فعجز الناس عنه ورسل
العاضد خلال ذلك تردد الى نورالدين في أن يكون أسد الدين وعساكره حامية عنده
وعطاؤهم عليه وثلث الجباية خالصة لنورالدين فاستدعى نورالدين أسد الدين من حمص
وأعطاه مائتي ألف دينار وجهزه بما يحتاجه من الثياب والدواب والاسلحة وحكمه
في العساكر والخزائن ونفل العسكر عشرين دينارا لكل فارس وبعث معه من أمرائه
مولاه عزالدين خردك وعزالدين قليج وشرف الدين برغش وعزالدولة الياروقي وقطب
الدين ينال بن حسان المنبجي وأمد صلاح الدين يوسف بن أيوب مع عمه أسد الدين فتعلل
عليه واعتزم عليه فأجاب وسار أسد الدين منتصف ربيع فلما قارب مصر رجع الافرنج
الى بلادهم فسر بذلك نورالدين وأقام عليه البشائر في الشأم ووصل أسد الدين
القاهرة ودخلها منتصف جمادى الاخيرة ونزل بظاهرها ولقي العاضد وخلع عليه
وأجرى عليه وعلى عساكره الجرايات والاتاوات وأقام أسد الدين ينتظر شرطهم وشاور

يماطله ويعلله بالمواعيد ثم فاوض أصحابه في القبض على أسد الدين واستخدام جنده فنعه ابنه الكامل من ذلك فأقصر ثم أشرف أصحاب أسد الدين على اليأس من شاور وتفاوض أمراؤه في ذلك فاتفق صلاح الدين ابن أخيه وعز الدين خرديك على قتل شاور وأسد الدين ينهاهم وغدا شاور يوما على أسد الدين في خيامه فألفاه قد ركب لزيارة تربة الامام الشافعي رضي الله تعالى عنه فتلقاه صلاح الدين وخرديك وركبوا معه لقصد أسد الدين فقبضوا عليه في طريقهم وطيروا بالخبر الى أسد الدين وبعث العاضد لوقته يحرضهم على قتله فبعثوا اليه برأسه وامر العاضد بنهب دوره فنهبها العامة وجاء أسد الدين لقصر العاضد فخلع عليه الوزارة ولقبه الملك المنصور أمير الجيوش وخرج له من القصر منشور من انشاء القاضي الفاضل البيساني وعليه مكتوب بخط الخليفة مانصه هذا عهد لا عهد لوزير بمثله فتقلد ما رآك الله وأمير المؤمنين أهلا له وعليك الحجة من الله فيما أوضح لك من مراشد سبله فخذ كتاب أمير المؤمنين بقوة واسحب ذيل الفخار بأن اعتزت خدمتك الى بنوة النبوة واتخذ أمير المؤمنين للفوز سبيلا ولا تنقضوا الايمان بعد توكيدها وقد جعلتم الله عليكم كفيلا ثم ركب أسد الدين الى دار الوزارة التي كان فيها شاور وجلس مجلس الامر والنهي وولى على الاعمال وأقطع البلاد للعساكر وأمن أهل مصر بالرجوع الى بلادهم ورمها وعمارتها وكاتب نور الدين بالواقع مفصلا وانتصب للامور ثم دخل للعاضد وخطب الاستاذ جوهر الخصي منه وهو يومئذ أكبر الاساتيذ فقال يقول لك مولانا نؤثر مقامك عندنا من أول قدومك وأنت تعلم الواقع من ذلك وقد تيقنا أن الله عز وجل ادخرك لنا نصرة على أعدائنا فحلف له اسد الدين على النصيحة واظهار الدولة فقال الاستاذ عن العاضد الامر بيدك وهذا أكثر ثم جددت الخلع واستخلص أسد الدين الجليس عبد القوي وكان قاضي القضاة وداعي الدعاة واستحسنه واختصه وأما الكامل بن شاور فدخل القصر مع اخوته معتصمين به وكان آخر العهد به وأسف أسد الدين عليه لما كان منه في رد أبيه وذهب كل بما كسب والله تعالى أعلم

* (وفاة أسد الدين وولاية ابن أخيه صلاح الدين) *

ثم توفي أسد الدين شيركوه آخر جمادى الاخيرة من سنة أربع وستين لشهرين من وزارته ولما احتضر أوصى حواشيه بهاء الدين قراقوش فقال له الحمد لله الذي بلغنا من هذه الديار ما أردنا وصار أهلها راضين عنا فلا تفارقوا سور القاهرة ولا تفرطوا في الاسطول ولما توفي تشوف الامراء الذين معه الى رتبة الوزارة ومكانه مثل عز الدولة الياروقي وشرف الدين المشطوب الهكاري وقطب الدين ينال بن حسان المنبجي

وشهاب الدين الحارمي وهو خال صلاح الدين وجمع كل المغالبة صاحبه وكان أهل القصر وخواص الدولة قد تشاوروا فأشار جوهر باخلاء رتبة الوزارة واصطفاء ثلاثة آلاف من عسكر الغز يقودهم قراقوش ويعطي لهم الشرقية اقطاعا ينزلون بها حشدا دون الافرنج من يستبد على الخليفة بل يقيم واسطة بينه وبين الناس على العادة وأشار آخرون باقامة صلاح الدين مقام عمه والناس تبع له ومال القاضي لذلك حياء من صلاح الدين وجنوحا الى صغرسنه وأنه لا يتوهم فيه من الاستبداد ما يتوهم في غيره من أصحابه وأنهم في سعة من رأيهم مع ولايته فاستدعاه وخلع عليه ولقبه الملك الناصر واختلف عليه أصحابه فلم يطيعوه وكان عيسى الهكاري شيعة له واستمالهم اليه الا الياروقي فانه امتنع وعاد الى نور الدين بالشأم وثبتت قدم صلاح الدين في مصر وكان نائبا عن نور الدين ونور الدين يكاتبه بالامير الاسفهسلار ويجمعه في الخطاب مع كافة الامراء بالديار المصرية وما زال صلاح الدين يحسن المباشرة ويستميل الناس ويفيض العطاء حتى غلب على أفئدة الناس وضعف أمر العاضد ثم أرسل يطلب اخوته وأهله من نور الدين فبعث بهم اليه من الشأم واستقامت أموره واطردت سعادته والله تعالى ولي التوفيق

(واقعة السودان بمصر)

كان بقصر العاضد خصي حاكم على أهل القصر يدعى مؤتمن الخلافة فلما غص أهل الدولة بوزارة صلاح الدين داخل جماعة منهم وكاتب الافرنج يستدعيهم ليبرز صلاح الدين لمدافعتهم فيثوروا بمخلفه ثم يتبعونه وقد ناشب الافرنج فيأتون عليه وبعثوا الكتاب مع ذي طمرين حله في نعاله فاعترضه بعض التركمان واستلبه ورأوا النعال جديدة فاستراب بها فجاؤا به الى صلاح الدين فقرأ الكتاب ودخل على كاتبه فأخبره بحقيقة الامر فطوى ذلك وانتظر مؤتمن الخلافة حتى خرج الى بعض قراه متنزها وبعث من جاء برأسه ومنع الخصيين بالقصر عن ولاية أموره وقدم عليهم بهاء الدين قراقوش خصيا أبيض من خدمه وجعل اليه جميع الامور بالقصر وامتعض السودان بمصر لمؤتمن الخلافة واجتمعوا لحرب صلاح الدين وبلغوا خمسة آلاف وناجزوا عسكره من القصر في ذي القعدة من السنة وبعث الى محلتهم بالمنصورة من أحرقها على أهليهم وأولادهم فلما سمعوا بذلك انهزموا وأخذهم السيف في السكك فاستأمنوا وعبروا الى الجيزة فسار اليهم شمس الدولة أخو صلاح الدين في طائفة من العسكر فاستلحمهم وأبادهم والله أعلم

(منازلة الافرنج دمياط وفتح ايلة)

ولما استولى صلاح الدين على دولة مصر وقد كان الافرنج أسفوا على مافاتهم من صدّه وصدّ عمه عن مصر وتوقعوا الهلاك من استطالة نور الدين عليهم بملك مصر فبعثوا الرهبان والاقسة الى بلاد النصرانية يدعونهم الى المدافعة عن بيت المقدس وكاتبوا الافرنج بصقلية والاندلس يستنجدونهم فنفروا واستعدوا لامدادهم واجتمع الذين بسواحل الشأم في فاتح خمس وستين وثلثمائة وركبوا في ألف من الاساطيل وأرسلوا لدمياط ليملكوها ويقربوا من مصر وكان صلاح الدين قد ولاها شمس الخواص منكبرس فبعث اليه بالخبر فجهز اليها بهاء الدين قراقوش وأمراء الغز في البر متتابعين وواصل المراكب بالاسلحة والاتاوات وخاطب نور الدين يستمده لدمياط لانه لا يقدر على المسير اليها خشية من أهل الدولة بمصر فبعث نور الدين اليها العساكر ارسالا ثم سار بنفسه وخالف الافرنج الى بلادهم بسواحل الشأم فاستباحها وخربها وبلغهم الخبر بذلك على دمياط وقد امتنعت عليهم ووقع فيهم الموتان فأقلعوا عنها لخمسين يوما من حصارها ورجع أهل سواحل الشأم لبلادهم فوجدوها خرابا وكان جملة ما بعثه نور الدين في المدد لصلاح الدين في شأن دمياط هذه ألف ألف دينار سوى الثياب والاسلحة وغيرها ثم أرسل صلاح الدين الى نور الدين في منتصف السنة يستدعي منه أباه نجم الدين أيوب فجهزه اليه مع عسكر واجتمع معهم من التجار جماعة وخشي عليهم نور الدين في طريقهم من الافرنج الذين بالكرك فسار الى الكرك وحاصرهم بها وجمع الافرنج الآخرون فصمد للقائهم فخاموا عنه وسار في وسط بلادهم وسار الى عشيرا ووصل نجم الدين أيوب الى مصر وركب العاضد لتلقيه ثم سار صلاح الدين سنة ست وستين لغزو بلاد الافرنج وأغار على أعمال عسقلان والرملة ونهب ربط غزة ولقي ملك الافرنج فهزمه وعاد الى مصر ثم أنشأ مراكب وحملها مفصلة على الجمال الى أيلة فألفها وألقاها في البحر وحاصر أيلة برا وبحرا وفتحها عنوة في شهر ربيع من السنة واستباحها وعاد الى مصر فعزل قضاة الشيعة وأقام قاضيا شافعيا فيها وولى في جميع البلاد كذلك ثم بعث أخاه شمس الدولة توران شاه الى الصعيد فأغار على العرب وكانوا قد عاثوا وأفسدوا فكفهم عن ذلك والله تعالى أعلم

(اقامة الخطبة العباسية بمصر)

ثم كتب نور الدين باقامة الخطبة للمستضيء العباسي وترك الخطبة للعاضد بمصر فاعتذر عن ذلك بميل أهل مصر للعلويين وفي باطن الامر خشي من نور الدين فلم يقبل نور الدين عذره في ذلك ولم تسعه مخالفته وأحجم عن القيام بذلك وورد على صلاح الدين شخص من علماء الاعاجم يعرف بالخبشاني ويلقب بالامير العالم فلما رآهم

تحجبين عن ذلك صعد المنبر يوم الجمعة قبل الخطيب ودعى للمستضيء فلما كانت الجمعة القابلة أمر صلاح الدين الخطباء بمصر والقاهرة بقطع خطبة العاضد والخطبة للمستضيء ففعلوا ذلك ثاني جمعة من المحرم سنة سبع وستين وخمسمائة وكان المستضيء قد ولي الخلافة بعد أبيه المستنجد في ربيع من السنة قبلها ولما خطب له بمصر كان العاضد مريضا فلم يشعر بذلك وتوفي يوم عاشوراء من السنة ولما خطب له على منابر مصر جلس صلاح الدين للعزاء واستولى على قصره ووكل به بهاء الدين قراقوش وكان فيه من الذخائر ما يعز وجوده مثل حبل الياقوت الذي وزن كل حصاة منه سبعة عشر مثقالا ومصاف الزمرذ الذي طوله أربعة أصابع طولا في عرض ومثل طبل القولنج الذي يضرب به ضاربه فيعافى بذلك من داء القولنج وكسروه لما وجدوا ذلك منه فلما ذكرت لهم منفعته ندموا عليه ووجدوا من الكتب النفيسة ما لا يعد ونقل أهل العاضد الى بعض حجر القصر ووكل بهم وأخرج الاماء والعبيد وقسمهم بين البيع والهبة والعتق وكان العاضد لما اشتد مرضه استدعاه فلم يجب داعيه وظنها خديعة فلما توفي ندم وكان يصفه بالكرم ولين الجانب وغلبة الخير على طبعه والانقياد ولما وصل الخبر الى بغداد بالخطبة للمستضيء ضربت البشائر وزينت بغداد أياما وبعثت الخلع لنور الدين وصلاح الدين مع صندل الخادم من خواص المقتفي فوصل الى نور الدين وبعث بخلعة صلاح الدين وخلع الخطباء بمصر والاعلام السود والله تعالى أعلم

(الوحشة بين صلاح الدين ونور الدين)

قد كان تقدم لنا ذكر هذه الوحشة في أخبار نور الدين مستوفاة وأن صلاح الدين غزا بلاد الافرنج سنة سبع وستين وحاصر حصن الشوبك على مرحلة من الكرك حتى استأمنوا اليه فبلغ ذلك نور الدين فاعتزم على قصد بلاد الافرنج من ناحية أخرى فارتاب صلاح الدين في أمره وفي لقاء نور الدين واظهار طاعته وما ينشأ عن ذلك من تحكمه فيه فأسرع العود الى مصر واعتذر لنور الدين بشيء بلغه عن شيعة العلويين فعتب له نور الدين وأخذ في الاستعداد لعزله وبلغ ذلك صلاح الدين وأصحابه فتفاوضوا في مدافعته ونهاهم أبوه نجم الدين أيوب وأشار بمكاتبته والتلطف له مخافة أن يبلغه غير ذلك فيقوى عزمه على العمل به ففعل ذلك صلاح الدين فسالمه نور الدين وعادت المخالطة بينهما كما كانت واتفقا على اجتماعهما لحصار الكرك فسار صلاح الدين لذلك سنة ثمان وستين وخرج نور الدين من دمشق بعد ان تجهز فلما انتهى الى الرقيم على مرحلتين من الكرك وبلغ صلاح الدين خبره ارتابه ثانيا وجاءه الخبر بمرض نجم الدين أبيه بمصر فكر راجعا وأرسل الى نور الدين الفقيه عيسى الهكاري بما وقع من حديث

المرض بأبيه وانه رجع من أجله فأظهر نور الدين القبول وعاد الى دمشق والله تعالى أعلم

(وفاة نجم الدين أيوب)

كان نجم الدين أيوب بعد انصراف ابنه صلاح الدين الى مصر أقام بدمشق عند نور الدين ثم بعث عنه ابنه صلاح الدين عندما استوسق له ملك مصر فجهزه نور الدين سنة خمس وستين في عسكره وسار لحصار الكرك ليشغل الافرنج عن اعتراضه كما مر ذكره ووصل الى مصر وخرج العاضد لتلقيه وأقام مكرما ثم سار صلاح الدين الى الكرك سنة ثمان وستين المرة الثانية في مواعدة نور الدين وأقام نجم الدين بمصر وركب يوما في مركب وسار ظاهر البلد والفرس في غلواء مراحه وملاعبة ظله فسقط عنه وحمل وقيذا الى بيته فهلك لايام منها آخر ذي الحجة من السنة وكان خيرا جوادا محسنا للعلماء والفقراء وقد تقدم ذكر أوليته والله ولي التوفيق

(استيلاء قراقوش على طرابلس الغرب)

كان قراقوش من موالي تقي الدين عمر بن شاهنشاه بن نجم الدين أيوب وهو ابن أخي صلاح الدين فغضب مولاه في بعض النزعات وذهب مغاضبا الى المغرب ولحق بجبل نفوسه من ضواحي طرابلس الغرب وأقام هنالك دعوة مواليه وكان في بسائط تلك الجبال مسعود ابن زمام المعروف بالبلط في احيائه من رياح من عرب هلال بن عامر كان منحرفا عن طاعة عبد المؤمن شيخ الموحدين وخليفة المهدي فيهم فانتبذ مسعود بقومه عن المغرب وافريقية الى تلك الناحية فدعاه قراقوش الى اظهار دعوة مواليه بني أيوب فأجابه ونزل معه باحيائه على طرابلس فحاصرها قراقوش وافتتحها ونزل بأهله وعياله في قصرها ثم استولى على قابس من ورائها وعلى توزر ونفطة وبلاد نفزاوة من افريقية وجمع أموال الجباية وجعل ذخيرته بمدينة قابس وخربت تلك البلاد أثناء ذلك باستيلاء العرب عليها ولم يكن لهم قدرة على منعهم ثم طمع في الاستيلاء على جميع افريقية ووصل يده بيحيى بن غانية اللمتوني الثائر بتلك الناحية بدعوة لمتونة من بقية الامراء في دولتهم فكانت لهما بتلك الناحية آثار مذكورة في أخبار دولة الموحدين الى أن غلبه ابن غانية على ما ملك من تلك البلاد [illegible] له كما هو مذكور في أخبارهم والله أعلم

(استيلاء نور الدين توران شاه بن أيوب على بلاد النوبة ثم على بلاد اليمن)

كان صلاح الدين وقومه على كثرة ارتيابهم من نور الدين وظنهم به الظنون يحاولون ملك القاصية عن مصر ليمتنعوا بها ان طرقهم منه حادث أو عزم على المسير اليهم في مصر

فصرفوا عزمهم في ذلك الى بلاد النوبة أو بلاد اليمن وتجهز شمس الدولة توران شاه ابن أيوب وهو اخو صلاح الدين الاكبر الى ملك النوبة وسار اليها في العساكر سنة ثمان وستين وحاصر قلعة من ثغورهم ففتحها واختبرها فلم يجد فيها خرجا ولا في البلاد باسرها جباية وأقواتهم الذرة وهم في شظف من العيش ومعاناة للفتن فاقتصر على ما فتحه من ثغورهم وعاد في غنيته بالعبيد والجواري فلما وصل الى مصر أقام بها قليلا وبعثه صلاح الدين الى اليمن وقد كان غلب عليه علي بن مهدي الخارجي سنة أربع وخمسين وصار أمره الى ابنه عبد النبي وكرسي ملكه زبيد منها وفي عدن ياسر بن بلال بقية ملوك بني الزريع وكان عمارة اليمني شاعر العبيدي وصاحب بني زريك من أمرائهم وكان أصله من اليمن وكان في خدمة شمس الدولة ويغريه به فسار اليه شمس الدولة بعد ان تجهز وأزاح العلل واستعد للمال والعيال وسار من مصر منتصف سنة تسع وستين ومر بمكة وانتهى الى زبيد وبها ملك اليمن عبد النبي بن علي بن مهدي فبرز اليه وقاتله فانهزم واعتصم بالبلد وزحفت عساكر شمس الدولة فتسنموا أسوارها وملكوها عنوة واستباحوها وأسروا عبد النبي وزوجته وولى شمس الدولة على زبيد مبارك بن كامل ابن منقذ من أمراء شيزر كان في جملته ودفع اليه عبد النبي ليستخلص منه الاموال فاستخرج من قرابته دفائن كانت فيها أموال جليلة ودلتهم زوجته الحرة على ودائع استولوا منها على أموال جمة وأقيمت الخطبة العباسية في زبيد وسار شمس الدولة توران شاه الى عدن وبها ياسر بن بلال كان أبوه بلال بن جرير مستبدا بها على مواليه بني الزريع وورثها عنه ابنه ياسر فسار ياسر للقائه فهزمه شمس الدولة وسارت عساكره الى البلد فملكوها وجاؤا بياسر أسيرا الى شمس الدولة فدخل عدن وعبد النبي معه في الاعتقال واستولى على نواحيها وعاد الى زبيد ثم سار الى حصون الجبال فملك تعزوهي من أحصن القلاع وحصن التعكر والجند وغيرها من المعاقل والحصون وولى على عدن عز الدولة عثمان بن الزنجيلي واتخذ زبيد سببا للملك ثم استوخمها وسار في الجبال ومعه الاطباء يتخير مكانا صحيح الهواء للسكنى فوقع اختيارهم على تعز فاختط هنالك مدينة واتخذها كرسيا للملك وبقيت لبنيه ومواليهم بني رسول كما نذكره في أخبارهم والله تعالى ولي التوفيق

(واقعة عمارة ومقتله)

كان جماعة من شيعة العلويين بمصر منهم عمارة بن أبي الحسن اليمني الشاعر وعبد الصمد الكاتب والقاضي العويدس وابن كامل وداعي الدعاة وجماعة من الجند وحاشية القصر اتفقوا على استدعاء الافرنج من صقلية وسواحل الشأم وبذلوا لهم

الاموال على أن يقصدوا مصر فان خرج صلاح الدين للقائهم بالعساكر ثار هؤلاء بالقاهرة وأعادوا الدولة العبيدية ولا فلا بد له ان أقام من بعث عساكره لمدافعة الافرنج فينفردون به و يقبضون عليه وواطأهم على ذلك جماعة من أمراء صلاح الدين وتحينوا لذلك غيبة أخيه توران شاه باليمن وثقوا بأنفسهم وصدقوا توهماتهم ورتبوا وظائف الدولة وخططها وتنازع في الوزارة بنو رزيك وبنو شاور وكان على ابن نجي الواعظ ممن داخلهم في ذلك فأطلع صلاح الدين هو في الباطن اليهم ونمى الخبر الى صلاح الدين من عيونه ببلاد الافرنج فوضع على الرسول عنده عيونا جاؤه بجلية خبره فقبض حينئذ عليهم وقيل ان على بن نجي أنمى خبرهم الى القاضي فأوصله الى صلاح الدين ولما قبض عليهم صلاح الدين أمر بصلبهم ومر عمارة ببيت القاضي وطلب لقاءه فلم يسعفه وأنشد البيت المشهور

عبد الرحيم قد احتجب * ان الخلاص هو العجب

ثم صلبوا جميعا ونودى في شيعة العلويين بالخروج من ديار مصر الى الصعيد واحتيط على سلالة العاضد بالقصر وجاء الافرنج بعد ذلك من صقلية الى الاسكندرية كما يأتي خبره ان شاء الله تعالى والله أعلم

(وصول الافرنج من صقلية الى الاسكندرية)

لما وصلت رسل هؤلاء الشيعة الى الافرنج بصقلية تجهزوا وبعثوا مراكبهم مائتي اسطول للمقاتلة فيها خمسون ألف رجل وألفان وخمسمائة فارس وثلاثون مركبا للخيول وستة مراكب لآلة الحرب وأربعون للازواد وتقدم عليهم ابن عم الملك صاحب صقلية و وصلوا الى ساحل الاسكندرية سنة سبعين وركب أهل البلد الاسوار وقاتلهم الافرنج ونصبوا الآلات عليها وطار الخبر الى صلاح الدين بمصر ووصلت الامراء الى الاسكندرية من كل جانب من نواحيها وخرجوا في اليوم الثالث فقاتلوا الافرنج فظفروا عليهم ثم جاءهم البشير آخر النهار بمجيء صلاح الدين فاهتاجوا للحرب وخرجوا عند اختلاط الظلام فكبسوا الافرنج في خيامهم بالسواحل وتبادروا الى ركوب البحر فتقسموا بين القتل والغرق ولم ينج الا القليل واعتصم منهم نحو من ثلثمائة برأس رابية هنالك الى أن أصبحوا فقتل بعضهم وأسر الباقون وأقلعوا بأساطيلهم راجعين والله تعالى أعلم

(واقعة كنز الدولة بالصعيد)

كان أمير العرب بنواحي اسوان يلقب كنز الدولة وكان شيعة للعلوية بمصر وطالت

أيامه واشتهر ولما ملك صلاح الدين قسم الصعيد اقطاعا بين أمرائه وكان أخو أبي الهيجاء السمين من أمرائه واقطاعه في نواحيهم فعصى كنز الدولة سنة سبعين واجتمع اليه العرب والسودان وهجم على أخي أبي الهيجاء السمين في اقطاعه فقتله وكان أبو الهيجاء من أكابر الامراء فبعثه صلاح الدين لقتال الكنز وبعث معه جماعة من الامراء والتف له الجند فساروا الى اسوان ومرّوا بصدد فحاصروا بها جماعة وظفروا بهم فاستلحموهم ثم ساروا الى الكنز فقاتلوه وهزموه وقتل واستلحم جميع أصحابه وأمنت بلاد اسوان والصعيد والله تعالى ولي التوفيق

(استيلاء صلاح الدين على قواعد الشأم بعد وفاة العادل نور الدين)

كان صلاح الدين كما قدمناه قائما في مصر بطاعة العادل نور الدين محمود بن زنكي ولما توفي سنة تسع وستين ونصب ابنه الصالح اسمعيل في كفالة شمس الدين محمد بن عبد الملك المقدم وبعث اليه صلاح الدين بطاعته ونقم عليهم انهم لم يردوا الامر اليه وسار غازي صاحب الموصل بن قطب الدين مودود بن زنكي الى بلاد نور الدين التي بالجزيرة وهي نصيبين والخابور وحران والرها والرقة فملكها ونقم عليه صلاح الدين أنهم لم يخبروه حتى يدافعه عن بلادهم وكان الخادم سعد الدين كمشتكين الذي ولاه نور الدين قلعة الموصل وأمر سيف الدين غازي بطاعته بأموره قد لحق عند وفاة نور الدين بحلب وأقام بها عند شمس الدين علي بن الداية المستبد بها بعد نور الدين فبعثه ابن الداية الى دمشق في عسكر ليجيء بالملك الصالح الى حلب لمدافعة سيف الدين غازي فنكروه أولا وطردوه ثم رجعوا الى هذا الرأي وبعثوا عنه فسار مع الملك الصالح الى حلب ولحين دخوله قبض على ابن الداية وعلى مقدمي حلب واستبد بكفالة الصالح وخاف الامراء بدمشق وبعثوا الى سيف الدين غازي ليملكوه فظنها مكيدة من ابن عمه وامتنع عليهم وصالح ابن عمه على ما أخذ من البلاد فبعث أمراء دمشق الى صلاح الدين وتولى كبر ذلك ابن المقدم فبادر الى الشأم وملك بصرى ثم سار الى دمشق فدخلها في منسلخ ربيع سنة سبعين وخمسمائة ونزل دار أبيه المعروفة بالعقيقي وبعث القاضي كمال الدين ابن الشهرزوري الى ريحان الخادم بالقلعة انه على طاعة الملك الصالح وفي خدمته وما جاء الا لنصرته فسلم اليه القلعة وملكها واستخلف على دمشق أخاه سيف الاسلام طغركين وسار الى حمص وبها والٍ من قبل الامير مسعود الزعفراني وكانت من أعماله فقاتلها وملكها وحاصر عسكر القتال قلعتها وسار الى حماة مظهرا لطاعة الملك الصالح وارتجاع ما أخذ من بلاده بالجزيرة وبعث بذلك الى صاحب

قلعتها خرديك واستخلفه وسار الى الملك الصالح ليجمع الكلمة و يطابق أولاد الداية
واستخلف على قلعة حماة أخاه ولما وصل الى حلب حبسه كمشتكين الخادم ووصل
الخبر الى أخيه بقلعة حماة فسلمها لصلاح الدين وسار الى حلب فحاصرها ثالث جمادى
الاخيرة واستمات أهلها فى المدافعة عن الصالح وكان بحلب سمند صاحب
طرابلس من الافرنج محبوسا منذ أسره نور الدين على حارم سنة تسع وخمسين فأطلقه
كمشتكين على مال وأسرى بيده وتوفى نور الدين أول السنة وخلف ابناه محذوما فكفله
سمند واستولى على ملكهم فلما حاصر صلاح الدين حلب بعث كمشتكين الى سمند يستنجده
فسار الى حمص ونزلها فسار اليه صلاح الدين وترك حلب وسمع الافرنج بمسيره
فرحلوا عن حمص ووصل هو اليها عاشر رجب فحاصر قلعتها وملكها آخر شعبان من
السنة ثم سار الى بعلبك و بها يمن الخادم من أيام نور الدين فحاصره حتى استأمن اليه
وملكها رابع رمضان من السنة وصار بيده من الشأم دمشق وحماة وبعلبك ولما
استولى صلاح الدين على هذه البلاد من أعمال الملك الصالح كتب الصالح الى ابن عمه
سيف الدين غازى صاحب الموصل يستنجده على صلاح الدين فأنجده بعساكره مع
أخيه عز الدين مسعود وصاحب جيشه عز الدين زلفندار وسارت معهم عساكر حلب
وساروا جميعا لمحاربة صلاح الدين و بعث صلاح الدين الى سيف الدين غازى أن يسلم
لهم حمص وحماة و يبقى بدمشق نائبا عن الصالح فأبى الا ارتجاعها جميعها فسار صلاح الدين
الى العساكر ولقيهم آخر رمضان بنواحى حماة فهزمهم وغنم ما معهم واتبعهم الى حلب
وحاصرها وقطع خطبة الصالح ثم صالحوه على ما بيده من الشأم فأجابهم ورحل عن
حلب لعشرين من شوّال وعاد الى حماة وكان فخر الدين مسعود بن الزعفرانى من
الامراء النورية وكانت ماردين من أعماله مع حمص وحماة وسلمية وتل خالد والرها
فلما ملك أقطاعه هذه اتصل به فلم ير نفسه عنده كما ظن ففارقه فلما عاد صلاح الدين من
حصار حلب الى حماة سار الى بعوص واستأمن اليه واليها فملكها وعاد الى حماة
فأقطعها خاله شهاب الدين محمود وأقطع حمص ناصر الدولة بن شيركوه وأقطع
بعلبك شمس الدين ابن المقدم ودمشق الى عماد والله تعالى ولى التوفيق بمنه وكرمه

واقعة صلاح الدين مع الملك الصالح وصاحب الموصل وما ملك من الشأم بعد انهزامهما

ثم سار سيف الدين غازى صاحب الموصل فى سنة احدى وسبعين بعد انهزام أخيه
وعساكره واستقدم صاحب كيفا وصاحب ماردين وسار فى ستة آلاف فارس وانتهى

الى نصيبين فى ربيع من السنة فشتى بها حتى ضجرت العساكر من طول المقام وصار الى حلب فخرجت اليه عساكر الملك الصالح مع كمشتكين الخادم وسار صلاح الدين من دمشق للقائهم فلقيهم قبل السلطان فهزمهم واتبعهم الى حلب وعبر سيف الدين الفرات منهزما الى الموصل وترك أخاه عز الدين بحلب واستولى صلاح الدين على مخلفهم وسار الى مراغة فملكها وولى عليها ثم الى منبج وبها قطب الدين نيال بن حسان المنبجى وكان حنقا عليه لقبح آثاره فى عداوته فلحق بالموصل وولاه غازى مدينة الرقة ثم سار صلاح الدين الى قلعة عزاز فحاصرها أوائل ذى القعدة من السنة أربعين يوما وشد حصارها فاستأمنوا اليه فملكها ثانى الاضحى من السنة وثب عليه فى بعض أيام حصارها باطنى من الفداوية فضربه وكان مسلحا فأمسك يد الفداوى حتى قتل وقتل جماعة كانوا معه لذلك ورحل صلاح الدين بعد الاستيلاء على قلعة عزاز الى حلب فحاصرها وبها الملك الصالح واعصوصب عليه أهل البلد واستماتوا فى المدافعة عنه ثم ترددت الرسل فى الصلح بينهما وبين صاحب الموصل وكيفا وصاحب ماردين فانعقد بينهم فى محرم سنة ثنتين وتسعين وعاد صلاح الدين الى دمشق بعد أن رد قلعة عزاز الى الملك الصالح بوسيلة أخته الصغيرة خرجت الى صلاح الدين زائرة فاستوهبته قلعة عزاز فوهبها لها والله تعالى أعلم

(مسير صلاح الدين الى بلاد الاسماعيلية)

ولما رحل صلاح الدين عن حلب وقد وقع من الاسماعيلية على حصن عزاز ما وقع قصد بلادهم فى محرم سنة ثنتين وتسعين ونهبها وخربها وحاصر قلعة يامبان ونصب عليها المجانيق وبعث سنان مقدم الاسماعيلية بالشام الى شهاب الدين الحارمى خال صلاح الدين بحماة يسأله الشفاعة فيهم ويتوعده بالقتل فشفع فيهم وأرحل العساكر عنهم وقدم عليه أخوه توران شاه من اليمن بعد فتحه واظهار دعوتهم فيه وولى على مدنه وامصاره فاستخلفه صلاح الدين على دمشق وسار الى مصر لطول عهده بها أبوالحسن ابن سنان بن عثمان بن محمد ولما وصل اليها أمر بادارة سور على مصر القاهرة والقلعة التى بالجبل دوره تسعة وعشرون ألف ذراع ثلثمائة ذراع بالهاشمى واتصل العمل فيه الى أن مات صلاح الدين وكان متولى النظر فيه مولاه قراقوش والله تعالى ولى التوفيق عنه

(غزوات بين المسلمين والافرنج)

كان شمس الدين محمد بن المقدم صاحب بعلبك وأغار جمع من الافرنج على البقاع من

أعمال حلب فسار اليهم وأكمن لهم في الغياض حتى نال منهم وفتك فيهم وبعث الى صلاح الدين بمائتي أسير منهم وقارن ذلك وصول شمس الدولة توران شاه بن أيوب من اليمن فبلغه أن جمعا من الافرنج أغاروا على أعمال دمشق فسار اليهم واقيهم بالمروج فلم يثبت وهزموه وأسر سيف الدين أبو بكر بن السلار من أعيان الجند بدمشق وتجاسر الافرنج على تلك الولاية ثم اعتزم صلاح الدين على غزو بلاد الافرنج فبعثوا في الهدنة وأجابهم اليها وعقدلهم والله تعالى ولي التوفيق

(هزيمة صلاح الدين بالرملة أمام الافرنج)

ثم سار صلاح الدين من مصر في جمادى الاولى سنة ثلاث وسبعين الى ساحل الشأم لغزو بلاد الافرنج وانتهى الى عسقلان فاكتسح أعمالها ولم ير للافرنج خبرا فانساحوا في البلاد وانقلبوا الى الرملة فاراعهم الا الافرنج مقبلين في جموعهم وابطالهم وقد افترق أصحاب صلاح الدين في السرايا فثبت في موقفه واشتد القتال وأبلى يومئذ محمد ابن أخيه في المدافعة عنه وقتل من أصحابه جماعة وكان لتقي الدين بن شاه ابن اسمه أحمد متكامل الخلال لم يطر شاربه فأبلى يومئذ واستشهد وتمت الهزيمة على المسلمين وكان بعض الافرنج تخلصوا الى صلاح الدين فقتل بين يديه وعاد منهزما واسر الفقيه عيسى الهكاري بعد ان أبلى يومئذ بلاء شديدا وسار صلاح الدين حتى غشيه الليل ثم دخل البرية في فل قليل الى مصر ولحقهم الجهد والعطش ودخل الى القاهرة منتصف جمادى الاخيرة قال ابن الاثير ورأيت كتابه الى أخيه توران شاه بدمشق يذكر الواقعة

ذكرتك والخطي يخطر بيننا * وقد نهلت فينا المثقفة السمر

ومن فصوله لقد أشرفنا على الهلاك غير مرة وما نجانا الله سبحانه منه الا لأمر يريده وماثبتت الا وفي نفسها أمر انتهى وأما السرايا التي دخلت بلاد الافرنج فتقسمهم القتل والاسر وأما الفقيه عيسى الهكاري فلما ولى منهزما ومعه أخوه الظهير ضل عن الطريق ومعهما جماعة من أصحابهما فأسروا وفداه صلاح الدين بعد ذلك بستين ألف دينار والله تعالى أعلم

(حصار الافرنج مدينة حماة)

ثم وصل في جمادى الاولى الى ساحل الشأم زعيم من طواغيت الافرنج وقارن وصوله هزيمة صلاح الدين وعاد الى دمشق يومئذ توران شاه بن أيوب في قلة من العسكر وهو مع ذلك منهمك في لذاته فسار ذلك الزعيم بعد ان جمع فرنج الشأم وبذل لهم العطاء فحاصر مدينة حماة وبها شهاب الدين محمود الحارمي خال صلاح الدين مريضا وشد

حصارها وقتالها حتى أشرف على أخذها وهجموا يوما على البلد وملكوا ناحية منه فدافعهم المسلمون وأخرجوهم ومنعوا حماتهم فافرجوا عنها بعد أربعة أيام وساروا الى حارم فحاصروها ولما رحلوا عن حماة مات شهاب الدين الحارمى ولم يزل الافرنج على حارم يحاصرونها وأطمعهم فيها ما كان من نكبة الصالح صاحب حلب لكمستكين الخادم كافل دولته ثم صانعهم بالمال فرحلوا عنها ثم عاد الافرنج الى مدينة حماة فى ربيع سنة أربع وسبعين فعاثوا فى نواحيها واكتسحوا أعمالها وخرج العسكر حامية البلد اليهم فهزموهم واستردوا ما أخذوا من السواد وبعثوا بالرؤس والاسرى الى صلاح الدين وهو بظاهر حمص منقلبا من الشأم فأمر بقتل الاسرى والله تعالى ولى التوفيق

(انتقاض ابن المقدم ببعلبك وفتحها)

كان صلاح الدين لما ملك بعلبك استخلف فيها شمس الدين محمد بن عبد الملك المقدم جزاء بما فعله فى تسليم دمشق وكان شمس الدولة محمد أخو صلاح الدين ناشئا فى ظل أخيه وكفالته فكان يميل اليه وطلب منه أقطاع بعلبك فأمر ابن المقدم بتمكينه منها فأبى وذكره عهده فى أمر دمشق فسار ابن المقدم الى بعلبك وامتنع فيها ونازلته العساكر فامتنع وطاولوه حتى بعث الى صلاح الدين يطلب العوض فعوضه عنها وسار أخوه شمس الدين اليها فملكها والله تعالى ولى التوفيق

(وقائع مع الافرنج)

وفى سنة أربع وسبعين سار ملك الافرنج فى عسكر عظيم فأغار على أعمال دمشق واكتسحها وأثخن فيها قتلا وسبيا وأرسل صلاح الدين فرخشاه ابن أخيه فى العساكر لمدافعته فسار يطلبهم ولقيهم على غير استعداد فقاتل أشد القتال ونصر الله المسلمين وقتل جماعة من زعماء الافرنج منهم هنفرى وكان يضرب به المثل ثم أغار البرنس صاحب انطاكية واللاذقية على سرح المسلمين بشيزر وكان صلاح الدين على بانياس لتخريب حصن الافرنج بمخاضة الاضرار فبعث تقى الدين عمر ابن أخيه شاهنشاه وناصر الدين محمدا الى حمص لحماية البلد من العدو كما نذكره ان شاء الله تعالى

(تخريب حصن الافرنج)

كان الافرنج قد اتخذوا حصنا منيعا بقرب بانياس عند بيت يعقوب عليه السلام ويسمى مكانه مخاضة الاضرار فسار صلاح الدين من دمشق الى بانياس سنة خمس وسبعين وأقام بها وبث فيها الغارات على بلادهم ثم سار الى الحصن فحاصره ليختبره وعاد عنه الى اجتماع العساكر وبث السرايا فى بلاد الافرنج للغارة وجاء ملك الافرنج للغارة

على سريته ومعه جماعة من عساكره فبعثوا الى صلاح الدين بالخبر فوافاهم وهم يقتتلون فهزم الافرنج وأثخن فيهم ونجا ملكهم فى فل وأسر صاحب الرملة ونابلس منهم وكان رديف ملكهم وأسر أخو صاحب جبيل وطبرية ومقدم الفداوية ومقدم الاسبتارية وغيرهم من طواغيتهم وفادى صاحب الرملة نفسه وهو ارتبرزان بمائة وخمسين ألف دينار صورية وألف أسير من المسلمين وأبلى فى هذا اليوم عز الدين فرخشاه ابن أخى صلاح الدين بلاء حسنا ثم عاد صلاح الدين الى بانياس وبث السرايا فى بلاد الافرنج وسار لحصار الحصن فقاتله قتالا شديدا وتسنم المسلمون سوره حتى ملكوا برجا منه وكان مدد الافرنج بطبرية والمسلمون يرتقبون وصولهم فأصبحوا من الغد ونقبوا السور وأضرموا فيه النار فسقط وملك المسلمون الحصن عنوة آخر ربيع سنة خمس وسبعين وأسروا كل من فيه وأمر صلاح الدين بهدم الحصن فالحق بالارض وبلغ الخبر الى الافرنج وهم مجتمعون بطبرية لامداده فافترقوا وانهزم الافرنج والله سبحانه وتعالى أعلم

(الفتنة بين صلاح الدين وقليج ارسلان صاحب الروم)

كان حصن رعبان من شمالى حلب قد ملكه نور الدين العادل بن قليج ارسلان صاحب بلاد الروم وهو بيد شمس الدين ابن المقدم فلما انقطع حصن رعبان عن ايالة صلاح الدين وراء حلب طمع قليج ارسلان فى استرجاعه فبعث اليه عسكرا يحاصرونه وبعث صلاح الدين تقى الدين ابن أخيه فى عسكر لمدافعتهم فلقيهم وهزمهم وعاد الى عمه صلاح الدين ولم يحضر معه تخريب حصن الاضرار وكان نور الدين محمود بن قليج ارسلان بن داود صاحب حصن كيفا وآمد وغيرهما من ديار بكر قد فسد ما بينه وبين قليج ارسلان صاحب بلاد الروم بسبب اضراره بابنته وزواجه عليها واعتزم قليج ارسلان على حربه وأخذ بلاده فاستنجد نور الدين بصلاح الدين وبعث الى قليج ارسلان يشفع فى شأنه فطلب استرجاع حصونه التى أعطاها لنور الدين عند المصاهرة ولج فى ذلك صلاح الدين على قليج وسار الى رعبان ومر بحلب فتركها ذات الشمال وسلك على تل باشر ولما انتهى الى رعبان جاءه نور الدين محمود وأقام عنده وارسل اليه قليج ارسلان يصف فعل نور الدين واضراره بابنته فلما أدى الرسول رسالته امتعض صلاح الدين وتوعدهم بالمسير الى بلده فتركه الرسول حتى سكن وغدا عليه فطلب الخلوة وتلطف له فى فسخ ما هو فيه من ترك الغزو ونفقة الاموال فى هذا الغرض الحقير وان بنت قليج ارسلان يجب على مثلك من الملوك الامتعاض لها ولا تترك لضارة من دونها فعلم صلاح الدين الحق فيما قاله وقال للرسول ان نور الدين استند الى فعلك فاصلح الامر بينهما وأنا معين على ما تحبونه

جميعا ففعل الرسول ذلك وأصلح بينهما وعاد صلاح الدين الى الشأم ونور الدين محمود الى ديار بكر وطلق ضرة بنت قليج ارسلان للأجل الذى أجله للرسول والله تعالى أعلم

(مسير صلاح الدين الى بلاد ابن اليون)

كان قليج بن اليون من ملوك الارض صاحب الدروب المجاورة لحلب وكان نور الدين محمود قد استخدمه وأقطع له فى الشأم وكان يعسكر معه وكان يجوبا على صاحب القسطنطينية وملك اذنة والمصيصة وطرسوس من يد الروم وكانت بينهما من أجل ذلك حروب ولما توفى نور الدين وانقضت دولته أقام ابن اليون فى بلاده وكان التركمان يحتاجون الى رعى مواشيهم بارضه على حصانتها وصعوبة مضايقها وكان يأذن لهم فيدخلونها وغدر بهم فى بعض السنين واستباحهم واستاق مواشيهم وبلغ الخبر الى صلاح الدين منصرفه من رعبان فقصد بلده ونزل النهر الاسود وبث الغارات فى بلادهم واكتسحها وكان لابن اليون حصن وفيه ذخيرته فخشى عليه فقصد تخريبه وسابقه اليه صلاح الدين فغنم ما فيه وبعث اليه ابن اليون برد ما أخذ من التركمان واطلاق أسراهم على الصلح والرجوع عنه فأجابه الى ذلك وعاد عنه فى منتصف سنة خمس وسبعين والله تعالى يؤيد بنصره من يشاء من عباده

(غزوة صلاح الدين الى الكرك)

كان البرنس ارناط صاحب الكرك من مردة الافرنج وشياطينهم وهو الذى اختط مدينة الكرك وقلعتها ولم تكن هنالك واعتزم على غزو المدينة النبوية على ساكنها أفضل الصلاة وأتم السلام وسمع عز الدين فرخشاه بذلك وهو بدمشق فجمع وسار الى الكرك سنة سبع وسبعين واكتسح نواحيه وأقام ليشغله عن ذلك الغرض حتى انقطع أمله وعاد الى الكرك فعاد فرخشاه الى دمشق والله تعالى أعلم بغيبه

(مسير سيف الاسلام طغركين بن أيوب الى اليمن والياء عليها)

قد كان تقدم لنا فتح شمس الدولة توران شاه لليمن واستيلاؤه عليه سنة ثمان وستين وأنه ولى على زبيد مبارك بن كامل بن منقذ من أمراء شيزر وعلى عدن عز الدولة عثمان الزنجيلى واختط مدينة تعز فى بلاد اليمن واتخذها كرسيا للملك ثم عاد الى أخيه سنة اثنتين وسبعين وأدركه منصرفا من حصار حلب فولاه على دمشق وسار الى مصر ثم ولاه أخوه صلاح الدين بعد ذلك مدينة الاسكندرية وأقطعه اياها مضافة الى أعمال اليمن وكانت الاموال تحمل اليه من زبيد وعدن وسائر ولايات اليمن ومع ذلك فكان عليه دين قريب من مائتى ألف دينار مصرية وتوفى سنة ست وسبعين فقضاها عنه

صلاح الدين ولما بلغه خبر وفاته سار الى مصر واستخلف على دمشق عز الدين فرخشاه ابن شاهنشاه وكان سيف الدين مبارك بن كامل بن منقذ الكنانى نائبه بزبيد قد تغلب فى ولايته وتحكم فى الاموال فنزع الى وطنه واستأذن شمس الدولة قبل موته فأذن له فى المجئ . واستأذن أخاه حطان بن زبيد وأقام مع شمس الدولة حتى اذا مات بقى فى خدمة صلاح الدين وكان محتشما فسعى فيه عنده أنه احتجز أموال اليمن ولم يعرض له فتحيل اعداؤه عليه وكان ينزل بالعدوية قرب مصر فصنع فى بعض الايام صنيعا دعى اليه أعيان الدولة واختلف مواليه وخدامه الى مصر فى شراء حاجتهم فتحيلوا لصلاح الدين انه هارب الى اليمن فتمت حيلتهم فقبض عليه ثم ضاق عليه الحال وصابره على ثمانين ألف دينار مصرية سوى ما أعطى لاهل الدولة فأطلقه وأعاده الى منزلته فلما بلغ شمس الدين الى اليمن اختلف نوابه بها حطان بن منقذ وعثمان بن الزنجيلى وخشى صلاح الدين أن تخرج اليمن عن طاعته فجهز جماعة من امرائه الى اليمن مع صارم الدين قطلغ أبيه والى مصر من أمرائه فساروا الى ذلك سنة سبع وسبعين واستولى قطلغ أبيه على زبيد من حطان بن منقذ ثم مات قريبا فعاد حطان الى زبيد وأطاعه الناس وقوى على عثمان الزنجيلى فكتب عثمان الى صلاح الدين أن يبعث بعض قرابته فجهز صلاح الدين أخاه سيف الاسلام طغركين فسار الى اليمن وخرج حطان بن منقذ من زبيد وتحصن فى بعض القلاع ونزل سيف الاسلام زبيد وبعث الى حطان بالامان فنزل اليه وأولاه الاحسان ثم طلب اللحاق بالشأم فمنعه ثم ألح عليه فأذن له حتى اذا خرج واحتمل رواحله وجاء ليودعه قبض عليه واستولى على ما معه ثم حبسه فى بعض القلاع فكان آخر العهد به ويقال كان فيما أخذه سبعون حملا من الذهب ولما سمع عثمان الزنجيلى خبر حطان خشى على نفسه وحمل أمواله فى البحر ولحق بالشام وبقيت مراكبه مراكب لسيف الاسلام فاستولى عليها ولم يخلص الا بما كان معه فى طريقه وصفا اليمن لسيف الاسلام والله تعالى أعلم

{ دخول قلعة البيرة فى ايالة صلاح الدين وغزوه الافرنج }
{ وفتح بعض حصونهم مثل السقيف والغرر وبيروت }

كانت قلعة البيرة من قلاع العراق لشهاب الدين بن ارتق وهو ابن عم قطب الدين أبى الغازى بن ارتق صاحب ماردين وكان فى طاعة نور الدين محمود بن زنكى صاحب الشأم ثم مات وملك البيرة بعده ابنه ومات نور الدين فصار الى طاعة عز الدين مسعود صاحب الموصل ثم وقع بين صاحب ماردين وصاحب الموصل من المخالصة والاتفاق ما وقع وطلب من عز الدين أن يأذن له فى أخذ البيرة فأذن له فسار قطب الدين فى عسكره

الى قلعة شميشاط وأقام بها وبعث العسكر الى البيرة وحاصروها وبعث صاحبها يستنجد صلاح الدين ويكون له كما كان أبوه لنور الدين فشفع صلاح الدين الى قطب الدين صاحب ماردين ولم يشفعه وشغل عنه بأمر الافرنج ورحلت عساكر قطب الدين عنها فرجع صاحبها الى صلاح الدين وأعطاه طاعته وعاد في ايالته ثم خرج صلاح الدين من مصر في محرم سنة ثمان وسبعين قاصدا الشام ومر بايلة وجمع الافرنج لاعتراضه فبعث أثقاله مع أخيه تاج الملوك الى دمشق ومال على بلادهم فاكتسح نواحي الكرك والشوبك وعاد الى دمشق منتصف صفر وكان الافرنج لما اجتمعوا على الكرك دخلوا بلادهم من نواحي الشام فخالفهم عز الدين فرخشاه نائب دمشق اليها واكتسح نواحيها وخرب قراها وأثخن فيهم قتلا وسبيا وفتح الشقيف من حصونهم عنوة وكان له نكاية في المسلمين فبعث الى صلاح الدين بفتحه فسر بذلك ثم أراح صلاح الدين بدمشق أياما وسار في ربيع الاول من السنة وقصد طبرية وخيم بالاردن واجتمعت الافرنج على طبرية فسير صلاح الدين فرخشاه ابن أخيه الى بيسان فملكها عنوة واستباحها وأغار على الغور فأثخن فيها قتلا وسبيا وسار الافرنج من طبرية الى جبل كوكب وتقدم صلاح الدين اليهم بعساكره فتحصنوا بالجبل فأمر ابني أخيه تقي الدين عمر وعز الدين فرخشاه ابني شاهنشاه فقاتلوا الافرنج قتالا شديدا ثم تحاجزوا وعاد صلاح الدين الى دمشق ثم سار الى بيروت فاكتسح نواحيها وكان قد استدعى الاسطول من مصر لحصارها فوافاه بها وحاصرها أياما ثم بلغه ان البحر قد قذف بدمياط مركبا للافرنج فيه جماعة منهم جاؤا لزيارة القدس فالقتهم الريح بدمياط وأسر منهم ألف وستمائة أسير ثم ارتحل عن بيروت الى الجزيرة كما نذكره ان شاء الله تعالى

﴿مسير صلاح الدين الى الجزيرة واستيلاؤه على حران﴾ ﴿والرها والرقة والخابور ونصيبين وسنجار وحصار الموصل﴾

كان مظفر الدين كوكبري بن زين الدين كجك الذي كان أبوه نائب القلعة بالموصل مستوليا في دولة مودود وبنيه وانتقل آخرا الى اربل ومات بها وأقطعه عز الدين صاحب الموصل ابنه مظفر الدين وكان هواه مع صلاح الدين ويؤمله ملكه بلاد الجزيرة فراسله وهو محاصر لبيروت وأطمعه في البلاد واستحثه للوصول فسار صلاح الدين عن بيروت موريا بحلب وقصد الفرات ولقيه مظفر الدين وساروا الى البيرة وقد دخل طاعة عز الدين وكان عز الدين صاحب الموصل ومجاهد الدين لما بلغهما مسير صلاح الدين الى الشام ظنوا أنه يريد حلب فساروا للمدافعة فلما عبر الفرات عادوا الى الموصل وبعثوا حامية الى الرها وكاتب صلاح الدين ملوك الاطراف بديار بكر وغيرها

بالوعد بمعاربته ووعد نور الدين محمود صاحب كيفا أنه يملكه آمد ووصل اليه فساروا الى مدينة الرها فحاصروها وبها يومئذ الامير فخر الدين بن مسعود الزعفرانى واشتد عليه القتال فاستأمن الى صلاح الدين وملكه المدينة وحاصر معه القلعة حتى سلمها النائب الذى بها على مال شرطه فأضافها صلاح الدين الى مظفر الدين مع حران وساروا الى الرقة وبها نائبها قطب الدين ينال بن حسان المنبجى ففارقها الى الموصل وملكها صلاح الدين ثم سار الى قرقيسيا وماكسين وعربان وهى بلاد الخابور فاستولى على جميعها وسار الى نصيبين فملك المدينة لوقتها وحاصر القلعة أياما ثم ملكها وأقطعها للامير أبى الهيجاء السمين ثم رحل عنها ونور الدين صاحب كيفا معه معتزما على قصد الموصل وجاءه الخبر بأن الافرنج أغاروا على نواحى دمشق واكتسحوا قراها وأرادوا تخريب جامع داريا فتوعدهم نائب دمشق بتخريب بيعهم وكنائسهم فتركوه فلم يثن ذلك من عزمه وقصد الموصل وقد جمع صاحبها العساكر واستعد للحصار وخلى نائبه فى الاستعداد وبعث الى سنجار واربل وجزيرة ابن عمر فشحنها بالامداد من الرجال والسلاح والاموال وأنزل صاحب الدار عساكره بقربها وتقدم هو ومظفر الدين وابن شيركوه فهالهم استعداد صاحب البلد وأيقنوا بامتناعه وعذل صاحبيه هذين فانهما كانا أشارا بالبداءة بالموصل ثم أصبح صلاح الدين من الغد فى عسكره ونزل عليه أول رجب على باب كندة وأنزل صاحب الحصن بباب الجسر وأخاه تاج الملوك بالباب العمادى وقاتلهم فلم يظفر وخرج بعض الرجال فنالوا منه ونصب منجنيقا فنصبوا عليه من البلد تسعة ثم خرجوا اليه من البلد فأخذوه بعد قتال كثير وخشى صلاح الدين من البيات فتأخر لانه رآهم فى بعض الليالى يخرجون من باب الجسر بالمشاعل ويرجعون وكان صدر الدين شيخ الشيوخ ومشير الخادم قد وصلا من عند الخليفة الناصر فى الصلح وترددت الرسل بينهم فطلب عز الدين من صلاح الدين رد ما أخذه من بلادهم فأجاب على أن يمكنوه من حلب فامتنع فرجع الى ترك مظاهرة صاحبها فامتنع أيضا ثم وصلت أيضا رسل صاحب اذربيجان ورسل شاهرين صاحب خلاط فى الصلح فلم يتم وسار أهل سنجار يعترضون من يقصده من عساكره وأصحابه فأفرج عن الموصل وسار اليها وبها شرف الدين أمير أميران هندو أخو عز الدين صاحب الموصل فى عسكر وبعث اليه مجاهد الدين النائب بعسكر آخر مددا وحاصرها صلاح الدين وضيق عليها واستمال بعض أمراء الاكراد الذين بها من الزوزاوية فواعده من ناحيته وطرقه صلاح الدين فملك البرج الذى فى ناحيته فاستأمن أمير أميران وخرج بعسكره معه الى الموصل وملك صلاح الدين سنجار وولى عليها سعد الدين

ابن معين الذى كان أبوه كامل بن طغركين بدمشق وصارت سنجار من سائر البلاد التى ملكها من الجزيرة وسار صلاح الدين الى نصيبين فشكا اليه أهلها من أبى الهيجاء السمين فعزله عنهم واستصحبه معه وسار الى حران فى ذى القعدة من سنة ثمان وسبعين وفرق عساكره ليستريحوا وأقام فى خواصه وكبار أصحابه والله أعلم

(مسير شاهرمن صاحب خلاط لنجدة صاحب الموصل)

كان عز الدين قد أرسل الى شاهرمن يستنجده على صلاح الدين فبعث اليه عدة رسل شافعا فى أمره فلم يشفعه وغالطه فبعث اليه مولاه آخر اسنقر الدين بكتمر وهو على سنجار يسأله فى الافراج عنها فلم يجبه الى ذلك وسوفه رجاء أن يفتحها فأبلغه بكتمر الوعيد عن مولاه وفارقه مغاضبا ولم يقبل صلته وأغراه بصلاح الدين فسار شاهرمن من مخيمه بظاهر خلاط الى ماردين وصاحبها يومئذ ابن أخته وابن خال عز الدين وصهره على بنته وهو قطب الدين بن نجم الدين وسار اليهم أتابك عز الدين صاحب الموصل وكان صلاح الدين فى حران منصرفه من سنجار وفرق عساكره فلما سمع باجتماعهم استدعى تقى الدين ابن أخيه شاهنشاه من حماة ورحل الى رأس عين فافترق القوم وعاد كل الى بلده وقصد صلاح الدين ماردين فأقام عليها عدة أيام ورجع والله تعالى ولى التوفيق بمنه وكرمه

(واقعة الافرنج فى بحر السويس)

كان البرنس ارناط صاحب الكرك قد أنشأ أسطولا مفصلا وحمل أجزاءه الى صاحب ايلة وركبه على ما تقتضيه صناعة النشابة وقذفه فى السويس وشحنه بالمقاتلة وأقلعوا فى البحر ففرقة أقاموا على حصن ايلة يحاصرونه وفرقة ساروا نحو عيذاب وأغاروا على سواحل الحجاز وأخذوا ما وجدوا بها من مراكب التجار وطرق الناس منهم بلية لم يعرفوها الا أنه لم يعهد ببحر السويس افرنجى محارب ولا تاجر وكان بمصر الملك العادل أبو بكر بن أيوب نائبا عن أخيه صلاح الدين فعمر اسطولا وشحنه بالمقاتلة وسار به حسام الدين لؤلؤ الحاجب قائد الاساطيل بديار مصر فبدأ بأسطول الافرنج الذى يحاصر ايلة فرقهم كل ممزق وبعد الظفر بهم اقلع فى طلب الآخرين وانتهى الى عيذاب فلم يجدهم فرجع الى رابغ وأدركهم بساحل الحوراء وكانوا عازمين على طروق الحرمين واليمن والاغارة على الحاج فلما أطل عليهم لؤلؤ بالاسطول أيقنوا بالتغلب وترامو على الحوراء وأسنوا اليها واعتصموا بشعابها ونزل لؤلؤ من مراكبه وجمع خيل الأعراب هنالك وقاتلهم فظفر بهم وقتل أكثرهم وأسر الباقين فأرسل بعضهم

الى منى فقتلوا بها أيام النحر وعاد بالباقين الى مصر والله تعالى يؤيد بنصره من يشاء

(وفاة فرخشاه)

ثم توفى عز الدين فرخشاه بن شاهنشاه أخو صلاح الدين النائب عنه بدمشق وكان خليفته فى أهله ووثوقه به أكثر من جميع أصحابه وخرج من دمشق غازيا الافرنج وطرقه المرض وعاد فتوفى فى جمادى سنة ثمان وسبعين وبلغ خبره صلاح الدين وقد عبر الفرات الى الجزيرة والموصل فأعاد شمس الدين محمد بن المقدم الى دمشق وجعله نائبا فيها واستقل شأنه والله تعالى يورث الملك لمن يشاء من عباده

(استيلاء صلاح الدين على آمد وتسليمها لصاحب كيفا)

قد تقدم لنا مسير صلاح الدين الى ماردين واقامته عليها أياما من نواحيها ثم ارتحل عنها الى آمد كما كان العهد بينه وبين نور الدين صاحب كيفا فنازلها منتصف ذى الحجة وبها بهاء الدين بن بيسان فحاصرها وكانت غاية فى المنعة وأساء ابن بيسان التدبير وقبض يده عن العطاء وكان أهلها قد ضجروا منه لسوء سيرته وتضييقه عليهم فى مكاسبهم وكتب اليهم صلاح الدين بالترغيب والترهيب فتخاذلوا عن ابن بيسان وتركوا القتال معه ونقب السور من خارج بيت ابن بيسان وأخرج نساءه مع القاضى الفاضل يستميل اليه صلاح الدين ويؤجله ثلاثة أيام للرحلة فأجابه صلاح الدين وملك البلد فى عاشوراء سنة تسع وسبعين وبنى خيمة بظاهر البلد ينقل اليها ذخيرته فلم يلتفت الناس اليه وتعذر عليه أمره فبعث الى صلاح الدين يسأله الاعانة فامر له بالدواب والرجال فنقل فى الايام الثلاثة كثيرا من موجوده ومنع بعد انقضاء الاجل عن نقل مابقى ولما ملكها صلاح الدين سلمها لنور الدين صاحب كيفا وأخبر صلاح الدين بما فيها من الذخائر لينقلها لنفسه فأبى وقال ما كنت لاعطى الاصل وأبخل بالفرع ودخل نور الدين البلد ودعا صلاح الدين وأمراءه الى صنيع صنعه لهم وقدم لهم من التحف والهدايا ما يليق بهم وعاد صلاح الدين والله تعالى أعلم

(استيلاء صلاح الدين على تل خالد وعنتاب)

ولما فرغ صلاح الدين من آمد سار الى أعمال حلب فحاصر تل خالد ونصب عليه المجانيق حتى تسلمه بالامان فى محرم سنة تسع وسبعين ثم سار الى عنتاب فحاصرها وبها ناصر الدين محمد أخو الشيخ اسمعيل الذى كان خازن نور الدين العادل وصاحبه وهو الذى ولاه عليها فطلب من صلاح الدين أن يقرها بيده ويكون فى طاعته فأجابه الى ذلك وحلف له وسار فى خدمته وغنم المسلمون خلال ذلك مغانم فيها فى البحر سار اسطول

مصر فالتقى في البحر مركباً فيها نحو ستمائة من الافرنج بالسلاح والاموال قاصدون الافرنج بالشأم فظفروا بهم وغنموا ما معهم وعادوا الى مصر سالمين ومنها في البر أغار الداروين جماعة من الافرنج ولحقهم المسلمون بايلة واتبعوهم الى العسيلة وعطش المسلمون فانزل الله تعالى عليهم المطر حتى رووا وقاتلوا الافرنج فظفروا بهم هنالك واستلحموهم واستقاموا معهم وعادوا سالمين الى مصر والله أعلم

* (استيلاء صلاح الدين على حلب وقلعة حارم) *

كان الملك الصالح اسمعيل بن نور الدين العادل صاحب حلب لم يبق له من الشأم غيرها وهو يدافع صلاح الدين عنها فتوفي منتصف سنة سبع وسبعين وعهد لابن عمه عز الدين صاحب الموصل وسار عز الدين صاحب الموصل مع نائبه مجاهد الدين قايماز اليها فملكها ثم طلبها منه أخوه عماد الدين صاحب سنجار على أن يأخذ عنها سنجار فأجابه الى ذلك وأخذ عز الدين سنجار وعاد الى الموصل وسار عماد الدين الى حلب فملكها وعظم ذلك على صلاح الدين وخشي أن يسير منها الى دمشق وكان بمصر فسار الى الشأم وسار منها الى الجزيرة وملك ما ملك منها وحاصر الموصل ثم حاصر آمد وملكها ثم سار الى أعمال حلب كما ذكرناه فملك تل خالد وعنتاب ثم سار الى حلب وحاصرها في محرم سنة تسع وسبعين ونزل الميدان الاخضر أياما ثم انتقل الى جبل جوشق وأظهر البقاء عليها وهو يغاديها القتال ويراوحها وطلب عماد الدين جنده في العطاء وضايقوه في تسليم حلب لصلاح الدين وأرسل اليه في ذلك الامير طومان الياروقي وكان يميل الى صلاح الدين فشارطه على سنجار ونصيبين والرقة والخابور وينزل له عن حلب وتحالفوا على ذلك وخرج عنها عماد الدين ثامن عشر صفر من السنة الى هذه البلاد ودخل صلاح الدين حلب بعد ان شرط على عماد الدين أن يعسكر معه متى عاد ولما خرج عماد الدين الى صلاح الدين صنع له دعوة احتفل فيها وانصرف وكان فيمن هلك في حصار حلب تاج الملوك نور الدين أخو صلاح الدين الاصغر أصابته جراحة فمات منها بعد الصلح وقبل أن يدخل صلاح الدين البلد ولما ملك صلاح الدين حلب سار الى قلعة حارم وبها الامير طرخك من موالي نور الدين العادل وكان عليها ابنه الملك الصالح فحاصره صلاح الدين ووعده وترددت الرسل بينهم وهو يمتنع وقد أرسل الى الافرنج يدعوهم للانجاد وسمع بذلك الجند الذين معه فوثبوا به وحبسوه واستأمنوا الى صلاح الدين فملك الحصن وولى عليه بعض خواصه وقطع تل خالد الياروقي صاحب تل باشر وأما قلعة عزاز فان عماد الدين اسمعيل كان خربها فاقطعها صلاح الدين سليمان بن جسار وأقام بحلب الى أن قضى جميع أشغالها وأقطع أعمالها وسار الى

دمشق والله تعالى أعلم

(غزوة بيسان)

ولما فرغ صلاح الدين من أمر حلب ولى عليها ابنه الظاهر غازى ومعه الامير سيف الدين يازكيج كافلا له لصغره وهو أكبر الامراء الاسدية وسار الى دمشق فتجهز للغزو وجمع عساكر الشام والجزيرة وديار بكر وقصد بلاد الافرنج فعبر الاردن منتصف سبع وسبعين وأجفل أهل تلك الاعمال أمامه فقصد بيسان وخربها وحرقها وأغار على نواحيها واجتمع الافرنج له فلما رأوه خاموا عن لقائه واستندوا الى جبل وخندقوا عليهم وأقام يحاصرهم خمسة أيام ويستدرجهم للنزول فلم يفعلوا فرجع المسلمون عنهم وأغاروا على تلك النواحى وامتلأت أيديهم بالغنائم وعادوا الى بلادهم والله تعالى ينصر من يشاء من عباده

(غزو الكرك وولاية العادل على حلب)

ولما عاد صلاح الدين من غزوة بيسان تجهز لغزو الكرك وسار فى العساكر واستدعى أخاه العادل أبا بكر بن أيوب من مصر وهو نائبها ليلحق به على الكرك وكان قد سأله فى ولاية حلب وقلعتها فأجابه الى ذلك وأمره أن يجىء بأهله وماله فوافاه على الكرك وحاصروه أياما وملكوا أرباضه ونصبوا عليها المجانيق ولم يكن بالغ فى الاستعداد لحصاره لظنه أن الافرنج يدافعون عنه فأفرج عنه منتصف شعبان وبعث تقى الدين ابن أخيه شاه على نيابة مصر مكان أخيه العادل واستصحب العادل معه الى دمشق فوفاه مدينة حلب ومدينة منبج وما اليها وبعثه بذلك فى شهر رمضان من السنة واستدعى ولده الظاهر غازى من حلب الى دمشق ثم سار فى ربيع الآخر من سنة ثمانين لحصار الكرك بعد ان جمع العساكر واستدعى نور الدين صاحب كيفا وعساكر مصر واستعد لحصاره ونصب المجانيق على ربضه فملكه المسلمون وبقى الحصن وراء خندق بينه وبين الربض عمقه ستون ذراعا وراموا طمه فنضحوهم بالسهام ورموهم بالحجارة فأمر برفع السقف ليمشى المقاتلة تحتها الى الخندق وأرسل أهل الحصن الى ملكهم يستمدونه ويخبرونه بما نزل بهم فاجتمع الافرنج وأوعبوا وساروا اليهم فرحل صلاح الدين للقائهم حتى انتهى الى حزونة الارض ثم أقام ينتظر خروجهم الى البسيط فخاموا عن ذلك فتأخر عنهم فراسخ ومروا الى الكرك وعلم صلاح الدين أن الكرك قد امتنع بهؤلاء فتركه وسار الى نابلس فخربها وحرقها وسار الى سبسطية وبها مشهد زكريا عليه السلام فاستنقذ من وجد بها من أسارى المسلمين ورحل الى جينين فنهبها وخربها

وسار الى دمشق بعد ان بث السرايا فى كل ناحية ونهب كل مامرّ به وامتلأت الايدى من الغنائم وعاد الى دمشق مظفرا والله تعالى أعلم

(حصار صلاح الدين الموصل)

ثم سار صلاح الدين من دمشق الى الجزيرة فى ذى القعدة من سنة ثمان وعبر الفرات وكان مظفر الدين كوكبرى على كثب يستحثه للمسير الى الموصل فى كل وقت وربما وعده بخمسين ألف دينار اذا وصل فلما وصل الى حران لم يف له فقبض عليه ثم خشى معرة أهل الجزيرة فأطلقه وأعاد عليهم حران والرها وسار فى ربيع الاول واقيه نور الدين صاحب كيفا ومعز الدين سنجار شاه صاحب جزيرة ابن عمر وقد انحرف عن عمه عز الدين صاحب الموصل بعد نكبة مجاهد الدين نائبه وساروا كلهم مع صلاح الدين الى الموصل وانتهوا الى مدينة بلد فلقيه هنالك أمّ عز الدين وابنة عمه نور الدين وجماعة من أهل بيته يسألونه الصلح ظنا بأنه لا يردهن وسيما بنت نور الدين واستشار صلاح الدين أصحابه فأشار الفقيه عيسى وعلى بن أحمد المشطوب بردهن وساروا الى الموصل وقاتلوها واستماتت أهلها وامتعضوا لرد النساء فامتنعت عليهم وعاد على أصحابه باللوم فى اشارتهم وجاء زين الدين يوسف صاحب اربل وأخوه مظفر الدين كوكبرى فانزلهما بالجانب الشرقى وبعث على بن أحمد المشطوب الهكارى الى قلعة الجزيرة ليحاصرها فاجتمع عليه الاكراد الهكارية الى أن عاد صلاح الدين عن الموصل وبلغ عز الدين أن نائبه بالقلعة زلقندار يكاتب صلاح الدين فنعه منها وانحرف عنه الى الاقتداء برأى مجاهد الدين وتصدر عنه ثم بلغه خبر وفاة شاهرين صاحب خلاط فطمع صلاح الدين فى ملكها وانه يستعين بها على أموره ثم جاءته كتب أهلها يستدعونه فسار عن الموصل اليها وكان أهل خلاط انما كاتبوه مكرا لان شمس الدين البهلوان ابن ايلدكز صاحب اذربيجان وهمذان قصده لتملكهم بعد ان كان زوج ابنته من شاهرين على كبره وجعل ذلك ذريعة الى ملك خلاط فلما ساراليهم كاتبوا صلاح الدين ودافعوا كلا منهما بالآخر فسار صلاح الدين وفى مقدمته ناصر الدين محمد بن شيركوه ومظفر الدين صاحب اربل وغيرهما وتقدموا الى خلاط وتقدم صاحب اذربيجان فنزل قريبا من خلاط وترددت رسل أهل خلاط بينه وبين البهلوان ثم خطبوا للبهلوان والله تعالى ينصر من يشاء من عباده

(استيلاء صلاح الدين على ميافارقين)

ولما خطب أهل خلاط للبهلوان وصلاح الدين على ميافارقين وكانت لقطب الدين

صاحب ماردين فتوفى وملك ابنه طفلا صغيرا بعده وردّ أمرها الى شاهرين صاحب
خلاط وأنزل بها عسكره فطمع فيها صلاح الدين بعد وفاة شاهرين وحاصرها من
أول جمادى سنة احدى وثمانين وعلى أجنادها الامير أسد الدين برنقش فأحسن
الدفاع وكان بالبلد زوجة قطب الدين المتوفى ومعها بناتها منه وهى أخت نور الدين
صاحب كيفا فراسلها صلاح الدين بأنّ برنقش قد مال اليها فى تسليم البلد ونحن ندعى
حق أخيك نور الدين فأزوّج بناتك من أبنائى وتكون البلد لنا ووضع على برنقش من
أخبره بأنّ الخاتون مالت الى صلاح الدين وانّ أهل خلاط كاتبوه وكان خبر أهل خلاط
صحيحا فسقط فى يده وبعث فى التسليم على شروط اشترطها من اقطاع ومال وسلم البلد
فملكها صلاح الدين وعقد النكاح لبعض ولده على بعض بنات خاتون وأنزلها وبناتها
بقلعة هقتاج وعاد الى الموصل ومرّ بنصيبين وانتهى الى كفر أرمان واعتزم على
أن يشتوا به ويقطع جميع ضياع الموصل ويجبى أعمالها ويكتسح غلاتها وجنح مجاهد
الدين الى مصالحته وتردّدت الرسل فى ذلك على أن يسلم اليه عز الدين شهرزور وأعمالها
وولاية القرابلى وما وراء الزاب من الاعمال ثم طرقه المرض فعاد الى حران وأدركه
الرسل بالاجابة الى ما طلب فانعقد هنالك وتحالفوا وتسلم البلاد وطال مرضه بحران
وكان عنده أخوه العادل وبيده حلب وبها الملك العزيز عثمان بن صلاح الدين واشتدّ به
المرض فقسم البلاد بين أولاده وأوصى أخاه العادل على الجميع وعاد الى دمشق فى محرّم
سنة ثنتين وثمانين وكان عنده بحران ناصر الدين محمد بن عمه شيركوه ومن اقطاعه حمص
والرحبة فعاد قبله الى حمص ومرّ بحلب وصانع جماعة من أمرائها على أن يقوموا
بدعوته ان حدث بصلاح الدين أمر وبلغ الى حمص فبعث الى أهل دمشق بمثل ذلك
وأفاق صلاح الدين من مرضه ومات ناصر الدين ليلة الاضحى ويقال دسّ عليه من
سمه وورث أعماله ابنه شيركوه وهو ابن اثنى عشرة سنة والله تعالى أعلم

(قسمة صلاح الدين الاعمال بين ولده وأخيه)

كان ابنه العزيز عثمان بحلب فى كفالة أخيه العادل وابنه الاكبر الافضل على بمصر
فى كفالة تقىّ الدين عمر ابن أخيه شاهنشاه بعثه اليها عندما استدعى العادل منها كما مرّ
فلما مرض بحران أسف على كونه لم يول أحدا من ولده استقلالا وسعى اليه بذلك
بعض بطانته فبعث ابنه عثمان العزيز الى مصر فى كفالة أخيه العادل كما كان بحلب
ثم اقطع العادل حران والرها وميافارقين من بلاد الجزيرة وترك عثمان ابنه بمصر ثم
بعث من ابنه الافضل وتقى الدين ابن أخيه فامتنع تقى الدين من الحضور واعتزم على
المسير الى المغرب واللحاق بمولاه قراقوش فى ولايته التى حصلت له بطرابلس والجريد

من افريقيه فراسله صلاح الدين ولاطفه ولما وصل اقطعه حماة ومنبج والمعرة وكفرطاب وجبل جوز وسائر أعمالها وقيل ان تقي الدين لما أرجف بمرض صلاح الدين وموته تحرك في طلب الامر لنفسه وبلغ ذلك صلاح الدين فأرسل الفقيه عيسى الهكاري وكان مطاعا فيهم وأمره باخراج تقي الدين من مصر والمقام بها فسار ودخلها على حين غفلة وأمر تقي الدين بالخروج فأقام خارج البلد وتجهز للمغرب فراسله صلاح الدين الى آخر الخبر والله تعالى أعلم

اتفاق القمص صاحب طرابلس مع صلاح الدين ومنابذة البرنس صاحب الكرك له وحصاره اياه والاغارة على عكا

كان القمص صاحب طرابلس وهو ريمند بن ريمند بن صنجيل تزوج بالقومصة صاحبة طبرية وانتقل اليها فأقام عندها ومات ملك الافرنج بالشأم وكان مجذوما كما مر وأوصى بالملك لابن أخيه صغيرا فكفله هذا القمص وقام بتدبير ملكه لعظمه فيهم وطمع أن تكون كفالته ذريعة الى الملك ثم مات الصغير فانتقل الملك الى أبيه ويئس القمص عندها مما كان يحدث به نفسه ثم ان الملكة تزوجت ابن غنم من الافرنج القادمين من المغرب وتوجته وأحضرت البطرك والقسوس والرهبان والاستبارية والدواوية والبارونة وأشهدتهم بخروجها له عن الملك ثم طولب القمص بالجباية أيام كفالته الصبي فأنف وغضب وجاهر بالشقاق لهم وراسل صلاح الدين وسار الى ولايته وحلف له على مصره من أهل ملته وأطلق له صلاح الدين جماعة من زعماء النصارى كانوا أسارى عنده فازداد غبطة بمظاهرته وكان ذلك ذريعة لفتح بلادهم وارتجاع القدس منهم وبث صلاح الدين السرايا من ناحية طبرية في سائر بلاد الافرنج فاكتسحوها وعادوا غانمين وذلك كله سنة ثنتين وثمانين وكان البرنس ارناط صاحب الكرك من أعظم الافرنج مكرا وأشدهم ضررا وكان صلاح الدين قد سلط الغارة والحصار على بلده حتى سأل في الصلح فصالحه فصلحت السابلة بين الاقليمين ثم مرت في هذه السنة قافلة كثيرة التجار والجند فغدر بهم وأسر وأخذ ما معهم وبعث اليه صلاح الدين فأصر على غدرته فنذر أنه يقتله ان ظفر به واستنفر الناس للجهاد من سائر الاعمال من الموصل والجزيرة واربل ومصر والشأم وخرج من دمشق في محرم سنة ثلاث وثمانين وانتهى الى رأس الماء وبلغه ان البرنس ارناط صاحب الكرك يريد أن يتعرض للحاج من الشأم وكان معهم ابن أخيه محمد بن لاجين وغيره فترك من العساكر مع ابنه الافضل علي وسار الى بصرى وسمع البرنس بمسيره فأحجم عن الخروج ووصل الحاج سالمين وسار صلاح الدين الى الكرك وبث السرايا في أعمالها وأعمال

الشوبك فاكتسحوهما والبرنس محصور بالكرك وقد عجز الافرنج عن امداده لمكان العساكر مع الافضل بن صلاح الدين ثم بعث صلاح الدين الى ابنه الافضل فامره بارسال بعث الى عكا ليكتسحوا نواحيها فبعث مظفر الدين كوكبرى صاحب حران والرها وقايماز النجمى ودار وم البارو قى وساروا فى آخر صفر فصبحوا صفورية وبها جمع من الفداوية والاستبارية فبرزوا اليهم وكانت بينهم حروب شديدة تولى الله النصر فيها للمسلمين وانهزم الافرنج وقتل مقدمهم وامتلأت أيدى المسلمين من الغنائم وانقلبوا ظافرين ومروا بطبرية وبها القمص فلم يهجهم لما تقدم بينه وبين صلاح الدين من الولاية وعظم هذا الفتح وسار البشير به فى البلاد والله تعالى أعلم

(هزيمة الافرنج وفتح طبرية ثم عكا)

ولما انهزم الفداوية والاستبارية بصفورية ومر المسلمون بالغنائم على القمص ريمند بطبرية ووصلت البشائر بذلك الى صلاح الدين عاد الى معسكره الذى مع ابنه ومر بالكرك واعتزم على غزو بلاد الافرنج فاعترض عساكره وبلغه ان القمص ريمند قد راجع أهل ملته ونقض عهده معه وان البطرك والقسيس والرهبان أنكروا عليه مظاهرته للمسلمين ومرور عساكرهم به باسرى النصارى وغنائمهم ولم يعترضهم مع ايقاعهم بالفداوية والاستبارية أعيان الملة وتهددوه بالحاق كلمة الكفر به فتنصل وراجع رأيه واعتذر اليهم فقبلوا عذره وخلص لكفره وطواغيته فجددوا الحلف والاجتماع وساروا من عكا الى صفورية وبلغ الخبر الى صلاح الدين وشاور أصحابه فمنهم من أشار بترك اللقاء وبث الغارات عليهم حتى يضعفوا ومنهم من أشار باللقاء لنزول عكا واستيفاء ما فعلوه فى المسلمين بالجزيرة فاستصوبه صلاح الدين واستعجل لقاءهم ثم رحل من الاقحوانة أواخر رمضان فسار حتى خلف طبرية وتقدم الى معسكر الافرنج فلم يفارقوا خيامهم فلما كان الليل أقام طائفة من العسكر فسار الى طبرية فملكها من ليلته عنوة ونهبها وأحرقها وامتنع أهلها بالقلعة ومعهم الملكة وأولادها فبلغ الخبر الى الافرنج فضج القمص وعمد الى الصلح وأطال القول فى تعظيم الخطب وكثرة المسلمين فنكر عليه البرنس صاحب الكرك واتهمه ببقائه على ولاية صلاح الدين واعتزموا على اللقاء ووصلوا من مكانهم لقصد المعسكر وعاد صلاح الدين الى معسكره وبعدت المياه من حوالى الافرنج وعطشوا ولم يتمكنوا من الرجوع فركبهم صلاح الدين دون قصدهم واشتدت الحرب وصلاح الدين يجول بين الصفوف يتفقد أحوال المسلمين ثم حمل القمص على ناحية تقى الدين عمر بن شاهنشاه استماتت فيها هو وأصحابه فأفرج له الصف وخلص من تلك الناحية الى مدينته واختل مصاف الافرنج وتابعوا الحملات

وكان بالارض هشيم أصابه شرر فاضطرم نارا فجهدهم لفحها ومات بعضهم من العطش فوهنوا وأحاط بهم المسلمون من كل ناحية فارتفعوا الى تل بناحية حطين لينصبوا خيامهم به فلم يتمكنوا الا من خيمة الملك فقط والسيف يجول فيهم مجاله حتى فنى أكثرهم ولم يبق الا نحو المائة والخمسين من خلاصة زعمائهم مع ملكهم والمسلمون يكرون عليهم مرة بعد أخرى حتى ألقوا ما بأيديهم وأسروا الملك وأخاه البرنس ارناط صاحب الكرك وصاحب جبيل وابن هنفري ومقدم الفداوية وجماعة من الفداوية والاستبارية ولم يصابوا منذ ملكوا هذه البلاد أعوام التسعين والاربعمائة بمثل هذه الوقعة ثم جلس صلاح الدين فى خيمته وأحضر هؤلاء الاسرى فقرع الملك وبخه بعد ان أجلسه الى جانبه وفاء بمنصب الملك وقام الى البرنس فتولى قتله بيده حرصا على الوفاء بنذره بعد ان عرفه بغدرته وبجسارته على ما كان يرومه فى الحرمين وحبس الباقين وأما القمص صاحب طرابلس فنجا كما ذكرناه الى بلده ثم مات لايام قلائل أسفا ولما فرغ صلاح الدين من هزيمتهم نهض الى طبرية فنازلها واستأمنت اليه الملكة بها فأمنها فى ولدها وأصحابها ومالها وخرجت اليه فوفى لها وبعث الملك وأعيان الاسرى الى دمشق فحبسوا بها وجمع أسرى الفداوية والاستبارية بعد ان بذل لمن يجده منهم من المقاتلة خمسين دينارا مصرية لكل واحد وقتلهم أجمعين قال ابن الاثير ولقد اجتزت بمكان الوقعة بعد سنة فرأيت عظامهم ماثلة على البعد أجحفتها السيول ومزقتها السباع ولما فرغ صلاح الدين من طبرية سار عنها الى عكا فنازلها واعتصم الافرنج الذين بها بالاسوار ونادوا بالاستئمان فأمنهم وخيرهم فاختاروا الرحيل فحملوا ما أقلته رحالهم ودخلها صلاح الدين غرة جمادى سنة ثلاث وثمانين وصلوا فى جامعها القديم الجمعة يوم دخولهم فكانت أول جمعة أقيمت بساحل الشأم بعد استيلاء الافرنج عليه وأقطع صلاح الدين بلد عكا لابنه الافضل وجميع ما كان فيه للفداوية من أقطاع وضياع ووهب للفقيه عيسى الهكارى كثيرا مما عجز الافرنج عن حمله وقسم الباقى على أصحابه ثم قسم الافضل ما بقى فى أصحابه بعد مسير صلاح الدين ثم أقام صلاح الدين أياما حتى أصلح أحوالها ورحل عنها والله تعالى أعلم

(فتح يافا وصيدا وجبيل وبيروت وحصون عكا)

لما هزم صلاح الدين الافرنج كتب الى أخيه العادل بمصر يبشره ويأمره بالمسير الى جهات الافرنج من جهات مصر فنازل حصن مجدل وفتحه وغنم ما فيه ثم سار الى مدينة يافا ففتحها عنوة واستباحها وكان صلاح الدين أيام مقامه بعكا بعث بعوثه الى قيسارية وحيفا وسطورية وبعليا وسقيف وغيرها فى نواحى عكا فملكوها واستباحوها

وامتلأت أيديهم من غنائمها وبعث حسام الدين عمر بن الاصعن فى عسكر الى نابلس فملك سبطية مدينة الاسباط وبها قبر زكريا عليه السلام ثم سار الى مدينة نابلس فملكها واعتصم الافرنج الذين بها بالقلعة فأقرهم على أموالهم وبعث تقى الدين عمر ابن شاهنشاه الى تبنين ليقطع الميرة عنها وعن صور فوصل اليها وحاصرها وضيق عليها حتى استأمنوا فأمنهم وملكها ومر الى صيدا ومر فى طريقه بصرخد فملكها بعد قتال وجاء الخبر بفرار صاحب صيدا فسار وملكها آخر جمادى الاولى من السنة ثم سار من يومه الى بيروت ونازلها من احد جوانبها فتوهموا أن المسلمين دخلوا عليهم من الجانب الآخر فاهتاجوا لذلك فلم يستقروا ولا قدروا على تسكين الهيعة لكثرة ما معهم من أخلاط السواد فاستأمنوا اليه وملكها آخر يوم من جمادى لثمانية أيام من حصارها وكان صاحب جبيل أسيرا بدمشق فضمن لهم تسليم جبيل لصلاح الدين على أن يطلقه فاستدعاه وهو محاصر لبيروت وسلم الحصن وأطلقه وكان من أعيان الافرنج وأولى الرأى منهم والله تعالى أعلم

(وصول المركيش الى صور وامتناعه بها)

كان القمص صاحب طرابلس لما نجا من هزيعة لحق بمدينة صور وأقام بها يريد حمايتها ومنعها من المسلمين فلما ملك صلاح الدين تبنين وصيدا وبيروت ضعف عزمه عن ذلك ولحق ببلده طرابلس وبقيت صيدا وصور بدون حامية وجاء المركيش من تجار الافرنج من المغرب فى كثرة وقوة فأرسى بعكا ولم يشعر بفتحها وخرج اليه الرائد فأخبره بمكان الافضل بن صلاح الدين فيها وان صور وعسقلان باقية للافرنج فلم يطق الاقلاع اليها لركود الريح فشغلهم بطلب الامان ليدخل المرسى ثم طابت ريحه وجرت به الى صور وأمر الافضل بخروج الشوانى فى طلبه فلم يدركوه حتى دخل مرسى صور فوجد بها أخلاطا كثيرة من فل الحصون المفتتحة فحاز اليه وضمن لهم حفظ المدينة وبذل أموالهم فى الانفاق عليها على أن تكون هى وأعمالها له دون غيره واستحلفهم على ذلك ثم قام بتدبير أحوالها وشرع فى تحصينها فحفر الخنادق ورم الأسوار واستبلسها والله سبحانه وتعالى أعلم

(فتح عسقلان وما جاورها)

ولما ملك صلاح الدين بيروت وجبيل وتلك الحصون صرف همته الى عسقلان والقدس لعظم شأن القدس ولان عسقلان مقطع بين الشأم ومصر فسار عن بيروت الى عسقلان ولحق به أخوه العادل فى عساكر مصر ونازلها أوائل جمادى الاخيرة

واستدعى ملك الافرنج ومقدم الراية وكانا أسيرين بدمشق فأحضرهما وأمرهما بالاذن للافرنج بعسقلان فى تسليمها فلم يجيبوا الى ذلك وأساؤا الرد عليهما فاشتد فى قتالهم ونصب المجانيق عليهم وملكهم يردد الرسائل اليهم فى التسليم عساه ينطلق ويأخذ بالثار من المسلمين فلم يجيبوه ثم جهدهم الحصار وبعد عليهم الصريخ فاستأمنوا الى صلاح الدين على شروط اشترطوها كان أهمها عندهم أن يمنعهم من الهراسة ساقتلوا أميرهم فى الحصار فأجابهم الى جميع ما اشترطوه وملك المدينة منتصف السنة لاربعة عشر يوما من حصارها وخرجوا بأهليهم وأموالهم وأولادهم الى القدس ثم بعث السرايا فى تلك الاعمال ففتحوا الرملة والداروم وغزة ومدن الخليل وبيت لحم والبطرون وكل ما كان للفداوية وكان أيام حصار عسقلان قد بعث عن اسطول مصر فجاءه به حسام الدين لؤلؤ الحاجب وأقام يغير على مرسى عسقلان والقدس ويغنم جميع ما يقصده من النواحى والله سبحانه وتعالى يؤيد من يشاء بنصره

(فتح القدس)

لما فرغ صلاح الدين من أمر عسقلان وما يجاورها سار الى بيت المقدس وبها البطرك الاعظم وبليان بن نيزران صاحب الرملة وريسة قوبية الملك ومن نجا من زعمائهم من خطين وأهل البلد المفتحة عليهم وقد اجتمعوا كلهم بالقدس واستماتوا فى الدين وبعد لصريخ وأكثروا الاستعداد ونصبوا المجانيق من داخله وتقدم اليه أمير من المسلمين فخرج اليه الافرنج فأوقعوا به وقتلوه فى جماعة ممن معه وفجع المسلمون بقتله وساروا نزلوا على القدس منتصف رجب وهالهم كثرة حاميته وطاف بهم صلاح الدين خمسة يام فتحيزت وأعليه للقتال حتى اختار جهة الشمال نحو باب العمود وكنيسة صهيون تحول اليه ونصب المجانيق عليها واشتد القتال وكان كل يوم يقتل بين الفريقين خلق كان ممن استشهد عز الدين عيسى بن مالك من أكابر أمراء بنى بدران وأبوه صاحب لعة جعبر فأسف المسلمون لقتله وحملوا عليهم حتى أزالوهم عن مواقفهم وأجحروهم البلد وملكوا عليهم الخندق ونقبوا السور وفزع الافرنج واستأمنوا الصلاح الدين أبى الا العنوة كما ملكه الافرنج أول الامر سنة احدى وسبعين وأربعمائة استأمن له بالباب ابن نيزران صاحب الرملة وخرج اليه وشافهه بالاستئمان واستعطفه فأصر على الامتناع فتهدده بالاستماتة وقتل النساء والابناء وحرق الامتعة وتخريب المشاعر المعظمة واستلحام أسرى المسلمين وكانوا خمسة آلاف أسير واستهلاك جميع الحيوانات الداجنة بالقدس من الظهر وغيره فحينئذ استشار صلاح الدين صحبه فجنحوا الى تأمينهم فشارطهم على عشرة دنانير للرجل وخمسة للمرأة ودينارين

للولد صبي أوصبية وعلى أجل أربعين يوما فمن تأخر أداؤه عنها فهو أسير وبذل بليان ابن نيزران عن فقراء أهل ملته ثلاثين ألف دينار وملك صلاح الدين المدينة يوم الجمعة لتسع وعشرين من رجب سنة ثلاث وثمانين ورفعت الاعلام الاسلامية على أسواره وكان يوما مشهودا ورتب على أبواب القدس الامناء لقبض هذا المال ولم يبن الامر فيه على المشاححة فذهب أكثرهم دون شئ وعجز آخر الامر ستة عشر ألف نسمة فأخذوا أسارى وكان فيه على التحقيق ستون ألف مقاتل غير النساء والولدان فان الافرنج أزروا اليه من كل جانب لما افتتحت عليهم حصونهم وقلاعهم ومن الدليل على مقاربة هذا العدد ان بليان صاحب الرملة أعطى ثلاثين ألف دينار على ثمانية عشر ألفا وعجز منهم ستة عشر ألفا وأخرج جميع الامراء خلقا لا تحصى في زي المسلمين بعد أن يشارطوهم على بعض القطيعة واستوهب آخرون جوعا منهم يأخذون قطيعتهم فوهبهم اياهم وأطلق بعض نساء الملوك من الروم كانوا امترهبات فأطلقهم بعبيدهم وحشمهم وأموالهم وكذا ملكة القدس التى أسر صلاح الدين زوجها ملك الافرنج بسببها وكان محبوسا بقلعة نابلس فأطلقها بجميع ما معها ولم يحصل من القطيعة على خراج وخرج البطرك الاعظم بما معه من ماله وأموال البيع ولم يتعرض له وجاءته امرأة البرنس صاحب الكرك الذى قتله يوم حطين تشفع فى ولدها وكان أسيرا فبعثها الى الكرك لتأذن الافرنج فى النزول عنه للمسلمين وكان على رأسه قبة خضراء لها صليب عظيم مذهب وتسلق جماعة من المسلمين اليه واقتلعوه وارتجت الارض بالتكبير والعويل ولما خلا القدس من العدو أمر صلاح الدين برد مشاعره الى أوضاعها القديمة وكانوا قد غيروها فأعيدت الى حالها الاول وأمر بتطهير المسجد والصخرة من الاقذار فطهرا ثم صلى المسلمون الجمعة الاخرى فى قبة الصخرة وخطب محيى الدين بن زكى قاضى دمشق بأمر صلاح الدين وأتى فى خطبته بعجائب من البلاغة فى وصف الحال وعظة الاسلام اقشعرت لها الجلود وتناقلها الرواة وتحدثت بها السمار أحوالا ثم أقام صلاح الدين بالمسجد للصلوات الخمس اماما وخطيبا وأمر بعمل المنبر له فحدثوا عنده بأن نور الدين محمودا اتخذ له منبرا منذ عشرين سنة وجمع الصناع بحلب فأحسنوا صنعته فى عدد سنين فأمر بحمله ونصبه بالمسجد الاقصى ثم أمر بعمارة المسجد واقتلاع الرخام الذى فوق الصخرة لان القسيسين كانوا يبيعون الحجر من الصخرة ينحتونها نحتا ويبيعونها بالذهب وزنا بوزن فتنافس الافرنج فيها التماس البركة منها ويدعونها فى الكنائس فخشى ملوكهم أن تفنى الصخرة فعالوا عليها بفرش الرخام فأمر صلاح الدين بقلعه ثم استكثر فى المسجد من المصاحف ورتب فيه القراء ووفر لهم

الجرايات وتقدم ببناء الربط والمدارس فكانت من مكارمه رحمه الله تعالى وارتحل الافرنج بعد ان باعوا جميع ما على كونه من العقار بأرخص ثمن واشتراه أهل العسكر ونصارى القدس الاقدمون بعد أن ضربت عليهم الجزية كما كانوا والله تعالى أعلم

(حصار صور ثم صفد وكوكب والكرك)

لما فتح صلاح الدين القدس أقام بظاهره الى آخر شعبان من السنة حتى فرغ من جميع أشغاله ثم رحل الى مدينة صور وقد اجتمع فيها من الافرنج عوالم وقد نزل بها المركيش وضبطها ولما انتهى صلاح الدين الى عكا أقام بها أياما فبالغ المركيش فى الاستعداد وتعميق الخنادق واصلاح الاسوار وكان البحر يحيط بها من ثلاث جهاتها فوصل جانب اليمين بالشمال وسارت كالجزيرة وساروا اليها فنزل عليها التسع بقين من رمضان على تل يشرف منه على مكان القتال وجعل القتال على أقيال عسكره نوبا بين ابنه الافضل وابنه الظاهر وأخيه العادل وابن أخيه تقى الدين ونصب عليها المجانيق والعرادات وكان الافرنج يركبون فى الشوانى والحراقات ويأتون المسلمين من ورائهم فيرمون عليهم من البحر ويقاتلونهم ويمنعونهم من الدنو الى السور فبعث صلاح الدين عن أسطول مصر من مرسى عكا فجاء ودافع الافرنج وتمكن المسلمون من قتال الاسوار وحاصروها برا وبحرا ثم كبس اسطول الافرنج خمسة من أساطيل المسلمين ففتكوا بهم ورد صلاح الدين الباقى الى بيروت لقلتها فاتبعها أساطيل الافرنج فلما أرهقوهم فى الطلب ألقوا بأنفسهم الى الساحل وتركوها فحكمها صلاح الدين ونقضها وجد فى حصار صور فلم يفد وامتنعت عليه لما كان فيها من كثرة الافرنج الذين أمنهم بعكا وعسقلان والقدس فنزلوا اليها بأموالهم وأمدوا صاحبها واستدعوا الافرنج وراء البحر فوعدوهم بالنصر وأقاموا فى انتظارهم ولما رأى صلاح الدين امتناعها شاور أصحابه فى الرحيل فترددوا وتخاذلوا فى القتال فرحل آخر شوال الى عكا وأذن للعساكر فى المشى الى أوطانهم الى فصل الربيع وعادت عساكر الشرق والشام ومصر وأقام بقلعة عكا فى خواصه ورد أحكام البلد الى خرديك من أمراء نور الدين وكان صلاح الدين عندما اشتغل بحصار عسقلان بعث عسكر الحصار ضور فشددوا حصارها وقطعوا عنها الميرة وبعثوا الى صلاح الدين وهو يحاصر صور فاستأمنوا له ونزلوا عنها فملكها وكان أيضا صلاح الدين لما سار الى عسقلان جهز عسكر الحصار قلعة كوكب يحرسون السابلة فى طريقها من الافرنج الذين فيها وهى مطلة على الاردن وهى للاستبارية وجهز عسكر الحصار صفد وهى للفداوية مطلة على طبرية ولجأ الى هذين الحصنين من سلم من وقعة حطين وامتنعوا بهما فلما جهز العساكر اليهما صلحت الطريق

وارتفع منها الفساد فلما كان آخر ليلة من شوال غفل الموكلون بالحصار على قلعة كوكب وكانت ليلة شاتية باردة فكبسهم الافرنج ونهبوا ما عندهم من طعام وسلاح وعادوا الى قلعتهم وبلغ ذلك صلاح الدين وهو يعتزم على الرحيل عن صور فشد من عزيمته ثم جهز عسكرا على صور مع الامير قايماز النجمى وارتحل الى عكا فلما انصرم فصل الشتاء سار من عكا فى محرم سنة أربع وثمانين الى قلعة كوكب فحاصرها وامتنعت عليه ولم يكن بقى فى البلاد الساحلية من عكا الى الجنوب غيرها وغير صفد والكرك فلما امتنعت عليه جهز العسكر لحصارها مع قايماز النجمى ورحل عنها فى ربيع الاول الى دمشق ووافته رسل ارسلان وفرح الناس بقدومه والله تعالى ولى التوفيق

{غزو صلاح الدين الى سواحل الشأم وما فتحه}
{من حصونها وصلحه آخرا مع صاحب انطاكية}

لما رجع صلاح الدين من فتح القدس وحاصر صور وصفد وكوكب عاد الى دمشق ثم تجهز للغزو الى سواحل الشأم وأعمال انطاكية وسار عن دمشق فى ربيع سنة أربع وثمانين فنزل على حمص واستدعى عساكر الجزيرة وملوك الاطراف فاجتمعوا اليه وسار الى حصن الاكراد فضرب عسكره هنالك ودخل متجردا الى القلاع بنواحى انطاكية فنقص طرفها وأغار على ولايتها الى طرابلس حتى شفى نفسه من ارتيادها وعاد الى معسكره بحرث الارض بالغنائم فأقام عند حصن الاكراد ووفد عليه هنالك منصور بن نبيل صاحب جبلة وكان من يوم استيلاء الافرنج على جبلة عند صاحب انطاكية حاكما على جميع المسلمين فيها ومتوليا أمورهم عنده فلما هبت ريح الاسلام بصلاح الدين وظهوره نزل اليه ليكشف الغماء ودله على عورة جبلة واللاذقية واستحثه لهما فسار أول جمادى ونزل بطرسوس وقد اعتصم الافرنج منها ببرجين حصينين واخلوا المدينة فخربوها واستباحوها وكان أحد الحصنين للفداوية وفيه مقدمهم الذى أسره صلاح الدين يوم المصاف وأطلقه عند فتح القدس واستأمن اليه أهل البرج الآخر ونزلوا له عنه فخربه صلاح الدين وألقى حجارته فى البحر وامتنع عليه برج الفداوية فسار الى المرقب وهو للاستبارية ولا يرام لعلوه وارتفاعه وامتناعه والطريق فى الجبل الى جبلة عليه فهو عن يمين الطريق والبحر عن يساره فى مسلك ضيق انما يمر به الواحد فالواحد

(فتح جبلة)

وكان وصل اسطول من صاحب صقلية مددا للافرنج فى تلك السواحل فى ستين قطعة فأرسوا بطرابلس فلما سمعوا بصلاح الدين اقلعوا الى المغرب ووقفوا قبالتها ينفحون بسهامهم المارة بتلك الطريق فضرب صلاح الدين على ذلك الطريق سورا من جهة البحر من المتارس ووقف وراءه الرماة حتى سلك العسكر المضيق الى جبلة ووصلها آخر جمادى وسبق اليها القاضى وملكها صلاح الدين لحينه ورفع أعلام الاسلام على سورها ونزل حاميتها الى القلعة فاستنزلهم القاضى على الامان واستمر منهم جماعة فى رهن القاضى والمسلمين عند صاحب انطاكية حتى أطلقهم وجاء رؤساء أهل البلد الى طاعة صلاح الدين وهو بجبل ما بين جبلة وحماة وكان الطريق عليه بينهما صعبا ففتحه صلاح الدين من ذلك الوقت واستناب بجبلة سابق الدين عثمان بن الداية صاحب شيزر وسار عنها اللاذقية والله تعالى أعلم بغيبه وأحكم

(فتح اللاذقية)

ولما فرغ صلاح الدين من أمر جبلة سار الى اللاذقية فوصلها آخر جمادى الاولى وامتنع حاميتها بحصنين لها فى أعلى الجبل وملك المسلمون المدينة وحصروا الافرنج فى القلعتين وحفروا تحت الاسوار وأيقن الافرنج بالهلكة ودخل اليهم قاضى جبلة ثالث نزولها فاستأمنوا معه وامنهم صلاح الدين ورفعوا أعلام الاسلام فى الحصنين وخرب المسلمون المدينة وكانت مبانيها فى غاية الوثاقة والضخامة واقطعها تقى الدين ابن أخيه فأعادها الى أحسن ما كانت من العمارة والتحصين وكان عظيم الهمة فى ذلك وكان اسطول صقلية فى مرسى اللاذقية وسخطوا ما فعله أهلها ومنعوهم من الخروج منها وجاء مقدمهم الى صلاح الدين فرغب منه اقامتهم على الجزية وعرض فى كلامه بالتهديد بامداد الافرنج من وراء البحر فاجابه صلاح الدين باستهانة أمر الافرنج وهدده فانصرف الى أصحابه ورحل صلاح الدين الى صهيون والله تعالى أعلم

(فتح صهيون)

ولما فرغ صلاح الدين من فتح اللاذقية سار الى قلعة صهيون وهى على جبل صعبة المرتقى بعيدة المهوى يحيط بجبلها واد عميق ضيق ويتصل بالجبل من جهة الشمال وعليها خمسة أسوار وخندق عميق فنزل صلاح الدين على الجبل لضيقها وقدم ولده الظاهر صاحب حلب فنزل مضيق الوادى ونصب المنجنيقات هنالك فرمى بها على الحصن ونضحهم بالسهام من سائر أصناف القسى وصابروا قليلا ثم زحف المسلمون ثانى جمادى

الاخرى وسلكوا بين الصخور حتى ملكوا أحد اسوارها وقاتلوهم منه فلكوا عليهم سورين آخرين وغنموا جميع ما كان في البلد من الدواب والبقر والذخائر ولجأ الحامية الى القلعة وقاتلهم المسلمون عليها فنادوا بالامان فشرط عليهم مثل قطيعة القدس وملك المسلمون الحصن وولى عليه ناصر الدين بن كورس صاحب قلعة بوقلس فحصنه وافترق المسلمون في تلك النواحي فوجدوا الافرنج قد فروا من حصونها فلكوها جميعا وهدموا اليها طريقا على عقبة صعبة لعفاء طريقها السهلة بالافرنج والاسماعيلية والله تعالى أعلم

(فتح بكاس والشغر)

ثم سار صلاح الدين عن صهيون ثالث جمادى الى قلعة بكاس وقد فارقها الافرنج وتحصنوا بقلعة شغر فملك بكاس وحاصر قلعة الشغر والطريق منها مسلوك الى اللاذقية وجبلة وصهيون فقاتلهم ونصب المجنيقات عليها فقصرت حجارتها عن الوصول وكانوا امتنعوا او بعثوا خلال ذلك الى صاحب انطاكية وكان الحصن من اياله فاستمدوه والا اعطوا الحصن بما قذف الله في قلوبهم من الرعب فلما قعد عن نصرهم فاستأمنوا الى صلاح الدين وسألوه انظار ثلاث للفتح فأنظرهم وأخذ رهنهم ثم سلموه بعد الثلاث في منتصف جمادى من السنة والله تعالى أعلم

(فتح سرمينية)

كان صلاح الدين عند اشتغاله بفتح هذه الحصون بعث ابنه الظاهر غازيا صاحب حلب الى سرمينية وحاصرها واستنزل الافرنج الذين بها على قطيعة اعطوها وهدم الحصن وكان فتحه آخر جمادى الاخيرة فاطلق جماعة من الاسارى كانوا بهذا الحصن وكانت هذه الفتوحات كلها في مقدار شهر وجميعها من أعمال انطاكية والله تعالى أعلم

(فتح برزية)

ولما فرغ صلاح الدين من قلعة الشغر سار الى قلعة برزية قبالة افامية وتقاسمها في اعمالها وبينهما بحيرة من ماء العاصي والعيون التي تجري وكانوا أشد شيء في الاذى للمسلمين فنازلها في الرابع والعشرين من جمادى الاخيرة وهي متعذرة المصعد من الشمال والجنوب وصعبته من الشرق وبجهة الغرب مسلك اليها فنزل هنالك صلاح الدين ونصب المجانيق فلم تصل حجارتها لبعد القلعة وعلوها فرجع الى المزاحفة وقسم عساكره على أمرائها وجعل القتال بينهم نوبا فقاتلهم أولا عماد

الدين زنكي بن مودود صاحب سنجار واصعدهم الى قلعتهم حتى صعب المرتقى على المسلمين وبلغوا مواقع سهامهم وحجارتهم من الحصن وكانوا يدحرجون الحجارة على المقاتلة فلا يقوم لها شئ فلما تعب أهل هذه النوبة عادوا وصعد خاصة صلاح الدين فقاتلوا قتالا شديدا وصلاح الدين وتقى الدين ابن أخيه يحرضانهم حتى أعيوا وهموا بالرجوع فصاح فيهم صلاح الدين وفى أهل النوبة الثانية فتلاحقوا بهم وجاء أهل نوبة عماد الدين على اثرهم وحمى الوطيس وردّوا الافرنج على أعقابهم الى حصنهم فدخلوه ودخل المسلمون معهم وكان بقية المسلمين فى الخيام شرقى الحصن وقد أهمله الافرنج فعمد أهل الخيام من تلك الناحية واجتمعوا مع المسلمين فى أعقاب الافرنج عند الحصن فملكوه عنوة وجاء الافرنج الى قبة الحصن ومعهم جماعة من أسارى المسلمين فى القيود فلما سمعوا تكبير اخوانهم خارج القبة كبروا فدهش الافرنج وظنوا أن المسلمين خالطوهم فألقوا بأيديهم وأسرهم المسلمون واستباحوهم واحرقوا البلد وأسروا صاحبها وأهله وولده وافترقوا فى أسراهم فجمعهم صلاح الدين حتى اذا قارب انطاكية بعثهم اليها لان زوجة صاحب انطاكية كانت تراسل صلاح الدين بالاخبار وتهاديه فرعى لها ذلك والله تعالى ولى التوفيق

(فتح دربساك)

ولما فرغ صلاح الدين من حصن برزية دخل من الغد الى الجسر الجديد على نهر العاصى قرب انطاكية فأقام عليه فلحق به تخلف العسكر ثم سار الى قلعة دربساك ونزل عليها فى رجب من السنة وهى معاقل الفداوية التى يلجؤن الى الاعتصام بها ونصب عليها المجانيق حتى هدم من سورها ثم هجمها بالمزاحفة وكشف المقاتلة عن سورها ونقبوا منها برجا من أسفله فسقط ثم باكروا الزحف من الغد وصابرهم الافرنج ينتظرون المدد من صاحبهم سمند صاحب انطاكية فلما تبينوا عجزه استأمنوا صلاح الدين فأمنهم فى أنفسهم فقط وخرجوا الى انطاكية وملك الحصن فى عشرين من رجب من السنة والله تعالى أعلم

(فتح بغراس)

ثم سار عماد الدين عن دربساك الى قلعة بغراس على تعددها وقربها من انطاكية فيحتاج مع قتالها الى ردء من العسكر بينه وبين انطاكية فحاصرها ونصب عليها المجانيق فقصرت عنها لعلوها وشق عليهم حمل الماء الى أعلى الجبل وبينما هم فى ذلك اذ جاء رسولهم يستأمن لهم فأمنهم فى أنفسهم فقط كما أمن أهل دربساك وتسلم القلعة بما

فيها وخربها فجددها ابن اليون صاحب الارمن وحصنها وصارت فى ايالته والله أعلم

(صلح انطاكية)

ولما فتح حصن بغراس خاف سمند صاحب انطاكية وأرسل الى صلاح الدين فى الصلح على أن يطلق أسرى المسلمين الذين عنده وتحامل عليه أصحابه فى ذلك ليريح الناس ويستعدوا فأجابه صلاح الدين الى ذلك لثمانية أشهر من يوم عقد الهدنة وبعث اليه من استحلفه وأطلق الاسرى وكان سمند فى هذا الوقت عظيم الافرنج متسع المملكة وطرابلس وأعمالها قد صارت اليه بعد القمص واستخلف فيها ابنه الاكبر وعاد صلاح الدين الى حلب فدخلها ثالث شعبان من السنة وانطلق ملوك الاطراف بالجزيرة وغيرها الى بلادهم ثم رحل الى دمشق وكان معه أبو فليتة قاسم بن مهنا أمير المدينة النبوية على ساكنها أفضل الصلاة وأتم التسليم قد عسكر معه وشهد فتوحه وكان يتيمن بصحبته ويتبرك برؤيته ويجتهد فى تأنيسه وتكرمته ويرجع الى مشورته ودخل دمشق أول رمضان من السنة وأشير عليه بتفريق العساكر فأبى وقال هذه الحصون كوكب وصفد والكرك فى وسط بلاد الاسلام فلا بد من البدار الى فتحها والله سبحانه وتعالى أعلم

(فتح الكرك)

كان صلاح الدين قد جهز العساكر على الكرك مع أخيه العادل حتى سار الى دربساك وبغراس وأبعد فى تلك الناحية فشد العادل حصارها حتى جهدوا وفنيت أقواتهم فراسلوه فى الامان فأجابهم وسلموا القلعة فملكها وملك الحصون التى حواليها وأعظمها الشوبك وأمنت تلك الناحية واتصلت ايالة المسلمين من مصر الى القدس والله تعالى أعلم

(فتح صفد)*

لما عاد صلاح الدين الى دمشق أقام بها نصف رمضان ثم تجهز لحصار صفد فنزل عليها ونصب المجانيق وكانت أقواتهم قد تسلط عليها الحصار الاول فخافوا من نفادها فاستأمنوا فأمنهم وملكها ولحقوا بمدينة صور والله تعالى أعلم

(فتح كوكب)

لما كان صلاح الدين على صفد خاف الافرنج على حصن كوكب فبعثوا اليه نجدة وكان قايماز النجمى يحاصره فشعر بتلك النجدة وركب اليهم وهم مختفون ببعض

الشعاب فكبسهم ولم يفلت منهم أحد وكان فيهم مقدّمان من الاستبارية فحملهما الى صلاح الدين على صفد فأحضرهما للقتل على عادته فى الفداوية والاستبارية فاستعطفه واحد منهما فعفا عنهما وحبسهما ولما فتح صفد سار الى كوكب وحاصرها وارسل اليهم بالامان فاصرّوا على الامتناع عليه فنصب عليهم المجانيق وتابع المزاحفة ثم عاقه المطر عن القتال وطال مقامه فلما انقضى المطر عاود المزاحفة وضايقهم بالسور ونقب منه برجا فسقط فارتاعوا واستأمنوا وملك الحصن منتصف ذى القعدة من السنة ولحق الافرنج بصور واجتمع الزعماء وتابعوا الرسل الى اخوانهم وراء البحر فى حوزة يستصرخونهم فتابعوا اليهم المدد واتصل المسلمون فى الساحل من ايلة الى بيروت لا يفصل بينهم الا مدينة صور ولما فرغ صلاح الدين من صفد وكوكب سار الى القدس فقضى فيه نسك الاضحى ثم سار الى عكا فأقام بها الى انسلاخ الشتاء والله تعالى أعلم

(فتح الشقيف)

ثم سار صلاح الدين فى ربيع سنة خمس وثمانين الى محاصرة الشقيف وكان لارناط صاحب صيدا وهو من أعظم الناس مكرا ودهاء فلما نزل صلاح الدين بمرج العيون جاء اليه وأظهر له المحبة والميل وطلب المهلة الى جمادى الاخيرة ليتخلص أهله وولده من المركيش بصور ويسلم له حصن الشقيف فأقام صلاح الدين هنالك لوعده وانقضت مدة الهدنة بينه وبين سمند صاحب انطاكية فبعث تقى الدين ابن أخيه مسلحة فى العساكر الى البلاد التى قرب انطاكية ثم بلغه اجتماع الافرنج بصور عند المركيش وأن الامداد وافتهم من أهل ملتهم وراء البحر وأن ملك الافرنج بالشام الذى أطلقه صلاح الدين بعد فتح القدس قد اتفق مع المركيش ووصل يده به واجتمعوا فى أمم لا تحصى وخشى أن يتقدم اليهم ويترك الشقيف وراءه فتنقطع عنه الميرة فأقام بمكانه فلما انقضى الاجل تقدم الى الشقيف واستدعى ارناط فجاء واعتذر بأن المركيش لم يمكنه من أهله وولده وطلب الامهال مرة أخرى فتبين صلاح الدين مكره فحبسه وأمره أن يبعث الى أهل الشقيف بالتسليم فلم يجب فبعث به الى دمشق فحبس بها وتقدم الى الشقيف فحاصره بعد أن أقام مسلحة قبالة الافرنج الذين بظاهر صور فجاءه الخبر بأنهم فارقوا صور لحصار صيدا فلقيتهم المسلحة وقاتلوهم فغلبوهم وأسروا سبعة من فرسانهم وقتلوا آخرين وقتل مولى لصلاح الدين من أشجع الناس وردوهم على أعقابهم الى معسكرهم بظاهر صور وجاء صلاح الدين بعد انقضاء الوقعة فأقام فى المسلحة رجاء أن يصادف أحدا من الافرنج فينتقم منهم وركب فى بعض الايام ليشارف معسكر الافرنج فظن عسكره أنه يريد القتال فتقدموا وأوغلوا الى العدو وبعث صلاح الدين الامراء فى أثرهم يردونهم فلم يرجعوا ورآهم

" الافرنج فظنوا أن وراءهم كميناً فأرسلوا من يكشف خبرهم فوجدوهم منقطعين فحملوا عليهم وأثأ . وهم جميعاً وذلك تاسع جمادى الاولى من السنة ثم انحدر اليهم صلاح الدين في عساكره من الجبل فهزمهم الى الجسر وغرق منهم في البحر نحو من مائة دارع سوى من قتل وعزم السلطان على حصارهم واجتمع اليه الناس ثم عاد الافرنج الى صور وعاد السلطان الى بلبس ليشارف عكا ورجع الى مخيمه ولما وصل الى المعسكر جاء الخبر بأن الافرنج يتعدون عن صدور مذاهبهم لحاجاتهم فكتب الى المعسكر بعكا ووعدهم ثامن جمادى الاخيرة يوافونه من ناحيتهم للاغارة عليهم وأكمن لهم في الاودية والشعاب من سائر النواحي واختار جماعة من فرسان عسكره وتقدم اليهم بأن يتعرضوا للافرنج ثم يستطردوا لهم الى مواضع الكمناء ففعلوا وناشبوا الافرنج وانفوا من الاستطراد وطال على الكمناء الانتظار فخرجوا خشية على أصحابهم فوافوهم في شدة الحرب فانهزم المسلمون ووقع التمحيص وكان أربعة في الكمين من امراء طي فعدلوا عن طريق أصحابهم وسلكوا الوادي وتبعهم بعض العسكر من موالي صلاح الدين ورآهم الافرنج في الوادي فعلموا أنهم أضلوا الطريق فاتبعوهم وقتلوهم والله تعالى أعلم

(محاصرة الافرنج أهل صور لعكا والحروب عليها)

كانت صور كما قدمنا ضبطها المركيش من الافرنج الواصل من وراء البحر وقام بها وكان كلما فتح صلاح الدين مدينة أو حصناً على الامان لحق أهلها بصور فاجتمع بها عدد عظيم من الافرنج وأموال جمة ولما فتح القدس لبس كثير من رهبانهم وقسيسهم وزعمائهم السواد حزناً على البيت المقدس وارتحل بطرك من القدس وهم معه يستصرخون أهل الملة النصرانية من وراء البحر للاخذ بثأر القدس فخرجوا للجهاد من كل بلد حتى النساء اللواتي يجدن القوة على الحرب ومن لم يستطع الخروج استأجر مكانه وبذلوا الاموال لهم وجاء الافرنج من كل مكان ونزلوا بصور ومدد الرجال والاقوات والاسلحة متداركة لهم في كل وقت واتفقوا على الرحيل الى عكا لمحاصرتها فخرجوا ثامن رجب من سنة خمس وثمانين وسلكوا على طريق الساحل وأساطيلهم تحاذيهم في البحر ومسلحة المسلمين تتخطفهم من جوانبهم حتى وصلوا الى عكا منتصف رجب وكان رأى صلاح الدين أن يحاذيهم في مسيرهم لينال منهم فخالفه أصحابه واعتذروا بضيق الطريق ووعره فسلك طريقاً آخر ووافاهم على عكا وقد نزلوا عليها وأحاطوا بها من البحر الى البحر فليس للمسلمين اليها طريق ونزل صلاح الدين قبالتهم وبعث الى الاطراف يستنفر الناس فجاءت عساكر الموصل وديار بكر وسنجار وسائر

بلاد الجزيرة وجاء تقي الدين ابن أخيه من حماة ومظفر الدين كوكبرى من حران والرها وكان أمداد المسلمين تصل في البر وامداد الافرنج في البحر وهم محصورون في صور محاصرين وكانت بينهم أيام مذكورة ووقائع مشهورة وأقام السلطان بقية رجب لم يقاتلهم فلما استهل شعبان قاتلهم يوما بكماله وبات الناس على تعبية ثم صبحهم بالقتال ونزل الصبر وحمل عليهم تقي الدين ابن أخيه منتصف النهار من الميمنة حملة أزالتهم عن مواقفهم وملك مكانهم واتصل بالبلد فدخلها المسلمون وشحنها صلاح الدين بالمدد من كل شئ وبعث اليهم الامير حسام الدين أبا الهيجاء السمين من أكابر امرائه من الاكراد الحطبية من اربل ثم نهض المسلمون من الغد فوجدوا الافرنج قد أداروا عليهم خندقا يمتنعون به ومنعوهم القتال يومهم وأقاموا كذلك ومع السلطان أحياء من العرب فكمنوا في معاطف النهر من ناحية الافرنج على الساحل للغداة منهم وكبسوهم منتصف شعبان وقتلوهم وجاؤا برؤسهم الى صلاح الدين فأحسن اليهم والله تعالى أعلم

(الوقعة على عكا)

كان صلاح الدين قد بعث عن عسكر مصر وبلغ الخبر الافرنج فارادوا معاجلته قبل وصولهم وكانت عساكره متفرقة في المسالح على الجهات فسلحة تقابل انطاكية وتمنعد من أعمال حلب ومسلحة بحمص تحفظها من أهل طرابلس ومسلحة تقابل صور ومسلحة بدمياط والاسكندرية واعتزم الافرنج على مهاجمتهم بالقتال ولم يشعروا بهم وصبحوهم لعشرين من شعبان وركب صلاح الدين وعبى عساكره وقصدوا الميمنة وعليها تقي الدين ابن أخيه فتزحزح بعض الشئ وأمده صلاح الدين بالرجال من عنده فخطوا على صلاح الدين في القلب فتضعضع واستشهد جماعة منهم الامير علي ابن مردان والظهير أخو الفقيه عيسى والى القدس والحاجب خليل الهكارى وغيرهم وقصدوا خيمة صلاح الدين فقتلوا من وزرائه ونهبوا واستشهد جمال الدين بن رواحة من العلماء ووضعوا السيف في المسلمين وانهزم الذين كانوا حوالى الخيمة ولم تسقط وانقطع الذين ولوها من الافرنج عن أصحابهم وراءهم وحملت ميسرة المسلمين عليهم فاجتمعت وراء الخنادق وعادوا الى خيمة صلاح الدين فقتلوا كل من وجدوا وعشدها من الافرنج وصلاح الدين قد عاد من اتباع أصحابه يردهم للقتال وقد اجتمعوا عليهم فلم يفلت منهم أحد وأسروا مقدم الفداوية فأمر بقتله وكان أطلقه مرة أخرى وبلغت عدة القتلى عشرة آلاف فألقوا في النهر وأما المنهزمون من المسلمين فمنهم من رجع من طبرية ومنهم من جاوز الاردن ورجع ومنهم من بلغ دمشق واتصل قتال

المسلمين للافرنج وكادوا يلجون عليهم معسكرهم ثم جاءهم الصريخ بنهب اموالهم وكان المنهزمون قد حملوا اثقالهم فامتدت اليها أيدى الاوباش ونهبوها فكان ذلك مما شغل المسلمين عن استئصال الافرنج وأقاموا فى ذلك يوما وليلة يستردون النهب من أيدى المسلمين ونفس بذلك عن الافرنج بعض الشئ والله تعالى أعلم

(رحيل صلاح الدين عن الافرنج بعكا)

ولما انقضت هذه الواقعة وامتلأت الارض من جيف الافرنج تغير الهواء وأنتن وحدث بصلاح الدين قولنج كان يعاوده فأشار عليه أصحابه بالانتقال عن الافرنج يتقلون وان أقاموا اعدنا اليهم وحمله الاطباء على ذلك فرحل رابع رمضان من السنة وتقدم الى أهل عكا بحياطتها وأعلمهم بسبب رحيله فلما ارتحل اشتد الافرنج فى حصار عكا وأحاطوا بها دائرة مع اسطولهم فى البحر وحفروا خندقا على معسكرهم وأداروا عليهم سورا من ترابه حصنا من صلاح الدين أن يعود اليهم ومسلحة المسلمين قبالتهم يناوشونهم القتال فلا يقاتلونهم وبلغ ذلك صلاح الدين وأشار أصحابه بارسال العساكر ليمنع من التحصين فامتنع من ذلك لمرضه فتم للافرنج ما أرادوه وأهل عكا يخرجون اليهم فى كل يوم ويقاتلونهم والله تعالى أعلم

(معاودة صلاح الدين حصار الافرنج على عكا)

ثم وصل العادل أبو بكر بن أيوب منتصف شوال فى عساكر مصر ومعه الجم الغفير من المقاتلة والاصناف الكثيرة من آلات الحصار ووصل على اثره اسطول مصر مع الامير لؤلؤ وكبس مركبا فغنم ما فيه ودخل به الى عكا وبرئ صلاح الدين من مرضه وأقام بمكانه بالجزيرة الى انسلاخ الشتاء وسمع الافرنج أن صلاح الدين سار اليهم واستقلوا مسلحة المسلمين عندهم فزحفوا اليهم فى صفر سنة ست وثمانين واستمات المسلمون وقتل بين الفريقين خلق وبلغ الخبر بذلك صلاح الدين وجاءته العساكر من دمشق وحمص وحماة فتقدم من الجزيرة الى تل كيسان وتابع القتال على الافرنج يشغلهم عن المسلمين فكانوا يقاتلون الفريقين وكان الافرنج مدة مقامهم على عكا قد صنعوا ثلاثة أبراج من الخشب ارتفاع كل برج ستون ذراعا وفيه خمس طبقات وغشوها بالجلود وطلوها بالادوية التى لا تعلق النار بها وشحنوها بالمقاتلة ودنوها الى البلد من ثلاث جهات فى العشرين من ربيع الاول سنة ست وثمانين وأشرفوا بها على السور فكشف من عليه من المقاتلة وشرع الافرنج فى طم الخندق وبعث أهل عكا سابحا فى البحر يصف لهم حالهم فركب فى عساكره واشتد فى قتال الافرنج

نقف على أهل البلد ما كانوا فيه وأقاموا كذلك ثلاثة أيام يقاتلون الجهتين وعجزوا عن دفع الابراج ورموها بالنفط فلم يؤثر فيها وكان عندهم رجل من أهل دمشق يعانى أحوال النفط فأخذ عقاقير وصنعها وحضر عند قراقوش حاكم البلد وأعطاه دواء وقال ارم بهذا فى المنجنيق المقابل لاحدى الابراج فيحترق فخرد عليه ثم وافق ورمى به فى قدر ثم رمى بعده بقدر أخرى مملوأة نارا فاضطرمت النار واحترق البرج بمن فيه ثم فعل بالثانى والثالث كذلك وفرح أهل البلد وتخلصوا من تلك الورطة فأمر صلاح الدين بالاحسان الى ذلك الرجل فلم يقبل وقال انما فعلته لله ولا أريد الجزاء الامنه ثم بعث صلاح الدين الى ملوك الاطراف ليستنفرهم فجاء عماد الدين زنكى بن مودود صاحب سنجار ثم علاء الدين بن طالب صاحب الموصل ثم عز الدين مسعود بن مودود وبعثه أبوه بالعساكر ثم زين الدين صاحب اربل وكان كل واحد منهم اذا وصل يتقدم بعسكره فيقاتلون الافرنج ثم يضربون أبنيتهم وجاء الخبر بوصول الاسطول من مصر فجهز الافرنج أسطولا لقتاله وشغلهم صلاح الدين بالقتال ليتمكن الاسطول من دخول عكا فلم يشغلوا عنه وقاتلوا الفريقين برا وبحرا ودخل الاسطول الى مرسى عكا سالما والله تعالى أعلم بغيبه

(وصول ملك الالمان الى الشأم ومهلكه)

هؤلاء الالمان شعب من شعوب الافرنج كثير العدد موصوف بالبأس والشدة وهم موطنون بجزيرة انكلطيرة فى الجهة الشمالية الغربية من البحر المحيط وهم حديثو عهد بالنصرانية ولما سار القسس والرهبان بخبر بيت المقدس واستنفار النصرانية لها قام ملكهم لها وقعد وجمع عساكره وسار للجهاد بزعمه وفسح النصارى له الطريق وقصد القسطنطينية فعجز ملك الروم عن منعه بعد ان كان يعد بذلك نفسه وكتب بها الى صلاح الدين لكنه منع عنهم الميرة فضاقت عليهم الاقوات وعبروا خليج القسطنطينية ومروا بمملكة قليج ارسلان وتبعهم التركمان يحفون بهم ويتخطفون منهم وكان الفصل شتاء والبلاد باردة فهلك أكثرهم من البرد والجوع ومروا بقونية وبها قطب الدين ملك شاه بن قليج ارسلان قد غلب على ابيه أولاده وافترقوا فى النواحى فخرج ليصدهم فلم يطق ذلك ورجع فساروا فى أثره الى قونية وبعثوا اليه بهدية على أن يأذن لهم فى الميرة فاذن لهم واسترهنوا عشرين من أمرائه وتكاثر عليهم اللصوص فقيدوا أولئك الامراء وحبسوهم وساروا الى بلاد الارمن وصاحبها كافول بن اصطفاى بن اليون فأمدهم بالازواد والعلوفات وأظهر طاعتهم وسار الى

انطاكية ودخل ملكهم ليغتسل في نهر هناك فغرق ومات بعد ما بنيه ولما بلغوا انطاكية اختلفوا فبعضهم مال الى تمليك أخيه وبعضهم مال الى العود فعادوا كلهم وسار ابن الملك فيمن ثبت معه يزيدون على أربعين ألفا وأصابهم الموتان وحسن اليهم صاحب انطاكية المسير الى الافرنج على عكا فسار واعلى جبلة واللاذقية ومرّوا بحلب وتخطف أهلها منهم خلقا وبلغوا اطرابلس وقد أفناهم الموتان ولم يبق منهم الانحو ألف رجل فركبوا البحر الى عكا ثم رأوا ماهم فيه من الوهن والخلاف فركبوا البحر الى بلدهم وغرقت بهم المراكب ولم ينج منهم أحد وكان الملك قليج أرسلان يكاتب صلاح الدين بأخبارهم ويعده بمنعهم من العبور عليه فلما عبروا اعتذر بالعجز عنهم وافتراق أولاده واستبدادهم عليه وأما صلاح الدين فانه استشار أصحابه عند وصول خبرهم فأشار بعضهم الى لقائهم في طريقهم ومحاربتهم وأشار آخرون بالمقام لئلا يأخذ الافرنج عكا ومال صلاح الدين الى هذا الرأي وبعث العساكر من جبلة واللاذقية وشيزر الى حلب ليحفظوها من عاديتهم والله تعالى ولي التوفيق

(واقعة المسلمين مع الافرنج على عكا)

ثم زحف الافرنج على عكا في عشر من جمادى الاخيرة من سنة ست وثمانين وخرجوا من خنادقهم الى عساكر صلاح الدين وقصد العادل أبو بكر بن أيوب في عساكر مصر فاقتتلوا قتالا شديدا حتى كشفهم الافرنج عن الخيام وملكوها ثم كرّ عليهم المصريون فكشفوهم عن خيامهم وخالفهم بعض عساكر مصر الى الخنادق فقطعوا عنهم بعض مدد أصحابهم فأخذتهم السيوف وقتل منهم ما يزيد على عشرين ألفا وكانت عساكر الموصل قريبا من عسكر مصر ومقدمهم علاء الدين خوارزم شاه بن عز الدين مسعود صاحب الموصل فعدمت جرتهم وأمر صلاح الدين عنا جزتهم على هذا الحال وبلغه الخبر بموت الالمان وما أصاب قومه من الشتات فسر المسلمون بذلك وظنوا وهن الافرنج به ثم بعد يومين لحقت بالافرنج امداد في البحر مع كند من الكنود يقال له الكندهري ابن أخي الافرنسيس لابيه وابن أخي ملك انكلطيرة لامه ففرّق في الافرنج أموالا وجند لهم أجنادا ووعدهم بوصول الامداد على أثره فاعتزموا على الخروج لقتال المسلمين فانتقل صلاح الدين من مكانه الى الخروبة لثلاث بقين من جمادى الاخيرة اضيق المجال ونتن المكان من جيف القتلى ثم نصب الكندهري على عكا مجانيق وذبابات فأخذها أهل عكا وقتلوا عندها جموعا من الافرنج فلم يتمكن من ذلك ولا من الستائر عليها لان أهل البلاد كانوا يصيبونها فعمل تلا عاليا من التراب ونصب المجانيق من ورائه وضاقت الاحوال وقلت الميرة

وأرسل صلاح الدين الى الاسكندرية يبعث الاقوات فى المراكب الى عكا وبعث الى بيروت بمثل ذلك فبعثوا مراكبا ونصبوا فيها الصلبان يوهمون انه للافرنج حتى دخلوا الى المرسى وجاءت بعد الميرة من الاسكندرية ثم جاءت ملكة من الافرنج من وراء البحر فى نحو ألف مقاتل للجهاد بزعمها فأخذت بحر الاسكندرية هى وجميع ما معها ثم كتب البابا كبير الملة النصرانية من كنيسة برومة يأمرهم بالصبر والجهاد ويخبرهم بوصول الامداد وأنه راسل ملوك الافرنج يحثهم على امدادهم فازدادوا بذلك قوة واعتزموا على مناجزة المسلمين وجروا عسكر الحصار عكا وارتحلوا حادى عشر شوال من السنة فنقل صلاح الدين اثقال العسكر الى

على ثلاثة فراسخ من عكا ولقى الافرنج على التعبية وكان أولاده الافضل على والظاهر غازى والظافر خضر فى القلب وأخوه العادل أبو بكر فى الميمنة بعساكر مصر ومن انضم اليهم وعماد الدين صاحب سنجار وتقى الدين صاحب حماة ومعز الدين سنجر شاه صاحب جزيرة ابن عمر فى الميسرة وصلاح الدين فى خيمة صغيرة على تل مشرف نصب له من أجل موضعه فلما وصل الافرنج وعاينوا كثرة المسلمين ندموا على مفارقة خنادقهم وباتوا ليلتهم وعادوا من الغد الى معسكرهم فاتبعوهم أهل المقدمة وتخطفوهم من كل ناحية وأجروهم وراء خنادقهم ثم ناوشوهم القتال فى الثالث والعشرين من شوال بعد ان أكمنوا لهم عسكرا فخرج لهم الافرنج فى نحو أربعمائة فارس واستطردلهم المسلمون الى أن وصلوا كمينهم فخرجوا عليهم فلم يفلت منهم أحد واشتد الغلاء على الافرنج وبلغت الغرارة مائة دينار صورى مع ما كان يحمل اليهم من البلدان من بيروت على يد صاحبها أسامة ومن صيدا على يد نائبها سيف الدين على ابن أحمد المشطوب ومن عسقلان وغيرها ثم اشتد الحال عليهم عند هيجان البحر وانقطاع المراكب فى فصل الشتاء ثم هجم الشتاء وأرسى الافرنج مراكبهم بصور خوفا عليها على عادتهم فى صور فى فصل الشتاء ووجد الطريق الى عكا فى البحر فأرسل أهلها الى صلاح الدين يشكون ما نزل بهم وكان بها الامير حسام الدين أبو الهيجاء السمين فشكى من ضجره بطول المقام والحرب فأمر صلاح الدين بانفاذ نائب وعسكر اليها بدلا منهم وأمر أخاه العادل بمباشرة ذلك فانتقل الى جانب البحر عند جبل حيفا وجمع المراكب والشوانى وبعث العساكر اليها شيأ فشيأ كلما دخلت طائفة خرج بدلها فدخل عشرون أميرا بدلا من ستين كانوا وأهملوا أهل الرجل وتعينت دواوين صاحب صلاح الدين وكانوا نصارى على الجند فى اثباتهم واطلاق نفقاتهم فبلغ الحامية بعكا وضعفت وعادت مراكب الافرنج بعد انحسار الشتاء فانقطعت

الاخبار عن عكا وعنها وكان من الامراء الذين دخلوا عكا سيف الدين على بن أحمد المشطوب وعز الدين ارسلان مقدم الاسرية وابن جاولى وغيرهم وكان دخولهم عكا أول سنة سبع وثمانين والله سبحانه وتعالى أعلم

(وفاة زين الدين صاحب اربل وولاية أخيه كوكبرى)

كان زين الدين يوسف بن زين الدين قد دخل فى طاعة صلاح الدين وكانت له اربل كما مر لابيه وحران والرها الاخيه مظفر الدين كوكبرى وكان يعسكر مع صلاح الدين فى غزواته وحضر عنده على عكا فأصابه المرض وتوفى فى ثامن عشر رمضان سنة أربع وثمانين فقبض أخوه مظفر الدين كوكبرى على بلد أسير من أمرائه وبعث الى صلاح الدين يطلب اربل وينزل عن حران والرها فأجابه وأقطعه اياهما وأضاف اليهما شهرزور وأعمالها ودار بند العرابلى وهى قفجاق وكاتب أهل اربل مجاهد الدين صاحب الموصل خوفا من صلاح الدين مع أن مجاهد الدين كان عز الدين قد حبسه كما مر ثم اطلقه وولاه نائبه وجعل بعض غلمانه عينا عليه فكان يناقضه فى كثير من الاحوال فقصد مجاهد الدين أن يفعل معه مثل ذلك فى اربل فامتنع منها وولاها مظفر الدين واستقل أمره فيها ولما نزل مظفر الدين عن حران والرها وهبهما صلاح الدين لابن أخيه تقى الدين عمر بن شاهنشاه مضافة الى ميافارقين بديار بكر وحماة وأعمالها بالشام وتقدم له أن يقطع أعمالها الجند فيتقوى بهم على الافرنج فسار تقى الدين اليها وقرر أمورها ثم انتهى الى ميافارقين وتجدد له طمع فيما يجاورها من البلاد فقصد مدينة حال من ديار بكر وسار اليه سيف الدين بكتمر صاحب خلاط فى عساكره وقاتله فهزمه تقى الدين وملك بلاده وكان بكتمر قد قبض على مجد الدين بن رشيق وزير سلطان شاكرين وحبسه فى قلعة هنالك فلما انهزم كتب الى والى القلعة بقتله فوافاه الكتاب وتقى الدين محاصر له فلما ملك القلعة أطلق ابن رشيق وسار الى خلاط وحاصرها فامتنعت عليه فعاد عنها الى ملاذكرد فضيق عليها حتى استأمنوا اليه وضرب لهم أجلا فى تسليم البلد ثم مرض ومات قبل ذلك الاجل بيومين وحمله ابنه الى ميافارقين فدفنه بها واستفحلت دولة بكتمر فى خلاط والله تعالى أعلم

(وصول امداد الافرنج من الغرب الى عكا)

ثم تتابعت امداد الافرنج من وراء البحر لاخوانهم المحاصرين لعكا وأول من وصل منهم الملك ملك افرنسة وهو ذ ونصب فيهم وملكه ليس بالقوى هكذا قال ابن الاثير وعنى انه كان مستفحلا فى ذلك العصر لانه فى الحقيقة ملك الافرنج وهو فى ذلك

العصر أشد من كانوا قوة واستفحل الافرنج ثانى عشر ربيع الاول سنة أربع وثمانين فى ستة مراكب عظيمة مشحونة بالمقاتلة والسلاح فقوى الافرنج على عكا بمكانه وولى حرب المسلمين فيها وكان صلاح الدين على معسكر قريبا من معسكر الافرنج فكان يصابحهم كل يوم عن مزاحمة البلد وتقدم الى أسامة فى بيروت بتجهيز ماعنده من المراكب والشوانى الى مرسى عكا ليشغل الافرنج أيضا فبعثها ولقيت خمسة مراكب فى البحر وكان ملك الانكلطيرة أقدمها وأقام على جزيرة قبرص طامعا فى ملكها فغنم أسطول المسلمين الخمسة مراكب بما فيها ونفذت كلمة صلاح الدين الى سائر النواب بأعماله بمثل ذلك فجهزوا الشوانى وملؤا بها مرسى عكا وواصل الافرنج قتال البلد ونصبوا عليها المجنيقات رابع جمادى وتحول صلاح الدين لمعسكره قريبا منهم ليشغلهم عن البلد فخف قتالهم عن أهل البلد ثم فرغ ملك انكلطيرة من جزيرة قبرص وملكها ونزل صاحبها وبلغ الى عكا فى خمس وعشرين مركبا مشحونة بالرجال والاموال ووصل منتصف رجب ولقى فى طريقه مركبا جهز من بيروت الى عكا وفيه سبعمائة مقاتل فقاتله فلما يئس المسلمون الذين به من الخلاص نزل مقدمهم وهو يعقوب الحلبى غلام ابن شقنين فخرق المركب خوفا من أن يظفر الافرنج برجاله وذخائره فغرق ثم عمل الافرنج ذبابات وكباشا وزحفوا بها فأحرق المسلمون بعضها وأخذوا بعضها فرجع الافرنج الى نصب التلال من التراب يقاتلون من ورائها فامتنعت من نفوذ الحيلة فيها وضاق حال أهل عكا

(استيلاء الافرنج على عكا)

ولما جهد المسلمين بعكا الحصار خرج الامير سيف الدين على بن أحمد الهكارى المشطوب من أكبر أمرائها الى ملك افرنسة يستأمنه لاهل عكا فلم يجبه وضعفت نفوس أهل البلد لذلك ووهنوا ثم هرب من الامراء عز الدين ارسل الاسدى وابن عز الدين جاولى وسنقر الارجانى فى جماعة منهم ولحقوا بالعسكر فازداد أهل عكا وهنا وبعث الافرنج الى صلاح الدين فى تسليمها فأجاب على أن يؤمنوا أهل البلد ويطلق لهم من أسراهم بعدد أهل البلد ويعطيهم الصليب الذى أخذه من القدس فلم يرضوا بما فعل فبعث الى المسلمين بعكا أن يخرجوا بجمعهم ويتركوا البلد ويسيروا مع البحر ويحملوا على العدو حملة مستقتين ويجىء المسلمون من وراء العدو فعساهم يخلصون بذلك فلما أصبحوا زحف الافرنج الى البلد ورفع المسلمون اعلامهم وارسل المشطوب من البلد الى الافرنج فصالحهم على الامان على أن يعطيهم مائتى ألف دينار ويطلق لهم خمسمائة أسير ويعيد لهم الصليب ويعطى للمركيش صاحب صور أربعة عشر ألف

دينار فأجابوا الى ذلك وضربوا المدة للمال والاسرى شهرين وسلموا اليهم البلد فلما ملكوها غدروا بهم وحبسوهم رهنا بزعمهم فى المال والاسرى والصليب ولم يكن لصلاح الدين ذخيرة من المال لكثرة انفاقه فى المصالح فشرع فى جمع المال حتى اجتمع مائة ألف دينار وبعث نائبا يستحلفهم على أن يضمن الفداء وبقى من الخلف والضمان خوفا من غدر أصحابه وقال ما وكهم اذا سلمتم المال والاسرى والصليب تعطونا رهنا فى بقية المال وتطلقوا أصحابكم وطلب صلاح الدين أن يضمن الفداء وبقية الرهن ويحلفوا فامتنعوا ايضا وقالوا ترسلون المائة ألف دينار والاسرى والصليب فنطلق من نراه ونبقى الباقى الى مجىء بقية المال فتبين المسلمون غدرهم وانهم يطلقون من لا يعبأ به ويمسكون الامراء والاعيان حتى يفادوهم فلم يجبهم صلاح الدين الى شئ ولما كان آخر رجب ركب الافرنج الى ظاهر البلد فى احتفال وركب المسلمون فشدوا عليهم وكشفوهم عن مواقفهم فاذا المسلمون الذين كانوا عندهم قتلى بين الصفين قد استلموا اضعفاءهم وتمسكوا بالاعيان للمفاداة فسقط فى يد صلاح الدين وتمسك بالمال الذى جمعه لغيرها من المصالح والله تعالى أعلم

(تخريب صلاح الدين عسقلان)

ولما استولى الافرنج على عكا استوحش المركيش صاحب صور من ملك انكلطرة وأحس منه بالغدر فلحق ببلده صور ثم سار الافرنج مستهل شعبان لقصد عسقلان وساروا مع ساحل البحر لا يفارقونه ونادى صلاح الدين باتباعهم مع ابنه الافضل وسيف الدين أبى زكوش وعز الدين خرديك فاتبعوهم يقاتلونهم ويتخطفونهم من كل ناحية ففتكوا فيهم بالقتل والاسر وبعث الافضل الى أبيه يستمده فلم يجد العساكر مستعدة وسار ملك انكلطرة فى ساقة الافرنج فحملهم وانتهوا الى يافا فأقاموا بها والمسلمون قبالتهم مقيمون ولحق بهم من عكا من احتاجوا اليه ثم ساروا الى قيسارية والمسلمون يتبعونهم ويقتلون من ظفروا به منهم وزاحموهم عند قيسارية فنالوا منهم وباتوا بها مشاورين واختطف المسلمون منهم بالليل فقتلوا وأسروا وساروا من الغد الى أرسوف وسبقهم المسلمون اليها الضيق الطريق فحملوا عليهم عندها حتى اضطروهم الى البحر فحينئذ استمات الافرنج وحملوا على المسلمين فهزموهم وأثخنوا فى تابعهم وألحقوهم بالقلب وفيه صلاح الدين وتستر المسلمون المنهزمون بخمر الشعراء فرجع الافرنج عنهم وانفرج ما كانوا فيه من الضيق المذكور وساروا الى يافا فوجدوها خالية وملكوها وكان صلاح الدين قد سار من مكان الهزيمة الى الرملة وجمع مخلفه وأثقاله واعتزم على مسابقة الافرنج الى عسقلان فمنعه أصحابه وقالوا

تخشى أن تزاحمنا الافرنج عليها ويغلبونا على حصارها كما غلبونا على حصار عكا ويملكوها آخرا ويقووا بما فيها من الذخائر والاسلحة فندبهم الى المسير اليها وحمايتها من الافرنج فلجوا فى الامتناع من ذلك فسار وترك العساكر مع أخيه العادل قبالة الافرنج ووصل الى عسقلان وخربها تاسع عشر شعبان وألقيت حجارتها فى البحر وبقى أثرها وهلك فيها من الاموال والذخائر ما لا يحصى فلما بلغ الافرنج ذلك أقاموا بيافا وبعث المركيس الى ملك انكلطيرة يعذله حيث لم يناجز صلاح الدين على عسقلان ويمنعه من تخريبها فاخربها حتى عجز عن حمايتها ثم رحل صلاح الدين من عسقلان ثانى شهر رمضان الى الرملة فخرب حصنها ثم سار الى القدس من شدة البرد والمطر لينظر فى مصالح القدس وترتيبهم فى الاستعداد للحصار وأذن للعساكر فى العود الى بلادهم للاراحة وعاد الى مخيمه ثامن رمضان وأقام الافرنج بيافا وشرعوا فى عمارتها فرحل صلاح الدين الى نطرون وخيم به منتصف رمضان وتردد الرسل بين ملك انكلطيرة وبين العادل على أن يزوجه ملك انكلطيرة أخته ويكون القدس وبلاد المسلمين بالساحل للعادل وعكا وبلاد الافرنج بالساحل لها الى مملكتها وراء البحر بشرط رضا الفداوية وأجاب صلاح الدين الى ذلك ومنع الاقسة والرهبان أخت ملك انكلطيرة من ذلك ونكروا عليها فلم يتم وانما كان ملك انكلطيرة يخادع بذلك ثم اعتزم الافرنج على القدس ورحلوا من يافا الى الرملة ثالث ذى القعدة وسار صلاح الدين الى القدس وقدم عليه عسكر مصر مع أبى الهيجاء السمين فقويت به نفوس المسلمين وسار الافرنج من الرملة الى النطرون ثالث ذى الحجة والمسلمون يحاذونهم وكانت بينهم وقعات اسروا فى واحدة منها وخمسين من مقاتلة الافرنج واهتم صلاح الدين بعمارة اسوار القدس ورم ما ثلم منها وضبط المكان الذى ملك القدس منه وسد فروجه وامر بحفر الخندق خارج الفصيل وقسم ولاية هذه الاعمال بين ولده وأصحابه وقلت الحجارة للبنيان وكان صلاح الدين يركب الى الاماكن البعيدة وينقلها على مركوبه فيقتدى به العسكر ثم ان الافرنج ضاقت أحوالهم بالنطرون وقطع المسلمون عنهم الميرة من ساحلهم فلم يكن كما عهدوه بالرملة وسأل ملك انكلطيرة عن صورة القدس ليعلم كيفية ترتيب حصارها فصورت له ورأى الوادى محيطا بها الا قليلا من جهة الشمال مع عمقه ووعرة مسالكه فقال هذه لا يمكن حصارها الا انا اذا اجتمعنا عليها من جانب بقيت الجوانب الاخرى وان افترقنا على جانب الوادى والجانب الآخر كبس المسلمون احدى الطائفتين ولم تصل الاخرى لانجادهم خوفا من المسلمين على معسكرهم وان تركوا من أصحابه حامية المعسكر فالمدى بعيد لا يصلون للانجاد الا بعد الوفاة هذا الى ما يلحقنا من

تعذر القوت بانقطاع الميرة فعلموا صدقه وارتحلوا عائدين الى الرملة ثم ارتحلوا في محرم سنة ثمان وثمانين الى عسقلان وشرعوا في عمارتها وسار ملك انكلطيرة الى مسلح المسلمين فواقعوهم وجرت بينهم حروب شديدة وصلاح الدين يبعث سراياه من القدس الى الافرنج للاغارة وقطع الميرة فيغنمون ويعودون والله تعالى أعلم

(مقتل المركيش وملك الكندهري مكانه)

ثم ارتحل صلاح الدين الى سنان مقدم الاسماعيلية بالشأم في قتل ملك انكلطيرة والمركيش وجعل له على ذلك عشرة آلاف دينار فلم يمكنهم قتل ملك انكلطيرة لما رأوه من المصلحة لئلا يتفرغ لهم صلاح الدين وبعث رجلين لقتل المركيش في زي الرهبان فاتصلا بصاحب صيدا وابن بارزان صاحب واقاما عندهما بصور ستة أشهر مقبلين على رهبانيتهما حتى أنس بهما المركيش ثم دعاه الاسقف بصور لدعوى فوثبا عليه فجرحاه ولجأ أحدهما الى كنيسة واختفى فيها وحمل اليها المركيش لشدة جراحه فأجهز عليه ذلك الباطني وقتله ونسب ذلك الى ملك انكلطيرة رجاء ان يتفرد بملك الافرنج بالشأم ولما قتل المركيش ملك المدينة زعيم من الافرنج الواردين من وراء البحر يعرف بالكندهري ابن أخت ملك افرنسة وابن أخي ملك انكلطيرة من أبيه وتزوج بالملكة في ليلته وبنى بها وملك عكا وسائر البلاد بعد عود ملك انكلطيرة وعاش الى سنة أربع وتسعين وسقط من سطح ولما رحل ملك انكلطيرة الى بلاده أرسل هذا الكندهري الى صلاح الدين واستماله للصلح والتمس منه الخلعة فبعث اليه بها ولبسها بعكا والله تعالى أعلم

(مسير الافرنج الى القدس)

ولما قدم صلاح الدين القدس وكان قد بلغه مهلك تقي الدين عمر ابن أخيه شاهنشاه وان ابنه ناصر الدين استولى على أعماله بالجزيرة وهي حران والرها وسميساط وميافارقين وحاني وبعث الى صلاح الدين يسأل ابقاءها في يده مضافة الى ما كان لابيه من الاعمال بالشأم فاستقصره صلاح الدين لصغره وطلب منه ابنه الافضل أن يعطيها له وينزل عن دمشق فجابه الى ذلك وأمره أن يسير اليها وكاتب ملوك البلاد الشرقية بالموصل وسنجار والجزيرة واربل وسار لانجاده بالعساكر وعلم ناصر الدين انه لاقبل له بذلك فبعث للملك العادل يستشفع له عند صلاح الدين على أن يبقى بيده له ما كان لابيه بالشأم فقط وينزل عن بلاد الجزيرة فأقطعهما صلاح الدين أخاه الملك العادل وبعثه يتسلمها ورد ابنه الافضل فلحق بالافضل بحلب وأعاده وعبر

الفرات وتسلم البلاد من ناصر الدين بن تقي الدين وأنزل بها عماله واستصحبه وسائر العساكر الجزرية الى صلاح الدين بالقدس ولما بلغ الافرنج أن صلاح الدين بعث ابنه الافضل وأخاه العادل وفرّق العساكر عليهما ولم يبق معه بالقدس الا بعض الخاصة فطمعوا فيه وأغاروا على عسكر مصر وهو قاصد اليه ومقدمهم سليمان أخو العادل لامه فأخذوه بنواحي الخليل وقتلوا وغنموا ونجا فلهم الى جبل الخليل وساروا الى الداروم فخربوه ثم ساروا الى القدس وانتهوا الى بيت نوبة على فرسخين من القدس تاسع جمادى الاولى من سنة ثمان وثمانين واستعدّ صلاح الدين للحصار وفرّق أبراج السور على أمرائه وسلط السرايا والبعوث عليهم فرأوا ما لا قبل لهم به فتأخروا عن منازلتهم بيافا وأصبحت بقولهم ومبرتهم غنائم للمسلمين وبلغهم أن العساكر الشرقية التي مع العادل والافضل عادت الى دمشق فعادوا الى عكا وعزموا على محاصرة بيروت فأمر صلاح الدين ابنه الافضل أن يسير في العساكر الشرقية اليها فسار وانتهى الى مرج العيون فلم يبرح الافرنج من عكا واجتمع عند صلاح الدين خلال ذلك العساكر من حلب وغيرها فسار الى يافا فحاصرها وملكها عنوة في عشري رجب من السنة ثم حاصر القلعة بقية يومه وأشرفوا على فتحها وكانوا ينتظرون المدد من عكا فشغلوا المسلمين بطلب الامان الى الغد فأجابوهم اليه وجاءهم ملك انكلطيرة ليلا وتبعه مدد عكا وبرز من الغد فلم يتقدم اليه أحد من المسلمين ثم نزل بين السماطين وجلس للاكل وأمر صلاح الدين بالحملة عليهم فتقدم أخ المشطوب وكان يلقب بالجناح وقال لصلاح الدين نحن نتقدم للقتال ومماليكك للغنيمة فغضب صلاح الدين وعاد عن الافرنج الى خيامه حتى جاء ابنه الافضل وأخوه العادل فرحل الى الرملة ينتظر ما يكون من أمره مع الافرنج وأقاموا بيافا والله تعالى أعلم

(الصلح بين صلاح الدين والافرنج ومسير ملك انكلطيرة الى بلاده)

كان ملك انكلطيرة الى هذه المدة قد طال مغيبه عن بلاده ويئس من بلاد الساحل لان المسلمين استولوا عليه فأرسل الى صلاح الدين يسأله في الصلح وظن صلاح الدين أن ذلك مكر فلم يجبه وطلب الحرب فألح ملك انكلطيرة في السؤال وظهر صدقه في ذلك منه فترك ما كان فيه من عمارة عسقلان وغزة والداروم والرملة وبعث الى الملك العادل بأن يتوسط في ذلك فأشار على صلاح الدين بالاجابة هو وسائر الامراء لما حدث عند العسكر من الضجر ونفاد النفقات وهلاك الدواب والاسلحة وما بلغهم أن ملك انكلطيرة عائد الى بلاده وان لم تقع الاجابة آخر فصل الشتاء امتنع ركوب البحر فيقيم الى قابل فلما وعى ذلك صلاح الدين وعلم صحته أجاب الى الصلح وعقد الهدنة مع رسل الافرنج في

عشرين من شعبان سنة ثمان وثمانين لمدة أربعة وأربعين شهرا فتحالفوا على ذلك وأذن صلاح الدين للافرنج فى زيارة القدس وارتحل ملك انكلطيرة فى البحر عائدا الى بلده وأقام الكندهرى صاحب صور بعد المركيش ملكا على الافرنج بسواحل الشام وتزوج الملكة التى كانت تملكهم قبله وقبل صلاح الدين كامر وسار صلاح الدين الى القدس فأصلح اسواره وأدخل كنيسة صهيون فى البلد وكانت خارج السور واختط المدارس والربط والمارستان ووقف عليها الاوقاف واعتزم على الاحرام منه للحج فاعترضته القواطع دون ذلك فسار الى دمشق خامس شوال واستخلف عليه الامير جرديك من موالى نور الدين ومر يكفور المسلمين نابلس وطبرية وصفد وبيروت ولما انتهى الى بيروت أتاه بها سمند صاحب انطاكية وطرابلس وأعمالها فالتزم طاعة صلاح الدين وعاد ودخل صلاح الدين دمشق فى الخامس والعشرين من شوال وسر الناس بقدومه ووهن العدو والله سبحانه وتعالى أعلم

(وفاة صلاح الدين وحال ولده وأخيه من بعده)

ولما وصل صلاح الدين الى دمشق وقد خف من شواغل الافرنج بوهنهم وما عقد من الهدنة فأراح قليلا ثم اعتزم على احداث الغزو فاستشار ابنه الافضل وأخاه العادل فى مذهبه فأشار العادل بخلاط لانه كان وعده أن يقطعه اياها اذا ملكها وأشار الافضل ببلاد الروم ايالة بنى قليج ارسلان لسهولة أمرها واعتراض الافرنج فيها اذا قصدوا الشأم لانها طريقهم فقال لاخيه تذهب أنت لخلاط فى بعض ولدى و بعض العسكر وأذهب أنا الى بلاد الروم فاذا فرغت منها لحقت بكم فسرنا الى اذربيجان ثم الى بلاد العجم وأمره بالمسير الى الكرك وهى من أقطاعه ليتجهز منها و يعود لشأنه فسار الى الكرك ومرض صلاح الدين بعده ومات فى صفر سنة تسع وثمانين وخمسمائة لخمس وعشرين سنة من ملكه مصر رحمه الله تعالى وكان معه بدمشق ابنه الافضل نور الدين والعساكر عنده فملك دمشق والساحل و بعلبك وصرخد وبصرى وبانياس وشوش وجميع الاعمال الى الداروم وكان بمصر ابنه العزيز عثمان فاستولى عليها وكان بحلب ابنه الظاهر غازى فاستولى عليها وعلى أعمالها مثل حارم وتل باشر وعزاز وبرزية ودربساك وغيرها وأطاعه صاحب حماة ناصر الدين محمد بن تقى الدين عمر بن شيركوه وله مع حماة سلمية والمعرة ومنبج وابن محمد بن شيركوه وله مع الرحبة حمص وتدمر و ببعلبك بهرام شاه بن فرخشاه ابن شاهنشاه ولقبه الامجد وببصرى الظافر بن صلاح الدين ولقبه الامجد مع أخيه الافضل وشيزر سابق الدين عثمان بن الداية وبالكرك والشوبك الملك العادل وبلغ الخبر

لى العادل فأقام بالكرك واستدعاه الافضل من دمشق فلم يجبه تخوفه ابن أخيه العزيز صاحب مصر من عز الدين صاحب الموصل وقد كان سار من الموصل الى بلاد العادل بالجزيرة فوعده بالنصر منه وأوهمه الرسول ان لم يسر الى الافضل بدمشق انه متوجه الى العزيز بمصر ليحالفه عليه فحينئذ ارتاب العادل وسار الى الافضل بدمشق فتلقاه بالمبرة وجهزله العساكر لمدافعة عز الدين صاحب الموصل عن بلاد الجزيرة وأرسل الى صاحب حمص وصاحب حماة يحضهم على انفاذ العساكر معه وعبر بها الفرات وأقام بنواحي الرها وكان عز الدين مسعود بن مودود صاحب الموصل لما بلغه وفاة صلاح الدين اعتزم على المسير الى بلاد العادل بالجزيرة حران والرها وسائرها التى جمعها من يده وجاهد الدين قايماز نائب دولته يثنيه عن ذلك ويعذله فيه فتبين حال العادل مع ابن أخيه وبينما هو فى ذلك اذ جاءت الاخبار بأن العادل بحران ثم وافاهم كتابه بأن الافضل ملك بعد أبيه صلاح الدين وأطاعه الناس فكاتب عز الدين جيرانه من الملوك مثل صاحب سنجار وصاحب ماردين يستنجدهم وجاء اليه أخوه على نصيبين وسار معه الى الرها فأصابه المرض فى طريقه ورجع الى الموصل فمات أول رجب من السنة واستقرت ايالة العادل فى ملكه من الجزيرة فلم يزاحمه فيها أحد والله تعالى ينصر من يشاء من عباده

(مسير العزيز من مصر الى حصار الافضل بدمشق وما استقر بينهم فى الولايات)

كان العزيز عثمان بن صلاح الدين قد استقر بمصر كما ذكرناه وكان موالى أبيه منحرفين عن الافضل ورؤساؤهم يومئذ جهاركس وقراجا وقد استقر بهم عدو الافضل والاكراد وموالى شيركوه شيعة له فكان العدو يغرون العزيز بهؤلاء الشيع ويخوفونه من أخيه الافضل ويغرونه بانتزاع دمشق من يده فسار لذلك سنة تسعين وخمسمائة ونزل على دمشق واستنزل الافضل وهو بأعماله بالجزيرة وسار لعمه العادل بنفسه وسار معه الظاهر غازى بن صلاح الدين صاحب حلب وناصر الدين محمد بن تقى الدين عمر بن شاهنشاه صاحب حماة وشيركوه بن محمد بن شيركوه صاحب حمص وعساكر الموصل من قبل عز الدين مسعود بن مودود وساروا كلهم الى الافضل بدمشق لانجاده فامتنع على العزيز مرامه وترسلوا فى الصلح على أن يكون القدس وأعمال فلسطين للعزيز وجبلة واللاذقية للظاهر صاحب حلب وتبقى دمشق وطبرية والغور للافضل وأن يستقر العادل بمصر مدبرا دولة العزيز على اقطاعه الاول وانعقد الصلح على ذلك ورجع العزيز الى مصر وعاد كل الى بلده والله تعالى أعلم

(حصار العزيز ثانيا دمشق وهزيمته)

ولما عاد العزيز الى مصر عادموالى صلاح الدين الى اغرائه بأخيه الافضل فتجهز لحصاره بدمشق سنة احدى وتسعين وسار الافضل من دمشق الى عمه العادل بقلعة جعبر ثم الى أخيه الظاهر غازى بحلب مستنجدا لهما وعاد الى دمشق فوجد العادل قد سبقه اليها واتفقا على أن تكون مصر للافضل ودمشق للعادل ووصل العزيز الى قرب دمشق وكان الاكراد وموالى شيركوه منحرفين عنه كما قدمناه وشيعة للافضل ومقدمهم سيف الدين ابوركوش من الموالى وأبو الهيجاء السمين من الاكراد فدلسا للافضل بالخروج الى العزيز وواعداه الهزيمة عنه فخرجا فى العساكر وانحازا اليهما الموالى والاكراد وانهزم العزيز الى مصر وبعث الافضل العادل الى القدس فتسلمه من نائب العزيز وساروا فى اتباعه الى مصر والعساكر ملتفة على الافضل فارتاب العادل وخشى أن لا يفى له الافضل بما اتفقا عليه ولا يمكنه من دمشق فراسل العزيز بالثبات وأن ينزل حامية ووعد من نفسه المظاهرة على أخيه وتكفل له منعه من مقاتلته بلبيس فترك العزيز بها فخر الدين جهاركس فى عسكر من موالى أبيه وأراد الافضل مناجزته فمنعه العادل فأراد الرحيل الى مصر فمنعه أيضا وقال له ان أخذت مصر عنوة انخرقت الهيبة وطمع فيها الاعداء والمطاولة أولى ودس الى العزيز بارسال القاضى الفاضل وكان مطاعا فيهم لمنزلته عند صلاح الدين فجاء اليهما وعقدا الصلح بينهم على أن يكون للافضل القدس وفلسطين وطبرية والاردن مضافة الى دمشق ويكون للعادل كما كان القديم ويقيم بمصر عند العزيز يدبر أمره وتحالفوا على ذلك وعاد الافضل الى دمشق وأقام العادل عند العزيز بمصر انتهى والله أعلم

(استيلاء العادل على دمشق)

ثم ان العزيز استمال العادل وأطمعه فى دمشق أن يأخذها من أخيه ويسلمها اليه وكان الظاهر صاحب حلب يعذل الافضل فى موالاة عمه العادل ويحرضه على ابعاده فيلج فى ذلك ثم ان العادل والعزيز ساروا من مصر وحاصروا دمشق واستمالوا من أمراء الافضل أبا غالب الحمصى على وثوق الافضل به واحسانه اليه ففتح لهم الباب الشرقى عشى السابع والعشرين من رجب سنة اثنتين وتسعين فدخل العادل منه الى دمشق ووقف العزيز بالميدان الاخضر وخرج اليه أخوه الافضل ثم دخل الافضل دار شيركوه وأظهروا مصالحة الافضل خشية من جموعه وأعادوه الى القلعة وأقاموا بظاهر البلد والافضل يغاديهم كل يوم ويراوحهم حتى استفحل أمرهم فأمروه بالخروج من دمشق وتسليم أعمالها وأعطوه قلعة صرخد وملك العزيز

القلعة ونقل للعادل أن العزيز يريد أن يتردد الى دمشق فجاء اليه وحمله على تسليم القلعة فسلمها وخرج الافضل الى رستاق له خارج البلد فأقام به وسار منه الى صرخد وعاد العزيز الى مصر وأقام العادل بدمشق والله سبحانه وتعالى أعلم بغيبه وأحكم

(فتح العادل يافا من الافرنج واستيلاء الافرنج على بيروت وحصارهم تبنين)

ولما توفى صلاح الدين وملك أولاده بعده جدد العزيز الهدنة مع الكندهرى ملك الافرنج كما عقد أبوه معه وكان الامير أسامة يقطع بيروت فكان يبعث الشوانى للاغارة على الافرنج وشكوا ذلك الى العادل بدمشق والعزيز بمصر فلم يشكهم فأرسلوا الى ملوكهم وراء البحر يستنجدونهم فأمدوهم بالعساكر وأكثرهم من الالمان ونزلوا بعكا واستنجد العادل بالعزيز فبعث اليه بالعساكر وجاءته عساكر الجزيرة والموصل واجتمعوا بعين جالوت وأقاموا رمضان وبعض شوال من سنة ثنتين وتسعين ثم ساروا الى يافا فملكوا المدينة أولا وخربوها وامتنع الحامية بالقلعة فحاصروها وفتحوها عنوة واستباحوها وجاء الافرنج من عكا الصريخ اخوانهم وانتهوا الى قيسارية فبلغهم خبر وفاتهم وخبر وفاة الكندهرى ملكهم بعكا فرجعوا ثم اعتزموا على قصد بيروت فسار العادل لتخريبها حذرا عليها من الافرنج فتكفل له اسامة عاملها بحمايتها وعاد ووصل اليها الافرنج يوم عرفة من السنة وهرب منها اسامة وملكوها وفرق العادل العساكر فخربوا ما كان بقى من صيدا بعد تخريب صلاح الدين وعاثوا فى نواحى صور فعاد الافرنج الى صور ونزل المسلمون على قلعة هونين ثم نازل الافرنج حصن تبنين فى صفر سنة أربع وتسعين وبعث العادل عسكرا لحمايته فلم يغنوا عنه ونقب الافرنج أسواره فبعث العادل بالصريخ الى العزيز صاحب مصر فأغذ السير بعساكره وانتهى الى عسقلان فى ربيع من السنة وكان المسلمون فى تبنين قد بعثوا الى الافرنج من يستأمن لهم ويسلمون لهم فأنذرهم بعض الافرنج بأنهم يغدرون بهم فعادوا الى حصنهم وأصروا على الامتناع حتى وصل العزيز الى عسقلان فاضطرب الافرنج لوصوله ولم يكن لهم ملك وانما كان معهم الخنصكير القسيس من أصحاب ملك الالمان والمرأة زوجة الكندهرى فاستدعوا ملك قبرص واسمه هيرى وهو أخو الملك الذى أسر بحطين فجاءهم وزوجوه بملكتهم فلما جاء العزيز وسار من عسقلان الى جبل الخليل وأطل على الافرنج وناوشهم القتال رجع الافرنج الى صور ثم الى عكا ونزلت عساكر المسلمين بالصور فاضطرب أمراء العزيز واجتمع جماعة منهم وهم ميمون القصرى وقراسنقر والحجاب وابن المشطوب على الغدر بالعزيز ومدبر دولته فخر الدين جهاركس فأغذ السير الى مصر وتراسل العادل والافرنج فى

الصلح وانعقد بينهم في شعبان من السنة ورجع العادل الى دمشق وسار منها الى ماردين كما يأتي خبره والله تعالى أعلم

(وفاة طغتكين بن أيوب باليمن وملك ابنه اسمعيل ثم سليمان بن تقي الدين شاهنشاه)

قد كان تقدم لنا أن سيف الاسلام طغتكين بن أيوب سار الى اليمن سنة ثمان وسبعين بعد وفاة أخيه شمس الدولة توران شاه واختلاف نوابه باليمن واستولى عليه ونزل زبيد وأقام بها الى أن توفي في شوال سنة ثلاث وتسعين وكان سيئ السيرة كثير الظلم للرعية جماعا للاموال ولما استفحل بها أراد الاستيلاء على مكة فبعث الخليفة الناصر الى أخيه صلاح الدين يمنعه من ذلك فمنعه ولما توفي ملك مكانه ابنه اسمعيل وبلغ المعز وكان أهوج فانتسب في بني أمية وادعى الخلافة وتلقب بالهادي ولبس الخضرة وبعث اليه عمه العادل بالملامة والتوبيخ فلم يقبل وأساء السيرة في رعيته وأهل دولته فوثبوا به وقتلوه وتولى ذلك سيف الدين سنقر مولى أبيه ونصب أخاه الناصر سنة ثمان وتسعين فأقام بأمره ثم هلك سنقر لاربع سنين من دولته وقام مكانه غازي بن جبريل من أمرائهم وتزوج أم الناصر ثم قتل الناصر مسموما وثأر العرب منه بغازي المذكور وبقي أهل اليمن فوضى واستولى على طغان وبلاد حضرموت محمد بن محمد الحميري واستبدت ام الناصر وملكت زبيد وبعثت في طلب أحد من بني أيوب تملكه على اليمن وكان للمظفر تقي الدين عمر بن شاهنشاه وقيل لابنه سعد الدين شاهنشاه ابن اسمه سليمان ترهب ولبس المسوح ولقيه بالموسم بعض غلمانها وجاءته فتزوجته وملكته اليمن والله سبحانه وتعالى أعلم

(مسير العادل الى الجزيرة وحصاره ماردين)

كان نور الدين ارسلان شاه مسعود صاحب الموصل قد وقع بينه وبين قطب الدين محمد ابن عمه عماد الدين زنكي صاحب نصيبين والخابور والرقة وبين أبيه عماد الدين قبله فتنة بسبب الحدود في تخوم أعمالهم فسار نور الدين اليه في عساكره وملك منه نصيبين ولحق قطب الدين بحران والرها بالة العادل بن أيوب وبعث اليه بالصريخ وهو بدمشق وبذل له الاموال في انجاده فسار العادل الى حران وارتحل نور الدين من نصيبين الى الموصل وسار قطب الدين اليها فملكها وسار العادل الى ماردين في رمضان من السنة فحاصرها وكان صاحبها حسام الدين بولوارسلان بن أبي الغازي بن ألبا بن تمرتاش ابي الغازي بن ارتق وهو صبي وكافله مولى النظام برتقش مولى أبيه والحكم له ودام حصاره عليها وملك الربض وقطع الميرة عنها ثم رحل عنها في العام القابل

كما تقدم فى أخبار دولة زنكى والله تعالى ينصر من يشاء من عباده

(وفاة العزيز صاحب مصر وولاية أخيه الافضل)

ثم توفى العزيز عثمان بن صلاح الدين آخر محرم سنة خمس وتسعين وكان فخر الدين اياس جهاركس مولى أبيه مستبدا عليه فأرسل العادل بمكانه من حصار ماردين يستدعيه للملك وكان جهاركس هذا مقدم موالى صلاح الدين وكانوا منحرفين عن الافضل وكان موالى صلاح الدين شيركوه والاكراد شيعة له وجمعهم جهاركس لينظر فى الولاية وأشار بتولية ابن العزيز فقال له سيف الدين اياز كوش مقدم موالى شيركوه لا يصلح لذلك لصغره الا أن يكفله أحد من ولد صلاح الدين لان رياسة العساكر صنعة واتفقوا على الافضل ثم مضوا الى القاضى الفاضل فأشار بذلك أيضا وأرسل اياز كوش يستدعيه من صرخد فسار آخر صفر من السنة ولقيه الخبر فى طريقه بطاعة القدس له وخرج أمراء مصر فلقوه ببلبيس وأضافه أخوه المؤيد مسعود وفخر الدين جهاركس ودولة العزيز فقدم أخاه وارتاب جهاركس واستأذنه فى المسير ليصلح بين طائفتين من العرب اقتتلا فأذنه فسار فخر الدين الى القدس وتملكه ولحقه جماعة من موالى صلاح الدين منهم قراجا الدكرمس وقراسنقر وجاءهم ميمون القصرى فقويت شوكتهم به واتفقوا على عصيان الافضل وأرسلوا الى الملك العادل يستدعونه فلم يجب لاجابتهم لطمعه فى أخذ ماردين وارتاب الافضل بموالى صلاح الدين وهو شقيرة وايبك مطيش والبكى ولحق جماعة منهم بأصحابهم بالقدس وأرسل الافضل اليهم فى العود على ما يختارونه فامتنعوا وأقام هو بالقاهرة وقرر دولته وقدم فيها سيف الدين اياز كوش والملك لابن أخيه العزيز عثمان وهو كافل له لصغره وانتظمت أمورهم على ذلك انتهى والله سبحانه وتعالى أعلم

(حصار الافضل دمشق وعوده عنها)

ولما انتظمت الامور للافضل بعث اليه الظاهر غازى صاحب حلب وابن عمه شيركوه ابن محمد بن شيركوه صاحب حمص يغريانه بملك دمشق لغيبة العادل عنها فى حصار ماردين ويعدانه المظاهرة فسار من منتصف السنة ووصل الى دمشق منتصف شعبان وسبقه العادل اليها وترك العساكر مع ابنه الكامل على ماردين ولما نزل الافضل على دمشق وكان معه الامير مجد الدين أخو عيسى الهكارى فداخل قوما من الاجناد فى دمشق فى أن يفتحوا له باب السلامة ودخل منه هو والافضل سرا وانتهوا الى باب البريد ففطن عسكر العادل لقلتهم وانقطاع مددهم فتراجعوا وأخرجوهم ونزل

الافضل بعد ان الحصار وضعف أمره واعصوصب الاكراد من عساكره فارتاب بهم الآخرون وانحازوا عنهم فى المعسكر ووصل شيركوه صاحب حمص ثم الظاهر صاحب حلب اخو شعبان وأول رمضان لمظاهرة الافضل وارسل العادل الى موالى صلاح الدين بالقدس فساروا اليه وقوى بهم ويئس الافضل وأصحابه وخرج عساكر دمشق ليبيتوهم فوجدوهم حذرين فرجعوا وجاء الخبر الى العادل بوصول ابنه محمد الكامل الى حران فاستدعاه ووصل منتصف صفر سنة ست وتسعين فعند ذلك رحلت العساكر عن دمشق وعاد كل منهم الى بلاده انتهى والله أعلم

(افراج الكامل عن ماردين)

قد كان تقدم لنا مسير العادل الى ماردين وسار معه صاحب الموصل وغيره من ملوك الجزيرة وديار بكر وفى نفوسهم غصص من تغلب العادل على ماردين وغلبهم فلما عاد العادل الى دمشق لمدافعة الافضل وترك ابنه الكامل على حصار ماردين واجتمع ملوك الجزيرة وديار بكر على مدافعته عنها وسار نور الدين ارسلان شاه صاحب الموصل وابن عمه قطب الدين محمد بن زنكى صاحب سنجار وابن عمه قطب الدين سنجار شاه بن غازى صاحب جزيرة ابن عمر واجتمعوا كلهم بيدليس حتى قضوا عيد الفطر وارتحلوا سادس شوال وقاربوا جبل ماردين وكان أهل ماردين قد اشتد عليهم الحصار وبعث النظام برتقش صاحبها الى الكامل بتسليم القلعة على شروط اشترطها الى أجل ضربه وأذن لهم الكامل فى ادخال الاقوات فى تلك المدة ثم جاءه الخبر بوصول صاحب الموصل ومن معه فنزل القائم للقائهم وترك عسكرا بالربض وبعث قطب الدين صاحب سنجار الى الكامل ووعده بالانهزام فلم يغن ولما التقى الفريقان حمل صاحب الموصل عليهم مستميتا فانهزم الكامل وصعد الى الربض فوجد أهل ماردين قد غلبوا عسكره الذى هنالك ونهبوا مخلفهم فارتحل الكامل منتصف شوال مجفلا ولحق بميافارقين وانتهب أهل ماردين مخلفه ونزل صاحبها فلقى صاحب الموصل وعاد الى قلعته وارتحل صاحب الموصل الى رأس عين لقصد حلوان والرها وبلاد الجزيرة من بلاد العادل فلقيه هنالك رسول الظاهر صاحب حلب يطلبه فى السكة والخطبة فارتاب لذلك وكان عازما على نصرتهم فقعد عنهم وعاد الى الموصل وأرسل الى الافضل والظاهر يعتذر بمرض طرقه وهم يومئذ على دمشق ووصل الكامل من ميافارقين الى حران فاستدعاه أبوه من دمشق وسار اليه فى العساكر وأفرج عنه الافضل والظاهر والله سبحانه وتعالى أعلم

(استيلاء العادل على مصر)

ولما رحل الافضل والظاهر الى بلادهم تجهز العادل الى مصر وأغراه موالى صلاح الدين بذلك واستحلفوه على أن يكون ابن العزيز مملكا وهو كافله وبلغت الاخبار بذلك الى الافضل وهو فى بلبيس فسار منها ولقيهم فانهزم لسبع خلون من ربيع الآخر سنة ست وتسعين ودخل القاهرة ليلا وحضر الصلاة على القاضى الفاضل عبد الرحيم البيسانى توفى تلك الليلة وسار العادل لحصار القاهرة وتخاذل أصحاب الافضل عنه فأرسل الى عمه فى الصلح وتسليم الديار المصرية له على أن يعوضه دمشق أو بلاد الجزيرة وهى حران والرها وسروج فلم يجبه وعوضه ميافارقين وجبال نور ونحا الفوا على ذلك وخرج الافضل من القاهرة ثامن عشر ربيع واجتمع بالعادل وسار الى بلده صرخد ودخل العادل القاهرة من يومه ولما وصل الافضل صرخد بعث من يتسلم البلاد التى عوضه العادل وكان بها ابنه نجم الدين أيوب فامتنع من تسليم ميافارقين وسلم ما عداها وردد الافضل رسله فى ذلك الى العادل فزعم أن ابنه عصاه فعلم الافضل أنه أمره واستقل العادل فى مصر وقطع خطبة المنصور بن العزيز وخطب لنفسه واعترض الجند وحصصهم بالمحو والاثبات فاستوحشوا لذلك وبعث العادل فخر الدين جهاركس مقدم موالى صلاح الدين فى عسكر الى بانياس ليحاصرها ويملكها لنفسه فوصل من مصر للشام فى جماعة الموالى الصلاحية وكان بها الامير بشارة من أمراء الترك ارتاب العادل بطاعته فبعث العساكر اليه مع جهاركس والله تعالى أعلم

(مسير الظاهر والافضل الى حصار دمشق)

ولما قطع العادل خطبة المنصور بن العزيز بمصر استوحش الامراء لذلك ولما كان منه فى اعتراض الجند فراسلوا الظاهر بحلب والافضل بصرخد ان يحاصرا دمشق فيسير اليهما الملك العادل فيتأخرون عنه بمصر ويقومون بدعوتهما ونمى الخبر الى العادل وكتب به اليه الامير عز الدين أسامة جاء من الحج ومر بصرخد فلقيه الافضل ودعاه الى أمرهم وأطلعه على ما عنده فكتب به الى العادل وأرسل العادل الى ابنه المعظم عيسى بدمشق يأمره بحصار الافضل بصرخد وكتب الى جهاركس بمكانه من حصار بانياس والى ميمون القصرى صاحب نابلس بالمسير معه الى صرخد ففر منها الافضل الى أخيه الظاهر بحلب فوجده يتجهز لانه بعث أميرا من أمرائه الى العادل فرده من طريقه فسارا الى منبج فملكها ثم قلعة نجم كذلك وذلك سلخ رجب من سنة سبع وتسعين وسار المعظم بقصد صرخد وانتهى الى بصرى وبعث عن جهاركس والذين معه على بانياس فغالطوه ولم يجيبوه فعاد الى دمشق وبعث اليهم الامير أسامة يستحثهم فأغلظوا له فى القول وتناوله البكاء منهم وثار وا به جميعا فتقدم لميمون القصرى منهم فأمنه وعاد الى

دمشق ثم ساروا الى الظاهر حضر به صلاح الدين وأنزله من صرخد واستحثوا الظاهر والافضل للوصول فتباطأ الظاهر عنهم وسار من منبج الى حماة فحاصرها حتى صالحه صاحبها ناصر الدين محمد على ثلاثين ألف دينار صورية فارتحل عنها تاسع رمضان الى حمص ومعه أخوه الافضل ومنها الى بعلبك الى دمشق ووافاه هنالك الموالى الصلاحية مع الظاهر خضر بن مولاهم وكانا لوفاق بينهم اذا فتحوا دمشق أن تكون بيد الافضل فاذا ملكوا مصر سار اليها وبقيت للظاهر وأقطع الافضل صرخد لمولى أبيه زين الدين قراجا وأخرج أهله منها الى حمص عند شيركوه بن محمد بن شيركوه وكان العادل قد سار من مصر الى الشأم فانتهى الى نابلس وبعث عسكرا الى دمشق ووصلوا قبل وصول هذه العساكر فلما وصلوها قاتلوها يوما وثانيه منتصف ذى القعدة وأشرفوا على أخذها فبعث الظاهر الى الافضل بأن دمشق تكون له فاعتذر بأن أهله فى غير مستقر ولعلهم يأوون الى دمشق فى خلال ما يملك مصر فلج الظاهر فى ذلك وكان الموالى الصلاحية مشتملين على الافضل وشيعة له فخيرهم بين المقام والانصراف ولحق فخر الدين جهاركس وقراجا بدمشق فامتنعت عليهم وعادوا الى تجديد الصلح مع العادل على أن يكون للظاهر منبج وافامية وكفرطاب وبعض قرى المعرة والافضل له سميساط وسروج ورأس عين وحملين فتم ذلك بينهم ورحلوا عن دمشق فى محرم سنة ثمان وتسعين وسار الظاهر الى حلب والافضل الى حمص فأقام بها عند أهله ووصل العادل الى دمشق فى تاسوعاء وجاءه الافضل فلقيه بظاهر دمشق وعاد الى بلاده فتسلمها وكان الظاهر والافضل لما فصلا من منبج الى دمشق بعثا الى نور الدين صاحب الموصل أن يقصد بلاد العادل بالجزيرة وكانت بينه وبينهما وبين صاحب ماردين عين واتفاق على العادل منذ ملك مصر مخافة أن يطرق أعمالهم فسار نور الدين عن الموصل فى شعبان ومعه ابن عمه قطب الدين صاحب سنجار وعسكر ماردين ونزلوا رأس عين وكان بحران الفائز بن العادل فى عسكر يحفظ أعمالهم بالجزيرة فبعثا الى نور الدين فى الصلح ووصل الخبر بصلح العادل مع الظاهر والافضل فأجابهم نور الدين الى الصلح واستحلفوا وبعث ارسلان من عنده الى العادل فاستحلفوه أيضا وصحت الحال والله تعالى ولى التوفيق

(حصار ماردين ثم الصلح بين العادل والاشرف)

ثم بعث الملك العادل ابنه الاشرف موسى فى العساكر لحصار ماردين فسار اليها ومعه عساكر الموصل وسنجار ونزلوا بالحريم تحت ماردين وسار عسكر من قلعة البارعية من أعمال ماردين لقطع الميرة عن عسكر الاشرف فلقيهم جماعة من عسكر الاشرف

وهزموهم وأفسد التركمان السابلة في تلك النواحي وامتنع على الاشرف قصده فتوسط
الظاهر غازي في الاصلاح بينهم على أن يحمل صاحب ماردين للعادل مائة وخمسين
ألف دينار والدينار أحد عشر قيراطا من الاميري ويخطب له ببلاده ويضرب السكة
باسمه وتعسكر طائفة من جنده معه متى دعاهم لذلك فأجاب العادل وتم الصلح بينهما
ورحل الاشرف عن ماردين والله أعلم

(أخذ البلاد من يد الافضل)

قد كان تقدم أن الظاهر والافضل لما صالحا العادل سنة سبع وتسعين أخذ الافضل
سميساط وسروج ورأس عين وجملين وكانت بيده معها قلعة نجم التي ملكها الظاهر بين
يدي الحصار قبل الصلح ثم استرد العادل البلاد من يد الافضل سنة تسع وتسعين وأبقى له
سميساط وقلعة نجم فطلب الظاهر قلعة نجم على أن يشفع له عند العادل في ردما أخذ منه
فلم يجب فتهدده ولم تزل الرسل تتردد بينهما حتى سلمها اليه في شعبان من السنة وبعث
الافضل أمه الى العادل في رد سروج ورأس عين عليهم فلم يشفعها فبعث الافضل الى
ركن الدين سليمان بن قلج ارسلان صاحب بلاد الروم بطاعته وأن يخطب له فبعث اليه
بالخلعة وخطب له الافضل في سميساط سنة ستمائة وسار من جملة نوابه في أعماله وفي سنة
تسع وتسعين هذه خاف على مصر محمود بن العزيز صاحب مصر بعث العساكر الى الرها
لانه لما قطع خطبته من مصر سنة ست وتسعين خاف على مصر من شيعة أبيه فأخرجه
سنة ثمان وتسعين الى دمشق ثم نقله في هذه السنة الى الرها ومعه اخوانه وأمه
وأهله فأقاموا بها والله أعلم

(واقعة الاشرف مع صاحب الموصل)

كانت الفتنة متصلة بين نور الدين ارسلان شاه صاحب الموصل وبين ابن عمه قطب الدين
صاحب سنجار واستمال العادل بن أيوب قطب الدين فخطب له بأعماله وسار اليه
نور الدين غيرة من ذلك فحاصر نصيبين في شعبان من سنة ستمائة وبعث قطب الدين
يستمد الاشرف موسى بن العادل وهو بحران فسار الى رأس عين لامداده ومدافعة
نور الدين عنه بعد أن اتفق على ذلك مع مظفر الدين صاحب اربل وصاحب جزيرة ابن
عمر وصاحب كيفا وآمد ففارق نور الدين نصيبين وسار اليها الاشرف وجاءه أخوه نجم
الدين صاحب ميافارقين وصاحب كيفا وصاحب الجزيرة وساروا جميعا الى بلد البقعا
ونور الدين صاحب الموصل قد انصرف من تل اعفر وقد ملكها الى كفر زمان معتزما
على مطاولتهم الى أن يفترقوا ثم أغراه بعض مواليه كان بمثه عينا عليهم فقللهم في عينه

وحرضه على معاجلتهم باللقاء فسار الى نوشرا ونزل قريبا منهم ثم ركب لقتالهم واقتتلوا فانهزم نور الدين ولحق بالموصل ونزل الاشرف وأصحابه كفرزمان وعاثوا فى البلاد واكتسحوها وترددت الرسل بينهم فى الصلح على أن يعيد نور الدين على قطب الدين قلعة تل اعفر التى أخذها له ثم تم ذلك سنة احدى وستمائة وعاد الى بلده والله تعالى أعلم

(وصول الافرنج الى الشأم والصلح معهم)

ولما ملك الافرنج القسطنطينية من يد الروم سنة احدى وستمائة تكالبوا على البلاد ووصل جمع منهم الى الشأم وأرسوا بعكا عازمين على ارتجاع القدس من المسلمين ثم ساروا فى نواحى الاردن فاكتسحوها وكان العادل بدمشق استنفر العساكر من الشأم ومصر وسار فنزل بالطور قريبا من عكا لمدافعتهم وهم قبالته بمرج عكا وساروا الى كفركنا فاستباحوه ثم انقضت سنة احدى وستمائة وتراسلوا فى المهادنة على أن ينزل لهم العادل عن كثير من مناصف الرملة وغيرها ويعطيهم وغيرها وتم ذلك بينهم وسار العادل الى مصر وقصد الافرنج حماة وقاتلهم صاحبها ناصر الدين محمد فهزموه وأقاموا أياما عليها ثم رجعوا والله تعالى أعلم

(غارة ابن ليون على أعمال حلب)

قد تقدم لنا ذكر ابن ليون ملك الارمن وصاحب الدروب فأغار سنة ثنتين وستمائة على أعمال حلب واكتسحها واتصل ذلك منه فجمع الظاهر غازى صاحب حلب ونزل على خمسة فراسخ من حلب وفى مقدمته ميمون القصرى من موالى أبيه منسوبا الى قصر الخلفاء بمصر ومنه كان أبوه وكان الطريق الى بلاد الارمن متعذرا من حلب لتوعر الجبال وصعوبة المضايق وكان ابن ليون قد نزل فى طرف بلاده مما يلى حلب ومن ثغورها قلعة دربساك فخشى الظاهر عليها منه وبعث اليها مددا وأمر ميمون القصرى أن يشيعه بطائفة من عسكره ففعل وبقى فى خف من الجند ووصل خبره الى ابن ليون فكبس القصرى ونال منه ومن المسلمين وانهزموا أمامه فظفر بمخلفهم ورجع فلقى فى طريقه المدد الذى بعث الى دربساك فهزمهم وظفر بما كان معهم وعاد الارمن الى بلادهم فاعتصموا بحصونهم والله تعالى أعلم

(استيلاء نجم الدين بن العادل على خلاط)

كان العادل قد استولى على ميافارقين وأنزل بها ابنه الاوحد نجم الدين ثم استولى نجم الدين على حصون من أعمال خلاط وزحف اليها سنة ثلاث وستمائة وقد استولى عليها بلبان مولى شاهرمن فقاتله وهزمه وعاد الى ميافارقين فهزمهم ثم دخلت سنة أربع

وستمائة وملك مدينة سوس وغيرها وأمدّه أبوه العادل بالعساكر فقصد خلاط وسار اليه بلبان فهزمه نجم الدين وحاصره بخلاط وبعث بلبان الى مغيث الدين طغرل شاه ابن قليج ارسلان صاحب ارزن الروم يستنجده فجاء في عساكره ووجتمع مع بلبان وانهزم نجم الدين ونزلا على مدينة تلبوس فحاصراها ثم غدر طغرل شاه ببلبان وقتله وسار الى خلاط ليملكها فطرده أهلها فسار الى ملازكرد فامتنعت عليه فعاد الى بلاده وأرسل أهل خلاط الى نجم الدين فملكوه خلاط وأعمالها وخافه الملوك المجاورون له وملك الكرك وتابعوا الغارات على بلاده فلم يخرج اليهم خشية على خلاط واعتزل جماعة من عسكر خلاط فاستولوا على حصن وان من أعظم الحصون وأمنعها فعصوا على نجم الدين واجتمع اليهم جمع كثير وملكوا مدينة ارجيش واستمد نجم الدين على خلاط وأعمالها وعاد أخوه الاشرف الى أعماله بحران والرها ثم سار الاوحد نجم الدين الى ملازكرد ليرتب أحوالها فوثب أهل خلاط على عسكره فأخرجوهم وحصروا أصحابه بالقلعة ونادوا بشعار بنى شاهرين وعاد نجم الدين اليهم وقدوا فاه عسكر من الجزيرة فقوى بهم وحاصر خلاط واختلف أهلها فملكها واستلم أهلها وحبس كثيرا من أعيانها كانوا فارّين وذلّ أهل خلاط لبنى أيوب بعد هذه الوقعة الى آخر الدولة والله تعالى أعلم

* (غارات الافرنج بالشأم) *

كان الافرنج بالشأم قد أكثروا الغارات سنة أربع وستمائة بعد ثان ما ملكوا القسطنطينية واستفحل ملكهم فيها فأغار أهل طرابلس وحصن الاكراد منهم على حمص وأعمالها وعجز صاحبها شيركوه بن محمد بن شيركوه عن دفاعهم واستنجد عليهم فأنجده الظاهر صاحب حلب بعسكر أقاموا عنده للمدافعة عنه وأغار أهل قبرص في البحر على اسطول مصر فظفروا منه بعدة قطع وأسروا من وجدوا فيها وبعث العادل الى صاحب عكا يحتج عليه بالصلح فاعتذر بأن أهل قبرص في طاعة الافرنج الذين بالقسطنطينية وأنه لا حكم له عليهم فخرج العادل في العساكر الى عكا حتى صالحه صاحبها على اطلاق أسرى من المسلمين ثم سار الى حمص ونازل القلعتين عند بحيرة قدس ففتحه وأطلق صاحبه وغنم ما فيه وخربه وتقدم الى طرابلس فاكتسح نواحيها اثنى عشر يوما وعاد الى بحيرة قدس وراسله الافرنج في الصلح فلم يجبهم وأظله الشتاء فأذن لعساكر الجزيرة في العود الى بلادهم وترك عند صاحب حمص عسكرا أنجده بهم وعاد الى دمشق فشتى بها والله أعلم

* (غارات الكرج على خلاط وأعمالها وملكهم ارجيش) *

ولما ملك الاوحد نجم الدين خلاط كما مرّ ردّد الكرج الغارات على أعمالها وعاثوا فيها ثم ساروا سنة خمس وستمائة الى مدينة ارجيش فحاصروها وملكوها عنوة واستباحوها وخرّبوها وخام نجم الدين عن لقائهم ومدافعتهم الى أن انتقض عليه أهل خلاط لما فارقها ووقع بينه وبينهم ما مرّ ثم سار الكرج سنة تسع الى خلاط وحاصروها وجار بهم الاوحد وهزمهم وأسر ملكهم ثم فاداه بمائة ألف دينار وخمسة آلاف أسير وعلى الهدنة مع المسلمين وأن يزوّج بنته من الاوحد فانعقد ذلك والله تعالى أعلم بغيبه

* (استيلاء العادل على الخابور ونصيبين من عمل سنجار وحصارها) *

قد تقدّم لنا أنّ قطب الدين زنكي بن محمود بن مودود صاحب سنجار والخابور ونصيبين وما اليها كانت بينه وبين ابن عمه نور الدين ارسلان شاه بن مسعود بن مودود صاحب الموصل عداوة مستحكمة وفتنة متصلة وزوّج نور الدين صاحب الموصل بنته من ابن العادل بن أيوب سنة خمس وستمائة واتصل بهما لذلك فزين له وزراؤه وأهل دولته أن يستنجد بالعادل على جزيرة ابن عمر وأعمالها التى لابن عمه سنجار شاه ابن غازى ابن مودود فتكون الجزيرة بكمالها مضافة الى الموصل وملك العادل سنجار وما اليها وهى ولاية قطب الدين فتكون له فأجاب العادل الى ذلك ورآه ذريعة الى ملك الموصل وأطمع نور الدين فى ايالة قطب الدين اذا ملكها تكون لابنه الذى هو صهره على ابنته وتكون عنده بالموصل وسار العادل بعساكره سنة ست وستمائة وقصد الخابور فملكه فتبين لنور الدين صاحب الموصل حينئذ انه لامانع منه وندم على ما فرط فى رأيه من وفادته ورجع الى الاستعداد للحصار وخوّفه الوزراء والحاشية أن ينتقض على العادل فبدأ به وسار العادل من الخابور الى نصيبين فملكها وقام بمدافعته عن قطب الدين وحماية البلد من الامير أحمد بن برتقش مولى أبيه وشرع نور الدين فى تجهيز العساكر مع ابنه القاهر مددا للعادل وبعث قطب الدين صاحب سنجار ابنه مظفر الدين يستشفع به الى العادل لمكانه منه وأثره فى موالاته فشفع ولم يشفعه العادل فراسل نور الدين صاحب الموصل فى الاتفاق على العادل فأجابه وسار بعساكره من الموصل واجتمع مع نور الدين بظاهرها واستنجد بصاحب حلب الظاهر وصاحب بلاد الروم كيخسرو وتداعوا على الحركة الى بلاد العادل ان امتنع من الصلح والابقاء على صاحب سنجار وبعثوا الى الخليفة الناصر أن يأمر العادل فبعث اليه أستاذداره أبا نصر هبة الله بن المبارك بن الضحاك والامير اقباش من خواص مواليه فأجاب الى

ذلك ثم غالطهم وذهب الى المطاولة ثم صالحهم على سنجار فقط وله ما أخذ وتحالفوا على ذلك وعاد كل الى بلده ثم قبض المعظم عيسى سنة عشر وستمائة على الامير أسامة بأمر أبيه العادل وأخذ منه حصن كوكب وعجلون وكانا من أعماله فخربهما وحصن اردن بالكوكب وبنى مكانه حصنا قرب عكا على جبل الطور وشحنه بالرجال والاقوات والله تعالى أعلم

(وفاة الظاهر صاحب حلب وولاية ابنه العزيز)

لما توفى الملك الظاهر غازى بن صلاح الدين بن أيوب صاحب حلب ومنبج وغيرهما من بلاد الشأم في جمادى الاخيرة سنة ثلاث عشرة وكان مرهف الحد ضابطا جماعة للاموال شديد الانتقام محسنا للقضاة وعهد بالملك لابنه الصغير محمد بن الظاهر وهو ابن ثلاث سنين وعدل عن الكبير لان أمه بنت عمه العادل ولقبه العزيز غياث الدين وجعل أتابكه وكافله وخادمه طغرلبك ولقبه شهاب الدين وكان خيرا صاحب احسان ومعروف فأحسن كفالة الولد وعدل في سيرته وضبط الايالة بجميل نظره والله أعلم

(ولاية مسعود بن الكامل على اليمن)

ولما ملك سليمان بن المظفر على اليمن سنة تسع وتسعين وخمسمائة أساء الى زوجته أم الناصر التى ملكته وضارّها وأعرض عنها واستبد بملكه وملأ الدنيا ظلما وأقام على ذلك ثلاث عشرة سنة ثم انتقض على العادل وأساء معاملته وكتب اليه بعض الاحيان انه من سليمان وانه بسم الله الرحمن الرحيم فكتب العادل الى ابنه الكامل أن يبعث العساكر الى اليمن مع وال من قبله فبعث ابنه المسعود يوسف واسمه بالتركى اقسنس في العساكر سنة ثنتى عشرة وستمائة فملك اليمن وقبض على سليمان شاه وبعث به معتقلا الى مصر فلم يزل بها الى أن استشهد في حروب دمياط مع الافرنج أعوام تسع وأربعين وطالت أيام مسعود باليمن وحج سنة تسع عشرة وقدم أعلام أبيه على أعلام الخليفة الناصر فكتب الناصر يشكوه الى أبيه فكتب اليه أبوه الكامل برئت من العادل يا أخس ان لم أقطع يمينك فقد نبذت وراء ظهرك دنياك ودينك ولا حول ولا قوة الا بالله فاستعتب الى أبيه وأعتبه ثم غلب سنة ست وعشرين على مكة من يد الحسن بن قتادة سيد بنى ادريس بن مطاعن من بنى حسن وولى عليها وعاد الى اليمن فهلك بقية السنة وغلب على أمر اليمن بعده على بن رسول أستاذ داره ونصب للملك ابنه الاشرف موسى وكفله ثم هلك موسى واستبد ابن رسول باليمن وأورثه بنيه فكانت لهم دولة اتصلت لهذا العهد كما نذكره في أخبارها ان شاء الله تعالى

﴿وصول الافرنج من وراء البحر الى سواحل الشأم﴾
﴿ومسيرهم الى دمياط وحصارها واستيلاؤهم عليها﴾

كان صاحب رومة أعظم ملوك الافرنج بالعدوة الشمالية من البحر الرومى وكانوا كلهم يدينون بطاعته وبلغه اختلاف أ‍ وال الافرنج بساحل الشأم وظهور المسلمين عليهم فانتدب الى امدادهم وجهز اليهم العساكر فامتثلوا أمره من ايالته وتقدم الى ملوك الافرنج أن يسيروا بأنفسهم أو يرسلوا العساكر فامتثلوا أمره وتوافت الامداد الى عكا من سواحل الشأم سنة أربع عشرة وسار العادل من مصر الى الرملة وبرز الافرنج من عكا ليصدوه فسار الى نابلس يسابقهم الى أطراف البلاد ويدافعهم عنها فسبقوه ونزل هو على بيسان من الاردن وزحف الافرنج لحربه فى شعبان من السنة وكان فى خف من العساكر فخام عن لقائهم ورجع الى دمشق ونزل مرج الصفر واستدعى العساكر ليجمعها وانتهب الفرنج مخلفه فى بيسان واكتسحوا ما بينها وبين بانياس ونازلوا بانياس ثلاثا ثم عادوا الى مرج عكا بعد أن خربوا تلك الاعمال وامتلأت أيديهم من نهبها وسباياها ثم ساروا الى صور ونهبوا صيدا والشقيف على فرسخين من بانياس وعادوا الى عكا بعد عيد الفطر ثم حاصروا حصن الطور على جبل قريب من عكا كان العادل اختطها فحاصروها سبعة عشر يوما وقتل عليها بعض ملوكهم فرجعوا عنها وبعث العادل ابنه المعظم عيسى الى حصن الطور فخربها لئلا يملكها الافرنج ثم سار الافرنج من عكا فى البحر الى دمياط وأرسوا بساحلها فى صفر والنيل بينهم وبينها وكان على النيل برج حصين تمر منه الى سور دمياط سلاسل من حديد محكمة تمنع السفن من البحر الملح أن تصعد فى النيل الى مصر فلما نزل الافرنج بذلك الساحل خندقوا عليهم وبنوا سورا بينهم وبين الخندق وشرعوا فى حصار دمياط واستكثروا من آلات الحصار وبعث العادل الى ابنه الكامل بمصر أن يخرج فى العساكر ويقف قبالتهم ففعل وخرج من مصر فى عساكر المسلمين فنزل قريبا من دمياط بالعادلية وألح الافرنج على قتال ذلك البرج أربعة أشهر حتى ملكوه ووجدوا السبيل الى دخول النيل ليتمكنوا من النزول على دمياط فبنى الكامل عوض السلاسل جسرا عظيما يمانع الداخلين الى النيل فقاتلوا عليه قتالا شديدا حتى قطعوه فأمر الكامل بمراكب ملوأة بالحجارة وخرقوها وغرقوها وراء الجسر تمنع المراكب من الدخول الى النيل فعدل الافرنج الى خليج الازرق وكان النيل يجرى فيه قديما فحفروه فوق الجسر وأجروا فيه الماء الى البحر وأصعدوا مراكبهم الى قبالة معسكر المسلمين ليتمكنوا من قتالهم لان دمياط كانت حاجزة بينهم فاقتتلوا معهم

وهم فى مراكبهم فلم يظفروا والميرة والامداد متصلة الى دمياط والنيل حاجز بينهم وبين الافرنج فلا يحصل لهم من الحصار ضيق ثم بلغ الخبر بموت العادل فاختلف العسكر وسعى مقدم الامراء عماد الدين أحمد بن سيف الدين على بن المشطوب الهكارى فى خلع الكامل وولاية أخيه الاصغر الفائز ونمى الخبر الى الكامل فأسرى من ليلته الى اشمون طناح وتفقده المسلمون من الغد فأجفلوا ولحقوا بالكامل وخلفوا أسوادهم بما فيه فاستولى عليه الافرنج وعبروا النيل الى البر المتصل بدمياط وجالوا بينها وبين أرض مصر وفسدت السابلة بالاعراب وانقطعت الميرة عن دمياط واشتد الافرنج فى قتالها وهى فى قلة من الحامية لاجفال المسلمين عنها بغتة ولما جهدهم الحصار وتعذر عليهم القوت استأمنوا الى الافرنج فملكوها آخر شعبان سنة ست عشرة وبثوا سراياهم فيما جاورها فأقفروه ورجعوا الى عمارة دمياط وتحصينها وأقام الكامل قريبا منهم لحماية البلاد وبنى المنصورة بقرب مصر عند مفترق البحر من جهة دمياط والله تعالى أعلم

(وفاة العادل واقتسام الملك بين بنيه)

قد ذكرنا خبر العادل مع الافرنج الذين جاؤا من وراء البحر الى سواحل الشأم سنة أربع عشرة وما وقع بينه وبينهم بعكا وبيسان وانه عاد الى مرج الصفر قريبا من دمشق فأقام به فلما سار الافرنج الى دمياط انتقل هو الى خانقين فأقام بها ثم مرض وتوفى سابع جمادى الاخيرة سنة خمس عشرة وستمائة لثلاث وعشرين سنة من ملكه دمشق وخمس وسبعين من عمره وكان ابنه المعظم عيسى بنابلس فجاء ودفنه بدمشق وقام بملكها واستأثر بمخلفه من المال والسلاح وكان لا يعبر عنه يقال كان المال العين فى سترته سبعمائة ألف دينار وكان ملكا حليما صبورا ممتدا صاحب افادة وخديعة منجمة فى أحواله وكان قد قسم البلاد فى حياته بين بنيه فمصر للكامل ودمشق والقدس وطبرية والكرك وما اليها للمعظم عيسى وخلاط وما اليها وبلاد الجزيرة غير الرها ونصيبين وميافارقين للاشرف موسى والرها وميافارقين لشهاب الدين غازى وقلعة جعبر للمنصور ارسلان شاه فلما توفى استقل كل منهم بعمله وبلغ الخبر بذلك الى الملك الكامل بمكانه قبالة الافرنج بدمياط فاضطرب عسكره وسعى المشطوب كما تقدم فى ولاية أخيه الفائز ووصل الخبر بذلك الى أخيه المعظم عيسى فأغذ السير من دمشق اليه بمصر وأخرج المشطوب الى الشأم فلحق بأخيهما الاشرف وصار فى جملته واستقام للكامل ملكه بمصر ورجع المعظم من مصر فقصد القدس فى ذى القعدة من السنة وخرب أسواره حذرا عليه من الافرنج وملك الافرنج دمياط كما ذكرناه وأقام

الكامل قبالتهم والله تعالى ينصر من يشاء من عباده

(وفاة المنصور صاحب حماة وولاية ابنه الناصر)

قد تقدم لنا أن صلاح الدين كان قد أقطع تقي الدين عمر ابن أخيه شاهنشاه مدينة حماة وأعمالها ثم بعثه الى الجزيرة سنة سبع وثمانين فملك حران والرها وسروج وميافارقين وما اليها من بلاد الجزيرة فأقطعه اياها صلاح الدين ثم سار الى بلاد ارمينية بكتمر صاحب خلاط وحاصرها ثم انتقل الى حصار ملازكرد وهلك عليها تلك السنة وتولى ابنه ناصر الدين محمد ويلقب المنصور على أعماله ثم انتزع صلاح الدين منه بلاد الجزيرة وأقطعها أخاه العادل وأبقى حماة وأعمالها بيد ناصر الدين محمد المذكور فلم تزل بيده الى أن توفي سنة سبع عشرة وستمائة لثمان وعشرين سنة من ولايته عليها بعدمهلك عم أبيه صلاح الدين والعادل وكان ابنه ولي عهده المظفر عند العادل بمصر وابنه الآخر قليج ارسلان عند خاله المعظم عيسى بمكانه من حصاره فاستدعاه أهل دولته بحماة واشترط المعظم عليه مالا يحمله وأطلقه اليهم فملك حماة وتلقب الناصر وجاء أخوه ولي العهد من مصر فدافعه أهل حماة فرجع الى دمشق عند المعظم وكاتبهم واستمالهم فلم يجيبوه ورجع الى مصر والله تعالى أعلم

(مسير صاحب بلاد الروم الى حلب وانهزامه ودخولها في طاعة الاشرف)

قد كنا قدمنا وفاة الظاهر غازي بن صلاح الدين صاحب حلب ومنبج سنة ثلاث عشرة وولاية ابنه الاصغر محمد العزيز غياث الدين في كفالة طغرل الخادم مولى أبيه الظاهر وان شهاب الدين هذا الكافل أحسن السيرة وأفاض العدل وعف عن أموال الرعية ورد السعاية فيهم بعضهم على بعض وكان بحلب رجلان من الاشرار يكثران السعاية عند الظاهر ويغريانه بالناس واتقى الناس منهما شدة فأبعدهما شهاب الدين فيمن أبعد من أهل الشر ورد عليهما السعاية فكسدت سوقهما وتناولهما الناس بالالسنة والوعيد فلحقا ببلاد الروم وأطمعا صاحبها كيكاوس في ملك حلب وما بعدها ثم رأى ان ذلك لا يتم الا أن يكون معه بعض بني أيوب لينقاد أهل البلاد اليه وكان الافضل بن صلاح الدين بسميساط وقد دخل في طاعة كيكاوس غضبا من أخيه الظاهر وعمه العادل بما انتزعا من أعماله فاستدعاه كيكاوس وطلبه في المسير على أن يكون ما يفتحه من حلب وأعمالها للافضل والخطبة والسكة لكيكاوس ثم يقصدون بلاد الاشرف بالجزيرة حران والرها وما اليهما على هذا الحكم وتحالفوا على ذلك وجمعوا العساكر وساروا سنة خمس عشرة فملكوا قلعة رعبان فتسلمها الافضل ثم قلعة باشر من صاحبها

ابن بدر الدين ارزم البارو في بعد ان كانوا حاصروها وضيقوا عليها وملكها كيكاوس لنفسه فاستوحش الافضل وأهل البلدان يفعل مثل ذلك في حلب وكان شهاب الدين كافل العزيز بن الظاهر مقيما بقلعة حلب لا يفارقها خشية عليها فطير الخبر الى الملك الاشرف صاحب الجزيرة وخلاط لتكون طاعتهم وخطبتهم له والسكة باسمه ويأخذ من أعمال حلب ما اختار فجمع العساكر وسار اليهم سنة خمس عشرة ومعه وأميرهم نافع من خدمه وغيرهم من العرب ونزل بظاهر حلب وتوجه كيكاوس والافضل من تل باشر الى منبج وسار الاشرف نحوهم وفي مقدمته العرب فلقوا مقدمة كيكاوس فهزموها فلما عادوا الى كيكاوس منهزمين أجفل الى بلاده وسار الاشرف فملك رعبان وتل باشر وأخذ من كان بها من عساكر كيكاوس وأطلقهم فلحقوا بكيكاوس فجمعهم في دار وأحرقها عليهم فهلكوا وسلم الاشرف ما ملكه من قلاع حلب لشهاب الدين الخادم كافل العزيز بحلب واعتزم على اتباع كيكاوس الى بلاده فأدركه الخبر بوفاة أبيه العادل فرجع انتهى والله تعالى أعلم

(دخول الموصل في طاعة الاشرف وملكه سنجار)

قد ذكرنا في دولة بني زنكي ان القاهر عز الدين مسعود صاحب الموصل توفي في ربيع سنة خمس عشرة وستمائة وولي ابنه نور الدين ارسلان شاه في كفالة مولى أبيه نور الدين لؤلؤ مولاه ومدبر دولته وكان أخوه عماد الدين زنكي في قلعة العقر والسوس من أعمال الموصل بوصية أبيهما اليه بذلك وانه بعد وفاة أخيه عز الدين طلب الامر لنفسه وملك العمادية وظاهره مظفر الدين كوكبرى صاحب اربل على شأنه فبعث نور الدين لؤلؤ الى الاشرف موسى بن العادل والجزيرة كلها وخلاط وأعمالها في طاعته فأرسل اليه بالطاعة وكان على حلب مدافعا لكيكاوس صاحب بلاد الروم كما نذكره بعد فأجابه الاشرف بالقبول ووعده النصر على أعدائه وكتب الى مظفر الدين يقبح عليه ما وقع من نكث العهد في اليمين التي كانت بينهم جميعا ويأمره باعادة عماد الدين زنكي ما أخذه من بلاد الموصل والا فيسير بنفسه ويسترجعها ممن أخذها ويدعوه الى ترك الفتنة والاشتغال معه بما هو فيه من جهاد الافرنج فصمم مظفر الدين عن ندبته ووافقه صاحب ماردين وصاحب كيفا وآمد وجهز الاشرف عسكرا الى نصيبين للؤلؤ صاحب الموصل ثم جهز لؤلؤ العساكر الى عماد الدين فهزموه ولحق باربل عند المظفر وجاءت الرسل من الخليفة الناصر والملك الاشرف فأصلحوا بينهما وتحالفا ثم وثب عماد الدين زنكي الى قلعة كواشي فملكها وبعث لؤلؤ الى الاشرف وهو على حلب يستنجده فعبر الفرات الى حران واستمال مظفر الدين ملوك الاطراف وجاءهم

على طاعة كيكاوس والخطبة له وكان عدوّ الاشرف ومنازعاله فى منبج كما نذكره وبعث
أيضا الى الامراء الذين مع الاشرف واستمالهم فأجابه منهم أحمد بن على المشطوب
صاحب الفعلة مع الكامل على دمياط وعز الدين محمد بن نور الدين الحميدى وفارقوا
الاشرف الى دنيسر تحت ماردين ليجتمعوا على منع الاشرف من العبور الى الموصل
ثم استمال الاشرف صاحب كيفا وآمد وأعطاه مدينة حانين وجبل الجودى ووعده
بدارا اذا ملكها ولحق به صاحب كيفا وفارق أصحابه الملوك واقتدى به بعضهم
فى طاعة الاشرف والنزوع اليه فافترق ذلك الجمع وسار كل ملك الى عمله وسار ابن
المشطوب الى اربل ومرّ بنصيبين فقاتله عساكرها وهزموه وافترق جمعه ومضى منهزما
واجتاز بسنجار وبها فروخ شاه عمر بن زنكى بن مودود فبعث اليه عسكرا فجاؤا به
أسيرا وكان فى طاعة الاشرف فحبس له ابن المشطوب فأطلقه وسار
فى جماعة من المفسدين الى البقعاء من أعمال الموصل فاكتسحها وعاد الى سنجار ثم سار
ثانيا للاغارة على أعمال الموصل فأرصد له لؤلؤ عسكرا بتل اعفر من أعمال سنجار
فلما مرّ بهم قاتلوه وصعد الى تل اعفر منهزما وجاء لؤلؤ من الموصل فحاصره بها شهرا
أو بعضه وملكها منتصف ربيع الآخر من سنة سبع عشرة وحبس ابن المشطوب
بالموصل ثم بعث به الى الاشرف فحبسه بحران الى أن توفى فى ربيع الآخر من سنة
سبعة عشر ولما افترق جمع الملوك سار الاشرف من حران محاصر الماردين ثم صالحه
على أن يردّ عليه رأس عين وكان الاشرف أقطعه له وعلى أن يأخذ منه ثلاثين ألف
دينار وعلى أن يعطى صاحب كيفا وآمد قلعة المور ومن بلده ورجع الاشرف من
دنيسر الى نصيبين يريد الموصل وكان عمر صاحب سنجار لما أخذ منه لؤلؤ تل اعفر تخاذل
عنه أصحابه وساءت ظنونهم بنفسه لما ساء فعله فى أخيه وفى غيره فاعتزم على الالقاء باليد
للاشرف وتسليم سنجار له والاعتياض عنها بالرقة وبعث رسله اليه بذلك فلحقوه
فى طريقه من دنيسر الى نصيبين فاجاب الى ذلك وسلم اليه الرقة وسلم سنجار فى مستهل
جمادى الاولى سنة سبعة عشر وفارقها عمر فروخ شاه واخوته بأهليهم وأموالهم وسار
الاشرف من سنجار الى الموصل فوصلها تاسع عشر جمادى الاولى من السنة وجاءته
رسل الخليفة ومظفر الدين فى الصلح وردّ ما أخذه عماد الدين من قلاع الموصل الى لؤلؤ
ماعدا العمادية وطال الحديث فى ذلك ورحل الاشرف يريد اربل ثم شفع عنده
صاحب كيفا وغيره من بطانته وأنهوا اليه العساكر فأجاب الى
هذا الصلح وفسح لهم فى تسليم القلاع الى مدة ضربوها وسار عماد الدين مع الاشرف
حتى يتم تسليم الباقى ورحل الاشرف عن الموصل ثانى رمضان وبعث لؤلؤ نوابه الى

القلاع فامتنع جندها من تسليمها اليهم وانقضى الاجل واستمال عماد الدين زنكي شهاب الدين غازي أخا الاشرف فاستعطف له أخاه فأطلقه ورد عليه قلعة العقر وسوس وسلم لؤلؤ قلعة تل اعفر كما كانت من أعمال سنجار والله تعالى أعلم

* (ارتجاع دمياط من يد الافرنج) *

ولما ملك الافرنج دمياط أقبلوا على تحصينها ورجع الكامل الى مصر وعسكر بأطراف الديار المصرية مسلحة عليها منهم وبنى المنصورة بعد المنزلة وأقام كذلك سنين وبلغ الافرنج وراء البحر فتحها واستيلاء اخوانهم عليها فلهجوا بذلك وتوالت امدادهم في كل وقت اليها والكامل مقيم بمكانه وتواترت الاخبار بظهور التتر ووصولهم الى اذربيجان واران وأصبح المسلمون بمصر والشام على تخوف من سائر جهاتهم واستنجد الكامل بأخيه المعظم صاحب دمشق وأخيه الاشرف صاحب الجزيرة وارمينية وسار المعظم الى الاشرف يستحثه للوصول فوجده في شغل بالفتنة التي ذكرناها فعاد عنه الى أن انقضت تلك الفتنة ثم تقدّم الافرنج من دمياط بعساكرهم الى جهة مصر وأعاد الكامل خطابه اليهما سنة ثماني عشرة يستنجدهما وسار المعظم الى الاشرف يستحثه فجاء معه الى دمشق وسار منها الى مصر ومعه عساكر حلب والناصر صاحب حماة وشيركوه صاحب حمص والامجد صاحب بعلبك فوجدوا الكامل على بحر اشموم وقد سار الافرنج من دمياط بجموعهم ونزلوا قبالته بعدوة النيل وهم يرمون على معسكره بالمجانيق والناس قد أشفقوا من الافرنج على الديار المصرية فسار الكامل وبقي أخوه الاشرف بمصر وجاء المعظم بعد الاشرف وقصد دمياط يسابق الافرنج ونزل الكامل والاشرف وظفرت شواني المسلمين بثلاث قطع من شواني الافرنج فغنموها بما فيها ثم تردّدت الرسل بينهم في تسليم دمياط على أن يأخذوا القدس وعسقلان وطبرية وصيدا وجبلة واللاذقية وجميع مافتحه صلاح الدين غير الكرك فاشتطوا واشترطوا اعادة الكرك والشوبك وزيادة ثلثمائة ألف دينار لرم أسوار القدس التي خربها المعظم والكامل فرجع المسلمون الى قتالهم وافتقد الافرنج الاقوات لانهم لم يحملوها من دمياط ظنا بأنهم غالبون على السواد وميرته بأيديهم فبدا لهم مالم يحتسبوا ثم فجر المسلمون النيل الى العدوة التي كانوا عليها فركبها الماء ولم يبق لهم الا مسلك ضيق ونصب الكامل الجسور عند اشموم فعبرت العساكر عليها وملكوا ذلك المسلك وحالوا بين الافرنج وبين دمياط ووصل اليهم مركب مشحون بالمدد من الميرة والسلاح ومعه حراقات فخرجت عليها شواني المسلمين وهي في تلك الحال فغنموها بما فيها واشتد الحال عليهم في معسكرهم وأحاطت بهم عساكر المسلمين وهم في تلك الحال يقاتلونهم

ويتخطفونهم من كل جانب فأحرقوا خيامهم ومجانيقهم وأرادوا الاستقاتة في العود
فرأوا ما حال بينهم وبينها من الوحل فاستأمنوا الى الكامل والاشرف على تسليم دمياط
من غير عوض وبينما هم في ذلك وصل المعظم صاحب دمشق من جهة دمياط كما مر
فازدادوا وهنا وخذلانا وسلموا دمياط منتصف سنة ثمان عشرة وأعطوا عشرين
ملكا منهم رهنا عليها وأرسلوا الاقسة والرهبان منهم الى دمياط فسلموها للمسلمين
وكان يوما مشهودا ووصلهم بعد تسليمها مدد من وراء البحر فلم يغن عنهم ودخلها
المسلمون وقد حصنها الافرنج فأصبحت من أمنع حصون الاسلام والله تعالى أعلم

(وفاة الاوحد نجم الدين بن العادل صاحب خلاط وولاية أخيه الظاهر غازي عليها)

قد تقدم لنا أن الاوحد نجم الدين بن العادل ملك ميافارقين وبعدها خلاط وارمينية
سنة ثلاث وستمائة ثم توفي سنة سبع فأقطع العادل ما كان بيده من الاعمال لاخيه
الاشرف ثم أقطع العادل ابنه الظاهر غازي سنة ست عشرة سروج والرها وما اليها
ولما توفي العادل واستقل ولده الاشرف بالبلاد الشرقية عقد لاخيه غازي على خلاط
وميافارقين مضافا الى ولايته من أبيه العادل وهو سروج والرها وجعله ولي عهده
لانه كان عاقرا لا يولد له وأقام على ذلك الى أن انتقض على الاشرف عندما حدثت
الفتنة بين بني العادل فانتزع أكثر الاعمال منه كما نذكره ان شاء الله تعالى

(فتنة المعظم مع أخويه الكامل والاشرف وما دعت اليه من الاحوال)

كان بنو العادل الكامل والاشرف والمعظم لما توفي أبوهم قد اشتغل كل واحد منهم
بأعماله التي عهد أبوه وكان الاشرف والمعظم يرجعان الى الكامل وفي طاعته ثم تغلب
المعظم عيسى على صاحب حماة الناصر بن المنصور بن المظفر وزحف سنة تسع عشرة
الى حماة فحاصرها وامتنعت عليه فسار الى سلمية والمعرة من أعمالها فملكهما وبعث
اليه الكامل صاحب مصر بالنكير والافراج عن البلد فامتثل وأضغن ذلك عليه
وأقطع الكامل سلمية لنزيله المظفر بن المنصور أخي صاحب حماة وكشف المعظم قناعه
في فتنة أخويه الكامل والاشرف وأرسل الى ملوك الشرق يدعوهم الى المظاهرة
عليهما وكان جلال الدين منكبرى بن علاء الدين خوارزم شاه قد رجع من الهند بعد
ما غلبه التتر على خوارزم وخراسان وغزنة وعراق العجم وجاز الى الهند ثم رجع سنة
احدى وعشرين وستمائة فاستولى على فارس وغزنة وعراق العجم واذربيجان ونزل
توريز وجاور بني أيوب في أعمالهم فراسله المعظم صاحب دمشق وصالحه واستنجده على
أخويه فأجابه ودعا المعظم الظاهر أخا الاشرف وعاهده على خلاط والمظفر كوكبرى

صاحب الى ذلك فأجابوه كلهم وانتقض الظاهر غازى على أخيه الاشرف في خلاط وارمينية وأظهر عصيانه في ولايته التي بيده فسار اليه الاشرف سنة احدى وعشرين وغلبه على خلاط فلكها وولى عليها حسام الدين أبا على الموصلي كان أصله من الموصل واستخدم للاشرف وترقى في خدمته الى أن ولاه خلاط وعفا الاشرف عن أخيه الظاهر غازى وأقره على ميافارقين وسار المظفر صاحب اربل ولؤلؤ صاحبها في طاعة الاشرف فحاصرها وامتنعت عليه ورجع عنها وسار المعظم بنفسه من دمشق الى حمص وصاحبها شيركوه بن محمد بن شيركوه في طاعة الكامل فحاصرها وامتنعت عليه ورجع الى دمشق ثم سار الاشرف الى المعظم طالبا للصلح فأمسكه عنده على أن ينحرف عن طاعة الكامل وانطلق الى بلده فاستمر على شأنه ثم زحف جلال الدين صاحب اذربيجان سنة أربع وعشرين الى خلاط فحاصرها مرة بعد مرة وأفرج عنها فسار حسام الدين نائبها الى بلاد جلال الدين وملك حصونها واضطرب الحال بينهم وخشى الكامل مغبة الامر مع المعظم وما لأته لجلال الدين والخوارزمية فاستنجد هو بالافرنج وكاتب الانبراطور ملكهم من وراء البحر يستحثه للقدوم على عكا في صريخه على أن ينزل له عن القدس وبلغ ذلك الى المعظم فخشى العواقب وأقصر عن فتنته وكتب اليه يستعطفه والله تعالى أعلم

وفاة المعظم صاحب دمشق وولاية ابنه الناصر ثم استيلاء الاشرف عليها واعتياض الناصر بالكرك

ثم توفي المعظم بن العادل صاحب دمشق سنة أربع وعشرين وولى مكانه ابنه داود ولقب بالناصر وقام بتدبير ملكه عز الدين ايبك خادم أبيه وجرى على سنن المعظم أولا في طاعة الكامل والخطبة له ثم انتقض سنة خمس وعشرين عندما طالبه الكامل بالنزول له عن حصن الشوبك فامتنع وانتقض وسار الكامل اليه في العساكر فانتهى الى غزة وانتزع القدس ونابلس من أيديهم وولى عليهما من قبله واستنجد الناصر عمه الاشرف فجاء الى دمشق وخرج منها الى نابلس ثم تقدم منها الى الكامل ليصلح أمر الناصر معه فدعاه الكامل الى انتزاع دمشق من الناصر له وأقطعه اياها فلم يجب الناصر الى ذلك وعاد الى دمشق فحاصره الاشرف ثم صالح الكامل ملك الافرنج ليفرغ لامر دمشق عن الشواغل وأمكنهم من القدس على أن يخربوا سورها فاستولوا عليها كذلك وزحف الكامل الى دمشق سنة ست وعشرين فحاصرها مع الاشرف وخاف الحصار بالناصر فنزل لهما عنها على أن يستقل بالكرك والشوبك والبلقاء وسلموا له في ذلك وسار اليها واستولى الاشرف على دمشق ونزل للكامل عن أعماله وهى

حران والرها وما اليهما وبعكانهما من حصار دمشق ووصل الخبر الى الكامل بوفاة ابنه المسعود صاحب اليمن وقد تقدم خبره والله تعالى يؤيد بنصره من يشاء من عباده

(استيلاء المظفر بن المنصور على حماة من يد أخيه الناصر)

ولما ملك الكامل دمشق شرع في انجاد نزيله المظفر محمود بن المنصور صاحب حماة وبها أخوه الناصر وقد كاتبه بعض أهل البلد يستدعونه لملكها فجهزه بالعساكر وسار اليها فحاصرها ودس لمن كاتبه من أهلها فأجابوه وواعدوه للافطار بها وتسوّرها وملكها وكتب اليه الكامل أن يقطع الناصر قلعة ماردين فأقطعه اياها وانتزع الكامل منه سلمية وأقطعها لصاحب حمص شيركوه بن محمد بن شيركوه واستقل المظفر محمود بملك حماة وفوض أمور دولته الى حسام الدين علي بن أبي علي الهدباني فقام بها ثم استوحش منه فلحق بأبيه نجم الدين أيوب ولم تزل ماردين بيد الناصر أخي المظفر الى سنة ثلاثين فهم الناصر بأن يملكها للافرنج وشكا المظفر بذلك للكامل فأمره بانتزاعها منه ثم اعتقله الكامل الى أن هلك سنة خمس وثلاثين انتهى والله أعلم

(استيلاء الاشرف على بعلبك من يد الامجد واقطاعها لاخيه اسمعيل بن العادل)

كان السلطان صلاح الدين قد أقطع الامجد بهرام شاه بن فرخنشاه أخي تقي الدين عمر ابن شاهنشاه بن أيوب قلعة بعلبك وكانت بصري للخضر ثم صارت بعد وفاة العادل لابنه الاشرف وعليها أخوه اسمعيل بن العادل فجهزه سنة ست وعشرين الى بعلبك وحاصر بها الامجد حتى تسلمها منه على اقطاع أقطعه اياه وسار اسمعيل الى دمشق فنزلها الى أن قتلته مواليه والله سبحانه وتعالى أعلم

(فتنة جلال الدين خوارزم شاه مع الاشرف واستيلاؤه على خلاط)

قد كنا قدمنا أن جلال الدين خوارزم شاه ملك اذربيجان وجاور أعمال بني أيوب وكان الاشرف قد ولى على خلاط لما انتزعها من يد أخيه غازي الدين سنة اثنتين وعشرين حسام الدين أبا علي الموصلي ثم صالح المعظم جلال الدين خوارزم شاه ودعاه الى الفتنة مع أخويه كما قدمناه فزحف جلال الدين خوارزم شاه الى خلاط وحاصرها مرتين ورجع عنها فسار حسام الدين الى بلده وملك بعض حصونه وداخل زوجته التي كانت زوجة ازبك بن البهلوان وكانت مقيمة بخوى وهجرها جلال الدين وقطع عنها ما كانت تعتاده من التحكم في الدولة مع زوجها قبله فدست الى حسام الدين نائب خلاط واستدعته هي وأهل خوى ليملكوه البلاد فسار وملك خوى وما فيها من الحصون ومدينة قرند وكاتبه أهل نقجوان وملكوه بلدهم وعاد الى خلاط ونقل معه

زوجة جلال الدين وهي بنت السلطان طغرل فامتعض جلال الدين لذلك
ثم ارتاب الاشرف بحسام الدين نائب خلاط وأرسل أكبر أمرائه عز الدين ايبك
فقبض على حسام الدين وكان عدوا له وقتله غيلة وهرب مولاه فلحق بجلال الدين
ثم زحف جلال الدين في شوال سنة ست وعشرين الى خلاط فحاصرها ونصب عليها
المجانيق وقطع عنها الميرة مدة ثمانية أشهر ثم ألح عليها بالقتال وملكها عنوة آخر جمادى
الاولى من سنة سبع وعشرين وامتنع ايبك وحاميتها بالقلعة واستماتوا واستباح
جلال الدين مدينة خلاط وعاث فيها بما لم يسمع بمثله ثم تغلب على القلعة وأسر ايبك
نائب خلاط فدفعه الى مولى حسام الدين نائبها قبله فقتله بيده والله تعالى أعلم

(مسير الكامل في انجاد الاشرف وهزيمة جلال الدين أمام الاشرف)

ولما استولى جلال الدين على خلاط سار الاشرف من دمشق الى أخيه الكامل بمصر
يستنجده فسار معه وولى على مصر ابنه العادل ولقيه في طريقه صاحب الكرك
الناصر بن المعظم وصاحب حماة المظفر بن المنصور وسائر بني أيوب وانتهى الى سلمية
وكلهم في طاعته ثم سار الى آمد فملكها من يد مسعود بن محمد بن الصالح بن محمد بن
قرا ارسلان بن سقمان بن ارتق وكان صلاح الدين أقطعه اياها عندما ملكها من ابن
نعشان فلما نزل اليه اعتقله وملك آمد ثم انطلق بعد وفاة الكامل من الاعتقال ولحق
بالتتر ثم استولى الكامل على البلاد الشرقية التي نزل له عنها الاشرف عوضا عن دمشق
وهي حران والرها وما اليهما ولما تسلمها ولى عليها ابنه الصالح نجم الدين أيوب وكان
جلال الدين لما ملك خلاط حضر معه صاحب ارزن الروم فاغتم لذلك علاء الدين
كيقباد ملك بلاد الروم لما بينه وبين صاحب ارزن من العداوة والقرابة وخشيهما
على ملكه فبعث الى الكامل والاشرف بحران يستنجدهما ويستحث الاشرف للوصول
بجميع عساكر الجزيرة والشأم وسار الى علاء الدين فاجتمع معه بسيواس وسار نحو خلاط
وسار جلال الدين للقائهما والتقوا بأعمال ارزنكان وتقدم عسكر حلب للقتال
ومقدمهم عز الدين عمر بن علي الهكاري من أعظم الشجعان فلم يثبت لهم مصاف
جلال الدين وانهزم الى خلاط فأخرج حاميته منها ولحق باذربيجان ووقف الاشرف
على خلاط وهي خاوية وكان صاحب ارزن الروم مع جلال الدين فجيء به أسيرا الى
ابن عمه علاء الدين صاحب بلاد الروم فسار به الى ارزن وسلم اله وما يتبعها من القلاع
ثم ترددت الرسل بينهم وبين جلال الدين في الصلح فاصطلحوا كل على ما بيده وتحالفوا
وعاد الاشرف الى سنجار وسار أخوه غازي صاحب ميافارقين فحاصر مدينة ارزن
من ديار بكر وكان حاضرا مع الاشرف في هذه الحروب وأسره جلال الدين ثم أطلقه بعد

ان أخذ له العهد فى طاعته فسار اليه شهاب الدين غازى وحاصره وملك منه ارزن صلحا وأعطاه عنها مدينة جانى من ديار بكر وكان اسمه حسام الدين وكان من بيت عريق فى الملك يعرفون ببنى الاحدب أقطعها لهم السلطان ملك شاه والله تعالى أعلم

(استيلاء العزيز صاحب حلب على شيزر ثم وفاته وولاية ابنه الناصر بعده)

كان سابق الدين عثمان بن الداية من أمراء الملك العادل نور الدين محمود بن زنكى واعتقله ابنه الصالح اسمعيل فنكر عليه صلاح الدين ذلك وسار بنيه الى دمشق فملكها وأقطع سابق الدين شيزر فلم تزل له ولبنيه الى أن استقرت لشهاب الدين يوسف ابن مسعود بن سابق الدين فسار اليه صاحب حلب محمد بن العزيز بن الغازى الظاهر بأمر الكامل سنة ثلاثين وستمائة وملكها من يده ثم هلك سنة أربع وثلاثين وملك فى حلب مكانه ابنه الناصر يوسف فى كفالة جدته لابيه صفية خاتون بنت العادل واستولى على الدولة شمس الدين لؤلؤ الارمنى وعز الدين المجلى واقبال الخاتونى وكلهم فى تصريفها والله تعالى ينصر من يشاء من عباده

(فتنة كيقباد صاحب بلاد الروم واستيلاؤه على خلاط)

كان كيقباد بن كيكاوس صاحب بلاد الروم قد استفحل ملكها وتمدد الى ما يجاورها من البلاد فملك خلاط بعد ان دفع عنها مع الاشرف جلال الدين شاه كما قدمناه ونازعه الاشرف فى ذلك واستنجد بأخيه الكامل فسار بالعساكر من مصر سنة احدى وثلاثين وسار معه الملوك من أهل بيته وانتهى الى النهر الازرق من تخوم الروم وبعث فى مقدمته المظفر صاحب حماة من أهل بيته فلقيه كيقباد وهزمه وحصره فى خرت برت وتخاذل عن الحرب ثم استأمن المظفر صاحب حماة الى كيقباد فأمنه وملك خرت برت وكان لبنى ارتق ورجع الكامل بالعساكر الى مصر سنة ثنتين وثلاثين وكيقباد فى اتباعهم ثم سار الى حران والرها فملكها من يد نواب الكامل وولى عليها من قبله وسار الكامل سنة ثلاث وثلاثين والله أعلم

(وفاة الاشرف بن العادل واستيلاء الكامل على ممالكه)

كان الاشرف سنة أربع وثلاثين قد استوحش من أخيه الكامل ونقض طاعته ومالأ على ذلك أهل حلب وكيخسرو صاحب بلاد الروم وجميع ملوك الشأم من قرابتهما غير الناصر بن المعظم صاحب الكرك فانه أقام على طاعة الكامل وسار اليه بمصر فتلقاه بالمبرة والتكرمة ثم هلك الاشرف خلال ذلك سنة خمس وثلاثين وعهد

بملك دمشق لاخيه الصالح اسمعيل صاحب بصرى فسار اليها وملكها وبقى الملوك في وفاقه على الكامل كما كانوا على عهد الاشرف الا المظفر صاحب حماة فانه عدل عنهم الى الكامل وسار الكامل الى دمشق فحاصرها وضيق عليها حتى تسلمها صلحا من الصالح وعوضه عنها بعلبك واستولى على سائر أعمال الاشرف ودخل سائر بنى أيوب فى طاعته والله أعلم

وفاة الكامل وولاية ابنه العادل بمصر واستيلاء ابنه الآخر نجم الدين أيوب على دمشق

ثم توفى الكامل بن العادل صاحب دمشق ومصر والجزيرة سنة خمس وثلاثين بدمشق لستة أشهر من وفاة أخيه الاشرف فانفض الملوك راجعين كل الى بلاده المظفر الى حماة والناصر الى الكرك وبويع بمصر ابنه العادل أبو بكر فنصب العساكر بدمشق الجواد يونس ابن عمه مودود بن العادل نائبا عنه وسار الناصر داود الى دمشق ليملكها فبرز اليه الجواد يونس وهزمه وتمكن فى ملك دمشق وخلع طاعة العادل بن الكامل وراسل الصالح أيوب فى أن يملكه دمشق وينزل له الصالح عن البلاد الشرقية التى ولاه أبوه عليها فسار الصالح لذلك سنة ست وثلاثين وملك دمشق وسار يونس الى البلاد الشرقية فاستولى عليها ولم تزل بيده الى أن زحف اليه لؤلؤ صاحب الموصل وغلبه عليها واستقرت دمشق فى يد الصالح ولما أخذ لؤلؤ البلاد من يونس الجواد سار عن القفر الى غزة فمنعه الصالح من الدخول اليها فدخل الى الافرنج بعكا وباعوه من الصالح اسمعيل صاحب دمشق فاعتقله وقتله انتهى والله أعلم

(أخبار الخوارزمية)

ثم زحف التتر الى اذربيجان واستولوا على جلال الدين وقتلوه سنة ثمان وعشرين وانفض أصحابه وذهبوا فى كل ناحية وسار جمهورهم الى بلاد الروم فنزلوا على علاء الدين كيقباد ملكها حتى اذا مات وملك ابنه كيخسرو ارتاب بهم وقبض على أمرائهم وانفض الباقون عنه وعاثوا فى الجهات فاستأذن الصالح أيوب صاحب سنجار ومااليها أباه الكامل صاحب مصر فى استخدامهم ليحسم عن البلاد ضررهم فاجتمعوا عنده وأفاض فيهم الارزاق ولما توفى الكامل سنة خمس وثلاثين انتقضوا عن الصلح وخرجوا فاكتسحوا النواحى وسار لؤلؤ الى سنجار فحاصر الصالح فبعث الصالح الخوارزمية فاستمالهم وأقطعهم حران والرها ولقيهم لؤلؤ فهزمه وغنم معسكره والله تعالى أعلم

(مسير الصالح الى مصر واعتقال الناصر له بالكرك)

لما ملك العادل بمصر بعد أبيه اضطرب عليه أهل الدولة وبلغهم استيلاء أخيه الصالح على دمشق فاستدعوه ليملكوه فبعث عن عمه الصالح اسمعيل من بعلبك ليسير معه فاعتذر عن الوصول وسار الصالح أيوب وولى على دمشق ابنه المغيث فتح الدين عمر ولما فصل عن دمشق خالفه اليها عمه الصالح اسمعيل فملكها ومعه شيركوه صاحب حمص وقبض على المغيث فتح الدين بن الصالح أيوب وبلغ الخبر اليه وهو بنابلس فانفضت عنه العساكر ودخل نابلس وجاء الناصر داود من الكرك فقبض عليه واعتقله وبعث فيه أخوه العادل فامتنع من تسليمه اليه ثم قصد داود القدس فملكها من يد الافرنج وخرب القلعة والله تعالى ولي التوفيق

(وفاة شيركوه صاحب مصر وولاية ابنه ابراهيم المنصور)

ثم توفي المجاهد شيركوه بن محمد بن شيركوه صاحب حمص سنة ست وثلاثين وكانت ولايته أول المائة السابعة وولي من بعده ابنه ابراهيم ويلقب بالمنصور والله أعلم

(خلع العادل واعتقاله واستيلاء أخيه الصالح أيوب على مصر)

ولما رجع الناصر داود من فتح القدس أطلق الصالح نجم الدين أيوب من الاعتقال فاجتمعت اليه مواليه واتصل اضطراب أهل الدولة بمصر على أخيه العادل فكاتبوا الصالح واستدعوه ليملكوه فسار معه الناصر داود وانتهى الى غزة وبرز العادل الى بلبيس وكتب الى عمه الصالح بدمشق يستنجده على أخيه أيوب فسار من دمشق وانتهى الى الغور ثم وثب بالعادل في معسكره مواليه ومقدمهم ايبك الاسمر وقبضوا عليه وبعثوا الى الملك الصالح بخبره ومعه الناصر داود صاحب الكرك فدخل القلعة سنة سبع وثلاثين واستقر في ملكه وارتاب منه الناصر داود فلحق بالكرك واستوحش من الامراء الذين وثبوا بأخيه فاعتقلهم وفيهم ايبك الاسمر وذلك سنة ثمان وثلاثين وحبس أخاه العادل الى أن هلك في محبسه سنة خمس وأربعين ثم اختط قلعة بين بحري النيل ازاء المقياس واتخذها مسكنا وأنزل بها حامية من مواليه فكانوا يعرفون بالبحرية آخر أيامهم انتهى والله أعلم

(فتنة الخوارزمية)

ثم كثر عيث الخوارزمية بالبلاد المشرقية وعبروا الفرات وقصدوا حلب فبرزت اليهم عساكرها مع المعظم توران شاه بن صلاح الدين فهزموه وأسروه وقتلوا الصالح بن

الافضل صاحب سميساط وكان في جملته وملكوا منبج عنوة ورجعوا ثم ساروا من حران وعبروا من ناحية الرقة وعاثوا في البلاد وجمع أهل حلب العساكر وأمدهم الصالح اسمعيل من دمشق بعسكر مع المنصور ابراهيم صاحب حمص وقصدوا الخوارزمية فانقلبوا الى حران ثم تواقعوا مع العساكر فانهزموا واستولى عسكر حلب على حران والرها وسروج والرقة وراس عين وما اليها وشلص المعظم تورانشاه فبعث به لؤلؤ صاحب الموصل الى عسكر حلب ثم سار عسكر حلب الى آمد وحاصروا المعظم تورانشاه وغلبوه على آمد وأقام بحصن كيفا الى أن هلك أبوه بمصر واستدعى هو لملكها فسار لذلك وولى ابنه الموحد عبد الله بكيفا الى أن غلب التتر على بلاد الشأم ثم سار الخوارزمية سنة أربعين مع المظفر غازى صاحب ميافارقين من أقتال صاحب حلب ومعهم المنصور ابراهيم صاحب حمص فانهزموا وغنمت العساكر سوادهم والله سبحانه وتعالى أعلم

(أخبار حلب)

قد كان تقدم لنا ولاية الظاهر غازى على حلب بعد وفاة أبيه ثم توفى سنة أربع وثلاثين ونصب أهل الدولة ابنه الناصر يوسف في كفالة جدته أم العزيز صفية خاتون بنت العادل ولؤلؤ الارمني واقبال الخاتوني وعز الدين بن مجلى قائمون بالدولة في تصريفها وما زالت تجهز العساكر لدفاع الخوارزمية وتفتح البلاد الى أن توفيت سنة أربعين واستقل الناصر بتدبير ملكه وصرف النظر في أموره لجمال الدين اقبال الخاتوني والله أعلم

(فتنة الصالح أيوب مع عمه الصالح اسمعيل على دمشق واستيلاء أيوب آخرا عليها)

قد كان تقدم لنا أن الصالح اسمعيل بن العادل خالف الصالح أيوب على دمشق عند مسيره الى مصر فملك دمشق سنة ست وثلاثين وكان بعد ذلك اعتقال الصالح بالكرك ثم استيلاؤه على مصر سنة سبع وثلاثين وبقيت الفتنة متصلة بينهما وطلب الصالح اسمعيل صاحب دمشق من الافرنج المظاهرة على أيوب صاحب مصر على أن يعطيهم حصن الشقيف وصفد فأمضى ذلك ونكره مشيخة العلماء بعصره وخرج من دمشق عز الدين بن عبد السلام الشافعي ولحق بمصر فولاه الصالح خطة القضاء بها ثم خرج بعده جمال الدين بن الحاجب المالكي الى الكرك ولحق بالاسكندرية فمات بها ثم تداعى ملوك الشأم الفتنة الصالح أيوب واتفق عليها اسمعيل الصالح صاحب دمشق والناصر يوسف صاحب حلب وجدته صفية خاتون وابراهيم المنصور بن شيركوه صاحب حمص وخالفهم المظفر صاحب حماة وجنح الى ولاية نجم الدين أيوب وأقام حالهم

في الفتنة على ذلك ثم جنحوا الى الصلح على أن يطلق صاحب دمشق فتح الدين عمر بن
نجم الدين أيوب الذي اعتقله بدمشق فلم يجب الى ذلك واستجدت الفتنة وسار الناصر
داود صاحب الكرك مع اسمعيل الصالح صاحب دمشق واستظهروا بالافرنج
وأعطاهم اسمعيل القدس على ذلك واستنجد بالخوارزمية أيضا فأجابوا واجتمعوا بغزة
وبعث نجم الدين العساكر مع مولاه بيبرس وكانت له ذمة باعتقاله معه فتسلل فوامع
الخوارزمية وجاءت عساكر مصر مع المنصور ابراهيم بن شيركوه ولاقوا الافرنج من عكا
فكان الظفر لعساكر مصر والخوارزمية واتبعوهم الى دمشق وحاصروا بها الصالح
اسمعيل الى أن جهده الحصار وسأل في الصلح على أن يعوض عن دمشق ببعلبك
وبصرى والسواد فأجابه أيوب الى ذلك وخرج اسمعيل من دمشق الى بعلبك سنة
ثمان وأربعين وبعث نجم الدين الى حسام الدين على بن أبي على الهدباني وكان معتقلا
عند اسمعيل بدمشق فشرط نجم الدين اطلاقه في الصلح الاول فأطلقه وبعث اليه
بالنيابة عنه بدمشق فقام بها وانصرف ابراهيم المنصور الى حمص وانتزع صاحب
حماة منه سلمية فملكها واشتط الخوارزمية على الهدباني في دمشق في الولايات
والاقطاعات واستعصوا لذلك فسار بهم الصالح اسمعيل الى دمشق موصلا لكرة ومعه
الناصر صاحب الكرك فقام الهدباني في دفاعهم أحسن قيام وبعث نجم الدين
من مصر الى يوسف الناصر يستنجده على دفع الخوارزمية عن دمشق فسار في عساكره
ومعه ابراهيم بن شيركوه صاحب حمص فهزموا الخوارزمية على دمشق سنة أربع
وأربعين وقتل مقدمهم حسام الدين بركت خان وذهب بقيتهم مع مقدمهم الآخر
كشلوخان فلحقوا بالتتر واندرجوا في جملتهم وذهب أثرهم من الشام واستجار
اسمعيل الصالح وكان معهم بالناصر صاحب حلب فأجاره من نجم الدين أيوب وسار
حسام الدين الهدباني بعساكر دمشق الى بعلبك وتسلمها بالامان وبعث بأولاد اسمعيل
ووزيره ناصر الدين يغمور الى نجم الدين أيوب فاعتقلهم بمصر وسارت عساكر
الناصر يوسف صاحب حلب الى الجزيرة فقتلوا قعوا مع لؤلؤ صاحب الموصل فانهزم
لؤلؤ وملك الناصر نصيبين ودارا وقرقيسيا وعاد عسكره الى حلب والله تعالى أعلم

مسير الصالح أيوب الى دمشق أولا وثانيا وحصار حمص وما كان مع ذلك من الاحداث

ثم بعث الصالح عن حسام الدين الهدباني من دمشق وولى مكانه عليها جمال الدين بن
مطروح ثم سار الى دمشق سنة خمس وأربعين واستخلف الهدباني على مصر ولما وصل
الى دمشق جهز فخر الدين بن الشيخ بالعساكر الى عسقلان وطبرية فحاصرهما مدة

وخلصهما من يد الافرنج ووفد على الصالح بدمشق المنصور صاحب حماة وكان أبوه المظفر توفي سنة ثلاث وأربعين وولى المنصور ابنه هذا واسمه محمد ووفد أيضا الاشرف موسى صاحب حمص وقد كان أبوه ابراهيم المنصور توفي سنة أربع وأربعين قبلها بدمشق وهو ذاهب الى مصر وافدا على الصالح أيوب وأقام بحمص ابنه مظفر الدين موسى ولقب الاشرف وجاءت عساكر حلب سنة ست وأربعين مع لؤلؤ الارمني وحصروا حمص شهرين وملكوها من يد موسى الاشرف وأعاضوه عنها تل باشر من قلاع حلب مضافة الى الرحبة وتدمر وكانتا بيده مع حمص وغضب لذلك الصالح فسار من مصر الى دمشق وجهز العساكر الى حصار حمص مع حسام الدين الهذباني وفخر الدين بن الشيخ فحاصروا وامصر مدة وجاء رسول الخليفة المستعصم الى الصالح أيوب شافعا فافرج العساكر عنها وولى على دمشق جمال الدين يغمور وعزل ابن مطروح والله تعالى أعلم

(استيلاء الافرنج على دمياط)

كانت افرنسة أمة عظيمة من الافرنج والظاهر أنهم أصل الافرنج وان افرنسة هي فرنجة انقلبت الجيم بها جيما عندما عربتها العرب وكان ملكها من أعظم ملوكهم لذلك العصر ويسمونه ريدا افرنس ومعنى ريد في لغتهم ملك افرنس فاعتزم هذا الملك على سواحل الشأم وسار لذلك كما سار من قبله من ملوكهم وكان ملكه قد استفحل فركب البحر الى قبرس في خمسين ألف مقاتل وشتى بها ثم عبر سنة سبع وأربعين الى دمياط وبها بنو كنانة أنزلهم الصالح بها حامية فلما رأوا ما لا قبل لهم به اجفلوا عنها فملكها ريد افرنس وبلغ الخبر الى الصالح وهو بدمشق وعساكره نازلة بحمص فكر راجعا الى مصر وقدم فخر الدين ابن الشيخ أتابك عساكره ووصل بعده فنزل المنصورة وقد أصابه بالطريق وعك واشتد عليه والله تعالى أعلم

(استيلاء الصالح على الكرك)

كان بين الصالح أيوب وبين الناصر داود ابن عمه المعظم من العداوة ما تقدم وقد ذكرنا اعتقال الناصر له بالكرك فلما ملك الصالح دمشق بعث العساكر مع اتابكه فخر الدين يوسف ابن الشيخ لحصار الكرك وكان أخوه العادل اعتقله وأطلقه الصالح ألزمه بيته ثم جهزه لحصار الكرك فسار اليها سنة أربع وأربعين وحاصرها وملك سائر أعمالها وخرب نواحيها وسار الناصر من الكرك الى الناصر يوسف صاحب حلب مستجيرا به بعد أن بعث بذخيرته الى المستعصم وكتب بخطه بوصولها وكان

قد استخلف على الكرك عندما سار الى حلب ابنه الاصغر عيسى ولقبه المعظم فغضب أخواه الاكبران الامجد حسن والظاهر شادى فقبضا على أخيهما عيسى ووفدا على الصالح سنة ست وأربعين وهو بالمنصورة قبالة الافرنج فملك الكرك والشوبك منهما وولى عليهما بدر الصوابى واقطعهما بالديار المصرية والله سبحانه وتعالى أعلم

(وفاة الصالح أيوب صاحب مصر والشأم وسيد ملوك الترك بمصر وولاية ابنه توران شاه وهزيمة الافرنج وأسر ملكهم)

ثم توفى الصالح نجم الدين أيوب بن الكامل سنة سبع وأربعين بمكانه من المنصورة قبالة الافرنج وخشى أهل الدولة من الافرنج فكتموا موته وقامت أم ولده شجر الدر بالامر وجمعت الامراء وسيروا بالخبر الى حسام الدين الهذبانى بمصر فجمع الامراء وقوى جاشهم واستحلفهم وارسل الاتابك فخر الدين بن الشيخ بالخبر الى المعظم توران شاه بن الصالح واستدعاه من مكان امارته بحصن كيفا ثم انتشر خبر الوفاة وبلغ الافرنج فشرهوا الى قتال المسلمين ودلفوا الى العسكر فانكشف المسلمون وقتل الاتابك فخر الدين ثم أتاح الله الكرة للمسلمين وانهزم الافرنج ووصل المعظم توران شاه من مكانه بحصن كيفا لثلاثة أشهر أو تزيد فبايعه المسلمون واجتمعوا عليه واشتدوا فى قتال الافرنج وغلبت أساطيلهم أساطيل العدو وسأل الافرنج فى الافراج عن دمياط على أن يعاضوا بالقدس فلم يجبهم المسلمون الى ذلك وسارت سرايا المسلمين من حولهم وفيما بين معسكرهم وبين دمياط فرحلوا راجعين اليها واتبعهم المسلمون فأدركهم الدهش وانهزموا وأسر ملكهم ريدافرنس وهو المعروف بالفرنسيس وقتل منهم أكثر من ثلاثين ألفا واعتقل الفرنسيس بالدار المعروفة بفخر الدين بن لقمان ووكل بها الخادم صبيح المعظمى ثم رحل المعظم بعساكر المسلمين راجعا الى مصر والله تعالى أعلم

(مقتل المعظم توران شاه وولاية شجر الدر وفداء الفرنسيس بدمياط)

ولما بويع المعظم توران شاه وكانت له بطانة من المماليك جاءبهم من كيفا فتسلطوا على موالى أبيه وتقسموهم بين النكبة والاهمال وكان للصالح جماعة من الموالى وهم البحرية الذين كان ينزلهم بالدار التى بناها ازاء المقياس وكانوا بطانته وخالصته وكان كبيرهم بيبرس وهو الذى كان الصالح بعثه بالعساكر لقتال الخوارزمية عندما زحفوا مع عمه الصالح اسمعيل صاحب دمشق وقد مرّ ذكر ذلك فصارت طاغيته معهم استمالهم الصالح فصاروا معه وزحفوا مع عساكره الى عساكر دمشق والافرنج

فهزموهم وحاصروا دمشق وملكوها بدعوة الصالح كما مرّ واستوحش بيبرس حتى بعث اليه الصالح بالامان سنة أربع واربعين ولما قدم بمصر حبسه على ما كان منه ثم أطلقه وكان من خواص الصالح أيضا قلاون الصالحى كان من موالى علاء الدين قراسنقر مولى العادل وتوفى سنة خمس وأربعين وورثه الصالح بحكم الولاء ومنهم اقطاى الجامدار وايبك التركمانى وغيرهم فأنفوا من استعلاء بطانة المعظم توران شاه عليهم وتحكمهم فيهم فاعصوصبوا واعتزموا على القتك بالمعظم ورحل من المنصورة بعد هزيمة الافرنج راجعا الى مصر فلما قربت له الحراقة عند البرج ليركب البحر كبسوه بمجلسه وتناوله بيبرس بالسيف فهرب الى البرج فاضرموه نارا فهرب الى البحر فرموه بالسهام فألقى نفسه فى الماء وهلك بين السيف والماء لشهرين من وصوله وملكه ثم اجتمع هؤلاء الامراء المتولون قتل توران شاه ونصبوا للملك أم خليل شجر الدر زوجة الصالح وأم ولده خليل المتوفى فى حياته وبه كانت تلقب وخطب لها على المنابر وضربت السكة باسمها ووضعت علامتها على المراسم وكان نص علامتها أم خليل وقدم أتابك على العساكر عز الدين الجاشنكير ايبك التركمانى فلما استقرت الدولة طالبهم الفرنسيس فى الفداء على تسليم دمياط للمسلمين فاستولوا عليها سنة ثمان وأربعين وركب الفرنسيس البحر الى عكا وعظم الفتح وأنشد الشعراء فى ذلك وتساجلوا ولجمال الدين بن مطروح نائب دمشق أبيات فى الواقعة يتداولها الناس لهذا العصر والله تعالى ولى التوفيق وهى

قل للفرنسيس اذا جئته * مقال صدق عن قؤول فصيح
آجرك الله على ما جرى * من قتل عباد يسوع المسيح
أتيت مصرا تبتغى ملكها * تحسب أن الزمر بالطبل ريح
فساقك الحين الى ادهم * ضاق به عن ناظريك الفسيح
وكل أصحابك أودعتهم * بسوء تدبيرك بطن الضريح
خمسون ألفا لا يرى منهم * الا قتيل أو أسير جريح
وفقك الله لامثالها * لعل عيسى منكم يستريح
ان كان بابا كم بذا راضيا * فرب غش قد اتى من نصيح
أوصيكم خبرا به انه * لطف من الله اليكم أتيح
لو كان ذا رشد على زعمكم * ما كان يستحسن هذا القبيح
فقل لهم ان اضمروا عودة * لاخذ ثار أو لقصد قبيح
دار ابن لقمان على حالها * والقيد باق والطواشى صبيح

والطواشي في لغة أهل المشرق هو الخصي و يسمونه الخادم أيضا والله أعلم

﴿ استيلاء الناصر صاحب حلب على دمشق و بيعة الترك بمصر لموسى الاشرف بن أطسز بن المسعود صاحب اليمن وتراجعهما ثم صلحهما ﴾

ولما قتل المعظم توران شاه ونصب الامراء بعده شجر الدر زوجة الصالح امتعض لذلك امراء بني أيوب بالشام وكان بدر الصوابي بالكرك والشوبك ولاه الصالح عليهما وحبس عنده فتح الدين عمر بن أخيه العادل فأطلقه من محبسه وبايع له وقام بتدبير دولته جمال الدين بن يغمور بدمشق واجتمع مع الامراء القصرية بها على استدعاء الناصر صاحب حلب وتمليكه فسار وملك دمشق واعتقل جماعة من موالي الصالح وبلغ الخبر الى مصر فخلعوا شجر الدر ونصبوا موسى الاشرف بن مسعود أخي الصالح بن الكامل وهو الذي ملك أخوه أطسز واسمه يوسف باليمن بعد ابيهما مسعود وبايعوا له وأجلسوه على التخت وجعلوا أيبك اتابكه ثم انتقض الترك بغزة ونادوا بطاعة المغيث صاحب الكرك فنادى الترك بمصر بطاعة المستعصم وجددوا البيعة للاشرف واتابكه ثم سار الناصر يوسف بعسكره من دمشق الى مصر فجهز الامراء العساكر الى الشام مع اقطاي الجامدار كبير البحرية ويلقب فارس الدين فاجفلت عساكر الشام بين يديه ثم قبض الناصر يوسف صاحب دمشق على الناصر داود لشئ بلغه عنه وحبسه بحمص وبعث عن ملوك بني أيوب فجاءه موسى الاشرف صاحب حمص والرحبة وتدمر والصالح اسمعيل ابن العادل من بعلبك والمعظم توران شاه وأخوه نصر الدين ابنا صلاح الدين والامجد حسام الدين والظاهر شادي ابنا الناصر داود صاحب الكرك وتقي الدين عباس بن العادل واجتمعوا بدمشق وبعث في مقدمته مولاه لؤلؤ الارمني وخرج ايبك التركماني في العساكر من مصر للقائهم وأفرج عن ولدي الصالح اسمعيل المعتقلين منذ أخذهم الهذباني من بعلبك ليتهم الناس اباهم ويستريبوا به والتقى الجمعان في العباسية فانكشفت عساكر مصر وسارت عساكر الشأم في اتباعهم وثبت ايبك وهرب اليه جماعة من عساكر الناصر ثم صدق ايبك الحملة على الناصر وسار منهزما وجيء لايبك بلؤلؤ الارمني أسيرا فقتله وأسر اسمعيل الصالح وموسى الاشرف وتوران شاه المعظم وأخوه ولحق المنهزمون من عسكر مصر بالبلد وشعر المتبعون لهم من عساكر الشأم بهزيمة الناصر وراءهم فرجعوا ودخل ايبك الى القاهرة وحبس بني أيوب بالقلعة ثم قتل يغمور وزير الصالح اسمعيل المعتقل ببعلبك مع بنيه وقتل الصالح اسمعيل في محبسه ثم جهز الناصر العساكر من دمشق الى غزة فتواقعوا مع فارس الدين اقطاي مقدم عساكر فهزموهم واستولوا عليها وترددت الرسل

بين الناصر وبين الامراء بمصر واصطلحوا سنة خمسين وجعلوا التخم بينهم نهر الاردن ثم اطلق ايبك حسام الدين الهذبانى فسار الى دمشق وسار فى خدمة الناصر وجاءت الى الناصر شفاعة المستعصم فى الناصر داود صاحب الكرك الذى حبسه بحمص فافرج عنه ولحق ببغداد ومعه ابناه الامجد والظاهر فنعه الخليفة من دخولها فطلب وديعته فلم يسعف بها واقام فى أحياء عربية ثم رجع الى دمشق بشفاعة من المستعصم للناصر وسكن عنده والله تعالى ينصر من يشاء من عباده

(خلع الاشرف بن أطسز واستبداد ايبك وامراء الترك بمصر)

قد تقدم لنا آنفا بيعة امراء التركمان بمصر للاشرف موسى بن يوسف أطسز بن الكامل وانهم خطبوا له وأجلسوه على التخت بعد ان نصبوا الملك ايبك وكان طموحا الى الاستبداد وكان اقطاى الجامدار من أمراء البحرية يدافعه عن ذلك ويغض من عنانه منافسة وغيرة فارصد له ايبك ثلاثة من المماليك اغتالوه فى بعض سكك القصر وقتلوه سنة اثنتين وخمسين وكانت جماعة البحرية ملتفة عليه فانفضوا ولحقوا بالناصر فى دمشق واستبد ايبك بمصر وخلع الاشرف وقطع الخطبة له فكان آخر امراء بنى أيوب بمصر وخطب ايبك لنفسه ثم تزوج شجر الدر أم خليل الملكة قبله فلما وصل البحرية الى الناصر بدمشق أطمعوه فى ملك مصر واستحثوه فتجهز وسار الى غزة وبرز ايبك بعساكره الى العباسية فنزل بها وانتقض عليه فتوهموا بالثورة به فارتاب بهم ولحقوا بالناصر ثم ترددت الرسل بين الناصر وايبك فاصطلحوا على أن يكون التخم بينهم العريش وبعث الناصر الى المستعصم مع وزيره كمال الدين ابن العديم فى طلب الخلعة وكان ايبك قد بعث بالهدية والطاعة الى المستعصم فطل المستعصم الناصر بالخلعة حتى بعثها اليه سنة خمس وخمسين ثم قتل المعز أيبك قتلته شجر الدر غيلة فى الحمام سنة خمس وخمسين غيرة من خطبته بنت لؤلؤ صاحب الموصل فنصبوا مكانه ابنه عليا ولقبوه المنصور وثار وابه من شجر الدر كما نذكره فى أخبارهم ان شاء الله تعالى

(مسير المغيث بن العادل صاحب الكرك مع البحرية الى مصر وانهزامهم)

كان البحرية منذ لحقوا بالناصر بعد مقتل اقطاى الجامدار مقيمين عنده ثم ارتاب بهم وطردهم آخر سنة خمس وخمسين فلحقوا بغزة وكاتبوا المغيث فتح الدين عمر بن العادل بالكرك وقد كنا ذكرنا ان بدرا الصوافى أخرجه من محبسه بالكرك بعد مقتل توران شاه بمصر وولاه الملك وقام بتدبير دولته وبعث اليه الآن بيبرس البندقدارى

مقدم البحرية من غزة يدعوه الى الملك وبلغ الخبر الى الناصر بدمشق فجهز العساكر الى غزة فقاتلوهم وانهزموا الى الكرك فتلقاهم المغيث وقسم فيهم الاموال واستجثوه لملك مصر فسار معهم وبرزت عساكر مصر لقتالهم مع قطز مولى ايبك المعز ومواليه فالتقى الفريقان بالعباسية فانهزم المغيث والبحرية الى الكرك ورجعت العساكر الى مصر وفي خلال ذلك أخرج الناصر داود بن المعظم من دمشق حاجا ونادى في الموسم بتوسله الى المستعصم في وديعته وانصرف مع الحاج الى العراق فاستكرهه المستعصم على براءته من وديعته فكتب وأشهد ولحق بالبرية وبعث الى الناصر يوسف يستعطفه فأذن له وسكن دمشق ثم رجع مع رسول المستعصم الذي جاء معه الى الناصر بالخلعة والتقليد فأقام بقرقيسيا حتى يستأذن له الرسول فلم يأذن له فأقام عند أحياء العرب في التيه فقربوا في تقلبهم من الكرك فقبض عليه المغيث صاحب الكرك وحبسه حتى اذا زحف التتر لبغداد بعث عنه المستعصم ليبعثه مع العساكر لمدافعتهم وقد استولى التتر على بغداد فرجع ومات ببعض قرى دمشق بالطاعون سنة ست وخمسين انتهى والله تعالى أعلم

(زحف الناصر صاحب دمشق الى الكرك وحصارها والقبض على البحرية)

ولما كان من المغيث والبحرية ما قدمناه ورجعوا منهزمين الى الكرك بعث الناصر عساكره من دمشق الى البحرية فالتقوا بغزة وانهزمت عساكر الناصر وظفرت البحرية بهم واستفحل أمرهم بالكرك فسار الناصر بنفسه اليهم بالعساكر من دمشق سنة سبع وخمسين وسار معه صاحب حماه المنصور بن المظفر محمود فنزلوا على الكرك وحاصروها وأرسل المغيث الى الناصر في الصلح فشرط عليه أن يحبس البحرية فأجاب ونمى الخبر الى بيبرس اميرهم البندقداري فهرب في جماعة منهم ولحق بالناصر وقبض المغيث على الباقين وبعث بهم الى الناصر في القيود ورجع الكرك ثم بعث الى الامراء بمصر وزيره كمال الدين بن العديم يدعوهم الى الاتفاق الى مدافعة التتر وفي أيام مقدم ابن العديم مصر خلع الامراء على ابن المعز أيبك وقبض عليه أتابك عسكره ومولى أبيه وجلس على التخت وخطب لنفسه وقبض على الامراء الذين يرتاب منازعتهم كما نذكره في أخبارهم وأعاد ابن العديم الى مرسله صاحب دمشق بالاجابة والوعد بالمظاهرة والله تعالى ينصر من يشاء من عباده

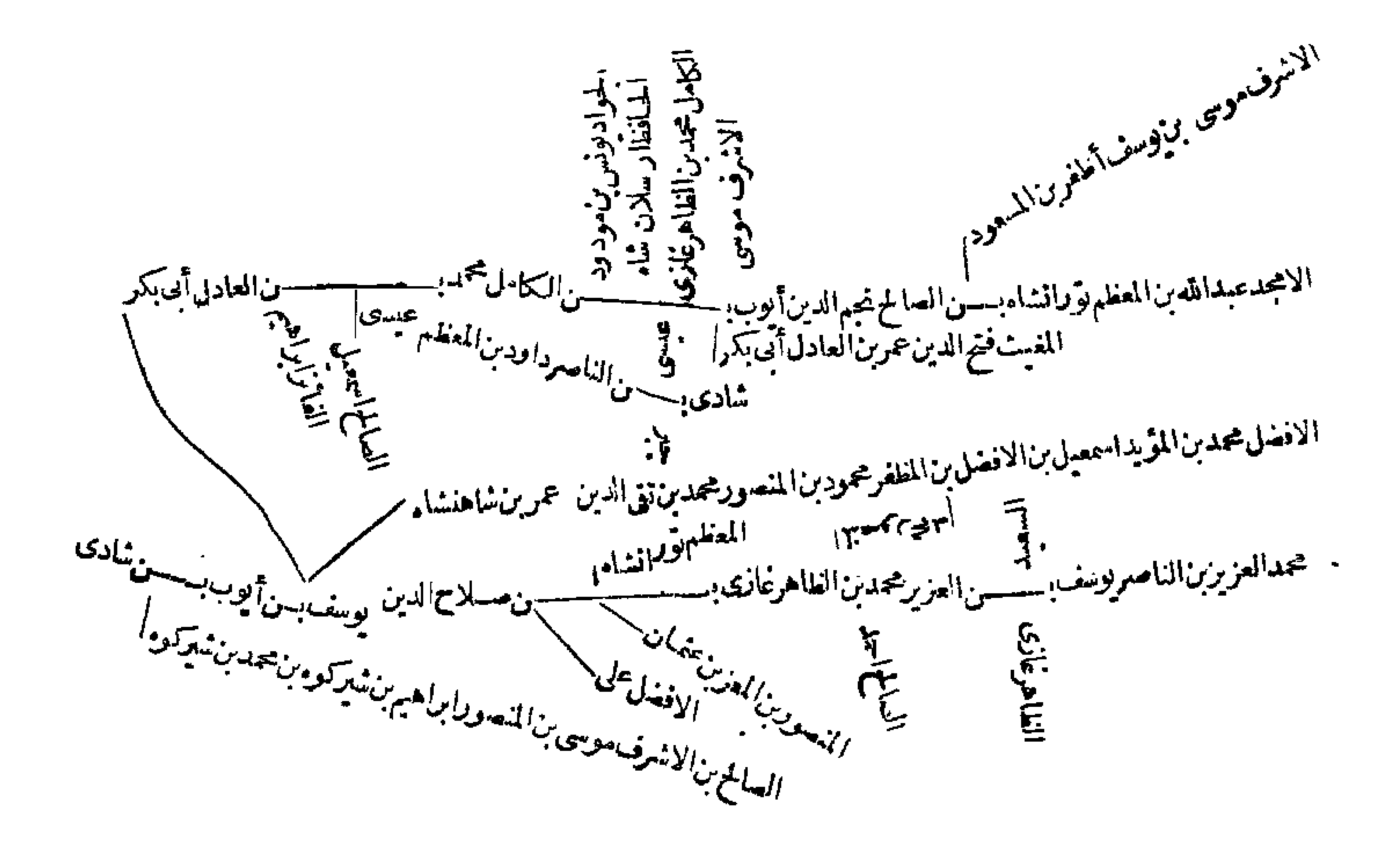
(استيلاء التتر على الشام وانقراض ملك بني أيوب وهلاك من هلك منهم)

ثم زحف التتر وسلطانهم هلاكو الى بغداد واستولى على كرسي الخلافة وقتلوا المستعصم

وطمسوا معالم الملة وكادت تكون من أشراط الساعة وقد شرحناها فى أخبار الخلفاء
ونذكرها فى أخبار التتر فبادر الناصر صاحب دمشق بمصانعته وبعث ابنه العزيز محمدا
الى السلطان هلاكو بالهدايا والالطاف فلم يغن ورده بالوعد ثم بعث هلاكو عساكره
الى ميافارقين وبها الكامل محمد بن المظفر شهاب الدين غازى بن العادل الكبير
فحاصروها سنتين ثم ملكوها عنوة سنة ثمان وخمسين وقتلوه وبعث العساكر الى اربل
فحاصروها ستة أشهر وفتحوها وسار ملوك بلاد الروم كيكاوس وقليج ارسلان ابنا
كيخسرو الى هلاكو اثر ما ملك بغداد فدخلوا فى طاعته ورجعوا الى بلادهم وسار
هلاكو الى بلاد اذربيجان ووفد عليه هنالك لؤلؤ صاحب الموصل سنة سبع وخمسين
ودخل فى طاعته ورده الى بلده وهلك اثر ذلك وملك الموصل مكانه ابنه الصالح وسنجار
ابنه علاء الدين ثم أوفد الناصر ابنه على هلاكو بالهدايا والتحف على سبيل المصانعة
واعتذر عن لقائه بالتخوف على سواحل الشام من الافرنج فتلقى ولده بالقبول وعذره
وارجعه الى بلده بالمهادنة والمواعدة الجميلة ثم سار هلاكو الى حران وبعث ابنه فى
العساكر الى حلب وبها المعظم تورانشاه ابن صلاح الدين نائبا عن الناصر يوسف
فخرج لقتالهم فى العساكر وأكمن له التتر واستجروهم ثم كروا عليهم فاثخنوا فيهم
ورحلوا الى عزاز فملكوها صلحا وبلغ الخبر الى الناصر وهو بدمشق فعسكر عن ثورة
سنة ثمان وخمسين وجاء الناصر بن المظفر صاحب حماة فأقام معه ينتظر أمرهم ثم بلغه
ان جماعة من مواليه اعتزموا على الثورة به فكر راجعا الى دمشق ولحق أولئك الموالى
بغزة ثم اطلع على خبثهم وان قصدهم تملك أخيه الظاهر فاستوحش منهم ولحق
الظاهر بهم فنصبوه للامر واعصوصبوا عليه وكان معهم بيبرس البندقدارى وشعر
بتلاشى أحوالهم فكاتب المظفر صاحب مصر واستأمن اليه فأمنه وسار الى مصر
فتلقى بالكرامة وأنزل بدار الوزارة وأقطعه السلطان قطز قليوب باعمالها ثم هرب
هلاكو الى الفرات فملك   وكان بها اسمعيل أخو الناصر معتقلا فأطلقه
وسرحه الى عمله بالصبيبة وبانياس وولاه عليهما وقدم صاحب أرزن الى تورانشاه نائب
حلب يدعوه الى الطاعة فامتنع فسار اليها وملكها عنوة وأمنها واعتصم
تورانشاه والحامية بالقلعة وبعث أهل حماة بطاعتهم الى هلاكو وأن يبعث عليهم نائبا
من قبله ويسمى بلغتهم الشحنة فأرسل اليهم قائدا يسمى خسروشاه وينسب فى العرب
الى خالد بن الوليد رضى الله عنه وبلغ الناصر أخذ حلب فاجفل عن دمشق واستخلف
عليها وسار الى غزة واجتمع عليه واليه وأخوه وسار التتر الى نابلس فملكوها وقتلوا
من كان بها من العسكر وسار الناصر من غزة الى العريش وقدم رسله الى قطز تسأله
النصر من عدوهم واجتماع الايدى على المدافعة ثم تقدموا الى

واستراب الناصر بأهل مصر فسار هو وأخوه الظاهر ومعهما الصالح بن الاشرف
موسى بن شيركوه الى التيه فدخلوا اليه وفارقهم المنصور صاحب حماة والعساكر الى
مصر فتلقاهم السلطان قطز بالصالحية وآنسهم ورجع بهم الى مصر واستولى التتر على
دمشق وسائر بلاد الشام الى غزة وولوا على جميعها أمراءهم ثم افتتحت قلعة حلب
وكان بها جماعة من البحرية معتقلين منهم سنقر الاشقر فدفعهم هلاكو الى السلطان
جق من أكابر أمرائه وولى على حلب عماد الدين القزويني ووفد عليه بحلب الاشرف
موسى بن منصور بن ابراهيم بن شيركوه صاحب حمص وكان الناصر قد أخذها منه كما
قدمناه فأعادها عليه هلاكو ورد جميع ولايته بالشام الى رأيه وسار الى قلعة حارم
فملكها واستباحها وأمر بتخريب أسوار حلب وقلعتها وكذلك حماة وحمص وحاصروا
قلعة دمشق طويلا ثم تسلموها بالامان ثم ملكوا بعلبك وهدموا قلعتها وساروا الى
الصبيبة وبها السعيد بن العزيز بن العادل فملكوها منه على الامان وسار معهم
ووفد على هلاكو فخر الدين بن الزكي من أهل دمشق فولاه القضاء بها ثم اعتزم
هلاكو على الرجوع الى العراق فعبروا الفرات وولى على الشام أجمع أميرا اسمه كسعا
من أكابر أمرائه واحتمل عماد الدين القزويني من حلب وولى مكانه آخر وأما الناصر
فلما دخل فى التيه هاله أمره وحسن له أصحابه قصد هلاكو فوصل الى كسعا نائب
الشام يستأذنه ثم وصل فقبض عليه وسار به الى   حتى سلمها اليه أهلها
وبعث به الى هلاكو فمر بدمشق ثم بحماة وبها الاشرف صاحب حمص وخسروشاه
نائبها فخرجا اليه ثم مر بحلب ووصل الى هلاكو فأقبل عليه ووعده برده الى
ملكه ثم ثار المسلمون بدمشق بالنصارى أهل الذمة وخربوا كنيسة مريم من كنائسهم
وكانت من أعظم الكنائس فى الجانب الذى فتحه خالد بن الوليد رحمه الله وكانت لهم
أخرى فى الجانب الذى فتحه أبو عبيدة بالامان ولما ولى الوليد طالبهم فى هذه الكنيسة
ليدخلها فى جامع البلد وأعلى لهم فى السوم فامتنعوا فهدمها وزادها فى الجامع لانها
كانت لصقه فلما ولى عمر بن عبد العزيز استعاضوه فعوضهم بالكنيسة التى ملكها
المسلمون بالعنوة مع خالد بن الوليد رحمه الله وقد تقدم ذكر هذه القصة فلما ثار المسلمون
الآن بالنصارى أهل الذمة خربوا كنيسة مريم هذه ولم يبقوا لها أثرا ثم ان العساكر
الاسلامية اجتمعت بمصر وساروا الى الشام لقتال التتر صحبة السلطان قطز صاحب
ومعه المنصور صاحب حماة وأخوه الافضل فسار اليه كسعا
نائب الشام ومعه الاشرف صاحب حمص والسعيد صاحب الصبيبة ابن العزيز بن
العادل والتقوا على عين جالوت بالغور فانهزم التتر وقتل أميرهم النائب كسعا وأسر

لسعيد صاحب الصبينة فقتله قطز واستولى على الشام أجمع وأقر المنصور صاحب
حماة على بلده ورجع الى مصر فهلك فى طريقه قتله بيبرس البندقدارى وجلس على
التخت مكانه وتلقب بالظاهر حسبما نذكر ذلك كله فى دولة الترك ثم جاءت عساكر
التتر الى الشام وشغل هلاكو عنهم بالفتنة مع قومه واسف على قتل كسعا نائبه وهزيمة
عساكره فأحضر الناصر ولامه على ما كان منه من تسهيله عليه أمر الشام وتجنى عليه
أنه غره بذلك فاعتذر له الناصر فلم يقبل فرماه بسهم فأنفذه ثم اتبعه بأخيه الظاهر
بالصالح بن الاشرف موسى صاحب حمص وشفعت زوجة هلاكو فى العزيز بن
الناصر وكان مع ذلك بحببه فاستبقاه وانقرض ملك بنى ايوب من الشام كما انقرض
قبلها من مصر واجتمعت مصر والشام فى مملكة الترك ولم يبق لبنى أيوب بهما ملك
الا المنصور بن المظفر صاحب حماة فان قطز أقره عليها والظاهر بيبرس من بعده وبقى
فى امارته هو وبنوه مدة من دولة الترك وطاعتهم حتى أذن الله بانقراضهم وولى عليها
غيرهم من أمرائهم كما نذكر فى أخبار دولتهم والله وارث الارض ومن عليها
والعاقبة للمتقين



الاشرف موسى بن يوسف أطسز بن المسعود
الامجد عبدالله بن المعظم توران شاه بن الصالح نجم الدين أيوب بن الكامل محمد بن العادل أبى بكر
المغيث فتح الدين عمر بن العادل أبى بكر
شادى بن الناصر داود بن المعظم عيسى
الجواد يونس بن مودود
الكامل محمد بن الظاهر غازى
الاشرف موسى
الصالح اسمعيل
الفائز ابراهيم
الافضل محمد بن المؤيد اسمعيل بن الافضل بن المظفر محمود بن المنصور محمد بن تقى الدين عمر بن شاهنشاه
المعظم توران شاه
محمد العزيز بن الناصر يوسف بن العزيز محمد بن الظاهر غازى بن صلاح الدين يوسف بن أيوب بن شادى
السعيد
الظاهر غازى
الصالح احمد
الافضل على
المنصور بن العزيز عثمان
الصالح بن الاشرف موسى بن المنصور ابراهيم بن شيركوه بن محمد بن شيركوه

الخبر عن دولة الترك القائمين بالدولة العباسية بمصر والشام من بعد بني أيوب لهذا العهد ومبادي أمورهم وتصاريف أحوالهم

قد تقدم لنا ذكر الترك وانسابهم أول الكتاب عند ذكر أمم العالم ثم في أخبار الامم السلجوقية وانهم من ولد يافث بن نوح باتفاق من أهل الخليقة فعند نسابة العرب انهم من عامور بن سويل بن يافث وعند نسابة الروم انهم من طيراش بن يافث هكذا وقع في التوراة والظاهر ان ما وقع لنسابة العرب غلط وان عامور هو مصحف كومر لان كافه تنقلب عند التعريب غينا معجمة فربما صحفت عينا مهملة أو بقيت بحالها وأما سويل فغلط بالزيادة وأما ما وقع للروم من نسبتهم الى طيراش فهو منقول في الاسرائليات وهو رأى مرجوح عندهم لمخالفته لما في التوراة وأما شعوبهم واجناسهم فكثيرة وقد عددنا منهم أول الكتاب التغرغز وهم التتر والخطا وكانوا بأرض طمغاج وهي بلاد ملوكهم في الاسلام تركستان وكاشغر وعددنا منهم أيضا الخزلجية والغز الذين كان منهم السلجوقية والهياطلة الذين منهم الخلج وبلادهم الصغد قريبا من سمرقند ويسمون بها أيضا وعددنا منهم أيضا الغور والخزر والقفجاق ويقال الخفشاخ ويمك والعلان ويقال اللان وشركس واركش وقال صاحب كتاب زجار في الكلام على الجغرافيا اجناس من الترك كلهم وراء النهر الى البحر المظلم وهي العسسية والتغرغزية والخرخيرية والكيماكية والخزلجية والخزر والخاسان وتركش واركش وخفشاخ والخلج والغزية وبلغار ويمناك وبرطاس وسنجرت وخرجان وأنكر وذكر في موضع آخر أنكر من شعوب الترك وانهم في بلاد البنادقة من أرض الروم وأما مواطنهم فانهم ملكوا الجانب الشمالي من المعمور في النصف الشرقي منه قبالة الهند والعراق في ثلاثة أقاليم هي السادس والسابع والخامس كما ملك العرب الجانب الجنوبي من المعمور أيضا في جزيرة العرب وما اليها من أطراف الشام والعراق وهم رحالة مثلهم وأهل حرب وافتراس ومعاش من التغلب والنهب الا في الاقل وقد ذكرنا انهم عند الفتح لم يذعنوا الا بعد طول حرب وممارسة أيام سائر دولة بني أمية وصدرا من دولة بني العباس وامتلأت أيدي العرب يومئذ من سبيهم فاتخذوهم خولا في المهن والصنائع ونساءهم فرشا للولادة كما فعلوه في سبي الفرس والروم وسائر الامم الذين قاتلوهم على الدين وكان شأنهم أن لا يستعينوا برقيقهم في شيء مما يعانونه من الغزو والفتوح ومحاربة الامم ومن أسلم منهم تركوه لسبيله التي هو عليها من أمر معاشه على طاغية هواه لان عصبية العرب كانت

مستفحلة يومئذ وشوكتهم قائمة من حفظة ويدهم ويد سلطانهم في الامر جميعا ومرماهم
الى العز والمجد واحد وكانوا كأسنان المشط لتزاحم الانساب وغضاضة الدين حتى اذا
ارهف الملك حده ونهج الى الاستبداد طريقه واحتاج السلطان في القيام بأمره الى
الاستظهار على المنازعين فيه من قومه بالعصبية المدافعة دونه والشوكة المعترض
شباها في اذياله حتى تجدع أنوفهم عن التطاول الى رتبته وتغض أعنتهم عن السعي
في مضماره اتخذ بنو العباس من لدن المهدي والرشيد بطانة اصطنعوهم من
موالي الترك والروم والبربر ملؤا منهم المواكب في الاعياد والمشاهد والحروب
والصوائف * على السلطان وزينة في أيام السلم واكنافا لعصابة
الملك حتى لقد اتخذ المعتصم مدينة سامرا لنزلهم تحرجا من اضرار الرعية باصطدام
مراكبهم وتراكم القتام بجوهم وضيق السكك على المارين بزحامهم وكان اسم الترك
غالبا على جميعهم فكانوا اتباعا لهم ومندرجين فيهم وكانت حروب المسلمين لذلك العهد
في القاصية وحده وصامع الترك متصلة والفتوح فيهم متعاقبة وامواج السبي من كل
وجه متداركة وربما رام الخلفاء عند استكمال بغيتهم واستجماع عصابتهم اصطفاء
علية منهم للمخالصة وقواد العساكر ورؤساء المراكب فكانوا يأخذون في تدريجهم
لذلك بمذاهب الترشيح فينتقون من أجود السبي الغلمان كالدنانير والجوار كاللآلي
ويسلمونهم الى قهارمة القصور وقرمة الدواوين يأخذونهم بحدود الاسلام
والشريعة وآداب الملك والسياسة ومراس الثقافة في المران على المناضلة بالسهام
والمسالحة بالسيوف والمطاعنة بالرماح والبصر بأمور الحرب والفروسية ومعاناة
الخيول والسلاح والوقوف على معاني السياسة حتى اذا تنازعوا في الترشيح وانسلوا
من جلدة الخشونة الى رقة الحاشية وملكة التهذيب اصطنعوا منهم للمخالصة
ورقوهم في المراتب واختاروا منهم لقيادة العساكر في الحروب ورياسة المواكب
أيام الزينة ورتق الفتوق الحادثة وسد الثغور القاصية كل على شاكلة غنائه وسابق
اصطناعه فلم يزل هذا دأب الخلفاء في اصطناعهم ودعامة سرير الملك بعمدهم وتمهيد
الخلافة بمقاماتهم حتى سموا في درج الملك وامتلأت جوانحهم من العز وطمحت
أبصارهم الى الاستبداد فتغلبوا على الدولة وحجروا الخلفاء وقعدوا بدست الملك
ومدرج النهي والامر وقادوا الدولة بزمامهم واضافوا اسم السلطان الى مراتبهم
وكان مبدأ ذلك واقعة المتوكل وما حصل بعدها من تغلب الموالي واستبدادهم بالدولة
والسلطان ونهج السلف منهم في ذلك السبيل للخلف واقتدى الآخر بالاول فكانت
لهم دول في الاسلام متعددة تعقب غالبا دولة أهل العصبية وشوكة النسب كمثل دولة

بنى سامان وراء النهر وبنى سبكتكين بعدهم وبنى طولون بمصر وبنى طغج وما كان بعد
الدولة السلجوقية من دولاتهم مثل بنى خوارزم شاه بما وراء النهر وبنى طغرلتكين
بدمشق وبنى ارتق بماردين وبنى زنكى بالموصل والشام وغير ذلك من دولهم التى
قصصناها عليك فى تصانيف الكتاب حتى اذا استغرقت الدولة فى الحضارة والترف
ولبست اثواب البلاء والعجز ورميت الدولة بكفرة التتر الذين أزالوا كرسى الخلافة
وطمسوا رونق البلاد وأدالوا بالكفر من الايمان بما أخذ أهلها عند الاستغراق
فى التنعم والتشاغل فى اللذات والاسترسال فى الترف من تكاسل الهمم والقعود عن
المناصرة والانسلاخ من جلدة البأس وشعار الرجولية فكان من لطف الله سبحانه
ان تدارك الايمان باحياء رمقه وتلافى شمل المسلمين بالديار المصرية بحفظ نظامه وحماية
سياجه بأن بعث لهم من هذه الطائفة التركية وقبائلها العزيزة المتوافرة أمراء
حامية وانصارا متوافية يجلبون من دار الحرب الى دار الاسلام فى مقادة الرق الذى
كمن اللطف فى طيه وتعرفوا العز والخير فى مغبته وتعرضوا للعناية الربانية بتلافيه
يدخلون فى الدين بعزائم ايمانية واخلاق بدوية لم يدنسها لؤم الطباع ولا خالطتها اقذار
اللذات ولا دنستها عوائد الحضارة ولا كسر من سورتها غزارة الترف ثم يخرج بهم
التجار الى مصر ارسالا كالقطا نحو الموارد فيستعرضهم أهل الملك منهم ويتنافسون
فى أثمانهم بما يخرج عن القيمة لا لقصد الاستعباد انما هو اكتاف للعصبية وتغليظ
للشوكة ونزوع الى العصبية الحامية يصطفون من كل منهم بما يؤنسونه من شيم
قومهم وعشائرهم ثم ينزلونهم فى غرف الملك ويأخذونهم بالمخالصة ومعاهدة التربية
ومدارسة القرآن وممارسة التعليم حتى يشتدوا فى ذلك ثم يعرضونهم على الرمى
والثقافة وركض الخيل فى الميادين والمطاعنة بالرماح والمماصعة بالسيوف حتى تشتد
منهم السواعد وتستحكم الملكات ويستيقنوا منهم المدافعة عنهم والاستماتة دونهم
فاذا بلغوا الى هذا الحد ضاعفوا أرزاقهم ووفروا من اقطاعهم وفرضوا عليهم استجادة
السلاح وارتباط الخيول والاستكثار من أجناسهم لمثل هذا القصد وربما عمروا بهم
خطط الملك ودرجوهم فى مراتب الدولة فيسترشح من يسترشح منهم لاقتعاد كرسى
السلطان والقيام بأمور المسلمين عناية من الله تعالى سابقة ولطائف فى خلقه سارية
فلا يزال نشء منهم يردف نشأ وجيل يعقب جيلا والاسلام يبتهج بما يحصل به من
الغناء والدولة ترف أغصانها من نضرة الشباب وكان صلاح الدين يوسف بن أيوب ملك
مصر والشام وأخوه العادل أبو بكر من بعده ثم بنوهم من بعدهم قد تناغوا فى
ذلك بما فوق الغاية واختص الصالح نجم الدين أيوب آخر ملوكهم بالمبالغة فى ذلك

والامعان فيه فكان عامة عسكره منهم فلما انفض عشيره وخذله أنصاره وقعد عنه أولياؤه وجنوده لم يدع سببا فى استجلابهم الا اتاه من استجادة المترددين الى ناحيتهم ومراضاة التجار فى أثمانهم بأضعاف ثمنهم وكان رقيقهم قد بلغ الغاية من الكثرة لما كان التتر قد دوخوا الجانب الغربى من ناحية الشمال وأوقعوا بسكانه من الترك وهم شعوب القفجاق والروس والعلان والمولات وما جاورهم من قبائل جركس وكان ملك التتر بالشمال يومئذ دوشى خان بن جنكزخان قد أصابهم بالقتل والسبي فامتلأت أيدى أهل تلك النواحى برقيقهم وصاروا عند التجار من أنفس بضائعهم والله تعالى أعلم (ذكر بيبرس البندقدارى) فى تاريخه حكاية غريبة عن سبب دخول التتر لبلادهم بعد ان عد شعوبهم فقال ومن قبائلهم يعنى القفجاق قبيلة طغصبا وستاوبرج اغلاوالبولى وقنغراعلى وأوغلى ودورت وقلابا اعلى وجرثان وقد كابركلى وكنز هذه احدى عشرة قبيلة وليس فيها ذكر الشعوب العشرة القديمة الذكر التى عددها النسابة كما قدمناه أول الترجمة وهذه والله أعلم بطون متفرعة من القفجاق فقط وهى التى فى ناحية الغرب من بلادهم الشمالية فان سياق كلامه انما هو فى الترك الجالوبين من تلك الناحية لا من ناحية خوارزم ولا ما وراء النهر قال بيبرس ولما استولى التتر على بلادهم سنة ست وعشرين والملك يومئذ بكرسى جنكزخان لولده دوشى خان واتفق ان شخصا من قبيلة دورت يسمى منقوش بن كتمر خرج متصيدا فلقيه آخر من قبيلة طغصبا اسمه آقاكبك وبين القبيلتين عداوة مستحكمة فقتله وأبطأ خبره عن أهله فبعثوا طليعة لاستكشاف أمره اسمه جلنقر فرجع اليهم وأخبرهم وأنه قتل وسمى لهم قاتله فجمعوا للحرب وتزاحفت القبيلتان فانهزمت قبيلة طغصبا وخرج اقاكبك القاتل وتفرق جمعه فارسل أخاه اقصر الى ملكهم دوشى يستعلم ما على ذوى قبيلة دورت القفجاقية وذكر ما فعل كتمر وقومه بأخيه وأغراه بهم وسهل له الشان فيهم وبعث دوشى خان جاسوسه لاستكشاف حالهم واختبار مراسهم وشكيمتهم فعاد اليه بتسهيل المرام فيهم وقال ان رأيت كلابا مكبين على فريستهم متى طردتهم عنها تمكنت منها فاطمعه ذلك فى بلاد القفجاق واستحثه أقصر الذى جاء صريخا وقال له ما معناه نحن ألف رأس تجر ذنبا واحدا وأنتم رأس واحد تجر ألف ذنب فزاده ذلك اغراء ونهض بجموع التتر فأوقع بالقفجاق وأثخن فيهم قتلا وسبيا وأسرا وفرقهم فى البقاع وامتلأت أيدى التجار وجلبوهم الى مصر فعوضه الله بالدخول فى الايمان والاستيلاء

على الملك والسلطان انتهى كلام بيبرس وسياق القصة يدل على أن قبيلة دورت من القفجاق وأن قبيلة طفصبا من التتر فيقتضي ذلك أن هذه البطون التي عددت ليست من بطن واحد وكذلك يدل سياقها على أن أكثر هؤلاء الترك الذين بديار مصر من القفجاق والله تعالى أعلم

{ الخبر عن استبداد الترك بمصر وانفرادهم بها } { عن بني أيوب ودولة المعز ايبك أول ملوكهم }

قد تقدم لنا أن الملك الصالح نجم الدين أيوب بن الكامل بن العادل قد استكثر من المماليك الترك ومن في معناهم من التركمان والارمن والروم وجركس وغيرهم الا أن اسم الترك غالب على جميعهم لكثرتهم ومزيتهم وكانوا طوائف متميزين بسمات من ينسبون اليه من نسب أو سلطان فمنهم العزيزية نسبة الى العزيز عثمان بن صلاح الدين ومنهم الصالحية نسبة الى هذا الصالح أيوب ومنهم البحرية نسبة الى القلعة التي بناها الصالح بين شعبتي النيل ازاء المقياس بما كانوا حاميتها وكان هؤلاء البحرية شوكة دولته وعصابة سلطانه وخواص داره وكان من كبرائهم عز الدين ايبك الجاشنكير التركماني ورديفه فارس الدين اقطاي الجامدار وركن الدين بيبرس البندقداري ولما كان ماقدمناه ووفاة الصالح بالمنصورة في محاصرة الافرنج بدمياط في سنة سبع وأربعين وكتمانهم موته ورجوعهم في تدبير أمورهم الى شجر الدر زوجة الصالح وأم ولده خليل وبعثهم الى ابنه المعظم توران شاه وانتظاره وان الافرنج شعروا بموت الصالح فدلفوا الى معسكر المسلمين على حين غفلة فانكشف أوائل العسكر وقتل فخر الدين الاتابك ثم أفرغ الله الصبر وثبت اقدامهم وأبلى أمراء الترك في ذلك اليوم بلاء حسنا ووقفوا مع شجر الدر زوج السلطان تحت الرايات ينوهون بمكانها فكانت لهم الكرة وهزم الله العدو ثم وصل المعظم توران شاه من كيفا فبايعوا له وأعطوه الصفقة وانتظم الحال واستطال المسلمون على الافرنج برا وبحرا فكان ماقدمناه من هزيمتهم والفتك بهم وأسر ملكهم افرنسيس ثم رحل المعظم اثر هذا الفتح الى مصر لشهرين من وصوله ونزل بفارس كور بدمصر وكانت بطانته قد استطالوا على موالي أبيه وتقسموهم بين النكبة والاهمال فاتفق كبراء البحرية على قتله وهم ايبك واقطاي وبيبرس فقتلوه كما مر ونصبوا للملك شجر الدر ام خليل وخطب لها على المنابر ونقش اسمها على السكة ووضعت علامتها على المراسم ونصها أم خليل وقام ايبك التركماني باتابكية العسكر ثم فودي افرنسيس بالنزول عن دمياط وملكها المسلمون سنة ثمان وأربعين وسرحوه في البحر الى بلاده بعد ان توثقوا منه باليمين أن لا يتعرض لبلاد المسلمين ما بقي.

واستقلت الدولة بمصر للترك وانقرضت منها دولة بنى أيوب وبلغ الخبر الى بنى أيوب بقتل المعظم وولاية المرأة وما اكتنف ذلك فامتعضوا له وكان فتح الدين عمر بن العادل قد حبسه عمه الصالح أيوب بالكرك لنظر بدر الصوابى خادمه الذى ولاه على الكرك والشوبك المالكهما كامرّ فاطلق بدر الدين من محبسه وبايع له وقام بأمره ولقبه المغيث واتصل الخبر بمصر وعلوا أن الناس قد نقموا عليهم ولاية المرأة فاتفقوا على ولاية زعيمهم ايبك لتقدمه عند الصالح وأخيه العادل قبله فبايعوه له وخلعوا أمّ خليل ولقبوه بالمعز فقام بالامر وانفرد بملك مصر وولى مولاه سيف الدين قطز نائبا وعمر المراتب والوظائف بأمراء الترك والله تعالى ينصر من يشاء من عباده

﴿نهوض الناصر صاحب دمشق من بنى أيوب الى مصر وولاية الاشرف موسى مكان أيبك﴾

كان الملك الصالح أيوب قبل موته قد استخلف جمال الدين بن يغمور على دمشق مكان ابن مطروح وامراء الدولة الايوبية بها متوافرون فلما بلغهم استبداد الترك بمصر وولاية ايبك وبيعة المغيث بالكرك أمعنوا النظر فى تلافى أمورهم وكبراء بنى أيوب يومئذ بالشام الناصر يوسف بن العزيز محمد بن الظاهر غازى بن صلاح الدين صاحب حلب وحمص وما اليها فاستدعوه وبايعوا له بدمشق وأغروه بطلب مصر واتصل الخبر للترك فى مصر فعمدوا على أن ينصبوا بعض بنى أيوب فيكفوا به ألسنة النكير عنهم فبايعوا الموسى الذى كان أبوه يوسف صاحب اليمن وهو يوسف اطسز بن المسعود بن الكامل وهو يومئذ ابن ست سنين ولقبوه الاشرف وتزحزح له ايبك عن كرسى السلطان الى رتبة الاتابكية واستمرّ الناصر على عزمه فى النهوض الى مصر واستدعى ملوك الشام من بنى أيوب فأقبل اليه موسى الاشرف الذى كان صاحب حمص واسمعيل الصالح بن العادل صاحب بعلبك والمعظم توران شاه بن صلاح الدين وأخوه نصر الدين وابنا داود الناصر صاحب الكرك وهما الامجد حسن والظاهر شادى وارتحل من دمشق سنة ثمان وأربعين وفى مقدمته اتابكه لؤلؤ الارمنى وبلغ الخبر الى مصر فاضطرب الامر ونادوا بشعار الخلافة والدعاء للمستعصم وجددوا البيعة على ذلك للاشرف وجهزوا العساكر وخرجوا للقائهم وسار فى المقدمة اقطاى الجامدار وجمهور البحرية وتبعهم ايبك ساقة فى العساكر والتقى الجمعان بالعباسية فانكشف عسكر مصر أولا وتبعهم أهل الشام وثبت المعز فى القلب ودارت عليه رحى الحرب وهرب اليه جماعة من عسكر الناصر فيهم أمراء العزيزية مثل جمال الدين لايدعون وشمس الدين أقسنقر البرلى وشمس الدين أقسنقر الحسامى عضبوا من رياسة لؤلؤ عليهم

ثم حمل المعز على الناصر وأصحابه فانهزموا فهربوا وبقي لؤلؤ في نفر من عسكرهم وحمل لؤلؤ الاتابكي أسيرا فقتله صبرا وبأمراء بني أيوب نفسهم ورجع ايبك من الوقعة فوجد عساكر الناصر متشعبين بالعباسة يظنون الغلب لهم فعدل الى بلبيس ثم الى القلعة ورجعت عساكر الشام من اتباع المنهزمين لما شعروا بهزيمة صاحبهم فلحقوا بالناصر بدمشق ودخل ايبك الى القاهرة وحبس بني أيوب بالقلعة ثم قتل منهم اسمعيل الصالح ووزيره ابن يغمور الذي كان معتقلا من قبل ولما وصل الناصر الى دمشق ازاح علل عساكره وبعث الكرة الى مصر ونزل غزة سنة خمسين وبرزت عساكر مصر للقائه فتوافقوا مليا ثم وصل نجم الدين البادرائي رسول المستعصم فاصلح بين الطائفتين على أن يكون القدس والساحل الى نابلس للمعز والتخم بين المملكتين نهر الاردن وانعقد الامر على ذلك ورجع كل الى بلده وأخرج المعز من أمراء بني أيوب الذين حبسهم يوم الوقعة والله سبحانه وتعالى أعلم

(واقعة العرب بالصعيد مع اقطاى)

لما شغل الصالح بالافرنج ومابعدهم عظم فساد العرب بالصعيد واجتمعوا على الشريف حصن الدين أبي ثعلب بن نجم الدين عمر بن فخر الدين اسمعيل بن حصن الدين ثعلب الجعفري من ولد جعفر بن أبي طالب الذين أجازوا من الحجاز لما غلبهم بنو عمهم بنو الحسن المدينة في الحروب التي كانت بينهم وأطاعه أعراب الصعيد كافة ولم يقدر على كفهم عن الراية واتصل ذلك وهلك الصالح واستبد الترك بمصر وشغلوا عنهم بما كان من مطالبة بني أيوب لهم فلما فرغ المعز ايبك من أمر الناصر وعقد الصلح معه بعث لحربهم فارس الدين اقطاى وعز الدين ايبك الافرم أمير البحرية فساروا اليهم ولقوهم بنواحي اخميم فهزموهم وفر الشريف ناجيا بنفسه ثم قبض عليه بعد ذلك وقتل ورجعت العساكر الى القاهرة والله تعالى أعلم

(مقتل اقطاى الجامدار وفرار البحرية الى الناصر ورجوع ايبك الى كرسيه)

كان اقطاى الجامدار من أمراء البحرية وعظمائهم ويلقب فارس الدين وكان رديفا للمعز ايبك في سلطانه واتابكه وكان يغض من عنانه عن الطموح الى الكرسي وكان يعتضد من جناحه للبحرية يتألفهم بذلك فيميلون له عن ايبك فاعتز في الدولة واستفحل أمره وأخذ من المعز الاسكندرية اقطاعا وتصرف في بيت المال وبعث فخر الدين محمد بن الناصر ... الدين بن حياء الى المظفر صاحب حماة في خطبة ابنته فتزوجها وأطلق يده في العطاء والاقطاع فعم الناس وكثر تابعه وغص به المعز ايبك واجمع

قتله فاستدعاه بعض الايام للقصر للشورى سنة اثنتين وخمسين وقد اكمن له ثلاثة من مواليه فى جماعة الاجدة وهم قطز وبهادر وسنجر فوثبوا عليه عند مروره بهم وبادروه بالسيوف وقتلوه ملحينة واتصلت الهيعة بالبحرية فركبوا وطافوا بالقلعة فرمى اليهم برأسه فانفضوا واسترابأمراؤهم فاجتمع ركن الدين بيبرس البندقدارى وسيف الدين قلاون الصالحى وسيف الدين سنقر الاشقر وبدر الدين بيسر الشمسى وسيف الدين بلبان الرشيدى وسيف الدين تنكر واخوه سيف الدين موافق ولحقوا بالشام فمن انضم اليهم من البحرية واختفى من تخلف منهم واستصفيت أموالهم وذخائرهم وارتجع ما أخذه اقطاى من بيت المال ورد ثغر الاسكندرية الى أعمال السلطان وانفرد المعز ايبك بتدبير الدولة وخلع موسى الاشرف وقطع خطبته وخطب لنفسه وتزوج شجر الدر زوجة الصالح التى كانوا ملكوها من قبل واستخلص علاء الدين ايدغدى العزيزى وجماعة العزيزية وأقطعه دمياط ولما وصل البحرية وأمراؤهم الى غزة كاتبوا الناصر يستأذنونه فى القدوم وساروا اليه فاحتفل فى مبرتهم وأغروه بملك مصر فاجابهم وجهز العساكر وكتب المعز فيهم الى الناصر وطلبوا منه القدس والبلاد الساحلية فاقطعها لهم ثم سار الناصر الى الغور وبرز الى القاهرة فى العزيزية ومن اليهم ونزل العباسية وتواقف الفريقان مدة ثم اصطلحوا ورجع كل الى بلده سنة أربع وخمسين وبعث ايبك رسوله الى المستعصم بطاعته وطلب الالوية والتقليد ولما رجع الى مصر قبض على علاء الدين ايدغدى لاسترابته به وأعاد دمياط الى أعمال السلطان واتصلت أحواله الى أن هلك فى الدولة والله تعالى أعلم

(فرار الافرم الى الناصر بدمشق)

كان عز الدين ايبك الافرم الصالحى والياعلى قوص واخيم وأعمالها فقوى أمره وهم بالاستبداد وأراد المعز عزله فامتنع عليه فبعث بعض الخوارزمية مدداله ودس اليهم الفتك به فلما وصلوا اليه استخدمهم وخالطهم بنفسه فاغتالوه وقبضوا عليه وتراموا اليه للعين فبطشوا بهم وقتلوهم وخلعوه ثم عزله بعد ذلك الدين الصيرى فى خدمته ولما استدعاه الى مصر فأقام عنده ثم بعثه مع اقطاى الى الصعيد وحضر ومعه الشريف أبو ثعلب والعرب كامر وعاد اقطاى الى مكانه من الدولة وأوعز المعز ايبك الى الافرم بالمقام لتمهيد بلاد الصعيد وأن يكون الصيرى فى خدمته وبلغه وهو هنالك أن المعز عدا على اقطاى وقتله وان أصحابه البحرية فروا الى الشام فاستوحش وأظهر العصيان واستدعى الشريف أبا ثعلب وتظاهر معه على الفساد وجمعوا الاعراب من كل ناحية ثم بعث المعز سنة ثلاث وخمسين شمس الدين

البرلى فى العساكر فهزمهم واعتقل الشريف فلم يزل فى محبسه الى أن قتله الظاهر ونجا الافرم فى فل من مواليه الى الواحات ثم اعتزم على قصد الشام فرجع الى الصعيد مع جماعة من اعراب جذام مرّوا به على السويس والطور ورجع عنه مواليه الى مصر ولما انتهى الى غزة توقع به الناصر فأذنه بالقدوم عليه بدمشق وركب يوم وصوله فتلقاه بالكسوة وأعطاه خمسة آلاف دينار ولم يزل عنده بدمشق الى أن هرب البحرية من الكرك الى مصر كما نذكر فخشى أن يأخذه الناصر وكاتب الاتابك قطز بمصر وسار اليه فقبله أولا ثم قبض عليه بعد ذلك واعتقله بالاسكندرية وكان الصيمرى قد بقى بعد الافرم فى ولاية الصعيد واستفحل فيه فسوّلت له نفسه الاستبداد ولم يتم له فهرب الى الناصر سنة أربع وخمسين انتهى والله تعالى أعلم

(مقتل المعز ايبك وولاية ابنه على المنصور)

كان المعز ايبك عندما استفحل أمره ومهد سلطانه ودفع الاعداء عن حوزته طمحت نفسه الى مظاهرة المنصور صاحب حماة ولؤلؤ صاحب الموصل ليصل يده بهما وأرسل اليهما فى الخطبة وأثار ذلك غيرة من زوجته شجر الدر وأغرت به جماعة من الخصيان منهم محسن الجزرى ونصر العزيزى ويقال سنجر الخادمان فبيتوه فى الحمام بقصره وقتلوه سنة خمس وخمسين لثلاث سنين من ولايته وسمع مواليه الناعية من جوف الليل فجاؤا مع سيف الدين قطز وسنجر الغتمى وبهادر ودخلوا القصر وقبضوا على الجوجرى فقتلوه وفرّ سنجر العزيزى الى الشأم وهموا بقتل شجر الدر وقام الموالى الصالحية دونها فاعتقلوها ونصبوا الملك على بن المعز ايبك ولقبوه المنصور وكان أتابكه علم الدين سنجر الحلبى واشتمل موالى المعز على ابنه المنصور فنكبوا علم الدين سنجر واعتقلوه وولوا مكانه اقطاى المعزى الصالحى مولى العزيز على الدولة فى نقضها وابرامها سنة ست وخمسين وأغرته أم المنصور بالصاحب شرف الدين الفائزى لان المعز كان يستودعه سراياه عنده فاستصفاه وقتله وفى هذه السنة توفى زهير بن على المهلى وكان يكتب عن الصالح ويلازمه فى سجنه بالكرك ثم صحبه الى مصر والله تعالى أعلم

(نهوض البحرية بالمغيث صاحب الكرك وانهزامهم)

قد ذكرنا فرار البحرية الى الناصر ونهوضهم به الى مصر وخروج ايبك الى العباسة وما كان بينهما من الصلح فلما انعقد الصلح ورجع الناصر الى دمشق ورجعوا عنه الى قلعة ولم يرضوا الصلح فاسترابهم الناصر وصرفهم عنه فلحقوا بغزة ونابلس وبعثوا الى المغيث صاحب الكرك بطاعتهم فأرسل الناصر عساكره للايقاع

بهم فهزموهم فسار اليهم بنفسه فهزموه الى البلقاء ولحقوا بالكرك وأطمعوا المغيث في مصر واستدرجوها فأمدهم بعسكره وقصدوا مصر وكبراؤهم بيبرس البندقدارى وقلاوون الصالحي وبلبان الرشيدى وبرز الامير سيف الدين قطز بعساكر مصر الى الصالحية فهزمهم وقتل بلغار الاشرفي وأسر قلاوون الصالحي وبلبان الرشيدى وأطلق قلاوون بعد أيام في كفالة أستاذ الدار فاختفى ثم لحق بأصحابه واستحثوا المغيث الى مصر فنهض في عساكره سنة ست وخمسين ونزل الصالحية وقدم اليه عز الدين الرومي والكافورى والهواشرمن كان يكاتبه من أمراء مصر وبرز سيف الدين قطز في عساكر مصر والتقى الجمعان فانهزم المغيث ولحق في القل بالكرك وفرت البحرية الى الغور فوجدوا هنالك احياء من الاكراد فروا من جبال شهرزور أمام التتر فاجتمعوا بهم والتحموا بالصهر معهم وخشى الناصر غائلة اجتماعهم فجهز العساكر من دمشق اليهم والتقوا بالغور فانهزمت عساكره فجهز ثانيا بنفسه وسار اليهم فقاموا عن لقائه وافترقوا فلحق الاكراد بمصر واعترضهم التركمان في طريقهم بالعريش فأوقعوا بهم وخلصوا الى مصر ولحق البحرية بالكرك مع عسكر المغيث ووعدهم بالنصر وأرسل اليه من دمشق في اسلامهم اليه وتوعده أنفسهم واضطربوا فافترق بيبرس وقلاوون الى الصحراء وأقاموا بها ثم لحقوا بمصر وأكرمهم الاتابك قطز وأقطعهم وأقاموا عنده ولما افترق بيبرس وقلاوون من المغيث قبض على بقية أمراء البحرية سنقر الاشقر وسكر وبرابق وبعث بهم الى الناصر فحبسهم بقلعة حلب الى أن استولى التتر عليها وبقلهم هلاكو الى بلاده والله سبحانه وتعالى أعلم

(خلع المنصور على بن ايبك واستبداد قطز بالملك)

ثم كان ما ذكرناه ونذكره من زحف هلاكو الى بغداد واستيلائه عليها وما بعدها الى الفرات وفتحه ميافارقين واربل وسير لؤلؤ صاحب الموصل اليه ودخوله في طاعته ووفادة ابن الناصر صاحب دمشق اليه رسولا عن أبيه بالهدايا والتحف على سبيل المصانعة والعذر عن الوصول بنفسه خوفا على سواحل الشأم من الافرنج فارتاب الامراء بشأنهم واستصغروا سلطانهم المنصور على بن المعز ايبك عن مدافعة هذا العدو لعدم ممارسته الحروب وقلة دربته بالوقائع واتفقوا على البيعة لسيف الدين قطز المعزى وكان معروفا بالصرامة والاقدام فبايعوه وأجلسوه على الكرسى سنة ست وخمسين ولقبوه المظفر وخلعوا المنصور لسنتين من ولايته وحبسوه وأخوه بعده ساط ثم غربهما الظاهر بعد ذلك الى القسطنطينية وكان المتولون لذلك الصالحية والعزيزية

ومن يرجع الى قطز من المعزية وكان بهادر وسنجر الغتمى غائبين فلما قدما استراب بهما قطز وخشى من نكيرهما ومزاحمتهما فقبض عليهما وحبسهما وأخذ فى تمهيد الدولة فاستوثقت له وكان قطز من أولاد الملوك الخوارزمية يقال انه ابن أخت خوارزم شاه واسمه محمود بن مودود اسره التتر عند الحادثة عليهم وبيع واشتراه ابن الزعيم حكاه النووى عن جماعة من المؤرخين والله تعالى ينصر من يشاء من عباده

{ استيلاء التتر على الشأم وانقراض أمر بنى أيوب ثم مسير قطز بالعساكر }
{ وارتجاعه الشأم من أيدى التتر وهزيمتهم وحصول الشأم فى ملك الترك }

ثم عبر هلاكو الفرات سنة ثمان وخمسين وفرّ الناصر وأخوه الظاهر الى التيه ولحق بمصر المنصور صاحب حماة وجماعة البحرية الذين كانوا بأحياء العرب فى القفر وملك هلاكو بلاد الشأم واحدة واحدة وهدم أسوارها وولى عليها وأطلق المعتقلين من البحرية بحلب مثل سنقر الاشقر وسكر وبرابق واستخدمهم ثم قفل الى العراق لاختلاف بين اخوته واستخلف على الشأم كتبغا من أكبر أمرائه فى اثنى عشر ألفا من العساكر وتقدم اليه بطاعة الاشرف ابراهيم بن شيركوه صاحب حمص بعد ان ولاه على مدينة دمشق وسائر مدن الشأم واحتمل معه الناصر وابنه العزيز بعد ان استشاره فى تجهيز العساكر بالشأم لمدافعة أهل مصر عنها فهوّن عليه الامر وقللهم فى عينه فجهز كتبغا ومن معه ولما فصل سار كتبغا الى قلعة دمشق وهى ممتنعة بعد فحاصرها وافتتحها عنوة وقتل نائبها بدر الدين بن بدلك وخيم بمرج دمشق وجاءه من ملوك الافرنج بالساحل ووفد عليه الظاهر أخو الناصر صاحب صرخد فرده الى عمله وأوفد عليه المغيث صاحب الكرك ابنه العزيز بطاعته فقبله ورده الى أبيه واجتمعت عساكر مصر واحتشد المظفر العرب والتركمان وبعث اليهم بالعطايا وأزاح العلل وبعث كتبغا الى المظفر قطز بأن يقيم طاعة هلاكو بمصر فضرب أعناق الرسل ونهض الى الشأم مصمما للقاء العدو ومعه المنصور صاحب حماة وأخوه الافضل وزحف كتبغا وعساكر التتر ومعه الاشرف صاحب حمص والسعيد صاحب الصبيبة ابن العزيز بن العادل وبعث اليهما قطز يستميلهما فوعده الاشرف بالانهزام يوم اللقاء وأساء العزيز الرد على رسوله وأوقع به والتقى الفريقان بالغور على عين جالوت وتحيز الاشرف عندما تناشبوا فانهزم التتر وقتل أميرهم كتبغا فى المعركة وجىء بالسعيد صاحب الصبيبة أسيرا فوبخه ثم قتله وجىء بالعزيز بن المغيث وأسر يومئذ الذى ملك مصر بعد ذلك ولحق العادل بيبرس المنهزمين فى عسكر من الترك فأثخن فيهم وانتهى الى حمص فلقى مددا من التتر جاء لكتبغا فاستأصلهم ورجع اليه الاشرف صاحب حمص من عسكر التتر فأقره

على بلده وبعث المنصور على بلده حماة وأقره عليها ورد اليه المعرة وانتزع منه سلمية فأقطعها الامير العرب مهنا بن مانع بن جديلة وسار الى دمشق فهرب من كان بها من التتر وقتل من وجد بها من بقاياهم ورتب العساكر في البلاد وولى على دمشق علم الدين سنجر الحلبي الصالحي وهو الذي كان أتابك على بن ايبك ونجم الدين أبا الهيجاء ابن خشترين الكردي وولى على حلب السعيد ويقال المظفر علاء الدين بن لؤلؤ صاحب الموصل وكان وصل الى الناصر بمصر هاربا أمام التتر وسار معه فلما دخل الناصر منها لحق هو بمصر وأحسن اليه قطز ثم ولاه الناصر على حلب الآن ليتوصل الى أخبار التتر من أخيه الصالح بالموصل وولى على نابلس وغزة والسواحل شمس الدين دانشير البرلي من أمراء العزيز محمد وهو أبو الناصر وكان هرب منه عندهم وضه الى مصر في جماعة من العزيزية ولحق باتابك ثم ارتاب بهم وقبض على بعضهم ورجع البرلي في الباقين الى الناصر فاعتقله بقلعة حلب حتى سار الى التتر فلما دخل اليهاسار البرلي مع العساكر الى مصر فأكرمه المظفر وولاه الآن على السواحل وغزة وأقام المظفر بدمشق عشرين ليلة وأقبل الى مصر ولما بلغ الى هلاكو ما وقع بقومه في الشأم واستيلاء الترك عليه اتهم صاحب دمشق بأنه خدعه في اشارته وقتله كما مر وانقرض ملك بني أيوب من الشأم أجمع وصار للملوك مصر من الترك والله يرث الارض ومن عليها وهو خير الوارثين

(مقتل المظفر وولاية الظاهر بيبرس)

كان البحرية من حين مقتل أميرهم اقطاي الجامدار يحسبون لاخذ ثاره وكان قطز هو الذي تولى قتله فكان مستريبا بهم ولما سار الى التتر ذهل كل منهم عن شأنه وجاء البحرية من القفر هاربين من المغيث صاحب الكرك فوثقوا الا نفسهم من السلطان قطز أحوج ما كان الى أمثالهم من المدافعة عن الاسلام وأهله أمنهم واشتمل عليهم وشهدوا معه واقعة التتر على عين جالوت وأبلغوا فيها والمقدمون فيهم يومئذ بيبرس البندقداري وأنز الاصبهاني وبلبان الرشيدي وبكتوت الجوكنداري وبيدغار التركي فلما انهزم التتر من الشأم واستولوا عليه وحسر ذلك المد وأفرج عن الخائفين الروع عاد هؤلاء البحرية الى ديدنهم من الترصد لثار اقطاي فلما قفل قطز من دمشق سنة ثمان وخمسين أجمعوا أن يبرزوا به في طريقهم فلما قارب مصر ذهب في بعض أيامه يتصيد وسارت الرواحل على الطريق فاتبعوه وتقدم اليه أنز شفيعا في بعض أصحابه فشفعه فأهوى يقبل يده فأمسكها وعلاه بيبرس بالسيف فخر صريعا لليدين والفم ورشقه الآخرون بالسهام فقتلوه وتبادروا الى المخيم وقام دون فارس الدين اقطاي على

ابن المعز ايبك وسأل من تولى قتله منكم فقالوا بيبرس فبايع له واتبعه أهل العسكر ولقبوه الظاهر وبعثوا ايدمر الحلي بالخبر الى القلعة بمصر فأخذ له البيعة على من هنالك ووصل الظاهر منتصف ذى القعدة من السنة فجلس على كرسيه واستخلف الناس على طبقاتهم وكتب الى الاقطار بذلك ورتب الوظائف وولى الامراء وولى تاج الدين عبد الوهاب ابن بنت الاعز الوزارة مع القضاء واقتدى بآثار أستاذه الصالح نجم الدين ومبدأ أمر هذا الظاهر بيبرس انه كان من موالى علاء الدين ايدكين البندقدارى مولى الصالح فسخط عليه واعتقله وانتزع ماله ومواليه وكان منهم بيبرس فصيره مع الجامدارية ومازال يترقى فى المراتب الى أن تقدم فى الحروب ورياسة المراكب ثم كان خبره بعد الصالح ما قصصناه انتهى والله سبحانه وتعالى أعلم

(انتقاض سنجر الحلي بدمشق ثم أقوش البرلى بحلب)

ولما بلغ علم الدين سنجر بدمشق مقتل قطز وولاية الظاهر بيبرس انتقض ودعا لنفسه وجلس على التخت بدمشق وتلقب المجاهد وخطب لنفسه وضرب السكة باسمه وتمسك المنصور صاحب حماة بدعوة الظاهر وجاءت عساكر التتر الى الشأم فلما شارفوا البيرة جرد اليهم السعيد بن لؤلؤ من حلب عسكرا فهزمهم التتر وقتلوهم واتهم الامراء العزيزية والناصرية ابن لؤلؤ فى ذلك فاعتقلوه وقدموا عليهم حسام الدين الجوكندارى وأقره الظاهر وزحف التتر الى حلب فملكوها وهرب حسام الدين الى حماة ثم زحف اليها التتر فلحق صاحبها المنصور وأخوه على الافضل الى حمص وبها الاشرف ابن شيركوه واجتمعت اليه العزيزية والناصرية وقصدوا التتر سنة تسع وخمسين فهزموهم بعد هزيمتهم ونازلوا حماة وسار المنصور والاشرف صاحب حمص الى سنجر الحلي بدمشق ولم يدخلا فى طاعته لضعفه وسار التتر من حماة الى   فحاصروها يوما وعبروا الفرات الى بلادهم وبعث بيبرس الظاهر صاحب مصر أستاذه علاء الدين البندقدارى فى العساكر لقتال سنجر الحلي بدمشق وقاتلهم فهزموه ولجأ الى القلعة ثم خرج منها ليلا الى بعلبك واتبعوه فقبضوا عليه وبعثوه الى الظاهر فاعتقله واستقر ايدكين بدمشق ورجع صاحب حمص وحماة الى بلديهما وبعث الظاهر الى ايدكين بالقبض على بهاء الدين بقرى وشمس الدين أقوش البرلى وغيرهما من العزيزية فقبض على بقرى وفر العزيزية والناصرية مع أقوش البرلى وطالبوا صاحب حمص وصاحب حماة فى الانتقاض فلم يجيباهم الى ذلك فقال لفخر الدين الطلب لى الظاهر المقدم معك فى خدمتك وبينما هو يسير لذلك خالفه البرلى الى حلب وثار بها وجمع العرب والتركمان ونصب للعرب فجاءت العساكر من مصر فقاتلوه

وغلبوه عليها ولحق بالبيرة فملكها واستقر بها حتى اذا جهز الظاهر عساكره سنة ستين الى حلب مع سنقر الرومى سار معه صاحب حماة وصاحب حمص للاغارة على انطاكية واقيهم البرلى وأعطاهم طاعته وأقره الظاهر على البيرة ثم ارتاب به بعد ذلك واعتقله ثم علاء الدين ايدكين البندقدارى مولى السلطان بدمشق وولى عليها بيبرس الوزير ورجع والله ينصر من يشاء من عباده انتهى

﴿البيعة للخليفة بمصر ثم مقتله بالحديثة وغانة على يد التتر﴾
﴿والبيعة للآخر الذى استقرت الخلافة فى عقبه بمصر﴾

لما قتل الخليفة عبد الله المستعصم ببغداد بقى رسم الخلافة الاسلامية عطلا باقطار الارض والظاهر متشوف الى تجديده وعمارة دسته ووصل الى مصر سنة تسع وخمسين عم المستعصم وهو أبو العباس أحمد بن الظاهر كان بقصورهم ببغداد وخلص يوم البيعة وأقام يتردد فى الاحياء الى أن لحق بمصر فسر الظاهر بقدومه وركب للقائه ودعا الناس على طبقاتهم الى أبواب السلطان بالقلعة وأفرد بالمجلس أدبا معه وحضر القاضى تاج الدين ابن بنت الاعز فحكم باتصال نسبه بالشجرة الكريمة بشهادة العرب الواصلين به والخدم الناجين من قصورهم ثم بايع له الظاهر والناس على طبقاتهم وكتب الى النواحى بأخذ البيعة له والخطبة على المنابر ونقش اسمه فى السكة ولقب المستنصر وأشهد هو حينئذ الملأ بتفويض الامر للظاهر والخروج له عن العهد وكتب بذلك سجله وأنشأه فخر الدين بن لقمان كاتب الترسيل ثم ركب السلطان والناس كافة الى خيمة بنيت خارج المدينة فقرئ التقليد على الناس وخلع على أهل المراتب والخواص ونادى السلطان بمظاهرته واعادته الى دار خلافته ثم خطب هذا الخليفة يوم الجمعة وخشع فى منبره فأبكى الناس وصلى وانصرفوا الى منازلهم ووصل على أثره الصالح اسمعيل بن لؤلؤ صاحب الموصل وأخوه اسحق صاحب الجزيرة وقد كان أبوهما لؤلؤ استخدم لهلاكو كما مر وأقره على الموصل وما اليها وتوفى فى سنة سبع وخمسين وقد ولى ابنه اسمعيل على الموصل وابنه اسمعيل المجاهد على جزيرة ابن عمر وابنه السعيد على سنجار وأقرهم هلاكو على أعمالهم ولحق السعيد بالناصر صاحب دمشق وسار معه الى مصر وصار مع قطز وولاه حلب كما مر ثم اعتقل ثم ارتاب هلاكو بالاخوين فأجفلا ولحقا بمصر وبالغ الظاهر فى اكرامهم وسألوه فى اطلاق أخيهم المعتقل فأطلقه وكتب لهم بالولاية على أعمالهم وأعطاهم الالوية وشرع فى تجهيز الخليفة الى كرسيه ببغداد فاستخدم له العساكر وأقام له الفساطيط والخيام ورتب له الوظائف وأزاح علل الجميع يقال أنفق فى تلك النوبة نحوا من ألف ألف دينار ثم سار من مصر فى شوال من

السنة الى دمشق ليبعث من هنالك الخليفة وابنى لؤلؤ الى ممالكهم ووصل الى دمشق
ونزل بالقلعة وبعث بايبان الرشيدى وشمس الدين سنقر الى الفرات وصمم الخليفة
لقصده وفارقهم وسار الصالح اسمعيل وأخواه الى الموصل وبلغ الخبر الى هلاكو فجرد
العساكر الى الخليفة وكبسوه بغانة والحديثة فصابرهم قليلا ثم استشهد وبعث
العساكر الى الموصل فحاصروها تسعة أشهر حتى جهدهم الحصار واستلموا فملكها
التتر وقتلوا الصالح اسمعيل والظاهر خلال ذلك مقيم بدمشق وقد وفد عليه بنو أيوب
من نواحى الشأم وأعطوه طاعتهم المنصور صاحب حماة والاشرف صاحب حمص فأكرم
وصلهما وولاهما على أعمالهما وأذن لهما فى اتخاذ الآلة بلاد الاسماعيلية
والى المنصور تل باشر الذى اعتاضه عن حمص لما أخذها منه الناصر صاحب حلب
ووفد على الظاهر أيضا بدمشق الزاهد أسد الدين شيركوه صاحب
وصاحب بعلبك والمنصور والسعيد ابنا الصالح اسمعيل بن العادل والامجد بن الناصر
داود والاشرف بن مسعود والظاهر بن المعظم فأكرم وفادتهم وقابل بالاحسان
والقبول طاعتهم وفرض لهم الارزاق وقرر الجرايات ثم قفل الى مصر وأفرج عن
العزيز بن المغيث الذى كان اعتقله قطز وأطلقه بالكرك وولى على
احياء العرب بالشأم عيسى بن مهنا بن مانع بن حديثة من رجالاتهم ووفر لهم الاقطاع
على حفظ السابلة الى حدود العراق ورجع الى مصر فقدم عليه رجل من عقب
المسترشد من خلفاء بنى العباس ببغداد اسمه أحمد فأثبت نسبه ابن بنت الاعز كالاول
وجمع الظاهر الناس على مراتبهم وبايع له وفوض اليه هو الامور وخرج اليه عن
التدبير وكانت هذه البيعة سنة ستين ونسبه عند العباسيين فى ادراج نسبهم الثابت
أحمد بن أبى بكر على بن أبى بكر بن أحمد بن الامام المسترشد وعند نسابة مصر أحمد بن
حسن بن أبى بكر بن الامير أبى على القبى بن الامير حسن بن الامام الراشد بن الامام
المسترشد هكذا قال صاحب حماة فى تاريخه وهو الذى استقرت الخلافة فى عقبه بمصر
لهذا العهد انتهى والله سبحانه وتعالى أعلم

(فرار التركمان من الشأم الى بلاد الروم)

كان التركمان عند دخول التتر الى بلاد الشأم كلهم قد أجفلوا الى الساحل واجتمعت
أحياؤهم بالجولان قريبا من صفد وكان الظاهر لما نهض الى الشأم اعترضه رسل
الافرنج من يافا وبيروت وصفد يسألونه فى الصلح على ما كان لعهد صلاح الدين فأجابهم
وكتب به الى الانبرذور ملكهم ببلاد افرنسة وراء البحر فكانوا فى ذمة من الظاهر
وعهد ووقعت بين الافرنج بصفد وبين أحياء التركمان واقعة يقال أغار فيها أهل صفد

عليهم فأوقع بهم التركمان وأسروا عدة من رؤسائهم وفادوهم بالمال ثم خشوا عاقبة ذلك من الظاهر فارتحلوا الى بلاد الروم وأقفر الشام منهم والله تعالى ينصر من يشاء من عباده

* (انتقاض الاشرفية والعزيزية واستيلاء البرلى على البيرة) *

كان هؤلاء العزيزية والاشرفية من أعظم جموع هؤلاء الموالى وكان مقدم الاشرفية بهاء الدين بقرى ومقدم العزيزية شمس الدين أقوش وكان المظفر قطز قد أقطعه نابلس وغزة وسواحل الشأم ولما ولى الظاهر انتقض عليه سنجر الحلبى بدمشق وجهز أستاذه علاء الدين البندقدارى فى العساكر لقتاله وكان الاشرفية والعزيزية بحلب وقد انتقضوا على نائبها السعيد بن لؤلؤ كما مر فتقدم البندقدارى باستدعائهم معه الى دمشق ثم أضاف الظاهر بيسان للبرلى زيادة على ما بيده فسار وملك دمشق ثم أوعز الظاهر الى البندقدارى بالقبض على العزيزية والاشرفية فلم تمكن الامن بقرى مقدم الاشرفية وفارقه الباقون وانتقضوا واستولى شرف الدين البرلى على البيرة وأقام بها وشن الغارات على التتر شرقى الفرات فنال منهم ثم جهز الظاهر عساكره اليه مع جمال الدين بادو الجوى فهزمهم وأطلقهم وأقام الظاهر على استمالته بالترغيب والترهيب حتى جنح الى الطاعة واستأذن فى القدوم وسار بكتاس الفخرى للقائه فلقيه بدمشق سنة احدى وستين ثم وصل فأوسعه السلطان يدا وعطاء والواصلين معه على مراتبهم واختصه بمراكبته ومشورته وسأله النزول عن البيرة فنزل عنها فقبلها الظاهر وأعاضه عنها والله سبحانه وتعالى أعلم

* (استيلاء الظاهر على الكرك من يد المغيث وعلى حمص بعد وفاة صاحبها) *

لما قفل السلطان من الشأم سنة ستين كما قدمناه جرد عسكرا الى الشوبك مع بدر الدين ايدمرى فملكها وولى عليها بدر الدين بليان الخمى ورجع الى مصر وكان عند المغيث بالكرك جماعة من الاكراد الذين أجفلوا من شهرزور أمام التتر الى الشأم وكان قد اتخذهم جند العسكرية فسرحهم للاغارة على الشوبك ونواحيه فاعتزم السلطان على الحركة الى الكرك مخافة المغيث وبعث بالطاعة واستأمن الاكراد فقبلهم الظاهر وأمن الاكراد فوصلوا اليه ثم سار سنة احدى وستين الى الكرك واستخلف على مصر سنجر الحلبى واستخلف على غزة فلقى هنالك أم المغيث تستعطفه وتستأمن منه لحضور ابنها فأجابها وسار الى بيسان فسار المغيث للقائه فلما وصل قبض عليه وبعثه من حينه الى القاهرة مع اقسنقر الفارقانى وقتل بعد ذلك بمصر وولى على الكرك عز الدين

ايدمر وأرسل نور الدين بيسري الشمسي ليؤمن أهل الكرك ويرتب الامور بها وأقام بالطور في انتظاره فأبلغ بيسري القصد من ذلك ورجع اليه فارتحل الى القدس وأمر بعمارة مسجده ورجع الى مصر وبلغه وفاة صاحب حمص موسى الاشرف بن ابراهيم المنصور بن شيركوه المجاهد بن ناصر الدين محمد بن أسد الدين شيركوه وكانت وراثة له من آبائه أقطعه نور الدين العادل لجده أسد الدين ولم تزل في أيديهم وأخذها الناصر يوسف صاحب حلب سنة ست وأربعين وعوضه عنها تل باشر وأعادها عليه هلاكو وأقره الظاهر ثم توفي سنة احدى وستين وصارت للظاهر وانقرض منهم ملك بني أيوب والله سبحانه وتعالى أعلم

(هزيمة التتر على البيرة وفتح قيسارية وارسوف بعدها)

ثم رجعت عساكر التتر الى البيرة مع ردمانة من أمراء المغل سنة ثلاث وستين فحاصروها ونصبوا عليها المجانيق فجهز السلطان العساكر مع لوغان من أمراء الترك فساروا في ربيع من السنة وسار السلطان في اثرهم وانتهى الى غزة ولما وصلت العساكر الى البيرة وأشرفوا عليها والعدو يحاصرها أجفلت عساكر التتر وساروا منهزمين وخلفوا أسوادهم وأثقالهم فنهبتها العساكر وارتحل السلطان من غزة وقصد قيسارية وهي للافرنج فنزل عليها عاشر جمادى من السنة فنصب المجانيق ودعا أهلها للحرب واقتحمها عليهم فهربوا الى القلعة فحاصرها خمسا وملكها عنوة وفر الافرنج منها ثم رحل في خف من العساكر الى عملها فشن عليها الغارة وسرح عسكرا الى حيفا فملكها عنوة وخربوها وقلعتها في يوم أو بعض يوم ثم ارتحل الى ارسوف فنازلها مستهل جمادى الاخيرة فحاصرها وفتحها عنوة وأسر الافرنج الذين بها وبعث بهم الى الكرك وقسم أسوارها على الامراء فهدموها وعمد الى ما ملك في هذه الغزاة من القرى والضياع والارضين فقسمها على الامراء الذين كانوا معه وكانوا اثنين وخمسين وكتب لهم بذلك وقفل الى مصر وبلغه الخبر بوفاة هلاكو ملك التتر في ربيع من السنة وولاية ابنه ابغا مكانه وما وقع بينه وبين بركة صاحب الشمال من الفتنة ولاول دخوله لمصر قبض على شمس الدين سنقر الرومي وحبسه وكانت الفتنة قبل غزاته بين عيسى بن مهنا وزامل بعد ذلك بهلاكو ثم استأمن الى الظاهر فامنه وعاد الى احيائه والله تعالى أعلم

(غزو طرابلس وفتح صفد)

كانت طرابلس للافرنج وبها سمند بن البرنس الاشتر وله معها انطاكية وبلغ السلطان انه قد　　　　فلقيه النائب بها علم الدين سنجر الباشقردي وانهزم المسلمون

واستشهد كثير منهم فتجهز السلطان للغزو وسار من مصر فى شعبان سنة أربع وستين وترك ابنه السعيد عليا بالقلعة فى كفالة عز الدين ايدمر الحلى وقد كان عهد لابنه السعيد بالملك سنة ثنتين وستين ولما انتهى الى غزة بعث العساكر صحبة سيف الدين قلاون ايدغدى العزيزى فنازل القليعات وحلب وعرقا من حصون طرابلس فاستأمنوا اليه وزحفت العساكر وسار السلطان الى صفد فحاصرها عشرا ثم اقتحمها عليهم فى عشرين من رمضان السنة وجمع الافرنج الذين بها فاستلحمهم أجمعين وأنزل بها الحامية وفرض أرزاقهم فى ديوان العطاء ورجع الى دمشق والله تعالى أعلم

(مسير العساكر لغزو الارمن)

هؤلاء الارمن من ولد أخى ابراهيم عليه السلام من بنى قموئيل بن ناحور وناحور بن تارح وعبر عنه فى التنزيل بآزر وتاحور اخو ابراهيم عليه السلام ويقال ان الكرج اخوة الارمن وارمينية منسوبة اليهم وآخر مواطنهم الدروب المجاورة لحلب وقاعدتها سيس ويلقب ملكهم التكفور وكان ملكهم صاحب هذه الدروب لعهد الملك الكامل وصلاح الدين من بعده اسمه قليج بن اليون واستخدم به العادل وأقطع له وكان يعسكر معه وصالحه صلاح الدين على بلاده ثم كان ملكهم لعهد هلاكو والتتر هيثوم بن قسطنطين ولعله من أعقاب قليج أو قرابته ولما ملك هلاكو العراق والشأم دخل هيثوم فى طاعته فأقره على سلطانه ثم أمره بالاغارة على بلاد الشأم وأمده صاحب بلاد الروم من التتر وسار سنة ثنتين وستين ومعه بنو كلاب من أعراب حلب وانتهوا الى   وجهز الظاهر عساكر حماة وحمص فساروا اليهم وهزموهم ورجعوا الى بلادهم فلما رجع السلطان من غزاة طرابلس سنة أربع وستين سرح العساكر لغزو سيس وبلاد الارمن وعليهم سيف الدين قلاون والمنصور صاحب حماة فساروا لذلك وكان هيثوم ملكهم قد ترهب ونصب للملك ابنه كيقومن فجمع كيقومن الارمن وسار للقائهم ومعه أخوه وعمه وأوقع بهم المسلمون قتلا وأسرا وقتل أخوه وعمه فى جماعة من الارمن واكتسحت عساكر المسلمين بلادهم واقتحموا مدينة سيس وخربوها ورجعوا وقد امتلأت أيديهم بالغنائم والسبى وتلقاهم الظاهر من دمشق عند قارا فلما رآهم ازداد سرورا بما حصل لهم وشكا اليه عنالك الرحبة مالحقهم من عدوان الاحياء الرحالة وانهم ينهبون موجودهم ويبيعون ما يختطفونه منهم من الافرنج بعكا فأمر باستباحتهم وأصبحوا نهبا فى أيدى العساكر بين القتل والاسر والسبى ثم سار الى مصر وأطلق كيقومن ملك الارمن وصالحه على بلده ولم يزل مقيما الى أن بعث أبوه فى فدائه وبذل فيه الاموال والقلاع فابى الظاهر من ذلك

وشرط عليه خلاص الامراء الذين أخذهم هلاكو من سجن حلب وهم سنقر الاشقر وأصحابه فبعث فيهم تكفر الى هلاكو فبعثهم اليه وبعث الظاهر بابنه منتصف شوّال وتسلم القلاع التى بذلت فى فدائه وكانت من أعظم القلاع وأحصنها منها مرزبان ورعبان وقدم سنقر الاشقر على الظاهر بدمشق وأصبح معه فى الموكب ولم يكن أحد علم بأمره وأعظم اليه السلطان النعمة ورفع الرتبة ورعى له السابقة والصحبة وتوفى هيثوم سنة ستين بعدها والله تعالى ينصر من يشاء من عباده

(مسير الظاهر لغزو حصون الافرنج بالشأم وفتح يافا والشقيف ثم انطاكية)

كان الظاهر عندما رجع من غزاة طرابلس الى مصر أمر بتجديد الجامع الازهر واقامة الخطبة به وكان معطلا منها منذ مائة سنة وهو أول مسجد أسسه الشيعة بالقاهرة حين اختطوها ثم خرج الى دمشق لخبر بلغه عن التتر ولم يثبت فسار من هنالك الى صفد وكان أمر عند مسيره بعمارتها وبلغه اغارة أهل الشقيف على الثغور فقصدها وشن الغارة على عكا واكتسح بسائطها حتى سأل الافرنج منه الصلح على ما يرضيه فشرط المقاسمة فى صيدا وهدم الشقيف واطلاق تجار من المسلمين كانوا أسروهم ودية بعض القتلى الذى أصابوا دمه وعقد الصلح لعشر سنين ولم يوفوا بما شرط عليهم فنهض لغزوهم ونزل فلسطين فى جمادى سنة ست وستين وسرّح العساكر لحصار الشقيف ثم بلغه مهلك صاحب يافا من الافرنج وملك ابنه مكانه وجاءت رسله اليه فى طلب الموادعة فحبسهم وصبح البلد فاقتحمها ولجأ أهلها الى القلعة فاستنزلهم بالامان وهدمها وكان أول من اختط مدينة يافا هذه صنكل من ملوك الافرنج عندما ملكوا سواحل الشأم سنة ثلاث وتسعين واربعمائة ثم مدنها وأتم عمارتها ريدافرنس المأسور على دمياط عندما خلص من محبسه بدار بن لقمان ثم رجع الى حصن الشقيف فحاصره وافتتحه بالامان وبث العساكر فى نواحى طرابلس فاكتسحوها وخربوا عمرانها وكنائسها وبادر صاحب انطرسوس بطاعة

وبعث الى العساكر بالميرة وأطلق الاسرى الذين عنده ثلثمائة أو يزيدون ثم ارتحل السلطان الى حمص وحماة يريد انطاكية وقدم سيف الدين قلاون فى العساكر فنازل انطاكية فى شعبان فسار المنصور صاحب حماة وجماعة البحرية الذين كانوا بأحياء العرب فى القفر وكان صاحب انطاكية سمند بن تيمند وكانت قاعدة ملك الروم قبل الاسلام اختطها انطيخس من ملوك اليونانيين واليه تنسب ثم صارت للروم وملكها المسلمون عند الفتح ثم ملكها الافرنج عندما ساروا الى ساحل الشأم أعوام التسعين والاربعمائة ثم استطردها صلاح الدين من البرنس ارناط الذى

قتله في واقعة حطين كما مرّ ثم ارتجعها الافرنج بعد ذلك على يد البرنس الاشتر وأظنه صنكل ثم صارت لابنه تيمند ثم لابنه سمند وكان عندما حاصرها الظاهر بطرابلس وكان بها كند اصطبل عم يغمور ملك الارمن أفلت من الواقعة عليه بالدرابند واستقر بانطاكية عند سمند فخرج في جموعه لقتال الظاهر فانهزم أصحابه وأسر

على أن يحمل أهل انطاكية على الطاعة فلم يوافقوه ثم جهدهم الحصار واقتحمها المسلمون عنوة وأثخنوا فيهم ونجا فلهم الى القلعة فاستنزلوا على الامان وكتب الظاهر الى ملكهم سمند وهو بطرابلس وأطلق كندا صطبل وأقاربه الى ملكهم هيثوم بسيس ثم جمع الغنائم وقسمها وخرب قلعة انطاكية وأضرمها نارا واستأمن صاحب بغراس فبعث اليه سنقر الفارقي استاذداره فملكها وأرسل صاحب عكا الى الظاهر في الصلح وهو ابن أخت صاحب قبرس فعقد له السلطان الصلح لعشر سنين ثم عاد الى مصر فدخلها ثالث أيام التشريق من السنة والله تعالى أعلم

(الصلح مع التتر)

ثم نهض السلطان من مصر سنة سبع وستين لغزو الافرنج بسواحل الشأم وخلف على مصر عز الدين ايدمر الحلي مع ابنه السعيد ولي عهده وانتهى الى ارسوف فبلغه أن رسلا جاؤا من عند ابغا بن هلاكو ومروا بتكفور ملك الروم فبعث بهم الى

فبعث أميرا من حلب لاحضارهم وقرأ كتاب ابغا يسعى تكفور في الصلح ويحتال فيما أذاعه من رسالته فأعاد رسله بجوابهم وأذن للامراء في الانطلاق الى مصر ورجع الى دمشق ثم سار منها في خف من العسكر الى القلاع وبلغه وفاة ايدمر الحلي بمصر فخيم بخربة اللصوص وأغذ السير الى مصر متنكرا منتصف شعبان في خف من التركمان وقد طوى خبره عن معسكره وأوهمهم القعود في خيمته عليلا ووصل الى القلعة ليلة الثلاثاء رابعة سفره فتنكر له الحراس وطولع مقدم الطواشية فطلب منهم امارة على صدقهم فأعطوها ثم دخل فعرفوه وباكر الميدان يوم الخميس فسر به الناس ثم قضى حاجة نفسه وخرج ليلة الاثنين عائدا الى الشأم كما جاء فوصل الى خيمه ليلة الجمعة تاسع عشر شعبان وفرح الامراء بقدومه ثم فرق البعوث في الجهات وأغاروا على صور وملكوا احدى ضياع وساحوا في بسيط كركو فاكتسحوها وامتلأت أيديهم بالغنائم ورجعوا والله تعالى أعلم

(استيلاء الظاهر على صهيون)

كان صلاح الدين بن أيوب قد أقطعها يوم فتحها وهي سنة أربع وثمانين وخمسمائة لناصر الدين منكبرس فلم تزل بيده الى أن هلك وولى فيها بعده ابنه مظفر الدين عثمان وبعده ابنه سيف الدين بن عثمان واستبد الترك بمصر وبعث سيف الدين أخاه عماد الدين سنة ستين بالهدايا الى الملك الظاهر بيبرس فقبلها وأحسن اليه ثم مات سيف الدين سنة تسع وستين وكان أوصى أولاده بالنزول للظاهر عن صهيون فوفد ابناه سابق الدين وفخر الدين على السلطان بمصر فأكرمهما وأقطعهما وولى سابق الدين منهما أميرا وولى على صهيون من قبله ولم يزل كذلك الى أن غلب عليها سنقر الاشقر عندما انتقض بدمشق أيام المنصور والله تعالى أعلم

(نهوض الظاهر الى الحج)

ثم بلغ الظاهر أن أبا نمى بن أبى سعد بن قتادة غلب عمه ادريس بن قتادة على مكة واستبد بها وخطب للظاهر فكتب له بالامارة على مكة واعتزم على النهوض الى الحج وتجهز لذلك سنة سبع وستين وأزاح علل أصحابه وشيع العساكر مع اقسنقر الفارقانى استاذداره الى دمشق وسار الى الكرك موريا بالصيد وانتهى الى الشوبك ورحل منه لاحدى عشرة ليلة من ذى القعدة ومر بالمدينة النبوية على ساكنها أفضل الصلاة وأتم التسليم فأحرم من ميقاتها وقدم مكة لخمس من ذى الحجة وغسل الكعبة بيده وحمل لها الماء على كتفه وأباح للمسلمين دخولها وأقام على بابها يأخذ بأيديهم ثم قضى حجه ومناسكه وولى نائبا على مكة شمس الدين مروان وأحسن الى الامير ابى نمى والى صاحب ينبع وخليص وسائر شرفاء الحجاز وكتب الى صاحب اليمن

وقد وصلتها فى سبع عشرة خطوة ثم فصل من مكة ثالث عشر ذى الحجة فوصل المدينة على سبعة أيام ووصل الى الكرك منسلخ السنة ثم وصل دمشق غرة ثمان وستين وسار الى زيارة القدس وقدم العساكر مع الامير اقسنقر الى مصر وعاد من الزيارة فأدركهم بتل العجول ووصل القلعة ثالث صفر من السنة والله تعالى أعلم

(اغارة الافرنج والتتر على حلب ونهوض السلطان اليهم)

كان صمغان من أمراء التتر مقيما ببلاد الروم وأميرا عليها فوقعت المراسلة بينه وبين الافرنج فى الاغارة على بلاد الشأم وجاء صمغان فى عسكر ملؤ عددهم فأغار على أحياء العرب بنواحى حلب وبلغ الخبر الى الظاهر سنة ثمان وستين وهو يتصيد بنواحى الاسكندرية فنهض من وقته الى غزة ثم الى دمشق ورجع التتر على أعقابهم ثم سار الى

عكا فاكتسح نواحيها وأثخن فيها وفعل كذلك بحصن الاكراد ورجع الى دمشق آخر رجب ثم الى مصر ومر بعسقلان فخربها وطمس آثارها وجاءه الخبر بمصر بان الفرنسيس لويس بن لويس وملك انكلترة وملك اسكوسنا وملك نودل وملك برسلونة وهو ريدراكون وجماعة من ملوك الافرنج ساروا فى الاساطيل الى صقلية وشرعوا فى الاستكثار من الشوانى وآلة الحرب ولم يعرف وجه مذهبهم فاهتم الظاهر بحفظ الثغور والسواحل واستكثر من الشوانى والمراكب ثم جاء الخبر الصحيح بأنهم قاصدون تونس فكان من خبرهم ما نذكره فى دولة السلطان بها من بنى أبى حفص والله تعالى أعلم

(فتح حصن الاكراد وعكا وحصون صور)

ثم سار السلطان سنة تسع وستين لغزو بلاد الافرنج وسرح ابنه السعيد فى العساكر الى المرقب لنظر الامير قلاون وبيليك الخزندار وسار هو الى طرابلس فاكتسحوا سائر تلك النواحى وتوافوا بحصن الاكراد عاشر شعبان من السنة فحاصره السلطان عشرا ثم اقتحمت أرباضه وانحجر الافرنج فى قلعته واستأمنوا وخرجوا الى بلادهم وملك الظاهر الحصون وكتب الى صاحب الاستبار بالفتح وهو بانطرطوس وأجاب بطلب الصلح فعقد له على انطرطوس والمرقب وارتحل السلطان عن حصن الاكراد بعد ان شحنه بالاقوات والحامية ونازل حصن عكا واشتد فى حصاره واستأمن أهله اليه وملكه ثم ارتحل بعد الفطر الى طرابلس واشتد فى قتالها وسأل صاحبها البرنس الصلح فعقد له على ذلك لعشر سنين ورجع الى دمشق ثم خرج آخر شوال الى وملك قلعته بالامان على أن يتركوا الاموال والسلاح واستولى عليه وهدمه وسار الى اللجون وبعث اليه صور فى الصلح على أن ينزل له عن خمس من قلاعه فعقد له الصلح لعشر سنين وملكها ثم كتب الى نائبه بمصر أن يجهز عشرة من الشوانى الى قبرس فجهزها ووصلت ليلا الى قبرس والله أعلم

(استيلاء الظاهر على حصون الاسماعيلية بالشأم)

كان الاسماعيلية فى حصون من الشأم قد ملكوها وهى مصياف والعليقة والكهف والمنيفة والقدموس وكان كبيرهم لعهد الظاهر نجم الدين الشعرانى وكان قد جعل له الظاهر ولايتها ثم تأخر عن لقائه فى بعض الاوقات فعزله وولى عليها خادم الدين بن الرضا على أن ينزل له عن حصن مصياف وأرسل معه العساكر فتسلموه منه ثم قدم عليه سنة ثمان وستين وهو على حصن الاكراد وكان نجم الدين الشعرانى قد أسن وهرم فاستعتب وأعتبه الظاهر وعطف عليه وقسم الولاية بينه وبين ابن الرضا وفرض عليهما

مائة وعشرين ألف درهم يحملانها فى كل سنة ولما رجع سنة تسع وستين وفتح حصن الاكراد مر بحصن العليقة من حصونهم فلكه من يد ابن الرضى منتصف شوال من السنة وأنزل به حامية ثم سار لقتال التتر على البيرة كما نذكر ورجع الى مصر فوجد الاسماعيلية قد نزلوا على الحصون التى بقيت بأيديهم وسلموها النواب الظاهر فملكوها وانتظمت قلاع الاسماعيلية فى ملكة الظاهر وانقرضت منها دعوتهم والله سبحانه وتعالى أعلم

(حصار التتر البيرة وهزيمتهم عليها)

ثم بعث ابغا بن هلاكو العساكر الى البيرة سنة احدى وسبعين مع درباي من مقدمى أمرائه فحاصرها ونصب عليها المجانيق وكان السلطان بدمشق فجمع العساكر من مصر والشأم وزحف الى الفرات وقد جهز العساكر على ناصيته فتقدم الامير قلاون وخالط التتر عليها فى مخيمهم فجالوا معه ثم انهزموا وقتل مقدمهم وخاض السلطان بعساكره بحر الفرات اليهم فأجفلوا وتركوا خيامهم بما فيها وخرج أهل البيرة فنهبوا سوادهم وأحرقوا آلات الحصار ووقف السلطان بساحتها قليلا وخلع على النائب بها حتى درباى بسلطانه ابغا فلولا فسخطه ولم يعتب به والله تعالى ولى التوفيق

(غزوة سيس وتخريبها)

ثم نهض الظاهر من مصر لغزو سيس فى شعبان سنة ثلاث وسبعين وانتهى الى دمشق فى رمضان وسار منها وعلى مقدمته الامير قلاون وبدر الدين بيليك الخازندار فوصلوا الى المصيصة وافتتحوها عنوة وجاء السلطان على اثرهم وسار بجميع العساكر الى سيس بعد أن كتف الحامية بالبيرة خوفا عليها من التتر وبعث حسام الدين العنتابى ومهنا بن عيسى أمير العرب بالشأم للاغارة على بلاد التتر من ناحيتها وسار الى سيس فخربها وبث السرايا فى نواحيها فانتهوا الى بانياس وأذنة واكتسحوا سائر الجهات ووصل الى دربند الروم وعاد الى المصيصة فى التعبئة فأحرقها ثم انتهى الى انطاكية فأقام عليها حتى قسم الغنائم ثم رحل الى القصير وكان للافرنج فالصالح التبركهم برومة الذى يسمونه البابا فافتتحه ولقيه هنالك حسام الدين العنتابى ومهنا بن عيسى راجعين من اغارتهم وراء الفرات ثم بلغه مهلك البرنس سمند بن تيمند صاحب طرابلس فبعث الظاهر بليان الدوادار ليقرر الصلح مع ابنه فقرره على عشرين ألف دينار وعشرين أسيرا كل سنة وحضر لذلك صاحب قبرس وكان جاء معزيا بالبرنس ورجع الدوادار الى الظاهر فقفل الى دمشق منتصف ذى الحجة والله تعالى ينصر من

شاء من عباده

(ايقاع الظاهر بالتتر في بلاد الروم ومقتل البرواناة بعد اخلته في ذلك)

كان علاء الدين البرواناة متغلبا على غياث الدين كيخسرو صاحب بلاد الروم من بني قليج ارسلان وقد غلب التتر على جميع ممالك بلاد الروم وأبقوا على كيخسرو اسم الملك في كفالة البرواناة وأقاموا أميرا من أمرائهم ومعه عسكر التترحامية بالبلاد ويسمونه بالشحنة وكان أول أمير من التتر ببلاد الروم بيكو وهو الذي افتتحها وبعده صمغان وبعده توقو وتدوان شريكين في أمرهما لعهد الملك الظاهر وكان البرواناة يتأفف من التتر لاستطالتهم عليه وسوء ملكهم ولما استفحل أمر الظاهر بمصر والشأم أمّل البرواناة الظهور على التتر والكرة لبني قليج ارسلان بممالاة الظاهر فداخله في ذلك وكاتبه وزحف ابغا ملك التتر الى البيرة سنة أربع وسبعين وخرج الظاهر بالعساكر من دمشق وكاتبه البرواناة يستدعيه وأقام الظاهر على حمص وأرسل اليه البرواناة يستحثه للقاء التتر وعزم ابغا على البرواناة في الوصول فاعتذر ثم رحل متثاقلا وكتب اليه الامراء بعده بأن الظاهر قد نهض الى بلاد الروم بوصيته اليه بذلك فبعث الى ابغا واستمده فأمده بعساكر المغل وأمره بالرجوع لمدافعة الظاهر فرجع ووجد جماعة من الامراء قد كاتبوا الظاهر واستحثوه للقدوم وسقط في أيديهم وحيل بينهم وبين مرامهم ورجع الى مصر في رجب من السنة وأقام بها حولا ثم توقو وتدوان أميرا التتر ببلاد الروم وسار الى الثغور بالشأم وبلغ السلطان خبرهما فسار من مصر في رمضان سنة خمس وسبعين وقصد بلاد الروم وانتهى الى النهر الازرق فبعث شمس الدين سنقر الاشقر فلقي مقدمة التتر فهزمهم ورجع الى السلطان وساروا جميعا فلقوا التتر على البلستين ومعهم علاء الدين البرواناة في عساكره فهزمهم وقتل الاميران توقو وتدوان وفر البرواناة وسلطانه كيخسرو ولما كان منفردا عنهم وأسر كثير من المغل منهم سلار ابن طغرل ومنهم قفجاق وجاورجي وأسر علاء الدين بن معين الدين البرواناة وقتل كثير منهم ثم رحل السلطان الى قيسارية فملكها وأقام عليها ينتظر البرواناة لموعد كان بينهما وأبطأ عليه وقفل راجعا ورجع خبر الهزيمة الى ابغا ملك التتر واطلع من بعض عيونه على ما كان بين البرواناة والظاهر من المداخلة فتنكر للبرواناة وجاء لوقته حتى وقف على موضع المعركة وارتاب لكثرة القتلى من المغل وان عسكر الروم لم يصب منهم أحد فرجع على بلادهم بالقتل والتخريب والاكتساح وامتنع كثير من القلاع ثم أمنهم ورجع وسار معه البرواناة وهم بقتله أولا ثم رجع لتخليته لحفظ البلاد فأعول

نساء القتلى من المغل عند دبابه فرحم لبكائهن و بعث أميرا من المغل فقتله في بعض الطريق والله سبحانه وتعالى أعلم بغيبه وأحكم

(وفاة الظاهر وولاية ابنه السعيد)

ولما رجع السلطان من واقعته بالتتر على البلستين وقيسارية طرقه المرض في محرم سنة ست وسبعين وهلك من آخره وكان بيليك الخزندار مستوليا على دولته فكتم موته ودفنه ورجع بالعساكر الى مصر فلما وصل القلعة جمع الناس و بايع لبركة بن الملك الظاهر ولقبه السعيد وهلك بيليك اثر ذلك فقام بتدبير الدولة استاذداره شمس الدين الفارقاني وكان نائب مصر أيام مغيب الظاهر بالشأم واستقامت أموره ثم قبض على شمس الدين سنقر الاشقر و بدر الدين بيسرى من أمراء الظاهر بسعاية بطانته الذين جمعهم عليه لاول ولايته وكانوا من أوغاد الموالى وكان يرجع اليهم لمساعدتهم له على هواه وصارت شيبته ولما قبض على هذين الاميرين نكر ذلك عليه خاله محمد ابن بركة خان فاعتقله معهما فاستوحشت أمه لذلك فأطلق الجميع فارتاب الامراء وأجمعوا على معاتبته فاستعتب واستحلفوه ثم أغراه بطانته بشمس الدين الفارقاني مدبر دولته فقبض عليه واعتقله وهلك لايام من اعتقاله وولى مكانه شمس الدين سنقر الالفي ثم سعى أولئك البطانة به فعزله وولى مكانه سيف الدولة كونك الساقي صهر الامير سيف الدين قلاون على أخت زوجته بنت كرمون كان أبوها من أمراء التترالى الظاهر واستقر عنده وزوج بنته من الامير قلاون و بنته الاخرى من كوزبك ثم حضر عند السعيد لاشين الربعي من حاشيته وغلب على هواه واستمال أهل الدولة بقضاء حاجاتهم واستقر معروفه لهم واستمر الحال على ذلك والله سبحانه وتعالى أعلم

(خلع السعيد وولاية أخيه شلامش)

ولما استقر السعيد علكه في مصر أجمع المسير الى الشأم للنظر في مصالحه فسار لذلك سنة سبع وسبعين فاستقر بدمشق و بعث العساكر الى الجهات وسار قلاون الصالحي وبدر الدين بيسرى الى سيس زين له ذلك لاشين الربعي والبطانة الذين معه وأغروه بالقبض عليهم عند مرجعهم ثم حدث بين هؤلاء البطانة و بين النائب سيف الدين كونك وحشة وآسفوه بما يلقون فيه عند السلطان فغضب لذلك وسارت العساكر فأغاروا على سيس واكتسحوا نواحيها ورجعوا فلقيهم النائب كونك وأسر اليهم ما أضمر لهم السلطان فخيموا بالمرج وقعدوا عن لقاء السلطان و بعثوا اليه بالعذل في بطانته

وأن ينصف نائبه منهم فأعرض عنهم ودس لموالى أبيه أن يعاودوهم اليه فأطاعوهم على كآبه فزادهم ضغنا وصرحوا بالانتقاض فبعث اليهم سنقر الاشقر وسنقر التركيتى استاذداره بالاستعطاف فردوهما فبعث أمه بنت بركة خان فلم يقبلوها وارتحلوا الى القاهرة فوصلوها فى محرم سنة ثمان وسبعين وبالقلعة عز الدين ايبك الافرم الصالحى أمير جندار وعلاء الدين اقطوان الساقى وسيف الدين بلبان أستاذداره فضبطوا أبواب القاهرة ومنعوهم من الدخول وترددت المراسلة بينهم وخرج ايبك الافرم واقطوان ولاشين التركمانى للحديث فتقبضوا عليهم ودخلوا الى بيوتهم ثم باكروا القلعة بالحصار ومنعوا عنها الماء وكان السعيد بعد منصرفهم من دمشق سار فى بقية العساكر واستنفر الاعراب وبث العطاء وانتهى الى غزة فتفرقت عنه الاعراب واتبعهم الناس ثم انتهى الى بلبيس ورأى قلة العساكر فرد عن الشأم مع عز الدين ايدمر الظاهرى الى دمشق والنائب بها يومئذ اقوش فقبض عليه وبعث به الى الامراء بمصر ولما رحل السعيد من بلبيس الى القلعة اعتزل عنه سنقر الاشقر وسار الامراء فى العساكر لاعتراضه دون القلعة وألقى الله عليه حجابا من الغيوم المتراكمة فلم يهتدوا الى طريقه وخلص الى القلعة وأطلق علم الدين سنجر الحلبى من محبسه ليستعين به ثم اختلف عليه بطانته وفارقه بعضهم فرجع الى مصانعة الامراء بأن يترك لهم الشأم أجمع فأبوا الاحبسه فسألهم أن يعطوه الكرك فأجابوه وحلفهم على الامان وحلف لهم أن لا ينتقض عليهم ولا يداخل أحدا من العساكر ولا يستميله فبعثوه من حينه الى الكرك وكتبوا الى النائب بها علاء الدين ايدكز الفخرى أن يمكنه منها ففعل واستقر السعيد بالكرك وقام بدولته ايدكز الفخرى واجتمع الامراء بمصر وعرضوا الملك على الامير قلاون وكان أحق به فلم يقبل وأشار الى شلامش بن الظاهر وهو ابن ثمان سنين فنصبوه للملك فى ربيع سنة ثمان وسبعين ولقبوه بدر الدين وولى الامير قلاون أتابك الجيوش وبعث مكان جمال الدين اقوش نائب دمشق يتسلمها منه وسار اقوش الى حلب نائبا وولى قلاون فى الوزارة برهان الحصرى السخاوى وجمع المماليك الصالحية ووفر اقطاعاتهم وعمر بهم مراتب الدولة وأبعد الظاهرية وأودعهم السجون الفساد ولم يقطع عنهم رزقا الى أن بلغ العقاب فيهم أجله فأطلقهم تباعا واستقام أمره والله تعالى أعلم

(خلع شلامش وولاية المنصور قلاون)

أصل هذا السلطان قلاون من القفجاق ثم من قبيلة منهم يعرفون برج أغلى وقد مر ذكرهم وكان مولى لعلاء الدين اقسنقر الكابلى مولى الصالح نجم الدين أيوب فلما مات

علاء الدين صارمن موالى الصالح وكان من نفرتهم واستقامتهم ماقدمناه ثم قدم الى مصر فى دولة المظفر قطز مع الظاهر بيبرس ولما ملك الظاهر قربه واختصه وأصهر اليه ثم بايع لابنه السعيد من بعده ولما استوحش الامراء من السعيد وخلعوه رغبوا من الامير قلاون فى الولاية عليهم كما قدمناه ونصب أخاه شلامش بن الظاهر فوافقه الامراء على ذلك طواعية له واتصلت رغبتهم فى ولايته مدة شهرين حتى أجابهم الى ذلك فبايعوه فى جمادى سنة ثمان وسبعين فقام بالامر ورفع كثيرا من المكوس والظلامات وقسم الوظائف بين الامراء وولى جماعة من مماليكه امرة الالوف وزادهم فى الاقطاعات وأفرج لوقته عن عزالدين ايبك الافرم الصالحى وولاه نائبا بمصر ثم استبقاه فأعفاه وولى مملوكه حسام الدين طرنطاى مكانه ومملوكه علم الدين سنجر الشجاعى الدواوين وأقر الصاحب برهان الدين السنجارى فى الوزارة ثم عزله بفخر الدين ابراهيم ابن لقمان وبعث عزالدين ايدمر الظاهرى الذى كان اعتقله جمال الدين اقوش حين رجع بعساكر الشأم عن السعيد بن الظاهر من بلبيس فجىء به مقيدا واعتقله والله تعالى ولى التوفيق

* (انتقاض السعيد بن الظاهر بالكرك ووفاته وولاية أخيه خسر ومكانه) *

ولما ملك السلطان قلاون شرع السعيد بالكرك وكاتب الامراء بمصر والشأم فى الانتقاض وخاطبه السلطان بالعتاب على نقض العهد فلم يستعتب وبعث عساكره مع حسام الدين لاشين الجامدار الى الشوبك فاستولى عليها فبعث السلطان نور الدين بيليك الايدمرى فى العساكر فارتدها فى ذى القعدة سنة ثمان وسبعين وقارن ذلك وفاة السعيد بالكرك واجتمع الامراء الذين بها وقدمهم نائبه ايدكين الفخرى وقال ان نائبه كان ايدغرى الحرانى فنصبوا أخاه خسرو ولقبوه المسعود نجم الدين واستولى الموالى على رأيه وأفاضوا المال من غير تقدير ولا حساب حتى أنفقوا ما كان بالكرك من الذخيرة التى ادخرها الملك الظاهر و أمراء الشأم فى الخلاف وبعثوا العساكر فاستولوا على الصلت وحاصروا صرخد فامتنعت وكاتبوا سنقر الاشقر المتظاهر على الخلاف فبعث السلطان ايبك الافرم فى العساكر له الى الكرك فحاصرها وضيق عليها ثم سأل المسعود فى الصلح على ما كان الناصر داود بن المعظم فأجابه السلطان قلاون وعقد له ذلك ثم انتقض ثانية ونزع عنه نائبه علاء الدين ايدغرى الحرانى ونزع عنه الى السلطان فصدق ما نقل عنه من ذلك ثم بعث السلطان سنة خمس وثمانين نائبه حسام الدين طرنطاى فى العساكر لحصار الكرك فحاصروها واستنزل المسعود وأخاه شلامش منها على الامان وملكها وجاء بهما الى

السلطان قلاون فأكرمهما وخلطهما بولده الى أن توفى ففرق بهما الاشرف الى القسطنطينية

(انتقاض سنقر الاشقر بدمشق وهزيمته ثم امتناعه بصهيون)

كان شمس الدين سنقر الاشقر لما استقر فى نيابة دمشق أجمع الانتقاض والاستبداد وتسلم القلاع من الظاهرية وولى فيها وطالب المنصور قلاون دخول الشام باسرها من العريش الى الفرات فى ولايته وزعم أنه عاهده على ذلك وولى السلطان على قلعة دمشق مولاه حسام الدين لاشين الصغير سلحدارا فى ذى الحجة سنة ثمان وسبعين فنكر ذلك سنقر وانتقض ودعا لنفسه ثم بلغه خبر قلاون وجلوسه على التخت فدعا الامراء وأشاع ان قلاون قتل واستحلفهم على منعته وحبس من امتنع من اليمين وتلقب الكامل وذلك فى ذى الحجة من السنة وقبض على لاشين نائب القلعة وجهز سيف الدين الى الممالك الشامية والقلاع للاستحلاف وولى فى وزارة الشأم مجد الدين اسمعيل ابن كسيرات وسكن سنقر بالقلعة ثم بعث السلطان ايبك الافرم بالعساكر الى الكرك لما توفى السعيد صاحبها وانتهى الى غزة واجتمع اليه بليك الايدمرى منقلبا من الشوبك بعد فتحه فحذرهم سنقر الاشقر وخاطب الافرم يتجنى على السلطان بأنه لم يفرده بولاية الشأم وولى فى قلعة دمشق وفى حلب وبعث الافرم بالكتاب الى السلطان قلاون فأجابه وتقدم الى الافرم أن يكاتبه بالعزل فيما فعله وارتكبه فلم يرجع عن شأنه وجمع العساكر من عمالات الشأم واحتشد العربان وبعثهم مع قراسنقر المعرى الى غزة فلقيهم الافرم وأصحابه وهزموهم وأسروا جماعة من أمرائهم وبعثوا بهم الى السلطان قلاون فأطلقهم وخلع عليهم ولما وصلت العساكر مفلولة الى دمشق عسكر سنقر الاشقر بالمرج وكاتب الامراء بغزة يستميلهم وبعث السلطان العساكر بعصر مع علم الدين سنجر لاشين المنصورى وبدر الدين بكتاش الفخرى السلحدار فساروا الى دمشق فلقيهم الاشقر على الجسر بالكسرة فهزموه فى صفر سنة تسع وسبعين وتقدموا الى دمشق فملكوها وأطلق علم الدين سنجر لاشين المنصورى من الاعتقال وولاه نيابة دمشق وولى على القلعة سيف الدين سنجار المنصورى وكتب الى السلطان بالفتح وسار سنقر الى الرحبة فامتنع عليه نائبها فسار الى عيسى بن مهنا ورجع عنه الى الفل وكاتبوا ابغا ملك التتر واستحثوه لملك الشأم يستميلونه فلم يجب وبعث اليه العساكر فأجفلوا الى صهيون وملكها سنقر وملك معها شيزر وبعث السلطان العساكر لحصار شيزر مع عز الدين الافرم فحاصرها وجاءت الاخبار بزحف ابغا ملك التتر الى الشأم فى مواعدة سنقر وابن مهنا واستدعى صغار صاحب بلاد الروم فيمن معه من المغل وانه بعث بيدو ابن

أخيه طرخان وصاحب ماردين وصاحب سيس من ناحية اذربيجان وجاؤا وهو على طريق الشأم وفى مقدمته أخوه منوكتمر فلما تواترت الاخبار بذلك أفرج الافرم عن حصار شيزر ودعا الاشقر الى مدافعة عدو المسلمين فأجابه ورفع عن موالاة ابغا وسار من صهيون للاجتماع بعساكر المسلمين وجمع السلطان العساكر بمصر وسار الى الشأم واستخلف على مصر ابنه أبا الفتح عليا بعد ان ولاه عهده وقرأ كتابه بذلك على الناس وخرج بجميع العساكر فى جمادى سنة تسع وسبعين وانتهى الى غزة ووصل التتر الى حلب وقد أجفل عنها أهلها وأقفرت منازلها فأضرموا النار فى بيوتها ومساجدها وتولى كبر ذلك صاحب سيس والارمن وبلغهم وصول السلطان الى غزة فأجفلوا راجعين الى بلادهم وعاد السلطان الى مصر بعد ان جرد العساكر الى حمص وبلاد السواحل بحمايتها من الافرنج ورجع سنقر الاشقر الى صهيون وفارقه كثير من عسكره الى فلحقوا بالشأم وأقام معه سنجر الدوادار وعز الدين اردين والامراء الذين مكنوه من قلاع الشأم عند انتقاضه والله سبحانه وتعالى أعلم

{مسير السلطان لحصار المرقب ثم الصلح معهم ومع سنقر الاشقر بصهيون ومع بنى الظاهر بالكرك}

كان الافرنج الذين بحصن المرقب عندما بلغهم هجوم التتر على الشأم شنوا الغارات فى بلاد المسلمين من سائر النواحى فلما رجع التتر عن الشأم استأذن بليان الطباخى صاحب حصن الاكراد فى غزوهم وسار اليهم فى حامية الحصون بنواحيه وجمع التركمان وبلغ حصن المرقب ووقف أسفله واستطرد له أهل الحصن حتى تورط فى أوعار الجبل ثم هجموا عليه دفعة فانهزم ونالوا من المسلمين وبلغ الخبر الى السلطان فخرج من مصر لغزوهم آخر سنة تسع وسبعين واستخلف ابنه مكانه وانتهى الى الروحاء فوصله هنالك رسل الافرنج فى تقرير الهدنة مع أهل المرقب على أن يطلقوا من أسروه من المسلمين فى واقعة بليان فعقد لهم فى المحرم سنة ثمانين وعقد لصاحب بيت الاستبار وابنه ولصاحب طرابلس سمند بن تمند ولصاحب عكا على بلادهم وعلى قلاع الاسماعيلية وعلى جميع البلاد المستجدة الفتح وما سيفتحه على أن يسكن عمال المسلمين باللاذقية وأن لا يستجدوا اسرقلعة ولا غيرها ولا يداخلوا التتر فى فتنة ولا يمروا عليهم الى بلاد المسلمين ان أطاقوا ذلك وعقد معهم ذلك لاحدى عشرة سنة وبعث السلطان من أمرائه من يستحلف الافرنج على ذلك وبلغه الخبر بأن جماعة من أمرائه أجمعوا الفتك به وداخلوا الافرنج فى ذلك وكان كبيرهم كوندك فلما وصل الى بيسان قبض عليه وعليهم وقتلهم واستراب من داخلهم فى ذلك ولحقوا بسنقر فى صهيون ودخل السلطان

دمشق و بعث العساكر لحصار شيزر ثم ترددت الرسل بينه وبين الاشقر في الصلح على أن ينزل عن شيزر ويتعوض عنها بالشغر وبكاس وعلى أن يقتصر في حامية الحصون التي لقطره على ستمائة من الفرسان فقط ويطرد عنه الامراء الذين لحقوا به فتم الصلح على ذلك وكتب له التقليد بتلك الاعمال ورجع من عنده سنجر الدوادار فأحسن اليه السلطان وولى على نيابة شيزر بلبان الطباخي وكان بنو الظاهر بالكرك يسألون السلطان في الصلح بالزيادة على الكرك كما كان السلطان داود فلما تم الصلح مع سنقر رجعوا الى القنوع بالكرك وبعث اليهم السلطان بأقاربهم من القاهرة وأتم لهم العقد على ذلك وبعث الامير سلحدار والقاضي تاج الدين بن الاثير لاستحلافهم والله تعالى أعلم

(واقعة التتر بحمص ومهلك ابغا سلطانهم باثرها)

ثم زحف التتر سنة ثمانين الى الشأم من كل ناحية متظاهرين فسار ابغا في عساكر المغل وجموع التتر وانتهى الى الرحبة فحاصرها ومعه صاحب ماردين وقدم أخوه منكوتمر في العساكر الى الشأم وجاء صاحب الشمال منكوتمر من بني دوشي خان من كرسيهم بصراي مظاهر الابغا بن هلاكو على الشأم فمر بالقسطنطينية ثم نزل بين قيسارية وتفليس ثم سار الى منكوتمر بن هلاكو وتقدم معه الى الشأم وخرج السلطان من دمشق في عساكر المسلمين وسابقهم الى حمص ولقيه هنالك سنقر الاشقر فيمن معه من أمراء الظاهرية وزحف التتر ومن معهم من عساكر الروم والافرنج والارمن والكرج ثمانون ألفا أو يزيدون والتقى الفريقان على حمص وجعل السلطان في ميمنته صاحب حماة محمد بن المظفر ونائب دمشق لاشين السلحدار وعيسى بن مهنا فيمن اليه من العرب وفي الميسرة سنقر الاشقر في الظاهرية مع جموع التركمان ومن اليهم جماعة من أمرائه وفي القلب نائبه حسام الدين طرنطاي والحاجب ركن الدين اباجي وجمهور العساكر والمماليك ووقف السلطان تحت الرايات في مواليه وحاشيته ووقفت عساكر التتر كراديس وذلك منتصف رجب سنة ثمانين واقتتلوا ونزل الصبر ثم انفضت ميسرة المسلمين واتبعهم التتر وانفضت ميسرة التتر ورجعوا على ملكهم منكوتمر في القلب فانهزم ورجع التتر من اتباع ميسرة المسلمين فمروا بالسلطان وهو ثابت في مقامه لم يبرح ورجع أهل الميرة ونزل السلطان في خيامه ورحل من الغد في اتباع العدو وأوعز الى الحصون التي في ناحية الفرات باعتراضهم على المقابر فعدلوا عنها وخاضوا الفرات في المجاهل فغرقوا ومر بعضهم بردسلمية فهلكوا وانتهى الخبر الى ابغا وهو على الرحبة فأجفل الى بغداد وصرف السلطان العساكر الى أماكنهم وسار سنقر

الاشقر الى مكانه بصهيون وتخلف عنه كثير من الظاهرية عند السلطان وعاد السلطان
الى دمشق ثم الى مصر آخر شعبان من السنة فبلغه الخبر بهلاك منكوتمر بن هلاكو
بهمذان ومنكوتمر صاحب الشمال بسراى فكان ذلك تماما للفتح ثم هلك ابغا بن هلاكو
سنة احدى وثمانين وكان سبب مهلكه فيما يقال انه اتهم شمس الدين الجوينى وزيره
باغتيال أخيه منكوتمر منصرفه من واقعة حمص فقبض عليه وامتحنه واستصفاه
فدس له الجوينى من سمه ومات وكان ابغا اتهم بأخيه أيضا أميرا من المغل كان شحنة
بالجزيرة ففر منها وأقام منمركا وبعث السلطان قلاون بعثا الى ناحية الموصل للاغارة
عليها وانتهوا الى سنجر فصادفوا هذا الامير وجاؤا به الى السلطان فحبسه ثم أطلقه وأثبت
اسمه فى الديوان وكان يحدث بكثير من أخبار التتر وكتب بعضها عنه وبعث السلطان
فى هذه السنة بعوثا أخرى الى نواحى سيس من بلاد الروم جزاء بما كان من الارمن
فى حلب ومساجدها فاكتسحوا تلك النواحى ولقيهم بعض أمراء التتر بمكان هنالك
فهزموه ووصلوا الى جبال بلغار ورجعوا غانمين وبعث السلطان شمس الدين قراسنقر
المنصورى الى حلب لاصلاح ماخرب التتر من قلعتها وجامعها فأعاد ذلك الى أحسن
ما كان عليه ثم أسلم ملوك التتر فبعث أولا بكدار بن هلاكو صاحب العراق
باسلامه وأنه تسمى أحمد وجاءت رسله بذلك الى السلطان وهم شمس الدين أتابك مسعود
ابن كيكاوس صاحب بلاد الروم وقطب الدين محمود الشيرازى قاضى شيواس
وشمس الدين محمد بن الصاحب من حاشية صاحب ماردين وكان كتابه مؤرخا بجمادى
سنة احدى وثمانين وحملوا على الكرامة وأجيب سلطانهم بما يناسبه ثم وصل رسول
قودان بن طقان المتولى بكرسى الشمال بعد أخيه منكوتمر سنة ثنتين وثمانين يخبر
بولايته ودخوله فى دين الاسلام ويطلب تقليد الخليفة واللقب منه والراية للجهاد فيمن
يليه من الكفار فأسعف بذلك والله سبحانه وتعالى أعلم

(استيلاء السلطان قلاون على الكرك وعلى صهيون ووفاة صاحب حماة)

ثم توفى المنصور محمد بن المظفر صاحب حماة فى شوال سنة ثنتين وثمانين وولى السلطان
ابنه المظفر وبعث بالخلع له ولاقاربه وسار السلطان قلاون الى الشام فى ربيع سنة
ثلاث وثمانين لمحاصرة المرقب بما فعلوه من ممالاة العدو فحاصره حتى استأمنوا اليه
وملك الحصن من أيديهم وانتظر وصول سنقر الاشقر من صهيون فلم يصل فرجع الى
مصر وجهز النائب حسام الدين طرنطاى فى العساكر لحصار الكرك بما وقع من
سلامش وخضر من الانتقاض فسار سنة خمس وثمانين وحاصرهم حتى استأمنوا
وجاء بهم الى السلطان فركب للقائهم وبالغ فى اكرامهم ثم ساءت سيرتهم فاستراب بهم

واعتقلهم وغربهم الى القسطنطينية وولى على الكرك عز الدين المنصورى وبعده بيبرس الدويدار مؤلف أخبار الترك ثم جهز السلطان ثانيا النائب طرنطاى بالعساكر لحصار سنقر الاشقر بصهيون لانتقاضه واغارته على بلاد السلطان فسار لذلك سنة ست وثمانين وحاصره حتى استأمن هو ومن معه وجاء به الى السلطان وأنزله بالقلعة ولم يزل عنده الى أن هلك السلطان فقبض عليه وولى ابنه الاشرف من بعده كما نذكره ان شاء الله تعالى

(وفاة ميخاييل ملك القسطنطينية)

قد تقدم لنا كيف تغلب الافرنج على القسطنطينية من يد الروم سنة ستمائة وكان ميخاييل هذا من بطارقتهم أقام فى بعض الحصون بنواحيها فلما أمكنته الفرصة بيتها وقتل من كان بها من الافرنج وفر الباقون فى مراكبهم واجتمع الروم الى ميخاييل هذا وملكوه عليهم وقتل الملك الذى قبله وكان بينه وبين صاحب مصر والناصر قلاون من بعده اتصال ومهاداة ونزل بنو الظاهر عليه عندما غربوا من مصر ثم مات ميخاييل سنة احدى وثمانين وولى ابنه ماندرو ويلقب الراونس وميخاييل هذا يعرف بالاشكرى وبنوه من بعده بنو الاشكرى وهم ملوك القسطنطينية الى هذا العهد والله تعالى يؤيد بنصره من يشاء من عباده

(أخبار النوبه)

كان الملك الظاهر وفد عليه أعوام سنة خمس وسبعين ملك النوبة من تشكيل مستنجدا به على ابن أخيه داود لما كان تغلب عليه وانتزع الملك من يده فوعده السلطان وأقام ينتظر واستفحل ملك داود وتجاوز حدود مملكته الى قرب اسوان من آخر الصعيد فجهز السلطان العساكر اليه مع اقسنقر الفارقانى وايبك الافرم أستاذداره وأطلق معهم مرتشكين ملك النوبة فساروا والذلك واستنفروا العرب وانتهوا الى رأس الجنادل واستولوا على تلك البلاد وأمنوا أهلها وساروا فى البلاد فلقيهم داود الملك فهزموه وأثخنوا فى عساكره وأسروا أخاه وأخته وأمه وسار الى مملكة السودان بالابواب وراءه فقاتله ملكها وهزمه وأسره وبعث به مقيدا الى السلطان فاعتقل بالقلعة الى أن مات واستقر مرتشكين فى سلطان النوبة على جراية مفروضة وهدايا معلومة فى كل سنة وعلى أن تكون الحصون المجاورة لاسوان خالصة للسلطان وعلى أن يمكن ابن أخيه داود وجميع أصحابه من كل مالهم فى بلادهم فوفى بذلك ثم مات الظاهر وانقرضت دولته ودولة بنيه وانتقل الملك الى المنصور قلاون فبعث سنة ست وثمانين

العساكر الى النوبة مع علم الدين سنجر الخياط وعز الدين الكورانى وسار معهم نائب قوص عز الدين ايدمر السيفى بعد ان استنفر العربان أولاد أبى بكر وأولاد عمر وأولاد شريف وأولاد شيبان وأولاد كنز الدولة وجماعة من الغرب وبنى هلال وساروا على العدوة الغربية والشرقية فى دنقلة وملكهم يتمامون هكذا اسماه النويرى وأظنه أخا مرتشكين وبرز والعساكر فهزمتهم واتبعتهم خمسة عشر يوما وراء دنقلة ورتب ابن أخت يتمامون فى الملك ورجعت العساكر الى مصر فجاء يتمامون الى دنقلة فاستولى على البلاد ولحق ابن أخته بمصر صريخا بالسلطان فبعث معه عز الدين ايبك الافرم فى العساكر ومعه ثلاثة من الامراء وعز الدين نائب قوص وذلك سنة ثمان وثمانين وبعثوا المراكب فى البحر بالازودة والسلاح ومات ملك النوبة باسوان ودفن بها وجاء نائبه صريخا الى السلطان فبعث معه داود بن أخى مرتشكين الذى كان أسيرا بالقاهرة وتقدم جريس بين يدى العساكر فهرب يتمامون وامتنع بجزيرة وسط النيل على خمس عشرة مرحلة وراء دنقلة ووقفت العساكر على ساحل البحر وتعذر وصول المراكب الى الجزيرة من كثرة الحجر وخرج يتمامون منها فلحق بالابواب ورجع عنه أصحابه ورجعت العساكر الى دنقلة فملكوا داود ورجعوا الى مصر سنة تسع وثمانين لتسعة أشهر من مسيرهم بعد ان تركوا أميرا منهم مع الملك داود ورجعوا الى مصر ورجع يتمامون الى دنقلة وقتل داود وبعث الامير الذى كان معهم الى السلطان وحمله رغبة فى الصلح على أن يؤدى الضريبة المعلومة فأسعف لذلك واستقر فى ملكه انتهى والله تعالى أعلم

(فتح طرابلس)

كان الافرنج الذين بها قد نقضوا الصلح وأغاروا على الجهات فاستنفر السلطان العساكر من مصر والشأم وازاح عللهم وجهز آلات الحصار وسار اليها فى محرم سنة ثمان وثمانين فحاصرها ونصب عليها المجانيق وفتحها عنوة لاربعة وثلاثين يوما من حصارها واستباحها وركب بعضهم الشوانى للنجاة فردتهم الريح الى السواحل فقتلوا وأسروا وأمر السلطان بتخريبها فخربت وأحرقت وفتح السلطان ما اليها من الحصون والمعاقل وأنزل حاميتها وعاملها بحصن الاكراد ثم اتخذ حصنا آخر لنزل النائب والحامية فى العمل وسمى باسم المدينة وهو الموجود لهذا العهد وكان من خبر هذه المدينة من لدن الفتح ان معاوية أيام ولايته الشأم لعهد عثمان بن عفان رضى الله عنه بعث اليها سفيان بن مخنف الازدى فحاصرها وبنى عليها حصنا حتى جهد أهلها الحصار وهربوا منها فى البحر وكتب

سفيان الى معاوية بالفتح وكان يبعث العساكر كل سنة للمرابطة بها ثم جاء الى عبد الملك ابن مروان بطريق من الروم وسأله في عمارتها والنزول بها مع معاهدته على أن يعطيه الخراج فأجابه وأقام قليلا ثم غدر بمن عنده من المسلمين وذهب الى بلاد الروم فصادفته سفن الى المسلمين في البحر وقتله عبد الملك ويقال الوليد وملكها المسلمون وبقي الولاة يملكونها من دمشق الى أن جاءت دولة العبيديين فافردوها بالولاية ووليها ريان الخادم ثم سر الدولة ثم أبو السعادة على بن عبد الرحمن بن جبارة ثم نزال ثم مختار الدولة بن نزال وهؤلاء كلهم من أهل دولته ثم تغلب قاضيها أمين الدولة ابو طالب الحسن بن عمار وتوفي سنة أربع وستين واربعمائة وكان من فقهاء الشيعة وهو الذي صنف الكتاب الملقب بخراب الدولة ابن منقذ بن كود فقام بولاية أخيه أبي الحسن بن محمد بن عمار ولقبه جلال الدين وتوفي سنة اثنتين وتسعين صنجيل من ملوكهم واسمه ميمنت ومعناه ميمون وصنجيل اسم مدينة عرف بها وأقام صنجيل يحاصرها طويلا وعجز ابن عمار عن دفاعه ثم قصد سلطان السلجوقية بالعراق محمد بن ملكشاه مستنجدا به واستخلف بالمناقب ابن عمه على طرابلس ومعه سعد الدولة فتيان بن الاغر فقتله أبو المناقب ودعا للافضل بن أمير الجيوش المستبد على خلفاء العبيديين بمصر لذلك العهد ثم هلك صنجيل وهو محاصر لها وولي مكانه السرداني من زعمائهم وبعث الافضل قائدا الى طرابلس فأقام بها وشغل عن مدافعة العدو بجمع الاموال ونمى عنه الى الافضل أنه يروم الاستبداد فبعث آخر مكانه ونافر أهل البلد وسيرته فتبين وصول المراكب من مصر بالمدد وقبض على اعيانهم وعلى مخلف فخر الملك بن عمار من أهله وولده وبعث بهم الى مصر وجاء فخر الملك بن عمار بعد ان قطع حبل الرجاء في يده من انجاد السلجوقية لما كانوا فيه من الشغل بالفتنة ورعى عليه بعضهم بولاية الوزارة له ثم رجع الى دمشق سنة ثنتين وخمسمائة ونزل على طغتكين الاتابك ثم ملكها السرداني سنة ثلاث وخمسمائة بعد حصارها سبع سنين وجاء ابن صنجيل من بلاد الافرنج فملكها منه واقامت في مملكته نحوا من ثلاثين سنة ثم ثار عليه بعض الزعماء وقتله   بطرس الاعور واستخلف في طرابلس القوش بطرا ثم كانت الواقعة بين صاحب القدس ملك الافرنج وبين زنكي الاتابك صاحب الموصل وانهزم الافرنج وأسر القوش في تلك الوقعة ونجا ملك الافرنج الى تغريب فتحصن بها وحصره زنكي حتى اصطلحا على أن يعطي تغريب و يطلق زنكي الاسرى في الواقعة فانطلق القوش الى طرابلس فأقام بها مدة ووثب الاسماعيلية به فقتلوه وولي بعده رهند صبيا وحضر مع الافرنج سنة سبع وخمسين وقعة حارم التي هزمهم فيها العادل وأسر رهند ومشذو بقي في اعتقاله الى أن ملك صلاح الدين يوسف

ابن أيوب فأطلقه سنة سبعين وخمسمائة ولحق بطرابلس ولم تزل في ملكه وملك ولده الى أن فتحها المنصور سنة ثمان وثمانين كما مر والله تعالى أعلم

(انشاء المدرسة والمارستان بمصر)

كان المنصور قلاون قد اعتزم على انشاء المارستان بالقاهرة لذا لاماكن حتى وقف نظره على الدار القطبية من قصور العبيديين وما يجاورها من القصرين واعتمد انشاءه هنالك وجعل الدار أصل المارستان وبنى بازائه مدرسة لتدريس العلم وقبة لدفنه وجعل النظر في ذلك لعلم الدين الشجاعي فقام بانشاء ذلك لاقرب وقت وكملت العمارة سنة اثنين وثمانين وستمائة ووقف عليها املاكا وضياعا بمصر والشأم وجلس بالمارستان في يوم مشهود وتناول قدحا من الاشربة الطبية وقال وقفت هذا المارستان على مثلي فمن دوني من أصناف الخلق فكان ذلك من صالح آثاره والله أعلم

(وفاة المنصور قلاون وولاية ابنه خليل الاشرف)

كان المنصور قلاون قد عهد لابنه علاء الدين ولقبه الصالح وتوفي سنة سبع وثمانين فولى العهد مكانه ابنه الآخر خليل ثم انتقض الافرنج بعكا وأغاروا على النواحي ومرت بهم رفقة من التجار برقيق من الروم والترك جلبوهم للسلطان فنهبوهم وأسروهم فاجمع السلطان غزوهم وخرج في العساكر بعد الفطر من سنة تسع وثمانين واستخلف ابنه خليلا على القاهرة ومعه زين الدين سيف وعلم الدين الشجاعي الوزير وعسكر بظاهر البلد فطرقه المرض ورجع الى قصره فمرض وتوفي في ذي القعدة من السنة فبويع ابنه خليل ولقب الاشرف وكان حسام الدين طرنطاي نائب المنصور اليه فاقره وأشرك معه زين الدين سيف في نيابة العتبة وأقر علم الدين الشجاعي على الوزارة وبدر الدين بيدو استاذداره وعز الدين ايبك خزندارا وكان حسام الدين لاشين السلحدار نائبا بدمشق وشمس الدين قراسنقر الجوكندار نائبا بحلب فاقرهما وجميع ما كان بالشأم من ولاة أبيه ثم قبض على النائب حسام الدين طرنطاي لايام قلائل وقتله واستولى على مخلفه وكان لا يعبر عنه كان الناض منها ستمائة ألف دينار وحملت كلها للخزانة واستقل بدر الدين بالنيابة وبعث الى محمد بن عثمان بن السلعوس من الحجاز فولاه الوزارة وكان تاجرا من تجار الشأم وتقرب له أيام أبيه واستخدم له فاستعمله في بعض اقطاعه بالشأم ووفر جبايتها فولاه ديوانه بمصر فاسرف في الظلم وأنهى أمره الى طرنطاي النائب فصادره المنصور وامتحنه ونفاه عن الشأم وحج في هذه السنة

وولى الاشرف فكان أول أعماله البعث عنه وولاه الوزارة فبلغ المبالغ في الظهور وعلو الكلمة واستخدم الخواص له وترفع عن الناس واستقل الرتب وقبض الاشرف على شمس الدين سنقر وحبسه وكان قد قبض مع طرنطاى النائب عن عز الدين سيف لما بلغه أنه يدبر عليه مع طرنطاى ثم ثبتت عنده براءته فأطلقه والله تعالى أعلم

(فتح عكا وتخريبها)

ثم سار الاشرف أول سنة تسعين وستمائة لحصار عكا متمما عزم أبيه فيها فجهز العساكر واستنفر أهل الشأم وخرج من القاهرة فأغذ السير الى عكا وافاه بها أمراء الشأم والمظفر بن المنصور صاحب حماة فحاصرها ورماها بالمجانيق فهدم كثيرا من أبراجها وتلاها المقاتلة لاقتحامها فرشقوهم بالسهام فا من اللبود وزحفوا في كنها وردموا الخندق بالتراب فحمل كل واحد منهم ما قدر عليه حتى طموه وانتهوا الى الابراج المتقدمة فالصقوها بالارض واقتحموا البلد من ناحيتها واستلحموا من كان فيها وأكثروا القتل والنهب ونجا الفل من العدو الى ابراجها الكبار التي بقيت ماثلة فحاصرها عشرا آخر ثم اقتحمها عليهم فاستوعبهم السيف وكان الفتح منتصف جمادى سنة سبعين لمائة وثلاث سنين من ارتجاع الكفار لها من يد صلاح الدين سنة سبع وثمانين وخمسمائة وأمر الاشرف بتخريبها فخربت وبلغ الخبر الى الافرنج بصور وصيدا وعثلية وحيفا فأجفلوا عنها وتركوها خاوية ومر السلطان بها وأمر بهدمها فهدمت جميعا وانكفأ راجعا الى دمشق وقبض في طريقه على لاشين نائب دمشق لان بعض الشياطين أوحى اليه ان السلطان يروم القتل به فركب للفرار واتبعه علم الدين سنجر الشجاعي وسار الى بيروت ففتحها ومر السلطان بالكرك فاستعفى نائبها ركن الدين بيبرس الدوادار وهو المؤرخ فولى مكانه جمال الدين اقسنز الاشرفي ورجع السلطان الى القاهرة فبعث شلامش وخسرو ابني الظاهر من محبسهما بالاسكندرية الى القسطنطينية ومات شلامش هنالك وأفرج عن شمس الدين سنقر الاشقر وحسام الدين لاشين المنصورى اللذين اعتقلهما كما قدمناه وقبض على علم الدين سنجار نائب دمشق وسيق الى مصر معتقلا وأمر السلطان ببناء الرفوف بالقلعة على أوسع ما يكون وارفعه وبنى القبة بازائه لجلوس السلطان أيام الزينة والفرح فبنيت مشرفة على سوق الخيل والميدان والله سبحانه وتعالى أعلم

(فتح قلعة الروم)

ثم سار السلطان سنة احدى وتسعين في عساكره الى الشأم بعد ان أفرج عن حسام

الدين لاشين ورده الى امارته وانتهى الى دمشق ثم سار الى حلب ثم دخل منها الى قلعة الروم فحاصرها فى جمادى من السنة وملكها عنوة بعد ثلاثين يوما من الحصار وقاتل المقاتلة الذرية وخرب القلعة وأخذ فيها بترك الارمن أسيرا وانكفأ السلطان راجعا الى حلب فأقام بها شعبان وولى عليها سيف الدين الطباخى نائبا. كان قراسنقر الظاهرى لانه ولاه مقدم المماليك ورحل الى دمشق فقضى بها عيد الفطر واستراب لاشين النائب فهرب ليلة الفطر وأركب السلطان فى طلبه وتقبض عليه بعض العرب فى حيه وجاء به الى السلطان فبعثه مقيدا الى القاهرة وولى على نيابة دمشق عز الدين ايبك الحموى عوضا عن علم الدين سنجر الشجاعى ورجع الى مصر فافرج عن علم الدين سنجر الشجاعى وتوفى لسنة بعد اطلاقه ثم قبض على سنقر الاشقر وقتله وجمع نائبه بيدو ببراءة لاشين فاطلقه وتوفى ابن الاثير بعد شهر فولى مكانه ابنه عماد الدين أيوب وكان أيوب قد اعتقله المنصور لاول ولايته فأطلقه الاشرف هذه السنة لثلاث عشرة سنة من اعتقاله واستخلصه للمجالسة والشورى وتوفى القاضى فتح الدين محمد بن عبد الله بن عبد الظاهر كاتب السر وصاحب ديوان الانشاء وله التقدم عنده وعند أبيه فولى مكانه فتح الدين أحمد بن الاثير الحلبى وترك ابن عبد الظاهر ابنه علاء الدين عليا فالتى عليه النعمة منتظما فى جملة الكتاب ثم سار السلطان الى الصعيد يتصيد واستخلف بيدو النائب على دار ملكه وانتهى الى قوص وكان ابن السلعوس قد دس اليه بان بيدو احتجن بالصعيد من الزرع مالا يحصى فوقف هنالك على مخازنها واستكثرها وارتاب بيدو لذلك ولما رجع الاشرف الى مصر ارتجع منه بعض اقطاعه وبقى بيدو مرتابا من ذلك وأتحف السلطان بالهدايا من الخيام والهجن وغيرهما والله تعالى أعلم

(مسير السلطان الى الشأم وصلح الارمن ومكثه فى مصيا وهدم الشوبك)

ثم تجهز السلطان سنة ثنتين وتسعين الى الشأم وقدم بيدو النائب بالعساكر وعاج على الكرك على الهجن فوقف عليها وأصلح من أمورها ورجع ووصل الى الشأم فوافاه رسول صاحب سيس ملك الارمن راغبا فى الصلح على أن يعطى تهسنا ومرعش وتل حمدون فعقد لهم على ذلك وملك هذه القلاع وهى فى فم الدرب من ضياع حلب وكانت تهسنا للمسلمين ولما ملك هلاكو حلب باعها النائب من ملك الارمن سيس ثم سار السلطان الى حمص ووصل اليها فى رجب من السنة ومعه المظفر صاحب حماة ونزل سلمية ولقيه مهنا بن عيسى أمير العرب فقبض عليه وعلى أخويه محمد وفضل وابنه موسى وبعثهم معتقلين مع لاشين الى دمشق ومن هنالك الى مصر فحبسوا بها وولى على

المغرب مكانهم محمد بن أبي بكر علي بن جديلة وأبو زوهو بحمص لمحاصرة الكرك بهدم قلعة الشوبك فهدمت وانكفأ راجعا الى مصر وقدم العساكر مع بيدرو بيا في الساقة على اليمين مع خواصه ولما دخل على مصر أفرج عن لاشين المنصوري والله تعالى أعلم

(مقتل الاشرف وولاية أخيه محمد الناصر في كفالة كيبغا)

كان النائب بيدرو مستوليا على الاشرف والاشرف مستريب به حتى كأنه مستبد وكان مستوحشا من الاشرف واعتزم الاشرف سنة ثلاث وتسعين على الصيد في البحيرة فخرج اليها وبعث وزيره ابن السلعوس للاسكندرية لتحصيل الاموال والاقمشة فوجد بيدرو قد سبقوا اليها واستصفوا ما هنالك فكاتب السلطان بذلك فغضب واستدعى بيدرو فوبخه وتوعده ولم يزل هو يلاطفه حتى كسر من سورة غضبه ثم خلص الى أصحابه وداخلهم في التوثب به وتولى كبر ذلك منهم لاشين المنصوري نائب دمشق وقراسنقر المنصوري نائب حلب وكان الامراء كلهم حاقدين على الاشرف لتقديمه حاشيته عليهم ولما كتب اليه السلعوس بقلة المال صرف مواليه الى القلعة تخففا من النفقة وبقي في القليل وركب بعض أيامه يتصيد وهو مقيم على فرجة فاتبعوه وأدركوه في صيده فأوجس في نفسه الشر منهم فعاجلوه وعلوه بالسيوف ضربه أولا بيدرو وثنى عليه لاشين وتركوه مجندلا بمصرعه منتصف محرم من السنة ورجعوا الى المخيم وقد أبرموا أن يولوا بيدرو فولوه ولقبوه القاهر وتقبض على بيسري الشمسي وسيف الدين بكتمر السلحدار واحتملوهما وساروا الى قلعة الملك وكان زين الدين سيف قد ركب للصيد فبلغه الخبر في صيده فسار في اتباعهم ومعه سوس الجاشنكير وحسام الدين استاذدار وركن الدين سوس وطقجي في طائفة من الجاشنكيرية وادركوا القوم على الطرانة ولما عاينهم بيدرو وبيسري وبكتمر المعتقلين في المخيم رجعوا الى كيبغا وأصحابه وفر عن بيدرو من كان معه من العربان والجند وقاتل قليلا ثم قتل ورجع برأسه على القناة وافترق أصحابه قراسنقر ولاشين بالقاهرة ويقال ان لاشين كان مختفيا في مأذنة جامع ابن طولون ووصل كيبغا وأصحابه الى القلعة وبها علم الدين الشجاعي واستدعوا محمد بن قلاون أخا الاشرف وبايعوه ولقبوه الناصر وقام بالنيابة كيبغا وبالاتابكية حسام الدين وبالوزارة علم الدين سنجر وبالاستاذدارية ركن الدين سوس الجاشنكير واستبدوا بالدولة فلم يكن الناصر يملك معهم شيأ من أمره وجدوا في طلب الامراء الذين داخلوا بيدرو في قتل الاشرف فاستوعبوهم بالقتل والصلب والقطع وكان بهادر رأس نوبة وأقوش الموصلي فقتلا وأحرقت

أشلاؤهما وشفع كيبغا في لاشين وقراسنقر المتولين كبر ذلك فظهرا من الاختفاء وعادا الى محلهما من الدولة ثم تقبض على الوزير محمد بن السلعوس عند وصوله من الاسكندرية وصادره الوزير الشجاعي وامتحنه فمات تحت الامتحان وأفرج عن عز الدين ايبك الافرم الصالحي وكان الاشرف اعتقله سنة ثنتين وتسعين والله سبحانه وتعالى أعلم

(وحشة كيبغا ومقتل الشجاعي)

ثم ان الشجاعي لطف محله من الناصر واختصه بالمداخلة وأشار عليه بالقبض على جماعة من الامراء فاعتقلهم وفيهم سيف الدين كرجي وسيف الدين طوغجي وطوى ذلك عن كيبغا وبلغه الخبر وهو في موكب بساحة القلعة وكان الامراء يركبون في خدمته فاستوحش وارتاب بالشجاعي وبالناصر ثم جاء بعض مماليك الشجاعي الى كيبغا في الموكب وجرد سيفه لقتله فقتله مماليكه وتأخر هو ومن كان معه من الامراء عن دخول القلعة وتقبضوا على سوس الجاشنكير استاذ دار وبعثوا به الى الاسكندرية ونادوا في العسكر فاجتمعوا وحاصروا القلعة وبعث اليهم السلطان أمرا فشرطوا عليه أن يمكنهم من الشجاعي فامتنع وحاصروه سبعا واشتد القتال ونزل من كان بقي في القلعة من العسكر الى كيبغا وخرج الشجاعي لمدافعتهم فلم يغن شيأ ورجع الى السلطان وقد شامره الرعب فطلب أن يحبس نفسه فمضى به المماليك الى السجن وقتلوه في طريقهم وبلغ الخبر الى كيبغا ومن كان معه فذهبت عنهم الهواجس واستأمنوا السلطان فأمنهم واستحلفوه فحلف لهم ودخلوا الى القلعة وافاض كيبغا العطاء في الناس وأخرج من كان في الطباق من المماليك بمداخلة الشجاعي فأنزلهم الى البلد بقناطر الكسر ودار الوزارة والجوار وكانوا نحوا من تسعة آلاف فأقاموا بها ولما كان المحرم فاتح سنة أربع وتسعين اتعدوا ليلة وركبوا فيها جميعا وأخرجوا من كان في السجون ونهبوا بيوت الامراء واعجلهم الصبح عن تمام قصدهم وباكرهم الحاجب بهادر ببعض العساكر فهزمهم وافترقوا وتقبض على كثير منهم فأخذ منهم العقاب مأخذه قتلا وضربا وعزلا وأفرج عن عز الدين ايبك الافرم وأعيد الى وظيفته أمير   ثم هلك قريبا واستحكم أمر السلطان ونائبه كيبغا وهو مستبد عليه واستمر الحال على ذلك الى ان كان ما نذكره ان شاء الله تعالى والله تعالى ولي التوفيق

(خلع الناصر وولاية كيبغا العادل)

ولما وقعت الوحشة بين كيبغا والشجاعي وتلتها هذه الفتنة استوحش كيبغا في ظاهر أمره وانقطع عن دار النيابة متمارضا وتردد السلطان لعيادته ثم حمل بطانته على الاستبداد بالملك والجلوس على التخت وكان طموحا لذلك من أول أمره فجمع الامراء ودعاهم الى بيعته فبايعوه وخلع الناصر وركب الى دار السلطان فجلس على التخت وتلقب بالعادل وأخرج السلطان من قصور الملك وكان مع أمه ببعض الحجر وولى حسام الدين لاشين نائبا والصاحب فخر الدين عمر بن عبد العزيز الخليلي الدار وزيرا نقله اليها من النظر في الديوان لعلاء الدين ولى العهد ابن قلاون وعز الدين ايبك الافرم الصالحي أمير جندار وبهادر الحلبي أمير حاجب وسيف الدين مغاص استاذدار وقسم امارة الدولة بين مماليكه وكتب الى نواب الشأم بأخذ البيعة فاجابوا بالسمع والطاعة وقبض على عز الدين ايبك الخازندار نائب طرابلس وولى مكانه فخر الدين ايبك الموصلي وكان الخازندار ينزل حصن الاكراد ونزل الموصلي بطرابلس وعادت دار امارة ثم وفد سنة خمس وتسعين على العادل كيبغا طائفة من التتر يعرفون بالاريدانية ومقدمهم طرنطاى كان مداخلا لبيدو لى كتخاب ابن عمه ملك التتر فلما سار الملك الى غازان خافه طرنطاى وكانت احياؤه بين غازان والموصل وأوعز غازان الى التتر الذين من ماردين بكن فأخذ الطرق عليهم وبعث قطقوا من أمرائه للقبض على طرنطاى ومن معه من أكابر قبيله فسار لذلك في ثمانين فارسا فقتله طرنطاى وأصحابه وعبروا الفرات الى الشأم واتبعهم التتر من ديار بكر فكروا عليهم فهزموهم وأمر العادل سنجر الدوادار أن يتلقاهم بالرحب واحتفل نائب دمشق لقدومهم ثم ساروا الى مصر فتلقاهم شمس الدين قراسنقر وكانوا يجلسون مع الامراء بباب القلعة فأنفوا الذلك وكان سببا لخلع العادل كما نذكر ووصل على اثرهم بقية قومهم بعد أن مات منهم كثير ثم رسخوا في الدولة وخلطهم الترك بأنفسهم وأسلموا واستخدموا أولادهم وخلطوهم بالصهر والولاء والله سبحانه وتعالى اعلم

(خلع العادل كيبغا وولاية لاشين المنصور)

كان أهل الدولة نقموا على السلطان كيبغا العادل تقديم مماليكه عليهم ومساواة الاريدانية من التتر بهم فتفاوضوا على خلعه وسار الى الشأم في شوال سنة خمس وتسعين فعزل عز الدين ايبك الحموى نائب دمشق واستصفاه وولى مكانه سيف الدين عزلو من مواليه ثم سار الى حمص متصيدا ولقيه المظفر صاحب حماة فأكرمه ورده الى بلده وسار الى مصر والامراء مجمعون خلعه والفتك بمماليكه وانتهى الى

العوجاء من أرض فلسطين وبلغه عن بيسري الشمسي انه كاتب التتر فنكر عليه
واغلظ له في الوعيد وارتاب الامراء من ذلك وتشت رجالاتهم واتفقوا وركب حسام
الدين لاشين وبدر الدين بيسري وشمس الدين قراسنقر وسيف الدين قفجاق وبهادر
الحلبي الحاجب وبكتاش الفخري وبيليك الخازندار واقوش الموصلي وبكتمر السلحدار
وسلار وطغجي وكرجي ومعطاي ومن انضاف اليهم بعد ان بايعوا الاشين وقصدوا
مخيم بكتوت الازرق فقتلوه وجاءهم مجاص فقتلوه أيضا وركب السلطان كيبغا في
القبقه فحملوا عليه فانهزم الى دمشق وبايع القوم لاشين ولقبوه المنصور وشرطوا عليه
أن لا ينفرد عنهم برأي فقبل وسار الى مصر ودخل القلعة ولما وصل كيبغا الى دمشق
لقيه نائبه سيف الدين غرلو وأدخله القلعة واحتاط على حواصل لاشين والامراء
الذين معه وأمن جماعة من مواليه ووصلت العساكر التي كانت مجردة بالرحبة
ومقدمهم جاغان وكانوا قد داخلوا الاشين في شأنه ونزلوا ظاهر دمشق واتفقوا على
بيعة لاشين وأعلنوا بدعوته وانحل أمر العادل وسأل ولاية صرخد وأتي بيده فحبس
بالقلعة لسنتين من ولايته وبعث الامراء ببيعتهم للاشين ودخل سيف الدين جاغان الى
القلعة ثم وصل كتاب لاشين بيعته الى مصر وبعث الى كيبغا بولاية صرخد كما سأل
ووصل قفجق المنصوري نائبا عن دمشق وأفرج لاشين بمصر عن ركن الدين بيبرس
الجاشنكير وغيره من المماليك وولى قراسنقر نائبا وسيف الدين سلار استاذدار وسيف
الدين بكتمر السلحدار أمير جاندار وبهادر الحلبي صاحب وأقر فخر الدين الخليلي
على وزارته ثم عزله وولى مكانه شمس الدين سنقر الاشقر وقبض على قراسنقر النائب
وسيف الدين سلار استاذدار آخر سنة ست وتسعين وولى مكانه سيف الدين منكوتمر
الحسامي مولاه واستعمل سيف الدين قفجق المنصوري نائبا ثم أمر بتجديد عمارة
جامع ابن طولون وندب لذلك علم الدين سنجر الدوادار وأخرج للنفقة فيه من خالص ماله
عشرين ألف دينار ووقف عليه املاكا وضياعا ثم بعث سنة تسع وتسعين بالناصر
محمد بن قلاون الى الكرك مع سيف الدين سلار استاذدار وقال لزين الدين ابن مخلوف
فقيه بيته هو ابن استاذي وأنا نائبه في الامر ولو علمت أنه يقوم بالامر لاقمته وقد
خشيت عليه في الوقت فبعثته الى الكرك فوصلها في ربيع وقال النووي انه بعث معه
جمال الدين بن أقوش ثم قبض السلطان في هذه السنة على بدر الدين بيسري الشمسي
بسعاية منكوتمر نائبه لان لاشين أراد أن يعهد اليه بالامر فرده بيسري عن ذلك
وقبحه عليه فدس منكوتمر بعض مماليك بيسري واتهموا الى السلطان أنه يريد الثورة
فقبض عليه آخر ربيع الثاني من السنة وأودعه السجن فمات في محبسه وقبض في

هذه السنة على بهادر الحلبي وعلى عز الدين ايبك الحموى ثم أمر فى هذه السنة بروك الاقطاعات فى النواحى وبعث الامراء والكتاب لذلك وتولى ذلك عبد الرحمن الطويل مستوفى الدولة وقال مؤرخ حماة المؤيد كانت مصر منقسمة على أربعة وعشرين قيراطا أربعة منها للسلطان والكلف والرواتب وعشرة للامراء والاطلاقات والزيادات وعشرة للاجناد الحلقة فصيروها عشرة للامراء والاطلاقات والزيادات والاجناد وأربعة عشر للسلطان فضعف الجيش وقال النووى قرر الخاص فى الروك الجيزة واطفيح ودمياط ومنفلوط والكوم الاحمر وحوات السنة انا راجية من سنة ست وتسعين وهذا فى العدد انما هو بعد انقضاء ثلاثة وثلاثين سنة واحدة وهى تفاوت ما بين السنين الشمسية والقمرية وهو حجة ديوان الجيش فى انقضاء التفاوت الجيشى وهو تحويل بالاقلام فقط وليس فيه نقص شئ ثم أقطعت البلاد بعد الروك واستثنيت المراتب الجسرية والرزق الاحباسية انتهى كلام النووى رحمه الله والله تعالى أعلم

(فتح حصون سيس)

ولما ولى سيف الدين منكوتمر النيابة وكان مختصا بالسلطان استولى على الدولة وطلب من السلطان أن يعهد له بالملك فنكر ذلك الامراء وتنوا عنه السلطان فتنكر لهم منكوتمر وأكثر السعاية فيهم حتى قبض على بعضهم وتفرق الآخرون فى النواحى وبعث السلطان جماعة منهم سنة سبع وتسعين لغزو سيس وبلاد الارمن كان منهم بكتاش أمير سلاح وقراسنقر وبكتمر السلحدار وتدلار وتمرازومعهم الالفى نائب صفد فى العساكر ونائب طرابلس ونائب حماة ثم أردفهم بعلم الدين سنجر الدوادار وجاءت رسل صاحب سيس وأغاروا عليها ثلاثة أيام واكتسحوها ثم مروا ببغراس ثم بمرج انطاكية وأقاموا بها ثلاثا وتروا بجسر الحديد بلاد الروم ثم قصدوا تل حمدون فوجدوها خاوية وقد انتقل الارمن الذين بها الى قلعة النجيمة وفتحوا قلعة مرعش وحاصروا قلعة النجيمة أربعين يوما وافتتحوها صلحا وأخذوا احد عشر حصنا منها المصيصة وحموم وغيرهما واضطرب أهلها من الخوف فأعطوا طاعتهم ورجع العساكر الى حلب وبلغ السلطان لاشين أن التتر قاصدون الشأم فجهز العساكر الى دمشق مع جمال الدين أقوش الافرم وأمره أن يخرج العساكر من دمشق الى حلب مع قفجق النائب فسار الى حمص وأقام بها ثم بلغهم الخبر برجوع التتر ووصل أمر السلطان الى سيف الدين الطباخى نائب حلب بالقبض على بكتمر السلحدار والالفى نائب صفد وجماعة من الامراء بحلب بسعاية بكتمر وحاول الطباخى ذلك فتعذر عليه ورزندلار الى بنارفتوفى بها وأقام الآخرون وشعروا بذلك فلحقوا بقفجق النائب على حمص

فآمنهم وكتب الى السلطان يشفع فيهم فأبطأ جوابه وعزله سيف الدين كرجي وعلاء الدين ايدغري من اجارتهم فاستراب وولى السلطان مكانه على دمشق جاغان فكتب الى قفجق بطلبهم فنفروا وافترق عسكره وعبر الفرات الى العراق ومعه أصحابه بعد ان قبضوا على نائب حمص واحتملوه ولحقهم الخبر بقتل السلطان لاشين وقد توغلوا في بلاد العدو فلم يمكنهم الرجوع ووفدوا على غازان بنواحي واسط وكان قفجق من جند التتر وأبوه من جند غازان خصوصا ولما وقعت الفتنة بين لاشين وغازان وكان فيروز أتابك غازان مستوحشا من سلطانه فكاتب لاشين في اللحاق به واطلع سلطانه على كتبه فأرسل الى قطلوشاه نائب حران فقبض على فيروز وقتله وقتل غازان أخويه في بغداد والله تعالى أعلم

(مقتل لاشين وعود الناصر محمد بن قلاوون الى ملكه)

كان السلطان لاشين قد فوض امر دولته الى مولاه منكوتمر فاستطال وطمع في الاستبداد ونكره الامراء كما قدمناه فأغرى السلطان بهم وشردهم كل متشرد بالنكبة والابعاد وكان سيف الدين كرجي من الجاشنكير ومقدما عليهم كما كان قراسنقر مع الاشرف وكان جماعة المماليك مخصوصين عليه وسعى منكوتمر في نيابته على القلاع التي افتتحت من الارمن ببلاد سيس فاستعفى من ذلك وأسرها في نفسه وأخذ في السعاية على منكوتمر وظاهره على أمره قفجي من كبار الجاشنكيرية وكان لطقجي صهر من كبار الجاشنكيرية اسمه طنطاي أغلظ لمنكوتمر يوما في المخاطبة فامتعض وفزع الى كرجي وطقجي فاتفقوا على اغتيال السلطان وقصدوه ليلا وهو يلعب بالشطرنج وعنده حسام الدين قاضي الحنفية فأخبره كرجي بغلق الابواب على المماليك فشكره ولم يزل يتصرف أمامه حتى ستر سيفه بمنديل طرحه عليه فلما قام السلطان لصلاة العتمة تجاهاعنه وعلاه بالسيف وافتقد السلطان سيفه فتعاوروه بسيوفهم حتى قتلوه وهموا بقتل القاضي ثم تركوه وخرج كرجي الى طقجي بمكان انتظاره وقصدوا منكوتمر وهو بدار النيابة فاستجار بطقجي فأجاره وحبسه بالجب ثم راجعوا رأيهم واتفقوا على قتله فقتلوه وكان مقتل لاشين في ربيع سنة ثمان وتسعين وكان من موالي علي بن المعز ايبك فلما غرب للقسطنطينية تركه بالقاهرة واشتراه المنصور قلاوون من القاضي بحكم البيع على الغائب بألف درهم وكان يعرف بلاشين الصغير لانه كان هنالك لاشين آخر أكبر منه وكان نائبا بحمص ولما قتل اجتمع الامراء وفيهم ركن الدين بيبرس الجاشنكير وسيف الدين سلار استادار وحسام الدين لاشين الرومي وقد وصل على البريد من بغدسيس جمال الدين أقوش الافرم وقد عاد من

دمشق بعد ان أخرج النائب والعساكر الى حمص وعزالدين ايبك الخزندار وبدرالدين السلحدار فضبطوا القلعة وبعثوا الى الناصر محمد بن قلاون بالكرك يستدعونه للملك فاعتزم طقجي على الجلوس على التخت واتفق وصول الامراء الذين كانوا بحلب منصرفين من غزاة سيس وفيهم سيف الدين كرجي وشمس الدين سرقنشاه ومقدمهم بدرالدين بكتاش الفخرى أمير سلاح فأشار الامراء على طقجي بالركوب للقائهم فأنف أولا ثم ركب ولقيهم وسألوه عن السلطان فقال قتل فقتلوه وكان كرجي عند القلعة فركب هاربا وأدرك عند القرافة وقتل ودخل بكتاش والامراء للقلعة لحول من غزاة سيس ثم اجتمعوا بمصر وكان الامراء دائرا بين سلار وبيبرس وايبك الجامدار وأقوش الافرم وبكتمر أمير جندار وكرت الحاجب وهم ينتظرون وصول الناصر من الكرك وكتبوا الى الامراء بدمشق بما فعلوه فوافقوا عليه ثم قبضوا على نائبها جاغان الحسامي وولى ذلك بهاء الدين قرا ارسلان السيفي فاعتقل ومات لايام قلائل فبعث الامراء بمصر مكانه سيف الدين قطلوبك المنصورى ثم وصل الناصر محمد بن قلاون الى مصر في جمادى سنة ثمان وتسعين فبايعوا له وولى سلار نائبا وبيبرس استاذدار وبكتمر الجوكندار أمير جندار وشمس الدين الاعسر وزيرا وعزل فخر الدين بن الخليلي بعد ان كان أقره وبعث على دمشق جمال الدين أقوش الافرم عوضا عن سيف الدين قطلوبك واستدعاه الى مصر فولاه حاجبا وبعث على طرابلس سيف الدين كرت وعلى الحصون سيف الدين كراى وأقر بلبان الطباخي على حلب وأفرج عن قراسنقر المنصورى وبعثه على الصبينة ثم نقله الى حماة عندما وصله وفاة صاحبها المظفر آخر السنة وخلع على الامراء وبث العطايا والارزاق واستقر في ملكه وبيبرس وسلار مستوليان عليه والله تعالى يؤيد بنصره من يشاء من عباده

(الفتنة مع التتر)

قد كنا قدمنا ما كان من فرار قفجق نائب دمشق الى غازان وحدوث الوحشة بين المملكتين فشرع غازان في تجهيز العساكر الى الشأم وبعث شلامش بن امال بن بكو في خمسة وعشرين ألفا في عساكر المغل ومعه أخوه قطقطو وأمره بالمسير من جهة سيس فسار لذلك ثم حدثته نفسه بالملك فخاضع وطلب الملك لنفسه وكاتب ابن قرمان أمير التركمان فسار اليه في عشرة آلاف فارس وسار في ستين ألف فارس وساروا الى سيواس فامتنعت عليه وكتب الى صاحب مصر مع مخلص الرومي يستمده فبعث الى نائب دمشق بانجاده وبلغ الخبر غازان فبعث لقتاله مولاى من أمراء التتر في خمسة وثلاثين ألف فارس ولحقه الى سيواس فانتقض عليه العسكر ورجع التتر الى مولاى

ولحق التركمان بالجبال ولحق هو ببيبس فى فل من العسكر وسار الى دمشق ثم الى مصر وسأل من السلطان لاشين أن يمده بعسكر ينقل به عياله الى الشأم فأمر السلطان نائب حلب أن يجيده على ذلك فبعث معه عسكرا عليهم بكتمر الحلبى وساروا الى سوس فاعترضهم التتر وهزموهم وقتل الحلبى ونجا سلامش الى بعض القلاع فاستنزله غازان وقتله واستقر أخوه قطقطو وخلص بمصر وأقطع لهما وانتظما فى عسكر مصر والله تعالى أعلم

(واقعة التتر على الناصر واستيلاء غازان على الشأم ثم ارتجاعه منه)

قد كنا قدمنا ما حدث من الوحشة بين التتر وبين الترك بمصر وقدمنا من أسبابها ما قدمناه فلما بويع الناصر بلغه أن غازان زاحف الى الشأم فتجهز وقدم العساكر مع قطلبك الكبير وسيف الدين وسار على أثرهم آخر سنة ثمان وسبعين وانتهى الى غزة فنمى اليه أن بعض المماليك يجمعون للتوثب عليه وأن الاويراتية الذين وفدوا من التتر على كيبغا داخلوهم فى ذلك وبينما هو يستكشف الخبر اذ بمملوك من أولئك قد شهر سيفه واخترق صفوف العساكر وهم مصطفون بظاهر غزة فقتل لحينه وتتبع أمرهم من هذه البادرة حتى ظهرت جليتها فسبق الاويراتية ومقدمهم طرنطاى وقتل بعض المماليك وحبس الباقون بالكرك ورحل السلطان الى عسقلان ثم الى دمشق ثم سار ولقى غازان ما بين سلمية وحمص بمجمع المروج ومعه الكرج والارمن وفى مقدمته أمراء الترك الذين هربوا من الشأم وهم قفجق المنصورى و بكتمر السلحدار وفارس الدين البكى وسيف الدين غزار فكانت الدولة منصفه بيبع فانهزمت ميمنة التتر وثبت غازان ثم حمل على القلب فانهزم الناصر واستشهد كثير من الامراء وفقد حسام الدين قاضى الحنفية وعماد الدين اسمعيل ابن الامير وسار غازان الى حمص فاستولى على الذخائر السلطانية وطار الخبر الى دمشق فاضطرب العامة وثار الغوغاء وخرج المشيخة الى غازان يقدمهم بدر الدين بن جماعة وتقى الدين بن تيمية وجلال الدين القزوينى وبقى الولد فوضى وخاطب المشيخة غازان فى الامان فقال قد بعثنا اليكم الى بلدكم كتاب الامان ووصل جماعة من أمرائه فيهم اسمعيل بن الامير والشريف الرضى وقرأ كتاب الامان ويسمونه بلغاتهم الفرمان وترجل الامراء بالبساتين خارج البلد وامتنع علم الدين سنجر بالقلعة فبعث اليه اسمعيل يستنزله بالامان فامتنع فبعث اليه المشيخة من أهل دمشق فزاد امتناعا ودس اليه الناصر بالتحفظ وأن المدد على غزة ووصل قفجق بكتمر فنزلوا الميدان و بعثوا الى سنجر صاحب القلعة

في الطاعة فأساء جوابهم وقال لهم ان السلطان وصل وهزم عساكر التتر التي اتبعته
ودخل قفجق الى دمشق فقرأ عهد غازان له بولاية دمشق والشام جميعا وجعل اليه
ولاية القضاء وخطب لغازان في الجامع وانطلقت أيدي العساكر في البلد بأنواع جميع
العبث وكذا في الصالحية والقرى التي بها والمزودار يا وركب ابن تيمية الى شيخ الشيوخ
نظام الدين محمود الشيباني وكان نزل بالعادلية فأركبه معه الى الصالحية وطردوا منها
اهل العبث وركب المشيخة الى غازان شاكين فمنعوا من لقائه حذرا من سطوته بالتتر
فيقع الخلاف و يقع و بال ذلك على أهل البلد فرجعوا الى الوزير سعد الدين ورشد
الدين فأطلقوا لهم الاسرى والسبي وشاع في الناس أن غازان أذن للمغل في البلد
وما فيه ففزع الناس الى شيخ الشيوخ وفرضوا على أنفسهم أربعمائة ألف درهم
مصانعة له على ذلك وأكرهوا على غرمها بالضرب والحبس حتى كملت ونزل التتر
بالمدرسة العادلية فأحرقها ارجواش نائب القلعة ونصب المنجنيق على القلعة بسطح
جامع بني أمية فأحرقوه فأعيد عمله وكان المغل يحرسونه فانتهكوا حرمة المسجد بكل
محرم من غير استثناء وهجم أهل القلعة فقتلوا النجار الذي كان يصنع المنجنيق
وهدم نائب القلعة ارجواش ما كان حولها من المساكن والمدارس والابنية ودار
السعادة وطلبوا مالا يقدرون عليه وامتحن القضاة والخطباء وعطلت الجماعات والجمعة
وفحش القتل والسبي وهدمت دار الحديث وكثير من المدارس ثم قفل الى بلاده بعد ان
ولى على دمشق والشأم قفجق وعلى حماة وحمص بكتمر السلحدار وعلى صفد وطرابلس
والساحل فارس الدين البكي وخلف نائبه قطلوشاه في ستين ألف حامية للشأم
واستصحب وزيره بدر الدين بن فضل الله وشرف الدين ابن الامير وعلاء الدين بن
القلانسي وحاصر قطلوشاه القلعة فامتنعت عليه فاعتزم على الرحيل وجمع له قفجق
الاموال في جمادى من السنة و بقي قفجق منفردا بأمره فأمن الناس بعض الشيء وأخرج
عساكره ورجعت عساكر التتر من اتباع الترك بعد ان وصلوا الى القدس وغزة والرملة
واستباحوا ونهبوا وقائدهم يومئذ مولاي من أمراء التتر فخرج اليه ابن تيمية
واستوهبه بعض الاسرى فأطلقهم وكان الملك الناصر لما وصل الى القلعة ووصل معه
كيبغا العادل وكان حضر معه المعركة من محل نيابته بصرخد فلما وقعت الهزيمة سار
مع السلطان الى مصر وبقي في خدمة النائب سلار وجرد السلطان العساكر وبث
النفقات وسار الى الصالحية وبلغه رحيل غازان من الشأم ووصل اليه بلبان الطباخي
نائب حلب على طريق طرابلس وجمال الدين الافرم نائب دمشق وسيف الدين كراي
نائب طرابلس واتفق السلطان في عساكرهم وبلغه أن قطلوشاه نائب غازان رحل من

الشأم على أثر غازان فتقدم بيبرس وسار في العساكر ووقعت المراسلة بينه وبين قفجق وبكتمر والبكي فاذعنوا للطاعة ووصلوا الى بيبرس وسلار فبعثوا بهم الى السلطان وهو في الصالحية في شعبان من السنة فركب للقائهم وبالغ في تكرمتهم والاقطاع لهم وولى قفجق على الشوبك ورحل عائدا الى مصر ودخل بيبرس وسلار الى مصر وقرروا في ولايتها جمال الدين أقوش الافرم بدمشق وفي نيابة حلب قراسنقر المنصوري الجوكندار لاستعفاء بلبان الطباخي عنها وفي طرابلس سيف الدين قطلبك وفي حماة كتبغا العادل وفي قضاء دمشق بدر الدين بن جماعة لوفاة امام الدين بن سعد الدين القزويني وعاد بيبرس وسلار الى مصر منتصف شوال وعاقب الافرم كل من استخدم للتتر من أهل دمشق وأغزى عساكره جبل كسروان والدرزية لما نالوا من العسكر عند الهزيمة وألزم أهل دمشق بالرماية وحمل السلاح وفرضت على أهل دمشق ومصر الاموال عن بعث الخيالة والمساكن لاربعة أشهر و ضمان القرى وكثر الارجاف سنة سبعمائة بحركة التتر فتوجه السلطان الى الشأم بعد أن فرض على الرعية أموالا واستخرجها لتقوية عساكره وأقام بظاهر غزة أياما يؤلف فيها الامصار ثم بعث ألفي فارس الى دمشق وعاد الى مصر منسلخ ربيع الآخر وجاء غازان بعساكره وأجفلت الرعايا أمامه حتى ضاقت بهم السبل والجهات فنزل ما بين حلب ومرس ونازلها واكتسح البلاد الى انطاكية وجبل السمر وأصابهم هجوم البرد وكثرة الامطار والوحل وانقطعت الميرة عنهم وعدمت الاقوات وصوعت المراعي من كثرة الثلج وارتحلوا الى بلادهم وكان السلطان وقد جهز العساكر كما قلنا الى الشأم صحبة بكتمر السلحدار نائب صفد وولى مكانه سيف الدين فخاص المنصوري ثم وقعت المراسلة بين السلطان الناصر وبين غازان وجاءت كتبه وبعث الناصر كتبه ورسله وولى السلطان على حمص فارس الدين البكي والله سبحانه وتعالى أعلم

(وفاة الخليفة الحاكم وولاية ابنه المستكفي والغزاة الى العرب بالصعيد)

ثم توفي الخليفة الحاكم بأمر الله أحمد وهو الذي ولاه الظاهر وبايع له سنة ستين فتوفي سنة احدى وسبعمائة لاحدى وأربعين سنة من خلافته وقد عهد لابنه أبي الربيع سليمان فبايع له الناصر ولقبه المستكفي وارتفعت شكوى الرعايا في الصعيد من الاعراب وكثر عيثهم فجهز اليهم السلطان العساكر مع شمس الدين قراسنقر فاكتسحهم وراجعوا الطاعة وقرر عليهم مالا حملوه ألف ألف وخمسمائة ألف درهم وألف فرس واحدا وألفي جمل اثنين وعشرة آلاف رأس من الغنم وأظهروا الاستكانة ثم أظهروا النفاق فسار اليهم كافل المملكة سلار وبيبرس في العساكر فاستلموهم

وأبادوهم وأصابوا أموالهم ونعمهم ورجعوا واستأذن بيبرس فى قضاء فرضه فخرج حاجا وكان أبو نمى أمير مكة قد توفى وقام بأمره فى مكة ابناه رميثة وخميصة واعتقلا أخويهما عطيفة وأبا الغيث فنقبا السجن وجاآ الى بيبرس مستعديين على أخويهما فقبض عليهما بيبرس وجاء بهما الى القاهرة وفى سنة ستين وسبعمائة بعدها خرجت الشوانى مشحونة بالمقاتلة الى جزيرة أرواد فى بحر انطرطوس وبها جماعة من الافرنج قد حصنوها وسكنوها فملكوها وأسروا أهلها وخربوها وأذهبوا آثارها والله تعالى ولى التوفيق

(تقرير العهد لاهل الذمة)

حضر فى سنة سبعمائة وزير من المغرب فى غرض الرسالة فرأى حال أهل الذمة وترفههم وتصرفهم فى أهل الدولة فنكره وقبح ذلك واتصل بالسلطان نكيره فأمر بجمع الفقهاء للنظر فى الحدود التى تقف عندها اهل الذمة بمقتضى عهود المسلمين لهم عند الفتح وأجمع الملأ فيهم على ما ذكروه أن يميز بين أهل الذمة بشعار يخصهم فالنصارى بالعمائم السود واليهود بالصفر والنساء منهن بعلامات تناسبهن وأن لا يركبوا فرسا ولا يحملوا سلاحا واذا ركبوا الحمير ركبوها عرضا ويتنحون وسط الطريق ولا يرفعوا أصواتهم فوق صوت المسلمين ولا يعلوا بناءهم على بناء المسلمين ولا يظهروا شعائرهم ولا يضربوا بالنواقيس ولا ينصروا مسلما ولا يهودوه ولا يشتروا من الرقيق مسلما ولا من سباه مسلم ولا من جرت عليه سهام المسلمين ومن دخل منهم الحمام يجعل فى عنقه جرسا يتميز به ولا ينقشوا فص الخاتم بالعربى ولا يعلموا أولادهم القرآن ولا يستخدموا فى أعمالهم الشاقة مسلما ولا يرفعوا النيران ومن زنا منهم بمسلمة قتل وقال البترك بحضرة العدول حرمت على أهل ملتى وأصحابى مخالفة ذلك والعدول عنه وقال رئيس اليهود أوقعت الكلمة على أهل ملتى وطائفتى وكتب بذلك الى الاعمال *(ولنذكر)* فى هذا الموضع نسخة كتاب عمر بالعهد لاهل الذمة بعد كتاب نصارى الشأم ومصر اليه ونصه هذا كتاب لعبد الله عمر أمير المؤمنين من نصارى أهل الشأم ومصر لما قدمتم علينا سألناكم الامان لانفسنا وذرارينا وأموالنا وأهل ملتنا وشرطنا على أنفسنا ان لا نحدث فى مدائننا ولا فيما حولها ديرا ولا كنيسة ولا علية ولا صومعة راهب ولا نجدد ما خرب منها ولا ما كان فى خطط وان نوسع أبوابنا للمارة ولبنى السبيل وان ننزل من مر بنا من المسلمين ثلاث ليال نطعمهم ولا نؤوى فى كنائسنا ولا فى منازلنا جاسوسا ولا نكتم عيبا للمسلمين ولا نعلم أولادنا القرآن ولا نظهر شرعنا

ولا ندعو اليه أحدا ولا نمنع أحدا من ذي قرابتنا الدخول في دين الاسلام ان أرادوه وان نوقر المسلمين ونقوم لهم في مجالسنا اذا أرادوا الجلوس ولا نتشبه بهم في شيء من ملابسهم في قلنسوة ولا عمامة ولا نعلين ولا فرق شعر ولا نتسمى بأسمائهم ولا نتكنى بكناهم ولا نركب السروج ولا نتقلد بالسيوف ولا نتخذ شيأ من السلاح ولا نحمله معنا ولا ننقش على خواتمنا بالعربية وان نجز مقدم رؤسنا ونكرم نزيلنا حيث كنا وان نشد الزنانير على أوساطنا ولا نظهر صلباننا ولا نفتح كتبنا في طريق المسلمين ولا أسواقهم ولا نضرب بنواقيسنا في شيء من حضرة المسلمين ولا نخرج سعانيننا ولا طواغيتنا ولا نرفع أصواتنا مع موتانا ولا نوقد النيران في طرق المسلمين ولا أسواقهم ولا نجاورهم بموتانا ولا نتخذ من الرقيق ما جرت عليه سهام المسلمين ولا نطلع في منازلهم ولا نعلي منازلنا فلما أتى عمر بالكتاب زاد فيه ولا نضرب أحدا من المسلمين شرطنا ذلك على أنفسنا وأهل ملتنا وقبلنا عليه الامان فان نحن خالفنا في شيء مما شرطنا لكم علينا وضمناه على أنفسنا وأهل ملتنا فلا ذمة لنا عليكم وقد حل بنا ما حل بغيرنا من أهل المعاندة والشقاق فكتب عمر رضي الله عنه أمض ما سألوه وألحق فيه حرفا اشترطه عليهم مع ما اشترطوه من ضرب مسلما عمدا فقد خلع عهده وعلى أحكام هذا الكتاب جرت فتاوى الفقهاء في أهل الذمة نصا وقياسا وأما كنائسهم فقال أبو هريرة أمر عمر بهدم كل كنيسة استحدثت بعد الهجرة ولم يبق الا ما كان قبل الاسلام وسير عروة بن محمد فهدم الكنائس بصنعاء وصالح القبط على كنائسهم وهدم بعضها ولم يبق من الكنائس الا ما كان قبل الهجرة وفي اباحة رمها واصلاحها لهم خلاف معروف بين الفقهاء والله تعالى ولي التوفيق

(ايقاع الناصر بالتتر على شقحب)

ثم تواترت الاخبار سنة ثنتين وسبعمائة بحركة التتر وان قطلوشاه وصل الى جهة الفرات وانه قدم كتابه الى نائب حلب بأن بلادهم محلة وأنهم يرتادون المراعي بنواحي الفرات يخادع بذلك عن قصده ويوهم الرعية أن يجفلوا من البسائط ثم وصلت الاخبار باجازتهم الفرات فأجفل الناس أمامهم من كل ناحية ونزل التتر مرعش وبعث العساكر من مصر مددا لاهل الشام فوصلوا الى دمشق وبلغهم هنالك ان السلطان قازان وصل في جيوش التتر الى مدينة الرحبة ونازلها فقدم نائبها قرى وعلوفة واعتذر له بأنه في طاعته الى أن يرد الشام فان ظفر به فالرحبة أهون شيء وأعطاه ولده رهينة على ذلك فأمسك عنه ولم يلبث ان عبر الفرات راجعا الى بلاده وكتب الى أهل

الشأم كأنما مطوّ لا ينذرهم فيه أن يستمدّ واعسكر السلطان أو يستجيشوه ويخادعهم بلين القول وملاطفته وتقدّم قطلوشاه وجوبان الى الشأم بعساكر التتر يقال فى تسعين ألفا أو يزيدون وبلغ الخبر الى السلطان فقدم العساكر من مصر وتقدّم بيبرس كافل المملكة الى الشأم والسلطان وسار على اثره ومعهم الخليفة أبو الربيع وساروا فى التعبية ودخل بيبرس دمشق وكان النائب بحلب قراسنقر المنصورى وقد اجتمع اليه كتبغا العادل نائب حماة وأسد الدين كرجى نائب طرابلس بمن معهم من العساكر فأغار التتر على القريتين وبها أحياء من التركمان كانوا أجفلوا أمامهم من الفرات فاستاقوا أحياءهم بما فيها واتبعهم العساكر من حلب فأوقعوا بهم واستخلصوا أحياء التركمان من أيديهم وزحف قطلوشاه وجوبان بجموعهما الى دمشق يظنان ان السلطان لم يخرج من مصر والعساكر والمسلمون مقيمون بمرج الصفر وهو المسمى بشقحب مع ركن الدين بيبرس ونائب دمشق أقوش الافرم ينتظرون وصول السلطان فارتابوا بزحف التتر وتأخروا عن مراكزهم قليلا وارتاعت الرعايا من تأخرهم فأجفلوا الى نواحى مصر وبينما هم كذلك اذ وصل السلطان فى عساكره وجموعه غرّة رمضان من السنة فرتب مصافه وخرج لقصدهم فالتقى الجمعان بمرج الصفر وحمل التتر على ميمنة السلطان فثبت الله أقدامهم وصابروهم الى أن غشيهم الليل واستشهد جماعة فى الجولة ثم انهزم التتر ولجؤا الى الجبل يعتصمون به واتبعهم السلطان فأحاط بالجبل الى أن أطلّ الصباح وشعر المسلمون باستماتتهم فأفرجوا لهم من بعض الجوانب وتسلل معظمهم مع قطلوشاه وجوبان وحملت العساكر الشامية على من بقى منهم فاستلحموهم وأبادوهم واتبعت الخيول آثار المنهزمين وقد اعترضتهم الاوحال بما كان السلطان قدّم الى أهل الانهار بين أيديهم فبثقوها ووحلت خيولهم فيها فاستوعبوهم قتلا وأسرا وكتب السلطان الى قازان بما يجدّد عليه الحسرة وملأ قلبه رعبا وبعث البشائر الى مصر ثم دخل الى دمشق وأقام بها عيد الفطر وخرج لثالثه منها الى مصر فدخلها آخر شوّال فى موكب حفل ومشهد عظيم وقرّ الاسلام بنصره وتيمن بنقيب نوّابه وأنشده الشعراء فى ذلك وفى هذه السنة توفى كتبغا العادل نائب حماة وهو الذى كان ولى الملك بمصر كما تقدّم ذكره فدفن بدمشق وتوفى أيضا بلبان الجوكندار نائب حمص وتوفى أيضا القاضى تقىّ الدين بن دقيق العيد بمصر لولايته ست سنين بها وولى مكانه بدر الدين بن جماعة وهلك قازان ملك التتر يقال أصابته حمى حادّة للهزيمة التى بلغته فهلك وولى أخوه خربندا وفيها أفرج السلطان عن رميثة وحميضة ولدى الشريف أبى نمى وولاهما بدلا من أخويهما عطيفة وأبى الغيث والله تعالى أعلم

﴿أخبار الارمن وغزو بلادهم وادعاؤهم الصلح﴾
﴿ثم مقتل ملكهم صاحب سيس على يد التتر﴾

قد كان تقدم لنا ذكر هؤلاء الارمن وانهم اخوتهم الكرج من ولد قويل بن ناحور ابن آزر وناحور أخو ابراهيم عليه السلام وكانوا أخذوا بدين النصرانية قبل الملة وكانت مواطنهم ارمينية وهي منسوبة اليهم وقاعدتها خلاط وهي كرسي ملكهم ويسمى ملكهم التكفور ثم ملك المسلمون بلادهم وضربوا الجزية على من بقي منهم واختلف عليهم الولاة ونزلت بهم الفتن وخربت خلاط فانتقل ملكهم الى سيس عند الدروب المجاورة لحلب واذنة واليها وكانوا يؤدون الضريبة للمسلمين وكان ملكهم لعهد نور الدين العادل قليج بن اليون وهو صاحب ملك الدروب واستخدم للعادل وأقطع له وملك المصيصة واردن وطرسوس من يد الروم وأبقاه صلاح الدين بعد العادل نور الدين على ما كان عليه من الخدمة وغدر في بعض السنين بالتركمان فغزاهم صلاح الدين وأثخن عليهم حتى أذعنوا ورجع الى حاله من أداء الجزية والطاعة وحسن الجوار بثغور حلب ثم ملكهم لعهد الظاهر هيثوم بن قسطنطين بن يانس ويظهر أنه من أعقاب قليج أو من أهل بيته ولما ملك هلاكو العراق والشأم دخل هيثوم في طاعته وأقره على سلطانه وأجلب مع التتر في غزواتهم على الشأم وغزا سنة ثنتين وستين صاحب بلاد الروم من التتر واستنفر معه بني كلاب من اعراب حلب وعاثوا في نواحي عنتاب ثم ترهب هيثوم بن قسطنطين ونصب ابنه ليعون للملك وبعث الظاهر العساكر سنة اربع وستين ومعه قلاون المنصور صاحب حماة الى بلادهم فلقيهم ليعون في جموعه قبل الدربند فانهزم وأسر وخرب العساكر مدينة سيس وبذل هيثوم الاموال والقلاع في فداء ابنه ليعون فشرط عليه الظاهر أن يستوهب سنقر الاشقر وأصحابه من ابغا بن هلاكو وكان هلاكو أخذهم من سجن حلب فاستوهبهم وبعث بهم وأعطى خمسا من القلاع منها رغبان ومرزبان ولما توفي هيثوم سنة تسع وستين وملك بعده ابنه ليعون وبقي الملك في عقبه وكان بينهم وبين الترك نفرة واستقادة لقرب جوارهم من حلب والترك يرددون العساكر الى بلادهم حتى أجابوا بالصلح على الطاعة والجزية وشحنة التتر مقيم عندهم بالعساكر من قبل شحنة بلاد الروم ولما توفي ليعون ملك بعده ابنه هيثوم ووثب عليه أخوه سنباط فخلعه وحبسه بعد ان سمل عينه الواحدة وقتل أخاهما الاصغر يروس ونازلت عساكر الترك لعهده قلعة حموص من قبل العادل كيبغا فاستضعف الارمن سنباط وهموا به فلحق بالقسطنطينية وقدموا عليهم أخاه رندين فصالح المسلمين وأعطاهم مرعش وجميع القلاع على جيحان وجعلوهم تخما ورجعت العساكر عنهم

ثم أفرج رندين عن أخيه هيثوم الاعور سنة تسع وستين فأقام معه قليلا ثم وثب رندين
ففر الى القسطنطينية وأقام هيثوم بسيس فى ملك الارمن وقدم ابن أخيه تروس
معسول أتابكا واستقامت دولته فيهم وسار مع قازان فى وقعته مع الملك الناصر فعاث
الارمن فى البلاد واستردوا بعض قلاعهم وخربوا تل حمدون فلما هزم الناصر التتر سنة
ثنتين وسبعمائة بعث العساكر الى بلادهم فاسترجعوا القلاع وملكوا وحصروا
واكتسحوا بسائط سيس وما اليها ومنع الضريبة المقررة عليهم فأنفذ نائب حلب
قراسنقر المنصورى سنة سبع وسبعمائة العساكر اليهم مع أربعة من الامراء فعاثوا
فى بلادهم واعترضهم شحنة التتر بسيس فهزموهم وقتل أميرهم وأسر الباقون وجهز
العساكر من مصر مع بكتاش الفخرى أمير سلاح من بقية البحرية وانتهوا الى غزة وخشى
هيثوم مغبة هذه الحادثة فبعث الى نائب حلب بالجزية التى عليهم لسنة خمس وقبلها
وتوسل بشفاعته الى السلطان فشفعه وأمنه وكان شحنة التتر ببلاد الروم لهذا العهد
ارقلى وكان قد أسلم لما أسلم ابغا وبنى مدرسة بأذنة وشيد فيها مئذنة ثم حدث بينه وبين
هيثوم صاحب سيس وحشة فسعى فيه هيثوم عند خربندا ملك التتر بأنه مداخل لاهل
الشأم وقد واطأهم على ملك سيس وما اليها واستشهد له بالمدرسة والمئذنة وكتب بذلك
الى ارقلى بعض قرابته فأسرّها فى نفسه واغتاله فى صنيع دعاه اليه وقبض على وافد من
ممالك الترك كان عند هيثوم من قبل نائب حلب يطلب الجزية المقررة عليه وهو
ايدغدى الشهرزورى ولم يزل فى سجن التتر الى أن فر من محبسه بتوريز سنة عشر
وسبعمائة ونصب الملك بسيس أوشين بن لعون وسار ارقلى الى خربندا فسابقه الناق
أخو هيثوم بنسائه وولده مستعدين عليه فتفجع لهم خربندا وسط ارقلى
وقتله وأقر أوشين أخاه فى ملكه لسيس فبادر الى مراسلة الناصر بمصر وتقرير الجزية
عليه كما كانت وما زال يعطيها مع الاحيان والله تعالى أعلم

(مراسلة ملك المغرب ومهاداته)

كان ملك المغرب الاقصى من بنى مرين المتولين أمره من بعد الموحدين وهو يوسف
ابن يعقوب بن عبد الحق قد بعث الى السلطان الناصر سنة أربع وسبعمائة رسوله علاء
الدين ايدغدى الشهرزورى من الشهرزورية المقربين هنالك أيام الظاهر بيبرس ومعه
هدية حافلة من الخيل والبغال والابل وكثير من ماعون المغرب وسائر طرفه وحملة من
الذهب العين فى ركب عظيم من المغاربة ذاهبين لقضاء فرضهم فقابلهم السلطان بأبلغ
وجوه التكرمة وبعث معهم أميرا لاكرامهم وقراهم فى طريقهم حتى قضوا فرضهم
وعاد الرسول ايدغدى المذكور من حجه سنة خمس فبعث السلطان معه مكافأة هديتهم

بما يليق بهما من النفاسة وعين لذلك أميرين من بابه ايدغدى البابلى وايدغدى الخوارزمى كل منهما القب بعلاء الدين فانتهوا الى يوسف بن يعقوب بمكانه من حصار تلمسان كما هو فى ربيع الآخر سنة ست فقابلهم بما يجب لهم ولمرسلهم وأوسع لهم فى الكرامة والحباء وبعثهم الى ممالكه بفاس ومراكش ليتطوفا بها ويعاينا مسرتها وهلك يوسف بن يعقوب بمكانه من حصار تلمسان وانطلق الرسولان المذكوران من فاس راجعين من رسالتهما فى رجب سنة سبع فى ركب عظيم من أهل المغرب اجتمعوا عليهم لقصد الحج ولقوا السلطان أبا ثابت البزولى من بعد يوسف بن يعقوب فى طريقهم فبالغ فى التكرمة والاحسان اليهم وبعث الى مرسلهم الملك الناصر بهدية أخرى من الخيل والبغال والابل ثم مروا بتلمسان وبها أبو زيان وأبو حمو ابنا عثمان بن يغمراسن فلم يصرفا اليهما وجها من القبول وطلبا منهما خفيرا يخفرهما الى تخوم بلادهما لما كانت نواحى تلمسان قد اضطربت بعد مهلك يوسف بن يعقوب وما كان من شأنه فبعث معهما بعض العرب فلم يغن عنهم واعترضهم فى طريقهم أشرار حصين من زغبة بنواحى المدية فبالغوا فى الدفاع فلم يغن عنهم واستولى الاشرار على الركب بما فيه ونهبوا جميع الحجاج ورسل الملك الناصر معهم وخلصوا الى الشيخ بكر بن زغلى شيخ بنى يزيد بن زغبة بوطن حمزة بنواحى بجاية فأوصلهم الى السلطان بجاية أبى البقاء خالد من ولد الامير أبى زكريا يحيى بن عبد الواحد بن أبى حفص ملوك افريقية فكساهم وحملهم الى حضرة تونس وبها السلطان أبو عصيدة محمد بن يحيى الواثق من بنى عمه فبالغ فى تكرمتهم وسافر معهم ابراهيم بن عيسى من بنى وسنار أحد أمراء بنى مرين كان أميرا على الغزاة بالاندلس وخرج لقضاء فرضه فمر بتونس واستنهضه سلطانها على الافرنج بجزيرة جربة فسار اليها بقومه ومعه عبد الحق بن عمر بن رحو من أعيان بنى مرين وكان الشيخ أبو يحيى زكريا بن أحمد اللحيانى يحاصرها فى عسكر تونس فأقام معهم مدة ثم استوحش أبو يحيى اللحيانى من سلطانه بتونس فلحق بطرابلس وساروا جميعا الى مصر وتقدم السلطان باكرامهم حتى قضوا فرضهم وعادوا الى المغرب واستمد أبو يحيى اللحيانى السلطان الناصر فأمده بالاموال والمماليك وكان سببا لاستيلائه على الملك بتونس كما نذكره فى أخباره ان شاء الله تعالى

(وحشة الناصر من كافليه بيبرس وسلار ولحاقه بالكرك وخلعه والبيعة لبيبرس)

ثم عرضت وحشة بين السلطان الناصر وبين كافليه بيبرس وسلار سنة سبع فامتنع من العلامة على المراسم وترددت بينه وبينهم السعاة بالعتاب وركب بعض الامراء فى ساحة القلعة من جوف الليل ودافعهم الاوجاقية فى جوف الليل وافترقوا وامتعض

السلطان لذلك وازداد وحشة ثم سعى بكتمر الجوكندار فى اصلاح الحال وحمل السلطان على تغريب بعض الخواص من مماليكه الى القدس وكان بيبرس ينسب اليهم هذه الفتنة ونشأتها من أجلهم فقربهم السلطان وأعتب الاميرين ثم أعيد الموالى من القدس الى محلهم من خدمتهم واتهم السلطان الجوكندار فى سعايته فسخطه وأبعده وبعثه نائبا عن صفد ثم غص بما هو فيه من الحجر والاستبداد وطلب الحج فهجره بيبرس وسلار وسار على الكرك سنة ثمان وودعه الامراء واستصحب بعضا منهم فلما مر بالكرك دخل القلعة وأخرج النائب جمال الدين أقوش الاشرف الى مصر وبعث عن أهله وولده كانوا مع المحمل الحجازى فعادوا اليه من العقبة وصرف الامراء الذين توجهوا معه وأظهر الانقطاع بالكرك للعبادة وأذن لهم فى اقامة من يصلح لامرهم فاجتمعوا ابدا او النيابة وتشاوروا واتفقوا على أن يكون بيبرس سلطانا عليهم وسلار على نيابته وبايعوا بيبرس فى شوال سنة ثمان ولقبوه المظفر وقلده الخليفة أبو الربيع وكتب للناصر بنيابة الكرك وعين له اقطاع يختص بها وقام سيف الدين سلار بالنيابة على عادة من قبله وأقر أهل الوظائف والرتب على مراتبهم وبعث أهل الشأم بطاعتهم واستقر بيبرس فى سلطانه والله تعالى أعلم

(انتقاض الامير بيبرس وعود الناصر الى ملكه)

ولما دخلت سنة تسع هرب بعض موالى الناصر فلحقوا بالكرك وقلق الظاهر بيبرس المظفر وبعث فى اثرهم فلم يدركوهم واتهم آخرون فقبض عليهم ونشأت الوحشة لذلك واتصلت المكاتبة من الامراء الذين بالشأم الى السلطان بالكرك وخرج من مكانه يريد النهوض اليهم ثم رجع ووصل كتاب نائب دمشق أقوش الافرم فسكن الحال وبعث الجاشنكير بيبرس الى السلطان برسالة مع الامير علاء الدين مغلطاى ايدغلى وقطلو بغا تتضمن الارياف فثارت لها حفائظه وعاقب الرسولين وكاتب أمراء الشأم يتظلم من بيبرس وأصحابه بمصر ويقول سلت لهم فى الملك ورضيت بالضنك رجاء الراحة فلم يرجعوا عنى وبعثوا الى بالوعيد وانهم فعلوا ما فعلوا بأولاد المعز ايبك وبيبرس الظاهر ومثل ذلك من القول ويستنجدهم ويمت اليهم بوسائل التربية والعتق فى دفاع هؤلاء عنه والا لحقت ببلاد التتر وبعث بهذه الرسالة مع بعض الجند كان مستخدما بالكرك من عهد أقوش الاشرف وأقام هنالك وكان مولعا بالصيد فاتصل بالسلطان فى مصايده وبث اليه ذات يوم شكواه فقال أنا أكون رسولك الى أمراء الشأم فبعث اليهم بهذه الرسالة فامتعضوا وأجابوه بالطاعة كما يجب منهم وسار السلطان الى البلقاء وأرسل جمال الدين أقوش الافرم نائب دمشق الى مصر فأخبر الجاشنكير بيبرس بالحال

واستمده بالعساكر للدفاع فبعث اليه بأربعة آلاف من العساكر مع كبار الامراء
وأزاح عللهم وأنفق في سائر العساكر بمصر وكثر الارجاف وشغبت العامة وتعين
مماليك السلطان للخروج الى النواحي استرابة بمكانهم ووصل الخبر برجوع السلطان
من البلقاء الى الكرك لرأي رآه واسترابه لرجعته سائر أصحابه وحاشيته وخاف
أن يتبعهم عساكر مصر بما كان يشاع عندهم من اعتزام بيبرس على ذلك ثم دس
السلطان الى مماليكه وشيعه اليهم فأجابوه وأعاد الكتاب الى نواب الشأم مثل شمس
الدين اقسنقر نائب حلب وسيف الدين نائب حمص فأجابوه بالسمع والطاعة وبعث
نائب حلب ولده اليه واستنهضوه للوصول فخرج من الكرك في شعبان سنة تسع
ولحق به طائفة من أمراء دمشق وبعث النائب أقوش أميرين لحفظ الطرقات فلحقا
بالسلطان وكتب بيبرس الجاشنكير الى نواب الشأم بالوقوف مع جمال الدين أقوش
نائب دمشق والاجتماع على السلطان الناصر عن دمشق فأعرضوا ولحقوا بالسلطان
وسار أقوش الى البقاع والشقيف واستأمن الى السلطان فبعث اليه بالامان مع
أميرين من أكابر أمرائه وسار الى دمشق فدخلها وهي خالصة يومئذ لسيف الدين
بكتمر أمير جاندار جاءه من صفد وهاجر الى خدمته فتلقاه وجازاه أحسن الجزاء
ثم وصل أقوش الافرم فتلقاه السلطان بالمبرة والتكرمة وأقره على نيابة دمشق
واضطربت أمور الجاشنكير بمصر وخرجت طائفة من مماليك السلطان هاربين الى
الشأم فسرح في اثرهم العساكر فأدركوهم ونال الهاربون منهم قتلا وجراحة
ورجعوا وتجمعت وثاب العامة والغوغاء وأحاطوا بالقلعة وجاهروا بالخلعان وقبض
على بعضهم وعوقب فلم يردهم الا عتوا وتحاملا وارتاب الجاشنكير بحاله واجتمع الناس
للحلف وحضر الخليفة وجدد عليه وعليهم الحلف وبعث نسخة البيعة لتقرأ بالجامع يوم
الجمعة فصاح الناس بهم وهموا أن يحصبوهم على المنبر ثم رجع الى النفقة وبذل المال
واعتزم على المسير الى الشأم وقدم أكابر الامراء فلحقوا بالسلطان وزاد اضطراب
بيبرس وخرج السلطان من دمشق منتصف رمضان وقدم بين يديه أميرين من أمراء
غزة فوصلاها واجتمعت اليه العرب والتركمان وبلغ الخبر الى الجاشنكير فجمع اليه شمس
الدين سلار وبدر الدين بكتوت الجوكندار وسيف الدين السلحدار وفاوضهم في الامر
فرأوا أن الخرق قد اتسع ولم يبق الا البدار بالرغبة الى السلطان أن يقطعه الكرك
أو حماة أو صهيون ويتسلم السلطان ملكه فأجمعوا على ذلك وبعثوا بيبرس الدوادار
وسيف الدين بهادر بعد ان أشهد الجاشنكير بالخلع وخرج من القلعة الى اطفيح
بماليكه فلم يستقر بها ثم تقدم قاصدا اسوان واحتمل ما شاء من المال والذخيرة وخيول

الاصطبل وقلم بحفظ القلعة صاحبه سيف الدين سلار وكاتب السلطان بطاعته بذلك
وخطب للسلطان على المنابر ودعى باسمه على المآذن وهتف باسمه العامة في الطرقات
وجهز سلار سائر شعار السلطنة ووصلت رسل الجاشنكير الى السلطان بما طلب
فأسعفه بصهيون وردهم اليه بالامان والولاية ووافى السلطان عيد الفطر بالبركة ولقيه
هنالك سيف الدين سلار وأعطاه الطاعة ودخل السلطان الى القلعة وجلس ثاني العيد
بالايوان جلوسا فخما واستحلف الناس عامة وسأله سلار في الخروج الى اقطاعه
فأذن له بعد أن خلع عليه فخرج ثالث شوال وأقام ولده بباب السلطان ثم بعث
السلطان الامراء الى الخيم فانتزعوا من الجاشنكير ما كان احتمله من المال والذخيرة
وأوصلوها الى الخزائن ووصل معهم جماعة من مماليكه كانوا أمراء واختاروا
الرجوع الى السلطان وولى السلطان سيف الدين بكتمر الجوكندار أمير جاندار نائبا
بمصر وقراسنقر المنصوري نائبا بدمشق وبعث نائبها الافرم نائبا بصرخد وسيف الدين
قفجق نائبا بحلب وسيف الدين بهادر نائبا بطرابلس وخرجوا جميعا الى الشام وقبض
السلطان على جماعة من الامراء ارتاب بهم وولى على وزارته فخر الدين عمر بن الخليلي
عوضا عن ضياء الدين أبي بكر ثم انصرف بيبرس الجاشنكير متوجها الى
صهيون وبها بهادر بها الاشجعي موكل به الى حيث قصد ورجع عنه
الامراء الذين كانوا عنده الى السلطان فاستضاف بعضهم الى مماليكه واعتقل بعضهم
ثم بدا للسلطان في أمره وبعث الى قراسنقر وبهادر وهما مقيمان بغزة ولم يتصلا الى
الشام أن يقبضا عليه فقبضا عليه وبعثا به الى القلعة آخر ذي القعدة فاعتقل ومات
هنالك والله تعالى ولي التوفيق

(خبر سلار ومآل أمره)

لما استقل السلطان الناصر الى ملكه بمصر وكان لسلار من السعي في أمره وتمكين
سلطانه ما ذكرناه وكانت له سوابق عند السلطان يعتني برعيها له وكانت الشوبك من
اقطاعه فرغب الى السلطان في المسير اليها والتخلي فيها فأذن له وخلع عليه وزاده
في اقطاعه واقطاع مماليكه واتبعه مائة من الطواشية باقطاعهم وسار من مصر الى
الشوبك في شوال سنة ثمان وسبعمائة ثم بعث له داود المقسور بالكرك مضافا الى
الشوبك وباللواء وبخلعة مذهبة ومركب مثقل ومنطقة مجوهرة وأقام هنالك فلما
كانت سنة عشر بعدها نمي الى السلطان عن جماعة من الامراء انهم معتزمون على
الثورة وفيهم أخو سلار فقبض عليهم جميعا وعلى شيع سلار وحاشيته الذين بمصر وبعث
علم الدين الجوالي لاستقدامه من الكرك تأنيسا له وتسكينا فقدم في ربيع من السنة

واعتقل الى أن هلك فى معتقله واستصفت أمواله وذخائره بمصر والكرك وكانت شيأ لا يعبر عنه من الاموال والفصوص واللآلى والاقمشة والدروع والكراع والابل ويقال انه كان يغل كل يوم من اقطاعه وضياعه ألف دينار وأما أوليته فانه لما خلص من أسر التتر صار مولى لعلاء الدين على بن المنصور قلاوون ولما مات صار لابيه قلاوون ثم لابنه الاشرف ثم لاخيه محمد بن الناصر وظهر فى دولهم كلها وكان بينه وبين لاشين مودة فاستخدم له وعظم فى دولته متقربا فى المراكب متحريا بالمحبة السلطان الى أن انقرض أمره ويقال انه لما احتضر فى محبسه قيل له قد رضى عنك السلطان فوثب قائما ومشى خطوات ثم مات والله أعلم

(انتقاض النواب بالشأم ومسيرهم الى التتر وولاية تنكز على الشأم)

كان قفجق نائب حلب قد توفى بعد أن ولاه السلطان فنقل مكانه الى حلب الكرجى من حماة سنة عشر فتظلم الناس منه فقبض عليه ونقل اليها قراسنقر المنصورى من نيابة دمشق وولى مكانه بدمشق سيف الدين كراى المنصورى سنة احدى عشرة ثم سخطه واعتقله وولى مكانه بدمشق جمال الدين أقوش الاشرفى نقله اليها من الكرك وتوفى بها محمد نائب طرابلس فنقل اليها أقوش الافرم من صرخد ثم قبض على بكتمر الجوكندار نائب مصر وحبسه بالكرك وجعل مكانه فى النيابة بيبرس الدوادار ثم ارتاب قراسنقر نائب حلب فهرب الى البرية واجتمع مع مهنا بن عيسى ويقال انه استأذن السلطان فى الحج فأذن له فلما توسط البرية استوعرها فرجع فمنعه الامراء الذين بحلب من دخولها الا باذن السلطان فرجع الى الفرات وبعث مهنا بن عيسى شافعا له عند السلطان فقبله ورده الى نيابة حلب ثم بلغ السلطان أن خربندا ملك التتر زاحف الى الشأم فجهز العساكر من مصر وتقدم الى عساكر الشأم بأن يجتمعوا امامهم بحمص فارتاب قراسنقر وخرج من حلب وعبر الفرات ثم راجع نفسه واستأمن السلطان على أن يقيم بالفرات فأقطعه السلطان الشوبك يقيم بها فلم يفعل وبقى بمكان من الفرات مع مهنا بن عيسى ثم ارتاب جماعة من الامراء فلحقوا به وفيهم أقوش الافرم نائب طرابلس وأمضوا عزمهم على اللحاق بخربندا فوصلوا الى ماردين فتلقاهم صاحبها بالكرامة وحمل اليهم تسعين ألف درهم ورتب لهم الانزالات ثم ساروا الى خلاط الى أن جاءهم اذن خربندا فساروا اليه واستحثوه للشأم وبلغ الخبر الى السلطان فاتهم الامراء الذين فى خدمته بالشأم بمداخلة قراسنقر وأصحابه فاستدعاهم وعساكرهم وبعث على حلب سيف الدين مكان قراسنقر وعلى طرابلس بكتمر الساقى مكان أقوش وبعث على العرب فضل بن

عيسى مكان أخيه مهنا ووصل الامراء الى مصر فقبض عليهم جميعا وعلى أقوش الاشرفي نائب دمشق وولى مكانه تنكز الناصري سنة ثنتي عشرة وجعل له الولاية على سائر الممالك الاسلامية وقبض على نائبه بمصر بيبرس الدوادار وحبسه بالكرك وولى مكانه ارغون الدوادار وعسكر بظاهر القلعة وارتحل بعد عيد الفطر من السنة فلقيه الخبر أثناء طريقه بأن خربندا وصل الى الرحبة ونازلها وانصرف عنها راجعا فانكفأ السلطان الى دمشق وفرق العساكر بالشأم ثم سار الى الكرك واعتزم على قضاء فرضه تلك السنة وخرج حاجا من الكرك ورجع سنة ثلاث عشرة الى الشأم وبعث الى مهنا بن عيسى يستميله وعاد الرسول بامتناعه ثم لحق سنة ست عشرة بخربندا وأقطعه بالعراق وأقام هنالك فلم يرجع الا بعد مهلك خربندا والله سبحانه وتعالى أعلم

(رجوع حماة الى بني المظفر شاهنشاه بن أيوب ثم لبني الافضل منهم وانقراض أمرهم)

قد كان تقدم لنا أن حماة كانت من اقطاع تقي الدين عمر بن شاهنشاه بن أيوب أقطعه اياها عمه صلاح الدين بن أيوب سنة أربع وسبعين وخمسمائة فلم تزل بيده الى أن توفي سنة سبع وثمانين وخمسمائة فأقطعها ابنه ناصر الدين محمدا ولقبه المنصور وتوفي سنة سبع عشرة وستمائة بعد عمه صلاح الدين والعادل فوليها ابنه قليج ارسلان ويلقب الناصر سنة ست وعشرين وكان أخوه المظفر ولي عهد أبيه عند الكامل بن العادل فجهزه بالعساكر من دمشق وملكها من يد أخيه وأقام بها الى أن هلك سنة ثلاث وأربعين وولى ابنه محمد ويلقب المنصور ولم يزل في ولايتها الى أن سار يوسف بن العزيز ملك الشأم من بني أيوب هاربا الى مصر أيام التتر فسار معه المنصور صاحب حماة وأخوه الافضل ثم خشي من الترك بمصر فرجع الى هلاكو واستمر المنصور الى مصر فأقام بها وملك هلاكو الشأم وقتل الناصر وسائر بني أيوب كما مر ثم سار قطز الى الشأم عند مارجع هلاكو عنه عندما شغل عنه بفتنة قومه فارتجعه من ملكة التتر وولى على قواعده وأمصاره ورد المنصور الى حماة فلم يزل واليا عليها وحضر واقعة قلاون على التتر بحمص سنة ثلاثين وكان يتردد الى مصر سائر أيامه ويخرج مع البعوث الى بلاد الارمن وغيرها ويعسكر مع ملوك مصر متى طلبوه لذلك ثم توفي سنة ثلاث وثمانين وأقر قلاون ابنه المظفر على ما كان أبوه وجرى هو معهم على سننه الى أن توفي سنة ثمان وتسعين عندما بويع الناصر محمد بن قلاون بعد لاشين وانقطع عقب المنصور فولى السلطان عليها قراسنقر من أمراء الترك نقله اليها من الضبينة وأمره باستقرار بني أيوب وسائر الناس على اقطاعاتهم ثم كان استيلاء قازان على الشأم ورجوعه سنة تسع وتسعين

ومسير بيبرس وسلار وانتزاع الشأم من التتر وكان كيبغا العادل الذى ملك مصر
وخلعه لاشين نائبا بصرخد فلا فى هذه الوقائع وتنصح لبيبرس وسلار وحضر معهم
بدمشق فولوه على حماة وغزا بالعساكر بلاد الارمن وحضر هزيمة التتر مع الناصر سنة
ثنتين وسبعمائة فرجع الى حماة فمات بها وولى السلطان بعده سيف الدين قفجق
استدعاه اليها من اقطاعه بالشوبك وكان الافضل علاء الدين أخو المنصور صاحب
حماة توفى أيام أخيه المنصور وخلف ولدا اسمه اسمعيل ولقبه عماد الدين ونشأ فى دولتهم
عاكفا على العلم والادب حتى توفر منهما حظه وله كتاب فى التاريخ مشهور ولما رجع
السلطان الناصر من الكرك الى كرسيه وسطا ببيبرس وسلار راجع نظره فى الاحسان
الى أهل هذا البيت واختار منهم عماد الدين اسمعيل هذا وولاه على حماة مكان قومه
ست عشرة وسبعمائة وكان عند رجوعه الى ملكه قد ولى نيابة حلب سيف الدين قفجق
وجعل مكانه بحماة ايدمر الكرجى وتوفى قفجق فنقل ايدمر من حماة الى حلب مكانه
وولى اسمعيل على حماة كما قلناه ولقبه المؤيد ولم يزل عليها الى أن توفى سنة ثنتين وثلاثين
وولى الناصر ابنه الافضل محمد برغبة أبيه الى السلطان فى ذلك ثم مات الملك الناصر
فى ذى الحجة سنة احدى وأربعين وقام بعده بالامر مولاه قوص ونصب ابنه أبا بكر
محمدا فكان أول شئ أحدثه عزل الافضل من حماة وبعث عليها مكانه صقردمرل
النائب وسار الافضل الى دمشق فمات بها سنة اثنتين وأربعين وانقرضت ايالة بنى أيوب
من حماة والبقاء لله وحده لا رب غيره ولا معبود سواه

* (غزو العرب بالصعيد وفتح ملطية وآمد) *

ثم خرج السلطان سنة ثلاث عشرة فعسكر بالاهرام موريا بالنزهة وقد بلغه ما نزل
بالصعيد من عيث العرب وفسادهم فى نواحيه واضرارهم بالسابلة فسرح العساكر
فى كل ناحية منه وأخذ الهلاك منهم مأخذه الى   واستباحهم من كل ناحية
وشردهم من خلفهم ثم سرح العساكر سنة أربع عشرة بعدها الى ملطية وهى للارمن
وملكها   وسار لذلك تنكز نائب دمشق بعساكر الشأم وستة من أمراء
مصر ونازلوها فى محرم سنة خمس عشرة وبها جموع من نصارى الارمن والعربان وقليل
من المسلمين تحت الجزية فقاتلوهم حتى ألقوا باليد واقتحموها عنوة واستباحوها وجاؤا
بملكها مع الاسرى فأبقاه السلطان وأنعم عليه ثم نمى عنه انه يكاتب ملوك العراق
فحبسه ثم بعث السلطان العساكر من حلب سنة خمس عشرة الى عرقية من أعمال آمد
ففتحوها وجاءت العساكر سنة سبع عشرة ثانية الى آمد ففتحوها واستباحوها وغنموا منها
أموالا جمة والله تعالى ينصر من يشاء من عباده

(الولايات)

وفى سنة خمس عشرة سخط السلطان سيف الدين تمر نائب طرابلس الذى وليها بعد أقوش الافرم وأمده به وسيق معتقلا الى مصر وولى مكانه سيف الدين كستاى ثم هلك فولى مكانه شهاب الدين قرطاى نقله اليها من نيابة حمص وولى نيابة حمص سيف الدين اقطاى ثم قبض سنة ثمان عشرة على طغاى الحسامى من الجاشنكيرية وصرف نائبا الى صفد مكان بكتمر الحاجب ثم سخطه فأحضره معتقلا وحبسه بالاسكندرية وبعث على صفد سيف الدين اقطاى نقله اليها من حمص وبعث على حمص بدر الدين بكتموت القرمانى والله تعالى أعلم

(العمائر)

ابتدأ السلطان سنة احدى عشرة وسبعمائة ببناء الجامع الجديد بمصر وأكمله ووقف عليه الاوقاف المغلة ثم أمر سنة أربع عشرة ببناء القصر الابلق من قصور الملك فجاء من أفخر المصانع الملوكية وفى سنة ثمان عشرة أمر بتوسعة جامع القلعة فهدم ما حوله من المساكن وزيد فيه الى الحد الذى هو عليه بهذا العهد ثم أمر فى سنة ثلاث وعشرين بعمارة القصور لمنازله بسرياقوس وبنى بازائها الخانقاه الكبيرة المنسوبة اليه وفى سنة ثلاث وثلاثين أمر بعمارة الايوان الضخم بالقلعة وجعله مجلس ملكه وبيت كرسيه ودعاه دار العدل والله تعالى أعلم

(حجات السلطان)

وحج الملك الناصر محمد بن قلاون فى أيام دولته ثلاث حجات أولا سنة ثلاث عشرة عندما انقرض قراسنقر نائب حلب واقوش الافرم نائب طرابلس ومهنا بن عيسى أمير العرب وجاسر بتدا الى الشأم ورجع من الرحبة فسار السلطان من مصر الى الشأم وبلغه رجوع نوبة دا فسار من هنالك حاجا وقضى فرضه سنة ثلاث عشرة ورجع الى الشأم ثم حج الثانية سنة تسع عشرة ركب اليها من مصر فى أواخر ذى القعدة ومعه المؤيد صاحب حماة والامير محمد ابن أخت علاء الدين ملك الهند صاحب دلى ولما قضى حجه انطلق الامير محمد ابن أخت علاء الدين من هنالك الى الهند على اليمن ورجع الى مصر فأفرج عن رميثة أمير مكة من بنى حسن وعن المعتقلين بحبسه ووصله ووصلهم ثم حج الثالثة سنة ثنتين وثلاثين ومعه الافضل بن المؤيد صاحب حماة على عادة أبيه فى مراكبة السلطان وقفل من حجه سنة ثلاث وثلاثين فأمر بعمل باب الكعبة مصفحا بالفضة أنفق فيه خمسة وثلاثين ألف درهم وفى منصرفه من هذه الحجات بكثر الساقى

من أعظم أمرائه وخواصه ويقال انه سمه وهو من مماليك بيبرس الجاشنكير وانتقل الى الناصر فجعله أمير اخورا وعظمت منزلته عنده واطلقت خلته حتى كان الابنه تزوجان أمافى بيت السلطان وأمافى بيته وكان حسن السياسة فى الغاية وخلف بعد وفاته من الاموال والجواهر والذخائر ما يفوت الحصر والله تعالى ولى التوفيق بمنه وكرمه

(أخبار النوبة واسلامهم)

قد تقدم لنا غزو الترك الى النوبة أيام الظاهر بيبرس والمنصور قلاوون لما كان عليهم من الجزية التى فرضها عمرو بن العاصى عليهم وقررها الملوك بعد ذلك وربما كانوا يماطلون بها أو يمتنعون من أدائها فتغزوهم عساكر المسلمين من مصر حتى يستقيموا وكان ملكهم بدنقلة أيام سارت العساكر من عند قلاوون اليها سنة ثمانين وستمائة واسمه سمامون ثم كان ملكهم لهذا العهد اسمه آى لا أدرى أكان معاقبا لسمامون أو توسط بينهما متوسط وتوفى آى سنة ست عشرة وسبعمائة وملك بعده فى دنقلة أخوه كربيس ثم نزع من بيت ملوكهم رجل الى مصر اسمه نشلى وأسلم فحسن اسلامه وأجرى له رزقا وأقام عنده فلما كانت سنة ست عشرة امتنع كربيس من أداء الجزية فجهز السلطان اليه العساكر وبعث معها عبد الله نشلى المهاجر الى الاسلام من بيت ملكهم فخام كربيس عن لقائهم وفر الى بلد الابواب ورجعت العساكر الى مصر واستقر نشلى فى ملك النوبة على حاله من الاسلام وبعث السلطان الى ملك الابواب فى كربيس فبعث به اليه وأقام بباب السلطان ثم ان أهل النوبة اجتمعوا على نشلى وقتلوه بممالأة جماعة من العرب سنة تسع وبعثوا عن كربيس ببلد الابواب فألفوه بمصر وبلغ الخبر الى السلطان فبعثه الى النوبة فملكها وانقطعت الجزية باسلامهم ثم انتشرت أحياء العرب من جهينة فى بلادهم واستوطنوها وملكوها وملؤها عيثا وفسادا وذهب ملوك النوبة الى مدافعتهم فعجزوا ثم ساروا الى مصانعتهم بالصهر فافترق ملكهم وصار لبعض أبناء جهينة من أمهاتهم على عادة الاعاجم فى تمليك الاخت وابن الاخت فتمزق ملكهم واستولى اعراب جهينة على بلادهم وليس فى طريقه شئ من السياسة الملوكية للآفة التى تمنع من انقياد بعضهم الى بعض فصاروا شيعا لهذا العهد ولم يبق لبلادهم رسم للملك وانما هم الآن رحالة بادية يتبعون مواقع القطر شأن بوادى الاعراب ولم يبق فى بلادهم رسم للملك لما أحالته صبغة البداوة العربية من صبغتهم بالخلطة والالتحام والله غالب على أمره والله تعالى ينصر من يشاء من عباده

(بقية أخبار الارمن الى فتح اياس ثم فتح سيس وانقراض أمرهم)

قد كنا قدمنا أخبار الارمن الى قتل ملكهم هيثوم على يد ايدغدى شحنة التتر ببلاد الروم سنة سبع واستقرار الملك بسيس لاخيه أوسير بن ليعون وكان بينه وبين قزمان ملك التركمان مصاف سنة تسع عشرة فهزمه قزمان ولم يزل أوسير بن ليعون ملكا عليهم الى سنة اثنتين وسبعين فهلك ونصبوا للملك بعده ابنه ليعون صغيرا ابن ثنتى عشرة سنة وكان الناصر قد طلب أوسير أن ينزل له عن القلاع التى تلى الشأم فاتسع وجهز اليه عساكر الشأم فاكتسحوا بلاده وخربوها وهلك أوسير على اثر ذلك ثم أمر الناصر كيبغا نائب حلب بغزو سيس فدخل اليها بالعساكر سنة ست وثلاثين واكتسح جهاتها وحصر قلعة النقير وافتتحها وأسر من الارمن عدة يقال بلغوا الثمانمائة وبلغ خبرهم الى النصارى باياس فثار وابمن عندهم من المسلمين وأحرقوهم غضبا للارمن لمشاركتهم فى دين النصرانية ولم يثبت أن بعث الى السلطان دمرداش بن جوبان شحنة المغل ببلاد الروم يعرّفه بدخوله فى الاسلام ويستنفر عساكره لجهاد نصارى الارمن فأسعفه بذلك وجهز اليه عساكر الشأم من دمشق وحلب وحماة سنة سبع وثلاثين ونازلوا مدينة اياس ففتحوها وخربوها وتجافلهم الى الجبال فاتبعتهم عساكر حلب وعادوا الى بلادهم ثم سار سنة احدى وستين بيدمر الخوارزمى نائب حلب لغزو سيس ففتح أذنة وطرسوس والمصيصة ثم قلعتى كلال والجريدة وسنباط كلا وتروزو ولى نائبين فى أذنة وطرسوس وعاد الى حلب وولى بعده على حلب عشقيم النصارى فسار سنة ست وسبعين وحصر سيس وقلعتها شهرين الى أن نفدت أقواتهم وجهدهم الحصار فاستأمنوا ونزلوا على حكمه فخرج ملكهم النكفور وأمراؤه وعساكره الى عشقيم فبعثهم الى مصر واستولى المسلمون على سيس وسائر قلاعها وانقرضت منها دولة الارمن والبقاء لله وحده انتهى

(الصلح مع ملوك التتر وصهر الناصر مع ملوك الشمال منهم)

كان للتتر دولتان مستفحلتان احداهما دولة بنى هلاكو آخذ بغداد والمستولى على كرسى الاسلام بالعراق وأصارها هو وبنوه كرسيا لهم ولهم مع ذلك عراق العجم وفارس وخراسان وماوراء النهر ودولة بنى دوشى خان بن جنكزخان بالشمال متصلة الى خوارزم بالمشرق الى القرم وحدود القسطنطينية بالجنوب والى أرض بلغار بالمغرب وكان بين الدولتين فتن وحروب كما تحدث بين الدول المتجاورة وكانت دولة الترك بمصر والشأم مجاورة لدولة بنى هلاكو وكان يطمعون فى ملك الشأم ويرددون الغزو اليه مرة بعد أخرى ويستميلون أولياءهم وأشياعهم من العرب والتركمان فيستظهرون بهم عليهم كما رأيت ذلك فى أخبارهم وكانت بين ملوكهم من ابطائين وقائم متعددة

وسروبهم فيها سجال وربما غلبوا من الفتنة بين دولة دوشي و بين بني هلاكو ويبعدهم عن فتنة بني دوشي خان لتوسط الممالك بين مملكتهم ومملكة مصر والشأم فتقع لهم الصاغية اليهم وتتجدد بينهم المراسلة والمهاداة في كل وقت ويستحث ملك الترك ملك صراى من بني دوشي خان لفتنة بني هلاكو والاجلاب عليهم في خراسان وما اليها من حدود مملكتهم ليشغلوهم عن الشأم ويأخذوا بحجزتهم عن النهوض اليه ومازال ذلك دأبهم من أول دولة الترك وكانت رغبة بني دوشي خان في ذلك أعظم يفتخرون به على بني هلاكو ولما ولي صراى ازبك من بني دوشي خان سنة ثلاث عشرة وكان نائبا ببلاد الروم قطلغمير وفدت عليه الرسل من مصر على العادة فعرض لهم قطلغمير بالصهر مع السلطان الناصر ببعض نساء ذلك البيت على شريطة الرغبة من السلطان في ظاهر الامر والتمهل منهم في امضاء ذلك وزعموا ان هذه عادة الملوك منهم ففعل السلطان ذلك وردد الرسل والهدايا أعواما ستة الى أن استحكم ذلك بينهم وبعثوا اليه بمخطوبته طلبناش بنت طغاجي بن هندو ابن بكر بن دوشي سنة عشرين مع كبير المغل وكان مقلدا يحمل على الاعناق ومعهم جماعة من أمرائهم وبرهان الدين امام ازبك ومروا بالقسطنطينية فبالغ لشكري في كرامتهم يقال انه أنفق عليهم ستين ألف دينار وركبوا البحر من هنالك الى الاسكندرية ثم ساروا بها الى مصر محمولة على عجلة وراء ستور من الذهب والحرير يجرها كديش يقوده اثنان من مواليها في مظهر عظيم من الوقار والتجلة ولما قاربوا مصر ركب للقائهم النائبان ارغون وبكتمر الساقي في العساكر وكريم الدين وكيل السلطان وأدخلت الخاتون الى القصر واستدعى ثالث وصولها القضاة والفقهاء وسائر الناس على طبقاتهم الى الجامع بالقلعة وحضر الرسل الوافدون عندهم بعد ان خلع عليهم وانعقد النكاح بين وكيل السلطان ووكيل ازبك وانفض ذلك الجمع وكان يوما مشهودا ووصلت رسل أبي سعيد صاحب بغداد والعراق سنة ثنتين وعشرين وفيهم قاضي توريز يسألون الصلح وانتظام الكلمة واجتماع اليد على اقامة معالم الاسلام من الحج واصلاح السابلة وجهاد العدو فأجاب السلطان الى ذلك وبعث سيف الدين ايتمش المحمدي لاحكام العقد معهم واستضاء ايمانهم فتوجه لذلك بهدية سنية وعاد سنة ثلاث وعشرين ومعه رسل أبي سعيد ومعه جوبان لمثل ذلك فتم ذلك وانعقد بينهم وقد كانت قبل ذلك تجددت الفتنة بين أبي سعيد وصاحب صراى بقرة من ازبك صاحب صراى من تغلب جوبان على أبي سعيد وتحكمه في المغل وكانت بين جوبان وبين سبول صاحب خوارزم وما وراء النهر فتنة ظهر فيها ازبك وأمده بالعساكر فاستولى ازبك على أكثر بلاد خراسان وطلب من

الناصر بعد الالتحام بالصهر المظاهرة على أبى سعيد وجوبان فأجابه الى ذلك ثم بعث اليه أبو سعيد فى الصلح كما قلناه فآثره وعقد له وبلغ الخبر الى ازبك ورسل الناصر عنده فأغلظ فى القول وبعث بالعتاب واعتذر له الناصر بأنهم اتخادعوه لاقامة شعائر الاسلام ولا يسع التخلف عن ذلك فقبل ثم وقعت بينه وبين أبى سعيد مراوضة فى الصلح بعد ان استرد جوبان ما ملكه ازبك من خراسان فتوادع كل هؤلاء الملوك واصطلحوا ووضعوا أوزار الحرب حينا من الدهر الى أن تقلبت الاحوال وتبدلت الامور والله مقلب الليل والنهار

(مقتل أولاد بنى نمى أمراء مكة من بنى حسن)

قد تقدم لنا استيلاء قتادة على مكة والحجاز من يد الهواشم واستقرارها لبنيه الى أن استولى منهم أبو نمى وهو محمد بن أبى سعد على بن قتادة ثم توفى سنة ثنتين وسبعمائة وولى مكانه ابناه رميثة وخميصة واعتقلا أخويهما عطيفة وأبا الغيث ولما حج الاميران كافلا المملكة بيبرس وسلار هربا اليهما من مكان اعتقالهما وشكيا ما نالهما من رميثة وخميصة فأشكاهما الاميران واعتقلا رميثة وخميصة وأوصلاهما الى مصر وولما عطيفة وأبا الغيث وبعثا بهما الى السلطان صحبة الامير ايدمر الكوكبى الذى جاء بالعساكر معهما ثم رضى السلطان عنهما وولاهما مكان رميثة وخميصة وبعث معهما العساكر ثانيا سنة ثلاث عشرة وفر رميثة وخميصة عن البلاد ورجع العسكر وأقام أبو الغيث وعطيفة فرجع اليهما رميثة وخميصة وتلاقوا فانهزم ابو الغيث وعطيفة فسارا الى المدينة فى جوار منصور بن حماد فأمدهما ببنى عقبة وبنى مهدى ورجع الى حرب رميثة وخميصة فاقتتلوا ثانيا ببطن مر وفانهزم أبو الغيث وقتل واستقر رميثة وخميصة ولحق بهما أخوهما عطيفة وسار معهما ثم تشاجروا سنة خمس عشر ولحق رميثة بالسلطان مستعديا على أخويه فبعث معه العساكر ففر خميصة بعد ان استصفى أهل مكة وهرب الى السبعة مدن ولحقته العساكر فاستلحق أهل تلك المدن ولقيهم فانهزموا ونجا خميصة بنفسه ثم رجعت العساكر فرجع وبعث رميثة يستنجد السلطان فبعث اليه العساكر ففر خميصة ثم رجع واتفق مع أخويه رميثة وعطيفة ثم لحق عطيفة بالسلطان سنة ثمان عشرة وبعث معه العساكر فتقبضوا على رميثة وأوصلوه معتقلا فسجن بالقلعة واستقر عطيفة بمكة وبقى خميصة مشردا ثم لحق بملك التتر ملك العراق خربندا واستنجده على ملك الحجاز فانجده بالعساكر وشاع بين الناس أنه داخل الروافض الذين عند خربندا فى اخراج الشيخين من قبريهما وعظم ذلك على الناس ولقيه محمد بن عيسى أخو مهنا حسبة وامتعاضا للدين وكان عند

ثم بنداقاتبعه واعترضه وهزمه ويقال انه أخذ منه المعاول والقوس التى أعدوها لذلك وكان سبب الرضا السلطان عنه وجاء خميصة الى مكة سنة ثمانى عشرة وبعث الناصر العساكر اليه فهرب وتركها ثم أطلق رميثة سنة تسع عشرة فهرب الى الحجاز ومعه وزيره على بن هنص فرد من طريقه واعتقل وأفرج عنه السلطان بعد مرجعه من الحج سنة عشرين ثم ان خميصة استأمن السلطان سنة عشرين وكان معه جماعة من المماليك هربوا اليه فخافوا أن يحضروا معه الى السلطان فاغتالوه وحضروا وكان السلطان قد أطلق رميثة من الاعتقال فامكنه منهم فثأر من المباشر قتل أخيه وعفا عن الباقين ثم صرف السلطان رميثة الى مكة وولاه مع أخيه عطيفة واستمرت حالهما ووفد عطيفة سنة احدى وعشرين على الابواب ومعه قتادة صاحب الينبع يطلب الصريخ على ابن عمه عقيل قاتل ولده فأجابه السلطان وجهز العساكر لصريخه وتويل كل منهما بالاحكار دوا انصرفوا وفى سنة احدى وثلاثين وقعت الفتنة بمكة وقتل العبيد جماعة من الامراء والترك فبعث السلطان ايدغمش ومعه العساكر فهرب الشرفاء والعبيد وحضر رميثة وبذل الطاعة وحلف متبرئا مما وقع فقبل منه السلطان وعفا له عنها واستمرت حاله على ذلك الى أن هلك سنة   وتداولت الامارة بين ابنيه عجلان وبقية ثم استبد عجلان كما نذكره فى أخبارهم وورثها بنوه ولهذا العهد كما نذكره مرتبا فى أخبارهم ان شاء الله تعالى

(حج ملك التكرور)

كان ملك السودان بصحراء المغرب فى الاقليم الاول والثانى منقسما بين أمم من السودان أولهم مما يلى البحر المحيط امة صوصو وكانوا مستولين على غانة ودخلوا فى الاسلام أيام الفتح وذكر صاحب كتاب رجار فى الجغرافيا ان بنى صالح من بنى عبد الله بن الحسن بن الحسن كانت لهم بها دولة وملك عظيم ولم يقع لنا فى تحقيق هذا الخبر أكثر من هذا وصالح من بنى حسن مجهول وأهل غانة منكرون أن يكون عليهم ملك لاحد غير صوصو ثم يلى أمة صوصو أمة مالى من شرقهم وكرسى ملكهم بمدينة بنى ثم من بعدهم شرقا عنهم أمة كوكو ثم التكرور بعدهم وفيما بينهم وبين النوبة أمة كانم وغيرها وتحولت الاحوال باستمرار العصور فاستولى أهل مالى على ماوراءهم وبين أيديهم من بلاد صوصو وكوكو وآخرما استولوا عليه بلاد التكرور واستفحل ملكهم الى الغاية وأصبحت مدينتهم بنى حاضرة بلاد السودان بالمغرب ودخلوا فى دين الاسلام منذ حين من السنين وحج جماعة من ملوكهم وأول من حج منهم برمندار وسمعت فى ضبطه من بعض فضلائهم برمندانه وسبيله فى الحج هى التى اقتفاها ملوكهم من بعده

ثم حج منهم منساولى بن مارى جاطة ايام الظاهر بيبرس وحج بعده منهم مولاهم صاكوره وكان تغلب على ملكهم وهو الذى افتتح مدينة كوكو ثم حج أيام الناصر وحج من بعده منهم منساموسى حسبما ذلك مذكور فى أخبارهم عند دول البربر عند ذكر صنهاجة ودولة لمتونة من شعوبهم ولما خرج منساموسى من بلاد المغرب للحج سلك على طريق الصحراء وخرج عند الاهرام بمصر وأهدى الى الناصر هدية حفيلة يقال ان فيها خمسين ألف دينار وأنزله بقصر عند القرافة الكبرى وأقطعه اياها ولقيه السلطان بمجلسه وحدثه ووصله وزوّده وقرب اليه الخيل والهجن وبعث معه الامراء يقومون بخدمته الى أن قضى فرضه سنة أربع وعشرين ورجع فأصابته فى طريقه بالحجاز نكبة تخلصه منها أجله وذلك أنه ضل فى الطريق عن المحمل والركب وانفرد بقومه عن العرب وهى كلها مجاهل لهم فلم يهتدوا الى عمران ولا وقفوا على مورد وساروا على السمت الى أن نفذوا عند السويس وهم يأكلون لحم الحيتان اذا وجدوها والاعراب تتخطفهم من اطرافهم الى أن خلصوا ثم جدد السلطان له الكرامة ووسع له فى الحباء وكان أعدّ لنفقته من بلاده فيما يقال مائة حمل من التبر فى كل حمل ثلاثة قناطير فنفدت كلها وأعجزته النفقة فاقترض من أعيان التجار وكان فى صحبته منهم بنو الكويك فاقرضوه خمسين ألف دينار وابتاع منهم القصر الذى أقطعه السلطان وأمضى له ذلك وبعث سراج الدين بن الكويك معه وزيره يرد له منه ما أقرضه من المال فهلك هنالك وأتبعه سراج الدين آخر ابابنه فمات هنالك وجاء ابنه فخر الدين أبو جعفر بالبعض وهلك منساموسى قبل وفاته فلم يظفروا منه بشئ انتهى والله سبحانه وتعالى أعلم

(الجهاد المجاهد ملك اليمن)

قد تقدم لنا استبداد على بن رسول بعد مهلك سيده يوسف اتسز بن الكامل بن العادل بن ايوب ويلقب المسعود وكان على بن رسول استاذداره ومستوليا على دولته فلما هلك سنة ست وعشرين وستمائة نصب ابن رسول ابنه موسى الاشرف للملك وكفله قريبا واستولى ابن رسول وأورث ملكه باليمن لبنيه لهذا العهد وانتقل الامر للمجاهد منهم على ابن داود المؤيد بن يوسف المظفر بن عمر بن المنصور بن على بن رسول سنة احدى وعشرين وانتقض عليه جلال الدين ابن عمه الاشرف فظهر عليه المجاهد واعتقله ثم انتقض عليه عمه المنصور بسنة ثلاث وعشرين وحبسه وأطلق من محبسه واعتقل عمه المنصور وكان عبد الله الظاهر بن المنصور قائما بأمر أبيه ومنازلة المجاهد سنة أربع وعشرين بالصريخ الى الناصر سلطان الترك بمصر وكان هو وقومه

يعطونهم الطاعة ويبعثون اليهم الاتاوة من الاموال والهدايا وطرف اليمن وماعونه فجهز لهم الناصر صحبة بيبرس الحاجب وطينال من أعظم أمرائه فساروا الى اليمن ولقيهم المجاهد بعدن فأصلحوا بين الفريقين على أن تكون ويستقر المجاهد في سلطانه باليمن ومالوا على كل من كان سببا في الفتنة فقتلوهم ودوخوا اليمن وحملوا أهله على طاعة المجاهد ورجعوا الى محلهم من الابواب السلطانية والله تعالى ولي التوفيق

(ولاية أحمد بن الملك الناصر على الكرك)

ولما استفحل ملك السلطان الناصر واستمر وكثر ولده طمحت نفسه الى ترشيح ولده لتقريعه بملكهم وبعث كبيرهم أحمد الى قلعة الكرك سنة ست وعشرين ورتب الامراء المقيمين بوظائف السلطان فسار الى الكرك وأقام بها أربع سنين ممتعا بالملك والدولة وأبوه قرير العين بامارته في حياته ثم استقدمه سنة ثلاثين وأقام فيه سنة الختان واحتفل في الصنيع له وختن معه من أبناء الامراء والخواص جماعة انتقاهم ووقع اختياره عليهم ثم صرفه الى مكان امارته بالكرك فأقام بها الى أن توفي الملك الناصر وكان ما نذكره والله تعالى أعلم

(وفاة دمرداش بن جوبان شحنة بلاد الروم ومقتله)

كان جوبان نائب مملكة التتر مستوليا على سلطانه أبي سعيد بن خربندا لصغره وكانت حاله مع أبيه خربندا قريبا من الاستيلاء فولى على مملكة بلاد الروم دمرداش ثم رفعت الفتنة بينهم وبين ملك الشمال أزبك من بني دوشي خان على خراسان وسار جوبان من بغداد سنة تسع وعشرين لمدافعته كما يأتي في أخبارهم وترك عند السلطان أبي سعيد ببغداد ابنه خواجا دمشق فسعى به أعداؤه واتهموا عنه قبائح من الافعال لم يحتملها له سلطانه وقتله وبلغ الخبر الى أبيه جوبان فانتقض وعاجله أبو سعيد بالمسير الى خراسان فتفرقت عنه أصحابه وفر فأدركه بهراة وقتل وأذن السلطان أبو سعيد لاهله أن ينقلوه الى التربة التي اختطها بالمدينة النبوية لدفنه فاحتملوه ولم يتوقفوا على اذن صاحب مصر فمنعهم صاحب المدينة ودفنوه بالبقيع ولما بلغ الخبر بمقتله الى ابنه دمرداش في امارته ببلاد الروم خشي على نفسه فهرب الى مصر وترك مولاه ارتق مقيما لامر البلد وأنزله بسيواس ولما وصل الى دمشق وركب النائب لتلقيه وسار معه الى مصر فأقبل عليه السلطان وأحله محل الكرامة وكان معه سبعة من الامراء ومن العسكر نحو ألف فارس فأكرمهم السلطان وأجرى عليهم الارزاق وأقاموا عنده

وجاءت على اثره رسل السلطان أبي سعيد وطلبه بذمة الصلح الذي عقده مع الملك الناصر وأوضحوا العلم السلطان من فساد طويته وطويته أبيه جوبان وسعيهم في الارض بالفساد فما أوجب اعطاءه باليد وشرط السلطان عليهم امضاء حكم الله تعالى في قراسنقر نائب حلب الذي كان فر سنة ثنتي عشرة مع أقوش الافرم الى خربندا وأغروه على ملك الشأم ولم يتم ذلك وأقاموا عند خربندا وولى أقوش الافرم على همذان فمات بها سنة ست عشرة فولى صاحبه قراسنقر مكانه بهمذان فلما شرط عليهم السلطان قتله كما قتل دمرداش أمضوا فيه حكم الله تعالى وقتلوه جزاء بما كان عليه من الفساد في الارض والله متولى جزائهم ثم وصل على اثر ذلك ابن السلطان أبي سعيد ومعه جماعة من قومه في تأكيد الصلح والاصهار من السلطان فقوبلوا بالكرامة التي تليق بهم واتصلت المراسلة والمهاداة بين هذين السلطانين الى أن توفيا والله وارث الارض ومن عليها وهو خير الوارثين

(وفاة مهنا بن عيسى أمير العرب بالشأم وأخبار قومه)

هذا الحي من العرب يعرفون بآل فضل رحالة ما بين الشأم والجزيرة وتربة نجد من أرض الحجاز يتقلبون بينها في الرحلتين وينتسبون في طيء ومعهم أحياء من زبيد وكلب وهذيل ومذحج احلاف لهم ويناهضهم في الغلب والعدد آل مراد يزعمون أن فضلا ومرادا أبناء ربيعة ويزعمون أيضا أن فضلا ينقسم ولده بين آل مهنا وآل علي وان آل فضل كلهم بأرض حوران فغلبهم عليها آل مراد وأخرجوهم منها فنزلوا حمص ونواحيها وأقامت زبيد من احلافهم بحوران فهم بها حتى الآن لا يفارقونها قالوا ثم اتصل آل فضل بالدول السلطانية وولوهم على أحياء العرب وأقطعوهم على اصلاح السابلة بين الشأم والعراق فاستظهروا برياستهم على آل مراد وغلبوهم على المشاتي فصار عامة رحلتهم في حدود الشأم قريبا من التلول والقرى لا ينجعون الى البرية الا في الاقل وكانت معهم أحياء من افاريق العرب مندرجون في لفيفهم وحلفهم من مذحج وعامر وزبيد كما كان آل فضل الآن أكثر من كان مع آل مراد من أولئك الاحياء وأوفرهم عدة بنو حارثة بن سنبس احدى شعوب طيء هكذا ذكر لي الثقة عندي من رجالتهم وبنو حارثة هؤلاء متغلبون لهذا العهد في تلول الشأم لا يجاوزونها الى العمران ورياسة آل فضل لهذا العهد لبني مهنا وينسبونه هكذا مهنا بن مانع ابن جديلة بن فضل بن بدر بن ربيعة بن علي بن مفرج بن بدر بن سالم ابن جصة بن بدر بن سميع ويقفون عند سميع ويقول رعاؤهم ان سميعا هذا هو الذي ولدته العباسة أخت الرشيد من جعفر بن يحيى البرمكي وحاشى لله من هذه المقالة في الرشيد وأخته وفي

انتساب كبراء العرب من طيء الى العجم والى العجم من بني برمك وانسابهم ثم ان الوجدان يحيل رياسة هؤلاء على هذا الحي ان لم يكونوا من نسبتهم وقد تقدم مثل ذلك في مقدمة الكتاب وكان مبدأ رياستهم من أول دولة بني أيوب قال العماد الاصبهاني في كتاب البرق السامي نزل العادل بمرج دمشق ومعه عيسى بن محمد بن ربيعة شيخ الاعراب في جموع كثيرة انتهى وكانت الرياسة قبلهم لعهد الفاطميين لبني جراح من طيء وكان كبيرهم مفرج بن دغفل بن جراح وكان من اقطاعه الرملة وهو الذي قبض على افتكين مولى بني بويه لما انهزم مع مولاه بختيار بالعراق وجاء به الى المعز فأكرمه ورقاه في دولته ولم يزل شأن مفرج هكذا وتوفي سنة أربع وأربعمائة وكان من ولده حسان ومحمود وعلي وجران وولي حسان بعده وعظم صيته وكان بينه وبين خلفاء الفاطميين نفرة واستجاشة وهو الذي هدم الرملة وهزم قائدهم هاروق التركي وقتله وسبى نساءه وهو الذي مدحه التهامي وقد ذكر المسبحي وغيره من مؤرخي دولة العبيديين في قرابة حسان بن مفرج فضل بن ربيعة بن حازم بن جراح وأخاه بدر بن ربيعة ولعل فضلا هذا هو جد آل فضل وقال ابن الاثير وفضل بن ربيعة بن حازم كان آباؤه أصحاب البلقاء والبيت المقدس وكان فضل تارة مع الافرنج وتارة مع خلفاء مصر ونكره لذلك طغركين اتابك دمشق وكافل بني تتش وطرده من الشأم فنزل على صدقة بن مزيد وحالفه ووصله حين قدم من دمشق بتسعة آلاف دينار فلما خالف صدقة بن مزيد على السلطان محمد بن ملك شاه سنة خمسمائة وما بعدها ووقعت بينهما الفتنة اجتمع فضل هذا وقرواش بن شرف الدولة مسلم بن قريش صاحب الموصل وبعض أمراء التركمان كانوا أولياء صدقة فساروا في الطلائع بين يدي الحرب وهربوا الى السلطان فأكرمهم وخلع عليهم وأنزل فضل بن ربيعة بدار صدقة بن مزيد ببغداد حتى اذا سار السلطان لقتال صدقة استأذنه فضل في الخروج الى البرية ليأخذ بحجزة صدقة فأذن له وعبر الى الانبار ولم يرجع للسلطان بعدها انتهى كلام ابن الاثير ويظهر من كلامه وكلام المسبحي ان فضلا هذا وبدرا من آل جراح من غير شك ويظهر من سياقة هؤلاء نسبهم ان فضلا هذا هو جدهم لانهم ينسبونه فضل بن علي بن مفرج وهو عند الآخرين فضل بن علي بن جراح فلعل هؤلاء نسبوا ربيعة الى مفرج الذي هو كبير بني الجراح لطول العهد وقلة المحافظة على مثل هذا من البادية الغفل وأما نسبة هذا الحي في طيء فبعضهم يقول ان الرياسة في طيء كانت لاياس بن قبيصة من بني سنبس بن عمرو بن الغوث بن طيء واياس هو الذي ملكه كسرى على الحيرة بعد آل المنذر عندما قتل النعمان بن المنذر وهو الذي صالح خالد بن الوليد على الحيرة ولم تزل الرياسة على طيء

في بني قبيصة هؤلاء صدراً من دولة الاسلام فلعل آل فضل هؤلاء وآل الجراح من أعقابهم وان كان انقرض أعقابهم فهم من أقرب الحي اليه لان الرياسة في الاحياء والشعوب انما تتصل في أهل العصبية والنسب كما مرّ أول الكتاب وقال ابن حزم عند ماذكر أنساب طيئ انهم لما خرجوا من اليمن نزلوا أجاوسلمى وأوطنوهما وما بينهما ونزل بنو اسد ما بينهما وبين العراق وفضل كثير منهم وهم بنو خارجة بن سعد بن من طيئ ويقال لهم جديلة نسبة الى أمّهم بنت تيم الله وحبيش والاسعد اخوتهم رحلوا عن الجبلين في حرب الفساد فلحقوا بحلب وحاضر طيئ وأوطنوا تلك البلاد الابني رمان ابن جندب بن خارجة بن سعد فانهم أقاموا بالجبلين فكان يقال لاهل الجبلين الجبليون ولاهل حلب وحاضر طيئ من بني خارجة السهليون انتهى فلعل هذه احياء الذين بالشأم من بني الجراح وآل فضل من بني خارجة هؤلاء الذين ذكر ابن حزم انهم انتقلوا الى حلب وحاضر طيئ لان هذا الموطن أقرب الى مواطنهم لهذا العهد من مواطن بني الجراح بفلسطين من جبل اجاوسلمى اللذين هما موطن الآخرين والله أعلم أيّ ذلك يصح من انسابهم ولنرجع الآن الى سرد الخبر عن رياسة آل فضل أهل هذا البيت منذ دولة بني أيوب فنقول كان الامير منهم لعهد بني أيوب عيسى بن محمد بن ربيعة أيام العادل كما قلناه ونقلناه عن العماد الاصبهاني الكاتب ثم كان بعده حسام الدين مانع ابن حديثة بن غصينة بن فضل وتوفي سنة ثلاثين وستمائة وولي عليهم بعده ابنه مهنا ولما ارتجع قطز ثالث ملوك الترك بمصر وملك الشأم من يد التتر وهزم عسكرهم بعين جالوت أقطع سلمية لمهنا بن مانع وانتزعها من عمل المنصور بن المظفر بن شاهنشاه صاحب حماة ولم أقف على تاريخ وفاة مهنا ثم ولى الظاهر على أحياء العرب بالشأم عندما استفحل أمر الترك وسار الى دمشق لتشييع الخليفة الحاكم عم المستعصم لبغداد فولى على العرب عيسى بن مهنا بن مانع ووفر له الاقطاعات على حفظ السابلة وحبس ابن عمه زامل بن علي بن ربيعة من آل علي لاعناته واعراضه ولم يزل أميراً على أحياء العرب وصلحوا في أيامه لانه خالف أباه في الشدّة عليهم وهرب اليه سنقر الاشقر سنة تسع وتسعين وكاتبوا ابغا واستحثوه لملك الشأم وتوفي عيسى بن مهنا سنة أربع وثمانين فولى المنصور قلاون بعده ابنه مهنا ثم سار الاشرف بن قلاون الى الشأم ونزل حمص ووفد عليه مهنا بن عيسى في جماعة من قومه فقبض عليه وعلى ابنه موسى وأخويه محمد وفضل ابني عيسى بن مهنا وبعث بهم الى مصر فحبسوا بها حتى أفرج عنهم العادل كيبغا عندما جلس على التخت سنة أربع وتسعين ورجع الى امارته ثم كان له في أيام الناصر نفرة واستيحاشة وميل الى ملوك التتر بالعراق ولم يحضر شيأ من وقائع

غازان ولما انتقض سنقر وأقوش الافرم وأصحابهما سنة ثنتي عشرة وسبعمائة لحقوا به وساروا من عنده الى خربندا واستوحش هو من السلطان وأقام في أحيائه منقبضا عن الوفادة ووفد أخوه فضل سنة ثنتي عشرة فرعى له حق وفادته وولاه على العرب مكان أخيه مهنا وبقي مهنا مشردا ثم لحق سنة ست عشرة بخربندا ملك التتر فأكرمه وأقطعه بالعراق وهلك خربندا في تلك السنة فرجع الى أحيائه وأوفد ابنيه أحمد وموسى وأخاه محمد بن عيسى مستعتبين للناصر ومتطارحين عليه فأكرم وفادتهم وأنزلهم بالقصر الابلق وشملهم بالاحسان وأعتب مهنا ورده على امارته واقطاعه وذلك سنة سبع عشرة وحج هذه السنة ابنه عيسى وأخوه محمد وجماعة من آل فضل اثنا عشر ألف راحلة ثم رجع مهنا الى ديدنه في ممالأة التتر والاجلاب على الشأم واتصل ذلك منه فنقم السلطان عليه وسخطه قومه أجمع وكتب الى نواب الشأم سنة عشرين بعد مرجعه من الحج فطرد آل فضل عن البلاد وادال منهم آل علي عديدتهم وولى منهم على أحياء العرب محمد بن أبي بكر وصرف اقطاع مهنا وولده الى محمد وولده وأقام مهنا على ذلك مدة ثم وفد سنة احدى وثلاثين مع الافضل بن المؤيد صاحب حماة متوسلا به ومتطارحا على السلطان فاقبل عليه ورد عليه اقطاعه وامارته وذكر لي بعض أكابر الامراء بمصر ممن ادرك وفادته أو حدث عنها أنه تجافى في هذه الوفادة عن قبول شيء من السلطان حتى انه ساق من النياق الحلوبة واستقاها وانه لم يغش باب أحد من أرباب الدولة ولا سألهم شيأ من حاجته ثم رجع الى أحيائه وتوفي سنة أربع وثلاثين فولي ابنه مظفر الدين موسى وتوفي سنة اثنين وأربعين عقب مهلك الناصر وولي مكانه أخوه سليمان ثم هلك سليمان سنة ثلاث وأربعين فولي مكانه شرف الدين عيسى ابن عمه فضل بن عيسى ثم توفي سنة أربع وأربعين بالقدس ودفن عند قبر خالد بن الوليد رضي الله عنه وولي مكانه أخوه سيف بن فضل ثم عزله السلطان بمصر الكامل بن الناصر سنة ست وأربعين وولي مكانه مهنا بن عيسى ثم جمع سيف بن مهنا ولقيه فياض بن مهنا فانهزم سيف ثم ولي السلطان حسين بن الناصر في دولته الاولى وهو في كفالة بيقاروس أحمد بن مهنا فسكنت الفتنة بينهم ثم توفي سنة تسع وأربعين فولي مكانه أخوه فياض وهلك سنة ثنتين وستين فولي مكانه أخوه خيار بن مهنا ولاه حسين بن الناصر في دولته الثانية ثم انتقض سنة خمس وستين وأقام سنين بالقفر ضاحيا الى أن شفع فيه نائب حماة فأعيد الى امارته ثم انتقض سنة سبعين فولى السلطان الاشرف مكانه ابن عمه زامل بن موسى بن عيسى وجاء الى نواحي حلب واجتمع اليه بنو كلاب وغيرهم وعاثوا في البلاد وعلى حلب يومئذ قشمر المنصوري فبرز اليهم وانتهى الى محيهم واستاق نعمهم

وتخطى الى الخيام فاستباحوها وهزموا عساكره وقتل قشمر وابنه في المعركة وتولى بيده وذهب الى القفر سنة قضا فولى مكانه معيقل بن فضل بن عيسى ثم بعث معيقل صاحبه سنة احدى وسبعين يستأمن لخيار فأمنه ثم وفد خيار بن مهنا سنة خمس وسبعين فرضي عنه السلطان فأعاده الى امارته ثم توفي سنة سبع وسبعين فولى أخوه قارة الى أن توفي سنة احدى وثمانين فولى مكانه معيقل بن فضل بن عيسى وزامل بن موسى بن مهنا شريكين في امارتهما ثم عزلا لسنة من ولايتهما وولى بعير بن جبار بن مهنا واسمه محمد وهو لهذا العهد أمير على آل فضل وجميع أحياء طيء والله تعالى أعلم

* (وفاة أبي سعيد ملك العراق وانقراض أمر بني هلاكو) *

ثم توفي أبو سعيد ملك العراق من التتر ابن خربندا ابن ارغو بن ابغا بن هلاكو بن طولي خان بن جنكزخان سنة ست وثلاثين وسبعمائة لعشرين سنة من ملكه ولم يعقب فانقرض بموته ملك بني هلاكو وصار الامر بالعراق لسواهم وافترق ملك التتر في سائر ممالكهم كما نذكر في أخبارهم ولما استبد ببغداد الشيخ حسن من أسباطهم كثر عليه المنازعون فبعث رسله الى الناصر قبيل وفاته يستنجده على أن يسلم له بغداد ويعطى الرهن في العساكر حتى يقضي بها في أعدائه فاجابه الناصر الى ذلك ثم توفي قريبا فلم يتم والامر لله وحده

* (وصول هدية ملك المغرب الاقصى مع رسله وكريمته صحبة الحاج) *

كان ملك بني مرين بالمغرب الاقصى قد استفحل لهذا العصر وصار للسلطان أبي الحسن علي ابن السلطان أبي سعيد عثمان بن السلطان أبي يوسف يعقوب بن عبد الحق جد ملوكهم وأسف الى ملك جيرانهم من الدول فزحف الى المغرب الاوسط وهو في ملكة بني عبد الواد أعداء قومه من زناتة وملكهم أبو تاشفين عبد الرحمن بن أبي حمو موسى ابن أبي سعيد عثمان بن السلطان يغمراسن بن زيان جد ملوكهم أيضا وكرسيه تلمسان سبعة وعشرين شهرا ونصب عليها المجانيق وادار بالاسوار سياجا المنع وصول الميرة والاقوات اليها وتقرى أعمالها بلدا بلدا فملك جميعها ثم افتتحها عنوة آخر رمضان سنة سبع وثلاثين فقتل جموعها وقتل سلطانها عند باب قصره كما نذكره في أخبارهم ثم كتب للملك الناصر صاحب مصر يخبره بفتحها وزوال العائق عن وفادة الحاج وانه ناظر في ذلك بما يسهل سبيلهم ويزيل عللهم وكانت كريمة من كرائم ابيه السلطان أبي سعيد ومن أهل فراشه قد اقتضت منه الوعد بالحج عندما ملك تلمسان فلما فتحها

وأذهب عدوه منها جهز تلك المرأة للحج بما يناسب قرابتها منه وجهز معها للملك الناصر صاحب مصر هدية فخمة مشتملة على خمسمائة من الجياد المغربيات بعدتها وعدة فرسانها من السروج واللجم والسيوف وطرف المغرب وماعونه من شتى أصنافه ومن ثياب الحرير والصوف والكتان وصنائع الجلد حتى ابزعموا أنه كان فيها من أواني الخزف وأصناف الدر والياقوت ومايشبههما في سبيل التودد وعرض أحوال المغرب على سلطان المشرق ولعظم قدر هذه الوافدة عند الناصر أوفد معها من عظماء قومه ووزرائه وأهل مجلسه فوفدوا على الناصر سنة ثمان وثلاثين وأحلهم بأشرف محل من التكرمة وبعث من اصطبلاته ثلاثين خطالا من البغال يحملون الهدية من بحر النيل سوى ماتبعها من الجنائب والجمال وجلس لهم في يوم مشهود ودخلوا عليه وعرضوا الهدية فعمت بها أهل دولته احسانا في ذلك المجلس واستأثر منها على مازعموا بالدر والياقوت فقط ثم فرقهم في منازله وأنزلهم دار كرامته وقد هيئت بالفرش والماعون ووفر لهم الجرايات واستكثر لهم من الازودة وبعث أمراء في خدمتهم الى الحجاز حتى قضوا فرضهم في تلك السنة وانقلبوا الى سلطانهم فجهز الناصر معهم هدية الى ملك المغرب تشتمل على ثياب الحرير المصنوعة بالاسكندرية وعين منها الحمل المتعارف في كل سنة لخزانة السلطان وقيمته لذلك العهد خمسون ألف دينار وعلى خيمة من خيم السلطان المصنوعة بالشأم فيها أمثال البيوت والقباب والكفات مرساة أطرافها في الارض بأوتاد الحديد والخشب كأنها قباب ماثلة وعلى خيمة مؤزر باطنها من ثياب الحرير العراقية وظاهرها من ثياب القطن الصرافية مستجادة الصنعة بين الحدل والاوتاد أحسن مايرا من البيوت وعلى صوان من الحرير مربع الشكل يقام بالحدل الحافظ ظلها من الشمس وعلى عشرة من الجياد المقربات الملوكية بسروج ولجم ملوكية مصنوعة من الذهب والفضة مرصعة باللآلى والفصوص وبعث مع تلك الجياد خدم يقومون بخياتها المتعارف فيها ووصلت الهدية الى سلطان المغرب فوقعت منه أحسن المواقع وأعاد الكتب والرسل بالشكر واستحكمت المودة بين هذين السلطانين واتصلت المهاداة الى أن مضيا لسبيلهما والله تعالى ولي التوفيق

(وفاة الخليفة أبي الربيع وولاية ابنه)

قد ذكرنا أيام الظاهر وانه أقام خليفة بمصر من ولد الراشد وصل يومئذ من بغداد واسمه أحمد بن محمد وذكرنا نسبه هنالك الى الراشد وأنه بويع له بالخلافة سنة ستين وستمائة ولقبه الحاكم فلم يزل في خلافته الى أن توفي سنة احدى وسبعمائة وقد عهد لابنه سليمان فبايعه أهل دولة الناصر الكافلون لها ولقبوه المستكفي فبقي خليفة سائر أيام

الناصر ثم تنكر له السلطان سنة ست وثلاثين لشيء نمي له عن بنيه فأسكنه بالقلعة ومنعه من لقاء الناس فبقي حولا كذلك ثم ترك سبيله ونزل الى بيته ثم كثرت السعاية في بنيه فغربه سنة ثمان وثلاثين الى قوص هو وبنوه وسائر أقاربه وأقام هنالك الى أن هلك سنة أربعين قبل مهلك الناصر وقد عهد بالخلافة لابنه أحمد ولقبه الحاكم فلم يمض الناصر عهده في ذلك لان أكثر السعاية المشار اليها كانت فيه فنصب للخلافة بعد المستكفي ابن عمه ابراهيم بن محمد ولقبه الواثق وهلك لاشهر قريبة فاتفق الامراء بعده على امضاء عهد المستكفي في ابنه أحمد فبايعوه سنة احدى وأربعين وأقام في الخلافة الى سنة ثلاث وخمسين فتوفي وولي أخوه أبو بكر ولقب المعتضد ثم هلك سنة ثلاث وستين لعشرة اشهر من خلافته ونصب بعده ابنه محمد ولقب المتوكل ونورد من أخباره في أماكنها ما يحضرنا ذكره والله سبحانه وتعالى أعلم بغيبه

(نكبة تنكز ومقتله)

كان تنكز مولى من موالي لاشين اصطفاه الناصر وقربه وشهد معه وقائع التتر وسار معه الى الكرك وأقام في خدمته مدة خلعه ولما رجع الى كرسيه ومهد أمور ملكه ورتب الولاية لمن يرضاه من أمرائه بعث تنكز الى الشأم وجعله نائبا بدمشق ومشارفا لسائر بلاد الروم ففتح ملطية ودوخ بلاد الارمن وكان يتردد بالوفادة على السلطان يشاوره وربما استدعاه للمفاوضة في المهمات واستعمل في دفاع التتر وكيادهم ولما توفي أبو سعيد وانقرض ملك بني هلاكو وافترق أمر بغداد وتوريز وكانا معا يجاورانه ويستنجدانه وسخطه بعضهم فراسل السلطان بغشه وادهانه في طاعته وممالأة أعدائه وشرع السلطان في استكشاف حاله وكان قد عقد له على بنته فبعث دواداره باجار يستقدمه للاعراس بها وكان عدوا له للمنافسة والغيرة فأشار على تنكز بالمقام وتخلفه من السلطان وغشه في النصيحة وحذر السلطان منه فبعث الملك الناصر الى طشتمر نائب صفد ان يتوجه الى دمشق ويقبض عليه فقبض عليه سنة أربعين لثمان وعشرين سنة لولايته بدمشق وبعث الملك الناصر مولاه لتمش الى دمشق في العساكر فاحتاط على موجوده وكان شيأ لا يعبر عنه من أصناف المتملكات وجيء به مقيدا فاعتقل بالاسكندرية ثم قتل في محبسه والله تعالى أعلم

(وفاة الملك الناصر وابنه أنوك قبله وولاية ابنه أبي بكر ثم كجك)

ثم توفي الملك الناصر محمد بن المنصور قلاون أمجد ما كان ملكا وأعظم استبدادا توفي ليلة ثالث عشر ذي الحجة آخر احدى وأربعين وسبعمائة بعد ان توفي قبله بقليل ابنه أنوك

فاحتسبه وكانت وفاته لثمان وأربعين سنة من ولايته الاولى في كفالة طابغا
ولثنتين وثلاثين من حين استبداده بأمره بعد بيبرس وصفا الملك له وولي النيابة في هذه
ثلاثة من أمرائه بيبرس الدوادار المؤرخ ثم بكتمر الجوكندار ثم أرغون الدوادار
ولم يول أحدا النيابة بعده وبقيت الوظيفة عطلا آخر أيامه وأما دواداريته فأيدمر
ثم سلار ثم الحلبي ثم يوسف بن الاسعد ثم بغا ثم طاجار وكتب عنه شرف الدين بن فضل الله
ثم علاء الدين بن الامير ثم محيي الدين بن فضل الله ثم ابنه شهاب الدين ثم ابنه الآخر
علاء الدين وولي القضاء في دولته تقي الدين بن دقيق العيد ثم بدر الدين بن جماعة وانما
ذكرت هذه الوظائف وان كان ذلك ليس من شرط الكتاب لعظم دولة الناصر
وطول أمدها واستفحال دولة الترك عندها وقدمت الكتاب على القضاة وان كانوا
أحق بالتقديم لان الكتاب أمس بالدولة فانهم من أعوان الملك ولما اشتد المرض
بالسلطان وكان قوصون أحظى عظيم من أمرائه فبادر القصر في عاليكه متسلحين
وكان بشتك يضاهيه فارتاب وسلح أصحابه وبدا بينهما التنافس ودس بشتك الشكوى
الى السلطان فاستدعاهما وأصلح بينهما وأراد ان يعهد بالملك الى قوصون فامتنع فعهد
لابنه أبي بكر ومات فمال من عماليك بشتك الى ولاية أحمد صاحب الكرك وأبى قوصون
الا الوفاء بعهد السلطان ثم رجع اليه بشتك بعد مراوضة فبويع أبو بكر ولقب
المنصور وقام بأمر الدولة قوصون وردفه قطلوبغا الفخري فولوا على نيابة السلطان
طقردمر وبعثوا على حلب طشتمر وعلى حمص أخضر عوضا عن طغراى وأقروا كيبغا
الصالحي على دمشق ثم استوحش بشتك من استبداد قوصون وقطلوبغا دونه فطلب
نيابة دمشق وكان يعجب بها من يوم دخلها للحوطة على تنكز فاستعفوه فلما جاء
للوداع قبض عليه قطلوبغا الفخري وبعث به الى الاسكندرية فاعتقل بها ثم أقبل
السلطان أبو بكر على لذاته ونزع عن الملك وصار يمشي في سكك المدينة في الليل
متنكرا مخالطا للسوقة فنكر ذلك الامراء وخلعه قوصون وقطلوبغا لسبعة وخمسين
يوما من بيعته وبعثوا به الى قوص فحبس بها وولوا أخاه كجك ولقبوه الاشرف وعزلوا
طقردمر عن النيابة وقام بها قوصون وبعثوا طقردمر نائبا على حماة وأدالوا به
من الافضل بن المؤيد فكان آخر من وليها من بني المظفر وقبضوا على طاجار الدويدار
وبعثوا به الى الاسكندرية فغرق في البحر وبعثوا بقتل بشتك في محبسه بالاسكندرية
والله تعالى ينصر من يشاء من عباده

* (مقتل قوصون ودولة أحمد بن الملك الناصر) *

لما بلغ الخبر الى الامراء بالشأم باستبداد قوصون على الدولة غضبوا من مكانه واعتزموا

على البيعة لأحمد بن الملك الناصر وكان يومئذ بالكرك مقيما منذ ولاه أبوه امارتها كما قدّمناه فكاتبه طشتمر نائب حمص وأخضر نائب حلب واستدعاه الى الملك وبلغ الخبر الى مصر فخرج قطلو بغا في العساكر لحصار الكرك وبعثوا الى طنبغا الصالحي نائب دمشق بأن يسار في العساكر الى حلب للقبض على طشتمر نائب حمص وأخضر وكان قطلو بغا الفخري قد استوحش من صاحبه قوصون وغص باستبداده عليه فلما فصل بالجند من مصر بعث ببيعته الى أحمد بن الملك الناصر بالكرك وسار الى الشأم فأقام دعوته في دمشق ودعا اليها طقردمر نائب حماة فأجابه وقدم عليه وانتهى الخبر الى طنبغا نائب دمشق وهو يحاصر حلب فافرج عنها ودعاه قطلو بغا الى بيعة أحمد فأبى فانتقض عليه أصحابه وسار الى مصر واستولى قطلو بغا الفخري على الشأم أجمع بدعوة أحمد وبعث الى الامراء بمصر فأجابوا اليها واجتمع ايدغمش وأقسنقر السلاري وغازي ومن تبعهم من الامراء على البيعة لاحمد واسترابهم قوصون كافل المملكة وهمّ بالقبض عليهم وشاور طنبغا اليحياوي من عنده من أصحابه في ذلك فغشوه وخذلوه وركب القوم ليلا وكان ايدغمش عنده بالاصطبل وهو أمير الماصورية وهمّ قوصون بالركوب فخذله وثنى عزمه ثم ركب معهم واتصلت الهيعة ونادى في الغوغاء بنهب بيوت قوصون فنهبوها وخربوها وخربوا الحمامات التي بناها بالقرافة تحت القلعة ونهب شيخها شمس الدين الاصبهاني فسلبوه ثيابه وانطلقت أيدي الغوغاء في البلد ولحقت الناس منهم مضرات في بيوتهم واقتحموا بيت حسام الدين الغوري قاضي الحنفية فنهبوه وسبوا عياله وقادهم اليه بعض من كان يحنق عليه من الخصوم فجرت عليه معرّة من ذلك ثم اقتحم ايدغمش وأصحابه القلعة وتقبضوا على قوصون وبعثوا به الى الاسكندرية فمات في محبسه وكان قوصون قد أخرج جماعة من الامراء للقاء طنبغا الصالحي فسار قراسنقر السلاري في أثرهم وتقبض عليهم وعلى الصالحي وبعث بهم جميعا الى الاسكندرية فيما بعد سنة خمس وأربعين وبعث لاحمد بن الملك الناصر وطير اليه بالخبر وتقبض على جماعة من الامراء واعتقالهم ثم قدم السلطان أحمد من الكرك في رمضان سنة ثنتين وأربعين ومعه طشتمر نائب حمص وأخضر نائب حلب وقطلو بغا الفخري فولى طشتمر نائبا بمصر وقطلو بغا الفخري بعثه الى دمشق نائبا ثم قبض على أخضر لشهر أو نحوه وقبض على ايدغمش وأقسنقر السلاري ثم ولى ايدغمش على حلب وبلغ الخبر الى قطلو بغا الفخري قبل وصوله الى دمشق فعدل الى حلب واتبعته العساكر فلم يدركوه وتقبض على ايدغمش بحلب وبعث به الى مصر فاعتقل مع طشتمر وارتاب الامراء بأنفسهم واستوحش السلطان

منهم انتهى والله أعلم

(مسير السلطان أحمد الى الكرك واتفاق الامراء على خلعه والبيعة لاخيه الصالح)

ولما استوحش الامراء من السلطان وارتاب بهم ارتحل الى الكرك لثلاثة أشهر من بيعته واحتمل معه طشتمر وايدغمش معتقلين واستصحب الخليفة الحاكم واستوحش نائب صفد بيبرس الاحمدى وسار الى دمشق وهي يومئذ فوضى فتلقاه العسكر وأنزلوه وبعث السلطان في القبض عليه فأبى من اعطاء يده وقال انما الطاعة لسلطان مصر وأما صاحب الكرك فلا وطالت غيبة السلطان أحمد بالكرك واضطرب الشأم فبعث اليه الامراء بمصر في الرجوع الى دار ملكه فامتنع وقال هذه مملكتي أنزل من بلادها حيث شئت وعمد الى طشتمر وايدغمش الفخري فقتلهما فاجتمع الامراء بمصر وكبيرهم بيبرس العلائي وارغون الكاملي وخلعوه وبايعوا الاخيه اسمعيل في محرم سنة ثلاث وأربعين ولقبوه الصالح فولى أقسنقر السلارى ونقل ايدغمش الناصرى من نيابة حلب الى نيابة دمشق وولى مكانه بحلب طقردمر ثم عزل ايدغمش من دمشق ونقل اليها طقردمر وولى بحلب طنبغا الماردانى ثم هلك الماردانى فولى مكانه طنبغا اليحياوى واستقامت أموره والله تعالى ولى التوفيق

(ثورة رمضان بن الناصر ومقتله وحصار الكرك ومقتل السلطان أحمد)

ثم ان بعض المماليك داخل رمضان بن الملك الناصر في الثورة بأخيه وواعدوه قبة النصر وركب اليهم وأخلفوه فوقف في مماليكه ساعة يهتفون بدعوته ثم استمر هاربا الى الكرك واتبعه العسكر محمد بن السرفى الطريق وجاؤا به فقتل بمصر وارتاب السلطان بالكثير من الامراء وقبض على نائبه أقسنقر السلارى وبعث به الى الاسكندرية فقتل هنالك وولى مكانه الحاج الملك ثم سرح العساكر سنة أربع وأربعين لحصار الكرك مترادفة ونزع بعض العساكر عن السلطان أحمد من الكرك فلحقوا بمصر وكان آخر من سار من الامراء لحصار الكرك قبارى ومسارى سنة خمس وأربعين فأخذوا بمخنقه ثم اقتحموا عليه وملكوه وقتلوه فكان لبثه بالملك في مصر ثلاثة أشهر وأياما وانتقل الى الكرك في محرم سنة ثلاث وأربعين الى أن حوصر ومثل به وتوفى في أيامه طنبغا الماردانى نائب حلب فولى مكانه طنبغا اليحياوى وسيف الدين طراى الجاشنكير نائب طرابلس فولى مكانه اقسنقر الناصرى والله تعالى أعلم

(وفاة الصالح بن الناصر وولاية أخيه الكامل)

ثم توفى الملك الصالح اسمعيل بن الملك الناصر حتف أنفه سنة ست وأربعين لثلاث سنين وثلاثة أشهر من ولايته وبويع بعده أخوه زين الدين شعبان ولقب الكامل وقام بأمره ارغون العلاوى وولى نيابة مصر وعرض الحاج الملك الى صفد ثم رده من طريقه معتقلا الى دمشق وبعث الى القماري الكبير فبعثه الى حبس الاسكندرية واستدعى طقزدمر نائب دمشق وكحل الاشرف المخلوع بن الناصر الذى ولاه قوصون وهلك الحاج الملك الجوكندار فى محبسه بدمشق انتهى والله أعلم

(مقتل الكامل وبيعة أخيه المظفر حاجى)

كان السلطان الكامل قد أرهف حده فى الاستبداد على أهل دولته فرارا مما يتوهم فيهم من الحجر عليه فتراسل الامراء بمصر والشأم وأجمعوا الادالة منهم وانتقض طنبغا اليحياوى ومن معه بدمشق سنة سبع وأربعين وبرز فى العساكر يريد مصر وبعث الكامل منجو اليوسفى يستطلع أخبارهم فحبسه اليحياوى واتصل الخبر بالكامل فجرد العساكر الى الشأم واعتقل حاجى وأمير حسين بالقلعة واجتمع الامراء بمصر للثورة وركبوا الى قبة النصر مع ايدمر الحجازى وأقسنقر الناصرى وأرغون شاه فركب اليهم الكامل فى مواليه ومعه ارغون العلاوى نائبه فكانت بينهما جولة هلك فيها ارغون العلاوى ورجع الكامل الى القلعة منهزما ودخل من باب السر مختفيا وقصد محبس أخويه ليقتلهما فحال الخدام دونهما وغلقوا الابواب وجمع الذخيرة ليحملها فعاجلوه عنها ودخلوا القلعة وقصدوا حاجى بن الناصر فأخرجوه من معتقله وجاؤا به فبايعوه ولقبوه المظفر وافتقدوا الكامل وتهددوا جواريه بالقتل فدلوا عليه واعتقل مكان حاجى بالدهشة وقتل فى اليوم الثانى وأطلق حسين وقام بأمر المظفر حاجى ارغون شاه والحجازى وولوا اطقتمر الاحمدى نائبا بحلب والصلاحى نائبا بحمص وحبس جميع موالى الكامل وأخرج صندوقا من بيت الكامل قيل ان فيه السحر فأحرق بحضر الامراء ونزع المظفر حاجى الى الاستبداد كما نزع أخوه فقبض على الحجازى والناصرى وقتلهما لاربعين يوما من ولايته وعلى ارغون شاه وبعثه نائبا الى صفد وجعل مكان طقتمر الاحمدى فى حلب تدمر البدرى وولى على نيابة الحاجب ارقطاى وأرهف حده فى الاستبداد وارتاب الامراء بمصر والشأم وانتقض اليحياوى بدمشق سنة ثمان وأربعين وداخله نواب الشأم فى الخلاف ووصل الخبر الى مصر فاجتمع الامراء وتواعدوا للوثوب ونمى الخبر الى المظفر فأركب مواليه من جوف الليل وطافوا بالقلعة وتداعى الامراء الى الركوب واستدعاهم من الغد الى القصر وقبض على كل من اتهمه

منهم بالخلاف وهرب بعضهم فأدرك بساحة البلد واعتقلوا جميعا وقتلوا من تلك الليلة وبعث بعضهم الى الشأم فقتلوا بالطريق وولى من الغد مكانهم خمسة عشر اميرا ووصل الخبر الى دمشق فلاذ ايحياوى بالمغالطة يخادع بها وقبض على جماعة من الامراء وكان السلطان المظفر قد بعث الامير الجيبغا من خاصته الى الشأم عندما بلغه انتقاض طنيبغا اليحياوى يستعلم أخباره فحمل الناس على طاعة المظفر وأغراهم باليحياوى حتى قتلوه وبعثوا برأسه الى مصر وسكنت الفتنة واستوسق الملك للمظفر والله سبحانه وتعالى أعلم

(مقتل المظفر حاجى بن الناصر وبيعة أخيه حسن الناصر ودولته الاولى)

قد كنا قدمنا أن السلطان بعث جيبغا الى الشأم حتى مهده ومحا أثر الخلاف منه ورجع الى السلطان سنة ثمان وأربعين وقد استوسق أمره فوجد الامراء مستوحشين من السلطان ومنكرين عليه اللعب بالحمام فتنصح له بذلك يريد اقلاعه عنه فسخط ذلك منه وأمر بالحمام فذبحت كلها وقال لجيبغا أنا أذبح خياركم كما ذبحت هذه فاستوحش جيبغا وغدا على الامراء والنائب بيقاروس

وثاروا بالسلطان وخرجوا الى قبة النصر وركب المظفر فى مواليه والامراء الذين معه قد داخلوا الآخرين فى الثورة ورأيهم واحد فى خلعه فبعث اليهم الامير شيخو يتلطف لهم فأبوا الا خلعه فجاءهم بالخبر ثم رجع اليهم وزحف معهم ولحق بهم الامراء الذين مع المظفر عندما تورط فى اللقاء وحمل عليه بيقاروس فأسلمه أصحابه وأمسكه باليد فذبحه فى تربة أمه خارج القلعة ودفن هنالك ودخلوا القلعة فى رمضان من السنة وأقاموا عامة يومهم يتشاورون فيمن يولونه حتى هم أكثر الموالى بالثورة والركوب الى قبة النصر فحينئذ بايعوا حسن بن الملك الناصر ولقبوه الناصر بلقب أبيه فوكل بأخيه حسين ومواليه لنفسه ونقل المال الذى بالحوش فوضعه بالخزانة وقام بالدولة ستة من الامراء وهم شيخو وطاز والجيبغا وأحمد شادى والشرغتاناه وأرغون الاسماعيلى والمستبد عليهم جميعا بيقاروس ويعرف بالقاسمى فقتل الحجازى وأقسنقر القائمين بدولة المظفر بعد حبسهما بالقلعة وولى بيقاروس نائبا بمصر فكان ارقطاى وأرغون شاه نائبا بحلب مكان تدمر البدرى ثم نقله الى دمشق منذ مقتل اليحياوى وولى مكانه بحلب اياس الناصر ثم تقبض بيقاروس على رفيقه أحمد شادى الشرغتاناه وغربه الى صفد وأبعد الجيبغا من رفقته وبعثه نائبا على طرابلس وبعث ارغون الاسماعيلى منهم نائبا على حلب وفى هذه السنة وقعت الفتنة بينه وبين مهنا بن عيسى ولقيه فهزمه ووفد أحمد أخوه على السلطان فولاه امارة العرب وهدأت الفتنة

منهم ثم هلك سنة تسع وأربعين بعدها وولي أخوه فياض كما مر في أخبارهم والله تعالى أعلم

(مقتل ارغون شاه نائب دمشق)

كان خبر هذه الواقعة الغريبة أن الجبقا بعثوه نائبا على طرابلس وسار صحبة اياس الحاجب نائبا على حلب سنة خمسين وانتهوا الى دمشق ونما الى الجبقا عن ارغون شاه أنه تعرض لبعض حرمه بصنيع جمع فيه نسوان أهل الدولة بدمشق فكاتب اليه ليلا وطرقه في بيته فلما خرج اليه قبض عليه وذبحه في ربيع وصنع من سرما سلطانيا دافع به الناس والامراء واستصفى أمواله ولحق بطرابلس وجاء الامر من مصر بانكار المرسوم الذي أظهروه فزحفت العساكر من دمشق وقبضوا على الجبقا واياس الحاجب بطرابلس وجاؤا بهما الى مصر فقتلا وولي الشمس الناصري نيابة دمشق مع ارغون شاه وصلب ارغون الكافلي وذلك في جمادى سنة خمسين واصل ارغون شاه من بلاد الصين جلب الى السلطان أبي سعيد ملك التتر ببغداد فاعطاه للامير خواجانائب جوبان وأهداه خواجا للملك الناصر فحظي عنده وقدمه رأس نوبة وزوجه بنت عبد الواحد ثم ولاه الكامل استاذدار ثم عظمت مرتبته أيام المظفر وجعل نائبا في صفد ثم في حلب ولما حبس طنبغا اليحياوي على دمشق بسعاية الجبقا كما مر ولي ارغون شاه بدمشق والله سبحانه وتعالى أعلم

(نكبة بيقاروس)

ثم ان السلطان حسن شرع في الاستبداد وقبض على منجك اليوسفي استاذداره وعلى السلحدار واعتقلهما من غير مشورة بيقاروس وأصحابه وكان اتصل اختصاص بيقاروس وأخوه معه فارتاب واستأذن السلطان في الحج هو وطاز فأذن لهما ودس الى طاز بالقبض على بيقاروس وسار الشأم ما فلما نزلا بالينبع قبض طاز على بيقاروس فخرج ورغب اليه في أن يتركه يحج مقيدا فتركه فلما قضى نسكه ورجعوا حبسه طاز بالكرك بأمر السلطان وأفرج عنه بعد ذلك وولي نيابة حلب وانتقض بها كما نذكر بعد ان شاء الله تعالى وبلغ خبر اعتقاله الى أحمد شادي الشرنجاناه بصفد فانتقض وجهز السلطان اليه العساكر فقبض عليه وجيء به الى مصر فاعتقل بالاسكندرية وقام بالدولة مغلطاي من أمرائها والله تعالى أعلم

(واقعة الظاهر ملك اليمن بمكة واعتقاله ثم اطلاقه)

كان ملك اليمن وهو المجاهد علي بن داود المؤيد قد جاء الى مكة حاجا سنة احدى وخمسين وهي السنة التي حج فيها طاز وشاع في الناس عنه أنه يروم كسوة الكعبة فتنكر وفد المصريين لوفد اليمنيين ووقعت في بعض الايام هيعة في ركب الحاج فصار بوا وانهزم المجاهد وكان بيقاروس مقيدا فأطلقه وأركبه ليستعين به فلا في تلك الهيعة وأعيد الى اعتقاله ونهب حاج اليمن وقيد المجاهد الى مصر فاعتقل بها حتى أطلق في دولة الصالح سنة اثنتين وخمسين وتوجه معه قشتمر المنصوري ليعيده الى بلاده فلما انتهى الى الينبع أشيع عنه أنه هم بالهرب فقبض عليه قشتمر المنصوري وحبسه بالكرك ثم أطلق بعد ذلك وأعيد الى ملكه والله أعلم

(خلع حسن الناصر وولاية أخيه الصالح)

لما قبض السلطان حسن على بيقاروس وحبسه وتنكر لاهل دولته ورفع عليهم مغلطاي واختصه واستوحشوا لذلك وتفاوضوا وداخل طاز وهو كبيرهم جماعة من الامراء في الثورة وأجابه الى ذلك بيقو والشمسي في آخرين واجتمعوا لخلعه وركبوا في جمادى سنة اثنتين وخمسين فلم يمانعهم أحد وملكوا أمرهم ودخلوا القلعة وقبض طاز على حسن الناصر واعتقله وأخرج أخاه حسينا من اعتقاله فبايعه ولقبه الصالح وقام بحمل الدولة وأخرج بيقو والشمسي الى دمشق وبيقر الى حلب أسيرين وانفرد بالامر ثم نافسه أهل الدولة واجتمعوا على الثورة وتولى كبر ذلك مغلطاي ومنكلي وبيقا القمري وركبوا فيمن اجتمع اليهم الى قبة النصر للحرب فركب طاز وسلطانه الصالح في جموعه وحمل عليهم ففض جمعهم وأثخن فيهم وقبض على مغلطاي ومنكلي فحبسهما بالاسكندرية وأفرج عن منجك وعن شيخو وجعله أتابكه على العساكر وأشركه في سلطانه وولى سيف الدين ملاي نيابته واختص صرغتمش وقاه في الدولة وقبض على الشمسي الاحمدي نائب دمشق ونقل اليها مكانه ارغون الكاملي من حلب وأفرج عن بيقاروس بالكرك وبعثه مكانه الى حلب ثم تغير منجك واختفى بالقاهرة والله تعالى أعلم

(انتقاض بيقاروس واستيلاؤه على الشام ومسير السلطان اليه ومقتله)

قد تقدم لنا ذكر بيقاروس وقيامه بدولة حسن الاولى ونكبته في طريقه الى الحج بالكرك ولما أطلقه طاز وولاه على حلب أدركته المنافسة والغيرة من طاز واستبداده بالدولة فحدثته نفسه بالخلاف وداخل نواب الشام ووافقه في ذلك بكتمش نائب طرابلس وأحمد الساقي الشرفي ناظر نائب صفد وخالفه ارغون الكاملي نائب دمشق وتمسك بالطاعة وتعاقد هؤلاء على الخلاف مع شيخو وصرغتمش في رجب سنة ثلاث

وخمسين ثم دعا بيقاروس العرب والتركمان الى الموافقة فأجابه جبار بن مهنا من العرب وقراجا بن العادل من التركمان فى جموعهما وبرز من حلب يقصد دمشق فأجفل عنها ارغون النائب الى غزة واستخلف عليها الجيبغا العادلى ووصل بيقاروس فلكها وامتنعت القلعة فحاصرها وكثر العيث من عساكره فى القرى وسار السلطان الصالح وأمراء الدولة من مصر فى العساكر فى شعبان من السنة وأخرج معه الخليفة المعتضد أبا الفتح أبا بكر بن المستكفى وعثر بين يدى خروجه على منجك بعض البيوت لسنة من اختفائه فبعث به سرغتمش الى الاسكندرية وبلغ بيقاروس خروج السلطان من مصر فأجفل عن دمشق وثار العوام بالتركمان فأثخنوا فيهم ووصل السلطان الى دمشق ونزل بالقلعة وجهز العساكر فى اتباع بيقاروس فجاؤا بجماعة من الامراء الذين كانوا معه فقتل السلطان بعضهم ثالث الفطر وحبس الباقين وولى على دمشق الامير عليا الماردانى ونقل منها ارغون الكاملى الى حلب وسرح العساكر فى طلب بيقاروس مع مغلطاى الدوادار وعاد الى مصر فدخلها فى ذى القعدة من السنة وسار مغلطاى فى طلب بيقاروس وأصحابه فأوقع بهم وقبض على بيقاروس وأحمد وقطلمش وقتلهم وبعث برؤسهم الى مصر أوائل سنة أربع وخمسين وأوعز السلطان الى ارغون الكاملى نائب حلب بأن يخرج فى العساكر لطلب قراجا بن العادل مقدم التركمان فسار الى بلده البلستين فوجدها مقفرة وقد أجفل عنها فهدمها ارغون واتبعه الى بلاد الروم فلما أحس بهم أجفل ولحق بابن ارشاقائد المغل فى سيواس ونهب العساكر أحياءه واستاقوا مواشيه ثم قبض عليه ابن ارشاقائد المغل وبعث به الى مصر فقتل بها وسكنت الفتنة وأطلق المعتقلون بالاسكندرية وتأخر منهم مغلطاى ومنجك أياما ثم أطلقا وغربا الى الشأم والله تعالى أعلم

(واقعة العرب بالصعيد)

وفى أثناء هذه الفتن كثر فساد العرب بالصعيد وعيثهم وانتهبوا الزروع والاموال وتولى كبر ذلك الاحدب وكثرت جموعه فخرج السلطان فى العساكر سنة أربع وخمسين ومعه طاز وسار شيخو فى المقدمة فهزم العرب واستلحم جموعهم وامتلأت أيدى العساكر بغنائمهم وخلص السلطان من الظهر والسلاح مالا يعبر عنه وأسر جماعة منهم فقتلوا وهرب الاحدب حتى استأمن بعد رجوع السلطان فأمنه على أن يمتنعوا من ركوب الخيل وحمل السلاح ويقبلوا على الفلاحة والله تعالى أعلم

(خلع الصالح وولاية حسن الناصر الثانية)

كان شيخو أتابك العساكر قد ارتاب بصاحبه طاز فداخل الامراء بالثورة بالدولة وتربص بها الى أن خرج طاز سنة خمس وخمسين الى البحيرة متصيدا وركب الى القلعة فخلع الصالح ابن بنت تنكز وقبض عليه وألزمه بيته لثلاث سنين كوامل من دولته وبايع لحسن الناصر أخيه وأعاده الى كرسيه وقبض على طاز فاستدعاه من البحيرة فبعثه الى حلب نائبا وعزل ارغون الكاملي فلحق بدمشق حتى تقبض عليه سنة ست وخمسين وسيق الى الاسكندرية فحبس بها وبلغ الخبر بوفاة الشمسي الاحمدي نائب طرابلس وولى مكانه منجك واستبد شيخو بالدولة وتصرف بالامر والنهى وولى على مكة عجلان بن رميثة وأفرده بامارتها وكانت له الولاية والعزل والحل والعقد سائر أيامه وأعقده الملوك من النواحي شرقا وغربا بالمخاطبات وكان رديفه في حمل الدولة صرغتمش من موالى السلطان والله تعالى يؤيد بنصره من يشاء من عباده بمنه

(مهلك شيخو ثم صرغتمش بعده واستبداد السلطان بأمره)

لم يزل شيخو مستبدا بالدولة وكافلا للسلطان حتى وثب عليه يوما بعض الموالى بمجلس السلطان في دار العدل في شعبان سنة ثمان وخمسين اعترضه في دخوله من باب الايوان وضربه بالسيف ثلاثا أصاب بها وجهه ورأسه وذراعيه فخر لليدين ودخل السلطان بيته وانفض المجلس واتصلت الهيعة بالعسكر خارج القلعة فاضطربوا واقتحم موالى شيخو القلعة الى الايوان يقدمهم خليل بن قوصون وكان ربيبه لان شيخو تزوج بأمه فاحتمل شيخو الى منزله وأمر الناصر بقتل المملوك الذي ضربه فقتل ليومه وعاده الناصر من الغد وتوجل من الوثبة أن تكون بأمره وأقام شيخو عليلا الى أن هلك في ذي القعدة من السنة وهو أول من سمى الامير الكبير بمصر واستقل صرغتمش رديفه بحمل الدولة وبعث عن طاز فأمسكه بحلب وحبسه بالاسكندرية وولى مكانه الامير علبا الماردانى نقله اليها من دمشق وولى مكانه بدمشق منجك اليوسفي ثم تقبض السلطان على صرغتمش في رمضان سنة تسع وخمسين وعلى جماعة من الامراء معه مثل مغلطاى الدوادار وطشتمر القاسمي الحاجب وطنبغا الماجارى وخليل بن قوصون ومحا السلحدار وغيرهم وركب مواليه وقاتلوا مماليك السلطان في ساحة القلعة صدر نهار ثم انهزموا وقتلوا واعتقل صرغتمش وجماعته المنكوبون بالاسكندرية وقتل بمحبسه لسبعين يوما من اعتقاله وتخطت النكبة الى شيعته وأصحابه من الامراء والقضاة والعمال وكان الذي تولى نكبة هؤلاء كلهم بأمر السلطان مملوكه يبغا الشمسي ثم استبد السلطان بملكه واستولى على أمره وقدم مملوكه يبغا العمرى وجعله أمير ألف وأقام في الحجابة الجاى اليوسفي ثم بعثه الى دمشق نائبا واستقدم منجك نائب دمشق فلما وصل

الى غزة فاستتر واختفى فولى الناصر مكانه بدمشق الامير عليا المارانى نقله من حلب وولى على حلب سيف الدين بكتمر المؤمنى ثم أدال من على المارداني فى دمشق باستدمر ومن المؤمنى فى حلب بمندمر الخوارزمى وأمره السلطان سنة احدى وستين بغزو سيس وفتح أذنة وطرسوس والمصيصة فى حصون أخرى وولى عليها ورجع فولاه السلطان نيابة دمشق مكان استدمر وولى على حلب أحمد بن القتمرى ثم عثر بدمشق سنة احدى وستين على منجك بعد ان نال العقاب بسببه جماعة من الناس فلما حضر عفا عنه السلطان وأمده وخيره فى النزول حيث شاء من بلاد الشأم وأقام السلطان بقية دولته مستبدا على وكان يأنس بالعلماء والقضاة ويجمعهم فى بيته متبذلا ويفاوضهم فى مسائل العلم ويصلهم ويحسن اليهم ويخالطهم أكثر من سواهم الى أن انقرضت دولته والبقاء لله وحده

(ثورة يبغا ومقتل السلطان حسن وولاية منصور بن المعظم حاجى فى كفالة يبغا)

كان يبغا هذا من موالى السلطان حسن وأعلاهم منزلة عنده وكان يعرف بالخاصكى نسبة الى خواص السلطان وكان الناصر قد رقاه فى مراتب الدولة وولاه الامارة ثم رفعه الى الاتابكية وكان بجنوحه الى الاستبداد كثيرا ما يبوح بشكايته مثل ذلك فأحضره بعض الليالى بين حرمه وصرفه فى جملة من الخدمة لبعض مواليه وقادها فأسرها يبغا فى نفسه واستوحش وخرج السلطان سنة ثنتين وستين الى كوم برى وضرب بها خيامه وأذن للخاصكى فى مخيمه قريبا منه ثم نمى عنه خبر الانتقاض فأجمع القبض عليه واستدعاه فامتنع من الوصول وربما أشعر مداعبه بالاسترابة فركب اليه الناصر بنفسه فيمن حضره من مماليكه وخواص أمرائه تاسع جمادى من السنة وبرز اليه يبغا وقد أنذر به واعتدله فصدقه القتال فى ساحة مخيمه وانهزم أصحاب السلطان عنه ومضى الى القلعة ويبغا فى اتباعه فامتنع الحراس بالقلعة من اخافة طارقة جوف الليل فتسرب فى المدينة واختفى فى بيت الامير بن الازكشى بالحسينية وركب الامراء من القاهرة مثل ناصر الدين الحسينى وقشتمر المنصورى وغيرهما المدافعة يبغا فلقيهم ببولاق وهزمهم واجتمع ثانية وثالثة وهزمهم وتنكر الناصر مع ايدمر الدوادار يحاولان النجاة الى الشأم واطلع عليهما بعض المماليك فوشى بهما الى يبغا فبعث من أحضره فكان آخر العهد به ويقال انه امتحنه قبل القتل فدله على أموال السلطان وذخائره وذلك لست سنين ونصف من تملكه ثم نصب يبغا للملك محمد بن المظفر حاجى ولقبه المنصور وقام بكفالته وتدبير دولته وجعل طنبغا الطويل رديفه وولى قشتمر المنصورى نائبا وغشتمر أمير مجلس وموسى الازكشى أستاذدارا وأفرج عن القاسمى

وبعثه نائبا بالكرك وأفرج عن طاز وقد كان عمى فبعثه الى القدس بسؤاله ثم الى دمشق ومات بها فى السنة بعدها وأقرّ عجلان فى ولاية مكة وولى على عرب الشأم جبار ابن مهنا وأمسك جماعة من الامراء فبسهم والله تعالى أعلم

(انتقاض استدمر بدمشق)

ولما اتصل بالشأم ما فعله بيبغا وأنه استبدّ بالدولة وكان استدمر نائبا بدمشق كما قدمناه امتعض لذلك وأجمع الانتقاض وداخله فى ذلك منندمر والبرى ومغلك اليوسفى واستولى على قلعة دمشق وسار فى العساكر ومعه السلطان المنصور ووصل الى دمشق واعتصم القوم بالقلعة وتردّدت بينهما القضاة بالشأم حتى نزلوا على الامان بعد ان حلف بيبغا فلما نزلوا اليه بعث بهم الى الاسكندرية فحبسوا بها وولى الامير الماردانى نائبا بدمشق وقطلوبغا الاحدى نائبا بحلب مكان أحمد بن القمرى بصفد وعاد السلطان المنصور وبيبغا الى مصر والله سبحانه وتعالى أعلم

(وفاة الخليفة المعتضد بن المستكفى وولاية ابنه المتوكل)

قد تقدّم لنا أنّ الخليفة المستكفى لما توفى قبل وفاة الملك الناصر عهد لابنه أحمد ولقبه الحاكم وأنّ الناصر عدل عنه الى ابراهيم بن محمد عم المستكفى ولقبه الواثق فلما توفى الناصر آخر سنة احدى وأربعين أعادها الامراء القائمون بالدولة والامير أحمد الحاكم ابن المستكفى ولى عهده فلم يزل فى خلافته الى أن هلك سنة ثلاث وخمسين لاوّل دولة الصالح سبط تنكز وولى بعده أخوه أبو الفتح أبو بكر بن المستكفى ولقب المعتضد ثم توفى فى سنة ثلاث وستين لعشرة أعوام من خلافته وعهد الى ابنه أحمد فولى مكانه ولقب المستكفى والله تعالى أعلم

(خلع المنصور وولاية الاشرف)

ثم بدا ليبيغا الخاصكى فى أمر المنصور محمد بن حاجى فخلعه استرابة به فى شعبان سنة أربع وستين لسبعة وعشرين شهرا من ولايته ونصب مكانه شعبان بن الناصر حسن بن الملك الناصر وكان أبوه قد توفى فى ربيع الآخر من تلك السنة وكان آخر بنى الملك الناصر فولى ابنه شعبان ابن عشر سنين ولقبه الاشرف وتولى كفالته وفى سنة خمس وستين عزل الماردانى من دمشق وولى مكانه منكلى بغا نقله من حلب وولى مكانه قطلوبغا الأحمدى وتوفى قطلوبغا فولى مكانه غشقتمر الماردانى ثم عزل غشقتمر سنة ست وستين فولى مكانه سيف الدين فرجى وأوعز اليه سنة سبع وستين أن يسير فى العساكر لطلب خليل بن قراجا بن العادل أمير التركمان فحضره معتقلا فسار اليه وامتنع

فى حرب برت فحاصره أربعة أشهر واستأمن خليل بعدها وجاء الى مصر فأمنه السلطان وخلع عليه وولاه ورجع الى بلده وقومه والله تعالى أعلم

(واقعة الاسكندرية)

كان أهل جزيرة قبرص من أمم النصرانية وهم من بقايا الروم وانما ينتسبون لهذا العهد الى الافرنج لظهور الافرنج على سائر أمم النصرانية والا فقد نسبهم هروشيوش الى كيتم وهم الروم عندهم ونسب أهل رودس الى دودانم وجعلهم اخوة كيتم ونسبهما معا الى رومان وكانت على أهل قبرص جزية معلومة يؤدونها لصاحب مصر ومازالت مقررة عليهم من لدن فتحها على يد معاوية أمير الشأم أيام عمر وكانوا اذا منعوا الجزية يسلط صاحب الشأم عليهم أساطيل المسلمين فيفسدون مراسيها ويعيثون فى سواحلها حتى يستقيموا الاداء الجزية وتقدم لنا آنفا فى دولة الترك أن الظاهر بيبرس بعث اليها سنة تسع وستين وستمائة اسطولا من الشوانى وطرقت مرساها بالليل فتكسرت لكثرة الحجارة المحيطة بها فى كل ناحية ثم غلب لهذه العصور أهل جنوة من الافرنج على جزيرة رودس حازتها من يد لشكرى صاحب القسطنطينية سنة ثمان وسبعمائة وأخذوا بمخنقها وأقام أهل قبرص معهم بين فتنة وصلح وسلم وحرب آخر أيامهم وجزيرة قبرص هذه على مسافة يوم وليلة فى البحر قبالة طرابلس منصوبة على سواحل الشأم ومصر واطلعوا بعض الايام على غرة فى الاسكندرية وأخبروا حاجبهم وعزم على انتهاز الفرصة فيها فنهض فى أساطيله واستنفر من سائر الافرنج ووافى مرساها سابع عشر من المحرم سنة سبع وستين فى اسطول عظيم يقال بلغ سبعين مركبا مشحونة بالعدة والعدد ومعه الفرسان المقاتلة بخيولهم فلما أرسى بها قدمهم الى السواحل وعبى صفوفه وزحف وقد غص الساحل بالنظارة برزوا من البلد على سبيل النزهة لا يلقون بالا لما هو فيه ولا ينظرون مغبة أمره لبعد عهدهم بالحرب وحاميتهم يومئذ قليلة وأسوارهم من الرماة المناضلين دون الحصون خالية ونائبها القائم بمصالحها فى الحرب والسلم وهو يومئذ خليل بن عوام غائب فى قضاء فرضه فما هو الا أن رجعت تلك الصفوف على التعبية ونضحوا العوام بالنبل فأجفلوا متسابقين الى المدينة وأغلقوا أبوابها وصعدوا الى الاسوار ينظرون ووصل القوم الى الباب فأحرقوه واقتحموا المدينة واضطرب أهلها وماج بعضهم فى بعض ثم أجفلوا الى جهة البر بما أمكنهم من عيالهم وولدهم وما اقتدروا عليه من أموالهم وسالت بهم الطرق والاباطح ذاهبين فى غير وجه حيرة ودهشة وشعر بهم الاعراب أهل الضاحية فتخطفوا الكثير منهم وتوسط الافرنج المدينة ونهبوا ما مروا عليه من الدور وأسواق البرود كالثين الصيارفة ومودعات التجار وملؤا

ـفنهم من المتاع والبضائع والذخيرة والصامت واحتملوا ما استولوا عليه من السبي والاسرى وأكثر ما فيهم الصبيان والنساء ثم تسايل اليهم الصريخ من العرب وغيرهم فانكفأ الافرنج الى أساطيلهم وانكمشوا فيها بقية يومهم وأقلعوا من الغد وطار الخبر الى كافل الدولة بمصر الامير يبقا فقام في ركائبه وخرج لوقته بسلطانه وعساكره ومعه ابن عوام نائب الاسكندرية منصرفه من الحج وفي مقدمته خليل بن قوصون وقطلوبغا الفخري من أمرائه وعزائمهم مرهفة ونياتهم في الجهاد صادقة حتى بلغهم الخبر في طريقهم باقلاع العدو فلم يثنه ذلك واستمر الى الاسكندرية وشاهد ما وقع بها من معرّة الخراب وآثار الفساد فأمر بهدم ذلك واصلاحه ورجع أدراجه الى دار الملك وقد امتلأت جوانحه غيظا وحنقا على أهل قبرص فأمر بانشاء مائة اسطول من الاساطيل التي يسمونها القربان معتزما على غزو قبرص فيها بجميع من معه من عساكر المسلمين بالديار المصرية واحتفل في الاستعداد لذلك واستكثر من السلاح وآلات الحصار وكمل غرضه من ذلك كله في رمضان من السنة لثمانية أشهر من الشروع فيه فلم يقدر على تمام غرضه من الجهاد لما وقع من العوائق كما نقصه والله تعالى ولي التوفيق

(ثورة الطويل ونكبته)

كان طنبغا الطويل من موالي السلطان حسن وكانت وظيفته في الدولة أمير سلاح وهو مع ذلك رديف يبقا في أمره وكان يؤمل الاستبداد ثم حدثت له المنافسة والغيرة من يبقا كما حدثت لسائر أهل الدولة عندما استكمل أمره واستفحل سلطانه وداخلوا الطويل في الثورة وكان دوادار السلطان ارغون الاشقري وأستاذدار المحمدي وبيناهم في ذلك خرج الطويل للسرحة بالعباسية في جمادى سنة سبع وستين وفشا الامر بين أهل الدولة فنمي الى يبقا واعتزم على اخراج الطويل الى الشأم وأصدر له المرسوم السلطاني بنيابة دمشق وبعث به اليه وبالخلعة على العادة مع ارغون الاشقري الدوادار وروس المحمدي أستاذدار من المداخلين له ومعه ارغون الارقي وطنبغا العلائي من أصحاب يبقا فردّهم الطويل وأساء عليهم وواعد يبقا قبة النصر فهزمهم وقبض على الطويل والاشقري والمحمدي وحبسوا بالاسكندرية ثم شفع السلطان في الطويل في شهر شعبان من السنة وبعثه الى القدس ثم أطلق الاشقري والمحمدي وبعث بهما الى الشأم وولي مكان الطويل طيدمر الباسلي ومكان الاشقري في الدويدارية طنبغا الابي بكري ثم عزله يبقا العلائي وولى مكانه روس العادل المحمدي وكان جماعة من الامراء أهل وظائف في الدولة قد خرجوا مع الطويل وحبسوا فولى في وظائفهم أمراء آخرين ممن لم تكن له وظيفة واستدعى منكلي يبقا

الشمسي نائب دمشق الى مصر يطلبه فقدم نائبا بحلب مكان سيف الدين برجى وأذن له في الاستكثار من العساكر وجعلت رتبته فوق نائب دمشق وولى مكانه بدمشق اقطمر عبد العزيز انتهى والله تعالى أعلم

(ثورة المماليك بيبغا ومقتله واستبداد استدمر)

كان طنبغا قد طال استبداده على السلطان وثقلت وطأته على الامراء وأهل الدولة وخصوصا على مماليكه وكان قد استكثر من المماليك وأرهف حدّه لهم في التأديب وتجاوز الضرب فيهم بالعصا الى جدع الانوف واصطلام الآذان

ضمائرهم لذلك وطووا على الغش وكان كبير خواصه استدمر واقتفان الاحدى ووقع في بعض الايام بمثل هذه العقوبة في أخي استدمر فاستوحش له وارتاب وداخل سائر الامراء في الثورة يرون فيها نجاتهم منهم وخلصوا النجوى مع السلطان فيه واقتضوا منه الاذن وسرّح السلطان بيبغا الى البحيرة في عام ثمان وسبعين وانعقد هؤلاء المماليك المتفاوضون في الثورة بمنزل الطرّانة وبيتوا له فيما وعى اليه خبرهم ورأى العلامات التي قد أعطيها من أمرهم فركب مكرا في بعض خواصه وخاض النيل الى القاهرة وتقدّم الى نواتية البحر أن يرسوا سفنهم عند العدوة الشرقية ويمنعوا العبور كل من يرومه من العدوة الغربية وخالفه استدمر واقتفان الى السلطان في ليلتهم وبايعوه على مقاطعة بيبغا ونكبته ولما وصل بيبغا الى القاهرة جمع من كان بها من الامراء والحاجب من مماليكه وغيرهم وكان بها ايلك البدرى أميرماخورية فاجتمعوا عليه وكان يقتمر النظامى وارغون ططن بالعباسية سارحين فاجتمعوا اليه فخلع الاشرف ونصب أخاه انوك ولقبه المنصور وأحضر الخليفة فولاه واستعد للحرب وضرب خيمه بالجزيرة الوسطى على عدوة البحر ولحق به من كانت له معه طاعية من الامراء الذين مع السلطان بعصابة أو أمر أو ولاية مثل بيبغا العلائى الدوادار ويونس الرمام وكشبغا الحموى وخليل بن قوصون ويعقوب شاه وقرابغا البدرى وابتغا الجوهرى ووصل السلطان الاشرف من الطرّانة صبيحة ذلك اليوم على التعبية قاصدا دار ملكه وانتهى الى عدوة البحر فوجدها متفرقة من السفن فخيم هنالك وأقام ثلاثا وبيبغا وأصحابه قبالتهم بالجزيرة الوسطى ينضحونهم بالنبل ويرسلون عليهم الحجارة من المجانيق وصواعق الانفاط وعوالم النطارة في السفن الى أن توسط فيركبونها ويجترّ كونها بالمجاذيف الى ناحية السلطان حتى كملت منها عدة وأكثرها من القربان التي أنشأها بيبغا وأجاز فيها السلطان وأصحابه الى جزيرة الفيل وسار على التعبية وقد ملأت عساكره وتابعه بسيط الارض وتراكم القتام بالجو وغشت سحابه موكب بيبغا

وأصحابه فتقدموا للدفاع وصدقتهم عساكر السلطان القتال فانفضوا عن بيبغا وتركوه أوحش من وتد فى قلاع فولى منهزما ومرّ بالميدان فصلى ركعتين عند بابه واستمر الى بيته والعوام ترجمه فى طريقه وسار السلطان فى تعبيته الى القلعة ودخل قصره وبعث عن بيبغا فجىء به واعتقل بحبس القلعة سائر يومه فلما غشى الليل ارتاب المماليك بحياته وجاؤا الى السلطان يطلبونه وقد أضمروا الفتك به وأحضره السلطان وبيناهو مقبل على التضرع للسلطان ضربه بعضهم فأبان رأسه وارتاب من كان منهم خارج القصر فى قتله فطلبوا معاينته ولم يزالوا يتناولون رأسه من واحد الى واحد حتى رماه آخرهم فى مشعل كان بازائه ثم دفن وفرغ من أمره وقام بأمر الدولة استدمر الناصرى ورديفه بيبغا الاحمدى ومعهما بجماس الطازى وقرابغا الصرغتمشى وتغرى بدمشق المتولون كبرهذه الفعلة وقبضوا على الامراء الذين عدلوا عنهم الى بيبغا فحبسوهم بالاسكندرية وقد مرّ ذكرهم وعزل خليل بن قوصون وألزم بيته وولوا أمراء مكان المحبوسين وأهل وظائف من كانت له واستقر أمر الدولة على ذلك والله سبحانه وتعالى أعلم

(واقعة الاجلاب ثم نكبتهم ومهلك استدمر وذهاب دولته)

ثم تنافس هؤلاء القائمون بالدولة وحبسوا قرابغا السرغتمشى صاحبهم وامتعض له تغرى بدمشق وداخل بعض الامراء فى الثورة ووافقه ايبك البدرى وجماعة معه وركب منتصف رجب سنة ثمان وستين للحرب فركب له استدمر وأصحابه فقبضوا عليهم وحبسوهم بالاسكندرية وعظم طغيان هؤلاء الاجلاب وكثر عيثهم فى البلد وتجاوزهم حدود الشريعة والملك وفاوض السلطان أمراءه فى شأنهم فأشاروا بعاجلتهم وحسم دائهم فنبذ السلطان اليهم العهد وجلس على كرسيه بالاسطبل وتقدم الى الامراء بالركوب فركب الجاى اليوسفى وطغتمر النظامى وسائر أمراء السلطان ومن استخدموه من مماليك بيبغا وتحيز اليهم ايقا الجلب وبجماس الطازى عن صاحبهما استدمر وركب لقتالهم استدمر وأصحابه وسائر الاجلاب وحاصروا القلعة الى أن خرج عند الطلحاه السلطانية فاختل مركز الامراء وفارقهم المستخدمون عندهم من مماليك بيبغا فانفض جمعهم وانهزموا وثبت الجاى اليوسفى وارغون التترفى سبعين من مماليكهم فوقفوا قليلا ثم انهزموا الى قبة النصر وقتل دروط ابن أخى الحاج الملك وقبض على ايقا الجلب جريحا وعلى طغتمر النظامى وعلى بجماس الطازى والجاى اليوسفى وارغون التتر وكثير من امراء الالوف ومن دونهم واستولى

استدمر وأصحابه الاجلاب على السلطان كما كانوا وولى مكان المحبوسين من الامراء وأهل الوظائف وعاد خليل بن قوصون على امرته وعزل قشتمر عن طرابلس وحبس بالاسكندرية واستبدل بكثير من أمراء الشأم واستمر الحال على ذلك بقية السنة والاجلاب على حالهم في الاستهتار بالسلطان والرعية فلما كان محرم سنة تسع وستين عادوا الى الاجلاب على الدولة فركب أمراء السلطان الى استدمر يشكونهم ويعاتبونهم في شأنهم فقبض على جماعة منهم كسر بهم الفتنة وذلك يوم الاربعاء سادس صفر فلما كان يوم السبت عاودوا الركوب ونادوا بخلع السلطان فركب السلطان في مماليكه ونحو المائتين والتف عليهم العوام وقد حنقوا على الاجلاب بشر اشرهم فيهم وركب استدمر في الاجلاب على التعبية وهم ألف وخمسمائة وجاؤا من وراء القلعة على عادتهم حتى شارفوا القوم فأحجموا ووقفوا وأدلقتهم الحجارة من أيدي العوام بالمقاليع وحملت عليهم العساكر فانهزموا وقبض على ايبقا السرغتمشي وجماعة معه فحبسوا بالخزانة ثم جيء باستدمر أسيرا وشفع فيه الامراء فشفعهم السلطان وأطلقه باقيا على أتابكيته ونزل الى بيته بقبض الكبش وكان خليل بن قوصون تولى أتابكا في تلك الفترة فأمره السلطان أن يباكر به لحبسه من الغد فركب خليل الى بيته وحمله على الانتقاض على أن يكون الكرسي لخليل بعلاقة نسبته الى الملك الناصر من أمه فاجتمع منهم جماعة من الاجلاب وركبوا بالرميلة فركب اليهم السلطان والامراء في العساكر فانهزموا وقتل كثير منهم و بعثوا بهم الى الاسكندرية فحبسوا بها وقتل كثير من أسر في تلك الواقعة منهم وطيف بهم على الجمال في أقطار المدينة ثم تتبع بقية الاجلاب بالقتل والحبس بالثغور القاصية وكان ممن حبس منهم بالكرك برقوق العثماني الذي ولي الملك بعد ذلك بعصر و بركة الجولاني وطنبغا الجوباني وجركس الخليلي ونعنع وأقاموا كلهم متلفين بين السجن والنفي الى أن اجتمع شملهم بعد ذلك كما نذكره واستبد السلطان بأمره بعض الشيء وأفرج عن الجاي اليوسفي وطغتمر النظامي وجماعة من المسجونين من أمرائه وولى الجاي أمير سلاح وولى يلبغا المنصوري و بكتمر المحمدي من أمراء الاجلاب في الاتابكية شريكين ثم نمى عنهما أنهما يرومان الثورة واطلاق المسجونين من الاجلاب والاستبداد على السلطان فقبض عليهما وبعث عن منكلي بغا الشمسي من حلب وأقامه في الاتابكية واستدعى أمير علي الماردانى من دمشق وولاه النيابة وولي في جميع الوظائف استبد الاوانشاء بنظره واختياره وكان منهم مولاه ارغون الاشرفي ومازال يرقيه في الوظائف الى أن جعله أتابك دولته وكان خالصته كما سنذكره وولى على حلب مكان منكلي بغا طنبغا الطويل

وعلى دمشق مكان الماردانى بندمر الخوارزمى ثم اعتقله وصادره على مائة ألف دينار ونفاه الى طرسوس وولى مكانه منجك اليوسفى نقله اليها من طرابلس وأعاد اليها قشتمر الماردانى كما كان قبله ثم توفى طنبغا الطويل بحلب آخر سنة تسع وستين بعد ان كان يروم الانتقاض فولى مكانه استبغا الابوبكرى ثم عزله سنة سبعين وولى مكانه قشتمر المنصورى والله تعالى ولى التوفيق بمنه وفضله

(مقتل قشتمر المنصورى بحلب فى واقعة العرب)

كان جبار بن مهنا أمير العرب من آل فضل قد انتقض وولى السلطان مكانه ابن عمه زامل بن موسى بن عيسى واستمر جبار على خلافه ووطئ بلاد حلب أيام المصيف واجتمع اليه بنو كلاب وامتدت أيديهم على السابلة فخرج اليهم نائب حلب قشتمر المنصورى فى عساكره فأغار على أحيائه واستاق نعمهم ومواشيهم وشره الى اصطلامهم فتذامروا دون احيائهم وكانت بينه وبينهم جولة أجلت عن قشتمر المنصورى وابنه محمد قتيلين ويقال قتلهما نعير بن جبار ورجعت عساكر الترك منهزمين الى حلب وذهب جبار الى القفر باحيائه وولى السلطان على العرب معيقل بن فضل ثم استأمن له جبار بن مهنا وعاود الطاعة فأعاده السلطان الى امارته والله تعالى أعلم

(استبداد الجاى اليوسفى ثم انتقاضه ومقتله)

لما أذهب السلطان الاشرف أثر الاجلاب من دولته وقام ببعض الشئ بأمره فاستدعى منكلى بغا من حلب وجعله أتابكا وأمير على الماردانى من دمشق وجعله نائبا وولى الجاى اليوسفى أمير سلاح وولى اصبغا عبد الله دوادارا بعد ان كان الاجلاب ولوا فى الدوادارية منهم واحدا بعد واحد ثم سخطه وولى مكانه اقطمر الصاحبى وعمر سائر الخطط السلطانية بمن وقع عليه اختياره ورقى ولاه ارغون شاه فى المراتب من واحدة الى أخرى الى أن أربى به على الاتابكية كما يأتى وولى بهادر الجمالى استاذدار ثم أمير الماخورية تردد بينهما ثم استقر آخرا فى الماخورية وولى محمد بن اسقلاص استاذدار وولى بيدمر الناصرى الحجابة بعد وظائف أخرى نقله منها وزوج أمه الجاى اليوسفى فعلت رتبته بذلك فى الدولة واستغلظ أمره وأغلظ له الدوادار يوما فى القول فنفى وولى مكانه منكوتمر عبد الغنى ثم عزل سنة ثنتين وسبعين لسنة من ولايته وولى السلطان مكانه طشتمر العلائى الذى كان دوادارا اليبغا واستقرت الدولة على هذا النمط والجاى اليوسفى مستبد فيها ووصل قود منجك من الشأم سنة أربع وسبعين بما لا يعبر عنه اشتمل على الخيل والبخاتى الجلالة والجمال والهجن والقماش والحلاوات

والحلى والطرف والمواعين حتى كان فيها من الكلاب الصائدة والسباع والابل ما لم ير
مثله فى أصنافه ثم وصل قود قشتمر الماردانى من حلب على نسبة ذلك والله تعالى أعلم

* (انتقاض الجاى اليوسفى ومهلكه واستبداد الاشرف بملكه من بعده) *

لم تزل الدولة مستقرة على ما وصفناه الى أن هلك الامير سنكلى بغا الاتابك منتصف سنة
أربع وسبعين واستضاف الجاى اليوسفى الاتابكية الى ما كان بيده ورتبته أشد
من ذلك كله وهو القائم المستبد بها ثم توفيت أم السلطان وهى فى عصمته فاستحق منها
ميراثا ادعاه لؤم الاخلاق فيه الى المماسكة فى المخلف وتجافى السلطان له عن ذلك الا أنه
كان ضيق الصدر شرس الاخلاق فكان يغلظ القول بما يحشن الصدور فأظلم الجو
بينه وبين السلطان وتمكنت فيه السعاية وذكرت هذه انتقاضه الاول وذلك أنه كان
حنق فى بعض النزعات على بعض العوام من البلد فامر بالركوب الى العامة وقتلهم
فقتل منهم كثير ونمى الخبر الى السلطان على ألسنة أهل البصائر من دولته وعذلوه عنده
فاستشاط السلطان وزجره وأغلظ له فغضب وركب الى قبة النصر منتقضا وذهب
السلطان فى مداراة أمره الى الملاطفة واللين وكان الاتابك سنكلى بغا يومئذ حيا
فأوعز السلطان اليه فرجع وخلع عليه وأعاده الى أحسن ما كان فلما بدرت هذه الثانية
حذر السلطان بطانته من شأنه وخرج هو منتقضا وركب فى مماليكه بساحة القلعة
وجلس السلطان وترددت الرسل بينهما بالملاطفة فأصر واستكبر ثم أذن السلطان
لمماليكه فى قتاله وكان أكثرهم من الاجلاب مماليك يبقا وقد جمعهم السلطان
واستخدمهم فى جملة ابنه أمير على ولى عهده فقاتلوه فى محرم سنة خمس وتسعين وكان
موقفه فى ذلك المعترك الى حائط الميدان المتصل بالاسطبل فنفذت له المقاتلة من داخل
الاسطبل ونضحوه بالسهام فتنحى عن الحائط حتى اذا حل مركزه ركبوا خيولهم
وخرجوا من باب الاسطبل وصدقوا عليه الحملة فانهزم الى بركة الحبش ورجع من وراء
الجبل الى قبة النصر فأقام بها ثلاثا والسلطان يراوضه وهو يشتط وشيعه يتسللون
عنه ثم بعث اليه السلطان لقمن العسكر ففر أمامهم الى قليوب واتبعوه فخاض البحر
وكان آخر العهد به ثم أخرج شلوه ودفن وأسف السلطان لمهلكه ونقل أولاده
الى قصره ورتب لهم ولحاشيته الارزاق فى ديوانه وقبض على من اتهمه بمداخلته
وأرباب وظائفه فصودروا كلهم وعزلوا وغربوا الى الشأم واستبد السلطان بأمره
واستدعى ايدمر القرى الدوادار وكان نائبا بطرابلس فولاه أتابكا مكان الجاى ورفع
رتبته وولى أرغون شاه وجعله أمير مجلس وولى سرغتمش من مواليه أمير سلاح واختص
بالسلطان طشتمر الدوادار وناصر الدين محمد بن أسقلاص استاذدار فكانت أمور

الدولة منقسمة بينهما وتساريه بها تجري بسياستهما الى ان كان ما نذكره والله تعالى ولى التوفيق

(استقدام منجك للنيابة)

كان أمير على الماردانى قد توفى سنة ثنتين وسبعين وبقيت وظيفته خلوا المكان الجانى اليوسفى وأحكامه ولما هلك سنة خمس وسبعين ولى السلطان اقطمر عبد الغنى نائبا ثم بدا له أن يولى فى النيابة منجك اليوسفى لما رآه فيه من الاهلية لذلك والقيام به ولتقلبه فى الامارة منذ عهد الناصر حسن وأنه كان من مواليه أخا لبيبغاروس وطاز وسرغتمش فهو بقية المناجب فلما وقع نظره عليه بعث فى استقدامه بيبغا الناصرى من أمراء دولته وولى مكانه بالشام بيدمر الخوارزمى وأعاد عشقتمر الى حلب مكانه ووصل منجك الى مصر آخر سنة خمس وسبعين ومعه مماليكه وحاشيته وصهره روس المحمدى فاحتفل السلطان فى تكرمته وأمر أهل الدولة بالركوب لتلقيه فتلقاه الامراء والعساكر وأرباب الوظائف من القضاة والفقهاء والدواوين وأذن له فى الدخول من باب السر راكبا وخاصة السلطان مشاة بين يديه حتى نزل عند مقاعد الطواشية بباب القصر حيث يجلس مقدم المماليك ثم استدعى الى السلطان فدخل وأقبل عليه السلطان وشافهه بالنيابة المطلقة وفوض اليه الولاية والعزل فى سائر المراتب السلطانية من الوزراء والخواص والقضاة والاوقاف وغيرها وخلع عليه وخرج ثم قرر تقليده بذلك فى الايوان ثانى يوم وصوله فكان يوما مشهودا وولى الاشرف فى ذلك اليوم بيبغا الناصرى الذى قدم به حاجبا ثم سافر عشقتمر نائب حلب آخر سنة ست وسبعين بعدها بالعساكر الى بلاد الارمن ففتح سائر أعمالها واستولى على ملكها التكفور بالامان فوصل بأهله وولده الى الابواب السلطانية ورتب لهم الارزاق وولى السلطان على سيس وانقرض منها ملك الارمن وتوفى منجك آخر هذه السنة فولى السلطان اقتمر الصاحبى المعروف بالحلي ثم عزله ورفع مجلسه وولى مكانه اقتمر الالفى ثم توفى جبار بن مهنا أمير العرب بالشام فولى السلطان ابنه يعير امكانه ثم توفى أمير مكة من بنى حسن فولى الاشرف مكانه واستقرت الامور على ذلك والله أعلم

(الخبر عن مماليك بيبغا وترشحهم فى الدولة)

كان السلطان الاشرف بعد أن سطا بمماليك بيبغا تلك السطوة وقسمهم بين القتل والنفى وأسكنهم السجون وأذهب أثرهم من الدولة بالجملة أرجع جملة منهم بعد ذلك وعاتبه ستكلى ابغا فى شأنهم وأن فى اتلافهم قص جناح الدولة وانهم ناشئة من الجند

بعتاب الملك لهم فندم على من قتل منهم وأطلق من بقي من المحبوسين بعد خمس من
السنين وسرحهم الى الشأم يستخدمون عند الامراء وكان فيمن أطلق الجماعة بحبس
الكرك وهم برقوق العثماني وبركة الجوباني وطنبغا الجوباني وجركس الخليلي ونعنع
فأطلقوا الى الشأم ودعا منجك صاحب الشأم كبراءهم الى تعليم المماليك ثقافة الرمح
وكانوا بصراء بها فأقاموا عنده مدة أخبرني بذلك الطنبغا الجوباني أيام اتصالي به
قال وأقمنا عند منجك الى ان استدعاه السلطان الاشرف وكتب اليه الجاي اليوسفي
بمثل ذلك فاضطرب في أيهما يجيبه فيها ثم أراد أن يخرج من العهدة فرد الامر الينا
فأبينا الا امتثال أمره فتحير ثم اهتدى الى أن يبعث الى الجاي اليوسفي ودس الى
قرطاي كافل الامير علي ابن السلطان وكان صديقه يطلبنا من الجاي بخدمة ولي
العهد وصانع الجهتين بذلك قال وصرنا الى ولي العهد فعرضنا على السلطان ابيه
واختصنا عنده بتعليم الثقافة لمماليكه الى أن دعانا السلطان يوم واقعة الجاي وهو
جالس بالاصطبل فندبنا لحربه وذكرنا حقوقه وأزاح عللنا بالجياد والاسلحة
فجلبنا في قتاله الى ان انهزم ومازال السلطان بعدها يرعى لنا ذلك ويقدمنا انتهى خبر
الجوباني وكان طشتمر الدوادار قد لطف محله عند الاشرف وخلاله وجهه وكان هواه
في اجتماع مماليك يبقا في الدولة يستكثر بهم فيما يؤمله من الاستبداد على السلطان
فكان يشير في كل وقت على الاشرف باستقدامهم من كل ناحية واجتماعهم عصابة
للدولة يخادع بذلك عن قصده وكان محمد بن اسقلاص استاذدار يساميه في
الدولة ويزاحمه في مخالصة الاشرف ولطف المحل عنده ينهى السلطان عن ذلك
ويحذره مغبة اجتماعهم فغص طشتمر بذلك وكان عند السلطان مماليك دونه من
مماليكه الخاصكية شبابا قد اصطفاهم وهذبهم وخالصهم بالمحبة والصهر ورشحهم
للمراتب وولى بعضهم وكان الاكابر من أهل الدولة يفضون اليهم بحاجاتهم ويتوسلون
بمساعيهم فصرف طشتمر اليهم وجه السعاية وغشي مجالسهم وأغراهم بابن اسقلاص
وانه يصد السلطان أكثر الاوقات عن اغراضهم منه ويسد أبواب الانعام والصلات
منه وصدق ذلك عندهم كثرة حاجاتهم في وظيفته وتقرر الكثير منها عليهم عنده فوغرت
صدورهم منه وأغروا به السلطان باطباق اغراء طشتمر ظاهرا حتى تمت عليهم نكبته
وجمعت الكلمة وقبض عليه منتصف جمادى سنة سبع وثمانين ونفاه الى الاندلس فخلا
لطشتمر وجه السلطان وانفرد بالتدبير واجتمع المماليك اليبقاوية من كل ناحية حتى
كثروا أهل الدولة وعمروا مراتبها ووظائفها واحتازوها من جوانبها الى أن كان
ما نذكره ان شاء الله تعالى والله أعلم

﴿حج السلطان الاشرف وانتقاض المماليك عليه بالعقبة وما كان مع ذلك من﴾
﴿ثورة قرطاي بالقاهرة وبيعة الامير علي ولي العهد ومقتل السلطان اثر ذلك﴾

لما استقر السلطان في دولته على أكمل حالات الاستبداد والظهور واذعان الناس لطاعته في كل ناحية وأكمل الله له الامتاع بملكه ودنياه سمت نفسه الى قضاء فرضه فأجمع الحج سنة ثمان وسبعين وتجهز لذلك واستكثر من الرواحل المستجادة والازودة المثقلة من سائر الاصناف واستعد للسفر واحتفل في الابهة على معهود مثله واستخلف ابنه ولي العهد في ملكه وأوصى النائب اكتمر عبد الغني بمباكرة بابه والانتهاء الى مراسمه وأخرج بني الملك الناصر المحجوبين بالقلعة مع سرد الشيخوني الى الكرك يقيمون به الى منصرفه وتجهز الخليفة العباسي محمد المتوكل بن المعتضد والقضاة للحج معه وجهز جماعة من الامراء أهل دولته وأزاح عللهم وملأ بمعروفه حقائبهم وخرج ثاني عشر شوال في المراكب والقطارات يروق الناظرين كثرة وفخامة وزينة والخليفة والقضاة والامراء محفوفين وبرز النظارة حتى العواتق من خدورهن وتجللت بمركبهم البسيطة وماجت الارض بهم موجا وخيم بالبركة منزل الحاج وأقام بها أياما حتى فرغ الناس من حاجاتهم وارتحل فما زال يتنقل في المنازل الى العقبة ثم أقام فيها على عادة الحاج وكان في نفوس المماليك وخصوصا اليبيغاوية وهم الاكثر شجى يتشوفون به الى الاستبداد من الدولة فتنكروا واشتطوا في اقتضاء أرزاقهم والمباشرون يعللونهم الى الفساد ثم طلبوا العلوفة المستقبلة الى دار الازلم فاعتذر وانتهى
المباشرون بأن الاقوات جاءت الى أمام فلم يقبلوا وكشفوا القناع في الانتقاض وباتوا ليلتهم على تعبية واستدعى الاشرف طشتمر الدوادار وكان كبيرهم ففاوضه في الامر ليفل من عزمهم فأجمل العذر عنهم وخرج اليهم فخرجوا ثم ركبوا من الغد واصطفوا واركبوا طشتمر معهم ومنعوه من معاودة السلطان وتولى كبر ذلك منهم مبارك الطازي وسراي تمر المحمدي وبطلقمر العلائي وركب السلطان في خاصته يظن أنهم يرعوون أو يجنح اليه بعضهم فأبوا الا الاحفاف على قتاله ونضحوا موكبه بالنبل لما عاينوه فرجع الى خيامه منهزما ثم ركب الهجن في لمة قمن خواصه ومعه ارغون شاه الاتابك ويبغا الناصري ومحمد بن عيسى صاحب الدرك من لفائف الاعراب أهل الضاحية وفي ركابه جماعة الشباب الذين أنشأهم في مخالصته ورشحهم للوظائف في دولته كامتز وخام القبل الى القاهرة وقد كان السلطان عندما سافر عن القاهرة ترك بها جماعة من الامراء والمماليك مقيمين في وظائفهم كان منهم قرطاي الطازي كافل امير علي ولي العهد واقتمر الخليلي وقشتمر واستدمر السرغتمشي

وايبك البدرى وكان شيطان من المتمردة قد أوحى الى قرطاى بأنه يكون صاحب
الدولة بمصر فكان يتشوف لذلك ويترصده وربما وقع بينه وبين وزير الدولة
منازعة فى جراية مماليك مكفوله ولى العهد وعلوفاتهم أغلظ له فيها الوزير فوبخه وأخذ
فى أسباب الانتقاض وداخل فى ذلك بعض أصحابه وواعدهم ثالث ذى القعدة
وتقدم الى داية ولى العهد ليلة ذلك اليوم بأن يصلح من شأنه ويفرغ عليه ملابس
السلطان ويهيئه لجلوس التخت وركب هو صبيحة ذلك اليوم ووقف بالرميلة عند مصلى
العيد وتناول قطعة من ثوب فنصبها لواء وكان صبيان المدينة قد شرعوا
فى اتخاذ الدبادب والطبيلات للعيد فأمر بتناول بعضها منهم وقرعت بين يديه وتسايل
الناس اليه من كل أوب ونزل من كان بطباق القصر وغرفه وبالقاهرة من المماليك
واجتمعوا اليه حتى كظ ذلك الفضاء وجاؤا تتعادى بهم الخيل فاستغلظ لفيفهم ثم اقتحم
القلعة فى جمعه من باب الاصطبل الى بيت مكفوله ولى العهد أمير على عند باب الستارة
يطلبونه وقبضوا على زمام الدور وكانوا عدة حتى أحضروا ولى العهد وجاؤا به على
الاكتاف الى الايوان فأجلسوه على التخت وأحضروا ايدمر نائب القلعة فبايع له ثم
أنزلوه الى باب الاصطبل وأجلسوه هنالك على الكرسى واستدعى الامراء القائمين
بالقاهرة فبايعوه وحبس بعضهم بالقلعة وبعث اكثر الحلى الى الصعيد يستكشف
أحواله واختص منهم ايبك فجعله رديفا فى دولته وباتوا كذلك وأصبحوا يسائلون
الركبان ويستكشفون خبر السلطان وكان السلطان لما انهزم من العقبة سار ليلتين
وجاء الى البركة آخر الثانية وجاءه الخبر بواقعة القاهرة وما فعله قرطاى وتشاوروا
فأشار محمد بن عيسى بقصد الشأم وأشار آخرون بالوصول الى القاهرة وسار السلطان
اليها واستمروا الى قبة النصر وتهافتوا عن رواحلهم بالطلاح وقد أنهكهم التعب
وأضناهم السير فما هو الا أن وقعوا لمناكبهم وجنوبهم وغشيهم النعاس وجاء الناصرى
الى السلطان الاشرف من بينهم فنصح له بأن يتسلل من أصحابه ويتسرب فى بعض
البيوت بالقاهرة حتى يتبين له وجه مذهبه وانطلق بين يديه فقصد بعض النساء ممن
كان يغتاب قصده واختفى فظن الحياة فى ذلك وفارقه الناصرى يطلب نفقا فى الارض
وقد كانوا بعثوا من قبة النصر بعض المماليك عنهم روائد يستوضحون الخبر فأصبحوا
بالرميلة أمام القلعة وتعرف الناس أنه من الحاج فرفعوه الى صاحب الدولة وعرض
عليه العذاب حتى أخبره عن السلطان وأنه وأصحابه بقبة النصر مصرعين من غشى
النوم فطار اليهم شرار العسكر مع استدمر السرغتمشى والجمهور فى ساقتهم حتى
وقفوا عليهم فى مضاجعهم وافتقدوا السلطان من بينهم وقتلوهم جميعا وجاؤا برؤسهم

وزيجوا الانقياد السلطان ونادوا بطلبه وعرضوا العذاب والقتل على محمد بن عيسى صاحب الدرك فنبر أو حبس رهينة من ثقاته ثم جاءت امرأة الى ايبك فدلته عليه في بيت جارتها فاستخرجوه من ذلك البيت ودفعوه الى ايبك فامتحنه حتى دلهم على الذخيرة والاموال ثم قتلوه خنقا وجددوا البيعة لابنه الامير على ولقبوه المنصور واستقل بدولته كافله من قبل الامير قرطاى ورديفه ايبك البدرى واستقر الامر على ذلك

{ مجيء طشتمر من العقبة وانهزامه ثم مسيره الى الشأم وتجديد البيعة للمنصور باذن الخليفة وتقديمه }

لما انهزم السلطان من العقبة ومضى الى القاهرة اجتمع أهل الثورة على قشتمر وألقوا اليه القياد ودعوا الخليفة الى البيعة له فتفادى من ذلك ومضى الحاج من مكة مع أمير المحمل بهادر الجمالى على العادة ورجع القضاة والفقهاء الى القدس وتوجه طشتمر والامراء الى مصر لتلافى السلطان أو تلفه فلقيهم خبر مهلكه بعجرود وما كان من بيعة ابنه واستقلال قرطاى بالملك فشاب لهم رأى آخر في حرب أهل الدولة وساروا على التعبية وبعثوا في مقدمتهم قطلقتمر ولقى طلائع مصر فهزمهم وسار في اتباعهم الى ساحة القلعة فلم يشعر الا وقد تورط في جمهور العسكر فتقبضوا عليه وكان قرطاى قد بعث عن اقتمر الصاحبى الحنبلى من الصعيد ورجع في العساكر لحرب قشتمر وأصحابه فبرزا اليهم والتقوا في ساحة القلعة وانهزم قشتمر الى الكيمان بناحية مصر ثم استأمن فأمنوه واعتقلوه ثم جمع الناس ليوم مشهود وحضر الخليفة والامراء والقضاة والعلماء وعقد الخليفة للمنصور بن الاشرف وفوض اليه وقام قرطاى بالدولة وقسم الوظائف فولى قشتمر اللفاف واستأمر الصرغتمشى أمير سلاح وقطلوبغا البدرى أمير مجلس وقرطاى الطازى رأس نوبة واياس الصرغتمشى دوادار وايبك البدرى أمير الماخورية وسردون جركس استاذدار واقتمر الحنبلى نائبا وجعل له الاقطاع للاجناد والامراء والنواب وأفرج عن طشتمر العلائى الدوادار الاسكندرية وأحضر بنى الملك الناصر من الكرك مع حافظهم سردون الشيخونى وولاه حاجبا وكذلك قلوط الصرغتمشى وأصاب الناس في آخر السنة طاعون الى أول سنة تسع وسبعين فهلك طشتمر اللفاف الاتابك وولى مكانه قرطاى الطازى في وظيفته واستدعى بيبغا الناصرى من الشأم فاختصه الامير الكبير قرطاى بالمخالصة والمشاورة

* (نكبة قرطاى واستقلال ايبك بالدولة ثم مهلكه) *

كان ايبك الغزى هذا قد ردف قرطاى فى حمل الدولة من أول ثورتهم وقيامهم على
السلطان فخالصه وخلطه بنفسه فى الاصهار اليه وكان ايبك يروم الاستبداد بشأن
أصحابه وكان يعرف من قرطاى عكوفه على لذاته وانقسامه مع ندمائه فعمل قرطاى
فى صفر سنة تسع وسبعين ضيافة فى بيته وجمع ندماءه مثل سودون جركس ومبارك
الطازى وغيرهم واهدى له ايبك نبيذا أذيب فيه بعض المرقدات فباتوا يتعاطونه حتى
غلبهم السكر على أنفسهم ولم يفيقوا فركب ايبك من ليلته وأركب السلطان المنصور
معه واختار الامر لنفسه واجتمع اليه الناس وأفاق قرطاى بعد ثلاث وقد انحلت
عنه العقدة واجتمع الناس على ايبك فبعث اليه قرطاى يستأمن فأمنه ثم قبض عليه
وسيره الى صفد واستقل ايبك بالملك والدولة ثم بلغه منتصف صفر من السنة انتقاض
طشتمر بالشأم وانتقاض الامراء هنالك فى سائر الممالك على الخلاف معه فنادى
فى الناس بالمسير الى الشأم فتجهزوا وسرح المقدمة آخر صفر مع ابنه أحمد وأخيه
قطلوبغا وفيها من مماليكه ومماليك السلطان وجماعة من الامراء كان منهم الاميران
برقوق وبركة المستبدان بعد ذلك ثم خرج ايبك ثانى ربيع فى الساقة بالسلطان والامراء
والعساكر وانتهوا الى بلبيس وثار الامراء الذين كانوا مع أخيه فى المقدمة ورجع
اليه منهزما فأجفل راجعا الى القلعة بالسلطان والعساكر وخرج عليه ساعة وصوله
يوم الاثنين جماعة من الامراء وهم قطلقتمر العلائى الطويل والطنبغا السلطانى
والنعناع وواعدوه قبة النصر فسرح اليهم العساكر مع أخيه قطلوبغا فأوقعوا به
وتقبضوا عليه وبلغ الخبر الى ايبك فسرح من حضره من الامراء للقائهم وهم أيدمر
الشمسي واقطمر عبد الغنى وبهادر الجمالى ومبارك الطازى فى آخرين ولما تواروا
عنه ركب هو هاربا الى كيمان مصر واتبعه ايدمر القنائى فلم يقف له على خبر ودخل
الامراء من قبة النصر الى الاصطبل وامضوا الامراء الى قطلقتمر العلائى وهم يحاذونه
وأشير عليه بخلع المنصور والبيعة لمن يقوم على من أبناء السلطان
فأبى ثم وصل صبيحة الثلاثاء الامراء الذين ثاروا ونجاء أخو ايبك فى مقدمة العسكر
وفيهم بيبقا الناظرى ودمرداش اليوسفى وبلاط من أمراء الالوف وبرقوق
وبركة وغيرهما من الطبلخانات فنازعوهم الامر وغلبوهم عليه وبعثوا بهم الى
الاسكندرية معتقلين وفوض الامراء الى بيبقا الناظرى فقام بأمرهم وهو شجاع
وآراؤهم مختلفة ثم حضر يوم الاحد التاسع من ربيع ايبك صاحب الدولة وظهر من
الاختفاء وجاء الى بلاط منهم وأحضره عند بيبقا الناظرى فبعث به الى الاسكندرية
فحبسه بها وكان بيبقا الناظرى يختص برقوق وبركة بالمفاوضة استرابة بالآخرين فاتفق

رأيهم على ان يستدعي طشتمر من الشأم و ينصبوه للامارة فبعثوا اليه بذلك وانتظروه

{ استبداد الامير بن أبي سعيد برقوق و بركة بالدولة من بعد ايبك ووصول طشتمر من الشأم وقيامه بالدولة ثم نكبته }

لما تغلب هؤلاء الامراء على الدولة ونصبوا بيبقا الناظري ولم يعضوا له الطاعة بقي أمرهم مضطربا وآراؤهم مختلفة وكان برقوق وبركة أبصر القوم بالسياسة وطرق التدبير وكان الناظري يخالصهما كامر فتفاوضوا في القبض على هؤلاء المتصدين للمنازعة وكبح شكائمهم وهم دمرداش اليوسفي وتربای الحسيني وانتقلاص السلجوقي واستدمر بن العثماني في آخرين من نظرائهم وركبوا منتصف صفر وقبضوا عليهم أجمعين وبعثوا بهم الى الاسكندرية فحبسوهم بها واصطفوا بلاطاتهم وولوه الامارة وخلطوه بأنفسهم وأبقوا بيبقا الناظري على أتابكيته كما كان وأنزلوه من القلعة فسكن بيت شيخو قبالته وولي برقوق أمير الماخورية ونزل باب الاصطبل وولي بركة الجوباني أمير مجلس واستقرت الدولة على ذلك وكان طشتمر نائب الشأم قد انتقض واستبد بأمره وجمع عساكر الشأم وامراءه واستنفر العرب والتركمان وخيم بظاهر دمشق يريد المسير الى مصر وبرز ايبك من مصر بالسلطان والعساكر يريد الشأم لمحاربته فكان ما قدمناه من نكبته وخروج الامراء عليه ومصيرهم الى جماعة اليبقاوية الطائرين بايبك ومقدمهم بيبقا الناظري ثم تفاوض بيبقا الناظري مع برقوق وبركة في استدعاء طشتمر فوافقاه ونظراءه رأيا وثيقه من الذين معه وحسم الداء منه بكونهم في مصر فكتبوا اليه بالوصول الى مصر للاتابكية وتدبير الدولة وانه شيخ اليبقاوية وكبيرهم فسكنت نفسه لذلك ووضع أوزار الفتنة وسار الى مصر فلما وصلها احتفلوا في أمره وتعظيمه وركبوا السلطان الى الزيدانية لتلقيه ودفعوا الامراء اليه وأشاروا له الى الاتابكية و وضعوا زمام الدولة في يده فصار اليه التولية والعزل والحل والعقد وولي بيبقا الناظري أمير سلاح مكان سيباطا وبعثوا بلاطا الى الكرك لاستقلال طشتمر بمكانه وولي بندمر الخوارزمي نائبا بدمشق على سائر وظائف الدولة وعمالك الشأم كما اقتضاه نظره ووافق عليه استاذدار برقوق وبركة وولي ايبك اليوسفي فرتب برقوق رأس نوبة مكان الناصري واستمر الحال على ذلك وبرقوق وبركة اثناء هذه الامور يستكثران من المماليك استغلاظا لشوكتهما واكتنافا لعصبيتهما ان عتد الامير الى مراتبهما فيبذلان الجاه لتابعهما ويوفران الاقطاع لمن يستخدم لهما ويختصان بالامرة من يجنح من أهل الدولة اليهما والى ابوابهما وانصرفت الوجوه عن سواهما وارتاب طشتمر بنفسه في ذلك وأغراه أصحابه بالتوثب بهذين الاميرين فلما

كان ذوا طفة سنة تسع وسبعين استجل أصحابه على غيرر ية وبعثوا اليه فأجم وقعد عن الركوب واجتمع برقوق وبركة بالاصطبل اليه وقاتل مماليك طشتمر بالرميلة ساعة من نهار وانهزموا وافترقوا واستأمن طشتمر فأمنوه واستدعوه الى القلعة فقبضوا عليه وعلى جماعة من أصحابه منهم اطلمش الارغونى ومدلان الناصرى وأمير حاج بن مغلطاى ودواداره أرغون وبعثبهم الى الاسكندرية فحبسوا بها وبعث معهم بيبقا الناصرى كذلك ثم أفرج عنه لايام وبعثه نائبا على طرابلس ثم أفرج عن طشتمر بعد ذلك الى دمياط ثم الى القدس الى ان مات سنة سبع وثمانين واستقامت الدولة للاميرين بعد اعتقالهما وخلت لهما من المنازعين وولى الامير برقوق اتابكا وولى الماخورية الجابى الشمسى وولى قريبه اينال أمير سلاح مكان بيبقا الناصرى وولى أقتمر العثمانى دوادارمكان اطلمش الارغونى وولى الطنبقا الجوبانى رأس نوبة ثانيا ودمرداش أمير مجلس وتوفى بيبقا النظامى نائب حلب فولى مكانه عشقتمر الماردانى ثم استأذن فأذن له وحبس بالاسكندرية وولى مكانه بحلب تمرتاش الحسينى الدمرداشى ثم أفرج عنه وأقام بالقدس قليلا ثم استدعاه بركة وأكرم نزله وبعثه نائبا الى حلب

(ثورة اينال ونكبته)

كان اينال هذا أمير سلاح وكان له مقام فى الدولة وهو قريب الامير برقوق وكان شديد الانحراف على الامير بركة ويحمل قريبه على منافرته ولا يجيبه الى ذلك فاعتزم على الثورة وتعين لها سفر الامير بركة الى البحيرة يتصيد فركب الامير برقوق فى بعض تلك الايام متصيدا بساحة البلد فرأى ان قد خلا له الجو فركب وعمد الى باب الاصطبل فلكه ومعه جماعة من مماليكه ومماليك الامير برقوق وتقبضوا على أمير الماخورية جركس الخليلى واستدعوا السلطان المنصور ليظهروه للناس فنعه المقدمون من باب الستارة وجاء الامير برقوق من صيده ومعه الاتابك الشمسى فوصلوا الى منزله خارج القلعة وأفرغوا السلاح على سائر مماليكهم وركبوا الى ساحة الاصطبل ثم قصدوا الى الباب فأحرقوه وتسلق الامير قرطاى المنصورى من جهة باب السر وقصه لهم فدخلوا منه ودافعوا اينال وانتقض عليه المماليك الذين كانوا معه من مماليك الامير برقوق ورموه بالسهام فانهزم ونزل الى بيته جريحا وأحضر الى الامير برقوق فاعتذر له بانه لم يقصد بفعلته الا التغلب على بركة فبعث به الى الاسكندرية معتقلا وأعاد بيبقا الناصرى أمير سلاح كما كان واستدعى لها من نيابة طرابلس ووصل الخبر الى بركة فأسرع الكر من البحيرة واستطم الحال وتطيروا فى الوظائف التى خلت فى هذه الفتنة

فعمروها بمن يقوم بها واختصوا بها من حسن غناؤه في هذه الواقعة مثل قردم وقرط
وذلك سنة احدى وثمانين واقام اينال معتقلا بالاسكندرية ثم أفرج عنه في صفر سنة
اثنتين وثمانين وولي على طرابلس ثم توفي منكلي بغا الاحمدي نائب حلب فولي اينال
مكانه ثم تقبض عليه آخر السنة وحبس بالكرك وولي مكانه يبقا الجدي نائب دمشق
فولي مكانه بندمر الخوارزمي ثم توفي سنة احدى وثمانين جبار بن المهنا أمير العرب
بالشأم فولي مكانه معيقل بن فضل بن عيسى وزامل بن موسى بن عيسى شريكين ثم عزلا
وولي نعير بن جبار

(ثورة بركة ونكبته واستقلال الامير برقوق بالدولة)

كان هذا الامير بركة يعادل الامير برقوق في حمل الدولة كما ذكرناه وكان أصحابه
يفوضون اليه الاستبداد في الاموال وكان الامير برقوق كثير التثبت في الامور والميل
الى المصالح فيعارضهم في الغالب ويضرب على أيديهم في الكثير من الاحوال فغصوا
بمكانه وأغروا بركة بالتوثب والاستقلال بالامر وسعوا عنده بأشمس من كبار أصحاب
الامير برقوق وأنه يحمل برقوق على مقاطعة بركة ويفسد ذات بينهما وأنه يطلب الأمر
لنفسه وقد اعتزم على الوثوب عليهما فجاء بركة بذلك الى الامير برقوق وأراد القبض
على أشمس فمنعه الامير برقوق ودفع عنه وعظم انحراف بركة على أشمس ثم عن الامير
برقوق وسعى في الاصلاح بينهما الاكابر حتى كمال الدين شيخ التكية والخلدي شيخ
الصوفية من أهل خراسان وجاؤا بأشمس الى بركة مستعتبا فأعتبه وخلع عليه ثم عاود
انحرافه ثانية فمسح أعطافه وسكن وهو يجمع الثورة والقتال ثم عاود حاله ثالث ثالثة
واتفق أن صنع في بيت الامير برقوق لسمر ووليمة في بعض أيام الجمعة في شهر ربيع سنة
ثنتين وثمانين وحضر عنده أصحاب بركة كلهم وأهل شوكته وقد جاءه النصيح
بأن بركة قد أجمع الثورة غداة يومه فقبض الامير برقوق على من كان عنده من أصحاب
بركة لقص جناحه منهم وأركب حاشيته للقبض عليه واصعد يدلان الناصري على
مأذنة مدرسة حسن فنضحه بالنبل في اصطبله وركب بركة الى قبة النصر وخيم بها
ونودي في العامة بنهب بيوته فنهبوها الوقت وخربوها وتحيز اليه يبقا الناصري
فخرج معه وجلس الامير برقوق بباب القلعة من ناحية الاصطبل وسرح الفرسان
للقتال واقتتلوا عامة يومهم فزحف بركة على تعبيتين احداهما ليبقا الناصري وخرج
الاق الشعباني للقائه وأشمس للقاء يبقا الناصري فانهزم أصحاب بركة ورجع الى
قبة النصر وقد أثخنوا بالجراح وتسلل أكثرهم الى بيته وأقام الليل ثم دخل الى جامع
وبات به ونمي الى الامير برقوق خبره فأركب اليه الطنبغا الجوباني

وجاءبه الى القلعة وبعث به الامير برقوق الى الاسكندرية فحبس بها الى ان قتله النائب بها صلاح الدين بن عزام وقتل به فى خبر يأتى شرحه ان شاء الله تعالى وتقبض على بيقا الناصرى وسائر شيعته من الامراء وأودعهم السجون الى ان استحالت الاحوال وولى وظائفهم من أوقف عليه نظره من امراء الدولة وأفرج عن اينال الثائر قبله وبعثه نائبا على طرابلس واستقل بحمل الدولة وانتظمت به أحوالها واستراب سنة من نائب دمشق لصحابته مع بركة فتقبض عليه وعلى أصحابه بدمشق وولى نيابة دمشق عشقتمر ونيابة حلب اينال وولى اشمس الاتابكية مكان بركة والاقى الشعبانى أمير سلاح والطنبقا الجوبانى أمير مجلس وابقا العثمانى دوادارو جركس الخليلى أمير الماخورية والله تعالى ولى التوفيق

(انتقاض أهل البحيرة وواقعة العساكر)

كان هؤلاء الطواعن الذين عمروا الدولة من بقايا هوارة ومزاتة وزناتة يعمرو ونها عن تحت أيديهم من هذه القبائل وغيرهم ويقومون بخراج السلطان كل سنة فى اباته وكانت الرياسة عليهم حتى فى اداء الخراج لبدر بن سلام وآبائه من قبله وهو من زناتة احدى شعوب لواتة وكان للبادية المتبدين مثل أبى ذئب شيخ أحياء مهرانة وعسرة ومثل بنى التركية امراء العرب بعقبة الاسكندرية اتصال بهم لاحتياجهم الى الميرة من البحيرة ثم استخدموا الامراء الترك فى مقاصدهم وأموالهم واعتزوا بجاههم وأسفوا على نظائرهم من هوارة وغيرهم ثم حدثت الزيادة فى وظائف الجباية كما هى طبيعة الدول فاستثقلوها وحدثتهم أنفسهم بالامتناع منها لما عندهم من الاعتزاز فأرهقوا فى الطلب وحبس سلام بالقاهرة وأجفل ابنه بدر الى الصعيد بالقبلية واعترضته هنالك عساكر السلطان فقاتلهم وقتل الكاشف فى حربه وسارت اليه العساكر سنة ثمانين مع الاقى الشعبانى وأحمد بن بيقا واينال قبل ثورته فهربوا وعاثت العساكر فى مخلفهم ورجعوا وعاد بدر الى البحيرة وشغلت الدولة عنهم بما كان من ثورة اينال وبركة بعده واتصل فساد بدر وامتناعه فخرجت اليه العساكر مع الاتابك اشمس والامير سلام والجوبانى أمير مجلس وغيرهم من الامراء الغريبة ونزلت العساكر البحيرة واعتزم بدر على قتالهم فجاءهم النذير بذلك فانتبذوا عن الخيام وتركوها خاوية ووقفوا على مراكزهم حتى توسط القوم المخيم وشغلوا بنهبه فكرت عليهم العساكر فكادوا يستلحمونهم ولم يفلت منهم الا الاقل وبعث بدر بالطاعة واعتذر بالخوف وقام بالخراج فرجعت العساكر وولى تكتمر الشريف على البحيرة ثم استبدل منه بقرط بن عمر ثم عاد بدر الى حاله فخرجت العساكر فهرب أمامها وعاث القرط فيهم وقتل الكثير من رجالهم

وحبس آخرين ورجع عن بدر أصحابه مع ابن عمه ومات ابن شادي وطلب الباقي الامان
فأمنوا وحبس رجال منهم وضمن الباقون القيام بالخراج واستأمن بدر فلم يقبل فلحق
بناحية الصعيد واتبعته العساكر فهرب واستبيح مخلفه واحياؤه ولحق ببرقة ونزل
على أبي ذئب فأجاره واستقام أمر البحيرة وتمكن قرط من جباياتها وقتل رحاب وأولاد
شادي وكان قرطاي يستوعب رجالتهم بالقتل وأقام بدر عند أبي ذئب يتردد ما بين احيائه
وبين الواحات حتى لقيه بعض أهل الثأر عنده فثأر وا منه سنة تسع وثمانين وذهب
مثلا في الآخرين والله تعالى أعلم

(مقتل بركة في محبسه وقتل ابن عزام بثأره)

كان الامير بركة استعمل أيام امارته خليل بن عزام استاذداره ثم اتهمه في ماله وسخطه
ونكبه وصادره على مال امتحنه عليه ثم أطلقه فكان يطوى له على الشكث ثم صار بركة
الى ما صار اليه من الاعتقال بالاسكندرية وتولى ابن عزام نيابتها فحاول على حاجة
نفسه في قتل بركة ووصل الى القاهرة متبرئا من أمره مخوفا من مغبته ورجع وقد
طوى من ذلك على الدغل ثم حمله الحقد الكامن في نفسه على اغتياله في جنح الليل
فأدخل عليه جماعة متسلحين فقتلوه وزعم انه أذن له في ذلك وبلغ الخبر الى كافل الدولة
الامير برقوق وصرح مماليكه بالشكوى اليه فأنكر ذلك وأغلظ على ابن عزام وبعث
دوداره الامير يونس يكشف عن سببه واحضار ابن عزام فجاء به مقيدا وأوقفه على
شنيع مرتكبه في بركة فخلف الامير ليقادن منه به وأحضر الى القلعة في منتصف
رجب من سنة اثنتين وثمانين فضرب بباب القلعة اسواطا ثم حمل على جمل مشتهرا
وأنزل الى سوق الخيل فتلقاه مماليك بركة فتناولوه بالسيوف الى أن تواقعت اشلاؤه
بكل ناحية وكان فيه عظة لمن يتعظ أعاذنا الله من درك الشقاء وسوء القضاء وشماتة
الاعداء انتهى

(وفاة السلطان المنصور على بن الاشرف وولاية الصالح أمير حاج)

كان هذا السلطان علي بن الاشرف قد نصبه الامير قرطاي في ثورته على أبيه الاشرف
وهو ابن ثنتي عشرة سنة فلم يزل منصورا والامر ينتقل من دولة الى دولة كما ذكرناه الى
أن هلك لخمس سنين من ولايته في صفر سنة ثلاث وثمانين فحضر الامير برقوق واستدعى
الامراء واتفقوا على نصب أخيه أمير حاج ولقبوه الصالح وأركبوه الى الايوان
فأجلسوه على التخت وقلده الخليفة على العادة وجعل الامير برقوق كافله في الولاية
والنظر للمسلمين لصغره حينئذ عن القيام بهذه العهدة وأفتى العلماء يومئذ بذلك وجعلوه

من مضمون البيعة وقرئ كتاب التقليد على الامراء والقضاة والخاصة والعامة في يوم مشهود وانفض الجمع وانعقد أمر السلطان وبيعته وضرب فيها للامير برقوق بسهم والله تعالى مالك الامور

(وصول أنس الغساني والد الامير برقوق وانتظامه في الامراء)

اصل هذا الامير برقوق من قبيلة جركس الموطنين ببلاد الشمال في الجبال المحيطة بوطء القفجاق والروس واللان من شرقيها المطلة على بسائطهم ويقال انهم من غسان الداخلين الى بلاد الروم مع أميرهم جبلة بن الايهم عندما أجفل هرقل الى الشام وسار الى القسطنطينية وخبر مسيره من أرض الشام وقصته مع عمر بن الخطاب رضي الله عنه متناقلة معروفة بين المؤرخين وأما هذا الرأي فليس على ظاهره وقبيلة جركس من الترك معروفة بين النسابين ونزولهم تلك المواطن قبل دخول غسان وتحقيق هذا الرأي ان غسان لما دخلوا مع جبلة الى هرقل أقاموا عنده ويئسوا من الرجوع لبلادهم وهلك هرقل واضطرب ملك الروم وانتشرت الفتنة هنالك في ممالكهم واحتاجت غسان الى الحلف للمدافعة في الفتن وحالفوا قبائل جركس ونزلوا في بسيط جبلهم من جانبه الشرقي مما يلي القسطنطينية وخالطوهم بالنسب والصهر واندرجوا فيهم حتى تلاشت احياؤهم وصاروا الى وأووا من البسائط الى الجبال مع جركس فلا يبعد مع هذا أن تكون أنسابهم تداخلت معهم ممن انتسب الى غسان من جركس وهو مصدق في نسبه ويستأنس له بما ذكرناه فهو نسبة قوية في صحته والله تعالى أعلم وجلب هذا الامير برقوق على عهد الامير يبقا عثمان قراجا من التجار المعروفين يومئذ بتلك الجهات فاشتراه يبقا وربى في اطباق بيته واوى من قصده وشد في الرماية والثقافة وتعلم آداب الملك وانسلخ من جلدة الخشونة وترشح للرياسة والامارة والسعادة تشير اليه والعناية الربانية تحوم عليه ثم كان ما ذكرناه من شأن مماليك يبقا وهلك كبيرهم يومئذ اشدمر وكيف تقسموا بين الجلاء والسجن وكان الامير برقوق أعزه الله تعالى ممن أدركه التمحيص فلبث في سجن الكرك خمس سنين بين أصحاب له منهم فكانت تهوينا لما لقي من بوائقه وشكر الله بالرجوع الى الله لتيم ما قدر الله فيه من حل اماته واسترعاء عباده ثم خلص من ذلك الحبس مع أصحابه وخلى سبيله فانطلقوا الى الشام واستخلصهم الامير منجك نائب الشام يومئذ وكان بصيرا مجربا فألقى محبته وعنايته على هذا الامير لما رأى عليه من علامات القبول والسعادة ولم يزل هنالك في خالصته الى أن هجس في نفس السلطان

الاشرف استدعاء المرشحين من مماليكه وهذا الامير يقدمهم وأفاض فيهم الاحسان واستضافهم لولده الامير علي ولم يكن الا أيام وقد انتقض الخاني القائم بالدولة وركب على السلطان فأحضرهم السلطان الاشرف وأطلق أيديهم في خيوله المقربة وأسلحته المستجادة فاصطفوا منها ما اختاروه وركبوا الى مدافعة الخاني وصدقوه القتال حتى دافعوه على الرميلة ثم اتبعوه حتى ألقى نفسه في البحر فكان آخر العهد به واحتلوا بمكان من أثرة السلطان واختصاصه فسوغ لهم الاقطاعات وأطلق لهم الجرايات ولهذا الامير بين يديه من بينهم مزيد مكانة ورفيع محل الى أن خرج السلطان الاشرف الى الحج وكان ما قدمناه من انتقاض قرطاي واستبداده ثم استبداد ايبك من بعده وقد عظم محل هذا الامير من الدولة وعاعزه وسمت رتبته ثم فسد أمر ايبك وتغلب على الامر جماعة من الامراء مفترقي الاهواء وخشي العقلاء انتقاض الامر وسوء المغبة فبادر هذا الامير وتناول الحبل بيده وجعل طرفه في يد بركة رديفه فأمسك معه برهة من الايام ثم اضطرب وانتقض وصار الى ما صار اليه من الهلاك واستقل الامير برقوق بحمل الدولة والعناية الربانية تكفله والسعادة تواخيه وكان من جميل الصنع الرباني له أن كيف الله غريبة في اجتماع شمل أبيه به فقدم وفد التجار بابيه من قاصية بلادهم بعد أن أعملوا الحيلة في استخلاصه وتلطفوا في استخراجه وكان اسمه أنس فاحتفل ابنه الامير برقوق من مبرته وأركب العساكر وسائر الناس على طبقاتهم لتلقيه واعد الخيام بسرياقوس لنزوله فحضروا هنالك جميعا في ثاني ذي الحجة سنة ثنتين وثمانين وجلس الامير أنس الوافد صدر المجلس وهم جميعا حفافيه من القضاة والامراء ونصب السماط فطعم الناس وانتشروا ثم ركبوا الى البلد وقد زينت الاسواق وأوقدت الشموع وماجت السكك بالنظارة من عالم لا يحصيهم الا خالقهم وكان يوما مشهودا وأنزله بالاصطبل تحت المدينة الناصرية وتظمه السلطان في أقربائه وبني عمه وبني اخوانه واجتمع شملهم به وفرض لهم الارزاق وقررهم في الوظائف ثم مات هذا الاب الوافد وهو الامير أنس رحمه الله في أواسط   وثمانين بعد أن أوصى بحجة اسلامه وشرفت مراتب الامارة بمقامه ودفنه السلطان بتربة الدوادار يونس ثم نقله الى المدفن بجوار المدرسة التي أنشاها بين القصرين سنة ثمان وثمانين والله يؤتي الملك من يشاء

(خلع الصالح أمير حاج وجلوس الامير برقوق على التخت واستبداده بالسلطان)

كان أهل الدولة من اليبقاوية من ولي منهم هذا الامير برقوق قد طمعوا في الاستبداد وظفروا بلذة الملك والسلطان ورتعوا في ظل الدولة والامان ثم سمت أحوالهم الى أن

يستقل أميرهم بالدولة ويستبدبها دون الاصاغر بن المنتصبين بالمملكة وربما أشار بذلك بعض أهل الفتيا يوم بيعة أمير حاج وقال لابد أن يشمر له معه في تفويض الخليفة الامير القائم بالدولة لتشتد الناس الى عقدة محكمة فأمضى الأمر على ذلك وقام الامير بالدولة فأنس الرعية بحسن سياسته وجميل سيرته واتفق أن جماعة من الامراء المختصين بهذا الصبي المنصوب غصوا بمكان هذا الامير وتفاوضوا في الغدر به وكان متولى ذلك منهم ابقا العثماني دوادار السلطان ونمى الخبر اليه بذلك فتقبض عليهم وبعث ابقا الى دمشق على امارته وغرب الآخرين الى قوص فاعتقلوا هنالك حتى أنفذ الله فيهم حكمه واشفق الامراء من تدبر مثل هؤلاء عليهم وتفاوضوا في محو الاصاغر من الدست وقيامه بأمرهم مستقلا فجمعهم لذلك في تاسع عشر رمضان سنة أربع وثمانين وحضر الخاصة والعامة من الجند والقضاة والعلماء وأرباب الشورى والفتيا وأطبقوا على بيعته وعزل السلطان أمير حاج فبعث اليه أميرين من الامراء فادخلوه الى بيته وتناولوا السيف من يده فأحضروه ثم ركب هذا السلطان من مجلسه بباب الاصطبل وقد لبس شعار السلطنة وخلعة الخلافة فدخل الى القصور السلطانية وجلس بالقصر الابلق على التخت وأتاه الناس ببيعتهم أرسالا وانعقد أمره يومئذ ولقب الملك الظاهر وقرعت الطبول وانتشرت البشائر وخلع على أمراء الدولة مثل أتمش الاتابك والطنبغا الجوباني أمير مجلس وجركس الخليلي أمير الماخورية وسودون الشيخوني نائبا والطنبغا المعلم أمير سلاح ويونس النوروزي دوادارو قردم الحسيني رأس نوبة وعلى كتابه أوحد الدين بن ياسين كاتب سره ادال به من بدر الدين بن فضل الله كاتب سر السلطان من قبل وعلى جميع أرباب الوظائف من وزير وكاتب وقاض ومحتسب وعلى مشاهير العلم والفتيا والصوفية وانتظمت الدولة أحسن انتظام وسر الناس بدخولهم في ايالة السلطان يقدر للامور قدرها ويحكم أواخيها واستأذنه الطنبغا الجوباني أمير مجلس في الحج تلك السنة وأذن له فانطلق لقضاء فرضه وعاد انتهى والله تعالى أعلم

(مقتل قرط وخلع الخليفة ونصب ابن عمه الواثق للخلافة)

كان قرط بن عمر من التركمان المستخدمين في الدولة وكان له اقدام وصرامة رقابهما الى محل من مرادفة الامراء في وجوههم ومذاهبهم ودفع الى ولاية الصعيد ومحاربة أولاد الكنز من العرب المائلين في نواحي اسوان فكان له في ذلك غناء وأحسن في تشريدهم عن تلك الناحية ثم بعث الى البحيرة واليا عند انتقاض بدر بن سلام وفراره ومرجع العساكر من تمهيدها فقام بولايتها وتتبع آثار أولئك المنافقين

وحسم عللهم وحضر فى ثورة اينال بخلاف ذلك اليوم لشهامته واقدامه وكان هو المتولى تسوّر الحائط واحراق الباب الظهرانى الذى ولجوا عليه وامسكوه فكان يمت بهذه الوسائل اجمع والسلطان يرعى له الا انه كان ظلوما غشوما فكثرت شكايات الرعايا والمتظلمين به فتقبض عليه لاوّل بيعته وأودعه السجن ثم عفا عنه وأطلقه وبقى مباكرا باب السلطان مع الخواص والاولياء وطوى على الغش وتربص بالدولة ونمى عنه أنه فاوض الخليفة المتوكل بن المعتضد فى الانتقاض والاجلاب على الدولة بالعرب المخالفين بنواحى برقة من أهل البحيرة وأصحاب بدر بن سلام وأن يفوّض الخليفة الامر الى سوى هذا السلطان القائم بالدولة وانه داخل فى ذلك بعض ضعفاء العقول من امراء الترك ممن لا يؤبه له فاحضرهم من غداته وعرض عليهم الحديث فوجموا وتناكروا وأقر بعضهم واعتقل الخليفة بالقلعة وأخرج قرط هذا لوقته فطيف به على الجمل مسمرا ابلاغا فى عقابه ثم سيق الى مصرعه خارج البلد وقدّ بالسيف نصفين وضم الباقون الى السجون وولى السلطان الخلافة عمر بن ابراهيم الواثق من أقاربه وهو الذى كان الملك الناصر ولى أباه ابراهيم بعد الخليفة أبى الربيع وعزل عن ابنه أحمد كما مرّ وكان هذا كله فى ربيع سنة خمس وثمانين وولى مكانه أخوه زكريا ولقب المعتصم واستقرت الاحوال الى ان كان ما نذكره ان شاء الله تعالى

(نكبة الناصرى واعتقاله)

كان هذا الناصرى من مماليك يبغا وأرباب الوظائف فى أيامه وكان له مع السلطان الظاهر ذمة وداد وخلة من لدن المربى والعشرة فقد كانوا أترابا بها وكانت لهم دالة عليه لعلوّ سنه وقد ذكرنا كيف استبدّوا بعد يلبغا ونصبوا الناصرى اتابكا ولم يحسن القيام عليها وجاء طشتمر بعد ذلك فكان معه حتى فى النكبة والحبس ثم أشخص الى الشأم وولى على طرابلس ثم كانت ثورة اينال ونكبته فى جمادى سنة احدى وثمانين فاستقدمهم من طرابلس وولى أمير سلاح مكان اينال واستخلصه الامير بركة وخلطه بنفسه وكانت نكبته فحبس معه ثم أشخص الى الشأم وكان اينال قد أطلق من اعتقاله وولى على حلب سنة ثنتين وثمانين مكان منكلى بغا الاحمدى فاقام بها سنة أو نحوها ثم نمى عنه خبر الانتقاض فقبض عليه وحبس بالكرك وولى مكانه على حلب يبغا الناصرى فى شوّال سنة ثلاث وثمانين وقعد الظاهر على التخت لسنة بعدها واستبدّ بملك مصر وكان الناصرى لما عنده من الدالة يتوقف فى انفاذ أوامره لما يراه من المصالح بزعمه والسلطان ينكر ذلك ويحقده عليه وكان له مع

الطنبقا الجوباني أمير مجلس أحد اركان الدولة حلف لم يغن عنه وأمر السلطان بالقبض على سولى بن بلقادر حين وفد عليه بحلب فأبى من ذلك صونا لوفائه بزعمه ودس بذلك الى سولى فهرب ونجا من النكبة ووفد على السلطان سنة خمس وثمانين وجدد حلفه مع الجوباني ومع أشمس الاتابك ورجع الى حلب ثم خرج بالعساكر الى التركمان آخر سنة خمس وثمانين دون اذن السلطان فانهزم وفسدت العساكر ونجا بعد ثالثة جريحا وأحقد عليه السلطان هذه كلها ثم استقدمه سنة سبع وثمانين فلما انتهى الى سرياقوس تلقاه بها استاذدار فقبض عليه وطير به الى الاسكندرية فحبس بها مدة عامين وولى مكانه بحلب الحاجب سودون المظفر وكان عينة نصح للسلطان وعينا على الناصري فيما يأتيه ويذره لانه من وظائف الحاجب للسلطان في دولة الترك خطة البريد المعروفة في الدول القديمة فهو بطانة السلطان بما يحدث في عمله ويعترض شجا في صدر من يروم الانتقاض من ولاته وكان هذا الحاجب سودون هو الذي ينمى أخباره الى السلطان ويطلعه على مكامن مكره فلما حبس الناصري بالاسكندرية ولاه مكانه بحلب وارتاب الجوباني من نكبة الناصري لما كان بينهما من الوصلة والحلف فوجم واضطرب وتبين السلطان منه النكر فنكبه كما نذكره بعد ان شاء الله تعالى وأقصاه والله أعلم

(اقصاء الجوباني الى الكرك ثم ولايته على الشأم بعد واقعة بندمر)

أصل هذا الامير الجوباني من قبائل الترك واسمه الطنبقا وكان من موالي بيبغا الخاصكي المستولي على السلطان الأشرف وقد مر ذكره ربي في قصره وجو عزه ولقن الخلال والآداب في كنفه وكانت بينه وبين السلطان خلة ومصافاة اكسبتها له تلك الكفالة بما كانا رضيعي ثديها وكوكبي أفقها وتربي مرقاها وقد كان متصلا فيما قبله بينهما من لدن المربى في بلادهم واشتمل بعضهم على بعض واستحكم الاتحاد حتى بالعشرة أيام التمحيص والاغتراب كما مر فلقد كان معتقلا معه بالكرك أيام المحنة خمسا من السنين أدال الله لهذا السلطان حزنها بالمسرة والنحوسة بالسعادة والسجن بالملك وقسمت للجوباني بها شائبة من رحمة الله وعنايته في خدمة السلطان بدار الغربة والمحنة والفته به في المنزل الخشن لتعظم له الوسائل وتكرم الاذمة والعهود

ان الكرام اذا ما أسهلوا ذكروا * من كان يألفهم في المنزل الخشن

ثم كان انطلاقهما الى الشأم ومقامهما جميعا واستدعاؤهما الى دار الملك ورقيهما في درج العز والتغريب كذلك وكان للسلطان أصحاب سراة يمتون اليه بمثل هذه الوسائل وينتظمون في سلكها وكان متميز الرتبة عنهم سابقا في مرقى درجات العز أمامهم مجليا

في الحلبة التي فيها طلقهم الى أن ظفر بالملك واستولى على الدولة وهو يستتبعهم في
مقاماته ويوطئهم عقبه ويذلل لهم الصعاب فيقتحمونها ويحوز لهم الرتب فيستهمون
عليها ثم اقتعد منبر الملك والسلطان واستولى على كرسيه وقسم مراتب الدولة ووظائفها
بين هؤلاء الاصحاب وآثر الجوباني منهم بالصفاء والمرباع فجعله أمير مجلسه ومعناه
صاحب الشورى في الدولة وهو ثاني الاتابك وتلو رتبته فكانت له القدم العالية من
أمرائه وخلصائه والحظ الوافر من رضاه وايثاره وأصبح أحد الاركان التي بها عمد دولته
بأساطينها وأرسى ملكه بقواعدها الى أن دبت عقارب الحسد الى مهاده وحومت شباة
السعاية على قرطاسه وارتاب السلطان بمكانه وأعجل الحزم على امهاله فتقبض عليه يوم
الاثنين لسبع بقين من سنة سبع وثمانين وأودعه بعض حجر القصر عامة يومه ثم أقصاه
الى الكرك وعواطف الرحمة تنازعه وسجايا الكرم والوفاء تقتضي من سخطه ثم سمح
وهو بالخير أسمح وجنح وهو الى الادنى من الله أجنح فسرح اليه من الغد بمرسوم النيابة
على تلك الاعمال فكانت غريبة لم يسمع بمثلها من حلم هذا السلطان وأناته وحسن نيته
وبصيرته وكرم عهده وجميل وفائه وانطلقت الالسن بالدعاء له وامتلأت القلوب بالمحبة
وعلم الاولياء والخاصة والشيع والكافة انهم في كفالة أمن ولطف وملكة احسان
وعدل ثم مكث حولا يتعقب أحواله ويتتبع سيره وأخباره طاويا شأنه في ذلك عن سائر
الاولياء الى أن وقف على الصحيح من أمره وعلم خلوص مصادقته وجميل خلوصه
فاخفق سعي الداعين وخابت ظنون الكاشحين وأداله العتبى من العتاب والرضا
من النكرى واعتقد ان يمحو عنه هواجس الاسترابة والاستيحاش ويرده الى أرفع
الامارة وبينما هو يطوي على ذلك ضميره ويناجي سره اذ حدثت واقعة بيدمر بالشأم
فكانت ميقاتا لبدر السعادة وعلما على فوزه بذلك الحظ كما نذكر ان شاء الله تعالى وخبر
هذه الواقعة أن بيدمر الخوارزمي كان نائبا بدمشق وقد مر ذكره غير مرة وأصله من
الخوارزمية أتباع خوارزم شاه صاحب العراق عند استيلاء التتر وافترقوا عند
مهلكه على يد جنكزخان في ممالك الشأم واستخدموا لبني أيوب والترك أول
استبدادهم بمصر وكان هذا الرجل من أعقاب أصلهم وكان له نجابة جذبت بضبعه
ونصب عند الامراء من سوقه فاستخدم بها الى أن ترشح للولاية في الاعمال وتداول
امارة دمشق مع منجك اليوسفي وعشقتمر الناصري وكان له انتقاض بدمشق عند
تغلب الخاصكي وحاصره واستنزله بأمانه ثم أعيد الى ولايته ثم تصرمت تلك الدول
وتغلب هذا السلطان على الامر ورادفه فيه قرلو على دمشق وكانت صاغيته مع
بركة فلما حدث انتقاض بركة كتب اليه والى بقري بدمشق أولياؤه هنالك بالاستيلا

على القلعة وكتب برقوق الى نائب القلعة بحذرهم فركب جنتمر اخ طاز وابن جرجى ومحمد بيك وقاتلوه ثلاثا ثم أمسكوه وقيدوه ومعه بقرى بن برقش وجبريل من تبه وسيقوا الى الاسكندرية فحبسوا فلما قتل بركة أطلق بندمر ومن كان حبس من أصحاب بركة مثل بيبقا الناصرى ودمرداش الاحمدى ثم استخلصه السلطان برقوق ورده الى عمله الأول بعد جلوسه على التخت والشأم له وكان جماعا للاموال شديد الظلامة فيها متحيلا على استخلاصها من أيدى أهلها بما يطرق لهم من أسباب العقاب مصانعا للحاشية بماله من حاميته الى أن سئم الناس ايالته وترجحت القلوب منه وكان بدمشق جماعة من الموسوسين المتامرين لطلب العلم بزعمهم متهمون فى عقيدتهم بين مجسم ورافضى وحلولى جمعت بينهم انساب الضلال والحرمان وقعدوا عن نيل الرتب بما هم فيه تلبسوا باظهار الزهد والنكير على الخلق حتى على الدولة فى توسعة بطلان الاحكام والجباية عن الشرع الى السياسة التى تداولها الخلفاء وأرخص فيها العلماء وأرباب الفتيا وحملة الشريعة بما تمس اليه الحاجة من الوازع السلطانى والمعونة على الدفاع وقديما نصبت الشرطة الصغرى والكبرى ووظيفة المظالم ببغداد دار السلام ومقر الخلافة وايوان الدين والعلم وتكلم الناس فيها بما هو معروف وفرضت ارزاق العساكر فى أثمان البياعات عند حاجة الدولة الاموية فليس ذلك من المنكر الذى يعتمد بتغييره فلبس هؤلاء الحمق على الناس بامثال هذه الكلمات وداخلوا من فى قلبه مرض من الدولة وأوهموا ان قد وثقوا من الحل والعقد فى الانتقاض فربما انتحلوها وجعلوها نهايته ووعدوا على كافل القلعة بدمشق وحاميتها يسألونهم الدخول معهم فى ذلك لعصابة كانت بين بعضهم وبينه فاعتقلهم وطالع السلطان بأمرهم وتحدث الناس أنهم داخلوا فى ذلك بندمر النائب بمداخلة بعضهم كابنه محمد شاه ونمى الخبر بذلك الى السلطان فارتاب به وعاجله بالقبض والتوثق منه ومن حاشيته ثم أخرج مستوفى الاموال بالحضرة لاستخلاص ما احتازه من أموال الرعايا واستأثر به على الدولة وأحضر هؤلاء الحمق ومن بسوء سيرتهم مقتدون الى الابواب العالية فقذفوا فى السجون وكانوا أحق بغير ذلك من أنواع العذاب والنكال وبعث السلطان لاشقتمر الناصرى وكان مقيما بالقدس أن يخرج نائبا على دمشق فتوجه اليها وأقام رسم الامارة بها أياما ظهر فيها عجزه وبين عن تلك الرتبة قعوده بما أصابه من وهن الكبر وطوارق الزمانة والضعف حتى زعموا أنه كان يحمل على الفراش فى بيته الى منعقد حكمه فعندها بعث السلطان عن هذا الامير الجوبانى وقد خلص من الفتن ابريزه وأينع بنفحات الرضا والقبول عوده وأفرح بطالعة الانس والقرب روعه فجاء من الكرك على البريد وقد

أعدت له أنواع الكرامة وهيئ له المنزل والركاب والفرش والثياب والآنية والخوان والخرثي والصوان واحتفل السلطان لقدومه وتلقيه بما لم يكن في أمله وقضى الناس العجب من حلم هذا السلطان وكرم عهده وجميل وفائه وتحدث به الركبان ثم ولاه نيابة دمشق وبعثه اليها مطلق اليد ماضي الحكم عزيز الولاية وعسكر بالريدانية ظاهر القاهرة ثالث ربيع الاول من سنة سبع وثمانين وارتحل من الغد وسعادة السلطان تقدمه ورضاه ينقله الى أن قارب دمشق والناس يتلقونه أرسالا ثم دخل المدينة غرة ربيع الثاني وقد احتفل الناس لقدومه وغصت السكك بالمتنزهين وتطاول الى دولته أرباب الحدود وتحدث الناس بجمال هذا المشهد الحفيل وتناقلوا خبره واستقل بولاية دمشق وعناية السلطان تلاحظه ومذاهب الطاعة والخلوص تهديه بحسن ذكره وأفاض الناس الثناء في حسن اختياره وجمال مذهبه وأقام السلطان في وظيفته أحمد ابن الامير بيبغا فكان أمير مجلس والله غالب على أمره

(هدية صاحب افريقية)

كان السلطان لهذا العهد بافريقية من الموحدين ومن أعقاب الامير أبي زكريا يحيى ابن عبد الواحد بن أبي حفص الهنتاتي المستبد بافريقية على بني عبد المؤمن ملوك مراكش أعوام خمس وعشرين وستمائة وهو أحمد بن محمد بن أبي بكر بن يحيى بن ابراهيم أبي زكريا سلسلة ملوك كلهم ولم تزل ملوك المغرب على القدم ولهذا العهد يعرفون للملوك الترك بمصر حقهم ويوجبون لهم الفضل والمزية بما خصهم الله من ضخامة الملك وشرف الولاية بالمساجد المعظمة وخدمة الحرمين وكانت المهاداة بينهم تتصل بعض الاحيان ثم تنقطع بما يعرض في الدولتين من الاحوال وكان لي اختصاص بذلك السلطان ومكان من مجالسه ولما رحلت الى هذا القطر سنة أربع وثمانين واتصلت بهذا السلطان بمصر الملك الظاهر سألني عنه لاول لقيه فذكرته له بأوصافه الحميدة وما عنده من الحب والثناء ومعرفة حقه على المسلمين أجمع وعلى الملوك خصوصا في تسهيل سبيل الحج وحماية البيت للطائفين والعاكفين والركع السجود أحسن الله جزاءه ومثوبته ثم بلغني أن السلطان بافريقية صد أهلي وولدي عن اللحاق بي اغتباطا بمكاني وطلبا لفيئتي الى بابه ورجوعي فتطارحت على هذا السلطان في وسيلة شفاعة تسهل منه الاذن فاسعفني بذلك وخاطبت ذلك السلطان كان الله له أغبطه بمودة هذا السلطان والعمل على مواصلته ومهاداته كما كان بين سلفهم في الدولتين فقبل مني وبادر الى اتحافه بمقربات اذ ليس عندنا في المغرب تحفة تطرف بها ملوك المشرق الا الجياد العرب

وأما ما سوى ذلك من أنواع الطرف والتحف بالمغرب فكثير لديهم أمثاله ويقبح أن يطرف عظماء الملوك بالتافه المطروح لديهم واختار لتلك سفينته التي أعدها لذلك وأنزل بها أهلي وولدي بوسيلة هذا السلطان أيده الله لسهولة سبيل البحر وقرب مسافته فلما قاربوا مرسى الاسكندرية عاقتهم عواصف الرياح عن احتلال السفينة وغرق معظم ما فيها من الحيوان والبضائع وهلك أهلي وولدي فيمن هلك ونفقت تلك الجياد وكانت رائعة الحسن صافية النسب وسلم من ذلك المهلك رسول جاء من ذلك السلطان لمد العهد وتقرير المودة فتلقي بالقبول والكرامة وأوسع النيل والقرى ثم اعتزم على العودة الى مرسله فانتقى السلطان ثيابا من الوشي المرقوم من عمل العراق والاسكندرية بفوت القيمة واستكثر منها وتحف بها السلطان ملك افريقية على يد هذا الرسول على عادة عظماء الملوك في اتحافهم وهداياهم وخاطبت ذلك السلطان معه بحسن الثناء على قصده وجميل موقع هديته من السلطان واستحكام مودته له وأجابني بالعذر من الموقع وأنه مستأنف من الاتحاف للسلطان واستحكام مودته بما يسره الحال فلما قدم الحاج من المغرب سنة ثمان وثمانين وصل فيهم من كبار الغرب بدولته وأبناء الاعاظم المستبدين على سلفه عبد بن القائد أبي عبد الله محمد بن الحكيم بهدية من المقربات رائعة الحلى رائعة الاوصاف منتخبة الاجناس والانساب غريبة الالوان والاشكال فاعترضها السلطان وقابلها بالقبول وحسن الموقع وحضر الرسول بكتابه فقرئ وأكرم حامله وأنعم عليه بالزاد لسفر الحج وأوصى أمراء المحمل فقضى فرضه على أكمل الاحوال وكانت أهم أمنياته ثم انقلب ظافرا بقصده واعاده السلطان الى مرسله بهدية نحو من الاولى من أجناس تلك الثياب ومستجادها مما يجاوز الكثرة ويفوت واستحكمت عقدة المودة بين هذين السلطانين وشكرت الله على ما كان فيها من أثر سعاي ولو قل وكان وصل في جملة الحاج من المغرب كبير العرب من هلال وهو يعقوب بن علي بن أحمد أمير رياح الموطنين بضواحي قسنطينة وبجاية والزاب في وفد من بنيه واقربائه ووصل في جملتهم أيضا عون بن يحيى بن طالب ابن مهلهل من الكعوب أحد شعوب سليم الموطنين بضواحي تونس والقيروان والجريد وبنو أبيه فقضوا فرضهم أجمعون وانقلبوا الى مواطنهم أواسط شهر ربيع الآخر من سنة تسع وثمانين واطردت أحوال هذه الدولة على أحسن ما يكون والله متولي أمرها بمنه وكرمه انتهى

(حوادث مكة وأمرائها)

قد تقدم لنا ان ملك مكة سار في هذه الاعصار لبني قتادة من بني مطاعن الهواشم بني

حسن وذلك منذ دولة الترك وكان ملكهم بها بدويا وهم يعطون الطاعة لملك مصر
ويقيمون مع ذلك الدولة العباسية للخليفة الذى ينصبه الترك بمصر الى أن استقر
أمرها آخر الوقت لاحمد بن عجلان من رميثة بن أبى نمى أعوام سنة ستين وسبعمائة
بعد أبيه عجلان فأظهر فى سلطانه عدلا وتعففا عن أموال الناس وقبض أيدى أهل
العيث والظلم وحاشيتهم وعبيدهم وخصوصا عن المجاورين وأعانه على ذلك ما كان له من
الشوكة بقوة أخواله ويعرفون بنى عمر من اتباع هؤلاء السادة ومواليهم فاستقام أمره
وشاع بالعدل ذكره وحسنت سيرته وامتلأت مكة بالمجاورين والتجار حتى غصت
بيوتها بهم وكان عنان ابن عمه مقامس بن رميثة ومحمد ابن عمه ابن رميثة
ينفسون عليه ما آتاه الله من الخير ويجدون فى أنفسهم اذ ليس يقسم لهم برضاهم
فى أموال جبايته فتنكروا له وهموا بالانتقاض فتقبض عليهم وكان لهم حلف مع
أخيه محمد بن عجلان فراوده على تركهم أو حبسهم فحبسوا ولبثوا فى محبسهم ذلك حولا
أو فوقه ثم نقبوا السجن ليلا وفروا فأدركوا من ليلتهم وأعيدوا الى محبسهم وأفلت
منهم عنان بن مقامس ونجا الى مصر سنة ثمان وثمانين صريخا بالسلطان وعن قليل
وصل الخبر بوفاة أحمد بن عجلان على فراشه وأن أخاه كبيش بن عجلان نصب ابنه محمدا
مكانه وقام بأمره وانه عمد الى هؤلاء المعتقلين فسمهم صونا للامر عنهم لمكان ترشيحهم
فنكر السلطان ذلك وسخطه من فعلاتهم واقتياتهم ونسب الى كبيش وأنه يفسد مكة
بالفساد بين هؤلاء الاقارب ولما خرج الحاج سنة ثمان وثمانين أوصى أمير حاج بعزل
الصبى المنصوب والاستبدال عنه بابن عنان بن مقامس والقبض على كبيش ولما وصل
الحاج الى مكة وخرج الصبى لتلقى المحمل الخلافى وقد أرصد الرجال حفافيه للبطش
بكبيش وأميره المنصوب فقعد كبيش عن الحضور وجاء الصبى وترجل عن فرسه لتقبيل
الخف من راحلة المحمل على العادة فوثب به أولئك المرصدون طعنا بالخناجر يظنونه
كبيشا ثم غابوا فلم يوقف لهم على خبر وتركوه طريحا بالبطحاء ودخل الامير الى الحرم
فطاف وسعى وخلع على عنان بن مقامس الامارة على عادة من سلف من قومه ونجا
كبيش الى جدة من سواحل مكة ثم لحق بأحياء العرب المتبدين ببقاع الحجاز صريخا
فقعدوا عن نصرته وفاء بطاعة السلطان وافترق أمره وخذله عشيره وانقلب الامير
بالحاج الى مصر فعنفه السلطان على قتله الصبى فاعتذر بافتيات أولئك الرجال عليه
فعذره وجاء كبيش بعد منصرف الحاج وقد انضم اليه أوباش من العرب فقعد
بالمرصد يخيف السابلة والركاب والمسافرين ثم زحف الى مكة وحاصرها أول
سنة تسع وثمانين وخرج عنان بن مقامس بعض الايام وبارزه فقتله واضطرب الامر

بمكة وامتدت أيدى عنان والاشرار معه الى أموال المجاورين فتسلطوا عليها ونهبوا زرع الامراء هنالك وزرع السلطان للصدقة وولى السلطان على بن عجلان واعتقله حسما للمادة طوارق الفساد عن مكة واستقر الحال على ذلك الى أن كانت فتنة الناصر كما نذكر ان شاء الله تعالى انتهى

* (انتقاض منطاش بملطية ولحاقه بسيواس ومسير العساكر فى طلبه) *

كان منطاش هذا وتمرتاى الدمرداشى الذى مر ذكره أخوين لتمراز الناصرى من موالى الملك الناصر محمد بن قلاون وربيا فى كفالة أمهما وكان اسم تمرتاى محمدا وهو الاكبر واسم منطاش أحمد وهو الاصغر واتصل تمرتاى بالسلطان الاشرف وترقى فى دولته فى الوظائف الى أن ولى بحلب سنة ثمانين وكانت واقعته مع التركمان وذلك انه وفد عليه أمراؤهم فقبض عليهم لما كان من عيثهم فى النواحى واجتمعوا فسار اليهم وأمده السلطان بعساكر الشأم وحماة وانهزموا أمامهم الى الدربند ثم كروا على العساكر فهزموها ونهبوها فى المضايق وتوفى تمرتاى سنة ثنتين وثمانين وكان السلطان الظاهر برقوق يرعى لهما هذا الولاء فولى منطاش على ملطية ولما قعد على الكرسى واستبد بالسلطان بدت من منطاش علامات الخلاف فهم به ثم راجع ووفد وتنصل للسلطان وكان سودون باق من أمراء الالوف خالصة للسلطان ومن أهل عصبيته وكان من قبل ذلك فى جملة الامير تمرتاى فرعى لمنطاش حق أخيه وشفع له عند السلطان وتكفل حسن الطاعة منه وانه يخرج على التركمان المخالفين ويحسم علل فسادهم وانطلق الى قاعدة عمله بملطية ثم لم تزل آثار العصيان بادية عليه وربما داخل أمراء التركمان فى ذلك ونمى الخبر الى السلطان فطوى له وشعر هو بذلك فراسل صاحب سيواس قاعدة بلاد الروم وبها قاض مستبد على صبى من أعقاب بنى ارتنا ملوكها من عهد هلاكو وقد اعصوصب عليه بقية من احياء التتر الذين كانوا حامية هنالك مع الشحنة فيها كما نذكره ولما وصلت رسل منطاش وكتبه الى هذا القاضى بادر باجابته وبعث رسلا وفدا من أصحابه فى اتمام الحديث معه فخرج منطاش الى لقائهم واستخلف على ملطية دواداره وكان مغفلا فخشى مغبة ما رومه صاحبه من الانتقاض فلاذ بالطاعة وتبرأ من منطاش وأقام دعوة السلطان فى البلد وبلغ الخبر الى منطاش فاضطرب ثم استمر وسار مع وفد القاضى الى سيواس فلما قدم عليه وقد انقطع الحبل فى يده أعرض عنه وصار الى مغالطة السلطان عما أتاه من مداخلة منطاش وقبض عليه وحبسه وسرح السلطان سنة تسع وثلاثين عساكره مع يونس الدوادار وقردم رأس نوبة والطنبغا الرماح أمير سلاح وسودون باق من أمراء الالوف وأوعز الى

الناصري فأبى وطلب أن يخرج معهم بعساكره والى اينال اليوسفي من أمراء الالوف بدمشق وساروا جميعا وكان يومئذ ملك التتر بما وراء النهر وخراسان تمر من نسب جفطاي قد زحف الى العراقين واذربيجان وملك توريز عنوة واستباحها وهو يحاول ملك بغداد فسارت هذه العساكر تورّي بغزوه ودفاعه حتى اذا بلغوا حلب أتى اليهم الخبر بأن تمر رجع بعساكره لخارج خرج عليه بقاصية ماوراء النهر فرجعت عساكر السلطان الى جهة سيواس واقتحموا تخومها على حين غفلة من أهلها فبادر القاضي الى اطلاق منطاش لوقته وقد كان أيام حبسه يوسوس اليه بالرجوع عن موالاة السلطان وممالأته ولم يزل يفتل له في الذروة والغارب حتى جنح الى قوله فبعث لأحياء التتر الذين كانوا ببلاد الروم فيئة ابن اريتا بن أول فسار اليهم واستجاشهم على عسكر السلطان وحذرهم استئصال شأفتهم باستئصال ملك ابن اريتاو بلده ووصلت العساكر خلال ذلك الى سيواس فحاصروها أياما وضيقوا عليها وكادت أن تلقى باليد ووصل منطاش اثر ذلك بأحياء التتر فقاتلهم العساكر ودافعوهم ونالوا منهم وجلا الناصري في هذه الوقائع وأدرك العساكر الملل والضجر من طول المقام وبطء الظفر وانقطاع الميرة بتوغلهم في البلاد وبعد الشقة فتداعوا للرجوع ودعوا الامراء اليه فجنح لذلك بعضهم فانكفؤا على تعبيتهم وسار بعض التتر في اتباعهم فكروا عليهم واستلحموهم وخلصوا الى بلاد الشأم على أحسن حالات الظهور ونية العود لحسموا علل العدو ويمحوا أثر الفتنة والله تعالى أعلم

(نكبة الجوباني واعتقاله بالاسكندرية)

كان الامراء الذين حاصروا سيواس قد لحقهم الضجر والسآمة من طول المقام وفزع قردم والطنبغا المعلم منهم الى الناصري مقدم العساكر بالشكوى من السلطان فيما دعاهم اليه من هذا المرتكب وتفاوضوا في ذلك مليا وتداعوا الى الافراج عن البلد بعد أن بعثوا الى القاضي بها واتخذوا عنده يدا بذلك وأوصوه بمنطاش والابقاء عليه ليكون لهم وقوفا للفتنة وعلم يونس الدوادار أنهم في الطاعة فلم يسعه خلافهم ففوّض لهم ولما انتهى الى حلب غداه مليه دمرداش من أمرائها فنصح له بأن الجوباني نائب دمشق مداخل للناصري في تمريضه في الطاعة وأنهما مصرّان على الخلاف وقفل يونس الى مصر فقص على السلطان نصيحته واستدعى دمرداش فشافهه السلطان بذلك واطلع منه على جلي الخبر في شأنهما وكان للجوباني مماليك أوغاد قد أبطرتهم النعمة واستهواهم الجاه وشرهوا الى التوثب وهو يزجرهم فصاروا الى اغرائه بالحاجب يومئذ طرنطاي

فقعد فى بيته عن المجلس السلطانى وطير بالخبر الى مصر فاستراب الجوبانى وسابقه بالحضور عند السلطان لينضح عنه ما علق به من الاوهام وأذن له فى ذلك فنهض من دمشق على البريد فى ربيع سنة تسعين ولما انتهى الى سرياقوس أزعج اليه استاذداره بهادر المنجكى فقبض عليه وطير به السفن الى الاسكندرية وأصبح السلطان من الغد فقبض على قردم والطنبغا المعلم وألحقهما به فحبسوا هنالك جميعا وانحسم ما كان يتوقع من انتقاضهم وولى السلطان مكان الجوبانى بدمشق طرنطاى الحاجب ومكان قردم بمصر ابن عمه مجماس ومكان المعلم دمرداش واستمر الحال على ذلك

(فتنة الناصرى واستيلاؤه على الشأم ومصر واعتقال السلطان بالكرك)

لما بلغ الناصرى بحلب اعتقال هؤلاء الامراء استراب واضطرب وشرع فى أسباب الانتقاض ودعا اليه من يشيع الشر وسماسرة الفتن من الامراء وغيرهم فأطاعوه وافتتح أمره بالنكير للامير سودون المظفرى والانحراف عنه لما كان منه فى نكبته واغراء السلطان به ثم ولايته مكانه ومن وظائف الحاجب فى دولة الترك خطة البريد المعروفة فى الدول القديمة فهو يطالع السلطان بما يحدث فى عمله ويعترض شجى فى صدر من يريد الانتقاض من ولاته فأظلم الجو بين هؤلاء الرهط وبين المظفرى وتفاقم الامر وطير بالخبر الى السلطان فأخرج لوقت دواداره الاصغر تلكتمر ليصلح بينهما ويسكن الثائرة وحين سمعوا بمقدمه ارتابوا وارتبكوا فى أمرهم وقدم تلكتمر فتلقاه الناصرى وألقى اليه كتاب السلطان بالندب الى الصلح مع الحاجب والاغضاء له فأجاب بعد أن التمس من حقائب تلكتمر مخاطبة السلطان وملاطفته للامراء حتى وقف عليه ثم غلب عليه أولئك الرهط من أصحابه بالفتك بالحاجب فأطاعهم وباكرهم تلكتمر بدار السعادة ليتم الصلح بينهم وتذهب الهواجس والنفرة فدعاه الناصر الى بعض خلواته وبينما هو يحادثه واذا بالقوم قد وثبوا على الحاجب وفتكوا به وتولى كبر ذلك ايتقا الجوهرى واتصلت الهيعة فوجم تلكتمر ونهض الى محل نزوله واجتمع الامراء الى الناصرى واعصوصبوا عليه ودعاهم الى الخلعان فأجابوا وذلك فى محرم سنة احدى وتسعين واتصل الخبر بطرابلس وبها جماعة من الامراء يروون الانتقاض منهم بدلار الناصرى عميد الفتن فتولى كبرها وجمع الذين عالؤا عليها وعمدوا الى الايوان السلطانى المسمى بدار السعادة وقبضوا على النائب وحبسوه ولحق بدلار الناصرى فى عساكر طرابلس وأمرائها وفعل مثل ذلك أهل حلب وحمص وسائر ممالك الشأم وسرح السلطان العساكر لقتالهم فسار ايتمش الاتابك ويونس الدوادار والخليلى جركس أمير

الماخورية وأحمد بن يبقا أمير مجلس وايدكاز صاحب الحجاب فيمن اليهم من العساكر
وانتخب من ابطال مماليكهم وشجعانهم خمسمائة مقاتل واستضافهم الى الخليلي وعقد
لهم لواءه المسمى بالشاليش وأزاح عللهم وعلل سائر العساكر وساروا على التعبية
منتصف ربيع السنة وكان الناصري لما فعل فعلته بعث عن منطاش وكان مقيما بين
أحياء التركمان منذ رجوع العساكر عن سيواس فدعاه ليمد له معه حبل الفتنة والخلاف
فجاء وملأ صدره واحسانا واستنفروا طوائف التركمان والعرب ونهض في جموعه
يريد دمشق وطرنطاي نائبها يواصل تعريف السلطان بالاخبار ويستحث العساكر من
مصر نائبها الامير الصفوي وبينه وبين الناصر علاقة
وصحبة فاستراب واعليه وتقبضوا عليه ونهبوا بيته وبعثوا به حبيسا الى الكرك وولوا مكانه
محمد بن باكيش بن جندر التركماني كان مستخدما عند بندمر هو وأبوه وولي لهذا العهد على
نابلس فنقلوه الى غزة ثم تقدموا الى دمشق واختاروا من القضاة
وفدا أوفدوه على الناصري وأصحابه للاصلاح فلم يجيبوا وأمسكوا الوفد عندهم
وساروا اللقاء ولما تراءى الجمعان بالمرج نزع أحمد بن يبقا وايدكاز الحاجب
ومن معهما الى القوم فساروا معهم واتبعهم مماليك الامراء وصدق القوم الحملة على
من بقي فانفضوا ولجأ اينمش الى قلعة دمشق فدخلها وكان معه مكتوب السلطان بذلك
متى احتاج اليه وذهب يونس حيران وقد أفرده مماليكه فلقيه عنقا أمير الامراء
وكان عقد له بعض النزغات أيام سلطانه فتقبض عليه وأحيط بجركس الخليلي
ومماليك السلطان حوله وقد أبلوا في ذلك الموقف واستلحم عامتهم فخاص بعض العدو
اليه وطعنه فأكبه ثم احتز رأسه وذهب ذلك الجمع شعاعا وافترقت العساكر في كل
وجه وجيء بهم أسرى من كل ناحية ودخل الناصري وأصحابه دمشق لوقتهم
واستولوا عليها وعاثت عساكرهم من العرب والتركمان في نواحيها وبعث اليهم عنقا
يستأذنهم في أمر يونس فأمر بقتله فقتله وبعث اليهم برأسه وأوعزوا الى نائب القلعة
بحبس اينمش عنده وفرقوا المحبوسين من أهل الواقعة على السجون بقلعة دمشق
وصفد وحلب وغيرها وأظهر ابن باكيش دعوته بغزة وأخذ بطاعتهم ومر به اينال
اليوسفي من أمراء الالوف بدمشق ناجيا من الوقعة الى مصر فقبض عليه وحبسه
بالكرك واستعد السلطان للمدافعة وولى دمرداش اتابكا مكان اينمش وقرماش
الخازندار دوادارا مكان يونس وعمر سائر المراتب عمن فقد منها وأطلق الخليفة المعتقل
المتوكل بن المعتضد وأعاده الى خلافته وعزل المنصوب مكانه وأقام الناصري
وأصحابه بدمشق أياما ثم أجمعوا المسير الى مصر وثم نهضوا اليها بجموعهم وعميث أثناؤهم

حتى أطلت مقدمتهم على بلبيس ثم تقدموا الى بركة الحاج وحموا بها السبع من جمادى الاخيرة من السنة وبرز السلطان فى مماليكه ووقف أمام القلعة بقية يومه والناس يتسايلون الى الناصرى من العساكر ومن العامة حتى غصت بهم بسائط البركة واستأمن أكثر الامراء مع السلطان الى الناصرى فأمنهم واطلع السلطان على شأنهم وسارت طائفة من العسكر وناوشوهم القتال وعادوا منهزمين الى السلطان وارتاب السلطان بأمره وعاين انحلال عقدته فدس الى الناصرى بالصلح وبعث اليه بالملاطفة وأن يستمر على ملكه ويقوم بدولته خدمه وأعوانه وأشار بأن يتوارى بشخصه أن يصيبه أحد من غير البيبقاوية بسوء فلما غشيه الليل أذن لمن بقى معه من مماليكه فى الانطلاق ودخل الى بيته ثم خرج متنكرا وسرى فى غيابات المدينة وباكرهم الناصرى وأصحابه القلعة فاستولوا عليها ودعوا أمير حاج ابن الاشرف فأعادوه الى التخت كما كان ونصبوه للملك ولقبوه المنصور وبادروا باستدعاء الجوبانى والامراء المعتقلين بالاسكندرية فأغذوا السير ووصلوا ثانى يومهم وركب الناصرى وأصحابه للقائهم وأنزل الجوبانى عنده بالاصطبل وأشركه فى أمره وأصبحوا ينادون بطلب السلطان الظاهر بقية يومهم ذلك ومن الغد حتى دل عليه بعض مماليك الجوبانى وحين رآه قبل الارض وبالغ فى الادب معه وحلف له على الامان وجاء به الى القلعة فأنزله بقاعة الفضة واشتوروا فى أمره وكان حرص منطاش ويلبغا الزيني(؟) على قتله أكثر من سواهما وأبى الناصرى والجوبانى الا الوفاء بما انعقد معهم واستقر الجوبانى اتابك والناصرى رأس النوبة الكبرى ودمرداش الاحمدى أمير سلاح وأحمد بن يلبغا أمير مجلس والابقا العثمانى دوادارا وابتقا الجوهرى استاذدار وعمرت الوظائف والمراتب ثم بعثوا يلبغا زنابا على دمشق وأخرجوه اليها وبعثوا كشبغا البيبقاوى على حلب وكان السلطان قد عزله عن طرابلس واعتقله بدمشق فلما جاء فى جملة الناصرى بعثه على حلب مكانه وقبضوا على جماعة من الامراء فيهم النائب سودون باق وسودون الطرنطاى فحبسوا بعضهم بالاسكندرية وبعثوا آخرين الى الشأم فحبسوا هنالك وتتبعوا مماليك السلطان فحبسوا أكثرهم وأشخصوا بقيتهم الى الشأم يستخدمون عند الامراء وقبضوا على استاذدار محمود قهرمان الدولة وقارون القصرى فصادروه على ألف ألف درهم ثم أودعوه السجن وهم مع ذلك يتشاورون فى مستقر السلطان بين الكرك وقوص والاسكندرية حتى اجمعوا على الكرك وو روا بالاسكندرية حذرا عليه من منطاش فلما أزف مسيره قعد له منطاش عند البحر رصدا وبات عامة ليله وركب الجوبانى مع السلطان من القلعة وأركب معه صاحب الكرك موسى بن عيسى فى لمة من قومه يوصلونه الى الكرك وسار معه برهة

من الليل متسبعا ثم رجع وشعر منطاش من أمره وطوى على الغش وأخذ ثياب الثورة كما يذكر ونجا السلطان الى الكرك في فل من غلمانه ومواليه ووكل الناصري به حسن الكشكي من خواصه وولاه على الكرك وأوصاه بخدمته ومنعه ممن يرومه بسوء فتقدمه الى الكرك وأنزله القلعة وهيأ له النزول بما يحتاج اليه وأقام هنالك حتى وقع من لطائف الله في أمره ما يذكر بعد ان شاء الله تعالى وجاء الخبر بأن جماعة من مماليك الظاهر كانوا مختفين منذ الوقعة فاعتزموا على الثورة بدمشق وانهم ظفر بهم وحبسوا جميعا ومنهم أيبقا الصغير والله تعالى أعلم

﴿ثورة منطاش واستيلاؤه على الامر ونكبة الجوباني﴾
﴿وحبس الناصري والامراء البيبقاوية بالاسكندرية﴾

كان منطاش منذ دخل مع الناصري الى مصر متربصا بالدولة طاويا جوانحه على الغدر لانهم لم يوفروا حظه من الاقطاع ولم يجعلوا له اسما في الوظائف حين اقتسموها ولا راعى له الناصري حق خدمته ومقارعته الاعداء وكان ينقم عليه مع ذلك ايثاره الجوباني واختصاصه فاستوحش وأجمع الثورة وكان مماليك الجوباني لما حبس أميرهم وانتقض الناصري بحلب لحقوا به وجاؤا في جملته واشتملوا على منطاش فكان له بهم في ذلك السفر أنس وله اليهم صغو فداخل جماعة منهم في الثورة وحملهم على صاحبهم وتطفل على الجوباني في الخالصة بغشيان مجلسه وملابسة ندمائه وحضور مائدته وكان البيبقاوية جميعا ينقمون على الناصري ويرون أنه مقصر في الرواتب والاقطاع وطووا من ذلك على النكث ودعاهم منطاش الى التوثب فكانوا اليه أسرع وزينوه له وقعدوا عنه عند الحاجة ونمى الخبر الى الناصري والجوباني فعزموا على اشخاص منطاش الى الشأم فتمارض وتخلف في بيته أياما يطاولهم ليحكم التدبير عليهم ثم عدا عليه الجوباني يوم الاثنين وقد أكمن في بيته رجالا للثورة فقبضوا على الجوباني وقتلوا حينه وركب منطاش الى الرميلة فنهب مراكب الامراء بباب الاصطبل ووقف عند مأذنة المدرسة الناصرية وقد شحنها ناشبة ومقاتلة مع أمير من أصحابه ووقف في حمايتهم واجتمع اليه من داخله في الثورة من الاشرفية وغيرهم واجتمع اليه من كان بقي من مماليك الظاهر واتصلت الهيعة فركب الامراء البيبقاوية من بيوتهم ولما أفضوا الى الرميلة وقفوا ينظرون مآل الحال وبرز الناصري من الاصطبل فيمن حضر وأمر الامراء بالحملة عليهم فوقفوا فأحجم هو عن الحملة وتخاذل أصحابه وأصحاب منطاش ومال الى الناصري مماليك الجوباني لنكبة صاحبهم فهددهم منطاش بقتله فافترقوا وتحاجز الفريقان آخر النهار وباكروا شأنهم من الغد وحمل

الناصري فانهزم وأقاموا على ذلك ثلاثا وجموع منطاش في تزايد ثم انفض الناس عن الناصري عشية الاربعاء لسبعين يوما من دخول القلعة واقتحمها عليه منطاش ونهب بيوته وخزائنه وذهب الناصري حيران وأصحابه يرجعون عنه وبادر البيبغاوية بمجلس منطاش من الغد فقبض عليهم وسيق من تخلف منهم عن الناصري أفذاذا وبعث بهم جميعا الى الاسكندرية وبعث جماعة ممن حبسهم الناصري الى قوص ودمياط ثم جدد البيعة لامير حاج المنصور ثم نادى في مماليك السلطان بالعرض وقبض على جماعة منهم وفر الباقون وبعث بالمحبوسين منهم الى قوص وصادر جماعة من أهل الاموال وأفرج عن محمود استادار وخلع عليه ليوليه في وظيفته ثم بدا له في أمره وعاود مصادرته وامتحانه واستصفى منه أموالا عظيمة يقال ستين قنطارا من الذهب ولما استقل بتدبير الدولة عمر الوظائف والمراتب وولى فيها بنظره وبعث عن الاشقتمري من الشأم وكان أخوه تمرتاي قد آخى بينهما فولاه

الكبرى وعن استدمر بن يعقوب شاه فجعله أمير سلاح وعن اينقا الصفوي فولاه صاحب الحجاب واختص الثلاثة بالمشورة وأقامهم أركانا للدولة وكان ابراهيم بن بطلقتمر أمير جندار قد داخله في الثورة فرعى له ذلك وقدمه في أمراء الالوف ثم بلغه أنه تفاوض مع الامراء في الثورة به واستبداد السلطان فقبض عليه ثم أشخصه الى حلب على امارة هنالك وكان قد اختص ارغون السمندار وألقى عليه محبته وعنايته فغشيه الناس وباكروا بابه وعظم في الدولة صيته ثم نمي عنه أنه من المداخلين لابراهيم أمير جندار فسطا به وامتحنه أن له على هؤلاء المداخلين لابراهيم فلاذ بالانكار وأقام في محبسه وأفرج عن سودون النائب فجاء الى مصر فألزمه بيته واستمر الحال على ذلك انتهى

(ثورة بذلار بدمشق)

ولما بلغ الخبر الى بذلار بدمشق باستقلال منطاش بالدولة أنف من ذلك وارتاب وداخلته الغيرة جمع الانتقاض وكاتب نواب الممالك بالشأم في حلب وغيرها يدعوهم الى الوفاق فأعرضوا عنه وتمسكوا بطاعتهم وكان الامير الكبير بدمشق جنتمر أخو طاز يداخل الامراء هنالك في التوثب به ويوثق منهم للدولة وبلغ الخبر الى بذلار فركب في مماليكه وشيعته يروم القبض عليه فلم يتمكن من ذلك واجتمعوا وظاهرهم عامة دمشق عليه فقاتلوه ساعة من نهار ثم أيقن بالغلب والهلكة فألقى بيده وقبضوا عليه وطيروا بالخبر الى منطاش وهو صاحب الدولة فأمر باعتقاله وهلك مريضا في محبسه وولى منطاش جنتمر نيابة دمشق واستقرت الاحوال على ذلك والله تعالى يؤيد بنصره من

يشاء من عباده

(خروج السلطان من الكرك وظفره بعساكر الشأم وحصاره دمشق)

ولما بلغ الخبر الى السلطان الظاهر بالكرك بأن منطاش استقل بالدولة وحبس البتبغا ويتجمعا وأدال منهم بأصحابه أهمته نفسه وخشى غائلته ولم يكن عند منطاش لاوّل استقلاله أهمّ من شأنه وشأن السلطان فكتب الى حسن الكشكى نائب الكرك بقتله وقد كان الناصرى أوصاه فى وصيته حسين وكاله به أن لا يمكنه ممن يرومه بسوء فتجافى عن ذلك واستدعى البريدى وفاوض أصحابه وقاضى البلد وكاتب السر فأشاروا بالتحرز من دمه جهد الطاقة فكتب الى منطاش معتذرا بالخطر الذى فى ارتكابه دون اذن السلطان والخليفة فأعاد عليه الكتاب مع كتاب السلطان والخليفة بالاذن فيه واستحثه فى الاجهاز عليه فأنزل البريدى وعلله بالوعد وطاوله يرجو الخلاص من ذلك وكانوا يطوون الامر عن السلطان شفقة واجلالا فشعر بذلك وأخلص اللجأ الى الله والتوسل بابراهيم الخليل لانه كان يراقب مدفنه من شباك فى بيته وانطلق غلمانه فى المدينة حتى ظفروا برجال داخلوهم فى حسن الدفاع عن السلطان وأفاضوا فيهم فأجابوا وصدقوا ما عاهدوا عليه واتعدوا لقتال البريدى وكان منزله بازاء السلطان فتوافوا ببابه ليلة العاشر من رمضان وهجموا عليه فقتلوه ودخلوا برأسه الى السلطان وشفار سيوفهم دامية وكان النائب حسن الكشكى يفطر على سماط السلطان تأنيسا لهم فلما رآهم دهش وهموا بقتله فأجاره السلطان وملك السلطان أمره بالقلعة وبايعه النائب وصعد اليه أهل المدينة من الغد فبايعوه ووفد عليه عرب الضاحية من بنى عقبة وغيرهم فأعطوه طاعتهم وفشا الخبر فى النواحى فتساقط اليه مماليكه من كل جهة وبلغت أخباره الى منطاش فأوعز الى ابن باكيش نائب غزة أن يسير فى العساكر الى الكرك وتردد السلطان بين لقائه او النهوض الى الشأم ثم أجمع المسير الى دمشق فبرز من الكرك منتصف شوال فعسكر بالقبة وجمع جموعه من العرب وسار فى ألف أو يزيدون من العرب والترك وطوى المراحل الى الشأم وسرح جنتمر نائب دمشق العساكر لدفاعه فيهم أمراء الشأم وأولاد بندمر فالتقوا بشقحب وكانت بينهم واقعة عظيمة أجلت عن هزيمة أهل دمشق وقتل الكثير منهم وظفر السلطان بهم واتبعهم الى دمشق ونجى الكثير منهم الى مصر ثم أحس السلطان بأن ابن باكيش وعساكره فى اتباعه فكرّ اليهم وأسرى ليلته وصبحهم على غفلة فى عشر ذى القعدة فانهزموا ونهب السلطان وقومه جميع ما معهم وامتلأت أيديهم واستفحل أمره ورجع الى دمشق ونزل بالميدان وثار العوام وأهل القبيبات ونواحيها

بالسلطان وقصدوه بالميدان فركب ناجيا وترك أثقاله فنهبها العوام وسلبوا من لقوه من مماليكه ولحق بقية بلبغا فأقام بها وأغلقوا الابواب دونه فأقام يحاصرهم الى محرّم سنة ثنتين وتسعين وكان كشبغا الحموى نائب حلب قد أظهر دعوته فى عمله وكاتبه بذلك عندما نهض من الكرك الى الشأم كما نذكره ولما بلغه حصاره لدمشق تجهز للقائه واحتمل معه ما بقى من علق السلطان من كل صنف وأقام له ابهة ووصل اينال اليوسفى وقجماس ابن عم السلطان وجماعة من الامراء كانوا محبوسين بصفد وكان مع نائبها جماعة من مماليك السلطان يستخدمون فغدر وا به وأطلقوا من كان من الامراء فى سجن صفد كما نذكر ولحقوا بالسلطان وتقدمهم اينال وهو محاصر لدمشق فأقاموا معه والله تعالى أعلم

(ثورة المعتقلين بقوص ومسير العساكر اليهم واعتقالهم)

ولما بلغ الخبر الى الامراء المحبوسين بقوص خلاص السلطان من الاعتقال واستيلاؤه على الكرك واجتماع الناس اليه فثاروا بقوص أوائل شوال من السنة وقبضوا على الوالى بها وأخذوا من مودع القاضى ما كان فيه من المال وبلغ خبرهم الى مصر فسرّح اليهم العساكر ثم بلغه أنهم ساروا الى اسوان وشايعوا الوالى بها حسن بن قرط فلحن لهم بالوعد وعرض بالوفاق فطمعوا واعتزموا أن يسيروا من وادى القصب من الجهة الشرقية الى السويس ويسيروا من هنالك الى الكرك ولما وصل خبر ابن قرط أخرج منطاش سندمر بن يعقوب شاه ثامن عشرين من السنة وانكفأ بجموعه وسار على العدوة الشرقية فى جموعه لاعتراضهم فوصل الى قوص وبادر ابن قرط لمخالفته الى منطاش بطاعته فأكرمه وردّه على عمله فوافى ابن يعقوب شاه بقوص وقد استولى على النواحى واستنزل الامراء المخالفين ثم قبض عليهم وقتل جميع من كان معهم من مماليك السلطان الظاهر ومماليك ولاة الصعيد وجاء بالامراء الى مصر فدخل بهم منتصف ذى الحجة من السنة فأفرج عن أربعة منهم سوماى الالاى وحبس الباقين والله تعالى أعلم

(ثورة كشبغا بحلب وقيامه بدعوة السلطان)

قد كنا قدمنا أن الناصرى ولى كشبغا رأس نوبة نيابة حلب ولما استقل منطاش بالدولة ارتاب ودعاه بذلار لما ثار بدمشق الى الوفاق فامتنع ثم بلغه الخبر بخلاص السلطان من الاعتقال بالكرك فأظهر الانتقاض وقام بدعوة السلطان وخالفه ابراهيم بن أمير جندار واعصوصب عليه أهل باقوسا من أرباض حلب فقاتلهم كشبغا

جمعا وهزمهم وقتل القاضي ابن أبي الرضا وكان معه في ذلك الخلاف واستقل بأمر حلب وذلك في شوال من السنة ثم بلغه أن السلطان هزم عساكر دمشق وابن باكيش وانه مقيم بقبة يلبغا محاصر الدمشق بعد ان نهبوا أثقاله وأخرجوه من الميدان فتجهز من حلب اليه في العساكر والحشود وجهز له جميع ما يحتاج اليه من المال والاقمشة والسلاح والخيل والابل وخيام الملك بفرشها وماعونها وآلات الحصار وتلقاه السلطان وبالغ في تكرمته وفوض اليه في الاتابكية والمشورة وقام معه محاصرا لدمشق واشتد الحصار على أهل دمشق بعد وصوله واستكثار السلطان من المقاتلة وآلات الحصار وخرب كثيرا من جوانبها بحجارة المجانيق وتصدعت حيطانها وأضرم كثيرا من البيوت على أربابها فاحترقت واستولى الخراب والحريق على القيسيات أجمع وتفاحش فيها واشتد أهل القتال والدفاع من فوق الاسوار وتولى كبر ذلك منهم قاضي الشافعية أحمد بن القرشي بما أشار عليهم وفاه أهل العلم والدين بالنكير فيه وكان منطاش لما بلغه حصار دمشق بعث طنبغا الحلبي دوادار الاشرف بمدد من المال عدّبه العساكر هنالك وأقام معهم ثم بعث جنتمر الى أمير آل فضل يعير بن جبار يستنجده لجاء لقتالهم وسار كشبغا نائب حلب فلقيه وفض جموعه وأسر خادمه وجاء به أسيرا فمن عليه السلطان وأطلقه وكساه وحمله ورده الى صاحبه واستمر حصار دمشق الى أن كان ما نذكره ان شاء الله تعالى

(ثورة اينال بصفد بدعوة السلطان)

كان اينال لما انهزم يوم واقعة دمشق فرّ الى مصر ومرّ بغزة فاعتقله ابن باكيش وحبس بالكرك فلما استولى الناصري أشخصه الى صفد فحبس بها مع جماعة من الامراء وولى على صفد قطلبك النظامي فاستخدم جماعة من مماليك برقوق واتخذ منهم يلبغا السالمي دوادار فلما بلغه خلاص السلطان من الاعتقال ومسيره الى الشام داخل يلبغا مماليك استاذه قطلو بقا في الخلاف واللحاق بالسلطان وهرب منهم جماعة فركب قطلوبغا في اتباعهم وأبقى يلبغا السالمي دوادار وحاجب صفد فاطلقوا اينال وسائر المحبوسين من السلطان فملك اينال القلعة ورجع قطلو بقا من اتباع الهاربين فوجدهم قد استولوا وامتنعوا وارتاب من مماليكه فسار عن صفد ونهب بيته ومخلفه ولحق بالشأم فلقي الامراء المنهزمين أمام السلطان بشقحب قاصدين مصر فسار معهم ولحق اينال بالسلطان من صفد بعد ان ضبطها واستخلف عليها وأقام مع السلطان والله تعالى أعلم

{ مسير منطاش وسلطانه أمير حاجي الى الشأم وانهزامهم ودخول منطاش الى دمشق وظفر السلطان الظاهر بأمير حاجي والخليفة والقضاة وعوده لملكه }

ولما تواترت الاخبار بهزيمة عساكر الشأم وحصار السلطان الظاهر دمشق وظهور دعوته فى حلب وصفد وسائر بلاد الشأم ثم وصلت العساكر المنهزمون وأولاد بندمر ونائب صفد واستحثوه وتواترت كتب جنتمر نائب دمشق وصريخه أجمع منطاش أمره حينئذ على المسير الى الشأم فتجهز ونادى فى العساكر وأخرج السلطان والخليفة والقضاة والعلماء رابع عشر ذى الحجة سنة احدى وتسعين وخيموا بالريدانية من ناحية القاهرة حتى أزاح العلل واستخلف على القاهرة دوادار ه صراى تمر وأطلق يده فى الحل والعقد والتولية والعزل واستخلف على القلعة بكا الاشرفى وعمد الى خزانة من خزائن الذخيرة بالقلعة فسد بابها ونقبها من أعلاها حتى صارت كهيئة الجب ونقل اليها من كان فى سجنه من أهل دولة السلطان ونقل سودون النائب الى القلعة فأنزله بها وأمر بالقبض على من بقى من مماليك السلطان حيث كانوا فتسربوا فى غيابات المدينة ولاذوا بالاختفاء وأوعز بسد كثير من أبواب الدروب بالقاهرة فسدت ورحل فى الثانى والعشرين من الشهر بالسلطان وعساكره على التعبية وطووا المراحل ونمى اليه أثناء طريقه أن بعض مماليك السلطان المستخدمين عند الامراء مجمعون على التوثب ومداخلون لغيرهم فأجمع السطوة بهم ففروا ولحقوا بالسلطان ولما بلغ خبر مسيرهم السلطان وهو محاصر دمشق ارتحل فى عساكره الى لقائهم ونزل قريبا من شقحب وأصبحوا على التعبية وكشقا بعساكر حلب فى ميمنة السلطان ومنطاش قد عبى جيشه وجعل السلطان أمير حاجى والخليفة والقضاة والرماة من ورائهم ووقف معهم تمارتمر راس نوبة وسندمر بن يعقوب شاه أمير سلاح ووقف هو فى طائفة من مماليكه وأصحابه فى حومة المعترك فلما تراءى الجمعان حمل هو وأصحابه على ميمنة السلطان ففضوها وانهزم كشقا الى حلب ومروا فى اتباعه ثم عطفوا على مخيم السلطان فنهبوه وأسروا قجماش ابن عمه كان هنالك جريحا ثم حطم السلطان على الذى فيه أمير حاجى والخليفة والقضاة قد خلوا فى حكمه ووكل بهم واختلط الفريقان وصاروا فى عمى من أمرهم والسلطان فى لمة من فرسانه يخترق جوانب المعترك ويحطم الفرسان ويشردهم فى كل ناحية وشراد مماليكه وأمرائه يتساقطون اليه حتى كثف جمعه ثم حمل على بقية العسكر وهم ملتئمون على الصفدى فهزمهم ولحقوا بدمشق وضرب خيامه بشقحب ولما وصل منطاش الى دمشق أوهم النائب جنتمر أن الغلب له وأن السلطان أمير حاجى على الاثر ونادى فى العساكر بالخروج فى السلاح لتلقيه وخرج من الغد موريا بذلك فركب اليهم السلطان فى العساكر فهزمهم وأثخن فيهم واستلحم كثيرا من عامة دمشق ورجع السلطان

الى خدامه وبعث أمير حاجي بالتبرى من الملك والعجز عنه والخروج اليه من عهدته فأحضر الخليفة والقضاة فشهدوا عليه بالخلع وعلى الخليفة بالتفويض الى السلطان بالبيعة له والعود الى كرسيه وأقام السلطان بشقحب تسعا واشتد كلب البرد وافتقدت الاقوات لقلة الميرة فأجمع العود الى مصر ورحل يقصدها وبلغ الخبر الى منطاش فركب لاتباعه فلما أطل عليه أحجم ورجع واستمر السلطان لقصده وقدم حاجب غزة للقبض على ابن باكيش فقبض عليه ووافى السلطان غزة وولى عليها مكانه وحمله معتقلا وسار وهو مستطلع أحوال مصر حتى كان ما نذكره ان شاء الله تعالى

ثورة بكا والمعتقلين بالقلعة واستيلاؤهم عليها بالدعوة السلطان الظاهر وعوده الى كرسيه بمصر وانتظام أمره

كان منطاش لما فصل الى الشام بسلطانه وعساكره كما مر واستخلف على القاهرة دواداره سراى تمر وأنزله بالاصطبل وعلى القلعة بكا الاشرفى ووكله بالمعتقلين هنالك فأخذوا أنفسهم بالحزم والشدة وبعد أيام نمى اليهم أن جماعة من مماليك السلطان يجتمعون للثورة وقد داخلوا مماليكهم فبيتوهم وقبضوا عليهم بعد جولة دافع فيها المماليك عن أنفسهم ثم تقبضوا على من داخلهم من مماليكهم وكانوا جماعة كثيرة وحدثت لهم بذلك ريبة واشتداد فى الحزم فنادوا بالوعيد لمن وجد عنده أحد من مماليك السلطان ونقلوا ابن أخت السلطان من بيت أمه الى القلعة وحبسوه وأوعزوا بقتل الامراء المعتقلين بالفيوم فقتلوا ورعبت عليهم أنباء منطاش والعساكر وبعثوا من يقتص لهم الطريق ويسائل الركبان واعتزموا على قتل المسجونين بالقلعة ثم تلاوموا فى ذلك ورجعوا الى التضييق عليهم ومنع المترددين بأقواتهم فضاقت أحوالهم وضجروا وأهمتهم أنفسهم وفى خلال ذلك عثر بعضهم على منفذ الى سرب تحت الارض يفضى الى حائط الاصطبل ففرحوا بذلك وتنسموا ريح الفرج ولما أظلتهم ليلة الاربعاء غرة صفر سنة ثنتين وتسعين مروا فى ذلك السرب فوجدوا فيه آلة النقب فنقبوا الحائط وأفضوا الى أعلى الاصطبل وتقدم بهم خاصكى من أكابر الخاصكية وهجموا على الحراس فثاروا اليهم فقتلوا بعضهم بالقيود من أرجلهم وهرب الباقون ونادوا اشعبان بكا نائب القلعة يوهمون أنه انتقض ثم كسروا باب الاصطبل الاعلى والاسفل وأفضوا الى منزل سراى تمر فأيقظه لغطهم وهلع من شأن بكا فارتحى نفسه من السور ناجيا ومر بالحاجب قطلوبغا ولحق بمدرسة حسن وقد كان منطاش أنزل بها ناشئة من التركمان لحماية الاصطبل وأجرى لهم الارزاق وجعلهم لنظر تنكر آس نوبة ثم هجم أصحاب بكا على بيت سراى تمر فنهبوا ماله وقماشه وسلاحه وركبوا خيله واستولوا على الاصطبل

وقرعوا الطبول ليلتهم وقاتلهم بكلمش الغد وسرب الرجال الى الطبلخانات فلكها ثم أزعجوه عنها وزحف امراى تمر وقطلوبغا الحاجب الى الاسطبل لقتالهم وبرزوا اليهم فقاتلوهم واعتصموا بالمدرسة واستولى بكا على أمره وبعث الى باب السر من المدرسة ليحرقه فاستأمن اليه التركمان الذين به فأنزلهم على الامان وسرب أصحابه فى البلد لنهب بيوت منطاش وأصحابه فعاثوا فيها وتسايل اليه مماليك السلطان المختفون بالقاهرة فبلغوا ألفا أو يزيدون ثم استأمن بكلمش من الغد فأمنه سودون النائب وجاء به أمير سلاح ودمرداش وكان عنده فحبسهما بطاتم وقف سودون على مدرسة حسن والارض تموج بعوالم النظارة فاستنزل منها امراى تمر وقطلوبغا الحاجب فنزلا على أمانه وهمّ العوالم بهما فحال دونهما وجاء بهما الى بكا فحبسهما وركب سودون يوم الجمعة فى القاهرة ونادى بالامان والخطبة للسلطان فخطب له من يومه وأمر بكا بفتح السجون واخراج من كان فيها فى حبس منطاش وحكام تلك الدولة وهرب الوالى حسن بن الكوراني خوفا على نفسه لما كان شيعة لمنطاش على مماليك السلطان ثم عثر عليه بكا وحبسه مع سائر شيعة منطاش وأطلق جميع الامراء الذين حبسهم بمصر ودمياط والفيوم ثم بعث الشريف عنان بن مقامس أمير بنى حسن بمكة وكان محبوسا وخرج معهم فبعثه مع أخيه ايقا على الهجن لاستكشاف خبر السلطان ووصل يوم الاحد بعدها كتاب السلطان مع ابن صاحب الدرك سيف بن محمد بن عيسى العائذى باعداد الميرة والعلوفة فى منازل السلطان على العادة وقص خبر الواقعة وأن السلطان توجه الى مصر وانتهى الى الرملة ثم وصل ايقا أخو بكا يوم الاربعاء ثامن صفر بمثل ذلك وتتابع الواصلون من عسكر السلطان ثم نزل بالصالحية وخرج السلطان لتلقيه بالعكرشة ثم أصبح يوم الثلاثاء رابع صفر فى ساحة القلعة وقلده الخليفة وعاد الى سريره ثم بعث عن الامراء الذين كان حبسهم منطاش بالاسكندرية وفيهم الناصرى والجوبانى وابن بيقا وقرادمرداش وايبغا الجوهرى وسودون باق وسودون الطرنطاى وقردمر المعلم فى آخرين متعددين واستعتبوا للسلطان فأعتبهم وأعادهم الى مراتبهم وولى اينال اليوسفى اتابكا والناصرى أمير سلاح والجوبانى رأس نوبة وسودون نائبا وبكا داودار وقرقماش استاذدار وكمشبغا الخاصكى أمير مجلس وتطليش أمير الماخورية وعلاء الدين كاتب سر الكرك كاتب سره بمصر وعمر سائر المراتب والوظائف وتوفى قرقماش فولى محمود استاذداره الاول ورعى له سوابق خدمته ومحنة العدو له فى محبته وانتظم أمر دولته واستوثق ملكه وصرف نظره الى الشأم وتلافيه من مملكة العدو وفساده

والله تعالى أعلم

ولاية الجوباني على دمشق واستيلاؤه عليها من يد منطاش ثم هزيمته ومقتله وولاية الناصري مكانه

لما استقر السلطان على كرسيه بالقاهرة وانتظمت أمور دولته صرف نظره الى الشأم وشرع فى تجهيز العساكر لازعاج العدو منه وعين الجوبانى لنيابة دمشق ورياسة العساكر والناصرى لحلب لان السلطان كان عاهد كشبغا على اتابكية مصر وعين قرادمرداش لطرابلس مأمونا القلطاوى لحماة فولى فى جميع ممالك الشأم ووظائفه وامرهم بالتجهيز ونودى فى العساكر بذلك وخرجوا ثامن جمادى الاولى من سنة ثنتين وتسعين وكان منطاش قد اجتهد جهده فى طى خبر السلطان بمصر عن أمرائه وسائر عساكره ومازال يفشو حتى شاع وظهر بين الناس فانصرف هواهم الى السلطان وبعث فى أثناء ذلك الامير عازعر نائبا على حلب فاجتمع اليه أهل بانقوسا وحاصر كشبغا بالقلعة نحوا من خمسة أشهر وشد حصارها وأحرق باب القلعة والجسر ونقب سورها من ثلاثة مواضع واتصل القتال بين الفريقين فى احد الانقاب لشهرين على ضوء الشموع ثم بعث العساكر الى طرابلس مع ابن ايماز التركمانى فحاصرها وملكوها من يد سندمر حاجب حجابها وكان مستوليا عليها بدعوة الظاهر ولما ملكها ولى عليها قشتمر الاشرفى ثم بعث العساكر الى بعلبك مع محمد بن سندمر فى نفر من قرابته وجنده فقتلهم منطاش بدمشق أجمعين ثم أوعز الى قشتمر الاشرفى نائب طرابلس بالمسير الى حصار صفد فسار اليها وبرز اليه جندها فقاتلوه وهزموه فجهز اليها العساكر مع ابقا الصفدى كبير دولته فسار اليها فى سبعمائة من العساكر وقد كان لما تيقن عنده استيلاء السلطان على كرسيه بمصر جنح الى الطاعة والاعتصام بالجماعة وكاتب السلطان بمقارمه ووعده فلما وصل الى صفد بعث الى نائبها بطاعته وفارق أصحاب منطاش ومن له هوى فيه وصفوا اليه وبات ليلته بظاهر صفد وارتحل من الغد الى مصر فوصلها منتصف جمادى الاخيرة وأمراء الشأم معسكرون مع الجوبانى بظاهر القلعة فأقبل السلطان عليه وجعله من أمراء الالوف ولما رجع أصحابه من صفد الى دمشق اضطرب منطاش وتبين له نكر الناس وارتاب بأصحابه وقبض على جماعة من الامراء وعلى جنتمر نائب دمشق وابن جرجى من أمراء الالوف وابن قفجق الحاجب وقتله والقاضى محمد بن القرشى فى جملة من الاعيان واستوحش الناس ونفروا عنه واستأمنوا الى السلطان مثل محمد بن سندمر وغيره وهرب كاتب السر بدر الدين ابن فضل الله وناظر الجيش وقد كانوا يوم الواقعة على شقحب ملقوا بدمشق يظنون

أنّ السلطان يملكها يومه ذلك فبقوا فى مملكة منطاش وأجمعوا الفرار مرّة بعد أخرى فلم يتهيأ لهم وشرع منطاش فى الفتك بالمتّهين الى السلطان من المماليك المحبوسين بالقلعة وغيرهم وذبح جماعة من الجراكسة وهمّ بقتل اشمس فدفعه الله عنه وارتحل الامراء من مصر فى العساكر السلطانية الى الشأم مع الجو بانى يطوون المراحل والامراء من دمشق يلقونهم فى كل منزلة هاربين اليهم حتى كان آخر من لقيهم ابن نصير أمير العرب بطاعة أبيه ودخلوا حدود الشأم ثم ارتبك منطاش فى أمره واستقرّ الخوف والهلع والاسترابة بمن معه فخرج منتصف جمادى الاخيرة هاربا من دمشق فى خواصه وأصحابه ومعه سبعون حملا من المال والاقمشة واحتمل معه محمد بن ايتال وانتقض عليه جماعة من المماليك فرجعوا به الى أبيه وكان يعير بن جبار أمير آل فضل مقيما فى أحيائه ومعه أحياء آل مر وأميرهم عنقاء بن فلحق بهم هنالك منطاش مستجيرا فأجاروه ونزل معهم ولما انفصل منطاش عن دمشق خرج اشمس من محبسه وملك القلعة ومعه مماليك السلطان معصوصبون عليه وأرسل الى الجو بانى بالخبر فأغذّ السير الى دمشق وجلس بموضع نيابته وقبض على من بقى من أصحاب منطاش وشدّ معه مع من كان حبس هو معهم ووصل الطنبغا الحلبى ودمرداش اليوسفى من طرابلس وكان منطاش استقدمهم وهرب قبل وصولهم وبلغ الخبر الى ايمازتمر وهو يحاصر حلب وأهل كانقوسا معصوصبون عليه فأجفل ولحق بمنطاش وركب كشبغا من القلعة اليهم بعد ان أصلح الجسر وأركب معه الحجاب وقاتل أهل كانقوسا ومن معهم من أشياع منطاش ثلاثة أيام ثم هزموهم وقتل كشبغا منهم أكثر من ثمانمائة وخرب كانقوسا فأصبحت خرابا وعمر القلعة وحصنها وشحنها بالاقوات وبعث الجو بانى العساكر الى طرابلس وملكوها من يد قشتمر الاشرفى نائب منطاش من غير قتال وكذلك حماة وحمص ثم بعث الجو بانى نائب دمشق وكافل الممالك الشامية الى يعير ابن جبار أمير العرب باسلام منطاش واخراجه من أحيائه فامتنع واعتذر فبرز من دمشق بالعساكر ومعه الناصرى وسائر الامراء ونهض الى مصر فلما انتهوا الى حمص أقاموا بها وبعثوا الى يعير يعتذرون اليه فلج واستكبر وحال دونه وبعث اليه اشمس خلال ذلك من دمشق بأن جماعة شيعة بندمر وجنتمر يرومون الثورة فركب الناصرى الى دمشق وكبسهم وأثخن فيهم ورجع الى العسكر وارتحلوا الى سلمية واستقرّ يعير فى غلوائه وترددت الرسل بينهم فلم تغن ثم كانت بين الفريقين حرب شديدة وحملت العساكر على منطاش والعرب فهزموهم الى الخيام واتبع دمرداش منطاش حتى جاوز به الحىّ وارتحلت العرب وحملوا بطانتهم على العسكر فلم يثبتوا لحملتهم وكان معهم آل

على بجموعهم فنهبوهم من ورائهم وانهزموا وأفرد الجوبانى بمماليكه فأسره العرب
وسيق الى يعبر فقتله ولحق الناصرى بدمشق وأسر جماعة من الامراء وقتل منهم ايبقا
الجوهرى ومأمون المعلم فى عدد آخرين ونهب العرب مخيمهم وأثقالهم ودخل
الناصرى الى دمشق فبات ليلته وباكر ابن الغداآل على فى أحيائهم فكبسهم واستلحم
منهم جماعة فثأر منهم بما فعلوه فى الواقعة ثم بعث اليه السلطان بنيابة دمشق منتصف
شعبان من السنة فقام بأمرها وأحكم التصريف فى حمايتها والله تعالى يؤيد بنصره
من يشاء من عباده

(اعادة محمود الى استاذية الدار واستقلاله فى الدولة)

هذا الرجل من ناشئة الترك وولدانهم ومن أعقاب كراى المنصورى منهم شب فى ظل
الدولة ومرعى نعمها ونهض بنفسه الى الاضطلاع والكفاية وباشر كثيرا من أعمال
الامراء والوزراء حتى أوفى على ثنية الجباية وعرضته الشهرة على اختيار السلطان
فعجم عوده ونقد جوهره ثم الحق به اغراض الخدمة ببابه فأصاب شاكلة الرمية ومضى
قدما فى مذاهب السلطان مرهف الحد قوى الشكيمة فصدق ظنه وشكر اختياره ثم
دفعه الى معاينة الحبس وشد الدواوين من وظائف الدولة فجلا فيهما وهلك خلال ذلك
استاذ الدار بهادر المنجكى سنة تسعين فأقامه السلطان مكانه قهرمانا لداره ودولته
واقتصاره على دواوين الجباية من قراب اختياره ونقده جماعة للاموال غواصا على
استخراج الحقوق السلطانية قارونا للكنوز اكسيرا للنقود مغناطيسا للقنية يسابق
أقلام الكتاب ويستوفى تفاصيل الحساب بمدارك الهامه وتصور صحيح وحدس ثاقب
لا يرجع الى حذاقة الكتاب ولا   الاعمال بل يتناول الصعاب فيذللها ويحوم على
الاغراض البعيدة فيقربها وربما يحاضر بذكائه فى العلوم فينفذ فى مسائلها ويفهم
جهابذتها موهبة من الله اختصه بها ونعمة أسبغ عليه لبوسها فقام بما دفع اليه السلطان
من ذلك وأدر خروج الجباية فضاقت افنية الحواصل والخزائن بما تحصل وتسرب اليها
وكفى السلطان مهمه فى دولته ومماليكه ورجاله بما يسوغ لهم من نعمه ويوسع من أرزاقه
وعطائه حتى أزاح عللهم بشوا الى انفاقه وقرت عين السلطان باصطناعه وغص به
الدواوين والحاشية ففوقوا اليه سهام السعاية وسلطوا عليه السنة المتظلمين فخاص
من ذلك خلوص الابريز ولم تعلق به ظنة ولا حامت عليه ريبة ثم طرق الدولة ما طرقها
من النكبة والاعتقال واودعته المحنة غيابات السجون وسفت به أنواع المكاره
واصطلمت نعمته واستصفت أموالها فى المصادرة والامتحان حتى زعموا أن الناصرى
المتغلب يومئذ استأثر منه بخمسة قناطير من دنانير الذهب ومنطاش بعده بخمسة

ونحسين ثم خاص ابريز من ذلك السبك وأهل قره بعد المحاق واستقل السلطان من نكبته وطلع بأفق مصره وتعهد أريكة ملكه ودفعه لما كان بسبيله فأحسن الكرّة في الكفاية لمهمه وتوسيع عطاياه وأرزاقه وتمكين أحوال دولته وتسريب الجباية من غير حساب ولا تقرير الى خزائنه وأحسن النظر في الصرف والخرج بحزمه وكفايته حتى عادت الامور الى أحسن معهودها بيمن تعبيته وسديد رأيه وصلابة عوده وقوة صرامته مع بذل معروفه وجاهه لمن تحت يده وبشاشته وكفايته لغاشيته وحسن الكرامة لمنتابه ومقابلة اليه بكرم مقاصده فأصبح طراز الدولة وتاجا للخواص وقذفه المنافسون بخطا السعايات فزلت في جهات حلم السلطان وجميل اغتباطه وتثبته حتى أعيتهم المذاهب وانسدّت عليهم الطرق ورسخت قدمه في الدولة واحتل من السلطان بكرم العهد والذمة ووثق بغنائه واضطلاعه فرمى اليه مقاليد الامور وأطاعه أعيان الخاصة والجمهور وأفرده في الدولة بالنظر في الامور حسبانا وتقديرا وجمعا وتقريرا وكثرا موفرا وصرفا لا يعرف تبذيرا وبطرا وفي الانهاء بالعزل والاهانة مشهورا مع ما يعتازه من الامر والشان وسموّ مرتبته على مرّ الازمان وهو على ذلك لهذا العهد عند سفر السلطان الى الشأم لمدافعة سلطان المغل كما مرّ ذكره والله متولي الامور لا رب غيره

{ مسير منطاش ويعير الى نواحي حلب وحصارها }
{ ثم مفارقة يعير وحصاره عنتاب ثم رجوعه }

ولما انهزمت العساكر بسلمية كما قلنا ارتحل يعير في أحيائه ومعه منطاش وأصحابه الى نواحي حلب وسار يعير الى بلد سرمين من اقطاعه ليقسمها في قومه على عادتهم وكان كشبغا نائب حلب قد أقطعها لجند من التركمان في خدمته فلما وافاها يعير هربوا الى حلب فلقوا في طريقهم احمد بن المهدار في العساكر وقد نهض الى يعير فرجعوا عنه ولقيهم علي بن يعير فقاتلوه وهزموه وقتلوا بعض أصحابه صبرا ورجع يعير الى أحيائه وارتحلوا الى حلب فحاصروها وضيقوا عليها أيام رمضان ثم راجع يعير نفسه وراسل كشبغا نائب حلب في الطاعة واعتذر عما وقع منه وطوق الذنب بالجوباني وأصحابه أهل الواقعة وسأل الامان مع حاجبه عبد الرحمن فأرسله كشبغا الى السلطان وأخبره بما اشترطه يعير فأجابه السلطان الى سؤاله وشعر بذلك منطاش بمكانه من حصار حلب فارتاب وخادع يعيرا الى الغارة على التركمان بقربهم فأذن للعرب في المسير معه وسار معه منهم سبعمائة فلما جاوز الدربند ارجلهم عن الخيل وأخذها ولحق بالتركمان ونزل بمرعش بلد أميرهم سولي ورجع العرب مشاة الى يعير فارتحل الى سبيله راجعا وبلد

منطاش الى عنتاب من قلاع حلب ونائبها محمد بن شهرى فملكها واعتصم نائبها بالقلعة أياما ثم ثبت منطاش وأثخن فى أصحابه وقتل جماعة من أمرائه وكانت العساكر قد جاءت من حلب وحماة وصفد لقتاله فهرب الى مرعش وسار منها الى بلاد الروم واضمحل أمره وفارقه جماعة من أصحابه الى العساكر وراجعوا طاعة السلطان آخر ذى العقدة من سنة ثنتين وسبعين وبعث سولى بن دلقادر أمير التركمان فى عشر ذى الحجة يستأمن الى السلطان فأمنه وولاه على البلستين كما كان والله سبحانه وتعالى أعلم

(قدوم كمشبغا من حلب)

قد كان تقدم لنا أن كمشبغا الحموى رأس نوبة يبقا كان نائبا بطرابلس وان السلطان عزله وحبسه بدمشق فلما استولى الناصرى على دمشق أطلقه من الاعتقال وجاء فى جملته الى مصر فلما ولى على ممالك الشأم وأعمالها ولاه على حلب مكانه منتصف احدى وسبعين ولما استقل السلطان من النكبة وقصد دمشق كما مر أرسل كمشبغا اليه بطاعته ومشايعته على أمره وأظهر دعوته فى حلب وما اليها من أعمالها ثم سار السلطان الى دمشق وحاصرها وامده كمشبغا بجميع ما يحتاج اليه ثم جاء بنفسه فى عساكر حلب مصريخا وحمل اليه جميع حاجاته وازاح علله وأقام له رسوم ملكه وشكر السلطان أفعاله فى ذلك وعاهده على اتابكية مصر ثم كانت الواقعة على شقحب فانهزم كمشبغا الى حلب فامتنع بها وحاصره بها تمرتاتابك منطاش أشهرا كما مر ثم هرب منطاش من دمشق الى العرب فأفرج بها تمر عن حلب ثم كانت واقعة الجوبانى ومقتله وزحف منطاش ويعبرا الى حلب فحاصروها مدة ثم وقع الخلاف بينهما وهرب منطاش الى بلاد التركمان ورجع يعبر الى بلده سلمية واستأمن الى السلطان ورجع الى طاعته منتصف شوال ولما أفرجوا عن حلب نزل كمشبغا من القلعة ورمّ خرابها وخرب بانقوسا واستلحم أهلها وأخذ فى اصلاح اسوار حلب ورمّ ماثلم منها وكانت خرابا من عهد هلاكو وجمع له أهل حلب ألف ألف درهم للنفقة فيه وفرغ منه لثلاثة أشهر ولما استوسق أمر السلطان وانتظمت دولته بعث اليه يستدعيه فى شهر ذى الحجة سنة ثنتين وتسعين وولى مكانه فى حلب قرادمرداش نقله اليها من طرابلس وولى مكانه اينال الصغير فسار كمشبغا من حلب ووصل مصر تاسع صفر سنة ثلاث وتسعين فاهتزله السلطان وأركب الامراء للقائه مع النائب ثم دخل الى السلطان فحياه وبالغ فى تكرمته وتلقاه بالرحب ورفع مجلسه فوق الاتابك اينال وأنزله بيت منجك وقد هيأ فيه من الفرش والماعون والخرثى ما فيه للمنزل ثم بعث اليه بالاقمشة وقرب اليه

الجياد بالمراكب المثقلة وتقدم للامراء أن يتصفوه بهدايا هم فتناغوا فى ذلك وجاؤا من وراء الغاية وحضر فى ركابه من أمراء الشأم الطنبغا الاشرفى وحسن الكشكى فأكرمهما السلطان واستقر كمشبغا بعصر فى أعلى مراتب الدولة الى أن توفى ايسال الاتابك فى جمادى أربع وتسعين فولاه السلطان مكانه كما عاهده عليه بشقحب وجعل اليه نظر المارستان على عادة الاتابكية واستمر على ذلك لهذا العهد والله سبحانه وتعالى أعلم بغيبه

(استقدام ايتمش)

كان ايتمش النجاشي اتابك الدولة قد تركه السلطان وسار فى العساكر الى الشأم منتصف ربيع احدى وتسعين لقتال الناصرى وأصحابه لما انتقض عليه وكانت الواقعة بينهم بالمرج من نواحى دمشق وانهزمت العساكر ونجا ايتمش الى قلعة دمشق ومعه كتب السلطان فى دخولها متى اضطر اليه فامتنع بها وملكها الناصرى من الغد بطاعة نائبها ابن الحمصى فوكل بايتمش وأقام حبيسا موسعا عليه ثم سار الناصرى الى مصر وملكها وعاد السلطان الى كرسيه فى صفر سنة ثنتين وتسعين كما فصل ذلك من قبل وايتمش فى أثناء ذلك كله محبوس بالقلعة ثم زحف الجوبانى فى جمادى الآخرة وخلص ايتمش من اعتقاله وفتق مماليك السلطان السجن الذى كانوا فيه بقلعة دمشق وخرجوا واعصوصبوا على ايتمش قبل مجىء الجوبانى وبعث اليه بالخبر وبعث الجوبانى الى السلطان بمثل ذلك فتقدم اليه السلطان بالمقام بالقلعة حتى يفرغ من أمر عدوه ثم كان بعد ذلك واقعة الجوبانى مع منطاش والعرب ومقتله وولاية الناصرى على دمشق مكانه ثم افترق العرب وفارقهم منطاش الى التركمان وانتظمت ممالك الشأم فى ملكة السلطان واستوسق ملكه واستفحلت دولته فاستدعى الامير ايتمش من قلعة دمشق وسار لاستدعائه قنوباى من مماليك السلطان ثامن ربيع الاول سنة ثلاث وتسعين ووصل الى مصر رابع جمادى الاولى من السنة ووصل فى ركابه حاجب الحجاب بدمشق ومعه الامراء الذين حبسوا بالشأم منهم جنتمر نائب دمشق وابنه وابن أخته واستاذ داره طنبغا ودمرداش اليوسفى نائب طرابلس والطنبغا الحلبى والقاضى أحمد بن القريشى وفتح الدين بن الرشيد وكاتب السر فى ست وثلاثين نفرا من الامراء وغيرهم ولما وصل ايتمش قابله السلطان بالتكرمة والرحب وعرض الحاجب المساجين الذى معه ووبخ السلطان بعضهم ثم حبسوا بالقلعة حتى نفذ فيهم قضاء الله وقتلوا مع غيرهم ممن أوجبت السياسة قتلهم والله تعالى مالك الامور لارب سواه انتهى

(هدية افريقية)

كان للسلطان قد حصل بينه وبين سلطان افريقية أبي العباس أحمد بن محمد بن أبي بكر بن أبي حفص الموحدي مودة والتئام وكانت كثيرا ما تجدد الهدايا من الجانبين ونذكرها ان شاء الله تعالى ولما بلغ الخبر الى تونس بما كان من نكبة السلطان وما كان من أمره امتعض له هذا السلطان بتونس وتفجع لشأنه وأقام يستطلع خبره ويستكشف من التجار التي تحضر الى مصر من أهل تونس أنباءه حتى وقف على الجلي من أمره وما كيف الله من أسباب السعادة في خلاصه وعوده الى كرسيه فلا السرور بجوانحه وأوفد عليه بالتهنئة رسوله بهدية من المقربات على سبيل الوداد مع خالصة من كبراء الموحدين محمد بن علي بن أبي هلال فوصل في العشر الاواخر من رمضان سنة ثنتين وتسعين فتلقاه السلطان بالكرامة وركب محمود استاذداره لتلقاه عند نزوله من البحر بساحل بولاق وأنزل ببيت طشتمر بالرميله قبالة الاصطبل وأجريت عليه النفقة بما لم يجر لامثاله ورغب من السلطان في الحج فحج وأصحب هدية الى مرسله من ثياب الوشي والديباج والسلاح بما لم يعهد مثلها وانصرف آخر ربيع سنة ثلاث وتسعين والله تعالى أعلم بغيبه

(حصار منطاش دمشق ومسير السلطان من مصر اليه وفراره ومقتل الناصري)

لم يزل منطاش شريدا عند التركمان منذ فارق العرب ولما كان منتصف سنة ثلاث وتسعين اعتزم على قصد دمشق ويقال ان ذلك كان باغراء الناصري يخادعه بذلك ليقبض عليه فسار منطاش من مرعش على نواحي حلب وتقدم خبره الى حماة فهرب نائبها الى طرابلس ودخل منطاش حماة ونادى فيها بالامان ثم سار منها الى حمص كذلك ثم الى بعلبك وهرب نائبها الى دمشق فخرج الناصري نائب دمشق في العساكر لمدافعته وسار على طريق الزبداني فخالفه منطاش الى دمشق وقدم اليها أحمد شكار بن أبي بندمر فثار شيعة الخوارزمية والبندمرية وفتحوا له أبواب البلد ومر باصطبلات فقاد منها نحوا من ثمانمائة فرس وجاء منطاش من الغد على أثره فنزل بالقصر الابلق وأنزل الامراء الذين معه في البيوت حوالي القصر وفي جامع شكن وجامع يلبغا وشرع في مصادرة الناس والفريضة عليهم وأقام يومه في ذلك واذا بالناصري قد وصل في عساكره فاقتتلوا عشية ذلك اليوم مرات ومن الغد كذلك وأقام كل واحد منهما في حومته والقتال متصل بينهما سائر رجب وشعبان ولما بلغ الخبر الى السلطان ارتاب بالناصري واتهمه بالمداهنة في أمر

منطاش وتجهز لقصد الشأم ونادى فى العساكر بذلك عاشر شعبان وقتل أهل الخلاف من الامراء المحبوسين وأشخص البطالين من الامراء الى الاسكندرية ودمياط وخرج يوم عشرى شعبان فخيم بالريدانية حتى أزاح علل العساكر وقضوا حاجاتهم واستخلف على القاهرة الاتابك كمشبغا الجوى وأنزله الاصطبل وجعل له التصرف فى التولية والعزل وترك بالقاهرة من الامراء جماعة لنظر الاتابك وتحت أمره وأنزل النائب سودون بالقلعة وترك بها ثمانمائة من مماليكه الاصاغر وأخرج معه القضاة الاربعة والمفتين وارتحل غرة رمضان من السنة بقصد الشأم وجاء الخبر رابع الشهر بأن منطاش لما بلغه مسيرة السلطان من مصر هرب من دمشق منتصف شعبان مع عنقا بن أمير آل مراء الصريخ منطاش فكانت بينهما وقعة انهزم فيها الناصرى وقتل جماعة من أمراء الشأم نحو خمسة عشر فيهم ابراهيم بن منجك وغيره ثم خرج الناصرى من الغد فى اتباع منطاش وقد ذكر له أن الفلاحين نزعوا من نواحى دمشق واحتاطوا به فركب اليه منطاش ليقاتله ففارقه أتابكه ايناز تمر الى الناصرى فى أكثر العساكر وولى هاربا ورجع الناصرى الى دمشق وأكرم ايناز تمر وأجل له الوعد وجاء الخبر بأن السلطان قد دخل حدود الشأم فسار ليلقاه فلقيه بقانون وبالغ السلطان فى تكرمته وترجل حين نزوله وعانقه واركبه بقربه ورده الى دمشق ثم سار فى أثره الى أن وصل دمشق وخرج الناصرى ثانية ودخل الى القلعة ثانى عشر رمضان من السنة والامراء مشاة بين يديه والناصرى راكب معه يحمل الخبز على رأسه وبعث يعير فى كتاب نائب حماة بالعذر عما وقع منه وانه اتهم الناصرى فى أمر منطاش فقصد حسم الفتنة فى ذلك واستأمن السلطان وضمن له احضار منطاش من حيث كان فأمنه وكتب اليه باجابة سؤاله ولما قضى عيد الفطر برز من دمشق سابع شوال الى حلب فى طلب منطاش ولقيه أثناء طريقه رسول سولى بن دلقادر أمير التركمان بهديته واستئمانه وعذره عن تعرضه لسيس وانه يسلمها لنائب حلب فقبل السلطان منه وأمنه ووعده بالجميل ثم وفد عليه أمراء آل مهنا وآل عيسى فى الطاعة ومظاهرة السلطان على منطاش ويعير وأنهما نازلان بالرحبة من تخوم الشأم فأكرم السلطان وفادتهم وتقبل طاعتهم وسار الى حلب ونزل بالقلعة منها ثانى شوال ثم وصل الخبر الى السلطان بأن منطاش فارق يعيرا ومر ببلاد ماردين فواقعته عساكرهنالك وقبضوا على جماعة من أصحابه وخلص هو من الواقعة الى سالم الرودكارى من أمراء التركمان فقبض عليه وأرسل الى السلطان يطالعه بشأنه ويطلب بعض أمراء السلطان قرادمرداش نائب حلب فى عساكره الى سالم الرودكارى لاحضار منطاش وانتهــه

بالناصري وأرسل الاتابك الى ماردين لاحضار من حصل من أصحاب منطاش وانتهى السلطان الى رأس العين وأتى أصحاب سلطان ماردين وتسلم منهم أصحاب منطاش وكتب سلطانهم بأنه معتقل في مقاصد السلطان ومرتصد لعدوه وانتهى قرادمرداش الى سالم الرودكاري وأقام عنده أربعة أيام في طلب منطاش وهو يماطله فأغار قرادمرداش عليه ونهب أحياءه وقتل في قومه وهرب هو ومنطاش الى سنجار وجاء الناصري على أثر ذلك ونكر على دمرداش ما أتاه وارتفعت الملاحة بينهما حتى هم الناصري به ورفع الآلة يضربه ولم يحصل أحد منهم بطائل ورجعوا بالعساكر الى السلطان وكتب اليه سالم الرودكاري بالعذر من أمر منطاش وأن الناصري كتب اليه وأمره بالمحافظة على منطاش وأن فيه زبونا للترك فجلس السلطان بالقلعة جلوسا فخما سادس ذي الحجة من السنة واستدعى الناصري فوبخه ثم قبض عليه وعلى ابن أخيه كشلي ورأس نوبة شيخ حسن وعلى أحمد بن الهمدار الذي أمكنه من قلعة حلب وأمر بقتله وقشتمر الاشرفي الذي وصل من ماردين معهم وولى على نيابة دمشق مكانه بطا الدوادار وأعطى اقطاعه لقرادمرداش وأمره بالمسير الى مصر وولى مكانه بحلب جلبان رأس نوبة وولى أبايزيد دوادارا مكان بطا ورعى له وسائله في الخدمة وتردده في السفارة بينه وبين الناصري أيام ملك الناصري وأجلب على مصر وأشار عليه الناصري بالاختفاء كما ذكرناه فاختفى عند أصحاب أبي يزيد هذا بسعايته في ذلك ثم ارتحل من حلب ووصل الى دمشق منتصف ذي الحجة وقتل بها جماعة من الامراء أهل الفساد يبلغون خمسة وعشرين وولى على العرب محمد بن مهنا وأعطى اقطاع نعير لجماعة من التركمان وقفل الى مصر ولقيه الاتابك كمشبغا والنائب سودون والحاجب سكيس ثم دخل الى القلعة على التعبية منتصف المحرم سنة أربع وتسعين في يوم مشهود ووصل الخبر لعاشر دخوله بوفاة بطا نائب دمشق فولى مكانه سودون الطرنطاي ثم قبض في منتصف صفر على قرادمرداش الاحمدي وهلك في محبسه وقبض على طنبغا المعلم وقردم الحسيني وجاء الخبر أواخر صفر من السنة بأن جماعة من المماليك مقدمهم ايقاداواد اربذلار لما هلك بطا واضطرب أصحابه وهرب بعضهم عمد هؤلاء المماليك الى قلعة دمشق وهجموا عليها وملكوها ونقبوا السجن وأخرجوا المعتقلين به من أصحاب الناصري ومنطاش وهم نحو المائة وركبت العساكر اليها وحاصروها ثلاثا ثم هجموا على الباب فأحرقوه ودخلوا الى القلعة فقبضوا عليهم أجمعين وقتلوهم ايقاداواد اربذلار في خمسة نفر وانحسمت عللهم ثم وصل الخبر آخر شعبان من السنة بوفاة سودون الطرنطاي فولى السلطان مكانه كمشبغا

الاشرف أمير مجلس وولي مكانه كشبغا أمير شيخ الخاصكي انتهى والله سبحانه وتعالى أعلم

(مقتل منطاش)

كان منطاش فر مع سالم الرودكاري الى سنجار وأقام معه أياما ثم فارقه ولحق بنعير فأقام في أحيائه وأصهر اليه بعض أهل الحي بابنته فتزوجها وأقام معهم ثم سار أول رمضان سنة أربع وتسعين وعبر الفرات الى نواحي حلب وأوقعت به العساكر هنالك وهزموهم وأسروا جماعة من أصحابه ثم طال على نعير أمر الخلاف وضجر قومه من افتقاد الميرة من التلول فأرسل حاجبه يسأل الامان وأنه يمكن من منطاش على أن يقطع أربع بلاد منها المعرة فكتب له الدوادار أبو يزيد على لسانه بالاجابة الى ذلك ثم وفد محمد بن سنة خمس وتسعين فأخبر أنه كان مقيما بسلمية في أحيائه ومعه التركمان المقيمون بشيزر فركبوا اليهم وهزموهم وضرب بعض الفرسان منطاش فاكبه وجرحه ولم يعرف في المعركة لسوء صورته بما أصابه من الشظف والجفاء فأردفه ابن نعير ونجا به وقتل منهم جماعة منهم ابن بردعان وابن انيال وجيء برؤسهما الى دمشق وأوعز السلطان الى أمراء الشأم أن يخرجوا بالعساكر وينفروا الى أطراف البلاد لحمايتها حتى يرفع الناس زروعهم ثم زحف نعير ومنطاش في العساكر أول جمادى الاخيرة من السنة الى سلمية فلقيهم نائب حلب ونائب حماة فهزموهما ونهبوا حماة وخالفهم نائب حلب الى أحياء نعير فأغار عليها ونهب سوادها وأموالها واستاق نعمها ومواشيها وأضرم النار فيما بقي وأكمن لهم ينتظر رجوعهم وبلغهم الخبر بحماة فأسرعوا الكر الى أحيائهم فخرج عليهم الكمناء وأثخنوا فيهم وهلك بين الفريقين خلق من العرب والامراء والمماليك ثم وفد على السلطان أواخر شعبان عامر بن طاهر بن جبار طائعا للسلطان ومنابذا لعمه وذكر ان بني نعير على طاعة السلطان وانهم يمكنون من منطاش متى طلب منهم فأقبل عليه السلطان وأثقل كاهله بالاحسان والمواعيد ودس معه الى بني نعير بامضاء ذلك ولهم ما يختارونه فلما رجع عامر ابن عمهم طاهر بمواعيد السلطان تفاوضوا مع آل مهنا جميعا ورغبوهم فيما عند السلطان ما هم فيه من الضنك وسوء العيش بالخلاف والانحراف عن الطاعة وعرضوا على نعير بان يجيبهم الى احدى الحسنيين من امساك منطاش أو تخلية سبيلهم الى طاعة السلطان ويفارقهم هو الى حيث شاء من البلاد فجزع لذلك ولم يسعه خلافهم وأذن لهم في القبض على منطاش وتسليمه الى نواب السلطان فقبضوا عليه وبعثوا الى نائب حلب

ممن يتسلمه واستحلفوه على مقاصدهم من السلطان لهم ولابيهم بعبر بخلف لهم وبعث اليهم بعض أمرائه فامكنوه منه وبعثوا معه الفرسان والرجالة حتى أوصلوه ودخل الى حلب في يوم مشهود وحبس بالقلعة وبعث السلطان أميرا من القاهرة فاقتحمه وقتله وحمل رأسه وطاف به في ممالك الشأم وجاء به الى القاهرة حادي عشر رمضان سنة خمس وتسعين فعلقت على باب القلعة ثم طيف بها مصر والقاهرة وعلقت على باب زويلة ثم دفعت الى أهله فدفنوها آخر رمضان من السنة والله وارث الارض ومن عليها وهو خير الوارثين

(حوادث مكة)

قد كان تقدم لنا أن عنان بن مقامس ولاه السلطان على مكة بعد مقتل محمد بن أحمد بن عجلان في موسم سنة ثمان وثمانين وان كبيش بن عجلان أقام على خلافه وحاصره بمكة فقتل في حومة الحرب سنة تسع بعدها وساء أثر عنان وعجز عن مغالبة الاشراف من بني عمه وسواهم وامتدت أيديهم الى أموال المجاورين وصادروهم عليها ونهبوا الزرع الواصل في الشواني من مصر الى جدة للسلطان والامراء والتجار ونهبوا تجار اليمن وساءت أحوال مكة بهم وبتابعهم وطلب الناس من السلطان اعادة بني عجلان لامارة مكة ووفد على السلطان بمصر سنة تسع وثمانين صبي من بني عجلان اسمه علي فولاه على امارة مكة وبعثه مع أمير الحاج وأوصاه بالاصلاح بين الشرفاء ولما وصل الامير الى مكة يومئذ قرقماس خشي الاشراف منه واضطرب عنان وركب للقائه ثم توجس الخيفة وكر راجعا واتبع الاشراف واجتمعوا على منابذة علي بن عجلان وشيعته من القواد والعبيد ووفد عنان بن مقامس على السلطان سنة تسعين فقبض عليه وحبسه ولم يزل محبوسا الى أن خرج مع بطا عند ثورته بالقلعة في صفر سنة ثنتين وتسعين وبعثه مع أخيه ابقا بيتكشف خبر السلطان كامر وانتظم أمر السلطان بسعاية بطا في العود الى امارته رعيا لما كان بينهما من العشرة في البحر وأسعفه السلطان بذلك وولاه شريكا لعلي بن عجلان في الامارة فأقاما كذلك سنتين وأمرهما مضطرب والاشراف معصوصبون على عنان وهو عاجز عن الضرب على أيديهم وعلي بن عجلان مع القواد والعبيد كذلك وأهل مكة على وجل من أمرهم في ضنك من اختلاف الايدي عليهم ثم استقدمهم السلطان سنة أربع وتسعين فقدموا أول شعبان من السنة فأكرمهما ورفع مجلسهما ورفع مجلس علي على سائرهم ولما انقضى الفطر ولى علي بن عجلان مستقلا واستبلغ في الاحسان اليه بأصناف الاقمشة والخيول والمماليك والحبوب وأذن له في الجراية والعلوفة فوق الكفاية ثم ظهر عليه بعد شهر وقد أعد

الرواحل ليلحق بمكة هارباً فقبض عليه وحبسه بالقلعة وسار علي بن عجلان الى مكة
وقبض على الاشراف لتستقيم امارته ثم خودع عنهم فأطلقهم فنفروا عنه ولم يعاودوا
طاعته فاضطرب أمره وفسد رأيه وهو مقيم على ذلك لهذا العهد والله غالب على
أمره انه على كل شئ قدير

{ وصول أحياء من التتر وسلطانهم الى صاحب بغداد }
{ واستيلاؤه عليها ومسير السلطان بالعساكر اليه }

كان هؤلاء التتر من شعوب الترك وقد ملكوا جوانب الشرق من تخوم الصين الى
ماوراء النهر ثم خوارزم وخراسان وجانبيها الى سجستان وكرمان جنوبا وبلاد القفجاق
وبلغار شمالا ثم عراق العجم وبلاد فارس واذربيجان وعراق العرب والجزيرة وبلاد
الروم الى ان بلغوا حدود الفرات واستولوا على الشأم مرة بعد أخرى كما تقدم
فى أخبارهم ويأتى ان شاء الله تعالى وكان أول من خرج منهم ملكهم جنكزخان
أعوام عشر وستمائة واستقلوا بهذه الممالك كلها ثم انقسمت دولته بين بنيه فيها فكان
لبنى دوشي خان منهم بلاد القفجاق وجانب الشمال بأسره ولبنى هلاكو بن طولى خان
خراسان والعراق وفارس واذربيجان والجزيرة والروم ولبنى جغطاى خوارزم وما
اليها واستمرت هذه الدول الثلاث الى هذا العهد فى مائة وثمانين لسنة انقرض فيها ملك
بنى هلاكو فى سنة أربعين من هذه المائة بوفاة أبى سعيد آخرهم ولم يعقب وافترق ملكه
بين جماعة من أهل دولته فى خراسان واصبهان وفارس وعراق العرب واذربيجان
وتوريز وبلاد الروم فكانت خراسان للشيخ ولى واصبهان وفارس وسجستان للمظفر
الازدى وبنيه وخوارزم واعمالها الى تركستان لبنى جغطاى وبلاد الروم لبنى ارتنا
مولى من موالى دمرداش بن جوبان وبغداد واذربيجان والجزيرة للشيخ حسن بن
حسين بن أيبغا بن ايكان وايكان سبط ارغو بن ابغا بن هلاكو ولبنيه وهو من كبار
المغل فى نسبه ولم يزل ملكهم المفترق فى هذه الدول متناقلا بين أعقابهم الى أن تلاشى
واضمحل واستقر ملك بغداد واذربيجان والجزيرة لهذا العهد لاحمد بن أويس
ابن الشيخ حسن سبط ارغو كما فى أخباره ويأتى شرحها فى دول التتر بعد ولما كان
فى هذه العصور ظهر بتركستان وبخارى فيما وراء النهر أمير اسمه تمر فى جموع من المغل
والتتر ينسب هو وقومه الى جغطاى لا أدرى هو جغطاى بن جنكزخان أو جغطاى
آخر من شعوب المغل والاول أقرب لما تقدمه من ولاية جغطاى بن جنكزخان على بلاد
ماوراء النهر لعهد أبيه وان اعترض معترض بكثرة هذا الشعب الذى مع تمر وقصر المدة
أن هذه المدة من لدن جغطاى تقارب مائتى سنة لان جغطاى كان لعهد أبيه جنكزخان

يقارب الاربعين فهذه المدة أزيد من خمسة من العصور لان العصر أربعون سنة وأقل ما يتناسل من الرجل في العصر عشرة من الولد فاذا ضوعفت العشرة بالضرب خمس مراتب كانت مائة ألف وان فرضنا أن المتناسلين تسعة لكل عصر بلغوا في الخمسة عصور الى نحو من سبعين ألفا وان جعلناهم ثمانية بلغوا فوق الاثنين وثلاثين وان جعلناهم سبعة بلغوا ستة عشر ألفا والسبعة أقل ما يمكن من الرجل الواحد لا سيما مع البداوة المقتضية لكثرة النسل والستة عشر ألفا عصابة كافية في استتباع غيرها من العصائب حتى تنتهي الى غاية العساكر ولما ظهر هذا فيما وراء النهر عبر الى خراسان فملكها من يد الشيخ ولي صاحبها أعوام أربعة وثمانين بعد مراجعات وحروب وهرب الشيخ ولي الى توريز فقصد اليه تمر في جموعه سنة سبع وثمانين وملك توريز واذربيجان وخربها وقتل الشيخ ولي في حروبه ومر باصبهان فأعطوه طاعة معروفة واطلّ بعد توريز على نواحي بغداد فأرجفوا منه ووقعت عساكره باذربيجان جموع الترك أهل الجزيرة والموصل وكانت الحروب بينهم سجالا ثم تأخر الى ناحية اصبهان وجاءه الخبر بخارج خرج عليه من قومه يعرف بقمر الدين تطمش ملك الشمال من بني دوشي خان ابن جنكزخان وهو صاحب كرسي صراي أمدّه بأمواله وعساكره فكرّ راجعا الى بلده وعميت أنباؤه الى سنة خمس وتسعين ثم جاءت الاخبار بأنه غلب قمر الدين الخارج عليه ومحا أثر فساده واستولى على كرسي صراي فكر تمر راجعا وملكها ثم خطى الى اصبهان وعراق العجم وفارس وكرمان فملك جميعها من يد بني المظفر اليزدي بعد حروب هلك فيها ملوكهم وبددت جموعهم وراسله صاحب بغداد أحمد بن أويس وصانعه بالهدايا والتحف فلم يغن عنه ومازال يخادعه بالملاطفة والمراسلة الى ان فتر عزم أحمد وافترقت عساكره فقصد اليه يغذ السير حتى انتهى الى دجلة وسبق النذير الى أحمد فأسرى من ليله ومرّ بجسر الحلة فقطعه وصبح مشهد علي ووافى تمر وعساكره دجلة يوم الحادي والعشرين من شوال سنة خمس وتسعين وأجازوا دجلة سبحا ودخلوا بغداد واستولوا عليها وبعث العساكر في اتباع أحمد فلحقوا بأعقابه وخاضوا اليه النهر عند الجسر المقطوع وأدركوه بالمشهد فكرّ عليهم في جموعه وقتل الامير الذي كان في اتباعه ورجعوا عنه بعد أن كانوا استولوا على جميع أثقاله ورواحله بما فيها من الاموال والذخيرة فرجعوا بها ونجا أحمد الى الرحبة من تخوم الشام فأراح بها وطالع نائبها السلطان بأمره فأخرج اليه بعض خواصه بالنفقات والازواد ليستقدمه فقدم به الى حلب آخر ذي القعدة فأراح بها وطرقه مرض أبطأ به عن مصر وجاءت الاخبار بأن تمر عاث في مخلفه واستصفى ذخائره واستوعب موجود أهل بغداد بالمصادرات لاغنيائهم

وفقرائهم حتى مستهم الحاجة وأقفرت جوانب بغداد من العيث ثم قدم أحمد بن أويس
على السلطان بمصر في شهر ربيع سنة ست وتسعين مستصرخا به على طلب ملكه
والانتقام من عدوه فأجاب السلطان صريخه ونادى في عساكره بالتجهز الى الشأم وقد
كان تمر بعد ما استولى على بغداد زحف في عساكره الى تكريت فأوى المخالفين وعثاة
الحرابة ورصد السابلة وأناخ عليها بجموعه أربعين يوما وحاصرها حتى نزلوا على
حكمه وقتل من قتل منهم ثم خربها وأسرها ثم انتشرت عساكره في ديار بكر الى الرها
ووقفوا عليها ساعة من نهار فملكوها واشفوا نعمتها وافترق أهلها وبلغ الخبر الى
السلطان فخيم بالريدانية أياما أزاح فيها علل عسكره وأفاض العطاء في مماليكه
واستوعب الحشد من سائر أصناف الجند واستخلف على القاهرة النائب مودود
وارتحل الى الشأم على التعبية ومعه أحمد بن أويس صاحب بغداد بعد أن كفاه مهمه
وسرب النفقات في تابعه وجنده ودخل دمشق آخر جمادى الاولى وقد كان أوعز الى
جلبان نائب حلب بالخروج الى الفرات واستنفار العرب والتركمان للاقامة هنالك
رصدا للعدو فلما وصل الى دمشق وفد عليه جلبان وطالعه بمهماته وما عنده من أخبار
القوم ورجع لانفاذ أوامره والفصل فيما يطالعه فيه وبعث السلطان على أثره
العساكر مددا له مع كمشبغا الاتابك وتكلمش أمير سلاح وأحمد بن بيبقا وكان العدو
قد شغل بحصار ماردين فأقام عليها أشهرا ثم ملكها وعاثت عساكره فيها وامتنعت عليه
قلعتها فارتحل عنها الى ناحية بلاد الروم ومر بقلاع الاكراد فأغارت عساكره عليها
واكتسحت نواحيها والسلطان لهذا العهد وهو شعبان سنة ست وتسعين مقيم بدمشق
مستجمع للوثبة به متى استقبل جهته والله ولى الامور وهذا آخر ما انتهت اليه دولة
الترك بانتهاء الايام وما يعلم أحد ما في غد والله مقدر الامور وخالقها

السلطان الملك الظاهر أبو سعيد برقوق مولى الاشرف بن شعبان بن حسن بن الملك الناصر محمد بن قلاون مولى نجم الدين أيوب

المنصور محمد بن المظفر حاجي

الصالح اسماعيل

أبو بكر

الأشرف خليل

علي بن المنصور

الصالح أمير حاج

الصالح حاجي

أحمد

الكامل شعبان

قطز

السعيد بركة بن الظاهر بيبرس

سلامش

الخبر عن دولة بني رسول موالي بني أيوب الملوك باليمن بعدهم ومبدأ أمرهم وتصاريف أحوالهم

قد كان تقدم لنا كيف استولى بنو أيوب على اليمن واختلف عليها الولاة منهم الى أن ملكها من بني المظفر شاهنشاه بن أيوب حافده سليمان بن ابن المظفر وانتقض أيام العادل سنة ثنتي عشرة وستمائة فأمر العادل ابنه الكامل خليفته على مصر أن يبعث ابنه يوسف المسعود الى اليمن وهو أخو الصالح ويلقب بالتركي اطس ويقال اقسنس وقد تقدم ذكر هذا اللقب فملكها المسعود من يد سليمان وبعثه معتقلا الى مصر وهلك في جهاد الافرنج بدمياط سنة سبع وأربعين وهلك العادل أخو المسعود سنة خمس عشرة وستمائة وولى بعده ابنه الكامل وجدد العهد المسعود على اليمن وحج المسعود سنة تسع عشرة وكان من خبره في تأخير أعلام الخليفة عن اعلامه ما مر في أخبارد ولتهم ثم جاء سنة عشرين الى مكة وأميرها حسن بن قتادة من بني مطاعن احدى بطون بني حسن فجمع لقتاله وهزمه المسعود وملك مكة وولى عليها ورجع الى اليمن فأقام به ثم طرقه المرض سنة ست وعشرين فارتحل الى مكة واستخلف على اليمن على بن رسول التركماني أستاذداره ثم هلك المسعود بمكة لاربع عشرة سنة من ملكه وبلغ خبر وفاته الى أبيه وهو محاصر دمشق ورجع ابن قتادة الى مكة ونصب على بن رسول على اليمن موسى بن المسعود ولقبه الاشرف وأقام ملكا على اليمن الى ان خلع وخلف المسعود ولدا آخر اسمه يوسف ومات وخلفه ابنه واسمه موسى وهو الذى نصبه الترك بعد ابيك ثم خلعوه ثم خلع على بن رسول موسى الاشرف بن المسعود واستبد بملك اليمن وأخذ بدعوة الكامل بمصر وبعث أخويه رهنا على الطاعة ثم هلك سنة تسع وعشرين وولى ابنه المنصور عمر بن على بن رسول ولما هلك على بن منصور وولى بعده الكامل ابنه عمر ثم توفي الكامل سنة خمس وثلاثين وشغل بنو أيوب بالفتنة بينهم فاستغلظ سلطان عمر باليمن وتلقب المنصور ومنع الاتاوة التى كان يبعث بها الى مصر فأطلق صاحب مصر العادل بن الكامل عمومته الذين كان أبوه رهنهم على الطاعة لينازعوه فى الامر فغلبهم وحبسهم وكان أمر الزيدية بصعدة قد خرج من بني الرسي وصار لبني سليمان بن داود كما مر في اخبارهم ثم بويع من بني الرسي أحمد ابن الحسين من بني الهادي يحيى بن الحسين بن القاسم الرسي بايع له الزيدية بحصن ثلا وكانوا من يوم أخرجهم السليمانيون من صعدة قد أووا الى جبل مكانه فلما بويع أحمد بن الحسين هذا القبوه الموطئ وكان بحصن ثلا وكان الحديث شائعا بين الزيدية بأن الامر يرجع الى بني الرسي وكان أحمد فقيها أديبا عالما بمذهب الزيدية

مجتهدا في العبادة وبويع سنة خمس وأربعين وستمائة وأهم عمر بن رسول شأنه فشمر لحربه وحاصره بحصن ملامدة ثم أفرج عنه وجهز العساكر لحصاره من الحصون المجاورة له ولم يزل قائما بأمره الى أن وثب عليه سنة ثمان وأربعين جماعة من مماليكه بممالأة بني أخيه حسن فقتلوه لثمان عشرة سنة من ولاية المظفر يوسف بن عمر ولما هلك المنصور على بن رسول كما قلناه قام بالامر مكانه ابنه المظفر شمس الدين يوسف وكان عادلا محسنا وفرض الاتاوة عليه لملوك مصر من الترك لما استقلوا بالملك ومازال يصانعهم بها ويعطيهم اياها وكان لاول ملكه امتنع عليه حصن الدملوة فشغل بحصاره وتمكن أحمد الموطئ الثائر بحصن ملامن الزيدية من أعقاب بني الرسي فملك عشرين حصنا من حصون الزيدية وزحف الى صعدة فملكها من يد السليمانيين ونزل له أحمد المتوكل امام الزيدية منهم فبايعه وأمنه ولما كانوا في خطابة لم يزل في كل عصر منهم امام كما ذكرناه في اخبارهم قبل ولم يزل المظفر والياعلى اليمن الى أن هلك بغتة سنة أربع وتسعين لست وأربعين سنة من ملكه الاشرف عمر بن المظفر يوسف ولما هلك المظفر يوسف كما قلناه وولي بعده ابنه الاشرف ممهد الدين عمر وكان أخوه داود واليا على الشحر فدعا لنفسه ونازعه الامر فبعث الاشرف عساكره وقاتلوه وهزموه وقبضوا عليه وحبسه واستقر الاشرف في ملكه الى أن سمته جاريته فمات سنة ست وتسعين لعشرين شهرا من ولايته أخوه داود بن المظفر المؤيد يوسف ولما هلك الاشرف بن عمر بن المظفر يوسف أخرج أخاه مؤيد الدين داود من معتقله وولوه عليهم ولقبوه المؤيد وافتتح أمره بقتل الجارية التي سمت أخاه ومازال يواصل ملوك الترك بهداياه وصلاته وتحفه والضريبة التي قررها سلفه وانتهت هديته سنة احدى عشرة وسبعمائة الى مائتي وقر بعير بالثياب والتحف وطرف اليمن ومائتين من الجمال والخيل ثم بعث سنة خمس عشرة بمثل ذلك وفسد ما بينه وبين ملوك الترك بمصر وبعث بهديته سنة ثمان عشرة فردوها عليه ثم هلك سنة احدى وعشرين وسبعمائة لخمس وعشرين سنة من ملكه وكان فاضلا شافعي المذهب وجمع الكتب من سائر الامصار فاشتملت خزانته على مائة ألف مجلد وكان يتفقد العلماء بصلاته ويبعث لابن دقيق العيد فقيه الشافعية بمصر جوائزه ولما توفي المؤيد داود سنة احدى وعشرين كما قلناه قام بملكه ابنه المجاهد سيف الدين علي ابن ثنتي عشرة سنة والله وارث الارض ومن عليها

(ثورة جلال الدين بن عمر الاشرف وحبسه)

ولما ملك المجاهد علي شغل بلذاته وأساء السيرة في أهل المناصب الدينية بالعزل والاستبدال بغير حق فنكره أهل الدولة وانتقض عليه جلال الدين ابن عمه عمر

الاشرف وزحف اليه وكانت بينهما حروب ووقائع كان النصر فيها للمجاهد وغلب على جلال الدين وحبسه والله تعالى أعلم

(ثورة جلال الدين ثانيا وحبس المجاهد وبيعة المنصور أيوب بن المظفر يوسف)

وبعد أن قبض المجاهد على جلال الدين ابن عمه الاشرف وحبسه لم يزل مشتغلا بلهوه عاكفا على لذاته وضجر منه أهل الدولة وداخلهم جلال الدين في خلعه فوافقوه فرحل الى سنة ثنتين وعشرين فخرج جلال الدين من محبسه وهجم عليه في بعض البساتين وفتك بحرمه وقبض عليه وبايع لعمه المنصور أيوب بن المظفر يوسف واعتقل المجاهد عنده في تعز وأطلق جلال الدين ابن عمه والله تعالى أعلم بغيبه

{خلع المنصور أيوب ومقتله وعود المجاهد الى ملكه ومنازعة الظاهر بن المنصور أيوب له}

ولما جلس المجاهد بقلعة تعز واستقل المنصور بالملك اجتمع شيعة المجاهد وهجموا على المنصور في بيته بتعز وحبسوه وأخرجوا المجاهد وأعادوه الى ملكه ورجع أهل اليمن لطاعته وكان أسد الدين عبدالله بن المنصور أيوب بالدملوة فعصى عليه وامتنع بها وكتب اليه المجاهد يهدده بقتل أبيه فلج واتسع الخرق بينهما وعظمت الفتنة وافترق عليهما العرب وكثر عيثهم وكثر الفساد وبعث المنصور من محبسه الى ابنه عبدالله ان يسلم الدملوة خوفا على نفسه من القتل فأبى عبدالله من ذلك وأساء الرد على أبيه ولما يئس المجاهد منه قتل أباه المنصور أيوب بن المظفر في محبسه واجتمع أهل الدملوة وكبيرهم الشريف ابن حمزة وبايعوا أسد الدين عبدالله بن المنصور أيوب وبعث عسكرا مع الشهاب الصفوى الى زبيد فحاصروها وفتحوها وجهز المجاهد عساكره اليها مع قائده على بن الدوادار ولما قاربوا زبيد أصابهم سيل وبيتهم أهل زبيد فنالوا منهم وأسروا أمراءهم واتهم المجاهد قائده على بن الدوادار بمداخلة عدوه فكتب اليه أن يسير الى عدن لتحصيل مواليها وكتب الى والى عدن بالقبض عليه ووقع الكتاب بيد الظاهر فبعث به الى الدوادار فرجع الى عدن وحاصرها وفتحها وخطب بها للظاهر سنة ثلاث وعشرين وملك عدن بعدها ثم استمال صاحب صنعاء وحرض فقاموا بدعوة الظاهر وبعث المجاهد الى مذحج والاكراد يستنجدهم فلم ينجدوه وهو بحصن المعدية وكتب الظاهر الى أشراف مكة وقاضيها نجم الدين الطبرى بأن الامر قد استقر له باليمن والله تعالى ولى التوفيق لارب سواه

(وصول العساكر من مصر مددا للمجاهد واستيلاؤه على امره وصلحه مع الظاهر)

ولما غلب الظاهر بن المنصور أيوب على قلاع اليمن وانتزعها من المجاهد وحاصره بقلعة

المعدية بعث المجاهد سنة أربع وعشرين بصريخه الى السلطان بمصر من الترك الناصر محمد بن قلاوون سنة خمس وعشرين فبعث اليه العساكر مع بيبرس الحاجب وانيال من أمراء دولته ووصلوا اليه سنة خمس وعشرين فساروا اليهم المجاهد من حصن المعدية بنواحي عدن الى تعز فاستأمن اليه أهلها فأمنهم وراسلوا الظاهر في الصلح فأجاب على أن تكون له الدملوة وتصالحوا على ذلك وطلب أمراء الترك الشهاب الصفوي الذي أنشأ الفتنة بين المجاهد والظاهر فامتنع من اجابتهم فركب بيبرس وهجم عليه في خيمته وقتله بسوق الخيل بتعز وأثخنوا في العصاة على المجاهد في كل ناحية حتى أطاعوا وتمهد له الملك ورجعت العساكر الى مصر سنة ست وعشرين والله سبحانه وتعالى أعلم

(نزول الظاهر للمجاهد عن الدملوة ومقتله)

ولما استقام الامر للمجاهد باليمن واستخلفه الظاهر على الدملوة أخذ المجاهد في تأنيسه واستحكام الوصلة به حتى اطمأن وهو يفتل له في الذروة والغارب حتى نزل له عن الدملوة وولى عليها من قبله وصار الظاهر في جملته ثم قبض عليه وحبسه بقلعة تعز ثم قتله في محبسه سنة أربع وثلاثين والله تعالى أعلم

{حج المجاهد علي بن المؤيد داود وواقعته مع أمراء مصر واعتقاله بالكرك ثم اطلاقه ورجوعه الى ملكه}

ثم حج المجاهد سنة احدى وخمسين أيام حسن الناصري الاولى وهي السنة التي حج فيها طاز كافل المملكة أميرا وحج بيبغاروس الكافل الآخر مقيدا لان السلطان أمر طاز بالقبض عليه في طريقه فلما قبض عليه رغب منه أن يخلي سبيله لاداء فرضه فأجابه وحج مقيدا وجاء المجاهد ملك اليمن للحج وشاع عنه أنه يروم كسوة الكعبة فتنكر أمراء مصر وعساكرها لاهل اليمن ووقعت في بعض الايام هيعة في ركب اليمن فتحاربوا وانهزم وذهب سواده وركب أهل اليمن كافة وأطلق بيبغاروس لقتال فجلا في تلك الوقعة وأعيد الى اعتقاله وحمل المجاهد الى مصر معتقلا فحبس ثم أطلق سنة اثنتين وخمسين في دولة الصالح وبعثوا معه قشتمر المنصوري الى بلاده فلما انتهى الى الينبع ظهر عليه قشتمر بأنه يروم الهرب فرده وحبسه بالكرك ثم أطلق بعد ذلك وأعيد الى ملكه وأقام على مهاداة صاحب مصر ومصانعته الى أن توفي سنة ست وستين لاثنتين وأربعين سنة من ملكه

(ولاية الافضل عباس بن المجاهد علي)

ولما توفى المجاهد سنة ست وستين ولى بعده ابنه عباس واستقام له ملك اليمن الى أن هلك سنة ثمان وسبعين لثنتى عشرة سنة من ملكه والله تعالى أعلم

(ولاية المنصور محمد بن [illegible] عباس)

ولما توفى الافضل عباس بن المجاهد سنة ثمان وسبعين ولى بعده ابنه المنصور محمد واستولى على أمره واجتمع جماعة من مماليكه سنة ثنتين وثمانين للثورة به وقتله واطلع على شأنهم فهربوا الى الدملوة وأخذهم العرب فى طريقهم وجاؤا بهم وعفا عنهم واستمر فى ملكه الى أن هلك والله تعالى أعلم

(ولاية أخيه الاشرف بن الافضل عباس)

ولما توفى المنصور محمد بن الافضل سنة ولى أخوه الاشرف اسمعيل واستقام أمره وهو صاحب اليمن لهذا العهد لسنة ست وتسعين والله وارث الارض ومن عليها وهو خير الوارثين

الاشرف اسمعيل بن الافضل عباس بن المجاهد على بن المؤيد داود بن المظفر يوسف بن المنصور عمر بن على بن رسول التركمانى

المنصور محمد

جلال الدين بن الاشرف محمد

الظاهر عبدالله بن المنصور أيوب

الخبر عن دولة التتر من شعوب الترك وكيف تغلبوا على الممالك الاسلامية وانتزوا على كرسى الخلافة ببغداد وما كان لهم من الدول المفترقة وكيف أسلموا بعد ذلك ومبدأ أمورهم وتصاريف أحوالهم

قد تقدم لنا ذكر التتر وأنهم من شعوب الترك وأن الترك كلهم ولد كومر بن يافث على

الصحيح وهو الذى وقع فى التوراة وتقدم لنا ذكر أجناس الترك وشعوبهم وعددنا منهم
الغز الذين منهم السلجوقية والهياطلة الذين منهم الخلج وبلاد الصغد قريبا من سمرقند
ويسمون بها أيضا وعددنا منهم الخطا والطغرغر وهم التتر وكانت مساكن هاتين
الامتين بارض طمغاج ويقال انها بلاد تركستان وكاشغر وما اليها من وراء النهر
وهى بلاد ملوكهم فى الاسلام وعددنا منهم الخزلجية والغور والخزر والخفشاخ
وهم القفجاق ويمك والعلان ويقال الان وجركس واركش وعد صاحب زجار
فى كتابه على الجغرافيا العسه والتغزغزية والخرخيرية والكيماكية والخزلجية
والخزر والخلج وبلغار ويمناك وبرطاس وسخرت وخرجان وانكر وذكر مساكن
انكر فى بلاد البنادقة من أرض الروم وجمهور هذه الامم من الترك فيما وراء النهر
شرقا الى البحر المحيط بين الجنوب والشمال من الاقليم الاول الى السابع والصين
فى وسط بلادهم وكان الصين أولا لبنى صينى اخوانهم من بنى يافث ثم صار لهم
واستولوا على معظمه الا قليلا من أطرافه على ساحل البحر وهم رحالة كما مر فى ذكرهم
أول الكتاب وفى دولة السلجوقية وأكثرهم فى المفازة التى بين الصين وبلاد تركستان
وكان لهم قبل الاسلام دولة ولهم مع الفرس حروب مذكورة وملكهم لذلك العهد
فى بنى فراسيان وكان بينهم وبين العرب لاول الفتح حروب طويلة قاتلوهم على
الاسلام فلم يجيبوا فأثخنوا فيهم وغلبوهم على أطراف بلادهم وأسلم ملوكهم على
بلادهم وذلك من بعد القرن الاول وكانت لهم فى الاسلام دولة ببلاد تركستان وكاشغر
ولا أدرى من أى شعوبهم كان هؤلاء الملوك وقد قيل فيهم انهم من ولد فراسيان
ولا يعرف شعب فراسيان فيهم وكان هؤلاء الملوك يلقبون بالخاقان بالخاء والقاف سمة
لكل من يملك منهم مثل كسرى للفرس وقيصر للروم وأسلم ملوكهم بعد صدر من الملة
على بلادهم وملكهم فأقاموا بها وكان بينهم وبين بنى سامان الملوك القائمين فيما وراء
النهر بدولة بنى العباس حرب وسلم اتصلت حالهم عليها الى أن تلاشت دولتهم ودولة بنى
سامان جميعا وقام محمود بن سبكتكين من موالى بنى سامان بدولتهم وملكهم فيما وراء
النهر وخراسان وقد ظهر لذلك العهد بنو سلجوق وغلبوا ملوك الترك على أمرهم
وأصبحوا فى عداد ولاتهم شأن الدول البادية الجديدة مع الدول القديمة الحاضرة
ثم قارعوا بنى سبكتكين وغلبوهم على ممالكهم فيما بعد المائة الرابعة واستولوا
على ممالك الاسلام باسرها وملكوا ما بين الهند ونهاية المعمور فى الشمال وما بين
الصين وخليج القسطنطينية فى الغرب وعلى اليمن والحجاز والشأم وفتحوا كثيرا من
بلاد الروم واستفحلت دولتهم بما لم تنته اليه دولة بعد العرب والخلفاء فى الملة

ثم تلاشت دولتهم وانقرضت بعد مائتين من السنين شأن الدول وسنة الله في العباد
وكانوا بعد خروج السلجوقية الى خراسان قد خلفتهم في بلادهم بضواحي تركستان وكاشغر
من أمم الترك أمة الخطا ومن ورائهم أمة التتر ما الى تركستان وحدود الصين ولم يقدر
ملوك الخانية بتركستان على دفاعهم لعجزهم عن ذلك فكان ارسلان خان بن محمد
ابن سليمان ينزلهم مسالح على الدروب ما بينه وبين الصين ويقطعهم على ذلك ويوقع بهم
على الفساد والعيث ثم زحف من الصين ملك الترك الاعظم كوخان سنة ثنتين وعشرين
وخمسمائة ولحقت به أمم الخطا ولقيهم الخان محمود بن محمد بن سليمان بن داود بن
بقراخان صاحب تركستان وما وراء النهر من الخانية وهو ابن أخت السلطان سنجر
ابن ملك شاه صاحب خراسان من ملوك السلجوقية فهزموه وبعث بالصريخ الى خاله
سنجر فاستنفر ملوك خراسان وعساكر المسلمين وعبر جيحون للقائهم وسارت اليه أمم
الترك والخطا وتواقعوا في صفر سنة ست وثلاثين وخمسمائة وانهزم سنجر وأسرت
زوجته ثم أطلقها كوخان ملك الترك واستولى على ما وراء النهر ثم مات كوخان سنة
سبع وثلاثين وملكت بعده بنته ثم ماتت فملكت بعدها أمها زوجة كوخان وابنه
محمد ثم انقرض ملكهم واستولى الخطا على ما وراء النهر ثم غلب على خوارزم
علاء الدين محمد بن تكش كما قدمناه ويلقب هو وأبوه بخوارزم شاه وكان ملوك الخانية
ببلادهم فيما وراء النهر فاستصرخوا به على الخطا لما كثر من عيثهم وفسادهم فأجاب
صريخهم وعبر النهر سنة ست وستمائة وملكهم يومئذ كبير السن بصير في الحرب فلقيهم
فهزموه وأسر خوارزم شاه ملكهم طاينكوه وحبسه بخوارزم وملك سائر بلاد
الخطا الى أوركند وأنزل بها نوابه وزوج أخته من الخان صاحب سمرقند وأنزل معه
شحنة كما كانت للخطا وعاد الى بلاده وثار ملك الخانية بالشحنة بعد رجوعه بسنة
وقتلهم وهم بقتل زوجته أخت خوارزم شاه وحاصره بسمرقند واقتحمها عليه عنوة
وقتله في جماعة من أقاربه ومحا أثر الخانية وملكهم مما وراء النهر وأنزل في سائر البلاد
نوابه وكانت أمة التتر من وراء الخطا هؤلاء قد نزلوا في حدود الصين ما بينها وبين
تركستان وكان ملكهم كشلي خان ووقع بينهم وبين الخطا من العداوة والحروب ما يقع
بين الامم المتجاورة فلما بلغهم ما فعله خوارزم شاه بالخطا أرادوا الانتقام منهم وزحف
كشلي خان في أمم التتر الى الخطا لينتهز الفرصة فيهم فبعث الخطا الى خوارزم شاه
يستلطفون له ويسألونه النصر من عدوهم قبل أن يستحكم أمره وتضيق عنه قدرتهم
وقدرته وبعث اليه كشلي ملك التتر بمثل ذلك فتجهز يوهم كل واحد من الفريقين أنه له
وأقام متنبذا عنهما وقد تواقعوا وانهزم الخطا فمال مع التتر عليهم واستلحموهم في كل

وجه ولم ينج منهم الا القليل تحصنوا بين جبال فى نواحى تركستان وقليل آخرون لحقوا بخوارزم شاه فكانوا معه وبعث خوارزم شاه الى كشلى خان ملك التتر يعتمد عليه بهزيمة الخطا وأنها انما كانت بمظاهرته فأظهر له الاعتراف وشكره ثم نازعه فى بلادهم وأملاكهم وبعث خوارزم شاه يحاربهم ثم علم أنه لا طاقة له بهم فكث يراوغهم عن اللقاء وكشلى خان يعذله فى ذلك وهو يغالطه واستولى كشلى خان خلال ذلك على كاشغر وبلاد تركستان وساغون ثم عمد خوارزم شاه الى الشاش وفرغانة واسبيجاب وقاشان وما حولها من المدن التى لم يكن فى بلاد الله أنزه منها ولا أحسن عمارة فجلا أهلها الى بلاد المسلمين وخرب جميعها خوفا أن يملكها التتر بعد ذلك وخرج على كشلى خان طائفة أخرى يعرفون بالمغل وملكهم جنكزخان فشغل كشلى خان بحربهم عن خوارزم شاه وعبر النهر الى خراسان ونزل خوارزم الى أن كان من أمره ما نذكره والله سبحانه وتعالى أعلم

استيلاء التتر على ممالك خوارزم شاه فيما وراء النهر وخراسان ومهلك خوارزم شاه وتولية محمد بن تكش

ولما رحل السلطان الى خراسان استولى على الممالك ما بينه وبين بغداد من خراسان ومازندان وباميان وغزنة الى بلاد الهند وغلب الغورية على ما بأيديهم ثم ملك الري واصبهان وسائر بلاد الجبل وسار الى العراق وبعث الى الخليفة فى الخطبة كما كانت لملوك بنى سلجوق فامتنع الخليفة من ذلك كما مر ذلك كله فى أخبار دولتهم ثم عاد من العراق سنة ست عشرة وستمائة واستقر بنيسابور فوفدت عليه رسل جنكزخان بهدية من نقرة المعدنين ونوافج المسك وحجر اليشم والثياب الخطائية المنسوجة من وبر الابل البيض ويخبر أنه ملك الصين وما بينهما من بلاد الترك ويطلب الموادعة والاذن للتجار بالتردد لمتاجرهم من الجانبين وكان فى خطابه اطراء السلطان خوارزم شاه بأنه مثل أعز أولاده فاستنكف السلطان من ذلك وامتعض له وأجمع عداوته واستدعى محمودا الخوارزمى من رسل جنكزخان واصطنعه ليكون عينا له على صاحبه واستخبره عما قاله فى كتابه من أنه ملك الصين واستولى على مدينة طوغاج فصدقه لذلك وسأله عن مقدار العساكر فقللها وغشه فى ذلك ثم نكر عليه الخطاب بالولد ثم صرف الرسل بما طلبوه من الموادعة والاذن للتجار ووصل على أثر ذلك بعض التجار من بلادهم الى اطرار وبها اينال خان ابن خال السلطان خوارزم شاه فعثر على أموالهم ورفع الى السلطان أنهم عيون على البلاد وليسوا بتجار فأمره بالاحتياط عليهم ففعل وأخذ أموالهم وقتلهم خفية وفشا الخبر الى جنكزخان فبعث بالنكير على السلطان فى ذلك

وقال له ان كان فعله اينال خان فابعثه الىّ وتهدده على ذلك فى كتابه فانزعج السلطان لهما وقتل الرسل وبلغ الخبر الى جنكزخان فسار فى العساكر الى بلاده وجبى السلطان من سمرقند خراج سنتين حصن به أسوار سمرقند وجبى ثالثة استخدم بها الفرسان لحمايتها ثم سار للقاء جنكزخان فكانت بينهما واقعة عظيمة هلك فيها كثير من الفريقين فكبسهم وهو غائب عنهم ورجع خوارزم شاه الى جيحون وأقام عليه وفرّق عساكره فى أعمال ماوراء النهر بخارى وسمرقند وترمذ وأنزل أتابغ من أكابر أمرائه وأصحاب دولته فى بخارى وجعلهم لنظره ثم جاء جنكزخان اليه فعبر النهر محفلا وقصد جنكزخان اطرار فحاصرها وملكها غلابا وأسر أميرها اينال خان الذى قتل التجار فأذاب الفضة فى أذنيه وعينيه ثم حاصر بخارى وملكها على الامان وقاتلوا معه القلعة حتى خربها ثم غدر بهم فقتلهم وسباهم وفعل مثل ذلك فى سمرقند سنة تسع عشرة ثم كتب كتبا الى أمراء خوارزم شاه قرابة أمه كأنها أجوبة عن كتبهم اليه باستدعائه والبراءة من خوارزم شاه وذمّه بعقوق أمه فبسط آمالهم فى كتبه ووعد تركان خان أم السلطان وكانت فى خوارزم فوعدها بزيادة خراسان وأن تبعث من يستحلفه على ذلك وبعث بالكتب من يعترض بها السلطان فلما قرأها ارتاب بأمه وبقرابتها فاستوحشوا ووقع التقاطع والنفرة ولما استولى جنكزخان على ماوراء النهر ونجا نائب بخارى فى القل أجفل السلطان وعبر جيحون ورجع عنه طوائف الخطا الذين كانوا معه وتخاذل الناس وسرّح جنكزخان العساكر فى اثره نحوا من عشرين ألفا كانوا يسمونهم التتر المغربة لتوغلهم فى البلاد غربى خراسان الى بلاد القفجاق ووصل السلطان الى نيسابور فلم يلبث بها وارتحل الى مازندان والتتر فى أثره ثم انتهى الى همذان فكبسوه هنالك وفرقوا جموعه ونجا الى جبال طبرستان فأقام بقرية بساحل البحر فى فل من قومه ثم كبسه التتر أخرى فركب البحر الى جزيرة فى بحيرة طبرستان وخاضوا فى اثره فغلبهم الماء ورجعوا وأقام خوارزم شاه بالجزيرة ومرض بها ومات سنة سبع عشرة وستمائة وعهد لابنه جلال الدين منكبرى ولما بلغ خبر اجفاله الى أمه تركان خاتون بخوارزم خرجت سارية واعتصمت بقلعة ايلازين مازندان ورجع التتر عن اتباع خوارزم شاه فافتتحوا قلاع مازندان وملكوها وملكوا قلعة ايلاز صلحا وأسروا أم السلطان وبناته وتزوجهن التتر وتزوج دوشى خان ابن جنكزخان واحدة وبقيت تركان خاتون أسيرة عندهم فى ذل وخمول والله سبحانه وتعالى أعلم

{ مسير التتر المغربة بعد خوارزم شاه الى العراق واذربيجان
واستيلاؤهم عليها الى بلاد قفجاق والروس وبلاد الخزر }

ولما رجع التتر المغربة من اتباع خوارزم شاه سنة سبع عشرة عادوا الى همذان
واتصفوا امامهم واعليه وصانعهم أهل همذان بما طلبوه ثم ساروا الى سنجار كذلك ثم
الى قومس فامتنعوا منهم وحاصروها وملكوها غلابا وقتلوا أكثر من أربعين ألفا ثم
ساروا الى اذربيجان وصانعهم صاحب تبريز وانصرفوا الى موقان ومروا ببلاد
الكرج فاكتسحوها وجمعوا لهم فهزموهم وأثخنوا فيهم وذلك آخر سنة سبع عشرة ثم
عادوا الى مراغة فملكوها عنوة فى صفر سنة ثمان عشرة واستباحوها ورحلوا عنها
الى اربل وبها مظفر الدين كوكبرى واستمد صاحب الموصل فأمده بالعساكر ثم
استدعاهم الخليفة الناصر الى دقوقا للمدافعة عن العراق مع عساكره وولى عليهم
مظفر الدين صاحب اربل فخام عن لقائهم وخاموا عن لقائه وساروا الى همذان وبها
شحنتهم فامتنعوا من مصانعتهم وقاتلوهم فملكوها عنوة واستباحوها واستلحموا
أهلها ورجعوا الى اذربيجان فملكوا أردبيل واستباحوها وخربوها وساروا الى تبريز
وقد فارقها أزبك بن البهلوان الى نقجوان فصانعوهم بالامان وساروا الى بيلقان
وملكوها عنوة وأفحشوا فى القتل والمثلة واكتسحوا جميع الضاحية ثم ساروا الى
كنجة قاعدة اران فصانعهم أهلها فساروا الى بلاد الكرج فهزموهم وحاصروهم
بقاعدتهم تفليس وردهم كثرة الاوعار عن التوغل فيها ثم قصدوا دربند شروان
وحاصروا مدينة شماخي ودخلوها عنوة وملكوه واستباحوه وأعجزهم الدربند عن
المسير فراسلوا شروان فى الصلح فبعث اليهم رجالا من أصحابه فقتلوا بعضهم وقتلوا
الباقين أذلاء وأفضوا من الدربند الى ارض أمة عظيمة وبها من القفجاق واللان والغز
وطوائف من الترك مسلمون وكفار أمم لا تحصى ولم يطيقوا مغالبتهم لكثرتهم
فرجعوا الى التضريب بينهم حتى استولوا على بلادهم ثم اكتسحوها وأوسعوهم قتلا
وسبيا وفر أكثرهم الى بلاد الروس وراءهم واعتصم الباقون بالجبال والغياض
وانتهى التتر الى مدينتهم الكبرى سرداق على بحر نيطش المتصل بخليج القسطنطينية
وهى مادتهم وفيها تجارتهم فملكها التتر وافترق أهلها فى الجبال وركب أهلها البحر الى
بلاد الروم فى ايالة بنى قليج ارسلان ثم سار التتر سنة عشرين وستمائة من بلاد قفجاق الى
بلاد الروس المجاورة لها وهى بلاد فسيحة وأهلها يدينون بالنصرانية فساروا الى
مدافعتهم فى تخوم بلادهم ومعهم جموع من القفجاق أياما ثم انهزموا وأثخن فيهم التتر
قتلا وسبيا ونهبا وركبوا السفن هاربين الى بلاد الاسلام وتركوا بلادهم فاكتسحها
التتر ثم عادوا عنها وقصدوا بلغار آخر السنة واجتمع أهلها وساروا للقائهم بعد
ان أكمنوا لهم ثم استطردوا أمامهم وخرج عليهم الكمناء من خلفهم فلم ينج منهم

الا القليل وارتحلوا عائدين الى جنكزخان بأرض الطالقان ورجع القفجاق الى بلادهم واستقروا فيها والله تعالى ولى التوفيق بمنه وكرمه

(مسير جنكزخان الى خراسان وتغلبه على أعمالها وعلى خوارزم شاه)

كان جنكزخان بعد أن أجفل خوارزم شاه من جيحون ومسير التتر المغربة فى طلبه سمرقند فبعث عسكرا الى ترمذ وعسكرا الى فرغانة وعسكرا الى خوارزم وعسكرا الى خراسان وكان عسكر خوارزم أعظمها لانها كرسى الملك ومأوى العساكر وبعث مع العساكر ابنه جغطاى واركطاى فحاصروها خمسة أشهر وامتنعت فأمدهم جنكزخان بالعساكر متلاحقة وملكوها ناحية ناحية الى أن استوعبوا ثم نقبوا السد الذى يمنع ماء جيحون عنها فسال اليها جيحون فغرقها وتقسم أهلها بين السند والعراق هكذا قال ابن الاثير وقال النسائى كاتب جلال الدين ان دوشى خان عرض عليهم الامان وخرجوا اليه فقتلهم أجمعين وذلك فى محرم سنة سبع عشرة وعاد دوشى خان والعساكر الى جنكزخان فوجدوه بالطالقان وأما عسكر ترمذ فساروا اليها وملكوها وتقدموا الى كلابة من قلاع جيحون فملكوها وخربوها وعسكر فرغانة كذلك وأما عسكر خوارزم فعبروا الى بلخ وملكوها على الامان سنة سبع عشرة وأنزلوا بها شحنة ثم ساروا الى الزوزان وابدحور ومازندان فملكوها وولوا عليها ثم ساروا الى الطالقان وحاصروا قلعة صاركوه وكانت منيعة وجاءهم جنكزخان بنفسه بعد امتناعها ستة أشهر فحاصروها أربعة أشهر أخرى ثم أمر بنقل الخشب والتراب ليجتمع به تل يتعالى به البلد فلما استيقنوا الهلكة فتحوا الباب وصدقوا الحملة فنجا الخيالة وتفرقوا فى البلاد والشعاب وقتل الرجالة ودخل التتر فاستباحوها وبعث جنكزخان عسكرا الى سبامع صهره قفجاق نون فقتل فى حصارها ثم ملكوها فاستباحوها وخربوها ويقال قتل فيها أكثر من سبعين ألفا ثم بعث جنكزخان فى العساكر الى

وقد كان الناجون من هذه الوقائع انزووا اليها فاجتمعوا بظاهرها أكثر من مائتى ألف لا يشكون فى الظفر فلما زحف اليهم التتر ولوا منهزمين وأثخنوا فيهم ثم حاصروا البلد خمسة أشهر واستنزلوا أميرها على الامان ثم قتلوهم جميعا وحضر جنكزخان قتلهم يقال قتل فيها سبعمائة ألف ثم ساروا الى نيسابور فاقتحموها عنوة وقتلوا وعاثوا ثم الى طرابلس كذلك ثم ساروا الى هراة فملكوها على الامان وأنزلوا عندهم الشحنة وعادوا الى جنكزخان بالطالقان وهو يرسل العساكر والسرايا فى نواحى خراسان حتى أتوا عليها تخريبا وذلك كله سنة سبع عشرة والله تعالى أعلم

(اجفال جلال الدين ومسير التتر فى اتباعه وفراره الى الهند)

ثم بعث العساكر في طلب جلال الدين وقد كان بعد مهلك أبيه وخروج تركان خاتون من خوارزم سار اليها وملكها واجتمع اليه الناس ثم نمي اليه أن قرابة تركان خاتون وهم البياروتية مالوا الى أخيه يولغ شاه وابن أختهم وانهم يريدون الوثوب بجلال الدين ففر ولحق بنيسابور وجاءت عساكر التتر الى خوارزم فأجفل يولغ شاه وأخواه ليلحقوا به بنيسابور فأدركهم التتر وهم محاصرون قلعة قندهار فاستلمهم ثم سار الى غزنة فملكها من يد الثوار الذين استولوا عليها أيام هذه الفتنة وذلك سنة ثمان عشرة ولحق به أمراء أبيه الذين تغلبوا على نواحي خراسان في هذه الفتنة وأزعجهم التتر عنها فحضروا مع جلال الدين كبسة التتر بقلعة قندهار ولحق فلهم بجنكزخان وبعث ابنه طولي خان لقتال جلال الدين فهزمه جلال الدين وقتله ولحق الفل من عساكره بجنكزخان فسار في أمم التتر ولقي جلال الدين فانهزم ولم يفلت من التتر الا الاقل ورجع جلال الدين فنزل على نهر السند وقد كان جماعة من أمرائه انعزلوا عنه يوم الواقعة الاولى بسبب الغنائم فبعث اليهم يستألفهم فعاجله جنكزخان وقاتله ثلاثا ثم هزمه واعترضه نهر السند فاقتحمه وخلص الى السند بعد أن قتل حرمه أجمعين وذلك سنة ثمان عشرة والله تعالى أعلم

(أخبار غياث الدين بن خوارزم شاه مع التتر)

كان خوارزم شاه قد قسم الملك بين ولده فجعل العراق لغورنشاه وكرمان لغياث الدين تمرشاه فلم ينفذا اليها أيام أبيه فلما فر خوارزم شاه الى ناحية الري لقيه ابنه غورنشاه صاحب العراق ثم كانت واقعة التتر به على حدوى ولحق خوارزم شاه بجزيرة طبرستان ولحق غورنشاه بكرمان ثم رجع واستولى على اصبهان وعلى الري ثم زحف التتر اليه وحاصروه بقلعتها وندوقتلوه وكان أخوه غياث الدين بكرمان وملكه بينه وبين بقاطر ابلسي اتابكه وفر الى ناحية اذربيجان واستولى غياث الدين على العراق ومازندران وخوزستان فأقطع بقاطر ابلسي همذان ثم سار غياث الدين الى اذربيجان فصانعه صاحبها ازبك بن البهلوان ولحق به من كان متغلبا من أمراء أبيه بخراسان وكان ابنايخ خان نائب بخارا قد تغلب بعد الواقعة على نسا ونواحيها وجرجان وعلى شيروان وعامة خراسان وكان تكين بهلوان متغلبا على مرو فعبر جيحون سنة سبع عشرة وكبس شحنة التتر واتبعوه الى شيروان ولقوا ابنايخ خان على جرجان فهزموه وخلص الى غياث الدين على العراق والري وماوراءها في الجنوب من موكان واذربيجان وبقيت خوارزم طوائف وفي كل ناحية منها متغلب وعساكر التتر في كل وقت تدوخ بلاد العراق وغياث الدين منهمك في لذاته والله تعالى أعلم

رجوع جلال الدين من الهند واستيلاؤه على العراق وكرمان واذربيجان ثم زحف التتر اليه

ثم رجع جلال الدين من الهند سنة احدى وعشرين واستولى على ملك أخيه غياث الدين بالعراق وكرمان وبعث الى الخليفة يطلب الخطبة فلم يسعف فاستعدّ لمحاربته وقد كانت بلاد الري من بعد تخريب التتر المغربة لها عاد اليها بعض أهلها وعمروها فبعث اليها جنكزخان عسكرا من التتر فخربوها ثانية وخربوا ساوة وقم وقاشان وأجفل امامهم عسكر خوارزم شاه من همذان فخربوها واتبعوهم فكبسوهم في حدود اذربيجان ولحق بعضهم بتبريز واتبعهم التتر في اتباعهم فصانعهم صاحبها أزبك بن البهلوان وبعث بهم الى التتر الذين في اتباعهم بعد أن قتل جماعة منهم وبعث برؤسهم وبالاموال على سبيل المصانعة فرجعوا عن بلاده وسار جلال الدين الى اذربيجان سنة ثنتين وعشرين فملكها وكانت له فيها أخبار ذكرناها في دولته ثم بلغ السلطان جلال الدين أن التتر زحفوا من بلادهم وراء النهر الى العراق فنهض من تبريز للقائهم في رمضان سنة خمس وعشرين واقيهم على اصبهان وانفض عنه أخوه غياث الدين في طائفة من العساكر وانهزمت ميسرة التتر وسار السلطان في اتباعهم وقد أكمنوا له وأحاطوا به واستشهد جماعة ثم صدق عليهم الحملة فأفرجوا له ومضى لوجهه وانهزمت العساكر الى فارس وكرمان واذربيجان ورجع المتبعون للتتر من قاشان فوجدوه قد انهزم فافترقوا أشتاتا ولحق السلطان باصبهان بعد ثمانية أيام فوجد التتر يحاصرون اصبهان فبرز اليهم في عساكرها وهزمهم واتبعهم الى الريّ وبعث العساكر في اتباعهم الى خراسان ورجع الى اذربيجان وأقام بها وكانت له فيها أخبار مذكورة في دولته والله سبحانه وتعالى أعلم

مسير التتر الى اذربيجان واستيلاؤهم على تبريز ثم واقعتهم على جلال الدين بآمد ومقتله

كان التتر لما استقرّوا فيما وراء النهر عمروا تلك البلاد واختطوا قرب خوارزم مدينة عظيمة تعوض منها وبقيت خراسان خاوية واستبد بالمدن فيها طوائف من الامراء اشباه الملوك يعطون الطاعة للسلطان جلال الدين منذ جاء من الهند وانفرد جلال الدين بملك العراق وفارس وكرمان واذربيجان وأران وما الى ذلك وبقيت خراسان مجالا للغزاة التتر وعساكرهم وسارت طائفة منهم سنة خمس وعشرين الى اصبهان وكانت بينهم وبين جلال الدين الواقعة كما مرّ ثم زحف جلال الدين الى خلاط

وملكها وزحف اليه صاحبها الاشرف بن العادل من الشأم وعلاء الدين كيقباد صاحب بلاد الروم وأوقعوا به كما مرّ في أخباره سنة سبع وعشرين الواقعة التى أوهنت منه وحلت عرا ملكه وكان علاء الدين مقدّم الاسماعيلية بقلعة الموت عدوا لجلال الدين بما أثخن في بلاده وقرّر عليه وظائف الاموال فبعث الى التتر يخبرهم أن الهزيمة أوهنته ويحثهم على قصده فساروا الى اذربيجان أوّل سنة ثلاث وعشرين وبلغ الخبر الى السلطان بمسيرهم فرحل من تبريز الى موقان وأقام بها في انتظار شحنة خراسان ومازندران وشغل بالصيد فكبسه التتر ونهبوا معسكره وخلص الى نهر راس من اران ثم رجع الى اذربيجان وشتى بماهان ثم جاءه النذير بمسير التتر اليه فرحل الى أران وتحصن بها وثار أهل تبريز لما بلغهم خبر الوقعة الاولى بمن عندهم من عساكر الخوارزمية وقتلوهم ومنعهم رئيسهم الطغرائي من طاعة التتر ووصل للسلطان ثم هلك قريبا فسلموا بلادهم للتتر وكذا فعل أهل كنجة وأهل سلماس

ثم سار السلطان الى كنجة وارتجعها وقتل المعترضين للثورة فيها وسار الى خلاط واستمدّ الاشرف بن العادل صاحب الشأم فعلله بالمواعيد وسار الى مصر ويئس من انجاده فبعث الى جيرانه من الملوك يستنجدهم مثل صاحب حلب وآمد وماردين وجرد عسكرا الى بلاد الروم في خرت برت وملطية واذربيجان فاقتحموها لما بين صاحبها كيقباد وبين الاشرف من الموالاة فاستوحش جميع الملوك من ذلك وقعدوا عن نصرته وجاءه الخبر وهو بخلاط أنّ التتر زحفوا اليه فاضطرب في رحله وبعث اتابكا أوترخان في أربعة آلاف فارس طليعة فرجع وأخبره أنّ التتر رجعوا من حدود ملازكرد وأشار عليه قومه بالمسير الى اصبهان وزين له صاحب آمد قصد بلاد الروم وأطمعه في الاستيلاء عليها ليتصل بالقفجاق ويستظهر بهم على التتر ووعده الامداد بنفسه

يروم من صاحب الروم لما ملك من قلاعه فجنح الى رأيه وعدل عن اصبهان ونزل بآمد وبعث اليه التركمان بالنذير وأنهم رأوا نيران التتر فاتهم خبرهم وصبحه التتر على آمد منتصف شوّال سنة ثمان وعشرين وأحاطوا بخيمته وحمل عليهم اتابكه أوترخان وكشفهم عن الخيمة وركب السلطان وأسلم أهله وسواده ورد أوترخان العساكر وانتبذ ليتوارى عن عين العدوّ وسار أوترخان الى اصبهان واستولى عليها الى أن ملكها التتر من يده سنة تسع وثلاثين وذهب السلطان منجفلا وقد امتلأت الدربندات والمضايق بالمفسدين من غير صنوفهم بالقتل والنهب فأشار عليه أوترخان بالرجوع فرجع الى قرية من قرى ميافارقين ونزل في بيدرها وفارقه اوترخان الى حلب وهجم التتر على السلطان بالبيدر وقتلوا من كان معه وهرب فصعد جبل الاكراد

وهم مترصدون الطرق للنهب فسلبوه وهموا بقتله وشعر بعضهم أنه السلطان فمضى به الى بيته ليخلصه الى بعض النواحى ودخل البيت فى مغيبه بعض سفلتهم وهو يريد الثأر من الخوارزمية باخ له قتل بخلاط فقتله ولم يغن عنه أهل البيت ثم انتشر التتر بعد هذه الواقعة فى سواد آمد وارزن وميافارقين وسائر ديار بكر فاكتسحوها وخربوها وملكوا مدينة اسعرد عنوة فاستباحوها بعد حصار خمسة أيام ومروا بميافارقين فامتنعت ثم وصلوا الى نصيبين فاكتسحوا نواحيها ثم الى سنجار وجبالها والخابور ثم ساروا الى ايدس فأحرقوها ثم الى أعمال خلاط فاستباحوها كرى وارجيش وجاءت طائفة أخرى من اذربيجان الى أعمال اربل ومروا فى طريقهم بالتركمان الايوبية والاكراد الجوزقان فنهبوا وقتلوا وخرج اليهم والى اربل مستمدا أهلها وعساكر الموصل فلم يدركوهم فعادوا وبقيت البلاد قاعا صفصفا والله وارث الارض ومن عليها وهو خير الوارثين

{ التعريف بجنكزخان وقسمة الاعمال بين ولده { وانفراده بالكرسى فى قراقوم وبلاد الصين }

هذا السلطان جنكزخان هو سلطان التتر لعهده ثم من المغل احد شعوبهم وفى كتاب لشهاب الدين بن فضل الله أنه من قبيلة من أشهر قبائل المغل وأكبرهم وزايه التى بين الكاف والخاء ليست صريحة وانما هى مشتملة بالصاد فينطق بها بين الصاد والزاى وكان اسمه تمرجين ثم أصاروه جنكز وخان عام الاسم وهو بمعنى الملك عندهم وأما نسبته فهى هكذا جنكز بن بيسوكى بن بهادر بن تومان بن برتيل خان بن تومنيه ابن بادسنقر بن تيدوان ديوم بن بقا بن مودنجه احد عشر اسما أعجميا صعب الضبط وهذا منحاها وفى كتاب ابن فضل الله فيما نقله عن شمس الدين الاصبهانى امام المعقولات بالمشرق أخذها عن أصحاب نصير الدين الطوسى قال ان مودنجه اسم امرأة وهى جدتهم من غيراب قالوا وكانت متزوجة وولدت ولدين اسم أحدهما بكتوت والآخر بلكتوت ويقال لولدها بنوا الدلوكية ثم مات زوجها وتأيمت وحملت وهى أيم فنكر عليها قرباؤها فذكرت أنها رأت بعض الايام نورا دخل فى فرجها ثلاث مرات وطرأ عليها الحمل بعده وقالت لهم ان فى حملها ثلاثة ذكور فان صدق ذلك عند الوضع والا فافعلوا مابدا لكم فوضعت ثلاثة توائم من ذلك الحمل فظهرت براءتها بزعمهم اسم أحدهم برقد والآخر قوناوا والثالث نجعو وهو جد جنكزخان الذى فى عمود نسبه كما مر وكانوا يسمونهم النورانيين نسبة الى النور الذى ادعته ولذلك يقولون جنكزخان بن الشمس وأما أوليته فقال يحيى بن أحمد بن على النسائى كاتب

جلال الدين خوارزم شاه في تاريخ دولته ان مملكة الصين متسعة ودورها مسيرة تسعة اشهر وهي منقسمة من قديم الزمان على تسعة أجزاء كل جزء منها مسيرة شهر ويتولى ملك كل جزء منها ملك يسمى بلغتهم خان ويكون نائبا عن الخان الاعظم قال وكان الاعظم الذي عاصر خوارزم شاه علاء الدين محمد بن تكش يقال له طرخان توارثها عن آبائه وكان مقيما بطوغاج وهي وسط الصين وكان جنكزخان من أولئك الخانات الستة وكان من سكان البدو ومن أهل النجدة والشرف وكان مشتاه قارعون من بلاد الصين وكان من خاناتهم أيضا ملك آخر اسمه دوشي خان كان متزوجا بزوجة جنكزخان واتفقت وفاته فحضر جنكزخان يوم وفاة زوجها دوشي خان فولته مكانه وحملت قومها على طاعته وبلغ الخبر الى الخان الاعظم طرخان فنكر ذلك وزحف اليهم فقاتلوه وهزموه وغلبوه على اثر بلاده ثم صالحهم عليها وأقام متغلبا ثم مات بقية الخانات الستة وانفرد جنكزخان بأمرهم جميعا وأصبح ملكهم وكان بينه وبين خوارزم شاه من الحروب ماقدمناه وفي كتاب ابن فضل الله محكيا عن الصاحب علاء الدين عطاء وحدثه به قال كان ملك عظيم من التتر في قبيلة عظيمة من قبائلهم يدعى ازبك خان وكان مطاعا في قومه فاتصل به جنكزخان فقربه واستخلصه ونافسه قرابة السلطان وسعوا به عنده حتى استفسدوه عليه وطوى له وتربص به وسخط ازبك خان على مملوكين عنده فاستجارا بجنكزخان فأجارهما وضمن لهما أمانه وأطلعاه على رأي السلطان فيه فاستوحش وحذر وثبة السلطان فأجفل أمامه واتبعه السلطان في عساكره فلما أدركه كرعليه جنكزخان فهزمه وغنم سواده ومامعه ثم استمرت العداوة وانتبذ عن السلطان واستألف العساكر والاتباع وأفاض فيهم الاحسان فاشتدت شوكته ودخل في طاعته قبيلتان عظيمتان من المغل وهما أورات ومنفورات فعظمت جموعه وأحسن الى المملوكين اللذين حذراه من ازبك خان ورفع رتبتهما وكتب لهما العهود بما اختاراه وكتب فيها أن يستمر ذلك لهما الى تسعة بطون من أعقابهما ثم جهز العساكر لحرب ازبك خان فهزمه وقتله واستولى على مملكة التتر بأسرها ولما توطأ أمره تسمى جنكزخان وكان اسمه تمرجين كامرّ وكتب لهم كتابا في السياسة سماه السياسة الكبيرة ذكر فيه أحكام السياسة في الملك والحروب والاحكام العامة شبه أحكام الشرائع وأمر أن يوضع في خزانته وان تختص بقرابته ولم يكن يؤتى بمثله وانما كان دينه ودين آبائه وقومه المجوسية حتى ملكوا الارض واستفحلت دولتهم بالعراق والشمال وماوراء النهر وأسلم من ملوكهم من هداه الله للاسلام كما نذكره ان شاء الله تعالى فدخلوا في عدد ملوك الاسلام الى أن انقرضت دولهم وانقضت أيامهم والبقاء

لله وحده وأما ولده فكثير وهو الذي يقتضيه حال بداوته وعصبيته الأن المشهور
منهم أربعة أولهم دوشي خان ويقال جرجي وثانيهم جغطاي ويقال كداي وثالثهم
أوكداي ويقال أوكتاي ورابعهم طولي بين التاء والطاء والثلاثة الاول لام واحدة
وهي أوبولي بنت تيكي من كبار المغل وعد شمس الدين الاصبهاني الاربعة فقال
جرجي وكداي وطولي وأوكداي وقال نظام الدين يحيى بن الحكيم نور الدين عبد الرحمن
الصيادي كاتب السلطان أبي سعيد فيما نقله عنه شهاب الدين بن فضل الله ان كداي
هو جغطاي وجرجي هو طوشي فلما ملك جنكزخان البلاد قسم الممالك فكان لولده
طوشي بلاد قبلاق الى بلغار وهي دست القفجاق وأضاف اليه أران وهمذان وتبريز
ومراغة وعيرلان وكاي حدود آمد وقو باق وما أرى تفسير هذه وجعل لولي عهده
وعين لجغطاي من الايغور الى سمرقند وبخارا وماوراء النهر ولم يعين لطولي شيأ وعين
لاخيه أوتكين نوى بلاد أبخت ولا أدري معنى هذا الاسم ولما استقل ملكه واستولى
على هذه الممالك جلس على التخت وانتقل الى وطنه القديم بين الخطا والايغور وهو
تركستان وكاشغر وفي ذلك الوطن مدينة قراقورم وبها كان كرسيه ومكانه بين أعمال
ولده مكان المركز من الدائرة وكان كبير ولده طوشي ويقال دوشي ومات في حياته وخلف
من الولد ناخوا وبركة ودا وردة وطوفل هكذا قال ابن الحكيم وقال شمس الدين ناطو
وبركة فقط ومات طولي أيضا في حياته في حربه مع جلال الدين خوارزمشاه بنواحي
غزنة وخلف من الولد منكو وقبلاي وازبيك وهلاكو والله تعالى أعلم بغيبه وأحكم

(كداي)

جغطاي

دوقي (طوشي)

أوكداي

طولي ـ (صاحب التخت)

(عرجين)

دوقي خان بن جنكز خان بن يسوكي بن بهادر بن تومان بن بزنجل خان بن تومنيه بن بادسنقر بن بنذوان دوم (البـــــواتير)

يونس سانجي

موقو باغي

د بقا ـــــ ن مورتغيه [illegible]

لها ولد [illegible]

وهي امرأة ولدت بزعمهم من غير زوج

قال ابن فضل الله ولما هلك جنكزخان استقل أوكداى بالتخت وبدست القفجاق وما معه وكان أصغر ولده و استقل الى قراقوم بمكانهم الاصلى وقراباق التى كانت بيده لابنه كفود ولم يتمكن كداى وهو جغطاى من مملكة ماوراء النهر ونازع ناطو بن دوشى خان فى اران وهمذان وتبريز ومراغة وبعث أميرا من أمرائه لحمل أموال الهان القبض على عماله بها وقد كان ناطو كتب اليهم بالقبض على ذلك الامير فقبضوا عليه وحملوا الى ناطو فطحنه وبلغ ذلك الى كفود فسار الى ناطو فى ستمائة ألف من العساكر وهلك قبل أن يصل اليه بعشر مراحل فبعث القوم الى ناطو أن يكون صاحب التخت فأبى وجعله لاخيه منكوقان بن طولى وبعثه اليه وأخويه معه قبلاى وهلاكو وبعث معهم أخاه بركة بن طولى فى مائة ألف من العساكر ليجلسه على التخت فلما عاد من بخارا لقى الشيخ شمس الدين الباخورى من أصحاب نجم الدين كبير الصوفية فأسلم على يده وتأكدت صحبته معه وحرضه على التمسك بطاعة الخليفة ومكاتبته المعتصم ومبايعته ومهاداته وترددت الرسل بينه وبين المعتصم وتأكدت الموالاة واستقل منكوقان بالتخت وولى أولاد جغطاى عمه على ماوراء النهر امضاء لوصية جنكزخان لابيهم التى مات دونها ووفد عليه جماعة من أهل قزوين و بلاد الجبل يشكون ما نزل بهم من ضرر الاسماعيلية وفسادهم فجهز أخاه هلاكو لقتالهم واستئصال قلاعهم فمضى لذلك وحسن لاخيه منكوقان الاستيلاء على أعمال الخليفة فأذن له فيه وبلغ ذلك بركة فنكره على أخيه ناطو الذى ولى منكوقان لما كان بين بركة والمعتصم من الولاية والوصلة بوصية الشيخ الباخورى فبعث ناطو الى أخيه هلاكو بالنهى عن ذلك وأن لا يتعدى مكانه وبلغته رسل ناطو بذلك وهو فيما وراء النهر قبل أن يتصل بالعساكر فأقام سنين امتثالا لامره حتى مات ناطو وتولى بركة مكانه فاستأذن أخاه منكوقان ثانية وسار لقصد الملاحدة وأعمال الخليفة فأوقع بالملاحدة وفتح قلاعهم واستلحمهم وأوقع بأهل همذان واستباحهم لميلهم الى بركة وأخيه ناطو ثم سار الى بركة بدست القفجاق فزحف اليه بركة فى جموع لا تحصى والتقيا واستمر القتل فى أصحاب هلاكو وهم بالهزيمة ثم حال نهر الكر بين الفريقين وعاد هلاكو فى البلاد واستحكمت العداوة بينهما وسار هلاكو الى بغداد فكانت له الواقعة المشهورة كما مر ويأتى فى أخبار دولته ان شاء الله تعالى وفى كتاب ابن فضل الله فيما نقله عن شمس الدين الاصبهانى أن هلاكو لم يكن مستقلا بالملك وانما كان نائبا عن أخيه منكوقان ولا ضربت السكة باسمه ولا ابنه ابغا وانما ضرب بها منهم ارغو حين استقل فجعل اسمه

في السكة مع اسم صاحب التخت قال وكان شحنة صاحب التخت لا يزال ببغداد الى أن ملك قازان فطرد الشحنة وأفرد اسمه في السكة وقال ما ملكت البلاد الا بسيفي وبيت جنكزخان يرون أن بني هلاكو انما كانوا ثوارا وجنكزخان لم يملك طولي شيأ وان أخاه منكوقان الذي ولاه عليها انما بعثه نائبا مع أن منكوقان انما ولاه نائبا عن دوشي خان كامر قال ونقل عن ثقاة أن [illegible] بني هلاكو من يحقق نسبه لكثرة ما وقع فيهم من القتل غيرة على الملك ومن فجا طلب [illegible] شخصه نفي نسبه الا ما قيل في محمد المنسوب الى بحرجي قال شمس الدين الاصبهاني ونقله عن أمير كبير منهم ان أول من استقل بالتخت جنكزخان ثم ابنه اوكداي ثم ابنه كفود بن اوكداي ثم منكوقان بن طولي ثم أخوه اريبكان ثم أخوهما قبلاي ثم دمرقاي ويقال تمرقاي ثم تربى كبيزي ثم كبيزقان ثم سندمرقان بن طرمالا بن جنكمر بن قبلاي بن طولي انتهى كلام ابن فضل الله وعن غيره أن منكوقان جهز عساكر التتر أيام ملكه على التخت الى بلاد الروم سنة مع أمير من أمراء المغل اسمه بكو فملكها من يد بني قليج ارسلان كما هو مذكور في أخبارهم فأقامت في طاعة القان الى أن انقرض أمر المغل منها ثم بعث منكوقان العساكر لغزو بلاد الخطا مع أخيه قبلاي بعد أن عهد له بالخانية ثم سار على اثره بنفسه واستخلف أخاه الآخر ازبك على كرسي قراقوم وهلك منكوقان في طريقه ذلك على نهر الطاى من بلاد الغور سنة ثمان وخمسين فجلس ازبك على التخت وعاد قبلاي من بلاد الخطا فزحف اليه أزبك فهزمه الى بعض النواحي واستأثر بالغنائم عن اخوته وقومه فمالوا الى طاعة قبلاي واستدعوه فجاء وقاتل أخاه ازبك فغلبه وتقبض عليه وحبسه واستقر في الخانية وبلغ الخبر الى هلاكو وهو في الشأم عندما استولى عليه فرجع لما كان يؤمله من الخانية ولما انتهى الى جيحون بلغه استقلال أخيه قبلاي في الخانية وتبين له عجزه عنه فسالمه وقنع بما في يده ورجع الى العراق ثم نازع قبلاي في الخانية لآخر دولته سنة سبع وثمانين بعض بني أوكداي صاحب التخت الاول وهو قيدو بن قاشي بن كفود بن أوكداي ونزع اليه بعض أمراء قبلاي وبنو اله ذلك فسار له وبعث قبلاي العساكر للقائه مع ابنه نمقان فهزمه قيدو ورجع منهزما الى أبيه فسخطه وطرده الى بلاد الخطا ومات هنالك وسلط قبلاي على قيدو وكان غالب على ما وراء النهر براق بن سنتف بن منكوقان بن جغطاي من بني جغطاي ملوك ما وراء النهر بوصية أبيهم جنكزخان فغلبه براق واستولى على ما وراء النهر ثم هلك قبلاي صاحب التخت سنة ثمان وثمانين وملك ابنه سرغوق هذا ما انتهى الينا من أخبار ملوك التخت بقراقوم من بني جنكزخان ولم نقف على غيرها

والله تعالى ولي التوفيق بمنه وكرمه

قيدو بن قاشي بن كفود بن اوكداي بن جنكزخان

منكوقان

هلاكو

تقسان بن قبلان بن طولي

(ملوك بني جغطاي بن جنكزخان بتركستان وكاشغر وماوراء النهر)

هذا الاقليم هو مملكة الترك الاولى قبل الاسلام وأسلم ملوكهم على تركستان وكاشغر فأقاموا بها وملك بنو سامان نواحي بخارا وسمرقند واستبدوا ومنها كان ظهور السلجوقية والترمن بعدهم ولما استولى جنكزخان على البلاد أوصى بهذه المملكة لابنه جغطاي ولم يتم ذلك في حياته ومات جغطاي دونه فلما ولي منكوقان بن طولي على التخت ولى أولاد جغطاي عمه على ماوراء النهر امضاء لوصية جنكزخان لابيهم التي مات دونها وولي منكوقان فلما هلك ولي أخوه هلاكو ابنه مبارك شاه ثم غلب عليهم قيدو ابن قاشي بن كفود بن اوكداي بن جنكزخان وانتزع ماوراء النهر من أيديهم وكان جده كفوك صاحب التخت و بعده ولي منكوقان فلما ولي قيدو نازع صاحب التخت يومئذ وهو قبلاي وكانت بينهما حروب وأعان قبلاي في خلالها بني جغطاي على استرجاع ملكهم وولى منهم براق بن سنتف بن منكوقان بن جغطاي وأمده بالعساكر والاموال فغلب قيدو بن قاشي بن كفود بن اوكداي بن جنكزخان وانتزع من صاحب التخت يومئذ واستبد بملك آبائه ثم هلك فولي من بعده دوا ثم من بعد دوا بنون له أربعة واحدا بعد واحد وهم كجك ثم اسعاتم كبك ثم ابشكداي ثم ولي بعد

الاربعة دواتمر ثم ترماشين ثم توزون بن اوما كان بن   وتخلل هؤلاء من
توثب على الملك ولم ينتظم له مثل سيساور بن اركتم بن بغاتمر بن براق ولم يزل ملكهم بعد
ترماشين مضطربا الى أن ملك منهم جنقصو بن دواتمر بن حلو بن براق بن سنتف كانوا
كلهم على دين المجوسية وخصوصا دين جنكزخان وعبادة الشمس وكان فيما يقال على
دين العشية فكان بنو جغطاي يعضون عليها بالنواجذ ويتبعون سياسته مثل أصحاب
التخت فلما صار الملك الى ترماشين منهم أسلم رحمه الله سنة خمس وعشرين وسبعمائة
وجاهد وأكرم التجار المترددين وكانت تجار مصر ممنوعين من بلاده فلما بلغهم ذلك
قصدوها فحمدوها ولما انقرضت دول بنى جنكزخان وتلاشت فى جميع النواحى
ظهر فى أعقاب دولة بنى جغطاى هؤلاء بسمرقند وما وراء النهر ملك اسمه تمر
ولا أدرى كيف كان يتصل نسبه فيهم ويقال انه من غير نسبهم وانما هو متغلب على
صبى من أعقاب ملوكهم اسمه طغتمش أو محمود درج اسمه بعد مهلك أبيه واستبد عليه
وأنه من أمرائهم وأخبرنى من لقيته من أهل الصين أن أباه أيضا كان فى مثل مكانه من
الامارة والاستبداد وما أدرى أهو طايبة فى نسب جغطاى أو من أحلافهم وأتباعهم
وأخبرنى الفقيه برهان الدين الخوارزمى وهو من علماء خوارزم وأعيانها قال كان
لعصره وأول ظهوره ببخارا رجل يعرف بحسن من أمراء المغل وآخر بخوارزم
من ملوك صراى أهل التخت يعرف بالحاج حسن الصوفى   وزحف الى بخارا
فملكها من يد حسن ثم الى خوارزم وطالت حروبه مع الحاج حسن الصوفى وحاصرها
مرارا وهلك حسن خلال ذلك وولى أخوه يوسف فملكها تمر من يده وخربها فى حصار
طويل ثم كلف بعمارتها وبناء ما خرب منها وانتظم له الملك بما وراء النهر ونزل بخارى
ثم زحف الى خراسان فملك هراة من يد صاحبها وأظنه من بقايا ملوك الغورية ثم زحف
الى مازندان وطال تمرسه وحروبه مع صاحبها الشيخ ولى الى أن ملكها عليه سنة أربع
وثمانين ولحق الشيخ ولى بتوريز الى أن ملكها تمر سنة ثمان وثمانين فهلك فى حروبه
معها ثم زحف الى اصبهان فأتوه طاعة ممرضة وخالفه فى قومه كبير من أهل نسبه
يعرف بعمر الدين وأمده طغطمش صاحب التخت بصراى فكر راجعا وشغل بحربه
الى أن غلبه ومحا أثره وغلب طغطامش على ما بيده من البلاد ثم زحف الى بغداد
سنة خمس وتسعين فأجفل عنها ملكها أحمد بن أويس بن الشيخ حسن المتغلب عليه بعد
بنى هلاكو فلحق أحمد بيرالشأم سنة ست وتسعين واستولى تمر على بغداد والجزيرة وديار
بكر الى الفرات واستعد ملك مصر للقائه ونزل الفرات فأحجم عنه وتأخر عنه الى قلاع
الاكراد وأطراف بلاد الروم وأناخ على قراباغ ما بين اذربيجان والابواب ورجع

خلال ذلك طغطمش صاحب التخت الى صراى وملكه فسار اليه تمرأول سنة سبع وتسعين وغلبه على ملكه وأخرجه عن سائر ممالكه ثم وصل الخبر آخر السنة بظفره بطغطمش وقتله اياه واستيلائه على جميع أعماله والحال على ذلك لهذا العهد والله وارث الارض ومن عليها وفى خبر العجم أن ظهوره سنة مذنب يعنون سنة اثنين وسبعين وسبعمائة بحساب الجمل فى حروف هذه اللفظة والله سبحانه وتعالى ولى التوفيق بمنه وكرمه

جنقصو بن دواتمر بن حلو بن براق بن منتقب بن منكوقان بن جغطاى بـــن جنكزخان

وزرن بن اوماكان

زمانشين

دوا

كحك

استفو

الجلكداى

مبارك شاه

هلاكو

قيدبن قاشى بن كفود بن اوكداى

الخبر عن ملوك بنى دوشى خان من التتر ملوك خوارزم ودست القفجاق ومبادى أمورهم وتصاريف أحوالهم

قد تقدم لنا أن جنكزخان عين هذه البلاد لابنه دوشى خان وملكه عليها وهى مملكة متسعة فى الشمال آخذة من خوارزم الى ناركند وصفد وصراى الى مدينة ماجرى واران وسرادق وبلغار وباشقرد وجدلمان وفى حدود هذه المملكة مدينة

باكومن مدن شروان وعندها باب الحديد ويسمونه دمرقفو ومرحدود هذه المملكة في الجنوب الى حدود القسطنطينية وهي قليلة المدن كثيرة العمارة والله تعالى أعلم

(دوشي خان بن جنكزخان)

وأول من وليها من التتر دوشي خان فلم يزل ملكا عليها الى أن هلك في حياة أبيه كما مرّ سنة

(ناطوخان بن دوشي خان)

ولما هلك دوشي خان ولي مكانه ابنه ناطوخان ويقال صامرخان ومعناه الملك المغبر فلم يزل ملكا عليها الى أن هلك سنة خمسين وستمائة

(طرطو بن دوشي خان)

ولما هلك ناطو ولي أخوه طرطو فأقام ملكا سنتين وهلك سنة ثنتين وخمسين ولما هلك ولي مكانه أخوه بركة هكذا انقل ابن فضل الله عن ابن الحكيم وقال المؤيد صاحب حماة في تاريخه انه لما هلك طرطو هلك عن غير عقب وكان لأخيه ناطوخان ولدان وهما تدان وبركة وكان مرشحا للملك فعدل عنه أهل الدولة وملكوا أخاه بركة وسارت أم تدان الى هلاكو عندما ملك العراق تستحثه للملك قومها فردوها من الطريق وقتلوها واستقر بركة في سلطانه انتهى فنسب المؤيد بركة الى ناطوخان بن دوشي خان وابن الحكيم على مانقل ابن فضل الله جعله ابن دوشي خان نفسه وذكر المؤيد قصة اسلامه على يد شمس الدين الباخوري من أصحاب نجم الدين وان الباخوري كان مقيما ببخارا وبعث الى بركة يدعوه الى الاسلام فأسلم وبعث اليه كتابه باطلاق يده في سائر أعماله فرده عليه وأعمل بركة الرحلة الى لقائه فلم يأذن له في الدخول حتى تطارح عليه أصحابه وسألوا الاذن لبركة فدخل وجدّد الاسلام وعاهده الشيخ على اظهاره الاسلام وان يحمل عليه سائر قومه فحملهم واتخذ المساجد والمدارس في جميع بلاده وقرب العلماء والفقهاء ووصلهم وسياق القصة على ماذكره المؤيد يدل على أن اسلامه كان أيام ملكه وعلى ماذكر ابن الحكيم أن اسلامه كان أيام أخيه ناطو ولم يذكر ابن الحكيم طرطو وانما ذكر بعد ناطو أخاه بركة ولم نقف على تاريخ لدولتهم حتى يرجع اليه وهذا ما أدى اليه الاجتهاد ومابعدها مأخوذ من تاريخ المؤيد صاحب حماة من بني المظفر بن شاهنشاه بن أيوب قال ثم بعث بركة أيام سلطانه أخاه ناطو الى ناحية الغرب للجهاد وقاتل ملك اللمان من الافرنج فانهزم ورجع ومات أسفا ثم حدثت الفتنة بين بركة وبين قبلاي صاحب التخت وانتزع بركة الخاقانية من أعمال قبلاي وولى عليها مرخاد ابن

أخيه ناظو وكان على دين النصرانية وداخله هلاكو في الانتقاض على عمه بركة الى أخيه قبلاي صاحب التخت و يقطعه الخاقانية وما يشاء معها وشعر بركة بشأنه وأن سرخاد يحاول قتله بالسم فقتله و ولى الخاقانية أخاه مكانه وأقام هلاكو طالبا بثأر سرخاد و وقعت الحرب بينه و بين بركة على نهر آمد سنة ستين ثم هلك هلاكو سنة ثلاث وستين و ولى ابنه ابغا فسار الى حربه وسرح بركة للقائه سنتاى بن بايغان بن جفطاى ونوغية بن تتر بن مغل بن دوشي خان فلما التقى الجمعان أحجم سنتاى ورجع منهزما وانهزم ابغا أمام نوغية وأثخن في عساكره وعظمت منزلة نوغية عند بركة وسخط بركة سنتاى وساءت منزلته عنده الى أن هلك بركة سنة خمس وستين والله سبحانه وتعالى أعلم

(منكوتمر بن طغان بن ناظوخان)

ولما هلك بركة ملك الدست بالشمال ملك مكانه منكوتمر بن طغان ابن ناظوخان ابن دوشي خان وطالت أيامه وزحف سنة سبعين الى القسطنطينية لحدة وجدها على الاشكر ملكها فتلقاه بالخضوع والرغبة ورجع عنه ثم زحف سنة ثمانين الى الشأم في مظاهرة ابغا بن هلاكو ونزل بين قيسارية وابلستين من بلاد الروم ثم أجاز الدربند ومر بابغا وهو منازل الرحبة وتقدم مع أخيه منكوتمر بن هلاكو الى حماة فنازلوها وزحف اليهم المنصور قلاون ملك مصر والشأم من دمشق ولقيهم بظاهر حمص وكانت الدائرة على ملوك التتر وهلك خلق من عساكرهم وأسر آخرون وأجفل ابغا من منازلة الرحبة ورجعوا الى بلادهم منهزمين وهلك على اثر ذلك منكوتمر ملك الشمال ومنكوتمر بن هلاكو سنة احدى وثمانين ولما هلك منكوتمر ملك مكانه ابنه تدان وجلس على كرسي ملكهم بصراى فأقام خمس سنين ثم ترهب وخرج عن الملك سنة ست وثمانين وانقطع الى صحبة المشايخ الفقراء ولما ترهب تدان بن منكوتمر وخرج عن الملك ملك مكانه أخوه قلابغا وأجمع على غزو بلاد الكرك واستنفر نوغية بن تتر ابن مغل بن دوشي خان وكان حاكما على طائفة من بلاد الشمال وله استبداد على ملوك بني دوشي خان فنفر معه في عساكره وكانت عظيمة ودخلوا جميعا بلاد الكرك وأغاروا عليها وعاثوا في نواحيها وفصلوا منها وقد تمكن فصل الشتاء وملك السلطان مسافة اعتسف فيها البيداء وهلك أكثر عساكره من البرد والجوع وأكلوا دوابهم وسار نوغية من أقرب المسالك فنجا الى بلاده سالما من تلك الشدة فاتهمه السلطان قلابغا بالادهان في أمره وكان ينقم عليه استبداده حتى انه قتل امرأة كتعك وكانت متحكمة في أيام أبيه وأخيه وشكت الى نوغية فأمر بقتلها خنقا وقتل أميرا كان في خدمتها اسمه بطر فتنكر له قلابغا وأجمع الفتك به وأرسل يستدعيه لما طوى له

عليه ونمى الخبر بذلك الى نوغينة فبالغ فى اظهار النصيحة والاشفاق على السلطان وخاطب أمه بأن عنده نصائح يودّ لو ألقاها الى السلطان فى خلوة فنمت ابنها عن رأيه فيه وأشارت عليه باستدعائه والاطلاع على ما عنده وجاء نوغينة وقد بعث عن جماعة من اخوة السلطان قلابغا كانوا يميلون اليه ومنهم طغطاى وبولك وصراى وتدان بنو منكوتمر بن طغان فجاؤا معه وقد هجم السلطان قلابغا وركب للقاء نوغينة فى قلة من عسكره وجاء نوغينة وقد أكمن له طائفة من العسكر فلما التقيا تحادثا مليا وخرج الكمناء وأحاطوا بالسلطان وقتلوه سنة تسعين وستمائة طغطاى ابن منكوتمر ولما قتل قلابغا ولوا مكانه طغطاى لوقته ورجع نوغينة الى بلاده وبعث الى طغطاى فى قتل الامراء الذين داخلوا قلابغا فى قتله فقتلهم طغطاى أجمعين ثم تنكر طغطاى لنوغينة لما كان عليه من الاستبداد وأنف طغطاى منه وأظلم الجو بينهما واجتمع أعيان الدولة الى نوغينه فكان على طغطاى واصهر الى طاز بن منجك منهم بابنته فسار اليه طغطاى ولقيه نوغينة فهزمه واعترضه نهر مل فغرق كثير من عسكره ورجع نوغينة عن اتباعه واستولى على بلاد الشمال وأقطع سبطه قراجا بن طشتمر سنة ثمان وسبعين مدينة القرم وسار اليها لقبض أموالها فأضافوه وبيتوه وقتلوه من ليلته وبعث نوغينة العساكر الى القرم فاستباحوها وما يجاورها من القرى والضياع وخرب سائرها وكان نوغينة كثير الايثار لاصحابه فلما استبد بأمره آثر ولده على الامراء الذين معه وحسدوا عليهم وكان رديفه من ملك المغل اباجى بن قرمش وأخوه قراجا فلما آثر ولده عليهما نزعا الى طغطاى فى قومهما وسار ولد نوغينة فى اتباعهما فرجع بعضهم واستمر الباقون وقتل ولد نوغينه من رجع معه من أصحاب اباجى وقراجا وولدهم فامتعض لذلك أمراء المغل الذين معه ولحقوا بطغطاى واستحثوه لحرب نوغينة فجمع وسار اليه سنة تسع وتسعين بجكوكانلك فانهزمت عساكر نوغينة وولده وقتل فى المعركة وحمل رأسه الى طغطاى فقتل قاتله وقال السوقة لا تقتل الملوك واستبيح معسكر نوغينة وبيع سباياهم وأسراهم فى الاقطار وكان بمصر منهم جماعة استرقوا بها وانتظموا فى ديوان جندها ولما هلك نوغينة خلفه فى أعماله ابنه جكك وانتقض عليه أخوه فقتله فاستوحش لذلك أصحابه وأجمعوا الفتك به وتولى ذلك نائبه طغر وصهره على أخته طاز بن منجك ونمى الخبر بذلك اليه وهو فى بلاد اللان والروس غاز يا فهرب ولحق ببلاده ثم لحق به عسكره فعاد الى حربهم وغلبهم على البلاد ثم أمدهما طغطاى على جكا بن نوغينة فانهزم ولحق ببلاد أولاق وحاول الامتناع ببعض القلاع من بلاد أولاق وفيها صهره فقبض عليه صاحب القلعة

واستخدم به الطغطاى فأمره بقتله سنة احدى وسبعمائة ونجا أخوه طراى وابنه
قرا كسك شريدين وخلا الجو لطغطاى من المنازعين والمخالفين واستقرت فى الدولة
قدمه وقسم أعماله بين أخيه صراى بغا وبين ابنيه وأنزل منكلى بغا من ابنيه فى عمل نهر
طنا بما يلى باب الحديد ثم رجع صراى بن نوغية من مفره واستذم بصراى بغا أخى
طغطاى فأذمه وأقام عنده فلما أنس به كشف له القناع عما فى صدره واستهواه
للانتقاض على أخيه طغطاى وكان أخوهما أكبر منه وكان مقيما
عند طغطاى فركب اليه صراى بغا ليفاوضه فى الشأن فاستعظمه واطلع عليه أخاهما
طغطاى فأمره لوقته باحضار أخيه صراى بغا وصراى بن نوغية وقتلهما واستضاف
عمل أخيه صراى بغا الى ابنه ايل بهادر ثم بعث فى طلب قرا كسك بن نوغية فأبعد فى
ناحية الشمال واستذم ببعض الملوك هنالك ثم هلك سنة تسع وسبعمائة أخوه بذلك
وابنه ايل بهادر وهلك طغطاى بعدهما سنة ثنتى عشرة والله تعالى أعلم

(أزبك بن طغرلجاى بن منكوتمر)

ولما هلك طغطاى بايع نائبه قطلتمر لازبك ابن أخيه طغرلجاى باشارة الخاتون تنوفالون
زوج أبيه طغرلجاى وعاهده على الاسلام فأسلم واتخذ مسجدا للصلاة وأنكر عليه
بعض أمرائه فقتله وتزوج الخاتون شالون وكانت المواصلة بين طغطاى وبين ملوك
مصر ومات طغطاى ورسله عند الملك الناصر محمد بن قلاون فرجعوا الى ازبك مكرمين
وجددا ازبك الولاية معه و قطلتمر فى بعض كرائمهم يرغبه وعين له بنت بذلك
أخى طغطاى وتكررت الرسالة فى ذلك الى أن تم الامر وبعثوا بكريمتهم المخطوبة الى
مصر فعقد عليها الناصر وبنى بها كما مر فى أخباره ثم حدثت الفتنة بين ازبك وبين ابى
سعيد ملك التتر بالعراق من بنى هلاكو وبعث ازبك عساكره الى اذربيجان وكان
بنو دوشى يدعون أن توريز ومراغة لهم وأن القان لما بعث هلاكو لغزو بلاد
الاسماعيلية وفتح بغداد استكثر من العساكر وسار معه عسكر أهل الشمال هؤلاء
وقررت لهم العلوفة بتوريز ولما مات هلاكو طلب بركة من ابنه ابغا أن يأذن له فى بناء
جامع تبريز ودار لنسج الثياب والطرز فأذن له فبناهما بذلك ثم اصطلحوا
وأعيدت دعوى بنو دوشى خان أن توريز ومراغة من أعمالهم ولم يزالوا مطالبين بهذه
الدعوة فلما وقعت هذه الفتنة بين ازبك وأبى سعيد اقتحم أمره بغزو موقان فبعث
العساكر اليها سنة تسعة عشر فاكتسحوا نواحيها ورجعوا وجمع جوبان على
دولته وتحكمه فى بنى جنكزخان وأنه يأنف أن يكون براق بن سنتف بن منكوقان
ابن حفطاى ملكا على خوارزم فأغزاه ازبك ذلك خراسان وأمده بالعساكر مع نائبه

قطلقمر وسار سيول لذلك و بعث أبو سعيد نائبه جوبان لدافعتهم فلم يطق وغلب سيول على كثير من خراسان وصالحه جوبان عليها وهلك سيول سنة عشرين ثم عزل ازبك نائبه قطلقمر سنة احدى وعشرين وولى مكانه عيسى كوكز ثم رده سنة أربع وعشرين الى نيابته ولم تزل الحرب متصلة بين أزبك وأبي سعيد الى أن هلك أبو سعيد سنة ست وثلاثين ثم هلك القان في هذه السنة ولما هلك ازبك بن طغرلجاي ولى مكانه ابنه جاني بك وكان أبو سعيد قد هلك قبله كما قلناه ولم يعقب وولى مكانه على العراق الشيخ حسن من أسباط ابغا بن هلاكو وافترق الملك في عمالاتهم طوائف وردد جاني بك العساكر الى خراسان الى أن ملكها سنة ثمان وخمسين ثم زحف الى اذربيجان وتوريز وكان قد غلب عليها الشيخ الصغير ابن دمرداش بن جوبان وأخوه الاشرف من بعده كما يذكر في أخبارهم ان شاء الله تعالى فزحف جاني بك في العساكر الى اذربيجان بتلك المطالبة التي كان سلفه يدعون بها فقتل الاشرف واستولى على توريز واذربيجان وانكفأ راجعا الى خورستان بعدان ولى على توريز ابنه بردبيك واعتل جاني بك في طريقه ومات

(بردبيك بن جاني)

ولما اعتل جاني في ذهابه من توريز الى خراسان طير أهل الدولة الخبر الى ابنه بردبيك وقد استخلفه في توريز فولى عليها أميرا من قبله وأغذ السير الى قومه ووصل الى صراى وقد هلك أبوه جاني فولوه مكانه واستقل بالدولة وهلك لثلاث سنين من ملكه

(ماماي المتغلب على مملكة صراى)

ولما هلك بردبيك خلف ابنه طغطمش غلاما صغيرا وكانت أخته بنت بردبيك تحت كبير من أمراء المغل اسمه ماماي وكان متحكما في دولته وكانت مدينة القرم من ولايته وكان يومئذ غائبا بها وكان جماعة من أمراء المغل متفرقين في ولايات الاعمال بنواحي صراى ففرقوا الكلمة واستبدوا بأعمالهم فتغلب حاجي شركس على ناحية منج طرخان وتغلب أهل خان على عمله وايبك خان كذلك وكانوا كلهم يسمون أمراء الميسرة فلما هلك بردبيك وانقرضت الدولة واستبد هؤلاء في النواحي خرج ماماي الى القرم ونصب صبيا من ولد أزبك القان اسمه عبد الله وزحف به الى صراى فهرب منها طغطمش ولحق بمملكة أرص خان في ناحية جبال خوارزم الى مملكة بني جقطاي بن جنكزخان في سمرقند وما وراء النهر والمتغلب عليها يومئذ السلطان تمر من أمراء المغل وقد نصب صبيا منهم اسمه محمود وطغطمش وتزوج أمه واستبد عليه فأقام طغطمش هنالك ثم تنافس الامراء المتغلبون على أعمال صراى وزحف حاجي

شركس صاحب عمل منج طرخان الى ماماى فغلبه على صراى فملكها من يده وسار ماماى الى القرم فاستبدّ بها ولما زحف حاجى شركس من عمله بعث أرض خان عساكره من نواحى خوارزم فحاصروا منج طرخان وبعث حاجى العساكر اليهم مع بعض أمرائه فأعمل الحيلة حتى هزمهم عن منج طرخان وقتلهم وبالامير الذى يقودهم وشغل حاجى شركس بتلك الفتنة فزحف اليه ايلك خان وملك صراى من يده واستبدّ بها أياما ثم هلك وولى بعده بصراى ابنه قاريخان ثم زحف اليه أرض خان من جبال خوارزم فغلبه على صراى وهرب قاريخان بن ايلك خان وعادوا الى عملهم الاول واستقرّ أرض خان بصراى وماماى بالقرم ما بينه وبين صراى فى مملكته وكان هذا فى حدود أعوام سنة ست وسبعين وطغطمش فى خلال ذلك مقيم عند السلطان تمر فيما وراء النهر ثم طمحت نفس طغطمش الى ملك آبائه بصراى فجهز معه السلطان تمر العساكر وسار بها فلما بلغ جبال خوارزم اعترضه هنالك عساكر أرض خان فقاتلوه وانهزم ورجع الى تمر ثم هلك أرض خان قريبا من منتصف تلك السنة فخرج السلطان تمر بالعساكر مع طغطمش مددا له الى حدود عمله ورجع واستمرّ طغطمش فاستولى على أعمال أرض خان بجبال خوارزم ثم سار الى صراى وبها عمال أرض خان فملكها من أيديهم واسترجع ما تغلب عليه ماماى من ضواحيها وملك أعمال حاجى شركس فى منج طرخان وانتزع جميع ما كان بأيدى المتغلبين ومحا أثرهم وسار الى ماماى بالقرم فهرب أمامه ولم يوقف على خبره ثم صح الخبر بهلكه من بعد ذلك واستوسق الملك بصراى وأعمالها لطغطمش ابن برديبك كما كان لقومه

* (حروب السلطان تمر مع طغطمش صاحب صراى) *

قد ذكرنا فيما مرّ ظهور هذا السلطان تمر فى دولة بنى جغطاى وكيف أجاز من بخارى وسمرقند الى خراسان أعوام أربعة وثمانين وسبعمائة فنزل على هراة وبها ملك من بقايا الغورية فحاصرها وملكها من يده ثم زحف الى مازندان وبها الشيخ ولى تغلب عليها بعد بنى هلاكو فطالت حروبه معه الى أن غلبه عليها ولحق الشيخ ولى بتوريز فى فل من أهل دولته ثم طوى تمر الممالك طيا وزحف الى اصبهان فأتاه ابن المظفر بها طاعته ثم الى توريز سنة سبع وثمانين فملكها وخربها وكان قد زحف قبلها الى دست القفجاق بصراى فملكها من يد طغطمش وأخرجه عنها فأقام بأطراف الاعمال حتى أجاز تمر الى اصبهان فرجع الى كرسيه وكان للسلطان تمر قريب فى قومه يعرف بقمر الدين فراسله طغطمش صاحب صراى وأغراه بالانتقاض على تمر وأمدّه بالاموال والعساكر فعاث فى تلك البلاد وبلغ خبره الى تمر منصرفه من فتحه فكر راجعا وعظمت حروبه معه فى

الدين الى آن غلبه وحسم علته وصرف وجهه الى شانه الاول الزحف
الى طغطمش وسار طغطمش للقائه ومعه اغلان بلاط من أهل بيته فداخله تمر وجماعة
الامراء معه واستراب بهم طغطمش وقد حان اللقاء وتصافوا للحرب فصدم ناحية
من عسكر تمر وصدم من لقى فيها وتبدد عياله وافترق الامراء الذين داخلوا تمر وساروا
الى الثغور فاستولوا عليها وجاء طغطمش الى صراى فاسترجعها وهرب اغلان بلاط الى
القرم فملكها وزحف اليه طغطمش فى العساكر فحاصرها وخالفه ارض خان
الى صراى فملكها فرجع طغطمش وانتزعها من يده ولم تزل عساكره تختلف الى القرم
وتعاهدها بالحصار الى أن ملكها وظفر باغلان بلاط فقتله وكان السلطان تمر بعد
فراغه من حروبه مع طغطمش سار الى اصبهان فملكها أيضا واستوعب ملوك بنى المظفر
بالقتل واتنظم له أعمالهم جميعا فى مملكته ثم زحف الى بغداد فملكها من يد
أحمد بن أويس سنة خمس وتسعين كما مر ذكره ولحق أحمد بالسلطان الظاهر صاحب
مصر مستصرخا به فخرج معه فى العساكر وانتهى الى الفرات وقد سار تمر عن بغداد الى
ماردين فحاصرها وملكها وامتنعت عليه قلعتها فعاج من هنالك الى حصون الاكراد
ثم الى بلاد الارمن ثم الى بلاد الروم وبعث السلطان الظاهر صاحب مصر العساكر
مدد الابن أويس فسار الى بغداد وبها شرذمة من عسكر تمر فملكها من أيديهم ورجع
الملك الظاهر الى مصر وقد أظل الشتاء ورجع تمر الى نواحى أعماله فأقام فى عمل قراباق
ما بين اذربيجان وهمذان والابواب ثم بلغ الخبر الى تمر فسار من مكانه ذلك الى محاربة
طغطمش وعميت أنباؤه مدة ثم بلغ الخبر آخر سنة سبع وتسعين الى السلطان
بأن تمر ظفر بطغطمش وقتله واستولى على سائر أعماله والله غالب على أمره انتهى

(ملوك غزنة وباميان من بنى دوشى خان)

كانت اعمال غزنة وباميان هذه قد صارت لدوشى خان وهى من اعمال ماوراء
النهر من جانب الجنوب وتتاخم سجستان وبلاد الهند وكانت فى مملكة بنى خوارزم
شاه فملكها التتر لاول خروجهم من أيديهم وملكها جنكزخان لابنه دوشى خان
وصارت لابنه أردنو ثم لابنه انجى بن أردنو وهلك على رأس المائة السابعة وخلف
من الولد بيان وكبك ومنغطاى وانقسمت الاعمال بينهم وكان كبيرهم بيان فى غزنة
وقام بالملك بعد انجى ابنه كبك وانتقض عليه أخوه بيان واستمد بطغطاى صاحب
صراى فامده بأخيه بذالك واستنجد كبك بقندو فأمده ولم يغن عنه وانهزم ومات سنة
تسع وسبعمائة واستولى بيان على الاعمال وأقام بغزنة وزحف اليه قوشناى ابن أخيه
كبك واستمد بقندو وغلب عمه على غزنة ولحق بيان بطغطاى واستقر قوشناى بغزنة

و يقال ان الذى غلب عليها اغاهو أخوه طغطاى ولم نقف بعد على شئ من أخبارهم والله تعالى أعلم بغيبه وأحكم

(ملوك القفجاق بصراى)

طغطمش بن جانى بك بن ازبك بن طغرلجاه بن منكوتمر بن طغان بن باطوخان بن دوشى خان بن جنكزخان

بردبيك

قلابقا

طغطاى

صرحو

بركة

تولنباى بن كيلدى بن قيحى بن اردقوا

مغنطاى

دولة بني هلاكو ملوك التتر بالعراقين وخراسان ومبادي أمورهم وتصاريف أحوالهم

قد تقدم لنا أن جنكزخان عهد بالتخت وهو كرسي الملك بقراقوم لابنه أوكداي ثم ورثه من بعده كفود بن أوكداي وان الفتنة وقعت بينه و بين صاحب الشمال من بني جنكزخان وهو ناطو بن دوشي خان صاحب التخت بصراي وسار اليه في جموع المغل والتتر وهلك في طريقه وسلم المغل الذين معه التخت لناطو فامتنع من مباشرته بنفسه وبعث اليه أخاه منكوفان وبعث معه بالعساكر أخويه الآخرين قبلاي وهلاكو ومعهما أخوهما بركة ليجلسه على التخت فأجلسه سنة خمسين وذكرنا سبب اسلام بركة عند مرجعه وأن منكوفان استقل بالتخت وولى بني جغطاي بن جنكزخان على بلاد ماوراء النهر امضاء لوصية جنكزخان وبعث أخاه هلاكو لتدويخ عراق العجم وقلاع الاسماعيلية ويسمون الملاحدة والاستيلاء على ممالك الخليفة

(هلاكو بن طولي)

ولما بعث منكوفان أخاه الى العراق فسار لذلك سنة ثنتين وخمسين وستمائة وفتح الكثير من قلاعهم وضيق بالحصار مخنقهم وولى خلال ذلك في كرسي صراي بالشمال بركة بن ناطو بن دوشي خان فحدثت الفتنة بينه و بين هلاكو ونشأت من الفتنة الحرب وسار بركة ومعه نوغان بن ططر بن مغل بن دوشي خان والتقوا على نهر نول وقد جمد ماؤه لشدة البرد وانخسف من تحته فانهزم هلاكو وهلك عامة عسكره وقد ذكرنا أسباب الفتنة بينهما ثم رجع هلاكو الى بلاد الاسماعيلية وقصد قلعة الموت وبها صاحبها علاء الدين فبلغه في طريقه وصية من ابن العلقمي وزير المستعصم ببغداد في كتاب ابن الصلايا صاحب اربل يستحثه للمسير الى بغداد ويسهل عليه أمرها لما كان ابن العلقمي رافضيا هو وأهل محلته بالكرخ وتعصب عليهم أهل السنة وتمسكوا بان الخليفة والدوادار يظاهرونهم وأوقعوا بأهل الكرخ وغضب لذلك ابن العلقمي ودس الى ابن الصلايا باربل وكان صديقا له بأن يستحث التتر لملك بغداد وأسقط عامة الجند يموه بأنه يصانع التتر بعطائهم وسار هلاكو والتتر الى بغداد واستنفر بجو مقدم التتر ببلاد الروم فيمن كان معه من العساكر فامتنع أولا ثم أجاب وسار اليه ولما أطل هلاكو على بغداد في عساكره برز للقائه ايبك الدوادار في عساكر المسلمين فهزموا عساكر التتر ثم تراجع التتر فهزموهم واعترضهم دون بغداد بثوق

انبثقت في ليلتهم تلك من دجلة فحالت دونهم فقتلوا أجمعين وهلك ايبك الدوادار
وأسر الامراء الذين معه ورجعوا الى البلد فحاصروها مدة ثم استأمن ابن العلقمي
للمستعصم ولنفسه بأن هلاكو يستبقيه فخرج اليه في موكب
من الاعيان وذلك في محرم سنة ست وخمسين وتقبض على المستعصم فشدخ بالمعاول
في عدل تجافيا عن سفك دمه بزعمهم ويقال ان الذي أحصى فيها من القتلى ألف ألف
وثلثمائة ألف واستولوا من قصور الخلافة وذخائرها على ما لا يحصره العدد والضبط
وألقيت كتب العلم التي كانت في خزائنهم بدجلة معاملة بزعمهم لما فعله المسلمون بكتب
الفرس عند فتح المدائن واعتزم هلاكو على اضرام بيوتها نارا فلم يوافقه أهل مملكته
واستبق ابن العلقمي على الوزارة والرتبة ساقطة عندهم فلم يكن قصارى أمره
الا الكلام في الدخل والخرج متصرفا من تحت آخر أقرب الى هلاكو منه فبقي
على ذلك مدة ثم اضطرب وقتله هلاكو ثم بعث هلاكو بعد فتح بغداد بالعساكر الى
ميافارقين وبها الكامل محمد بن غازي بن العادل فحاصروها سنين حتى جهد الحصار
أهلها ثم اقتحموها عنوة واستلحموا حاميتها ثم بعث اليه بدر الدين لؤلؤ صاحب الموصل
ابنه ركن الدين اسمعيل بالطاعة والهدية فتقبله وبعثه الى القان الاعظم منكوقان
بقراقوم وأبطأ على لؤلؤ خبره فبعث بالولدين الآخرين شمس الدين اسحق وعلاء الدين
بهدية أخرى ورجعوا اليه بخبر ابنه وقرب ايابه فتوجه لؤلؤ بنفسه الى هلاكو ولقيه
باذربيجان وحضر حصار ميافارقين وجاءه ابنه ركن الدين من عند منكوقان بولاية
الموصل وأعمالها ثم هلك سنة سبع وخمسين وولي ابنه ركن الدين اسمعيل ويلقب
الصالح وبعث هلاكو عسكرا الى اربل فحاصرها ستة أشهر وامتنعت فأفرجت عنها
العساكر فاغتنم ابن الصلايا الفرصة ونزل عنها لشرف الدين الكردي ولحق بهلاكو
فقتله وكان صاحب الشأم يومئذ الناصر بن العزيز محمد بن الظاهر غازي بن صلاح الدين
فلما بلغه استيلاء هلاكو على بغداد بعث اليه ابنه بالهدايا والمصانعة والعذر عن الوصول
بنفسه لمكان الافرنج من سواحل الشأم فقبل هديته وعذره ورجع ابنه بالمواعيد
ولم يتم لهلاكو الاستيلاء على الجزيرة وديار بكر وديار ربيعة وانتهى ملكه الى
الفرات وتاخم الشأم وعبر الفرات سنة ثمان وخمسين فملك البيرة ووجد بها السعيد
أخا الناصر بن العزيز معتقلا فأطلقه ورده الى عمله بالصبيبة وبانياس ثم سار الى حلب
فحاصرها مدة ثم ملكها ومن عليه وأطلقه ووجد بها المعتقلين من البحرية مماليك
الصالح أيوب الذين حبسهم الناصر وهم سنقر الاشقر وتنكز فأطلقهم
وكان معهم أمير من أكابر القفجاق لحق به واستخدم له فجعلهم معه وولى على البلاد

التي ملكها من الشأم ثم جهز العساكر الى دمشق وارتحل الناصر الى مصر ورجع عنه
الصالح بن الاشرف صاحب حمص الى هلاكو فولاه دمشق وجعل نوابه بها النظره
وبلغ الناصر الى ثم استوحش الخليفة من قطز سلطان مصر لما كان
بينهما من الفتنة فخرج الى هلاكو فأقبل عليه واستشاره في ازال الكتائب بالشأم
فسهل له الامر في عساكر مصر ورجع الى رأيه في ذلك وترك نائبه كيبغا من أمراء
التتر في خف من الجنود فبعث كيبغا الى سلطان مصر وأساء رسله بمجلس السلطان
في الخطاب بطلب الطاعة فقتلهم وسار الى الشأم فلقي كيبغا بعين جالوت فانهزمت
عساكر التتر وقتل كيبغا أميرهم والسعيد صاحب الصبيبة أخو الناصر كان حاضرا
مع التتر فقبض عليه وقتل صبرا ثم بعث هلاكو العساكر الى البيرة والسعيد بن لؤلؤ
على حلب ومعه طائفة من العساكر فبعث بعضهم لمدافعة التتر فانهزموا وحنق
الامراء على السعيد بسبب ذلك وحبسوه وولوا عليهم حسام الدين الجوكندار
وزحف التتر الى حلب فأجفل عنها واجتمع مع صاحبها المنصور على حمص وزحفوا
الى التتر فهزموهم وسار التتر الى افامية فحاصروها وهاوا ماوراءها وارتحلوا الى
بلادهم وبلغ الخبر الى هلاكو فقتل الناصر صاحب دمشق لاتهامه اياه فيما أشار به
من الاستهانة بأهل مصر وكان هلاكو لما فتح الشام سنة ثمان وخمسين بلغه مهلك
أخيه القان الاعظم منكوقان في مسيره الى غزو بلاد الخطا فطمع في القانية وبادر
لذلك فوجد أخاه قبلاي قد استقل فيها بعد حروب بدت بينه وبين أخيه ازبك تقدم
ذكرها في أخبار القان الاعظم فشغل بذلك عن أمر الشأم ثم لما يئس من القانية
قنع بما حصل عنده من الاقاليم والاعمال ورجع الى بلاده والاقاليم التي حصلت بيده
اقليم خراسان كرسيه نيسابور ومن مدنه طوس وهراة وترمذ وبلخ وهمذان ونهاوند
وكنجة عراق العجم كرسيه اصبهان ومن مدنه قزوين وقم وقاشان وشهرزور وسجستان
وطبرستان وطلان وبلاد الاسماعيلية عراق العرب كرسيه بغداد ومن مدنه الدينور
والكوفة والبصرة اذربيجان وكرسيه توريز ومن مدنه حران وسلماس وقفجاق
خوزستان كرسيها تستر ومن مدنها الاهواز وغيرها فارس كرسيها شيراز ومن مدنها كش
ونعمان وبحل رزون والبحرين ديار بكر كرسيها الموصل ومن مدنها ميافارقين ونصيبين
وسنجار واسعردود نيسر وحران والرها وجزيرة ابن عمر بلاد الروم كرسيها قونية ومن
مدنها ملطية واقصرا وأوزنكار وسيواس وانطاكية والعلايا ثم اجلاء احمد الحاكم
خليفة مصر فزحف الى بغداد وهذا الحاكم هو عم المستعصم لحق بمصر بعد الواقعة
ومعه الصالح بن لؤلؤ بعد أن ازاله التتر من الموصل فنصب الظاهر بيبرس أحمد هذا

في الثلاثة سنة تسع وخمسين وبعثه لاسترجاع بغداد ومعه الصالح بن لؤلؤ على الموصل فلما أجازوا الفرات وقاربوا بغداد كبسهم التتر بأبين هيت وعانة فكبسوا الخليفة وفر ابن لؤلؤ وأخواه الى الموصل فنازلهم التتر سبعة أشهر ثم اقتحموها عليهم عنوة وقتلوا الصالح وخشي الظاهر بيبرس غائلة هلاكو ثم ان بركة صاحب الشمال قد بعث الى الظاهر سنة   باسلامه فجعلها الظاهر وسيلة للوصلة معه والاتحاد وأغراه بهلاكو لما بينهما من الفتنة فسار بركة لحربه وأخذ بحجزته عن الشأم ثم بعث هلاكو عساكر التتر لحصار البيرة ومعه درباي من أكابر أمراء المغل وأردفه بابنه ابغا وبعث الظاهر عساكره لانجاد أهلها فلما أطلوا على عسكر درباي وعاينهم أجفل وترك الخيم والآلة ولحق بابغا منهزما فاعتقله وسخطه ثم هلك هلاكو سنة ثنتين وستين لعشر سنين من ولايته العراق والله أعلم

(ابغا بن هلاكو)

ولما هلك هلاكو ولي مكانه ابنه ابغا وسار لاول ولايته لحرب بركة صاحب الشمال فسرح اليه بركة العساكر مع قريبه نوغاي بن ططر بن مغل بن دوشي خان ومع سنتف بن منكوقان بن جغطاي بن جنكزخان وخام سنتف عن اللقاء ورجع منهزما وأقام نوغاي فهزم ابغا وأثخن في عساكره وعظمت منزلته بذلك عند بركة ثم بعث سنة احدى وسبعين عساكره مع درباي لحصار البيرة وعبر الظاهر اليهم الفرات وهزمهم وقتل أميرين مع درباي ولحق درباي بابغا منهزما فسخطه وأدال منه بابطاي وفي سنة ثنتين وسبعين زحف ابغا الى تكدار بن موجي بن جغطاي بن جنكزخان وكان صاحبه فاستنجد بابن عمه براق بن سنتف بن منكوقان بن جغطاي فأمده بنفسه وعساكره واستنفر ابغا عساكر الروم وأميرهم طمغان والبرواناة والتقى الجمعان ببلاد الكرج فانهزم تكدار ولجأ الى جبل هنالك حتى استأمن ابغا فأمنه وعهد ان لا يركب فرسا فارها ولا يمس قوسا ثم نمي الى ابغا ان الظاهر صاحب مصر سار الى بلاد الروم فبعث العساكر اليها مع قائدين من قواد المغل وهما تدوان وتغوا فسارا وملك الظاهر قيسارية من تخوم بلادهم وبلغ الخبر الى ابغا فجاء بنفسه الى موضع الهزيمة وعاين مصارع قومه ولم يسمع ذكرا لاحد من عسكر البرواناة انه صرع فاتهمه وبعث عنه بعد مرجعه فقتله ثم سار ابغا سنة ثمانين وعبر الفرات ونازل الرحبة وبعث الى صاحب ماردين فنزل معه هنالك وكان منكوتمر ابن أخي بركة ملك صراي فسار بعساكره من المغل وحشود الكرج والارمن والروم ومر بقيسارية وابلستين وأجاز الدربند الى   فنازلها وبعث ابغا

اليه بالعساكر مع أخيه منكوتمر بن هلاكو وأقام هو على الرحبة وزحف الظاهر من مصر فى عساكر المسلمين فلقيهم على حمص وانهزم التتر هزيمة شنعاء هلك فيها عامة عساكرهم وأجفل ابغا من حصار الرحبة وهلك أخوه منكوتمر بن هلاكو مرجعه من تلك الواقعة يقال مسموما وانه مر ببعض أمرائه بجزيرة تسمى موموا غا كان يضطغن له بعض الفعلات فسقاه سما عند مروره به وهرب الى مصر فلم يدركوه وانهم قتلوا ابناءه ونساءه ثم هلك ابغا سنة احدى بعدها ويقال مسموما أيضا على يد وزيره الصاحب شمس الدين الجوينى مشير دولته وكبيرها لحمله الخوف على ذلك والله سبحانه وتعالى أعلم

(تكدار بن هلاكو ويسمى أحمد)

ولما توفى ابغا كما ذكرناه وكان ابنه أرغو غائبا بخراسان فبايع المغل لاخيه تكدار فأسلم وتسمى أحمد وخاطب بذلك الملوك لعصره وأرسل الى مصر يخبرهم ويطلب المساعدة وجاء بذلك قاضى سيواس قطب الدين الشيرازى وأتابك بلاد الروم وابن الصاحب من وراء ماردين وكان أخوه قنقرطاى مع صمغان الشحنة فبعث تكدار عن أخيه فامتنع من الاجابة وأجاره غياث الدين كيخسرو صاحب بلاد الروم فتوعده تكدار فخاف منه وسار هو وقنقرطاى الى تكدار فقتل أخاه وحبس غياث الدين وولى مكانه أخاه عز الدين وأدال من صمغان الشحنة باولاطو من أمراء المغل ثم جهز العساكر الى خراسان لقتال أخيه أرغو فسار اليهم أرغو وكبسهم وهزمهم وقتل فيهم فسار تكدار بنفسه فهزم أرغو وأسره وأثخن فى عساكره وقتل اثنى عشر أميرا من المغل فاستوحش أهل معسكره وكانوا ينقمون عليه اسلامه فثاروا عليه وقتلوا نائبه ثم قتلوه سنة ثلاث وثمانين وبعثوا الى أرغو بن ابغا بطاعتهم والله تعالى أعلم

(أرغو بن ابغا)

ولما ثار المغل على تكدار وقتلوه وبعثوا بطاعتهم الى أرغو نجاء وولوه أمرهم فقام بسلطانه وقتل غياث الدين كيخسرو صاحب بلاد الروم فى محبسه اتهمه بمداهنته فى قتل عمه قنقرطاى وتقبض لاول ولايته على الوزير شمس الدين الجوينى وكان متهما بأبيه وعمه فقتله وولى على وزارته سعد اليهودى الموصلى ولقبه سعد الدولة وكان عالما بالحكمة وولى ابنيه قازان وخربندا على خراسان لنظر نيروز أتابكه ولما فرغ من أمور ملكه وكان قد عدل عن دين الاسلام واحب دين البراهمة من عبادة الاصنام وانتحال السحر والرياضة له ووفد عليه بعض سحرة الهند فركب له دواء لحفظ الصحة واستدامتها

ف أصابه منه صرع فمات سنة سبعين والله سبحانه وتعالى أعلم

(كيخاتو بن ابغا)

ولما هلك أرغو بن ابغا وابناه قازان وخربندا غائبان بخراسان اجتمع المغل على أخيه كيخاتو فبايعوه وقدموه للملك ثم ساءت سيرته وأفحش في المناكر واباحة الحرمات والتعرض للغلمان من أبنائهم وكان في عسكره بيدو بن عم طرغاي بن هلاكو فاجتمع اليه أمراء المغل وبايعوه سرا وشعر بهم كيخاتو ففر من معسكره الى جهة زمان وساروا في اثره فأدركوه بأعمال غان وقتلوه سنة ثلاث وتسعين لثلاث سنين وأشهر من ولايته والله تعالى أعلم

(بيدو بن طرغاي بن هلاكو)

ولما قتل أمراء المغل كيخاتو بن ابغا بايعوا مكانه لابن عمه بيدو بن طرغاي بن هلاكو وكان قازان بن أرغو بخراسان فسار لحرب بيدو ومعه الاتابك نيروز فلما تقاربا للقاء تردد الناس بينهما في الصلح على أن يقيم نيروز الاتابك عند بيدو واصطلحا وعاد قازان ثم أرسل نيروز الاتابك الى قازان يستحثه فسار من خراسان ولما بلغ الخبر الى بيدو فاوض فيه نيروز الاتابك فقال انا أكفيكه فصبر حتى أتى اليه فسرحه ولما وصل الى قازان أطلعه على شأن أمراء بيدو وانهم راغبون عنه وحرضه على المسير فامتعض لذلك بيدو وسار للقائهم فلما التقى الجمعان انتقض عليه أمراؤه بمداخلة نيروز فانهزم ولحق بنواحي همذان فأدرك هنالك وقتل سنة خمس وتسعين لثمانية أشهر من ملكه والله سبحانه وتعالى أعلم

(قازان بن أرغو)

ولما انهزم بيدو وقتل ملك على المغل مكانه قازان بن أرغو وجعل أخاه خربندا واليا على خراسان وجعل نيروز الاتابك مدبر المملكته وسعى لاول أمره في التدبير على طرغاي من أمرائه ومواليه من المغل الذى داخل بيدو في قتل كيخاتو الذى تولى كبر ذلك فخافه طرغاي على نفسه وكان نازلا بين بغداد والموصل فبعث الى كيبغا العادل صاحب مصر والشأم يستأذنه في اللحاق به ثم ولى قازان على ديار بكر أميرا من أشياعه اسمه مولان فهزمه وقتل الكثير من أصحابه ونجا الى الشأم وبعث كيبغا من تلقاه وجاء به الى مصر ودخل مجلس الملك ورفع مجلسه فيما قبل ان يسلم واستقر هو وقومه الاويراتية بمصر وأقطع لهم وكان ذلك داعيا الى الفتنة بين الدولتين ثم قتل قازان الاتابك نيروز وذلك أنه استوحش من قازان وكاتب لاشين سلطان مصر والشأم

المتولي بعد كيبغا وأحس نيروز بذلك فلحق بهراة مستجيرا بصاحبها وهو فخر الدين ابن شمس الدين كرت صاحب سجستان فقبض عليه فخر الدين وأسلمه الى قطلوشاه فقتله وقتل قازان بعد ذلك أخويه ببغداد وهما حاجي ولكزي وقتل الصدر الصدر بالكتاب من مصر ثم كان بعد ذلك مفر شلامش بن ايال بن منجو الى مصر وكان أميرا في بلاد الروم على الطومار المجير فيها والطومار عندهم عبارة عن مائة ألف من العساكر عن قازان فارتاب به وأرسل الى لاشين يستأذنه في اللحاق به وبعث قازان العساكر اليه فقاتلوه وانفض عنه أكثر أصحابه ففر الى مصر وترك أهله وولده وبعث معه صاحب مصر العساكر لتلقي أهله ومروا بسيس فاعترضه عساكر التتر هنالك فهزموه وقتلوا أمير مصر الذي معه واعتصم هو ببعض القلاع فاستنزلوه منها وبعثوا به الى قازان فقتله وأقام أخوه قطقطو بمصر في جملة عسكرها ونشأت بعد ذلك الفتن بين قازان وأهل مصر ونزع اليه أمراء الشأم فلحق نائب وبكتمر نائب حلب والبكي الظاهري وعزاز الصالحين واستراب بسلطانهم الناصر محمد بن قلاون فلحقوا به واستحثوه الى الشأم وسار سنة تسع وسبعين في عساكر المغل والارمن ومعه نائبه قطلوشاه ومولى وجاء الملك الناصر من مصر في عساكر المسلمين ولما انتهى الى غزة اطلع على تدبير بعض المماليك عليه من أصحاب كيبغا ومداخلة الامراء الذين هاجروا من المغل الى مملكة مصر لهم في ذلك فسبق جميعهم وارتحل الى حمص للقاء التتر ثم سار فصبحهم بمرج المروج والتقى الجمعان وكانت الدبرة على المسلمين واستشهد منهم عدد ونجا السلطان الى مصر وسار قازان على التعبية فملك حمص واستوعب مخلف السلطان فيها ثم تقدم الى دمشق فملك المدينة وتقدم الى قفجاق لجباية أموالها ولحصار القلعة وبها علاء الدين سنجر المنصوري فامتنع وهدم ما حولها من العمران وفيها دار السعادة التي بها ايوان الملك وسار قازان الى حلب فملكها وامتنعت عليه القلعة وعاثت عساكره في البلاد وانتهت غاراتهم الى غزة ولما امتنعت عليه القلاع ارتحل عائدا الى بلده وخلف قطلوشاه في عساكر لجباية البلاد وحصار القلعة ويحيى بن جلال الدين لجباية الاموال وترك قفجاق على نيابة دمشق وبكتمر على نيابة حلب وحمص وحماة وكر الملك الناصر راجعا الى الشأم بعد ان جمع العساكر وبث العطاء وأزاح العلل وعلى مقدمته سرمز الجاشنكير وسلار كافلا مملكته فتقدموا الى حدود الشأم وأقام هو بالصالحية واستأمن اليهما قفجاق وبكتمر النائبان بدمشق وحلب وراجعا طاعة السلطان واستولى سرمز وسلار على الشأم ورجع قطلوشاه الى العراق ثم عاود قازان المسير الى الشأم سنة ثنتين وسبعين وعبر الفرات ونزل على الرحبة وكاتب أهل الشأم يخادعهم وقدم قطلوشاه

فأغار على القدس وبها احياء التركمان فقاتلوه ونالوا منه ونوقفوا هنالك وسار الناصر من مصر في العساكر ثالث شعبان ولقي قطلوشاه بمرج الصفر فهزمه بعد حرب شديدة وسار في اتباعهم الى الليل فاعتصموا بجبل في طريقهم وبات المسلمون يحرسونهم ثم تسللوا وأخذ القتل منهم كل مأخذ واعترضهم الوحل من أمامهم من شوقبثقت أهلهم بين نهر دمشق فلم منهم أحد وقدم الفل على قازان بنواحي ومرض هنالك ومات في ذي الحجة من السنة ويقال انه مات أسفا والله تعالى أعلم بالصواب

(خربندا بن أرغو)

ولما هلك قازان ولي بعده أخوه خربندا وابتدأ أمره بالدخول في دين الاسلام وتسمى بمحمد وتلقب غياث الدين وأقر قطلوشاه على نيابته ثم جهزه لقتال الكرد في جبال كيلان وقاتلهم فهزموه وقتلوه وولي مكانه جوبان بن تدوان وأقام في سلطانه حسن الدين معظما للخلفاء وكتب أسماءهم على سكته ثم صحب الروافض فساء اعتقاده وحذف ذكر الشيخين من الخطبة ونقش أسماء الائمة الاثني عشر على سكته ثم أنشأ مدينة بين قزوين وهمذان وسماها السلطانية وزلها وأنخذ بها بيتا الطيقا بلبن الذهب والفضة وأنشأ بازاء تها بستانا جعل فيه أشجار الذهب بثمر اللؤلؤ والفصوص وأجرى اللبن والعسل أنهارا وأسكن به الغلمان والجوارى تشبيها له بالجنة وأخذ في التعرض لحرمات قومه ثم سار الى الشأم سنة ثلاث عشرة وعبر الفرات ونزل الرحبة ورجع ثم هلك ويقال مات مسموما على يد بعض أمرائه سنة ست عشرة والله تعالى أعلم

(أبو سعيد بن خربندا)

ولما هلك خربندا خلف ابنه اباسعيد طفلا صغيرا ابن ثلاث عشرة سنة فاستصغره جوبان وأرسل الى أزبك ملك الشمال بصراي يستدعيه لملك العراقين فحذره نائبه قطلقتمر من ذلك وبايع جوبان لابي سعيد بن خربندا على صغره وبدأ أمره بقتل أبي الطيب رشيد الدولة فضل الله بن يحيى الهمذاني المتهم بقتل أبيه فقتله وكان متقدما في العلوم وسريا في الغاية وله تاريخ جمع فيه أخبار التتر وأنسابهم وقبائلهم وكتبه مشجرا كما في كتابنا هذا وكان جوبان يومئذ بخراسان يقاتل عليها سيول بن براق بن سنقف بن ماسان بن جغطاى صاحب خوارزم أغراه أزبك صاحب الشمال بخراسان وأمده بعساكره وكان جوبان مواقعه فلما هلك خربندا طمع سيول في الاستيلاء على خراسان وكاتب أمراء المغل بدولة أبي سعيد ترغيبهم فأطمعوه فسار

جوبان الى الاردن ومعناه بلغتهم العسكر والخيم وانتهى الى أبي سعيد خبر أمرائه فقتل منهم أربعين ورجع جوبان الى خراسان سنة ثمان عشرة وقد استولى سيول عليها وعلى طائفة من عراق العجم وبعث اليه أزبك صاحب الشمال نائبه قطلقتمر مددا في العساكر فلقيهم جوبان وكانت بينهم حروب وانتزع جوبان ما ملكه سيول من بلاد خراسان وصالحه على ما بقي ورجع ثم سار أزبك ملك الشمال الى مراغة فأغار عليها وغنم ورجع وأتبعه جوبان في العساكر فلم يدركه وهلك سيول سنة عشرين وارتجع أبو سعيد ما كان بيده من خراسان وكان أزبك صاحب الشمال ينقم على أبي سعيد استبداد جوبان عليه وتحكمه في بني جنكزخان ويحرض أهل النواحي على جوبان ويتوقع له المهالك وأوصل الملوك في النواحي للمظاهرة على جوبان وسلطانه أبي سعيد حتى لقد ظاهر صاحب مصر على مثل ذلك ولم يتم الصلح لابي سعيد معه كما مر في أخبارهم وجهز أزبك العساكر سنة عشرين لحرب جوبان فحاصرهم المدني بنهر كوزل الذي في حدود ملكهم فرجعوا ثم جهز جيشا آخر مع قطلقتمر نائبه وكان جوبان نائب أبي سعيد قد ولى على بلاد الروم ابنه دمرداش فزحف سنة احدى وعشرين الى بلاد سيس وافتتح منها قلاعا ثلاثا وخربها وبعث الى الملك الناصر يطلب المظاهرة في جهاد الارمن بسيس فبعث السلطان عساكره سنة ثنتين وعشرين ومعهم من المتطوعة عدد وحاصروا سيس ثم انعقد الصلح سنة ثلاث وعشرين بعدها بين الملك الناصر وبين أبي سعيد واستقامت الاحوال وحج أكابر المغل من قرابة أبي سعيد ملك التتر بالعراقين واتصلت المهاداة بينهما وسار نائبه جوبان سنة خمس وعشرين الى خراسان في العساكر وقد زحف اليه كبك بن سيول فجرت بينهما حروب وانهزم جوبان واستولى كبك على خراسان ثم كبسه جوبان فهزمه وأثخن في عساكره وغلبه على خراسان فعادت الى ملكة أبي سعيد وبينما جوبان مشتغل بتلك الفتنة والحروب في نواحي خراسان اذ بلغه الخبر بأن السلطان أبا سعيد تقبض على ابنه خواجا دمشق فلما بلغه الخبر بذلك انتقض وزحف اليه أبو سعيد فافترق عنه أصحابه ولحق بهراة فقتل بها سنة ست وعشرين وأذن أبو سعيد لولده أن ينقلوا شلوه الى تربته التي بناها بالمدينة النبوية على ساكنها افضل الصلاة والسلام ونقلوه فلم يقدر دفنه بها وتوقف أمير المدينة على اذن السلطان بمصر في ذلك فدفن بالبقيع ولما بلغ خبر جوبان لابنه دمرداش وهو أمير ببلاد الروم انزعج لذلك ولحق بمصر فيمن معه من الامراء والعساكر وأقبل السلطان الملك الناصر عليه وأحله محل التكرمة وجاءت على أثره رسل أبي سعيد يطلب حكم الله فيه لسعيه في الفساد والفتنة وأجابه السلطان الى ذلك على أن يفعل مثل ذلك في قراسنقر النازع

اليهم من أمراء الشام فأمضى ذلك فيهما جزاء بما قدمت أيديهما ثم تأكدت أسباب المواصلة والالتحام بين هذين السلطانين بالاصهار والمهاداة واتصل ذلك وانقطع زبون العرب وفسادهم بين المملكتين وهلك السلطان أبو سعيد سنة ست وثلاثين ولم يعقب ودفن بالسلطانية واختلف أهل دولته وانقرض الملك من بنى هلاكو وافترقت الاعمال التى كانت فى ملكهم وأصبحت طوائف فى خراسان وفى عراق العجم وفارس وفى اذربيجان كله فى عراق العرب وفى بلاد الروم كما نذكر ذلك والله وارث الارض ومن عليها واليه يرجعون

(اضطراب دولة بنى هلاكو وانقسام الملك طوائف فى أعمالهم وانفراد الشيخ حسن ببغداد واستيلاء بنيه معها على توريز وما كان لهم فيها من الملك والدولة وابتدائها ومصايرها)

لما هلك أبو سعيد بن خربندا ملك التتر بكرسى بغداد سنة ست وثلاثين ولم يعقب نصب امراء المغل الوزير غياث الدين وخلع اورخان ونصب للملك موسى خان من اسباطهم وقام بدولته الشيخ حسن بن حسين بن بيبغا بن ايلكان وهو ابن عمة السلطان أبى سعيد سبط ارغو بن ابغا ازله أبو سعيد بقلعة كانج من بلاد الروم ووكل به فلما هلك أبو سعيد

واعتقل عقاله وذهب أبو نور بن ماس عنى عليها وبلغه شأن أهل الدولة ببغداد فلم يرضه ونهض اليها فقتل على ماسا القائم بالدولة وعزل موسى خان الملك ونصب مكانه محمد بن عنبرجى وهو الذى تقدم فى ملوك التخت صحة نسبه الى هلاكو واستولى الشيخ حسن على بغداد وتوريز ثم سار اليه حسن بن دمرداش من مكان امارته وامارة أبيه ببلاد الروم وغلبه على توريز وقتل سلطانه محمد بن عنبرجى ولحق الشيخ حسن ببغداد واستقر حسن بن دمرداش فى توريز ونصب للملك أخت السلطان أبى سعيد اسمها صاليبك وزوجها السليمان خان من أسباط هلاكو واستقل بملك توريز وكان يعرف بالشيخ حسن الصغير لان صاحب بغداد كان يشاركه فى اسمه وهو أسن وأدخل فى نسب الخان فميز بالكبير وميز هذا بالصغير ولما استقل حسن الصغير بالملك والخان عنده عجز عنه الشيخ حسن الكبير وغلبته أمم التركمان بضواحى الموصل الى سائر بلاد الجزيرة فيقال انه أرسل الى الملك الناصر صاحب مصر بأن يملكه بغداد ويلحق به فيقيم عنده وطلب منه أن يبعث عساكره لذلك على أن يرهن فيهم ابنه فلم يتم ذلك لما اعترضه من الاحوال وافترقت مملكة بنى هلاكو فكان هو ببغداد والصغير بتوريز وابن المظفر بعراق العجم وفارس والملك حسين بخراسان واستولى على أكثرها ملك الشمال أزبك صاحب التخت بصراى من بنى دوشى خان بن جنكزخان ثم استوحش الشيخ حسن من سلطانه سليمان خان فقتله واستبد ثم هلك الشيخ حسن الصغير بن دمرداش بتوريز سنة أربع وأربعين وملك مكانه أخوه الاشرف ثم هلك الشيخ حسن الكبير ببغداد سنة سبع وخمسين والله تعالى أعلم

(أويس بن الشيخ حسن)

ولما هلك الشيخ حسن الكبير ببغداد ولى مكانه ابنه أويس وكان بتوريز الاشرف بن دمرداش فزحف اليه ملك الشمال جانى بك بن أزبك سنة ثمان وخمسين وملكها من يده ورجع الى خراسان بعد أن استخلف عليها ابنه واعتقل فى طريقه فكتب أهل الدولة الى ابنه بريدبك يستحثونه للملك فأغذ السير اليهم وترك توريز عاملها أخيجوخ فسار اليه أويس صاحب بغداد وغلبه عليها وملكها ثم ارتجعها منه أخيجوخ وأقام بها فزحف اليه ابن المظفر صاحب اصبهان وملكها من يده وقتله وانتظم فى ملكه عراق العجم وتوريز وتستر وخوزستان ثم سار أويس فانتزعها من يد ابن المظفر واستقرت فى ملكه ورجع الى بغداد وجلس على التخت واستفحل أمره ثم هلك سنة ست وسبعين حسين بن أويس وقد خلف بنين خمسة وهم الشيخ حسن وحسين والشيخ على وأبو يزيد وأحمد وكان وزيره زكريا وكبير دولته الامير عادل كان كافلا لحسين ومن

اقطاعه السلطانية فاجتمع أهل الدولة وبايعوا لابنه حسين بتوريز وقتلوا الشيخ حسن وزعموا أن أباهم أويسا أوصاهم بقتله وكان الشيخ علي بن أويس ببغداد فدخل في طاعة أخيه حسين وكان قنبر علي بادك من أمرائهم نائبا بتستر وخوزستان فبايع لحسين وبعث اليه بطاعته واستولى على دولته بتوريز زكريا وزير أبيه وكان اسمعيل ابن الوزير زكريا بالشام هاربا أمام أويس فقدم على أبيه زكريا وبعث به الى بغداد ليقوم بخدمة الشيخ علي فاستخلصه واستبد عليه فغلب شجاع بن المظفر على توريز وارتجعها منه ولما استقل حسين بتوريز كان بنو المظفر طامعين في ولايتها وقد ملكوها من قبل كامر وانتزعها أويس منهم فلما توفي أويس سار شجاع الى توريز في عساكره فأجفل عنها حسين بن أويس الى بغداد واستولى عليها شجاع ولحق حسين بأخيه الشيخ علي ووزيره اسمعيل ببغداد مستجيشا بهما فسرحوا معه العساكر ورجع أدراجه اليها فهرب عنها شجاع وحصن ملكه بها واستقر فيها

* (مقتل اسمعيل واستيلاء حسين على بغداد ثم ارتجاعها منه) *

كان اسمعيل مستبدا على الشيخ علي ببغداد كما قدمناه فتوثب به جماعة من أهل الدولة منهم مبارك شاه وقنبر وقراامحمد فقتلوه وعمه أمير أحمد منتصف احدى وثمانين واستدعوا قنبر علي بادك من تستر فولوه مكان اسمعيل واستبد على الشيخ علي ببغداد ونكر حسين عليهم ما أتوه وسار في عساكره من توريز الى بغداد ففارقها الشيخ علي وقنبر علي بادك الى تستر واستولى حسين على بغداد واستقدمه فاتهمه بممالاة أخيه الشيخ علي ولم يسده ونهض الشيخ علي من تستر الى واسط وجمع العرب من عبادان والجزيرة فأجفل أحمد من واسط الى بغداد وسار الشيخ علي في اثره فأجفل حسين الى توريز واستوسق ملك بغداد للشيخ علي واستقر كل ببلده والله تعالى أعلم

* (انتقاض أحمد واستيلاؤه على توريز ومقتل حسين) *

ولما رجع حسين من بغداد الى توريز عكف على لذاته وشغل بلهوه واستوحش منه أخوه أحمد فلحق بأردبيل وبها الشيخ صدر الدين واجتمع اليه من العساكر ثلاثة آلاف أو يزيدون فسار الى توريز وطرقها على حين غفلة فملكها واختفى حسين أياما ثم قبض عليه أحمد وقتله والله تعالى يؤيد بنصره من يشاء من عباده

* (انتقاض عادل ومسيره لقتال أحمد) *

كان الأمير عادل والياعلى السلطانية وكانت من أقطاعه فلما بلغه مقتل حسين امتعض له وكان عنده أبو يزيد بن أويس فسارا الى شجاع بن المظفر اليزدي صاحب

فارس يستصرخانه على الامير أحمد بن أويس فبعث العساكر لصريخهما وبرز الامير أحمد للقائهم ثم تقاربوا واتفقوا أن يستقر أبو يزيد فى السلطانية أميرا ويخرج الامير عادل عن مملكتهم ويقيم عند شجاع بفارس واصطلحوا على ذلك وعاد أبو يزيد الى السلطانية فأقام بها وأضر أمراؤه وخاصته بالرعايا فدسوا بالصريخ الى أحمد بتوريز فسار فى العساكر اليه وقبض عليه وكحله وتوفى بعد ذلك ببغداد

(مقتل الشيخ علي واستيلاء أحمد على بغداد)

لما قتل أحمد أخاه حسينا جمع الشيخ على العساكر واستنفر قرا محمد أمير التركمان بالجزيرة وسار من بغداد يريد توريز فبرز أحمد للقائه واستطرد له لما كان منه فبالغ فى اتباعه الى أن خفت عساكره فكر مستميتا وكانت جولة أصيب فيها الشيخ على بسهم فمات وأسر قرا محمد فقتل ورجع أحمد الى توريز واستوسق له ملكها ونهض اليه عادل ابن السلطان يروم فرصة فيه فهزمه ثم سار أحمد الى بغداد وقد كان استبد بها بعد مهلك الشيخ على خواجا عبد الملك من صنائعهم بدعوة أحمد ثم قام الامير عادل فى السلطانية بدعوة أبى يزيد وبعث الى بغداد قائدا اسمه برسق ليقيم بها دعوته فأطاعه عبد الملك وأدخله الى بغداد ثم قتله برسق ثانى يوم دخوله واضطرب البلد شهرا ثم وصل أحمد من توريز وخرج برسق القائد لمدافعته فانهزم وجىء به الى أحمد أسيرا فحبسه ثم قتله وقتل عادل بعد ذلك وكفى أحمد شره وانتظمت فى ملكه توريز وبغداد وتستر والسلطانية وما اليها واستوسق أمره فيها ثم انتقض عليه أهل دولته سنة ست وثمانين وسار بعضهم الى تمر سلطان بنى جغطاى بعد أن خرج من وراء النهر وملكه يومئذ واستولى على خراسان فاستصرخه على أحمد فأجاب صريخه وبعث معه العساكر الى توريز فأجفل عنها أحمد الى بغداد واستبد بها ذلك الثائر ورجع تمر الى مملكته الاولى وطمع طغطمش ملك الشمال من بنى دوشى خان فى انتزاع توريز من يد ذلك الثائر فسار اليها وملكها وزحف تمر فى عساكره سنة سبع وثمانين الى اصبهان وبعث العساكر الى توريز فاستباحها وخربها واستولى على تستر والسلطانية وانتظمهما فى أعماله وانفرد أحمد ببغداد وأقام بها

(استيلاء تمر على بغداد ولحاق أحمد بالشأم)

كان تمر سلطان المغل بعد أن استولى على توريز خرج عليه خارج من قومه فى بلاده يعرف بقمر الدين فجاءه الخبر عنه وأن طغطمش صاحب كرسى صراى فى الشمال أمده بأمواله وعساكره فكر راجعا من اصبهان الى بلاده وعميت أنباؤه الى سنة خمس

وسبعين ثم جاءت الاخبار بأنه غلب قمر الدين الخارج عليه ومحا أثر فساده ثم استولى
على كرسى صراى وأعمالها ثم خطى الى اصبهان وعراق العجم والرى وفارس وكرمان
فملك جميعها من بنى المظفر اليزدى بعد حروب هلك فيها ملوكهم وبادت جموعهم
وشد أحمد ببغداد عزائمه وجمع عساكره وأخذ فى الاستعداد ثم عدل الى مصانعته
ومهاداته فلم يغن ذلك عنه ومازال تمر يخادعه بالملاطفة والمراسلة الى أن فتر عزمه
وافترقت عساكره فنهض اليه يغذ السير فى غفلة منه حتى انتهى الى دجلة وسبق
النذير الى أحمد فأسرى بغلس ليله وحمل ما أقلته الرواحل من أمواله وذخائره وخرق
سفن دجلة ومر بنهر الحلة فقطعه وصبح مشهد على ووافى تمر وعساكره دجلة فى حادى
عشر شوال سنة خمس وتسعين ولم يجد السفن فاقتحم بعساكره النهر ودخل بغداد
واستولى عليها وبعث العساكر فى اتباع أحمد فساروا الى الحلة وقد قطع جسرها
فخاضوا النهر عندها وأدركوا أحمد بمشهد على واستولوا على أثقاله ورواحله فكر
عليهم فى جموعه واستماتوا وقتل الامير الذى كان فى اتباعه ورجع بقية التتر عنهم ونجا
أحمد الى الرحبة من تخوم الشأم فأراح بها وطالع نائبها السلطان بأمره فسرح بعض
خواصه لتلقيه بالنفقات والازواد وليستقدمه فقدم به الى حلب وأراح بها وطرقه
مرض أبطأ به عن مصر وجاءت الاخبار بأن تمر عاث فى مخلفه واستصفى ذخائره
واستوعب موجود أهل بغداد بالمصادرات لاغنيائهم وفقرائهم حتى مستهم الحاجة
وأقفرت جوانب بغداد من العيث ثم قدم أحمد بن أويس على السلطان بمصر فى شهر
ربيع سنة ست وتسعين مستصرخا به على طلب ملكه والانتقام من عدوه فأجاب
السلطان صريخه ونادى فى عسكره بالتجهز الى الشأم وقد كان تمر بعدما استولى على
بغداد زحف فى عساكره الى تكريت مأوى المخالفين وعش الحرابة ورصد السابلة
وأناخ عليها بجموعه أربعين يوما فحاصرها حتى نزلوا على حكمه وقتل من قتل منهم
ثم خربها وأقفرها وانتشرت عساكره فى ديار بكر الى الرها ووقفوا عليها ساعة من نهار
فملكوها وانتسفوا نعمها وافترق أهلها وبلغ الخبر الى السلطان فخيم بالزيدانية أياما
أزاح فيها علل عساكره وأفاض العطاء فى مماليكه واستوعب الحشد من سائر أصناف
الجند واستخلف على القاهرة النائب سودون وارتحل الى الشأم على التعبية ومعه
أحمد بن أويس بعد ان كفاه مهمه وسرب النفقات فى تابعه وجنده ودخل دمشق آخر
جمادى الاولى وقد كان أوعز الى جلبان صاحب حلب بالخروج الى الفرات واستنفار
العرب والتركمان للاقامة هنالك رصدا للعدو فلما وصل الى دمشق وفد عليه
جلبان وطالعه بمهماته وما عنده من أخبار القوم ورجع لانفاذ أوامره والفصل

فيما يطالعه فيه وبعث السلطان على أثره العساكر مددا له مع كمشبغا الاتابك وتكلتمش أمير سلاح وأحمد بن بيبقا وكان العدو تمر قد شغل بحصار ماردين فأقام عليها أشهرا وملكها وعاثت عساكره فيها واكتسحت نواحيها وامتنعت عليه قلعتها فارتحل عنها الى ناحية بلاد الروم ومر بقلاع الاكراد وأغارت عساكره عليها واكتسحت نواحيها والسلطان لهذا العهد وهو شعبان سنة وتسعين مقيم بدمشق مستجمع لمطاحنه والوثبة به متى استقبل جهته والله سبحانه وتعالى ولى التوفيق بمنه وكرمه

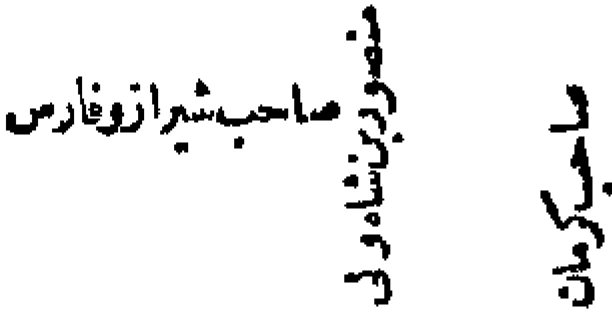
أحمد بن أويس ابن الشيخ حسن بن اقبغا بن ايلكان سبط ارغو بن ابغا

الشيخ حسن أويس أحمد

الخبر عن بنى المظفر اليزدى المتغلبين على اصفهان وفارس بعد انقراض دولة بنى هلاكو وابتداء أمورهم ومصايرها

كان أحمد المظفر من أهل يزد وكان شجاعا واتصل بالدولة أيام أبى سعيد فولوه حفظ السابلة بفارس وكان منها مبدأ أمرهم وذلك أنه لما توفى أبو سعيد سنة ست وثلاثين وسبعمائة ولم يعقب اضطربت الدولة ومرج أمر الناس وافترق الملك طوائف وغلب ازبك صاحب الشمال على طائفة من خراسان فملكها واستبد بهراة الملك حسين وآل محمود فرشحه من أهل دولة السلطان أبى سعيد عاملا على اصبهان وفارس فاستبد بأمره واتخذ الكرسى بشيراز الى أن هلك وولى بعده ابنه أبو اسحق أمير شيخ سالكا سبيله فى الاستبداد وكانت له آثار جميلة وله صنف الشيخ عضد الدين كتاب المواقف والشيخ عماد الدين الكاشى شرح كتاب المفتاح وسموهما باسمه وتغلب أيضا محمد بن المظفر على كرمان ونواحيها فصارت بيده وطمع فى الاستيلاء على فارس وكان أبو اسحق أمير شيخ قد قتل شريفا من أعيان شيراز فنادى بالنكير عليه ليتوصل الى غرض انتزاع الملك من يده وسار فى جموعه الى شيراز ومال اليه أهل البلد لنفرتهم عن أمير شيخ لفعلته فيهم فأمكنوه من البلد وملكها واستولى على كرسيها وهرب أبو اسحق أمير شيخ الى اصبهان واتبعه فهزمه أيضا وملك اصبهان وبث الطلب فى الجهات حتى تقبض عليه وقتله قصاصا بالشريف الذى قتله بشيراز وكان له من الولد أربعة شاه ولى ومحمود وشجاع وأحمد وتوفى شاه ولى أيام أبيه وترك ابنيه منصورا ويحيى وملك ابنه محمود اصبهان وابنه

شجاع شيراز وكرمان واستبد عليه محمود وشجاع وخلفاه فى ملكه سنة ستين وكلاه
وتولى ذلك شجاع وسار اليه محمود من اصبهان بعد ان استجاش باويس بن حسن الكبير
فأمده بالعساكر سنة خمس وستين وملك شيراز ولحق شجاع بكرمان من أعماله وأقام
بها واختلف عليه عماله ثم استقاموا على طاعته ثم جمع بعد ثلاث سنين ورجع الى
شيراز ففارقها أخوه محمد الى اصبهان وأقام بها الى أن هلك سنة ست وسبعين فاستضافها
شجاع الى أعماله وأقطعها لابنه زين العابدين وزوجه بابنة أويس التى كانت تحت
محمود وولى على مردى ابن أخيه شاه ولى ثم هلك شجاع سنة سبع وثمانين واستقل ابنه
زين العابدين باصبهان وخلفه فى شيراز وفارس منصور ابن أخيه شاه ولى وكان عادل
كبير دولة بنى أويس بالسلطانية كما مر ولحق به منصور بن شاه ولى هاربا من شيراز أمام
عمه زين العابدين فحبس ثم فر من محبسه ولحق بأحمد بن أويس مستصرخا به فصارخه
وأنزله بتستر من أعماله ثم سار منها الى شيراز ففارقها عمه زين العابدين الى اصبهان
وأخوه يحيى بيزد وعمهما أحمد بن محمد بن المظفر بكرمان ثم زحف تمر سلطان التتر من بنى
جغطاى بن جنكزخان سنة ثمان وثمانين وملك توريز وخربها كما مر فى أخباره
فأطاعه يحيى صاحب يزد وأحمد صاحب كرمان وهرب زين العابدين من اصبهان
وملكها عليه تمر فلحق بشيراز ورجع تمر الى بلاده فيما وراء النهر وعميت أنباؤه الى سنة
خمس وتسعين فزحف الى بلاد فارس وجمع منصور بن شاه ولى العساكر لحربه فخادعه
تمر بولايته وانكفأ راجعا الى هراة فافترقت عساكر منصور بن شاه ولى وجاءت عيون
تمر بخبر افتراقها اليه فأغذ السير وكبس منصور بن شاه ولى بظاهر شيراز وهو فى قل من
العساكر لا يتجاوزون ألفين فهرب الكثير من أصحابه الى تمر واستمات هو والباقون
وقاتلوا أشد قتال وفقد هو فى المعركة فلم يوقف له على خبر وملك تمر شيراز واستضافها الى
اصبهان وولى عليها من قبله وقتل أحمد بن محمد صاحب كرمان وابنيه وولى على كرمان
من قبله وقتل يحيى بن شاه ولى صاحب يزد وابنيه وولى على يزد من قبله واستلحم بنى
المظفر واستصفى زين العابدين وهرب ابنه فلحق بخاله أحمد بن أويس
وهو لهذا العهد مقيم معه بمصر والله وارث الارض ومن عليها واليه يرجعون



زين العابدين بن شجاع بن محمود بن محمد بن المظفر اليزدى

الخبر عن بنى ارتنا ملوك بلاد الروم من المغل بعد بنى هلاكو والالمام بمبادى أمورهم ومصايرها

قد سبق لنا أن هذه المملكة كانت لبنى قليج ارسلان من ملوك السلجوقية وهم الذين أقاموا فيها دعوة الاسلام وانتزعوها من يد ملوك الروم أهل قسطنطينية واستضافوا اليها كثيرا من أعمال الارمن ومن ديار بكر فانفسحت أعمالهم وعظمت ممالكهم وكان كرسيهم بقونية ومن أعمالها اقصرا وانطاكية والعلايا وطغرل ودمرلو وقراحصار ومن ممالكهم اذربيجان ومن أعمالها اقشهر وكامخ وقلعة كعونية ومن ممالكهم قيسارية ومن أعمالها نكرة وعداقلية ومنال ومن ممالكهم أيضا سيواس وأعمالها ملكوها من يد الوانشمند كما مر فى أخبارهم ومن أعمالها نكسار واقاسية وتوقات وقنات وكنكرة كورية وسامسول وصغوى وكحونية وطرخلوا وبرلوا ومما استضافوه من بلاد الارمن خلاط وارمينية الكبرى وانى وسلطان وارجيس وأعمالها ومن ديار بكر خرت برت وملطية وسميساط ومسارة فكانت لهم هذه الاعمال وما يتصل بها من الشمال الى مدينة برصة ثم الى خليج القسطنطينية واستفحل ملكهم فيها وعظمت دولتهم ثم طرقها الهرم والفشل كما يطرق الدول ولما استولى التتر على ممالك الاسلام وورثوا الدول فى سائر النواحى واستقر التخت الاعظم لمنكوفان أخى هلاكو وجهز عساكر المغل سنة أربع وخمسين وستمائة الى هذه البلاد وعليهم بيكو من أكابر أمرائهم وعلى بلاد الروم يومئذ غياث الدين كيخسرو بن علاء الدين كيقباد وهو الثانى عشر من ملوكهم من ولد قطلمش فنزلوا على ارزن الروم وبها سنان الدين ياقوت مولى علاء الدين فملكوها بعد حصار شهرين واستباحوها وتقدموا أمامهم ولقيهم غياث الدين بالصحراء على اقشهر وزنجان وانهزم غياث الدين واحتمل ذخيرته وعياله ولحق بقونية واستولى بيكو على مخلفه ثم سار الى قيسارية فملكوها وهلك غياث الدين اثر ذلك وملك بعده بعهد ابنه علاء الدين كيقباد وأشرك معه أخويه فى أمره وهما عز الدين كيكاوس وركن الدين قليج ارسلان وعاثت عساكر التتر فى البلاد فسار علاء الدين كيقباد الى منكوفان صاحب التخت واختلف أخواه من بعده وغلب عز الدين كيكاوس واعتقل أخاه ركن الدين بقونية وبعث فى اثر أخيه علاء الدين من يستفسده منكوفان فلم يحصل من ذلك على طائل وهلك علاء الدين فى طريقه وكتب منكوفان بتشريك الملك بين عز الدين وركن الدين والبلاد بينهما مقسومة فعز الدين من سيواس الى تخوم القسطنطينية ولركن الدين من سيواس الى ارزن الروم متصلا من جهة الشرق ببلاد التتر وأفرج عز الدين عن ركن الدين واستقر فى طاعة

التتر وسار بيكو فى بلاد الروم قبل أن يرجع عز الدين فلقيه ارسلان دغمس من أمراء
عز الدين فهزمه بيكو الى قونية فاجفل عنها عز الدين الى العلايا وحاصرها بيكو فملكها
على يد خطيبها وخرج الى بيكو فأسلمت زوجته على يده ومنع التتر من دخولها
الا وحدانا وأن لا يتعرضوا الاحد واستقر عز الدين وركن الدين فى طاعة التتر ولهما
اسم الملك والحكم للشحنة بيكو ولما زحف هلاكو الى بغداد سنة ست وخمسين استنفر
بيكو وعساكره فامتنع واعتذر بمن فى طريقه من طوائف الاكراد الفراسلية
والبارزقية فبعث اليه هلاكو العساكر ومرّوا باذربيجان وقد أجفل أهلها
الاكراد فملكوها وسار وامع بيكو الى هلاكو وحضر وامعه فتح بغداد وما بعدها
ولما نزل هلاكو حلب استدعى عز الدين وركن الدين فحضرا معه فتحها وحضر معهما
وزيرهما معين الدين سليمان البروانا واستحسنه هلاكو وتقدم الى ركن الدين بأن
يكون السفير اليه عنه فلم يزل على ذلك ثم هلك بيكو مقدم التتر ببلاد الروم وولى مكانه
صمغار من أمراء المغل ثم اختلف الاميران عز الدين وغياث الدين سنة تسع وخمسين
واستولى عز الدين على أعمال ركن الدين فسار ومعه البروانا الى هلاكو صريخا
فأمده بالعساكر وسار الى عز الدين فهزمهم واستمده ثانيا فأمده هلاكو وانهزم
عز الدين فلحق بالقسطنطينية وأقام عند صاحبها الشكرى واستولى ركن الدين قليج
ارسلان على بلاد الروم وامتنع التركمان الذين بتلك الاعمال بأطراف الاعمال والثغور
والسواحل وطلبوا الولاية من هلاكو فولاهم وأعطاهم الله الملك فهم الملوك بها لدن
يومئذ كما يأتى فى أخبارهم ان شاء الله تعالى وأقام عز الدين بالقسطنطينية وأراد
التوثب بصاحبها الشكرى ووشى به أخواله من الروم فاعتقله الشكرى فى بعض
قلاعه ثم هلك ويقال ان ملك الشمال منكوتمر صاحب التخت بصراى حدثت بينه
وبين صاحب القسطنطينية فتنة فغزاه واكتسح بلاده ومرّ بالقلعة التى بها عز الدين
معتقلا فاحتمله معه الى صراى وهلك عنده ولحق ابنه مسعود بعد ذلك بابغا بن هلاكو
فأكرمه وولاه على بعض القلاع ببلاد الروم ثم ان معين الدين سليمان البروانا ارتاب
بركن الدين فقتله غيلة سنة ست وستين ونصب ابنه كنخسرو للملك ولقبه غياث
الدين وكان متغلبا عليه مقيما مع ذلك على طاعة التتر وربما كان يستوحش منهم
فيكاتب سلطان مصر بالدخول فى طاعته واطلع ابغا على كتابه بذلك الى الظاهر بيبرس
فنكره وهلك صمغار الشحنة فبعث ابغا مكانه أميرين من أمراء المغل وهما تدوان
وتوقو فتقدما سنة خمس وسبعين الى بلاد الشأم ونزلا ومعهما غياث الدين
كنخسرو وكافله البروانا فى العساكر وسار الظاهر من دمشق فلقيهم بالبلستين

وقد قعد البرواناة لما كان تواعد مع الظاهر عليه وهزمهم الظاهر جميعا وقتل الامير بن تدوان وتوقر في جماعة من التتر وغضب البرواناة وسلطانه فلم يصب منهم أحد واستراب السلطان بالبرواناة لذلك وملك الظاهر قيسارية كرسي بلاد الروم وعاد الى مصر وجاء ابغا ووقف على مكان الملحمة ورأى مصارع قومه فصدق الريبة بممالأة الظاهر والبرواناة وأصحابه فاكتسح البلاد وخربها ورجع ثم استدعى البرواناة الى معسكره فقتله وأقام مكانه في كفالة كيخسرو أخاه عز الدين محمدا ولم يزل غياث الدين والبلاد في بلاد الروم وانشحنة من المغل حاكم في البلاد الى أن ولى تكرار بن هلاكو وكان أخوه قنقرطاي مقيما ببلاد الروم مع صمغار فبعث عنه وامتنع من الوصول فأوعز الى غياث الدين واعتقله بارزنكان وولى على بلاد الروم على الشحنة أولاد كومن أمراء المغل وذلك سنة احدى وثمانين ويقال ان ارغو بن ابغا هو الذي ولى أولاكو شحنة ببلاد الروم بعد صمغار وان تدوان وتوقر انما بعث بهما ابغا لقتال الظاهر ولم يرسلهما شحنة ثم أقام مسعود بن عز الدين كيكاوس في سلطانه ببلاد الروم والحكم لشحنة التتر وليس له من الملك الا اسمه الى أن افترق واضمحل أمره وبقي أمراء المغل يتعاقبون في الشحنة ببلاد الروم وكان منهم أول المائة الثامنة الامير علي وهو الذي قتل ملك الارمن هيشوش بن ليعون صاحب سيس واستعدى أخوه عليه بخربندا فأعداه وقتله كما مر في أخبار الارمن في دولة الترك وكان منهم سنة عشرين وسبعمائة الامير البشغاتم وولى السلطان أبو سعيد على بلاد الروم دمرداش بن جوبان سنة ثلاث وعشرين واستفحل بها ملكه وجاهد الارمن بسيس واستمد الناصر محمد بن قلاون صاحب مصر عليهم فأمده بالعساكر وافتتحوا اياس عنوة ورجعوا ثم نكب السلطان أبو سعيد نائبه جوبان بن بروان وقتله كما مر في أخبارهم وبلغ الخبر الى دمرداش ابنه ببلاد الروم فاضطرب لذلك ولحق بمصر في عساكره وأمرائه فأقبل السلطان عليه وتلقاه بالتكرمة والايثار وجاءت رسل أبي سعيد في اتباعه تطلب حكم الله تعالى فيه بسعيه في الفساد واثارة الفتنة على أن يفعل مثل ذلك في قراسنقر النازع اليهم من أمراء الشأم فقتلوه وقتل دمرداش بمصر وذهبا بما كسبا وكان دمرداش لما هرب من بلاد الروم الى مصر ترك من أمرائه ارتنا وكان يسمى النوير باسم أبناء الملوك فبعث الى أبي سعيد بطاعته فولاه على البلاد فملكها ونزل سيواس واتخذها كرسي ملكه ثم استبد حسن بن دمرداش بتوريز فبايع له ارتنا ثم انتقض وكاتب الملك الناصر صاحب مصر ودخل في طاعته وبعث اليه بالولاية والخلع فجمع له حسن بن دمرداش وسار اليه بسيواس وسار ارتنا للقائه بصحراء كسنوك وهزمه وأسر جماعة من أمرائه

وذلك سنة أربع وأربعين واستفحل ملك ارتنا من يومئذ وعجز جوبان وحسن ابن دمرداش عن طلبه الى أن توفى سنة ثلاث وخمسين وأما بنوه من بعده فلا أدرى من ملك منهم ولا ترتيب ولايتهم الا أنه وقع فى أخبار الترك ابن السلطان أوعز سنة ست وستين الى نائب حلب أن يسير فى العساكر لانجاد محمد بك بن ارتنا فمضوا وظفروا ومازال ارتنا وبنوه مستبدين ببلاد الروم وأعمالها واقتطع لهم التركمان منها بلاد الارمن سيس وما اليها فاستولى عليها بنو دلقادر على خلافه وزحف اليه وهى فى أيديهم لهذا العهد ولما خالف سعاروس من أمراء الترك سنة ثنتين وخمسين ظاهره قراجا ابن دلقادر على خلافه وزحف اليه السلطان من مصر فافترقت جموعه واتبعته العساكر فقتل وبعث السلطان سنة أربع وخمسين عسكرا فى طلب قراجا فسار والى البلستين وأجفل منها نائبها فنهبوا أحياءه ولحق هو بابن ارتنا بسيواس فقبض عليه وبعث به الى السلطان بمصر فقتله واقتطع التركمان ناحية الشمال من أعمالهم الى القسطنطينية وأثخنوا فى أمم النصرانية وراءهم واستولوا على كثير من تلك الممالك وراء القسطنطينية وأميرهم لهذا العهد فى عداد الملوك الاعاظم ودولتهم ناشئة متجددة وكان صاحب سيواس منذ أعوام الثمانين وهو من أعقاب بنى ارتنا فاستبد عليه قاضى البلد لما كان كافلاله بوصية أبيه ثم قتل القاضى ذلك الصبى أعوام ثنتين وتسعين واستبد بذلك الملك وكانت هنالك أحياء التتر يناهزون ثلاثين ألفا أو نحوها مقيمين بتلك النواحى دمرداش بن جوبان ومن قبله من أمراء المغل فكانوا شيعة لبنى ارتنا وعصابة لهم وهم الذين استنجد بهم القاضى حين وجهت اليه عساكر مصر فى طلب منطاش الثائر ثم لحق به وسارت عساكر مصر فى طلبه سنة تسع وثمانين فاستنجد القاضى باحياء التتر هؤلاء وجاؤا لانجاده ورجعت عساكر مصر عنهم كما تقدم ذلك كله فى أخبار الترك والحال على ذلك لهذا العهد والله مصير الامور بحكمته وهو على كل شئ قدير

ا ب جـ

ابراهيم بن محمد بك بن ارتنا النوير عامل أبى سعيد على بلاد الروم

{ الخبر عن الدولة المستجدة للتركمان فى شمال بلاد الروم }
{ الى خليج القسطنطينية وما وراءه لبنى عثمان واخوته }

قد تقدم لنا فى انساب العالم ذكر هؤلاء التركمان وانهم من ولد يافث بن نوح أى من توغرما بن كومر بن يافث كذا وقع فى التوراة وذكر الفيومى من علماء بنى اسرائيل ونسابتهم أن توغرما هم الخزر وان الخزر هم التركمان اخوة الترك ومواطنهم فيما وجدناه من بحر طبرستان ويسمى بحر الخزر الى جوف القسطنطينية وشرقها الى ديار بكر وبعد

انقراض العرب والارمن ملكوا نواحي الفرات من أوله الى مصبه في دجلة وهم شعوب متفرقون وأحياء مختلفون لا يحصرهم الضبط ولا يحويهم العد وكان منهم ببلاد الروم جموع مستكثرة كان ملوكها يستكثرون بهم في حروبهم مع أعدائهم وكان كبيرهم فيها العهد المائة الرابعة جق وكانت أحياؤهم متوافرة وأعدادهم متكاثرة ولما ملك سليمان بن قطلمش قونية بعد أبيه وفتح انطاكية سنة سبع وسبعين من يد الروم طالبه مسلم بن قريش بما كان له على الروم فيها من الجزية فأنف من ذلك وحدثت بينهما الفتنة وجمع قريش العرب والتركمان مع أميرهم جق وسار الى حرب سليمان بانطاكية فلما التقيا مال التركمان الى سليمان لعصبية الترك وانهزم مسلم بن قريش وقتل وأقام أولئك التركمان ببلاد الروم أيام بني قطلمش موطنين بالجبال والسواحل ولما ملك التتر بلاد الروم وأبقوا على بني قطلمش ملكهم وولوا ركن الدولة قليج ارسلان بعد ان غلب أخوه عز الدين كيكاوس وهرب الى القسطنطينية وكان أمراء هؤلاء التركمان يومئذ محمد بك وأخاه الياس بك وصهره على بك وقريبه سونج والظاهر أنهم من بني جق فانتقضوا على ركن الدولة وبعثوا الى هلاكو بطاعتهم وتقرير الاتر عليهم وأن يبعث اليهم باللواء على العادة وأن يبعث شحنة من التتر تختص بهم فأسعفهم بذلك وقلدهم وهم من يومئذ ملوك بها ثم أرسل هلاكو الى محمد بك الامير يستدعيه فامتنع من المسير اليه واعتذر فأوعز هلاكو الى الشحنة الذي ببلاد الروم والى السلطان قليج ارسلان بمحاربته فساروا اليه وحاربوه ونزع عنه صهره على بك ووفد على هلاكو فقدمه مكان محمد صهره ولقي محمد العساكر فانهزم وأبعد في المفر ثم جاء الى قليج ارسلان مستامنا فأمنه وسار معه الى قونية فقتله واستقر صهره على بك أميرا على التركمان وفتحت عساكر التتر نواحي الى اسطنبول والظاهر أن بني عثمان ملوكهم لهذا العهد من أعقاب على بك أو أقاربه يشهد بذلك اتصال هذه الامارة فيهم مدة هذه المائة سنة ولما اضمحل أمر التتر من بلاد الروم واستقر بنو ارتنا بسيواس وأعمالها غلب هؤلاء التركمان على ماوراء الدروب الى خليج القسطنطينية ونزل ملكهم مدينة برصا من تلك الناحية وكان يسمى أورخان بن عثمان جق فاتخذها دارا لملكهم ولم يفارق الخيام الى القصور وانما ينزل بخيامه في بسطها وضواحيها وولي بعده ابنه مراد بك وتوغل في بلاد النصرانية وراء الخليج وافتتح بلادهم الى قريب من خليج البنادقة وجبال جنوة وصار أكثرهم ذمة ورعايا وعاث في بلاد الصقالبة بما لم يعهد لمن قبله وأحاط بالقسطنطينية من جميع نواحيها حتى اعتقل ملكها من أعقاب شكري وطلب منه الذمة وأعطاه الجزية ولم يزل على جهاد أمم النصرانية وراءه الى أن قتله الصقالبة

فى حروبه معهم سنة احدى وتسعين وسبعمائة وولى بعده ابنه أبو يزيد وهو ملكهم لهذا
العهد وقد استفحل ملكهم واستعبدت بالعز دولتهم وكان قد غلب على قطعة من بلاد
الروم ما بين سيواس و بلادهم من انطاكية والعلايا بجبال البحر الى قونية بنو قرمان
من أمراء التركمان وهم الذين كانوا فى حدود ارمينية وجدهم هو الذى هزم أوشين
ابن ليعون ملك سيس من الارمن سنة عشرين وسبعمائة ثم كان بين بنى عثمان حق
وبين بنى قرمان اتصال ومصاهرة وكان ابن قرمان لهذا العهد صهر السلطان مراد بك
على أخته فغلبه السلطان مراد بك على ما بيده ودخل ابن قرمون صاحب العلايا
فى طاعته بل والتركمان كلهم وفتح سائر البلاد ولم يبق له الاسيواس بلد بنى ارتنا
فى استبداد القاضى الذى عليها وما أدرى ما الله صانع بعد ظهور هذا الملك تمر المتغلب
على ملك المغل من بنى جغطاى بن جنكز خان وملك ابن عثمان لهذا العهد مستفحل
بتلك الناحية الشمالية ومتسع فى أقطارها ومرهوب عند أمم النصرانية هنالك
ودولته مستجدة عزيزة على تلك الامم والاحياء والله غالب على أمره والى هنا انتهت
أخبار الطبقة الثالثة من العرب ودولهم وهم الامم التابعة للعرب بما تضمنه من الدول
الاسلامية شرقا وغربا لهم ولمن تبعهم من العجم فلنرجع الآن الى ذكر الطبقة
الرابعة من العرب وهم المستعجمة أهل الجيل الناشئ بعد انقراض
اللسان المضرى ودروسه ونذكر أخبارهم ثم نخرج الى الكتاب
الثالث من الثالث فى أخبار البربر ودولهم فنفرغ
بفراغهما من الكتاب ان شاء الله تعالى والله
ولى العون والتوفيق بمنه
وكرمه

م

(تم طبع الجزء الخامس ويليه الجزء السادس أوله الطبقة الرابعة)

(فهرسة الجزء الخامس من تاريخ الامام ابن خلدون)

صحيفة

صحيفة

صحيفة

صحيفة

صحيفة

صحيفة

صحيفة

صحيفة

صحيفة

صحيفة

صحيفة

صحيفة

صحيفة

صحيفة

صحيفة

صحيفة

صحيفة

صحيفة

صحيفه

صحيفة

صحيفة

صحيفة

صحيفه

صحيفة

صحيفة

صحيفة

صحيفة

صحيفة

